

ذو القعدة الطالب التقديرات  
المطلوب

محمد صالح المنجد

المملكة العربية السعودية  
جامعة أم القرى - مكة المكرمة  
كلية الدعوة واهل الدين  
قسم الكتاب والسنة

د / محمد عبد العزيز

د / محمد عبد العزيز

١١ / ١١ / ٢٠٠٨ م

طالب: ياسر احمد السهلي

دكتور  
مستشار التعليم الفني النبوي

# سورة لاهي خلدك والسنابقي

## القرآن الكريم

رسالة مقترحة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة

إعداد الطالب / ياسر أحمد حاجي السهلي

إشراف الدكتور / محمد الطهري الحفني النبوي



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٣٥٢

٠٠٢٤٦٤

١٤٠٨ هـ

الحمد لله الذي أنزل علينا قرآنا عربيا غير ذي عوج ، وأشهد أن لا اله الا الله  
ما ترى في خلقه من تفاوت ولا في آياته من اختلاف .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه الله بالحجة الدائمة والمعجزة الباقية الخالدة ،  
أكرمه الله بأن جعل معجزته الدالة على صدقه عين رسالته ، آيات تُتلى على مرّ الدهور  
تحدى بها الانس والجن في بلاغة اللفظ وإحكام المعنى وتناسق المبنى ، اللهم صلِّ  
وسلم وبارك على هذا النبي الأمي وآله وصحبه، وبعد :

فإنني منذ أن كنت في مرحلة الكلية ثم السنة المنهجية قد حُبب إليّ علم التفسير  
وما يتصل به من علوم .

ولقد كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) وغير  
ذلك مما ورد في الحض على تعلم كتاب الله وتدبره والعناية به وتبليغه ، وكذلك ما ميّز  
الله به القرآن من كونه معجزة خالدة ومنهجاً للحياة خليقاً بأن يُعنى به جل العناية ،

كل ذلك كان الدافع لي للاتجاه لدرس القرآن وخدمته ، ولما كان كتاب الله هو  
السبب في بقاء الاسلام والمسلمين والدافع لهم لأن يكونوا خير أمة أخرجت للناس ولأن  
ينوبوا عن نبيهم في تعميم الدعوة والجهاد في أرجاء الأرض ليحققوا معنى الاستخلاف  
الرياني وإخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ومن جور الأديان الى  
عدل الاسلام .

لما كان كتاب الله هو السبب في ذلك :

أذكر هذا أعداء الاسلام منذ البداية فلا جرم أنهم حاولوا التصدي لهذا الكتاب  
بإثارة الشبهات والأباطيل والتخرصات من أجل أن يحولوا بين المسلمين وبين هذا  
الكتاب الذي هو مصدر عزتهم وصلاتهم وقوتهم .

ومن خلال قراءتي في كتب التفسير وعلوم القرآن وجدت أن من الشبهات والأباطيل  
التي تناقلها أعداء الاسلام من زنادقة ويهود ونصارى ومناققين ، الادعاء بأن في القرآن  
اختلافاً وتناقضاً وكل ذلك بدافع الكيد والحسد أو الجهل وعدم التدبر .

وقد وجدت أنه منذ عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - عصر نزول القرآن ، وحتى يومنا  
هذا ما زالت تلك الادعاءات والأباطيل تُروّج بمختلف السبل والأساليب للنيل من عظمة  
القرآن ولتشكيك المسلمين به إن استطاعوا وكذلك لتثبيت أهل أديانهم ومعتقداتهم على  
ما هم عليه من الباطل ببيان أن ما عند المسلمين إنما هو كتاب متناقض .

وقد بينت في الفصل الأول من هذه الرسالة عرضاً إجمالياً لتاريخ موهم الاختلاف وبيان  
أهم المصادر ، وبينت أن أعداء الاسلام في هذا العصر قد اتخذوا وسيلة جديدة للنيل  
من القرآن ، وهو أنهم أكلوا هذه المهمة لبعض أبناء المسلمين ممن يتظاهر بالاسلام ،

وذلك من أجل أن يهدوا حصوننا من داخلها وتجذب لك واضحا في فصل موهبهم  
الاختلاف في آيات القصص من الباب الثاني وذلك ضمن مخططاتهم للتأمر على الاسلام  
وأهله والعمل على فقد الثقة بمصادر التشريع لدى المسلمين وقد تصدى لهم كل غيور  
من العلماء لدحض افتراءاتهم ورد كيدهم الى نحورهم .

وقد وجدت أن ماكتب في الرد على افتراءات أعداء الاسلام وجدت أنها مباحث  
متفرقة ومتناثرة لم تُكتب بشكل مُستوعب أو موضوعي .

من أجل ذلك عقدت العزم بعد استشارة الله تعالى ، ثم مشورة أهل العلم والاختصاص  
على أفراد هذا الموضوع بالبحث والدراسة والجمع من أجل خدمة كتاب الله ، ثم لتحضير  
رسالة الماجستير في قسم الكتاب والسنة .  
وتنحصر أهم البواعث على اختياري لهذا الموضوع بالآتي :-

أولا : الرد على أعداء الاسلام برد شبهاتهم وافتراءاتهم وادعائهم حول تناقض بعض  
آيات القرآن ، وبيان أنهم قد أتوا من جهة جهلهم ومكرهم وأحقادهم الدنيئة ،  
وتتأكد الحاجة لمثل هذه المباحث في هذا العصر الذي اشتدت فيه المؤامرات  
والمخططات ضد الاسلام وأهله .

ثانيا : خدمة كتاب الله تعالى الذي هو مصدر التشريع والمصدر لحياة البشر وذلك بدراسة  
آياته وبيان توافقها وتعاضدها وأنها في غاية التناسق والانسجام وذلك بشكل  
موضوعي ، مستوعبا في ذلك كل مايتوهم أنه مختلف أو متناقض .

ثالثا : الاستدلال بأن توافق آيات القرآن وعدم اختلافها إنما هو دليل من أدلة نبوة  
سيد المرسلين وأن هذا القرآن إنما هو وحي يوحى لأنه لو كان من عند غير الله  
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، كما سيأتي توضيحه ، ومعلوم أن الله تعالى قد تحدى  
بالقرآن المعجز ببيانه فصاحة ونظما وتناسقا أدرك هذا من أدركه من أهل اللغة والفصاحة  
وأهل البيان والبلاغة ، ولكننا اليوم لم نعد نملك في اذواقنا عبقرية اللغة العربية وأسرارها  
وبلاغتها لنتمكن من أن نستنبط بلاغة القرآن وإعجازه .

لذلك أصبح مثل هذه الدراسات والأبحاث والتي تستخرج من القرآن أدلة على صدق  
مبلغه وأنه تنزيل من عزيز حميد ، أصبحت مثل هذه الدراسات من واجبات طلبة العلم .

رابعا : ان ماكتب حول هذا الموضوع قد يما لا يعد وكونها مباحث ضمن مصنفات كتب علوم  
القرآن كالبرهان والاتقان ، أو ماتناوله المفسرون أثناء تفسير الآيات على تفاوت  
بينهم في الاهتمام بهذا العلم ، أو مباحث تناولها من صنف في مشكل القرآن  
كابن قتيبة والعزيم عبد السلام وزكريا الانصاري وغيرهم رحمهم الله تعالى .

لذلك فان هذا الموضوع لم ينل حظه من البحث والدراسة والجمع وإن أحسن من كتب حول هذا الموضوع في هذا العصر هو العلامة الجليل الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي في كتابه المسمى: "دفع ايها الماضطراب عن آيات الكتاب" وهو مطبوع مع أضواء البيان / الجزء العاشر .

والشيخ رحمه الله قد أفاد وأجاد وأفرغ فيه من علمه الكثير إلا أنه لم يستوعب كما أنه رتب كتابه حسب ورود الآيات في سور القرآن ، وليس ترتيباً موضوعياً إضافة الى أنه لم يمهّد له بدراسة ، وفي كثير من مباحثه نحى نحواً يصعب فهمه على كثير من طلبة العلم فضلا عن المثقف العادي، انظر مثلاً: ص ٦٠ - ٦٢ ، ١٨٣ - ١٨٤ ، ٢٦٣ - ٢٦٨ .

\*\*\*\*\*

## منهج البحث :

أولاً: استيعاب جميع الآيات القرآنية التي ادّعي الطاعنون والجاهلون أنها مختلفة أو متناقضة ، وكذلك الآيات التي قد تكون محل توهم (١) وذلك ببيان وجه توهم الاختلاف بينها ، مع الرد العلمي المدعم بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، والاستشهاد بأقوال العلماء والمفسرين في كل مبحث ، واقتصر في المباحث اللغوية وفصل القرآت والتي جاءت في الفصل الثاني اقتصر على إيراد أمثلة شاملة تُغني عن غيرها وتوضح المراد لعدم إمكانية استيعابها

ثانياً : إذا كان التوفيق بين الآيتين له عدة أوجه أذكر أحدها وأهمها ، وإذا ذكرت معها وجهاً ضعيفاً فإنما هو لكونه له حظ من النظر والاعتبار ، وكذلك لبيان ضعفه ولتأكيد ما هو صحيح وترسيخه ما مع العناية ببيان أدلة ما هو صحيح وضعف ما هو ضعيف ، والاعراض عن الأوجه البعيدة والغريبة

ثالثاً : أحاول بقدر الإمكان التوفيق بين الآيات بأسلوب واضح مفهوم للجميع ، ومن أقرب طريق وأقصره لتسهيل فهم الآيات وتناسقها وعدم اختلافها ، وعدم الخوض في أمور جانبية إلا إذا كانت من تنمة الفائدة ولها صلة بالبحث وفهم المعنى من غير تعقيد أو تطويل بقدر الإمكان

رابعاً : من المعلوم أن ادعاء النسخ بين آيتين يعني وجود تعارض بين تلك الآيتين عند المدّعي من كل الوجوه ، وبما أن ادعاء النسخ قد حصل فيه تساهل كثير فلا ألتزم البحث في كل آيتين ادّعي فيهما النسخ لعدم الاعتداد بهذا الادعاء ولظهور بطلانه

خامساً : إذا كان الكلام المراد إثباته قد توارده العلماء بالفاظ مختلفة ومعانٍ متقاربة أوردته بأسلوبي وصياغتي مع الإشارة إلى المصادر والمراجع ، وإذا اختلف المعنى : اختار الراجح وأشير إلى المصادر ، وأنقل أحياناً عبارات بعض العلماء بنصها أو بتصرف أشير إليه

---

(١) قد تكون هناك أمثلة لم أذكرها إما لكونها ليست محل توهم أو

إني لم اتوصل إليها ، وفوق كل ذي علم عليم

سادسا : إذا كان دفع التوهم مستفادا من النص وهو ظاهر في ذلك فلا اعتبره من موهم الاختلاف ومثاله : قوله تعالى :

( يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال ، وإنّ يكن منكم عشرون صابرون يغلّبوا مائتين ، وإنّ يكن منكم مائة يغلّبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، الآن خفف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضعفا فإنّ يكن منكم مائة صابرة يغلّبوا مائتين ، وإنّ يكن منكم ألف يغلّبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين ) - الانفال / ٦٥ - ٦٦ -

فقوله : "الآن خفف الله عنكم" ظاهر في أنه نسخ النص الأول (١)

ولذا فلا تعارض ولا إمكانية لتوهم ذلك ، ففي مثل هذه الامثلة لا اتعرض لها

سابعا : عند تفسير الايات التزم بالقول الظاهر والمعنى الراجح مع تجنب التأويلات البعيدة ، وخير ما يُفسر به القرآن هو القرآن ، وما صحّ من السنة النبوية ، ثم أقوال الصحابة وعلماء التفسير من السلف

ثامنا : ألتزم بعزو الآيات القرآنية الى مواضعها من السور ، وكذلك تخريج الاحاديث النبوية مع بيان حكمها من الصحة والضعف ما أمكن ذلك

وبعد : فإنني قد قدمت في هذا البحث جهدي وحاولت بقدر الامكان أن اخدم فيه كتاب الله ، إلا أنني أعتقد اعتقادا جازما بأنّ هذا البحث لن يستوي علي سؤقه ، ولن تُجنى ثماره إلا بعد التقويم والنقد والاستدراك ، ذلك بأن هذا البحث كأبي بحث آخر هو جهد بشري لا بُدّ أن يعتره الخلل والاختلاف مصداقا لقوله تعالى : ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) - النساء / ٨٢ -

(١) على ما هو قول الجمهور ، وقال مكّي : إنه تخفيف وليس نسخ كإباحة الاقطار للمسافر ( روح المعاني للالوسني ج١٠ / ٣٢ )

خطة البحث :

يشتمل البحث على :- مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .  
مقدمة : فيها كلمة ، ثم بيان البواعث على البحث ثم بيان منهج البحث وثلاثة  
أبواب .

الباب الاول : دراسة وتمهيد وهو من خمسة فصول :  
أولا : عرض اجمالي لتاريخ موهم الاختلاف وبيان أهم المصادر .  
ثانيا : معنى موهم الاختلاف والتناقض في القرآن .  
ثالثا : تفسير قوله تعالى " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا - النساء ٨٢ -  
رابعا : أسباب وجود موهم الاختلاف وموقف الباحث عند ما ظاهره التعارض في النصوص .  
خامسا : بيان أن سلامة القرآن من الاختلاف مع طوله من دلائل النبوة .

الباب الثاني : موهم الاختلاف في النص القرآني وهو من أربعة فصول .  
أولا : موهم الاختلاف في القسرات .  
ثانيا : موهم الاختلاف فيما يخص الكتاب مثل الشعر، النسخ ، المحكم والمتشابه ...  
ثالثا : المباحث اللغوية التي هي شأن توهم الاختلاف .  
رابعا : موهم الاختلاف في القصص القرآني وقد ألحقت به كل ما يتعلق بالقصص وإن كان  
مما يختص بالبواب الثالث .

الباب الثالث : موهم الاختلاف في مضمون القرآن وهو من عشرة فصول .  
أولا : موهم آيات العقيدة .  
ثانيا : موهم آيات النبوة والرسالة .  
ثالثا : موهم آيات المؤمنين .  
رابعا : موهم آيات أهل الكتاب .  
خامسا : موهم آيات المشركين .  
سادسا : موهم آيات المنافقين .  
سابعا : موهم آيات الأحكام .  
ثامنا : موهم الآيات الكونية .  
تاسعا : موهم آيات الجهاد .  
عاشرا : موهم آيات القيامة والحساب .

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصلت اليها والوصايا والمقترحات .  
ثم المراجع والفهارس .

الباب الاول : دراسة وتمهيد  
وهو من خمسة فصول

الفصل الاول : عرض اجمالي لتاريخ موهم الاختلاف وبيان اهم المصادر  
الفصل الثاني : معنى موهم الاختلاف والتناقض في القران  
الفصل الثالث : تفسير قوله تعالى :

( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا )  
- النساء / ٨٢ -

الفصل الرابع : اسباب وجود موهم الاختلاف في القران ، وموقف الباحث  
عند ما ظاهره التعارض في النصوص الشرعية اجمالا

الفصل الخامس : بيان ان سلامة القران من الاختلاف مع  
طوله من ادلة النبوة



## الفصل الاول :

عرض إجمالي لتاريخ موهم الاختلاف ، وبيان أهم المصادر

عصر النبوة :-

يبدأ تاريخ توهم الاختلاف في القرآن منذ انطلاق الرسالة وانتشار الدعوة ، عندما بدأت آيات القرآن تقرر أسماع الناس مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم ، وقد كان هذا القرآن هو المعجزة التي تحدى الله تعالي بها الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله فصاحة وبلاغة وتناسقا ، وقد اشتمل هذا القرآن إضافة الى المعجزة البيانية على دلائل لنبوة خاتم المرسلين

وأن هذا القرآن ما كان ليفترى من دون الله ، ومن ضمن هذه الدلائل ما أخبر به القرآن من خلوه من الاختلاف والتناقض ، ولذلك استنكر على المنافقين والمشركين عدم تدبرهم للقران ، لأنهم لو تدبروه لأيقنوا أنه من عند الحكيم الخبير ، قال تعالى : ( أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) - النساء / ٨٢ - ولكن أعداء الله بسبب ما كان في قلوبهم من الحسد والبغي والجحود أخذوا يثيرون الشبهات حول القرآن للنيل منه ، وذلك لما رأوا عزة الاسلام وانتشاره وكثرة أنصاره ، وبقي هذا المسلك يدين أعداء الاسلام على مرّ العصور كما سيأتي ، وهدفهم هو توهين أمر القرآن والطعن في صحة مصدره كيذا وحسدا وعدوانا ، وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفسر القرآن للصحابة - رضي الله عنهم - ويبين لهم ما خفي عليهم منه ، ويجيب عن شبهات أعداء الاسلام كما سيأتي ، ثم تولى هذه المهمة من بعده علماء الإسلام وحُماة حياضه الذين هم ورثة الأنبياء ومشاعل الضياء ، ولنبدأ بذكر ما وقع من توهيم الاختلاف في عصر النبوة :-

أخرج الامام أحمد<sup>(١)</sup> والامام مسلم<sup>(٢)</sup> عن المنيرة بن شعبة - رضي الله عنه - قال ( لما قدمت نجران سألوني فقالوا : إنكم تقرؤون : " يا أخت هارون " - مريم / ٢٨ - وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ، فلما قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سألته عن ذلك فقال : " إنهم كانوا يُسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم " )

(١) مسند الامام احمد : ج٤ / ٢٥٢

(٢) صحيح مسلم : كتاب الاداب ، باب بيان ما يستحب من الاسماء ( شرح النووي ١١٧/١٤ )

والترمذي في سننه ، كتاب التفسير ، باب ومن حوارة مريم ج٥ / ٣١٥ ، رقم / ٣١٥٥

فهذا الحديث يدلنا أن نصارى نجران توهموا وجود تناقض بين آيات القرآن ، وحاولوا إثارة الشبهة حول القرآن في عصر النبوة وقد أجاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن شبهتهم بأن بني اسرائيل كانوا يُسمّون أولادهم بأسماء الأنبياء ، ولهذا فإن مريم - عليها السلام - كان لها أخ اسمه هارون ، أو أن هارون كان اسم رجل صالح في زمانها فشبها به في الصلاح ، وتشابه الاسم واللقب لا يدل على أن المُسمّى واحد كما أوهم نصارى نجران (١)

ومن ذلك ما كان المشركون يثيرونه من شبهات حول قضية النسخ في القرآن ، قال الواحدي (٢) : ( قال المفسرون (٣) : إن المشركين قالوا : ألا ترون انك محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه ، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً ؟ ! ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه ، وهو كلام يناقض بعضه بعضاً ، فأنزل الله تعالى : ( وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ) - النحل/١٠١ وأنزل أيضا : ( ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ) - البقرة / ١٠٦ - وأخرج ابن اسحاق وابن جرير (٤) عن ابن عباس قال : ( أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - سلام ابن مشكم في عامّة من يهود سماهم فقالوا : أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به حق من عند الله؟ فانا لانراه متناسقا كما تناسق التوراة ، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله ، تجدونه مكتوبا عندهم ، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) - الاسراء / ٨٨ -

فهؤلاء المشركون واليهود والنصارى أثاروا الشبهات حول القرآن بأنه متناقض وغير متناسق ، ولكنها كانت مجرد زوابع يثيرونها من غير سند أو حجة ، وإنما تدل على بغيهم وجحودهم وتخبّطهم

(١) راجع الباب الثاني ، فصل توهم الاختلاف في مضمون القصص ، حيث فصلت القول هناك  
(٢) اسباب النزول للواحدي ، ص : ٣٢ تحقيق السيد احمد صقر ، ط ٢ ، دار القبلة والواحدي : هو علي بن احمد الواحدي النيسابوري ، من علماء القرن الخامس ، برع في التفسير والنحو واللغة والقراءات ، ت : ٤٦٨ انظر ترجمته في : طبقات المفسرين للسيوطي : ٦٦ ، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري : ٥٢٣/١ زاد المسير : ١٢٧/١ ، تفسير القرطبي : ٦١/٢ ، روح المعاني للالوسي : ٣٥١/١ (٣) تفسير ابن جرير ج ١٥٨/١٥٨ ، الطيبي ، وانظر لباب النقول للسيوطي : ١٤٠ ط ٢ (٤)

وعدم تدبرهم للقرآن ، فهم يعلمون أنّ هذا القرآن ما كان ليفترى من دون الله ، ولكن الحسد والجحود يؤدّي الى الكفر وغمط الحق ( فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ) - الانعام / ٢٣ - هذا موقف أهل الكفر من القرآن ، أما موقف الصحابة رضي الله عنهم فكان موقف المؤمن من المتدبر الموقن بأن كتاب الله ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) - فصلت / ٤٢ - كيف لا وهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل ، وضحوا بالنفس والنفيس من أجل إعلاء كلمة الله ، ولنذكر هنا ما أخرجه ابن جرير<sup>(١)</sup> عن جبير بن نفير قال : ( كنت في حلقة فيها أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإني لأصغر القوم ، فتذكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقالت أنا : أليس الله يقول في كتابه : ( يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ) - المائدة / ١٠٥ - فأقبلوا علي بلسان واحد وقالوا : تنزع آية من القرآن لاتعرفها ولا تدري ما تأويلها ؟ فتمنيت أني لم أكن تكلمت ، ثم أقبلوا يتحدثون ، فلما حضر قيامهم قالوا : إنك غلام حديث السن ، وإنك نزعت آية لا تدري ما هي ، وعسى أنّ تُدرك ذلك الزمان ، اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك لا يضرك من ضل اذا اهتديت ) اه وبرى من هذا الأثر كيف أنّ الصحابة - رضي الله عنهم - قد دفعوا ما توهمه جبير بن نفير من أن آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تُعارض الآية التي ذكرها ، وبينوا له أنه لم يدرك معناها ولا تأويلها<sup>(٢)</sup>

#### عصر ما بعد النبوة

اشهر من تكلم في العصر الذي تلا عصر النبوة هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - المتوفى سنة : ٦٨ هـ ، وكان مرجع الصحابة والتابعين في تفسير القرآن ، وبسبب ما كان يتميز به من غزارة علم وسعة دراية كان يرتاده طلاب العلم ، وكل من أشكل

(١) تفسير ابن جرير الطبري : ج ١١ / ١٤٢ رقم : ١٢٨٥٨ ، تحقيق محمود شاكر

وانظر : تفسير ابن كثير ج ٢ / ١٧٨ - المائدة / ١٠٥ - ويؤيد هذا الخبر ما رواه الترمذي في كتاب التفسير وحسنه ( ج ٥ / ٢٥٧ ) والحاكم في المستدرک وصححه وابو داود في سننه ، كتاب الملاحم ، باب الامر والنهي ج ٤ / ٥١٢ عن ابي ثعلبة الخشني - رضي الله عنه - قال : سألت عنها - اي الآية - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ونديا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع

(العوام ٠٠٠) (٢) راجع : الباب الثالث ، فصل آيات الجهاد ، حيث تفصيل المسألة

عليه شيء في تفسير القرآن ، وكذلك من يتوهم الاختلاف بين بعض الآيات ، وقد <sup>روى</sup> عنه في ذلك عدة روايات منها :-  
ما رواه البخاري (١) رحمه الله عن سعيد بن جبير قال : ( جاء رجل الى ابن عباس فقال : رأيت أشياء تختلف علي في القرآن ، فقال ابن عباس : ما هو أشك ؟ قال ليس بشك ولكنه اختلاف ، فقال : هات ما اختلف عليك من ذلك ، قال : أسمع الله يقول : ( ثمَّ لم تكن ففتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ) وقال : ( ولا يكتُمون الله حديثا ) فقد كتموا ، وأسمعه يقول : ( فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ) ثم قال : ( وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ) وقال : (..أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين .. حتى بلغ ، " طائعين " ، ثم قال في الآية الأخرى : ( والأرض بعد ذلك دحاها ) وأسمعه يقول : ( وكان الله ) ما شأنه يقول : وكان الله ، فقال ابن عباس : ( أمّا قوله : " ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين " فإنهم لما رأوا يوم القيامة وأن الله يغفر لأهل الاسلام ويغفر الذنوب ولا يغفر شركا ، ولا يتعاطمه ذنب أن يغفره ، جحدته المشركون رجاء أن يغفر لهم فقالوا : " والله ربنا ما كنا مشركين " فختم الله على أفواههم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، فعند ذلك " يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتُمون الله حديثا " ، وأما قوله : ( فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ) فإنه إذا نفخ في الصور فصعق من في السموات والأرض إلا من شاء الله ، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، وأما قوله : ( خلق الأرض في يومين ) فإن الأرض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الأرض ، وأما قوله : ( والأرض بعد ذلك دحاها ) يقول جعل فيها نهرا ، وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحورا ، وأما قوله : ( كان الله ) ولم يزل كذلك ، وإن الله لم ينزل شيئا إلا وقد أصاب به الذي أراد ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ) اهـ

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير ، سورة حم السجدة ج٦ / ٣٥

وأخرج ابن جرير الطبري (١) عن الضحاك بن مزاحم أن نافع بن الأزرق (٢) أتى ابن عباس فقال : يا ابن عباس قول الله تعالى : ( يومئذ يود الذين كفروا وعمسوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتُمون الله حديثاً ) وقوله : ( والله ربنا ما كنا مشركين ) ، فقال ابن عباس : إنني أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت لهم أتى ابن عباس ألقى عليه متشابه القرآن ، فإذا رجعت إليهم فأخبرهم أن الله تعالى يجمع الناس يوم القيامة في بقيق واحد فيقولون المشركون : إن الله لا يقبل من أحد إلا ممن وحده ، فيقولون : تعالوا نقل (٣) فيسألهم فيقولون : والله ربنا ما كنا مشركين ، قال : فيختم على أفواههم ويستنطق جوارحهم) وتشهد عليهم جوارحهم أنهم كانوا مشركين ، فعند ذلك يتمنون لو أن الأرض سوّيت بهم ولا يكتُمون الله حديثاً ) اهـ

قلت : هذا بعض ما ورد عن ابن عباس جبر الأمة في دفع التوهّمات والاشكالات حول كتاب الله ، ونلاحظ دقة فهمه وحسن أسلوبه وقوة معرفته ، كيف لا وهو الذي قال فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ( اللهم علّمه الكتاب ) (٤) وفي رواية : ( اللهم فقهه ) (٥) ، فكان رضي الله عنه - خير من قام بدفع الشبهات عن كتاب الله في عصره

- 
- (١) في تفسيره : ج٨ / ٣٧٤ ، رقم : ٩٥٢٢ ، تحقيق محمود شاكر  
(٢) هو نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الحروري ، أبو راشد رأس الأزارقة ، كان هو أمير قومه وفقههم ، من أهل البصرة ، صاحب ابن عباس في أول أمره ، وكان هو وأصحاب له من أنصار الثورة على عثمان ، ووالوا علياً الذي ان كانت قضية التحكيم فاجتمعوا في حروراء ونابوا بالخروج على علي ، قاتله المهلب بن أبي صفرة ، وقتل قرب الأهواز عام : ٦٥ هـ ، لسان الميزان لابن حجر العسقلاني : ج٦ / ١٤٤ الكامل لابن الأثير : ج٤ / ١٩٤ طبعة دار ماير ، بيروت  
(٣) " تعالوا نقل " بمعنى تعالوا نجحد أو نكذب أو نحو ذلك وقد جاء نحو هذا في سيرة ابن هشام (ج٣ / ٥٥) : ( يا رسول الله لا بد لنا من أن نقول ، فقال رسول الله : قولوا ما بدا لكم فأنتم في جلد من ذلك ) وكان هذا في حادثة قتل اليهودي كعب بن الأشرف الذي شتّب بنساء المسلمين ، ومعلوم أن الحرب خدعة " ، انظر : حاشية تفسير ابن جرير الطبري : ج٨ / ٣٧٤ تحقيق محمود شاكر  
(٤) البخاري في صحيحه : كتاب العلم ، باب ١٧ ، ج١ / ٢٧  
(٥) مسلم في صحيحه : كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل ابن عباس ( شرح النووي : ج١٦ / ٣٧ )

وفي الامابة لابن حجر (ج٢ / ٣٢٢) : وفي معجم البغوي عن ابن عمر انه كان يقرب ابن عباس ويقول : اني رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعاك فمسح على رأسك وتقل في فيك وقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل )

ثم جاء بعد ابن عباس ممن تصدوا لشبهات الزنادقة وأعداء الاسلام  
مقاتل بن سليمان (١) المتوفى سنة : ( ١٥٠ هـ ) وقد رويت عنه  
آثار في التوفيق بين بعض الآيات التي قد يُتوهم من ظاهرها التعارض  
رواها عنه : أبو الحسين محمد بن أحمد المظني المتوفى سنة : ( ٣٧٧ هـ )  
في كتابه : "التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع" (٢) ، قال في  
كتابه (٣) : ( وهذه جملة جاءت بها الرواية وأخذناها عن الثقات عن مقاتل  
بن سليمان ، إن تدبرت ذلك نفعت إن شاء الله ، قال مقاتل : أمّا  
ما شكت فيه الزنادقة في مثل هذه الآية ونحوها ١٠٠٠٠ الخ ) ثم ساق  
ما جاءت به الرواية عن مقاتل ومن ذلك (٤) -

( وأما قوله : ( وأن الكافرين لا مولى لهم ) - محمد/ ١١ -  
وقوله في آية أخرى : ( ثم رُدُّوا الى الله مولاهم الحق ) - الانعام/ ٦٢  
فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضا ، وليس بمنتقش  
ولكنهما من تفسير الوجوه المختلفة ، فأما تفسير : ( وأن الكافرين  
لا مولى لهم ) يعني لا يتولاهم إلا الله سبحانه في العون  
مثل قوله للنبي - صلى الله عليه وسلم - : ( فإن الله هو مولاة )  
في العون له ، وأمّا تفسير قوله للكافرين : ( ثم رُدُّوا الى  
الله مولاهم الحق ) يعني ثم ردوا الى الله في الآخرة ، ربهم  
ومولاهم الحق لأنهم اتخذوا في الدنيا أربابا باطلا اولياء من دون  
الله ، فلذلك قال : ( وردوا الى الله مولاهم الحق ، وصل عنهم ما  
كانوا يفترون ) - يونس/ ٢٠ - وهذا تفسيرهما ( ٥ ) اهـ

وجاء بعد مقاتل ممن تصدى لهذا الأمر أبو علي محمد بن  
المستنير النحوي المعروف بقطرب (٥) المتوفى سنة : ٢٠٦ هـ  
قال أبو حيان الاندلسي في حاشية تفسيره البحر المحيط ج ٣/ ٢٠٤ ( وقد  
ردّ محمد بن المستنير الملقب بقطرب على الملاحدة الذين طعنوا في  
في القرآن وزعموا أن فيه تناقضا ، ردّ عليهم في كتاب كبير صنّفه  
بيّن فيه جهل الملاحدة بلسان العرب وبعد أفهامهم عن فصاحة الكلام  
وبلاغته ، وصحة معناه ، رحمه الله ) اهـ

(١) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني ، أبو الحسن البلخي ،  
صاحب التفسير ، روى عن الزهري والضحاك ومجاهد وابن سيرين وغيرهم  
وعنه بقية بن الوليد واسماعيل بن عياش وشاذان بن سوار ، وغيرهم  
روى عن الشافعي من وجوه : الناس عيال على مقاتل في التفسير  
وقال بقية : كنت كثيرا اسمع شعبة وهو يُسأل عن مقاتل فما سمعته  
ذكره إلا بخير ، وقال الخليلي : محطه عند أهل التفسير محل كبير ،  
وهو واسع لكن الحفاظ ضعفوه في الرواية ، هذا وقد نقل الحافظ  
ابن حجر روايات في تكذيبه وتضعيفه ورميه بالتجسيم انظر :  
تهذيب التهذيب : ٢٧٩/١٠ ، تاريخ بغداد : ١٦٠/١٣ ، وفيات الأعيان : ٣٤١/٤  
(٢) الكتاب مطبوع سنة : ١٩٦٨ م بتحقيق الشيخ زاهد الكوثري ، مكتبة المثنى/بغداد  
(٣) ص : ٥٤ (٤) ص : ٦٣  
(٥) أحد العلماء بالنحو واللغة ، كان من الموالي ، لازم سبويه وأخذ عنه  
وكان يرى رأي المعتزلة النظامية ، له مصنفات في النحو واللغة =

وقال الزركشي في كتابه : الجوهان في علوم القرآن : (١) وقد رأيت لقطرب فيه تصنيفا حسنا جمعه على السور .  
قلت : ومصنفه هذا هو : " الرد على الملحدين في تشابه القرآن " وهو كتاب غير موجود الآن فيما أعلم (٢)

ثم جاء الامام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة المتوفى سنة : ٢٤١ هـ ، صنف في الرد على أهل الالحاد والبدع كتابا سماه : " الرد على الزنادقة والجهمية " (٣) ، وفي أول المصنف ما نصه :  
( ... أنبأنا عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى - قال : هذا ما أخرجه أبي رحمه الله في الرد على الزنادقة والجهمية ، فيما شككت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله ، قال أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى ورضي عنه - الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم ... الى أن قال : (الرد على الزنادقة فيما ادعوه من تعارض آي القرآن) ، وذكر سبع عشرة مسألة في ذلك ، منها (٤) : ( وأما قوله : ( يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا ٠٠ ) - المائدة / ١٠٩ -

وقال في آية أخرى : ( ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم - هود / ١٨ - فقالوا وكيف يكون هذا ، فيقولون لا علم لنا ، وأخبر عنهم أنهم يقولون : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، فزعموا أن القرآن ينقض بعضه بعضا ، أما قوله : ( يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ؟ ) فإنه يسألهم عند زفرة جهنم فيقولون : لا علم لنا ، ثم رجع اليهم عقولهم من بعد فيقولون : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، فهذا ما شككت فيه الزنادقة . ) اهـ

---

وغريب القرآن ، وله أقوال في التفسير ، وبعض الاشعار ، والذي لقبه قطرب هو سبويه لملازمته له ، والقطرب : نوبة تدب ولا تفتر ،  
انظر : انباه الرواة للقفطي ج٢/٢١٩ ما بغية الوعاة للسيوطي : ج١/٢٤٢  
(١) ج٢/٤٥ ، (٢) ذكره القفطي في انباه الرواة : ج٢/٢١٩  
(٣) الكتاب مطبوع في القاهرة سنة : ١٣٩٣ هـ المطبعة السلفية ، تحقيق : محمد راشد ، والكتاب مروى بالاسناد عن الامام احمد كما هو مثبت في مقدمته ، وذكره شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى ج٢٨١/١٧ فقال : وكذلك قال احمد في ترجمة كتابه الذي صنفه في الحبس وهو «الرد على الزنادقة والجهمية فيما شككت فيه من متشابه القرآن» ، وذكره ايضا في اقتضاء الصراط المستقيم : ٤٢١

وممن كان في عصر الامام أحمد رحمه الله من الذين ادّعوا على كتاب الله بالتناقض : أحمد بن يحيى الراوندي<sup>(١)</sup> المتوفى سنة : ٢٤٥ هـ ، قال فيه ابن الجوزي رحمه الله<sup>(٢)</sup> : ( من تأمل حال ابن الراوندي وجده من كبار الملاحدة ، صنّف كتابا سماه "الدامغ" زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة ، فسبحان من دمغه وهو في شرح الشباب ، وكان يعترض على القرآن ويدّعي عليه بالتناقض وعدم الفماحة ، وهو يعلم أنّ فصحاء العرب تحيرت عند سماعه فكيف بالألكن . ) ١٠ هـ

وقال فيه ابن كثير<sup>(٣)</sup> رحمه الله : ( كان أبوه يهوديا فأظهر الاسلام ويقال إنه حرف التوراة ، كما عادى ابنه القرآن بالقرآن وألحد فيه وصنّف كتابا في الرد على القرآن سماه الدامغ ، وكتابا في الرد على الشريعة والاعتراض عليها سماه الزمردة ٠٠٠٠ وقد انتصب للرد على كتبه هذه جماعة منهم الشيخ أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائي شيخ المعتزلة في زمانه ، وقد أجاد في ذلك ) ١٠ هـ  
هذا وقد أورد ابن الجوزي في المنتظم طرفا من كلامه وزندقته<sup>(٤)</sup> وطقنه على الآيات والشريعة ورد عليه في ذلك ، ومن ضمن ما ساقه :  
( وقد ذكر في كتاب الدامغ من الكفر أشياء تقشعر منها الجلود غير أني آثرت أن أذكر منها طرفا ليعرف مكان هذا الملحّد من الكفر ، ويستعان بالله تعالى من الخذلان ٠٠٠٠ وقال : ووجدناه يزعم انه يعلم الغيب فيقول : وما يسقط من ورقة الا يعلمها ٠٠ ) ثم يقول : ( وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم ٠٠٠ ) ، وهذا جهل منه بالتفسير ولغة العرب وانما المعنى: ليظهر ما علمناه ، ومثله ( ولنبلونكم حتى نعلم ٠٠ ) أي نعلم ذلك واقعا ، وقال بعض العلماء : حتى يعلم أنبياءنا والمؤمنون به ٠٠٠٠ ) ١٠ هـ

---

(١) أحد الملحدين كان أبوه يهوديا فأظهر الاسلام نفاقا ، وتابح الابن أباه على ذلك ، صنّف ابن الراوندي عدة كتب ضمّنها إلحاده وزندقته وافترائه على الشريعة ، طلبه سلطان زمانه لما علم بأمره فلجأ الى ابن لاوي اليهودي وصنّف له كتابه الذي سماه الدامغ للقران ، ومات بعد ذلك بيسير وهو في سن الشباب ، عاش قليلا وألحد كثيرا ، انظر ترجمته : البداية والنهاية لابن كثير ج١١/١١٢ ، المنتظم لابن الجوزي: ج١/١٠٢ ط اولى وفيات الاعيان لابن خلكان : ج١/٢٧  
(٢) تلبيس إبليس : ١١١ ، طبعة : ادارة الطباعة المنيرية سنة : ١٣٦٨ هـ  
(٣) البداية والنهاية : ج١١/١١٣  
(٤) المنتظم : ج١/١٠٢ ط اولى ، حيدرآباد الدكن ، سنة : ١٣٥٧ هـ



ثم جاء بعد الامام احمد : أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة<sup>(١)</sup>  
- رحمه الله ، المتوفى سنة : ٢٧٦ هـ (٢)  
حيث صنف كتاب : " تأويل مشكل القرآن " لرد كيد الطاعنين ونقض  
شبه الملحدين ، ودفع ايها المتوهمين ،  
(٣)  
يحدثنا المصنف - رحمه الله - عن الباعث له الى تأليف هذا الكتاب فيقول :  
( وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا  
واتبعوا : ( ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ) بأفهام عليلة  
وأبصار كليلة ، ثم قضاوا عليه بالتناقض والاستحالة في اللحن وفساد  
النظم والاختلاف ، وأدلووا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمير  
والحدت الخرب ، فأجبت أن أنضح عن كتاب الله وأرمني من ورائه  
بالحجج النيرة والبراهين البينة ، وأكشف للناس ما يُلبسون (٠٠٠) اهـ  
قلت : والمصنف رحمه قد أحسن في الرد وأجاد ، وقد بدأ  
كتابه بذكر الشبه ، ثم عقد بابا للرد عليهم في وجوه القراءات ،  
واللحن ، وما نحلوه من التناقض والاختلاف ، وما قالوه في المتشابه  
وذكر فيه أبواب المجاز ، وتحدث عن الحروف المقطعة ، ثم تكلم على مشكل  
سور القرآن سورة سورة ، ثم ذكر بعد ذلك باب تفسير حروف المعاني ،  
كأين وأنى ولولا ولوما ونحو ذلك ،  
والكتاب كما تقدم شامل لكل أنواع الاشكال ، ومن ضمن ذلك موهم الاختلاف  
في مضمون الآيات ، وقد ذكر من ذلك عشرة أمثلة إضافة الى باب الاختلاف  
في القراءات ، واستفدت من الكتاب كثيرا في بحثي هذا ، جزى الله مصنفه  
خير الجزاء عن الاسلام والمسلمين

---

(١) ولد الامام ابن قتيبة في أواخر خلافة المأمون ، ونشأ ببغداد  
مدينة العلم والعلماء فنهل من ضروب العلم بحظ وافز ، فبرع في عدة  
علوم منها الحديث والتفسير والفقه والنحو واللغة والادب والتاريخ ،  
تتلمذ ابن قتيبة على طائفة من أعلام عصره ، وله مصنفات عديدة منها :  
الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، غريب الحديث ، تفسير غريب  
القرآن ، تأويل مختلف الحديث ، عيون الأخبار ، أدب الكاتب وغيرها ، انظر :  
تاريخ بغداد : ١٠ / ١٧٠ ، المنتظم لابن الجوزي : ١٠٢/٥

(٢) الكتاب مطبوع بتحقيق الاستاذ السيد أحمد صقر ، ط ٢ ١٩٧٣ ، دار التراث  
القاهرة

(٣) تأويل مشكل القرآن : ٢٢ بتحقيق سيد صقر

ثم جاء بعد ذلك أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي<sup>(١)</sup> المتوفى سنة : ٣٧٧ هـ ، حيث صنف كتاب : " التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع " ، وقد أفرد فيه باباً لما يُتوهم أنه من الامتلاف والتناقض مما يدل على أن زمانه لم يخل من وجود أهل الباطل والاحاد الذين يرومون اللطعن في كتاب الله لأغراضهم الدنيئة ، قال رحمه الله<sup>(٢)</sup> : ( بابُ ذِكْرِ متشابهِ القرآن ، قال أبو الحسين : هلكت الزنادقة وشكوا في القرآن ، حتى زعموا أن بعضه ينقض بعضاً في تفسير الآي المتشابهة كذبا وافتراء على الله جل اسمه ، من جهلهم بالتفسير للآي المحكم ، الذي زاد الله المؤمنين به إيماناً وتصديقاً ، فقال المؤمنون : آمنا به ونحن به مؤمنون مقرّون أن بعضه يصدق بعضاً ، واعلم - أحسن الله توفيقنا وإياك - أن للقرآن وجوهاً كثيرة ومواطن ومواقع ، منه خاص وعام : ( لا يعلم تأويله إلا الله والراصون في العلم ) يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبواب ) - آل عمران / ٧ وأيضاً فمن طلب علم ما أشكل عليه من ذلك عند أهل العلم به من ثقات العلماء وجد مطلبه ، ولعمري إن أهل الأهواء في مثل ذلك اختلفوا وظلوا ، وهذه جملة جاءت بها الرواية وأخذناها عن الثقات عن مقاتل بن سليمان إن تدبرت ذلك نفعتك إن شاء الله . ( ١٥ هـ )

ثم ذكر رحمه الله ما جاء عن مقاتل من التوفيق بين بعض الآيات والتي ذكرنا منها مثالا عند ذكر مقاتل فيما سبق<sup>(٣)</sup>

ثم جاء بعد أبي الحسين الملطي : القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني<sup>(٤)</sup> المتوفى سنة : ٤١٥ هـ ، صنف رحمه الله كتاب : تنزيه القرآن عن المطاعن<sup>(٥)</sup> ، عرض فيه للآيات التي يتعلق بها الطاعنون ، سواء كان ذلك من وجوه اللغة أو الاعراب أو النظم أو المعاني ، وأبان بأسلوب مبسط مختصر عن خطأهم في فهمها وتأويلها ، فكتابه رحمه الله ليس خاصاً بالآيات التي يقع الطعن فيها بسبب ما يبدو

(١) أبو الحسين الملطي : نزيل عقلان ، فقيه مقرئ متقن ثقة كثير العلم والتصنيف ، شافعي المذهب ، انظر : طبقات القراء ج٢/ ٦٧ ، طبقات الشافعية ٣/ ٧٧

(٢) التنبية والرد : ٥٤

(٣) صفحة :

(٤) من رؤوس المعتزلة اصولي متكلم شافعي المذهب ، تولى القضاء واشتغل بالتدريس ، وهو مفسر بارع له باع طويل في الدفاع عن الاسلام والقرآن على اصول مذهبه الاعتزالي ، من اهم كتبه : متشابه القرآن ، شرح الاصول الخمسة ، المغني ، وتشبيحت دلائل نبوة سيدنا محمد وهو مخطوط ، انظر :

طبقات الشافعية : ج٣/ ٢٢٠ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ٤٨ تاريخ بغداد : ج١١/ ١١٣ (٥) الكتاب مطبوع ، تحقيق د . عدنان زرزور ، الناشر : دار النهضة بيروت

من التناقض في المعاني ، ولكنه أعمُّ من ذلك ، يدل على ذلك  
النظر في مسائل الكتاب ، شأنه في ذلك شأن من سبقه كابن قتيبة  
والمطري وغيرهم . وإن اختلفت أساليبهم ومحتويات مصنفاتهم ،  
والقاضي عبد الجبار داعية معتزلي ينتهج منهاجاً عقلياً في  
تأويله وتفسيره للآيات بما يتناسب مع مذهبه الاعتزالي ومع ذلك فكتابه  
مليء بالفوائد<sup>(١)</sup> ، ومن أمثلة ما ساقه في كتابه<sup>(٢)</sup> :

( قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته  
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ) - آل عمران / ١٠٢ -  
ظاهرة قد يوهم أنه يدل على لزوم التقوى فوق استطاعته ، ولذلك  
قيل بأنه منسوخ بقوله : ( فاتقوا الله ما استطعتم ) التغابن / ١٦ -  
إنَّ حق تقاته لا يكون إلا ما يستطيعون ، لأنه تعالى لا يكلف نفساً إلا  
وسعها ، فلا اختلاف بين الآيتين ، ولذلك قال بعده : ( واعتصموا بحبل  
الله جميعاً ولا تفرقوا ) فدعا إلى الاجتماع أيضاً وعلى التقوى وترك  
الاختلاف فيه ) ٠ اهـ

وجاء بعد ذلك : أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف  
بالخطيب الإسكافي<sup>(٣)</sup> المتوفى سنة : ٤٢٠ هـ  
حيث صنّف كتابه : درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات  
في كتاب الله العزيز<sup>(٤)</sup> يقول في مقدمته بعد كلام :  
( ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقانا ، وصار المبهم المتشابه  
وتكرار المتكرر تبياناً ، ولطعن الجاحدين رداً ، ولمسلك الملحدين  
سداً ، وسميته : دُرّة التنزيل وغُرّة التأويل ) اهـ  
اهتم المصنف رحمه الله ببيان تناسب الآيات وحكمة مجيء التكرار  
ولماذا اختلف كل موضع بما جاء به ، وتوجيه الاختلاف بين الآيات  
المتشابهات بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير ، ومن ذلك آيات  
القصص ، وتطرق لها يوهم الاختلاف والتناقض في بعض الآيات ، ومن  
أمثلة ما جاء به في كتابه :

(١) انظر : مقدمة " كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن " ومقدمة : " متشابه القرآن : ٣٦  
كلاهما للقاضي عبد الجبار ، تحقيق عدنان زرزور

(٢) ص : ٧٣

(٣) عالم بالتفسير واللغة وولد ، من أهل أصبهان ، كان إسكافياً ووجب  
إليه العلم حتى برع وصار من الأعلام المشهورين ، ولي الخطابة بالرب فعرّف بالخطيب  
من كتبه : مبادئ اللغة ، ونقد الشعر ولطف التدبير في سياسة الملوك  
( معجم الأدباء لياقوت الحموي : ج ١٨ / ٢١٤ )

(٤) الكتاب مطبوع سنة ١٩٧٣ م ط ٢ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت

ما ذكره بشأن قوم شعيب عليه السلام ، حيث جاءت ثلاث آيات في بيان عذابهم لما كفروا وتمردوا ، وهي : -

( فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ) - الاعراف / ٩١ -  
( وأخذت الذين ظلموا الصيحة ٠٠٠ ) - هود / ٩٤ ع  
( فأخذهم عذاب يوم الظلة أنه كان عذاب يوم عظيم ) - الشعراء / ١٨٩ -  
فنلاحظ أن كل آية ذكرت نوعاً من العذاب ، وقد يُتوهم من ذلك أن هناك اختلافاً بينها ، وقد أجاب المصنف رحمه الله عن ذلك فقال (١) :  
( والجواب أن يقال : في التفسير عن محمد بن كعب قال : عذب قوم شعيب بثلاثة أصناف من العذاب ، أصابتهم الرجفة فخرجوا من ديارهم ثم أعابهم حرٌّ شديد ففرقوا من أن يدخلوا البيوت خوف الزلزلة فبعث الله عليهم الظلة وهي سحابة أنشئت لهم ، فصاح رجل منهم هل لكم في الظلة ٠٠٠ فلجأوا إليها هرباً من الحر الذي أصابهم فلما اجتمعوا تحتها أمطرتهم نارا فأحرقتهم ، وقيل صيح بهم صيحة واحدة فماتوا منها ، فعلى هذا سلّط عليهم أنواع العذاب الثلاثة عذاب الاستئصال ) اهـ

ثم جاء الامام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن

حسين القرشي الطبرستاني المشهور بالرازي (٢) المتوفى سنة : ٦٠٦ هـ صاحب التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب (٣)

اهتم في تفسيره بالتوفيق بين الآيات التي ظاهرها التعارض ، ورد فيه على الملحدين والطاعنين ، كما تولى الرد على أهل الأهواء والبدع الذين يؤولون كلام الله وفقاً لمذاهبهم ، والامام الرازي يميل الى النزعة العقلية أكثر من الناحية النقلية ، ومن أمثلة ما جاء في كتابه (٤) :  
قوله تعالى : ( يوم يأتيك لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ) - هود / ١٠٥ - ، قال الرازي : ( فإن قيل كيف الجمع بين هذه الآية وبين سائر الآيات التي تُوهم كونها مناقضة لهذه الآية ، منها : قوله تعالى : ( يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ) - النحل / ١١١ -

(١) درة التنزيل : ١٦٠

(٢) هو المفسر المشهور والمتكلم الاصولي والفقهاء الشافعي المذهب كان من تلامذة محيي السنة الامام البغوي ، له تصانيف مشهورة في علم الكلام والمعقولات ، واصول الفقه وغيرها ، منها : اساس التقديس والمحصول ، وشرح الاسماء الحسنی ، اضافة الى تفسيره وغيرها من المصنفات انظر : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي : ج٧ / ٢٩ ، وفيات الاعيان : ج٣ / ٢٨١

(٣) كتابه مطبوع ، الناشر : دار الكتب العلمية ، طهران ، ط٢

(٤) ج١٨ / ٦٠

ومنها أنهم يكذبون ويحلفون بالله عليه ، وهو قولهم : ( والله ربنا ما كنا مشركين ) - الانعام / ٢٣ -

ومنها قوله تعالى : وقِفُوهم إِنَّهم مَسْؤَلُونَ ) - المافات / ٢٤ -

ومنها قوله : ( هذا يوم لا ينطقون ولا يُؤذَن لهم فيعتذرون ) - المراتل / ٢٣ والجواب من وجهين : الأول : أنه حيث ورد المنع من الكلام فهو محمول على الجوابات الحققة المحيطة ، الثاني : أن ذلك اليوم يوم طويل وله مواقف ، ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام ، وفي بعضها يُؤذَن لهم فيتكلمون ، وفي بعضها يُختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم (٠) اهـ

قلت : وقد فطت القول في توضيح هذا المثال في فصل موهم آيات القيامة ، وكذلك كل مثال يمر في هذا الفصل فقد وضحته فسي موضعه من البحث ، أمّا هنا فإن المقصد بيان عرض تاريخي مجمل لهذا العلم وكيفية تناول العلماء له واسلوب عرضهم اجمالا والله الموفق

وجاء بعده سلطان العلماء هـنيز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله (١) ، المتوفى سنة : ٦٦٠ هـ وقد صنّف كتاب : فوائد في مشكل القرآن (٢) ، وهذا الكتاب ضمّ إضافة للنواحي العلمية والعقدية واللغوية والبلاغية

: بعض آيات القرآن التي قد يُتوهم من ظاهرها التعارض والتناقض ومن أمثلة ما جاء في كتابه (٣) : ( قوله عز وجل : ( لا يُفتر عنهم ) - الزخرف / ٧٥ - ، يعني العذاب ، مع قوله عز وجل : ( كلما خبت زدناهم سعيرا ) - الاسراء / ٩٧ - متنافيان في الظاهر ، لأن الآية الثانية تدل على أن النار ينقص لهبها ثم تُسعر ولو نقص لهبها لفر عنهم ، والآية الاولى تدل على أنه لا يُفتر عنهم ، والجواب : انه لا يلزم من نقصان لهبها أن يفر عنهم ، لأن عذاب جهنم أنواع - سلمنا الله منها بمنه وكرمه - منه : زمهرير ومهل ، ونار وغير ذلك ، فيحمل نقص لهب النار على حالة كونهم في الزمهرير فلا يجدون راحة بذلك النقص لأنهم في تلك الحالة ليسوا في النار بل في الزمهرير أو غيره (٠) اهـ

(١) عاش الامام عز الدين فلاثا وثمانين سنة قضاها حياة حافلة بالتدريس والتأليف والخطابة والافتاء والقضاء في دمشق والقاهرة ، وله تاريخ حافل في الصدع بالحق ومجاهدة اعداء الاسلام ، وكان شافعي المذهب ، انظر : طبقات الشافعية : ج٥ / ٨٢ ، مقدمة فوائد في مشكل القرآن : ١٦ - ١٨ للمحقق د . سيد رضوان علي

(٢) الكتاب مطبوع طبعة ثانية سنة : ١٤٠٣ هـ معدلة ومنقحة ، تحقيق : الدكتور : سيد رضوان علي الندوي ، الناشر : دار الشروق ، جدة

(٣) : ص ٢٣٠

ثم جاء أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الخرناطسي (١)  
المتوفى سنة : ٧٠٨ هـ

حيث منف كتاب : " ملاك التأويل القاطع بذوي الاحكام والتعطيل في  
توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل " (٢)  
اهتم فيه رحمه الله ببيان الآيات التي يُتوهم منها الاختلاف بالزيادة  
والنقص والتقديم والتأخير ونحو ذلك ونظرق للآيات التي ظاهرها التفاضل  
في المعانسي ، قال في مقدمة كتابه :

( ... ) وان من مغفلات مصنفني أئمتنا - رضي الله عنهم - في خدمة علومه  
وتدبير منظومه الجليل ومفهومه : توجيه ما تكرر من آياته لفظا ، أو اختلف  
بتقديم أو تأخير وبعض زيادة في التعبير ، فعرس الا على الماهر حفظا  
وظن الغافل عن التدبر والمخذ الى الراحة عن التفكير أن تخصيص كل  
آية من تلك الايات بالوارد فيها مما خالفت فيه نظيرتها ليس لسبب تقتضيه  
وداع من المعنى يطلبه ويستدعيه ... وكان لم يقرع سمعه قوله تعالى :

كتاب أنزلناه أمبارك<sup>الذي</sup> ليدبروا آياته ( ... ) اه  
ومما جاء في كتابه : ما ذكره بشأن قصة موسى عليه السلام وما  
ورد فيها من اختلاف الالفاظ مع أن المحكي واحد والقصة واحدة  
فذكر قوله تعالى : ( وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله  
امكثوا إنني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار  
هدى ) ( ... ) - طه / ٩ - ١٢ -

وقوله تعالى في سورة النمل : ( إذ قال موسى لأهله إنني آنست نارا  
سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ) - ١٠٧ -  
وقوله في القصص : ( فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من  
جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إنني آنست نارا لعلي  
آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ) ( الآيات ٢٩ - ٢١ )  
قدم المصنف رحمه الله للإجابة بمقدمة وافية ثم قال : ( ثم من  
المعلوم بلإعلام الله سبحانه أنه تعالى لم يُرسل رسولا إلا بلسان قومه  
فموسى عليه السلام إنما خاطب أهله في هذه المحاورة باللسان العبراني  
الذي هو لسان قومه ... فالوارد في كتابنا إنما هو حكاية المعنى

---

(١) محدث مؤرخ من أبناء العرب الداخلين الى الاندلس ، انتهت اليه  
الرئاسة في العربية ورواية الحديث والتفسير والاصول ، وكان معظما عند  
العامة والخاصة ، توفي في غرناطة ، من مصنفاته : البرهان في ترتيب سور  
القرآن مخ ، ومعجم اسماء شيوخه ، وغيرها ، انظر : الدرر الكامنة لابن حجر : ج١ / ٨٤  
البدر الطالع للشوكاني : ج١ / ٢٢  
(٢) الكتاب مطبوع سنة ١٤٠٥ هـ في بيروت ، دار النهضة العربية ، تحقيق : الدكتور  
محمود كامل احمد  
(٣) ملاك التأويل : ج٢ / ٢٧٢

الذي خُوطب به موسى عليه السلام وخطب به ١٠٠٠ الى أن قال :  
وأما القبس والجدوة والشباب من القبس ، فإنّ ذلك ممّا يُفصل في لغتنا  
بمراعاة أدنى شيء يُسوِّغ افتراق التسمية ، وذلك كثير في لغتنا ،  
كقولهم : سيف وصارم ومهند ، وقولهم في التمر : طلع وضحك وإغريض  
وبلح وسياب ، التي تمام أحواله العشر له في كل حالة منها اسم  
والمُسَمَّى واحد ، ... وأقرب شيء أن يكون التعبير في تلك اللغة  
وقع بلفظ واحد لا يُعبر في لغتهم عن ذلك المراد المقصود بغيره ، وقد  
أحرز وضع ذلك اللفظ العبراني ما يُعبر عنه في لغتنا بعدة أسماء ( )  
وقال في موضع آخر (١) : ( فكيف يُنكر اختلاف التعبير عن  
المعنى الواحد بالفاظ وعبارات مختلفة ، بل نقول : إنه لو كان المحكي  
قولا عربيا وحكي بالمعنى لما استنكر اختلاف العبارة ، فكيف مع  
اختلاف اللسانين ) اهـ

وقد فصل رحمه الله في بيان تناسق المعاني وانسجامها وتوافقها مع  
اختلاف ألفاظها لأن الاختلاف إنما هو في الحكاية لا في المحكي ، وبين  
أيضا وجه تخصيص كل موضع بما خُصّ به فليراجع ، وقد ضمنت بحثي  
من الكتاب ما له علاقة بموهم الاختلاف ، وقد أشرت الى ذلك والله الموفق  
ثم جاء بعد ذلك الامام محمد بن بهادر الزركشي (٢)

المتوفى سنة : ٧٩٤ هـ ، صنف رحمه الله كتابا حافلا في علوم  
القرآن سماه البرهان ، عقد فيه فصلا لموهم الاختلاف حيث قال :  
( النوع الخامس والثلاثون : معرفة موهم الاختلاف ، وهو ما يُوهم التعارض  
بين آياته ، وكلام الله عز وجل مُنزه عن الاختلاف ، كما قال تعالى :  
( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) - النساء / ٨٢ -  
ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافا وليس به ، فاحتيج لإزالته  
كما صُنّف في مُختلف الحديث وبيان الجمع بينهما ) اهـ  
ثم نقل رحمه الله بعد ذلك نقولا عن العلماء في معنى الاختلاف ، وفي القول  
عند تعارض الآي ، ومُرجحات ما ظاهره التعارض ، وفي الأسباب الموهمة للاختلاف  
ونحو ذلك ، ثم أجاب رحمه الله عن بعض الإستشكالات

---

(١) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي  
عالم أصولي فقيه شافعي ، مصري المولد والوفاة ، تركي الاصل ، من  
تصانيفه : الاجابة لايراد ما استدرسته عائشة على الصحابة ، واعلام الساجد  
بأحكام المساجد وغيرها ، ترجمته في : الدرر الكامنة : ج٣ / ٣٩٧ شذرات الذهب :  
ج٦ / ٢٣٥ ، الأعلام للزركلي : ج٦ / ٦٠

ثم جاء الامام أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصاري (١) المتوفى سنة ٩٢٦ هـ  
صنّف رحمه الله كتاب : " فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن " (٢)

قال المصنف في مقدمة كتابه : بعد أن حمد الله وعلّى وسلّم على خيرا الأنام  
؛ ( فهذا مختصر في ذكر آيات القرآن المتشابهات المختلفة بزيادة أو تقديم  
أو إبدال حرف بأخر ؛ أو غير ذلك مع بيان سبب تكراره ، وفي ذكر  
أنموذج من أسئلة الكتاب العزيز وأجوبتها صريحا أو إشارة ، جمعت من  
كلام العلماء المحققين ، ما فتح الله به من فيض فضله المتين ، وسميته  
بـ : " فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن " ) اهـ

قلت : وقد تعرض المصنف رحمه الله للآيات التي ظاهرها  
التعارض في معانيها ووفق بينها بأسلوب نافع مختصر  
ومن أمثلة ما جاء في كتابه (٣) : ( قوله تعالى : ( قل يتوفاكم  
ملك الموت الذي وُكِّل بكم ) - السجدة / ٩ -  
هو عزرائيل عليه السلام ، قال ذلك هنا وقال في الأنعام : ( حتى إذا  
جاء أحدكم الموتُ توفته رسلنا ٠٠ ) - الانعام / ٦١ -  
وفي الزمر : ( الله يتوفى الأنفس حين موتها ) - الزمر / ٤٢ -  
ولا منافاة ، لأن الله هو المتوفى حقيقة بخلقه الموت ، وبأمر  
الوسائط بنزع الروح - وهم غير ملك الموت أعوان له - ينزعونها من  
الأطراف الى الحقوم ، وملك الموت ينزعها من الحقوم ، فصحت  
الإضافات كلها . ) اهـ

وجاء بعده الامام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٤)  
المتوفى سنة : ٩١١ هـ  
صنّف رحمه الله كتابه المشهور : " الإتيان في علوم القرآن " (٥)  
وجعل فيه فصلا خصّصه لموهم الاختلاف والتناقض حيث قال (٦) :

---

(١) المصري الشافعي شيخ الاسلام قاضي مفسر من حفاظ الحديث ، نشأ فقيرا  
ثم فتح الله عليه بعد ظهور فضله وعلمه ، له تصانيف كثيرة منها :  
تحفة الباري على صحيح البخاري ، وشرح ألفية العراقي ، والدقائق المحكمة في  
القراءات ، وغيرها ، انظر : الكواكب السائرة ج١/ ١٩٦ ، الاعلام للزركلي : ٨٠/٣  
(٢) الكتاب مطبوع سنة : ١٤٠٣ هـ ، دار القرآن الكريم / بيروت ، بتحقيق الشيخ :

محمد علي الصابوني  
(٣) فتح الرحمن : ٤٥٣  
(٤) هو الحافظ الفقيه المفسر واللغوي صاحب المصنفات المشهورة ، من أهم  
مصنفاته : الدر المنثور ، الاشباه والنظائر ، الجامع الصغير ، وغيرها  
انظر : حسن المحاضرة للسيوطي نفسه : ١/ ١٣٣٥ الكواكب السائرة :  
(٥) الكتاب مطبوع ، وبها مشه اعجاز القرآن للباقلاني ، في القاهرة سنة : ١٣٧٠ هـ  
(٦) الإتيان : ج٢ / ٢٧



( النوع الثامن والأربعون : في مُشكله وموهم الاختلاف والتناقض  
أفرده بالتصنيف قُطرب، والمراد به : ما يُوهم التعارض بين الآيات ،  
وكلامه تعالى مُنزه عن ذلك كما قال : ( ولو كان من عند غير الله  
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) - النساء / ٨٢ -  
ولكن قد يقع للمبتدئ ما يُوهم اختلافا وليس به في الحقيقة ،  
فاحتيج لإزالته كما صُنّف في مختلف الحديث وبيان الجمع بين الأحاديث  
المتعارضة . ) اهـ

ثم ذكر رحمه الله أثر ابن عباس في ذلك<sup>(١)</sup> ، ونقل بعض كلام  
الزركشي في أسباب توهم الاختلاف ، ونقل أقوال بعض العلماء الذين تكلموا  
في هذا العلم وأن القرآن ليس فيه شيء من الاختلاف ،  
قال رحمه الله<sup>(٢)</sup> : ( قال الصيرفي<sup>(٣)</sup> : جماع الاختلاف والتناقض أن كسَلَ  
كلام صح أن يُضاف بعض ما وقع الاسم عليه الى وجه من  
الوجوه فليس فيه تناقض ، وإنما التناقض في اللفظ ما ضاده  
من كل جهة ، ولا يوجد في الكتاب والسنة شيء من ذلك  
أبدا ، وإنما يوجد فيه النسخ في وقتين . ) اهـ

قلت : ما تقدم هو عرض لأهم من تكلم في هذا العلم  
من السلف والمتقدمين يتبين لنا من ذلك أن كتاب الله المجيد  
لم يزل منذ عهد الرسالة فما بعده عرضة لشبهات أعداء  
الاسلام واقتراءاتهم المنطوية على جهلهم بكتاب الله لغنة  
وبلاغة وإحكاما وما فيه من تناسق وتوافق وانسجام مع طوله وكثرة  
آياته كما سوف يأتي توضيحه مفصلا بمشيئة الله  
ونلاحظ أيضا أن علماء الاسلام ورثة الأنبياء قد تصدوا لهؤلاء  
وبيّنوا جهلهم وأحقاقهم ومقاصدهم الدنيئة ،  
وجاء من الائمة المتأخرين والمعاصرين من تكلم في هذا العلم ورد  
على الشبهات واقتراءات التي ما يزال أعداء الاسلام يرددونها تبعا  
لأسلافهم ، والمقاصد واحدة وان تنوعت الأساليب والمواضع

(١) تقدم ذكر هذا الاثر في بداية هذا الفصل

(٢) الانتقان : ج٢ / ٣٠

(٣) هو : علي بن عثمان بن عمر ، ابو الحسن علاء الدين بن الصيرفي ، فقيه  
شافعي برع في الفقه والاصول والعربية والحديث ، من اهل دمشق زار القاهرة  
سنة : ٨٠٣ هـ واخذ عن السراج البلقيني والحافظ الزين العراقي والعز بن جماعة  
من كتبه : الوصول الى ما في الراعي من الاصول ، وزاد الشائرين في فقه الصالحين  
ت : ٨٤٤ ، انظر : الضوء اللامع ج٥ / ٢٥٩ ، شذرات الذهب : ج٧ / ٢٥٢ الاعلام : ١٢٧/٥

ومن أهمّ مَنْ تكلم في هذا العلم من المتأخرين :  
شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (١) المتوفى سنة :  
١٢٢٠ هـ ، صَفَّ رحمه الله كتاب التفسير المُسمّى : " روح المعاني  
في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني "  
وقد أكثر المصنف رحمه الله من الإهتمام بموهم الاختلاف ، وذكر فيبي  
مقدمة كتابه (٢) أنَّ طول القرآن وامتداده وهو مع ذلك غير متناقض  
وجهٌ من وجوه إعجازه ، ثم ذكر أنَّ هذا الوجه اعترض عليه بوجهين  
الأول : عدم التسليم بظو القرآن من الاختلاف والتناقض  
والثاني : أنَّ لو سلّمنا السلامة من جميع ذلك ، لكنه ليس بإعجاز  
إنَّ هو موجود في كثير من الخطب والشعر وخاصة ما كان على مقدار  
قصار السور ،

ثم أجاب رحمه الله عن هذين الاعتراضين ببيان سلامة القرآن من  
من الاختلاف ، وأنَّ من ذهب إلى أنَّ وجه الإعجاز عدم التناقض والاختلاف  
مع الطول والامتداد يقول : القرآن بجملته معجز ...  
وقد أكثر الآلوسي - رحمه الله - من الإهتمام بالتوفيق بين الآيات التي  
ظاهرها التعارض في تفسيره ، وقد أفدت منه كثيرا كما هو ملاحظ  
في ثنايا البحث شأنه في ذلك شأن الفخر الرازي رحمه الله

وممّن اعتنى بهذا العلم من المعاصرين أحد علماء الهند  
البارزين وهو : الشيخ محمد أنور شاه الكشميري المتوفى  
سنة : ١٣٥٢ هـ ، وقد عالج رحمه الله هذا الموضوع ضمن كتابه  
" مشكلات القرآن " (٤)

(١) ترجم المصنف لنفسه في مقدمة كتابه : فذكر شغفه بالعلم منذ الصغر  
وكثرة مطالعته واهتمامه خاصة بعلم التفسير ، وذكر انه بدأ في تصنيف  
كتابه وقد ناهز الرابعة والثلاثين من عمره ، وكان المصنف معاصرا لسلطان  
الدولة العثمانية محمود خان العدلي ، انظر مقدمة تفسيره : ج١ / ٤٣-  
والآلوسي من العلماء البارعين في عرض مفاهيم التوحيد وانتقاد الفلاسفة والمنحرفين  
من الصوفية ، وكان له مجالس خاصة أدبية وعلمية ، كانت مجمعا لربا الفضل  
والعلم وله عدة مصنفات ورسائل غير كتاب التفسير ، منها : الأجوبة العراقية على  
الاسئلة الإيرانية ، انظر : كتاب تراجم الاعلام المعاصرين في العالم الاسلامي : ٤٧٥  
تأليف الأستاذ أنور الجندي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة

(٢) نفس المصدر : ج١ / ٣٠

(٣) ج١ / ٢٨

(٤) الكتاب مطبوع بدهلي بعد وفاة المؤلف سنة : ١٣٥٦ مع مقدمة بقلم الشيخ محمد  
يوسف البنوري ، ( عن مقدمة كتاب فوائد في مشكل القرآن د . سيد رضوان علي : ١٥ )

نُـمَّ جاء العلامة الشيخ : محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي<sup>(١)</sup>  
المتوفى سنة : ١٣٩٣ هـ رحمه الله تعالى  
صنّف كتابه المشهور : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،  
وهو من عشرة أجزاء ، وقد أقرّده رحمه الله لموهم الاختلاف كتابا خاصا  
سمّاه : "دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب" ، وهو مطبوع ضمن الجزء العاشر  
من أضواء البيان ، قال رحمه الله في مقدمة الجزء العاشر: <sup>(٢)</sup> بعد أن  
حمد الله وطلّى وسلم على خاتم المرسلين : ( أما بعد فان مُقَيّد هذه  
الحروف عفا الله عنه أراد أن يُبين في هذه الرسالة ما تيسر من أوجه  
الجمع بين الآيات التي يُظن بها التعارض في القرآن العظيم مرتبا لها  
بحسب ترتيب السور ، يُذكر الجمع بين الآيتين غالبا في محل الأولى  
منهما ٠٠٠٠ . وسميته : " دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب " ) اهـ  
والشيخ الشنقيطي رحمه الله واسع الاطلاع غزير العلم والفهم  
قوي الشخصية طويل النفس في معالجة أبحاثه ، وكان له اجتهادات كثيرة  
موفقة ، وقد اعتمد كثيرا كما هو ملاحظ على تفسيرى ابن كثير  
والآلوسى ، والشيخ رحمه الله لم يستوعب في كتابه مادة البحث  
كما أنه تناول كثيرا من المباحث بأسلوب يصعب فهمه على كثير من طلبة  
العلم ، إضافة الى أنه تناول قضايا لا يظهر فيها انها توهم الاختلاف  
وعلى كل حال فقد استفدت كثيرا من كتابه وخاصة في تجميع مادة البحث  
وتابعته في بعض اجتهاداته فجزاه الله خيرا عن الاسلام والمسلمين

<sup>(٣)</sup>

ومن أمثلة ما جاء في كتابه :

( قوله تعالى : ( وصاحبهما في الدنيا معروفا ) - لقمان / ١٥ -

هذه الآية الكريمة تدل على الأمر ببر الوالدين الكافرين ، وقد جاءت  
أية أخرى يفهم منها خلاف ذلك وهي قوله تعالى : ( لا تجد قوما يؤمنون  
بالله واليوم الآخر يواثون من حادّ الله ورسوله ٠٠٠ ) الآية - المجادلة / ٢٢  
ثم نص على دخول الآباء في هذا بقوله : ( ولو كانوا آباءهم ) ،  
والذي يظهر لي والله تعالى أعلم : أنه لا معارضة بين الآيتين ، ووجه الجمع  
بينهما : أن المصاحبة بالمعروف أعم من المودة ، لأن الانسان يمكنه اسداء  
المعروف لمن يوده ومن لا يوده ، والنهي عن الأخص لا يستلزم النهي عن الأعم

(١) احد العلماء البارزين في هذا العصر ، اصله من شنقيط ، حج سنة : ١٣٦٧ هـ  
واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض ، واخيرا في الجامعة الاسلامية  
بالمدينة وتوفي في مكة ، برع رحمه الله في علم التفسير والفقه والاصول  
والعربية والمنطق ، وله عدة مصنفات منها : أضواء البيان ، آداب البحث والمناظرة  
الغية في المنطق ، رحلة الحج ، وغير ذلك انظر : الأعلام للزركلي : ج١ / ٤٥

(٢) أضواء البيان ج١ / ٣ (٣) نفس المصدر : ج١٠ / ٢٣٤

فكان الله حذرّ من المودة المُشعرة بالمحبة ، والمولاة بالباطن لجميع الكفار ، يدخل في ذلك الآباء وغيرهم ، وأمر الإنسان بأن لا يفعل لوالديه إلاّ المعروف ، وفعلُ المعروف لا يستلزم المودة لأن المودة من أفعال القلوب لا من أفعال الجوارح ، ومما يدل لذلك إذنه - طس الله عليه وسلم - لأسماء بنت أبي بكر الصديق أن تصل أمها وهي كافرة<sup>(١)</sup> وقال بعض العلماء : إنّ قصتها سبب لنزول قوله تعالى : ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إنّ الله يحب المُقسطين ) - الممتحنة (٨/١٨) هـ

ومن الجدير بالذكر أنّ جميع المفسرين كان لهم نصيب في الدفاع عن كتاب الله فيما أشكل من الآيات سواء كان الإشكال من الناحية العقدية أو اللغوية أو التوفيقية بين ما ظاهره التعارض ، وإن تفاوتوا في الاهتمام بذلك ، وأخصّ بالذكر منهم الإمام القرطبي في تفسيره ، وابن كثير في تفسيره أيضا ، وكذلك علماء الاصول كان لهم نصيب في بيان هذا العلم من الناحية الأصولية وموقف الباحث عند ما ظاهره التعارض في الأدلة الشرعية عموما

وفي هذا العصر وبسبب استفحال أمر الغزو الفكري ، وتجرف كثير من أعداء الاسلام وخاصة المنافقين منهم على النيل من كتاب الله بهدف زعزعة الثقة في مصدر التشريع للمسلمين ، وكتاب الهداية والفلاح في الدارين ، ولأن أعداء الاسلام موقنون بأن انتصار المسلمين وقوة شوكتهم وصلاح أمرهم ووحدة حالهم مرهون بهذا الكتاب ، فلا جرم أنهم يحاولون إثارة الشبهات والاشكالات حول كتاب الله ، ولكن هذا الكتاب المحفوظ بحفظ الله ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) - فصلت / ٤٢ -

وشبهاتهم وإشكالاتهم التي يشيرونها إنما هي محاولات يائسة يظهر مثيرا رائحة الحسد والبغى والمكر ، وجميع شبهاتهم إنما سببها الجهل بأوليات اللغة والبلاغة ، أو الجهل بشروط حصول التناقض إضافة الى ما يضمرونه من حقد وكراهية للاسلام واهله

---

(١) الحديث أخرجه البخاري : كتاب الهبة ، باب الهدية للمشركين ج١٤٢٣ وأخرجه مسلم : في كتاب الزكاة ، باب فضل المدقة على الاقربين ولو كانوا مشركين ( شرح النووي : ج٧ / ٨٩ ) ولغظه : ( : قلت : إنّ أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصل أمي ، قال : نعم طس أمك . ) وقد فصلت القول على هذه المسألة في فصل موهم آيات المشركين ، من الباب الثالث فليراجع

وقد تصدى العلماء الغيورون لدحض شبهاتهم وردّها الى نحورهم فانقلبوا خاسئين مدحورين ،  
وقد تولى كبر هذه الافتراءات والشبهات كل من المنصرين والشيوعيين الملحدين والمنافقين اتباعا لأسلافهم السابقين من الزنادقة والملحدين يردّون جهالاتهم وتوهّماتهم ولكن بأسلوب جديد خاصّة من قبل المنافقين أما المنصرين الذين يسمون أنفسهم بالمبشرين ، فقد هالهم تمسك المسلمين بدينهم وكتاب ربهم وقوة وثوق المسلم بعقيدته ، وعكس ذلك عندهم حيث تنصل النصارى من دينهم ولم تبقَ إلا الرسوم ، فثارت نائرة رهبانهم فحاولوا التصدي للقرآن والاسلام ، ويصدق عليهم قوله تعالى : ( ومِمَّنْ الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، كُتِبَ عليه أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ) الحج / ٤ -  
وهذه النصارى من ذلك هو تشويه القرآن والرسالة الاسلامية فبي نظر بني ملتهم ليظلوا مطايا لهم يركبونها ، ومدرار منافع ومآرب يجنونها كما وصفهم الله تعالى في مُحكم تنزيله : ( إن كثيرا من الأجار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ) التوبة / ٣٤ -  
ومِمَّنْ تصدى لهؤلاء المنصرين في هذا العصر : الاستاذ محمد عزة دروزة في كتابه : " القرآن والمبشرون " (١) ، حيث ذكر في كتابه المذكور مفترياتهم وشبهاتهم ورد عليها ، إضافة الى قيامه بكشف أهدافهم وسوء نياتهم ، وفصل القول في بيان تهافت معتقداتهم وتناقض أناجيلهم وأسفارهم التي يعتقدونها (٢)  
ومِمَّنْ تصدى لهؤلاء أيضا : الدكتور عبد الجليل شلبي (٣) في كتابه : " رد مفتريات على الاسلام " (٤) حيث رد فيه على رسائل وكتب من جهات تنصيرية (٥) وهذه الرسائل تحوي افتراءات وشبهات ومطامهن للنيل من القرآن والاسلام ، فانبرى لها الدكتور عبد الجليل برد شاف كاف رد فيه كيدهم الى نحورهم ، ومن ضمن مفترياتهم التي دحضها ادعائهم أن هناك آيات قرآنية متناقضة (٦)

(١) الكتاب مطبوع طبعة ثالثة - ١٣٩٩ هـ - المكتب الاسلامي بيروت - دمشق  
(٢) وذكر الاستاذ محمد عزة أن كتابه فيه الرد على اربعة كتب لمبشر اسمه : يوسف الحداد ، صب فيها حقه وتوهّماته وتخرماته ، انظر : ص ٦ - ١٤ من مقدمة الكتاب  
(٣) أمين عام مجمع البحوث الاسلامية سابقا  
(٤) الكتاب مطبوع في دار القلم - الكويت - طبعة اولى ١٤٠٢ هـ  
(٥) انظر : ٢٦ - ٣٠ من الكتاب المذكور ، (٦) انظر : من ٦٧-٧٧ ، ١٦٩-١٧٤

وكان لأهل الإلحاد نصيبهم من هذه الافتراءات حيث إنه من المعلوم أن الاسلام هو الحصن الشامخ والخطر الأكيد أمام الكيد الشيوعي الأحمر فهم لا يرهبون إلا من الاسلام ، فلا عجب إذن أن ينبروا لمحاربة الاسلام بالقلم واللسان إضافة إلى محاربته بالسيف والسنان ،

وقد صنّف الاستاذ عبدالله كنون (١) كتابه المُسمّى " الرد القرآني على كُتَيْب : هل يمكن الاعتقاد بالقرآن " ، والكتيب المذكور لأحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في إحدى جمهوريات السوفيات سابقا ، ويعمل سفير للاتحاد السوفييتي في موريتانيا (٢) ،

ويتضمن كُتَيْب المذكور جهالات وتخربات كثيرة منها قوله في وصف أسلوب

القرآن ومحتواه (٣) : ( إنشاء القرآن غير منسجم وتناقضاته كثيرة ٠٠٠ )

ويقول (٤) : ( وفوق ما يحتوي عليه القرآن من التكرار فإن ما يقربه من

٣٠٠ آية قرآنية كلها يُناقض بعضها بعضا ٠٠٠ ) ثم جاء بثلاثة أمثلة تدل

على جهله بالعربية وعدم فهمه لمعنى التناقض

ثم يدّعي (٥) أيضا أن القرآن جاء بما يُناقض العلم الحديث ومنطق العقل الى

غير ذلك من الافتراءات التي فنّدها الاستاذ عبد الله كنون ، وبينّ تهاافت

الشيوعية وسخافة منطقتها وتسلطها على شعوبها ، وسذاجة أفكارها ، وما تحمله

من كيد لأهل الإسلام ؛

ومن سلسلة الافتراءات والشبهات : ما تجرأ عليه أحد زعماء

الدول العربية في خطاب ألقاه " في مؤتمر للمربين والمدرسين " حيث

زعم أن القرآن فيه تناقضا لم يعد يقبله العقل بين : قوله تعالى :

( قل لن يُصيبنا إلا ما كتب الله لنا ) - التوبة / ٥١ -

وقوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ) (٦) - الرعد / ١١

وقوله : إن الرسول كان انسانا بسيطا يُسافر كثيرا عبر الصحراء ، ويستمع

الى الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت ، ونقلها الى القرآن ، مثال

ذلك عص موسى وقصة أهل الكهف ، الى غير ذلك من الافتراءات والجهالات

---

(١) احد علماء الاسلام المعاصرين ، عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي

(٢) انظر ص : ٩ من الكتاب (٣) انظر ص : ٢٣ (٤) انظر : ١٠٢ فما بعدها

(٥) ص : ٣٦ فما بعدها

(٦) وخلاصة ما اجاب له الشيخ عبد العزيز حفظه الله وغيره من علماء

التفسير عن هذه المقولة التي لم تخطر على بال احد سوى ذلك الزعيم

ان قوله تعالى ( ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم )

معناها : انه سبحانه لا يغير ما بالعباد من عزٍّ ، ورغدٍ وعيشٍ واتحاد كلمة =

وقد انبرى للرد عليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حيث أرسل برقية استنكار دعاه فيها للتوبة أو تكذيب ما نُسب إليه ، وكذلك أرسلت مجموعة من العلماء برقية مماثلة ، وقد أرفق الشيخ عبد العزيز برقيته رداً تضمن: حكم الاسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض أو يحوي بعض الخرافات ، وضمن ذلك كله في كُتَيْبٍ ذكر فيه كلام ذلك المسؤول وبرقيات الاستنكار والرد على ادعاءاته ، والكتيب مطبوع بعنوان : " حكم الاسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض أو مشتمل على بعض الخرافات أو وصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - بما يتضمن تنقصه أو الطعن في رسالته ، والرد على الرئيس أبو رقية فيما نُسب اليه من ذلك " (١)

— وغير ذلك من صنوف النعم وأسباب السعادة إلا اذا غيروا ما بأنفسهم من طاعة الله والاستقامة على دينه والخذ بالاسباب النافعة ، واعداد المستطاع من القوة والقيان بالجهد ، فاذا فعلوا ذلك غير الله ما بهم فصاروا بعد العزة اذلة ، وبعد الاجتماع والاتحاد متفرقين ومختلفين ، وبعد رغد العيش والامن الى الفقر والحاجة واختلال الامن كما هو الواقع المشاهد في تاريخ الامة كلها وعندما ترجع الامة الى دينها وتأخذ بأسباب القوة التي امرت بها ، وتجاهد في الله حق جهاده تعطى العزة والكرامة والتمكين ورغد العيش ، والامة بذلك كله لم تخرج من مضمون قوله تعالى: ( قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ) لأن ما يصيب الافراد والمجتمعات من خير او شر انما هو من الامور المقدره ، بمعنى ان الله تعالى قد علم ما ستكون عليه حال الناس من طاعة أو فسق من عمل أو كسل ، وعلى حسب علمه سبحانه يقدر النصر والعزة أو الذلة ، الرغد أو الفقر ، وكل ما يقدره سبحانه انما هو مترتب على علمه في عباده الذين اعطاهم حرية الاختيار والفعل ( انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ) - الدهر / ٣ - وقال : ( وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير ) - الشورى / ٣٠ ولما كان الباري يعلم ما سوف تكسب ايديهم لاجرم قدر عليها ما سوف يصيبهم كما قال تعالى: ( ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير ) - الحديد / ٢٢ -

(١) الكتاب مطبوع ، وهو من توزيع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

سنة : ١٤٠١ هـ

وممن سقط في وحل الشبهات والافتراءات وكشف عن وجه النفاق  
وجاهربما خجل منه أعداء الاسلام في هذا العصر ، من هؤلاء كاتب  
يدّعي الاسلام (١) قام بتأليف كتاب حول قصص القرآن ردد فيه أوهاما  
وتضليلات خلاصتها : أن القرآن قائم على أساس أدبي وفني ليس إلا  
وادعى أنه المخرج الوحيد لتفسير ما أوهمه أنه من الاختلاف أو التعارض  
في القصص القرآني ،

قال المذكور في كتابه : ( ٢٣ - ٢٤ ) بمدد حديثه عن تكرار القصص  
القرآني : ( فلماذا كان هذا الاختلاف ؟ لماذا اختلف إيراد القصة  
الواحدة في موطن عنه في آخر ؟ ) ثم أورد بعض مظاهر الاختلاف في  
حكاية قصة موسى وأعقبه بقوله : ( إن الموقف واحد وإن الحادثة  
واحدة ولكن الوصف مختلف والحوار غير الحوار ١٠٠٠ الى أن قال :  
لقد حاول العقل الاسلامي أن يُجيب عن أمثال هذه الأسئلة التي تخص  
تكرار القصص القرآني واختلاف الوصف والتصوير ، ولكنه لم يهتد الى رأي  
قاطع ، وأضاف : ولو أن العقل الاسلامي أقام فهمه للقصص القرآني على  
أساس فني وأدبي لما وقف هذه الوقفة ، ولعرف منذ اللحظة الأولى الذي  
عدّه تكرارا ليس من التكرار في شيء لأن هذه المواد التاريخية غير  
مقصودة من القصص وأن مقاصد القرآن من مواعظ وعبر ومن إنذار وبشارات  
تختلف في موطن عنها في آخر ، ومن هنا كان الاختلاف لأن اختلاف المقاصد  
يدفع من غير شك الى اختلاف الصور الأدبية (٢)

---

(١) هو: محمد احمد خلف الله مؤلف كتاب "الفن القصصي في القرآن"

وقد قدمه المذكور لنيل درجة الدكتوراة في كلية الاداب بجامعة فؤاد ،  
في مصر ، وكان المشرف على الرسالة والموجه للطالب فيما كتب هو :  
"امين الخولي" وقد رفضت الرسالة واستنكرت ، وبالرغم من ذلك فقد  
طبع الكتاب واعتمدت شخصا على طبعته الرابعة ، والمذكور نال بعد تأليفه  
للكتاب مناصب عالية كشأن من سبقه ممن افترقوا على الاسلام والقرآن ،

انظر : كتاب منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير تأليف :  
فهد بن عبد الرحمن الرومي ص : ٤٤٥ فما بعدها الطبعة الاولى

وكتاب : موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين  
تأليف العلامة مصطفى صبري ج١ / ٣٤٥ الطبعة الثانية

وتفسير الشيخ محمود شلتوت ص : ٢٧٣ الطبعة الثامنة ، دار الشروق

(٢) وانظر ص : ١٩٧ من الكتاب المذكور فما بعدها



وقد انبرى للرد عليه كلُّ مسلمٍ غيورٍ ، ومن هؤلاء : عبد الكريم الخطيب في كتابه : الفن القصصي في مفهومه ومنطوقه ،  
والتهامي نقرة في كتابه : سيكولوجية القمة في القرآن ، وغيرهم  
وقد خصّمت في هذا البحث فصلا مستقلا لما يُتوهم من الاختلاف في  
القصر وذلك في الباب الثاني فليراجع

وهكذا نرى كيف أن سلسلة أعداء الاسلام وشبهاتهم مترابطة  
وهي وإن اختلفت أساليبها فهدفها واحد هو النيل من القرآن ، ولسلخ  
المسلمين من دينهم ، وإفقادهم الثقة بكتاب ربهم الذي " لا يأتيه الباطل  
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد "

ومثال حالهم كما قال الشاعر :

كناطح صخرة يومًا ليوهنها  
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعلُ

ومن المعلوم الواضح كما تقدم في بداية هذا الفصل أن المشركين  
واليهود لم يجدوا غير قضية النسخ التي رأوا أن فيها تناقضا ، حيث  
قالوا : أن محمدا يقول القول اليوم ويرجع عنه غدا ما هذا الاقول  
محمد من تلقاء نفسه ، فرد الله عليهم بقوله : وإذا بدلنا آية مكان  
آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون -  
النحل/ ١٠١ - فلوا أنهم وهم العرب البلغاء الفطناء الحريصين على توهين  
أمر الاسلام ، لو أنهم وجدوا في الشبهات التي أُثيرت في العصور اللاحقة  
مغزى أو مطعنا لتعلقوا بها ، ولكن القوم علموا أن هذا القرآن معجزٌ  
بلفظه ومعناه في غاية الفصاحة والتناسق والانسجام حتى أنهم لم يجدوا  
في النهاية إلا أن يقولوا : ( إن هذا إلا سحر يُؤثر ) - المدثر/ ٢٤ -  
ثم لم يجدوا في آخر الأمر إلا الإذعان والانقياد للهداية والنور المبين  
حيث استولت عليهم فصاحته وبلاغته وتناسقه وما يتضمنه من دلائل للنبوة ،

فإذا كان الأمر كذلك فإن كلَّ الشبهات والافتراءات حول القرآن  
والتي جاءت فيما بعد إنما سببها إما الجهل بالعربية أو بأصول  
التناقض أو مجرد الحسد والبغى والعداوة الناشئة من العصبية  
والظنود الى أسباب المنافع والشهوات ،

(١)

نقل صاحب البرهان الامام الزركشي - رحمه الله - عن الإمام الخطابي أنه قال : ( سمعتُ ابنَ أبي هُريرةَ (٢) يحكي عن أبي العباس بن سُرَيْج (٣) قال : سأَل رجلٌ بعضَ العلماء عن قوله تعالى : ( لا أقسم بهذا البلد ) فأخبر أنه لا يقسم بهذا ، ثم أقسم به في قوله : ( وهذا البلد الامين ) فقال ابن سريج : أَيُّ الأمرين أحب اليك أجيبك ثم أقطعك ، أو أقطعك ثم أجيبك ؟ فقال اقطعني ثم أجني فقال : اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله - طوَّالهُ عليه وسلم - بحضرة رجال وبين ظهرائي قوم ، وكانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغزاً وعليه مطعناً ، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه ولكن القوم علموا وجهلت فلم يُنكروا منه ما أنكرت ، ثم قال له : إنَّ العربَ قد تُدخل " لا " في أثناء كلامها وتُلغي معناها ، وأنشد فيه أبياتا (٤)

وبعد : فإنِّي أرجوا أن أكون قد وفقت في عرض هذا العلم على وجه الاجمال وبيان أهم مصادره ، وقد بذلت جهدي لتوضيح ذلك حتى يكون القارئ على علم بما يتصل بموهم الاختلاف في مختلف العصور وحتى يومنا هذا ، وما قدمته فيه الكفاية لتوضيح الفكرة ولا أدعي حصر تطورات هذا العلم ، وحسبي أنني قد بذلت جهدي والله من وراء القصد

(١) البرهان ج٢/٢٦

(٢) هو : الحسن بن الحسين ، المُكنى بأبي علي المعروف بأبن مَأبِي هُريرة

تتلمذ لأبي العباس بن سريج وأبي اسحق المروزي ، درّس ببغداد وتخرج عليه خلق كثير ، وكان ذا هبة ووقار ، انتهت اليه رئاسة الشافعية ببغداد ألف كتاب المسائل في الفقه ، وشرح مختصر المزني توفي ببغداد : ٢٤٦ هـ انظر : وفيات الاعيان : ج١/١٦١ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي : ج٢/٢٠٦ طبقات الاصوليين ، عبد الله المراغسي : ١٩٣

(٣) هو أحمد بن عمر بن سُرَيْج ، كُنيتُه أبو العباس ، كان شيخ الشافعية في وقته ، وقصده الناس من كل البلدان في طلب العلم ، تولى قضاء شيراز وكان محدثاً أصولياً فقيهاً تخرج عليه سليمان بن أحمد الطبراني المحدث الشهير صاحب المعاجم الثلاثة وغيره ، من تصانيفه : الرد على داود في إبطال القياس ومختصر في الفقه ، توفي ببغداد سنة : ٣٠٦ هـ انظر ترجمته في : طبقات الشافعية : ٨٧/٢ ، طبقات الاصوليين : ١٦٥ الاعلام للزركلي : ج١/٥٦

(٤) انظر تفصيل الكلام في ذلك في الباب الثاني فصل المباحث اللغوية  
مبحث القسم

معنى مُوهَم الاختلاف والتناقض :-

قبل الشروع في توضيح معنى هذا العنوان والمقصود منه لا بدّ من إيضاح معاني مفرداته في اللغة ثم في الاصطلاح وأبدأ بكلمة " موهَم " وهي من أوهَم يوهَم إيهاما فهو موهَم ، اسم فاعل من أوهَم ، والأصل الثلاثي : " وهم " ومعناه في اللغة نستظمه من لسان العرب ، قال ابن منظور (١) : ( الوهم من خِطرات القلب ، والجمع أوهام ، وتوهم الشيء تخيَّله كان في الوجود أو لم يكن ، قال زهير : فلأياً عرفتُ الدارَ بعد توهمٍ ... (٢) ، واللّه عز وجل لا تدركه أوهام العباد ، ويقال وَهَمْتُ في كذا وكذا أي غلطت ، وَوَهَم إليه يهَمُّ وهما : ذهب وهمه إليه ، وَوَهَم في الصلاة وهما وَوَهَم : كلاهما سها ووهمت في الصلاة : سهوت ، ووهمت إلى الشيء : اذا ذهب قلبك إليه وأنت تريد غيره وتوهمت : أي ظننت ، وأوهمت غيري إيهاما والتوهم مثله . ) اهـ

قلت : وما يوضح معنى الوهم ما روي في استدراك عائشة - رضي الله عنها - على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حيث قالت : ( وَوَهَمَ عمر ، إنما نهى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أَنْ يُتحرى طلوع الشمس وغروبها ) اهـ فالوهم : يدل على السهو والغلط وما يخطر في القلب على خلاف الواقع أو المراد ، والموهَم : ما يجعل القلب يذهب الى المعنى الذي لا يُقصد فيكون سببا للوهم

---

(١) لسان العرب ج٢ / ٦٤٣ ، مادة وهم ، طبعة دار صادر - دار بيروت وانظر : تاج العروس للزبيدي ج٩ / ٩٦ ، ومعجم مقاييس اللغة لآحمد بن فارس ج٦ / ١٤٩ ، تحقيق عبد السلام هارون ط٢  
(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى : ص ٧٥ ، والبيت من المعلقة وصدده :  
وقفت بها من بعد عشرين حجة ...  
(٣) أخرجه الامام مسلم في صحيحه : كتاب المسافرين ، باب الاوقات التي نُهي عن الصلاة فيها ، ( شرح النووي على صحيح مسلم : ج٦ / ١١٩ )

كلمة "الاختلاف" لغة :  
من اختلف يختلف اختلافا ، والأصل الثلاثي : خَفَّ قال ابن منظور : (١) والخِفة  
اختلاف الليل والنهار ، وفي التنزيل : (( وهو الذي جعل الليل والنهار خِفةً لمن  
أَرَانُ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَانُ شُكُورًا )) (٢) أي هذا خَفَّ من هذا ، يذهب هذا ويحيي هذا  
والخوَالف الذين لا يَخْزُونَ ، وأُحْدِمُ خَالِفَةً كأنهم يَخْلِفُونَ من غَزَا ، والخِلافُ المِخالفةُ  
وفي التنزيل : ( فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ ) (٣) أي مخالفة رسول  
الله ، والخِلافُ المضادة وقد خالفه مخالفةً وخِلافًا ، ويقال : خَفَّ فلان بعقبِي  
إذا فارقهُ على أمرٍ فضع شيئًا آخر ، وخالفهُ إلى الشيء : عصاه إليه أو قصده  
بعندما نهاه عنه ، وفي التنزيل : ( وما أريدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ) (٤)  
وتخالف الأُمْرانُ واختلَفَا : لم يتفقا  
والخُفُّ ، والخُفُّ : نقيض الوفاة بالوعد وهو في المستقبل ، كالكذب في الماضي . (٥)  
وقال الزبيدي (٥) : ( والخِيفة بالكسر : الاسم من الاختلاف أي خلاف الاتفاق أو  
مصدر الاختلاف أي التردد ..... والخِيفة : القوم المختلفون ،  
، والخِيفة : المخالفة والمضادة ، والمخلاف : الرجل كثير الخِلاف لوعده  
وتخلف الرجل عن القوم إذا تأخر ، واختلف ضد اتفق ومنه الحديث : ( سوا صوفكم  
ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ) (٦) وخالف إلى القوم أتاهم من خلفهم ، أو أظهر  
لهم خلاف ما أضرهم فأخذهم على غفلة ، والتخاليف الأوان المختلفة )  
ونلاحظ أن هذه المعاني كلها تعود إلى المضادة والمخالفة والمنايرة وعدم الاتفاق

(١) لسان العرب : مادة نقض ج ٧ / ٢٤٢ وانظر : معجم مقاييس اللغة ج ٥ / ٤٧١

(٢) سورة الفرقان / ٦٢ (٣) التوبة / ٨١

(٤) هود / ٨٨ (٥) تاج العروس شرح القاموس ج ٦ / ٩٥

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه / كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف عن ابن مسعود

رضي الله عنه مرفوعا بلفظ : ( استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ) وقوله :

( سوا صوفكم ) قطعة من حديث بعده في نفس الموضوع ، ( شرح النووي على مسلم ج ٤ / ٥٤ )

التناقض لغة :

(١)

من تناقض يتناقض تناقضا والأصل الثلاثي : نقض ، قال ابن منظور :

(النقض : إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء أو أجل أو عهد ، والنقض :

ضد الإبرام ، والنقض بالكسر اسم البناء المنقوض إذا هدم ، وناقضه في الشيء

(٢)

مناقضة ونقاضا : خالفه قال الشاعر :

وكان أبو العيوف أبا وجارا      وذا رحم فقلت له نقاضا

أي ناقضته في هجوه إياي ، والمناقضة في القول : أن يتكلم بما يتناقض معناه

والنقيضة في الشعر ما يُنتقض به ، وكذلك المناقضة في الشعر : ينقض الشاعر

الأخر ما قاله الأول ولذلك قالوا : نقاضت جرير والفرزدق ، ونقيضك الذي يخالفك

ويقال : انتقض الجرح بعد البرء (٠) اهـ

وقال الزبيدي (٣) : ( وفي حديث هرقل : لقد انتقضت الغرفة (٤) ، أي تشققت

وجاء صوتها ، ومن المجاز (٥) : المناقضة في القول ، أن يتكلم بما يتناقض

معناه أي يتخالف ، والتناقض خلاف التوافق (٠) اهـ

ونلاحظ أن معاني النقض والتناقض تدور إجمالا حول المخالفة وعدم التوافق وإفساد

ما أبرم ، وأن بعض العلماء اعتبر التناقض في القول من المجاز أي أن التناقض

في الكلام بمنزلة إفساد العقد وهدم البناء ونحو ذلك

وبعد الفراغ من القاء الضوء على أجزاء العنوان من الناحية اللغوية نأتي إلى

بيان معناها الاصطلاحي عند العلماء :

الاختلاف : ينقسم إلى قسمين ، اختلاف تنوع واختلاف تضاد ، واختلاف التنوع على

وجوه : منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقا مشروعا ، كما في

(١) لسان العرب ، مادة نقض ، ج ٧ / ٢٤٢ ، وانظر : معجم مقاييس اللغة ج ٥ / ٤٧١

(٢) لم ينسبه في اللسان

(٣) تاج العروس ج ٥ / ١٣ ، وانظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ٥ / ٤٧١

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ج ١ / ٢٨٨ ط : أولى تحقيق : عبد الرحمن محمد

وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ج ١ / ٥٧ تحقيق : محمدرؤاس قلعة جي ، بلغظ :

لنغمت الغرفة

(٥) كذلك قال الزمخشري في أساس البلاغة ص : ٦٥٠ طبعة دار مادر / بيروت

القراءات التي اختلف فيها الصحابة فقال لهم الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
: (كلاما محسن) (١) لأنها كلها متلقاة عن الرسول ، ومثل اختلاف الانواع في  
صفة الاذان والإقامة والاستفتاح والتشهدات وملاة الخوف وتكبيرات العيد الى  
غير ذلك مما شرع جميعه

ومنه ما يكون كل من القولين هو في الواقع في معنى القول الاخر لكن العبارتين  
مختلفتان كما قد يختلف كثير من الناس في الفاظ الحدود والتعريفات وصيغ الادلة

ومنه ما يكون طريقتين مشروعيتين ولكن قد سلك رجل او قوم هذه الطريقة واخرون  
قد سلكوا أخرى ، وكلاهما حسن في الدين ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ( ما قطعتم  
من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فبازن الله ٠٠٠ ) الحشر / ٥ - وقد كان  
الصحابة - رضي الله عنهم - في حصار بني النضير اختلفوا في قطع الاشجار  
والنخيل فقطع قوم وترك آخرون وكل ذلك بإذن الله

ومن الاختلاف المذكور في كتائب الله ما حمد فيه احدى الطائفتين وهم المؤمنون  
وذم فيه الاخرى كما في قوله تعالى : ( ٠٠٠ ) ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم  
من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ) - البقرة / ٢٥٢ - فهذا حمد لاحدى الطائفتين  
وذم للآخرى (٢)

واما اختلاف التضاد : فهو القولان المتناهيان ، وهو ما نفاه الله عن كتابه  
في قوله تعالى : ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) النساء / ٨٢  
واختلاف التضاد هو ما اثبتته الله للكفار في منهجهم وكلامهم ومواقفهم كما قال  
تعالى : ( ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ٠٠٠ ) هود / ١١٨ وقال :  
( وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ) / البقرة / ١٧٦ وقال :  
( والسماة ذات الحباك انكم لفي قول مختلف ) - الذاريات / ٨ - اي متخالق متناقض  
في أمر الله عز وجل حيث تقولون إنه جل شأنه خالق السموات والارض ، وتقولون

(١) البخاري : ج ٣ / ٨٨ كتاب الخصومات / باب ١ : ما يُذكر في الأشخاص

واحمد في المسند : ج ١ / ١٩٣

(٢) اقتضاة الصراط المستقيم لشيخ الاسلام ابن تيمية ص : ٤١-٣٧  
تفسير التبيان للطوسي ج ٣ / ٢٧١ شرح المواقف ج ٤ / ٢٠

بصحة عبادة الاصنام معه سبحانه ، وفي أمر الرسول - على الله عليه وسلم - فتقولون تارة إنه مجنون واخرى إنه ساحر ، ولا يكون الساحر إلا عاقلاً ، وفي أمر الحشر ، فتقولون تارة لا حشر ولا حياة ب الموت أصلاً وتزعمون مرة أخرى أن أصنامكم شفعاؤكم عند الله تعالى يوم القيامة الى غير ذلك من الاقوال المتخالفة المتضادة (١) وعلى هذا فان الاختلاف منه ما يكون محموداً ومنه ما يكون مذموماً والاختلاف المذموم هو اختلاف التضاد والتنافي وهو الذي نفاه الله عن كتابه وهو ما نريد في هذا البحث دفع ما يتوهم منه في كتاب الله وانتقل الان الى بيان معنى التناقض في الاصطلاح :

قال قوم : هو قولك فلان قائم قاعد ، وقال بعضهم : ليس هذا هكذا لأن قاعدة اثبات كما أن قائماً اثبات ، والاثباتان لا يتناقضان وإن فسد أحدهما وإنما يقع التناقض والتنافي في قولك : فلان قائم لا قائم لان الثاني نفي لمعنى الاول (٢) قال ابن قدامة : ( كل نقيضين : ينتج اثبات احدهما نفي الاخر ونفيه اثبات الاخر ) اهـ

وعلى هذا فالنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان في شيء واحد وحال واحدة كالحياة وعدم الحياة مثلاً (٤)

والتناقض ايضاً عند الاصوليين : هو تقابل الدليلين المتساويين على وجه لا يمكن الجمع بينهما بوجه وهو مرادف للتعارض في اطلاق كلامهم (٥)

وقد ذكروا للتعارض شروطاً وهي : اتحاد الموضوع والمحمول والزمان (٦) وبدون ذلك لا يكون هناك تناقض

(١) انظر : البحر المحيط لابي حيان الاندلسي ج٨ / ١٣٤

زاد المسير لابن الجوزي ج٨ / ٢١ وروح المعاني للالوسي ج٧ / ٤

(٢) مقالات الاسلاميين / لابي الحسن الاشعري ص: ٣٧٦

(٣) روضة الناظر : ٢٥

(٤) المعجم الوسيط : ج٢ / ١٥٣١

(٥) نهاية السؤل للأشعري ج٤ / ٤٣٣ ، المستصفى للغزالي ٥٢٣

ارشاد الفحول للشوكاني / ٢٧٣ - ٢٧٤ ، التمهيد في اصول الفقه لابي

الخطاب الحنبلي ج٤ / ٣٤٩

(٦) غاية المرام في علم الكلام للآمدي ص: ٥٠ ، شرح المواقف للايجي ج٤ / ٨٤

ارشاد الفحول للشوكاني : ٢٧٤ أدلة التشرية المعارفة د. بدره أبو العينين

وبعد الفراغ من بيان المعنى الاصطلاحي للاختلاف والتناقض أرى أهمية بيان معنى الضد كذلك لقرب معناه من معنى الاختلاف والتناقض وكذلك لاستعماله أحيانا مرادفاً

لهما ، تعريف الضد :

ضد كل شيء ما نأفاه نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل والجمع ،  
اضداد ، وليس كل ما خالف الشيء ضداً له ، الا ترى أن القوة والجهل  
مختلفان وليسا ضدّين ، وانما ضد القوة الضعف وضد الجهل العلم (١)  
فالاختلاف اعم من التضاد اذ كل ضدّين مختلفان ، وليس كل مختلفين ضدان

فالاضدّان : هي اللفاظ التي يدل الواحد منها على معنيين متضادين والنظتان

لا اجتماعان (٢) ، وقال البعض : الضدان هما المتنافيان اللذان ينقي

احدهما الاخر ، وانكر أبو الهذيل (٣) هذا القول لأن الحرفين يتناقضان ولا

يثقذان (٤) فالضدان صفتان وجوديتان يتماقبان في موضع واحد يستحيل اجتماعهما

كالسواد والبياض (٥) والمراد من اجتماعهما : أي في الموضع الواحد كان يكون

الشيء اسوداً ابيضاً في محل واحد ، وإلا فقد يجتمعان بمعنى أن يكون الشيء

بعضه أسوداً وبعضه أبيضاً ، وقد مثل بعضهم بالليل والنهار (٥) وهو من باب

التوسع حيث إن الليل والنهار نقيضان وليسا ضدّين لأنهما لا يجتمعان أبداً في

موضع واحد ، وهذا يدلنا أنه قد يُطلق على الضدين اسم النقيضين أو المختلفين

وبالعكس من باب التوسع ،

قال الأبيجي (٧) (واعلم أن التضاد لا يكون إلا بين أنواع جنس واحد كالسواد

والبياض المندرجين تحت اللون (٠) اهـ

قلت : والأصوليون يعبرون بالتناقض حيناً وبالتضاد والتعارض حيناً ، وبالتعادل

والتقابل حيناً (٨)

(١) أزداد أبي الطيب اللغوي - نقلاً عن كتاب : المشترك اللغوي هـ : ١٣٤

(٢) مقالات الإسلاميين : ٣٣٦ ، اقتضاها الصراط المستقيم : ص ٣٥

(٣) هو : محمد بن الهذيل العبدى العلاف من الطبقة السادسة للمعتزلة ت ٢٣٥ هـ

ايام المتوكل ( مقالات الاملايين للاشعري : ج ١ / ١١٧ )

(٤) مقالات الإسلاميين : ٣٣٦ ، (٥) غاية المرام في علم الكلام للامدي : ص ٥٠

(٦) معجم مقاييس اللغة : ٣٦٠ ، التعريفات للجرجاني : ١٤٢

(٨) شرح المواقف : ج ٤ / ٨٤ : المستصفي للغزالي : ٥٢٤ ، غاية المرام : ٥٠

والتعادل : ما خوذ من عدل فلان بغلان إذا سوى بينهما ويقال : تعادل الأمران

إذا تساويا وتعارضاً ، والعدل والعديل : النظير والمثيل ، اللسان مادة عدل ٤٢/ ١١

(٧) شرح المواقف : ج ٤ / ٨٥



والذي تبين لي بعد كل الذي تقدم ومن مطالعة أقوال العلماء ،  
أن المختلفين :وصفان متغايران قد يجتمعان وقد يرتفعان عن المحل الواحد  
مثل السواد والحلاوة (١) وأن النقيضين : صفتان متغايرتان لا تجتمعان في  
محل واحد ولا ترتفعان عنه بل لابد من وجود احدهما كالليل والنهار والحياة والموت  
وأن الضدين : صفتان متغايرتان لا تجتمعان في المحل الواحد وقد ترتفعان ، ومثال  
ذلك : اللونان المتغايران كالسواد والبياض وعلى هذا فكل متضاد مختلف وليس  
كل مختلف متضادا (٢) ، والذي يظهر لي بعد كل الذي تقدم أن هذه الالفاظ قد تنوب  
عن بعضها عند التعبير وذلك من باب التوسع وهذا الذي جرى عليه العلماء في  
مؤلفاتهم كما تقدم .

---

(١) نص على ذلك ابو الهلال العسكري في كتابه : الفروق اللغوية ، ص ١٢٩/

تحقيق : حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية ، ط ١٩٨١

(٢) انظر المرجع السابق نفس الصفحة

معنى (موه الاختلاف والتناقض في القرآن )  
بعد أن بيّنت معاني أجزاء هذا المركب من الناحيتين الغوية والاصطلاحية أُبين  
الان معناه الإجمالي والتفصيلي كمصطلح مركب :  
فمن مطالعة أقوال العلماء نجد أن المراد منه : ( العلم الذي يبحث في  
النصوص القرآنية التي يتوهم من ظواهرها التعارض والاختلاف سواء كان ذلك  
في اللفظ أو المعنى ثم دفع ذلك التوهم ببيان المراد من النصوص والجمع بين  
معانيها وذكر سبب الإيهام الواقع . )

وقد تناول العلماء قديما وحديثا هذا المصطلح وبينوا المراد منه لإظهار  
استحالة التعارض والتدافع بين النصوص القرآنية وأن كل ما يقع في الذهن من  
أنه تعارض أو اختلاف ما هو الا مجرد وهم وظن له أسبابه ، سنعرض لها فيما بعد  
قال الزركشي (١) : ( وكلام الله منزّه عن الاختلاف كما قال تعالى :

( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) - النساء / ٨٢ -

ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافا وليس به فاحتيج لازالته كما صُنف في  
مختلف الحديث (٢) وبيان الجمع بينهما ؛ وقال أبو بكر الصيرفي (٣) :  
(جماع الاختلاف والتناقض أن كل كلام صح ان يضاف بعض ما وقع الاسم عليه الى  
وجه من الوجوه فليس فيه تناقض وانما التناقض في اللفظ ما ضاده من كل  
جهة على حسب ما تقتضيه الاسماء . ولن يوجد في الكتاب ولا في السنة شيء من  
ذلك ابدا ، وانما يوجد فيه النسخ في وقتين بأن يوجب حكما ثم يحله ، وهذا  
لائناقض فيه ، وتناقض الكلام لا يكون إلا في إثبات ما نفي أو نفي ما أُثبت  
بحيث يشترك المثبت والمنفي في الاسم والحدث والزمان والاعمال والحقيقة ، فلو  
كان الاسم حقيقة في أحدهما وفي الاخر مستعارا ونفي احدهما وأُثبت الاخر لسم  
يُعد تناقضا . ) اهـ

(١) البرهان في علوم القرآن ج٢/ ٥٣ ، وانظر : الاتقان // للسيوطي ج٢/ ٢٧  
(٢) من اشهر من صنف في ذلك الامام الشافعي وهو مطبوع بهامش الأم ، وصنف فيه  
الامام ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث وهو مطبوع ايضا ، والطحاوي في مشكل الآثار

(٣) هو محمد بن عبد الله الامام الجليل الاصولي الفقيه الشافعي ،  
من تصانيفه : شرح الرسالة ، وكتاب الاجماع ، ترجمته في : تاريخ بغداد ج٥/ ٤٩٤  
وطبقات الشافعية الكبرى ج٣/ ١٨٦

وقال الإمام الشاطبي<sup>(١)</sup> ( كل من تحقق بأصول الشريعة فأدلتها عنده لا تكاد تتعارض كما أن كل من حقق مناط المسائل فلا يكاد يقع في متشابهه ، لأن الشريعة لاتعارض فيها البتة ، فالمتحقق بها متحقق بما في نفس الأمر فيلزم ألا يكون عنده تعارض ، ولذلك لا تجد البتة دليلين أجمع المسلمون على تعارضهما بحيث يجب عليهم الوقوف<sup>(٢)</sup> لكن لما كان أفراد المجتهدين غير معصومين من الخطأ أمكن التعارض عندهم ) اهـ

قلت : وكلام الزركشي السابق وما نقله عن الصيرفي يوضح لنا المراد من موهم الاختلاف ولمن يقع ثم وضح لنا الشاطبي رحمه الله عدم امكانية التعارض بين نصوص الشريعة إلا على سبيل عدم التحقق ودخول الخطأ على غير المعصومين فيحصل الوهم ويتطرق الى الذهن الاختلاف على سبيل ما ليس في حقيقة الامر فان التعارض

مقطوع بنفسه ، والا كانت من عند غير الله تعالى ..

وقد نبه ابن تيمية رحمه الله أن توهم الاختلاف يؤدي الى ضرب كتاب الله بعضه

ببعض وذلك ما نهى عنه الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - قال<sup>(٣)</sup> :

( اخرج احمد في مسنده<sup>(٤)</sup> ) : ( أن نفرا كانوا جلوسا بباب النبي - صلى الله

عليه وسلم - فقال بعضهم : ألم يقل الله كذا وكذا ، وقال بعضهم : ألم يقل

الله كذا وكذا ، فسمع ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخرج فكأنما

فُقع في وجهه حبُّ الرمان<sup>(٥)</sup> فقال : ( أبهذا أمرتم ؟ أو بهذا بُعثتم ؟ أن

تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، إنما قلت الأم قبلكم بمثل هذا ، إنكم لستم

مما ههنا في شيء ، انظروا الذي أمرتكم به فاعملوا به ، والذي نهيتكم عنه

فانتهوا عنه )

وفي رواية<sup>(٦)</sup> ( إنَّ القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا وإنما نزل يصدق بعضه

بعضا فما عرضتم منه فاعملوا به و ما جهلتم منه فردوه الى عالمه )

وقد كتب احمد في رسالته الى المتوكل هذا الحديث وجعل يقول لهم في مناظرته

(١) الموافقات : ج٤/ ٢٠١ وانظر : اختلاف الفقهاء / علي الخفيف ، ص٨٣

والشاطبي هو : ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي

وهو اصولي حافظ من أئمة المالكية من كتبه : الموافقات ، والاعتماد وغيرها

(الاعلام للزركلي ج١ ص٧٤)

(٢) اي بحيث يجب عليهم التوقف عن العمل بهما (٣) اقتضا الصراط المستقيم / ٤٢

(٤) المسند ج١/ ١٠٥ ، ج٤/ ٢٠٤ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

(٥) اي من الغضب ، وهذا ما تدل عليه الروايات الاخرى وهو ظاهر السياق

وفي رواية احمد (ج١/ ١٧٨) وابن ماجه (ج١/ ٣٣) تحقيق عبد الباقي

، (خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم والناس يتكلمون في القدر فكأنما يُفْتَأ نسي

وجهه حب الرمان من الغضب ) (٦) المسند ج١/ ١٨١

يوم الدار (١) : (لنا قد نُهينا أن نضرب كتاب الله بعنه ببعض) (٠) اه  
قلت : وفي ذلك بيان لعلم الامام احمد ومزيد ورعه واعتقاده أن الذين يناظرونه  
إنما يشبهه عليهم بعض معاني القرآن فيتأولونها على غير تأويلها فيتوهمون  
أنها تؤيد مذهبهم الفاسد ناسين أو جاهلين الآيات الاخرى التي تفسرها وتوضح  
المراد منها حيث إن كلام الله مترابط المعاني منسجم الأفكار لا ينبغي توهم  
الاختلاف فيه أو وجود ما يؤيد اصحاب الاهواء الذين يتبعون ما تشابه منه ، وما  
يتشابه عليهم الالوجود الزيف في قلوبهم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ؛  
ثم إن نهي النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الاختلاف إنما هو ما فيه جحد  
كل واحد من المختلفين ما مع الاخر من الحق ويتضح ذلك من الحديث الاتي :

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : ( سمعت رجلاً يقرأ حم الثلاثين  
- يعني الاحقاف - فقرأ حرفاً ، وقرأ رجل آخر حرفاً لم يقرأه صاحبه ، وقرأت أحرفاً

لم يقرأها صاحبي ، فانطلقنا الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبرناه ،  
فقال : ( لا تختلفوا ، فأما هلك من كان قبلكم باختلافهم ) (٢)

وفي رواية : ( كلا كما محسن ، إن من قبلكم اختلفوا فيه فأهلكهم فلا تختلفوا ) (٣)

ودلالة الحديث ظاهرة بأن المراد هو النهي عن تخطئة بعضهم بعضاً لأن كلاً منهم  
وإن اختلفت قراءته عن الآخر فكلهم قد سمعها من النبي - صلى الله عليه وسلم -

فكل القراءات حق والنهي منصب على جحد ما مع الآخر من الحق ، حيث قال لهم :  
( كلا كما محسن ) وهم كلهم عدول متساوون فيما ينقلونه عن النبي فلا معنى  
لتخطئة بعضهم بعضاً لأن الاختلاف في القراءة لا يعني التعارض بل كله حق منزل  
وسأتي بيان هذا المعنى بتوسع في الباب الثاني فصل القراءات بمشيئة الله

---

(١) اي يوم امتحن الامام احمد وضرب بين يدي المعتمد من اجل ان يقول بكلام  
المعتزلة : ان القرآن مخلوق ، وقد احضر المعتمد الفقهاء والقضاة ليناظروه  
ثلاثة ايام بحضرته وهو يناظرهم ويقهرهم وكان ذلك سنة : ٢١٩ هـ  
انظر : كتاب المنهج الاحمد / ج ٣ ص ٣٥

(٢) اخرجه : احمد في مسنده ج ١ / ٤٠١ طبع المكتب الاسلامي

(٣) ميند احمد ج ٥ / ٢٧٤ رقم : ٣٧٢٤ تحقيق احمد شاکر

واخرجه البخاري بنحوه الى قوله : ( كلا كما محسن ) كتاب الخصومات / باب ١

ويدل على عدم الاختلاف في حقيقة الأمر بين أدلة الشرع ما يلي :  
أولا : قوله تعالى : ( أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا  
فيه اختلافا كثيرا ) - النساء / ٨٢ -

فهذه الآية تدل على نفي الاختلاف بين الأدلة (١) لأنها من عند الله العليم الخبير  
وقوله تعالى : ( فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ) - النساء / ٥٩ -

فانه صريح في رفع التنازع والاختلاف بالرجوع إلى الشريعة فلو كان من بين  
أدلتها ما يُفضي إلى الاختلاف لم يكن في الرجوع إليها فائدة ترفع التنازع  
وأيا قوله تعالى : ( وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق  
بكم عن سبيله ) - الانعام / ١٥٣ -

فقد بين الله في هذه الآية أن طريق الحق واحد وأمر باتباعه والرجوع إلى

الشريعة يضمن عدم التفرق عن السبيل الحق

ثانيا : أنه لو كان في الشريعة مسأغ للخلاف بين الأدلة الشرعية لأدى ذلك إلى  
التكليف بما لا يُطاق (٢)

فالتعارض الظاهري بين ما دلت عليه بعض الآيات وآيات أخرى غير حقيقي، ذلك  
لأن الأداة القطعية لا تدخل فيها للظن وتعارض القطعيات محال ، وما ظاهره  
التعارض فعلى ترتيب يمكن الجمع بينهما فيه كما سيأتي توفيقه بمشيئة الله ؛  
وقد بان مما تقدم معنى موهم الاختلاف في القرآن وقد قلنا عن العلماء ما يوضح  
ذلك وأن التعارض الظاهري بين النصوص هو مجرد وهم له اسبابه ، وان كتاب  
الله ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وكتاب الله هو الصراط المستقيم وهو الحق المأمور باتباعه والرجوع إليه عند  
التنازع فلا مسأغ لوجود الاختلاف فيه وما ظاهره كذلك فهو على ترتيب وهيئة يمكن  
بهما الجمع بين النصوص التي يتوهم أنها متعارضة ، وذلك الظن أو التوهم  
ناتج عن عدم العلم بمحامل النصوص ومعانيها واسباب ورودها وظروف سياقها  
وتاريخ ورودها ، وكذلك بسبب عدم الإحاطة بآيات الله وعلاقتها ببعضها ،  
كما أن ضرب آيات الله بعضها ببعض مضمونه الايمان بلوحى الآيتين والكفر بالآخرى  
إذا اعتقد أن بينهما تضادا ، وهذا هو المنهي عنه إذ الضدان لا يجتمعان (٣)

(١) سوف يأتي مبحث خاص لتفسير الآية على وجه التفصيل بمشيئة الله

(٢) الموافقات / للإمام الشاطبي : ج٤ / ٢٠٩ ، أدلة التشريع المتعارضة

بدران ابو العينين : ٣٠ - ٣٢

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم / لابن تيمية : ٣٥ ، اختلاف الفقهاء /

علي الخفيف : ٨٣

ومن أجل ذلك فقد أجاب ابن عباس رضي الله عنهما الرجل الذي سأله عن بعض مسائل اختلفت عليه من القرآن بقوله (١) : ( فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرت لك وإن الله لم يُنزل شيئاً إلا وقد أصاب به الذي أراد ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) وفي رواية (٢) : ( فإن الله لم يُرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد فلا يختلف عليك القرآن فإن كلاً من عند الله ) قلت : ومما تقدم يتضح معنى عنوان البحث وهو :

( موهم الاختلاف والتناقض في القرآن الكريم )

وهذا العنوان لهذا العلم ذكره : كل من الإمام الزركشي في كتاب البرهان في علوم القرآن / ج٢ : ٤٥ والإمام السيوطي في : الاتقان / ج٢ : ٢٧ ولا يخفى أن اسناد كلمة موهم للقرآن فيه تجوز حيث إن التوهوم كما تقدم هو من البشر لعدم التدبر ، أو نقص العلم ، أو زيغ القلب ، لكن لما كان محل هذا التوهوم هو آيات القرآن أُسند الإيهام إليها تجوزاً كما هو ظاهر إضافة إلى وجود أسباب التوهوم كما سيأتي ، فالأسباب الموهمة للاختلاف عند من لا يعلمها ولا يدركها تكون سبباً للتوهوم وهذا من ابتلاء الله - عز وجل - للعباد ليمتاز العالم من الجاهل ، والمؤمن من الشاك ، والمتدبر من غيره وللحض على دراسة كتاب الله وتدبره لمعرفة أنه لا اختلاف فيه ولا تناقض كما هو حال ما كان من عند غير الله تعالى ؛

هذا وقد كانت الآيات التي يتوهوم منها الاختلاف محل اهتمام العلماء والمفسرين حيث بينوا انتفاء التعارض الموهوم وردوا على اعداء الإسلام وبينوا جهلهم أو تحاملهم - وسوء مقاصدهم ، وسوف اذكر لذلك أمثلة توضح للقارئ المقصود من : موهم الاختلاف والتناقض وكيفية دفع هذا التوهوم : -

المثال الأول : قوله تعالى : ( وإن تُصيهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تُصيهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله (١٠٠٠) الآية مع قوله تعالى بعدها : ( ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة

(١) اخرج ذلك عبد الرزاق في تفسيره ، انظر : الاتقان / للسيوطي : ج٢ / ٢٧

(٢) صحيح البخاري / كتاب التفسير ، سورة حم السجدة ، ج١ / ٣٥

وانظر : فتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني / ج٨ : ٥٥٧ طبعة دار المعرفة  
ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي

فمن نفسك ٠٠٠٠ ) الآية - النساء / ٧٨-٧٩ -

فقد يتوهم متوهم أن هناك تعارضاً بين دلالة كل من الآيتين لأن الآية الأولى قد نسبت كل الأمور الى الله تعالى ، والآية الأخرى أضافت السيئة الى نفس الانسان ، ولكن عند التأمل في المراد من كلا الآيتين وفهم السياق الذي وردت فيه هاتين الآيتين نجد أنه لا تعارض ابداً ولا اختلاف ، فسياق الآية الأولى جاء للرد على المنافقين والتشجيع عليهم بثاقلمهم عن الجهاد ، وخوفهم من الموت ، وعدم رغبتهم في سعادة الآخرة ، قال تعالى : ( ألم ترّ الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب ، قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً ، أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ) ثم حكى الله عنهم خلة أخرى قبيحة ، حيث إنهم من عادتهم إذا جاهدوا ، وقتلوا فاصابوا راحة وغنيمة قالوا هذه من عند الله ، وإن أصابهم مكروه قالوا هذا من شوئم محمد ، وقد كانت المدينة مملوءة بالنعيم وقت مقدم الرسول - صلى الله عليه وسلم - فلما ظهر عناد اليهود ونفاق المنافقين أمسك الله عنهم بعض الإمساك كما جرت سنته تعالى في جميع الأمم : قال تعالى : ( وما ارسلنا في قرية من نبي إلا لأخذنا أهلها بالبأساء والضراء ) الاعراف / ٩٤ فعند هذا قال اليهود والمنافقون ما رأينا أعظم شوئماً من هذا الرجل نقصت ثمارنا وغلّت اسعارنا منذ قدم ، فمعنى الحسنه في الآية : هو ما يصيبهم من خيب ورزق ونحو ذلك من ظفر وفتح وغنائم ، يقولون : ( هذه من عند الله ) يعني من قبل الله وتقديره والسيئة : ما يصيبهم من شدة عيش وقحط ونقص في الزروع والثمار أو موت أولاد ونتاج ( يقولوا هذه من عندك ) أي من قبلك وبسبب اتباعنا لدينك كما قال تعالى عن قوم فرعون : ( فلما جاءتهم الحسنه قائلوا لنا هذه ولون تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ) - الاعراف / ١٣١ - وكما قال الله تعالى : ( ومن الناس من يعبد الله على حرف فلن أصابه خير اطمأن به ولن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ) الحج / ١١

وهكذا قال هؤلاء المنافقون ، ولهذا إذا أصابهم شر إنما يُسندونه إلى اتباعهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - فأُنزل الله عز وجل : ( قل كل من عند الله ) ، أي الجميع بقضاء الله وقدره وهو ناخذ في البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، فمن عنده الرخاء والشدة والنصر والهزيمة ،

ثم قال تعالى مخاطبا للرسول والمراد جنس الانسان ليحمل الجواب : ( ما أصابك من حسنة فمن الله ) أي من غضله ومَنه وطفه ورحمته ، ( وما أصابك من سيئة فمن نفسك ) يعني : وما أصابك من شدة ومثقة ومكروه فبذنب اكتسبته نفسك فاستوجبت به العقاب كما قال تعالى لأهل أحد :

( أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ) - آل عمران / ١٦٥ - وكما قال تعالى : ( وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ) - الشورى / ٣٠ -

وروى البخاري في صحيحه (١) عن عائشة - رضی الله عنها - مرفوعا : ( والذي نفسى بيده لا يصيب مؤمن هم ولا حزن ولا نصب حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياها )

وبهذا الذي تقدم نرى أن آيات الله يشهد بعضها لبعض ويؤيد بعضها بعضا فالحسنة والسيئة بمعنى الرخاء والشدة ونحو ذلك من عند الله خلقا وتقديرا وهذا معنى قوله : ( قل كل من عند الله ) وفي الوقت نفسه ما يصيب الانسان من خير ورخاء من الله فهو إما مشوبة وإما استدراج واختبار من الله ، وما يصيبه من بلاء وشدة ونحو ذلك فهو بسبب ما يقترفه هذا الانسان من معاصي وذنوب فتكون هذه الامور عقوبة له من الله (٢)

مما تقدم يتضح لنا أن التعارض بين الآيتين منتفٍ تمام الانتفاء ، فأية ( قل كل من عند الله ) تتكلم عن الخلق والايجاد والتقدير وهو لله وحده وآية : ( وما أصابك من سيئة فمن نفسك ) تتكلم عما يُسببه الانسان لنفسه من الضر بشؤم معصيته ، والكل يحصل بعلم الله وقضائه وخلقته وإيجاده

(١) البخاري في صحيحه : كتاب الطب / باب ما جاء في كفارة المرفز ، ج ٧ / ١٥٠

ومسلم : كتاب البر والملة ، ثواب المؤمن ( شرح النووى ج ١ / ١٢٨ )

(٢) انظر : تفسير : الطبرى ج ٨ / ٥٥٥ طبعة الطبى ، زاد المسير لابن الجوزي ج ٢ / ١٣٥

مفاتيح الغيب للرازي / ج ١٠ / ١٨٧ - ١٩٢ ، القرآن العظيم لابن كثير : ج ١ / ٧٦ - ٨٠٠

القرطبي : ج ٥ / ٢٨٤ ، روح المعاني ج ٥ / ٨٨ ، اسباب النزول للواحدى : ١٦٠

الموافقات للشاطبي : ج ٤ / ٢٠٧ فتح الرحمن لذكريا الانصاري : ١١٩



ومثال اخر : ما ذكره الله عزوجل من وصف الدنيا بما يقتضي ذمها مرة  
وبما يقتضي مدحها مرة أخرى مما قد يُتوهم من ظاهره التعارض والتناقض  
فالوصف الأول : أنها لاجدوى لها ولا نفع فيها بل هي مجرد زينة وزخارف ولهو  
من ذلك قوله تعالى : ( اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر  
بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج  
فتراه مضفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله  
ورضوان وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور ) - الحديد ٢٠ -  
وقوله تعالى : ( واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط  
به نبات الارض فاصبح هشيا تذرؤه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا )  
الكهف / ٤٥

وغير ذلك من الايات التي يُفهم من معناها أنه لا طائل تحتها ولا فائدة من  
ورائها ، وأنها غرور ومتاع الى زوال ، ويستنبط ذلك من سياق الايات  
ومضمونها ، فمثلا قوله تعالى : ( واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ..... )  
جاء بعد ذكر قصة صاحب الجنتين الذي كفر بأنعم الله فأحاط الله بشمره فأصبح  
يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ، فأعقب الله ذلك بقوله  
: ( واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ..... ) الآية  
فجاءت هذه الايات لذنم دنيا الكفار والذين يجحدون نعمة الله ولا يسخرونها لنفع  
العباد ؛

اما الوصف الثاني لها فهو كقوله تعالى : ( أفلم ينظروا الى السماء  
فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروع والارض مددناها وألقينا فيها  
رواسي وأنبثنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ) ق/٦٧  
وقوله تعالى : ( أمّن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماءً فانبثنا  
به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تُنبثوا شجرها إله مع الله بل هم قوم  
يعدلون ، أمّن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل  
بين البحرين حاجزا إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ) - النمل / ٦٠-٦١  
وقوله : ( وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إنّ الله لغفور رحيم ) - النحل / ١٨  
فهذه الايات حسب سياقها ومضمونها دلائل على العقيدة وبراهين على التوحيد  
ومنن ونعم امتن الله بها على عباده وسخرها لهم ، يتضح ذلك إذا نظرنا  
في سياق الايات ، فالآية الاولى : ( أفلم ينظروا الى السماء ..... ) من سورة - ق  
سيقت بعد ذكر تكذيب الكفار ، فلفت الله أنظارهم الى آثار قدرته فني رفع  
السماء وزينتها وبسط الارض وتهيئتها لمعيشتهم بكل المنافع ؛  
وأما الآية الاخرى من سورة النمل : ( أمّن خلق السموات والارض ..... )

فقد جاءت بعد ذكر الأمم التي فعلت الفواحش وأشركت بالله عز وجل  
فقول الله علينا من أمرهم وهلاكهم وأعقب ذلك بقوله : ( ٤ آله خيراً مما  
يشركون ) - النمل / ٥٩ - ثم ساق هذه الآيات لبيان دلائل الوحدانية وآثار  
القدرة ومظاهر النعمة والمِنَّة التي تسوق صاحب القلب السليم والعقل  
المستنير الى اخلاص العبودية لرب هذه الكائنات الواحد المنعم المقتدر  
ونبذ كل ما سوى الله من معبودات زائفة .

اذا تبين ذلك فإن الوصف الاول للدنيا : يوهى المخالفة والمضادة للوصف  
الثاني في الظاهر ، وكلام الله تعالى منزّه عن الاختلاف فلزم من ذلك  
أن الوصفين قد تواردا على جهتين مختلفتين لكل جهة اعتبارها الخاص بها  
فالحال الاولى : هو لمن ينظر اليها نظراً مجرداً عن الحكمة التي وضعت  
لها الدنيا من كونها دار العمل والتعرف على الله ، ومستحقاً لشكر الواضع  
لها ، وإنما ينظر اليها على اعتبار أنها دار الشهوات انتظاماً في سلك  
البهائم ، فهي من هذه الجهة قشر بلا لب ولعب بلا جد وباطل بلا حق  
فهذا نظر الكفار الذين زينت لهم الحياة الدنيا ورأوا أنها لعب ولهو  
وزينة ، ولذلك صارت اعمالهم - كسراب بقية يحسبه الثمأن مائة٠٠٠ -  
ويتضح ذلك من مثال صاحب الجنتين السالف ذكره ؛

والحال الثانية : هو نظر المؤمن الذي يرى أن الدنيا قد وضعت  
لحكمة ومقصد ، وأنها بما فيها من آثار ونعم كلها دلائل على قدرة الباري  
ونعمه التي لا تحصى والتي هي طالبة للعبد ان ينالها فيشكر الله  
عليها ، وان ينظر فيها ليرى حكمة الله وابداعه وقدرته ،  
( وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلاً ٠٠٠ ) ص / ٢٧

فالدنيا من وجهة النظر الاولى مذمومة ومن وجهة النظر الثانية محمودة  
وهكذا (١)

والذي يتبين من كل ما تقدم ان القرآن العظيم عند تدبره والتأمل  
في معانيه كما أمر الله عز وجل يبدو في غاية الانسجام والتوافق  
وأنه يفسر بعضه بعضاً فلا تعارض ولا اختلاف ولا تناقض ، وانما اذا  
توهم متوهم شيئاً من ذلك فلعدم تدبره أو نقص علمه أو زيغ قلبه  
ذلك أن القرآن قد أنزل رحمة للعالمين وشفاء للمؤمنين ومنهاج للسائرين  
ومرجعاً للمتنازعين فكان كما قال تعالى : (الر كتاب أحكمت آياته ثم  
فصلت من لدن حكيم خبير ٠) - هود / ١ -

(١) انظر : الموافقات للامام الشاطبي ج٤/٢٠٧ ، تفسير القرطبي ج١٧/٢٥٤

تفسير قوله تعالى : ( أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا ) - النساء / ٨٢ -

بعد أن أوضحت معنى موهم الاختلاف والمراد منه ولمن يحل التوهم ، وضرت أمثلة من القرآن على آيات يُتوهم أن فيها اختلافًا وتناقضًا في المعنى ، ثم

بينت كيف يزال هذا التوهم وطريقة الجمع بين معاني الآيات ، بعد كل ذلك انتقل لتفسير الآية التي نغت وجود الاختلاف في القرآن ،

وأبدأ ببيان السياق الذي ذُكرت فيه هذه الآية حتى نستطيع فهم المراد منها وتدبر معناها ، ومناسبتها لما قبلها

قال الله تعالى : ( ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ، أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا ) - النساء / ٨١ - ٨٢ -

يحكي السياق عن حال طائفة من المنافقين (١) يذكر عنها فعلاً جديداً من أفعالها الشائنة، قال ابن جرير الطبري (٢) ( يعني بذلك جل ثناؤه بقوله : (ويقولون طاعة) يعني الغريق الذين أخبر الله عنهم أنهم لما كتب عليهم القتال خشوا الناس كخشية الله أو أشد خشية ، يقولون لنبى الله - صلى الله عليه وسلم - انا أمرهم بأمر : أمرك طاعة ولك منا طاعة مهما تأمرنا به وتنهانا عنه ، ( وانا برزوا من عندك ) يقول : فاذا خرجوا من عندك يا محمد ( بيّت طائفة منهم غير الذي تقول ) يعني بذلك - جل ثناؤه - : غير جماعة منهم ليلاً الذي تقول لهم ، والله يكتب ما يغيرون من قولك ليلاً في كتب أعمالهم التي تكتبها الخفظة ؛

( فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ) فأعرض يا محمد عن هؤلاء المنافقين وخلصهم وما هم عليه من الضلالة وفوض انت أمرك الى الله وثق به في أمورك وولها إياه وحسبك الله فيما يأمرك ووليا لها ودافعا عنك وناصرًا ) (٣) هـ

ونلاحظ أننا نستشعر مع حكاية فعلهم التنفير منها والتهديد ، بسبب ما يتآمرون

(١) انظر : اسباب النزول للواحدي / ١٢٠ الدر المنثور للسيوطي ج١ / ١٨٤

(٢) في تفسيره : جامع البيان ج٨ / ٥٢٢ وانظر : ابن كثير ج١ / ٨٠١

والقرطبي : ج٥ / ٢٨٩

به ويسترونه خلاف ما يُظهرون ، فهذه الطائفة إذا كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم - تسمع منه القرآن وما فيه من التكاليف قالوا : طاعة ، يقولونها هكذا بإطلاقها وشمولها بدون اعتراض أو استفهام أو استيضاح أو غير ذلك ، ولكن ما إن يخرجوا من عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تبیت طائفة منهم غير الذي تقول وتروح فيما بينها تتآمر على عدم التنفيذ وعلى اتخاذ خطة للتخلص من التكليف (١)

والتعبير بقوله : ( فلذا برزوا من عندك ) يدلنا على سرعة مكرهم وتآمرهم ، فبمجرد بروزهم أي خروجهم من عند الرسول - صلى الله عليه وسلم - يأخذون بالتآمر والمكر وتغيير الأوامر ؛

قال البقاعي (٢) : ( ولما كان الانسان من عادته اثبات الامور التي يريد تخليدها بالكتابة أجرى الله الأمر على ذلك فقال : ( والله يكتب ما يُبیتون ) أي يجددون تبیيته كلما فعلوه وهو غني عنه ولكن ذلك ليقرئهم إياه يوم يقوم الأشهاد ويقيم به الحجة عليهم أو يوحي به اليك فيفضحهم بكتابته وتلاوته مدى الدهر فلا يثابروا أن تبیيتهم يغنيهم شيئاً ) اهـ قلت : نلاحظ من هذه الآية أن الله سبحانه يطمئن النبي - صلى الله عليه وسلم - واصحابه - رضي الله عنهم - بأن هؤلاء المنافقين تحت مراقبته وأنهم لن يضروا المسلمين شيئاً بتآمرهم وتبیيتهم ، ثم هي تهديد ووعيد للمتآمرين فلن يذهبوا مفلحين ، وكان أسلوب الرسول في معاملة المنافقين هو الاخذ بظاهرهم وعدم كشفهم للمسلمين او مواخذتهم بحقيقة نواياهم ، وذلك لحكمة ارادها الله سبحانه ، فلذا قال الله هنا ( فاعرف عنهم )

وبعد أن عرضت سياق الآية وبيّنت معناها وفحواها اشع الان في تفسير الآية وأبدا بذكر مناسبتها لما قبلها :

قال البقاعي (٣) رحمه الله : ( ولما كان سبب ابطانهم خلاف ما يظهرونه

اعتقاد أنه صلى الله عليه وسلم - رئيس لا يعلم إلا ما أظهره لارسل من الله الذي يعلم السر وأخفى ، سبب عن ذلك ارشادهم على وجه الإنكار الى الاستدلال على رسالته بما يزيح الشك ويوضح الأمر ، وهو تدبر هذا القرآن المتناسب المعاني المعجز المباني ، الفائق لقوى المخاليق ، المظهر لخفاياهم ، على اجتهادهم في اخفائها فقال سبحانه وتعالى دالا على وجوب النظر في القرآن والاستخراج للمعاني منه : ( افلا يتدبرون القرآن ٠٠٠ ) ، فلذا علموا أنه من عند الله بهذا الدليل القطعي حفظوا سرائرهم كما يحفظون علانياتهم ، لأن الامر بالطاعة مستوٍ عند السر والعلن ) اهـ

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب / ج ٦ / ص ٦٨٤ بتصرف

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج ٥ / ص ٣٣٩

(٣) المصدر السابق ج ٥ / ص ٣٤٠

قلت : مما تقدم نرى أنه تعالى لما حكى عن المنافقين أنواع مكرهم وكيدهم وكان كل ذلك لاجل أنهم ما كانوا يعتقدون كونه محققا في الدعاء الرسالة ، بل كانوا يعتقدون أنه مفتر ، فلاجرم أمرهم الله تعالى بأن ينظروا ويتفكروا في الدلائل الدالة على صحة نبوته فقال :  
( أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) فاحتج تعالى بالقران على صحة نبوته ؛

(١) قال الفخر الرازي : ( اعلم أن ظاهر الآية يدل على أنه تعالى احتج بالقران على صحة نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - إذ لو لم تحمل على ذلك لم يبق لها تعلق بما قبلها البتة ) اه  
واحتجاج الله تعالى بالقران على صدق النبي إنما هو دعوة لأهل النفاق وغيرهم لمراجعة شكهم في مصدر هذا القران وما يأمرهم به الرسول . ومعلوم أن سلطان الأمر والتكليف مستمد كله من الاعتقاد الجازم بأن هذا القران كلام الله وبأنه - صلى الله عليه وسلم - مبلغ عن ربه ، ولذلك حين يوجد مثل هذا الشك يخيب سلطان الامر والتكليف جملة ، فاراد الله سبحانه أن ينكر عليهم فعلتهم الشنعاء ويوبخهم على ما بدر منهم مع أن هذا الذي يشكون فيه ويخالفون أوامره نزل بلسانهم ، أفلا يتدبرونه وينظرون في بلافته واتقانه واعجازه الدال على أنه من عند الله ، وأنه لا اختلاف فيه سواء في لفظه (أو معناه) أو ما يرشد اليه من تكاليف) أو ما يخبرهم فيه عما يجول في انفسهم مما يمكرونه) أو غير ذلك من قمص الأمم الماضية ، فلا اختلاف ولا تناقض مع أن الذي جاء به رجل أمي يعرفونه جيدا ، فلو أنه من عند غير الله صاحب الأمر والنهي لكان مملووا بالاختلاف والتضاد وغير ذلك من العوارض البشرية ، وانا تبين ذلك فعليهم الرجوع عن نفاقهم والكف عن تأمرهم وإعلان توبتهم بعد تيقنهم صدق هذا النبي ، وأن ما جاء به إنما هو من عند الله لا ريب في ذلك إلا عند من اظلم قلبه وانسد عقله وزاغت بصيرته (والآية مخاطب بها كل احد وكل جيل وكل فرد عنده ادنى قدرة على التدبر والفهم ويستطيع بعدها أن يدرك من ظاهرة عدم الاختلاف الذي نفاه الله سبحانه أن هذا القران تنزيل من حكيم خبير ) (٢)  
يقول البيضاوي (٣) بشأن تناسب الآية لما قبلها : (ولعل ذكره هنا للتنبية على أن اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح) اه

(١) التفسير الكبير : ج ١٠/ ١٩٦ (٢) في ظلال القران : ج ٢/ ٧٢٣

(٣) في تفسيره انوار التنزيل ص : ١٢٠

قلت : والظاهر أن ما يقصده هو ما تقدم من الأمر بالقتال في قوله :  
(فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل  
في سبيل الله فيُقتل أو يُغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ٧٤/٠) النساء/٧٤ -  
وهذا الأمر جاء بعد الأمر الأول بالكف عن القتال وبالمسالمة في قوله :  
(ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة  
٧٧/٠٠٠٠) النساء/ ٧٧

فحذان الحكمان المختلفان ليسا من التناقض في شيء بل لاختلاف الاحوال في  
الحكم والمماح ومراعاة المرحلة والتكيف مع الواقع والقدرات ، والله الموفق

التفسير التحليلي للآية :

(أفلا يتدبرون القرآن ٠٠٠٠ )

الهمزة : جاءت للإستفهام الإنكاري المتضمن التوجيه والإرشاد لما فيه مصلحة  
المنافقين وبيان اللائق فعله واعتقاده بدلاً من التصرفات الشنيعة الناتجة  
عن الشك وعدم التصديق الناتج عن عدم استخدام ذوقهم وفطرتهم لتلمس  
واستشعار آيات الله المثلوة الناطقة بصدق الرسول وأنه رسول رب العالمين  
قال الأوسي<sup>(١)</sup> معللاً سبب ورود الاستفهام :

(لعله جواب سؤال نشأ من جعل الله تعالى شهيدا ، كأنه قيل : شهادة الله  
تعالى لا شبهة فيها ، ولكن من أين يُعلم أن ما ذكرته شهادة الله تعالى  
محكية عنه ؟ فأجاب سبحانه بقوله : ( أفلا يتدبرون القرآن ) اه  
قلت : شهادة الله تعالى التي يشير إليها الأوسي هي قوله تعالى قبل الآية

( ٠٠٠٠ وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا ) النساء / ٧٩

والذي يظهر لي ان السؤال الناشئ تقديره : ما هو الداعي لطاعة هذا الذي  
يدعي الرسالة ، وأنه واجب الطاعة في الظاهر والباطن ، ونحن إنما أطعناه  
في الظاهر حفاظا على أنفسنا ، أو لمصلحة نبتغيها ، فإذا ثبت لدينا أنه  
رسول رب العالمين أطعناه كما يريد ، فجاءت الآية للرد عليهم وبيان المطلوب

منهم وهو تدبر القرآن ليخلصوا للنتيجة المطلوبة وهو انه من عند الله  
فالذي جا به لابد ان يكون رسول رب العالمين الواجب الطاعة في السر والعلن  
والذي استظهرته سببه : أن الآية التي ذكرت قبل قوله : ( أفلا يتدبرون القرآن )  
تتكلم عن طاعة الرسول وكذلك الآية التي قبلها ، وهي قوله تعالى :

(١) في تفسيره : روح المعاني ج ٥ / ٩٢

( من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفیظاً )  
النساء ٨٠

بينما جاءت الآية التي ذكر فيها شهادت الله وهي قوله: ( وكفى بالله شهيداً )  
جاءت بعد ذكر قولهم في الحسنة والسيئة ، فجاءت الشهادة من الله لرد  
افتراءاتهم وتخريصهم ، ولا شك أن تعلق الآية بما قرُب أولى من تعلقها  
بما بعد ،

(١)

والفاء : جاءت في الآية للعطف على مقدر ، وتقديرها عند الاوسي حسب  
فهمه السابق : ( أيشكون في أن ما ذكر شهادة الله فلا يتدبرون القرآن  
الذي جاء به هذا النبي - صلى الله عليه وسلم - المشهود له ، ليعلموا  
كونه من عند الله فيكون حجة وأى حجة على المقصود ) اهـ  
وعلى التقدير الذي أراه : أيشكون في صدق هذا الرسول الواجب طاعته فلا  
يتدبرون الذي جاء به من الايات والتي تشهد له بالرسالة ، لأن ما جاء  
به منزله عن الاختلاف الذي لا يسلم منه بشر ، فهل يعقل أن يكون هذا  
الأمي قد أتى به من عند نفسه أو من عند غيره من البشر ، فلو كان  
الأمر كذلك لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، فاذا انتفى ذلك بعد تدبركم للقران  
ثبت كونه رسول رب العالمين ، تجب طاعته في السر والعلن .

(٢)

(يتدبرون) : قال ابن منظور : ( دبر كل شيء عقبه ومؤخره ، أدبر الرجل  
إذا عرف دبيره من قبيله ، والقبيل ما وليك ، والدبير ما خالفك ،  
ودبر الأمر وتدبره : نظر في عاقبته ، والتدبير في الأمر : أن تنظر الى  
ما تؤول اليه عاقبته ، والتدبير : التفكير فيه ، وفلان لا يدري قبيل  
الامر من باباه : أي أوله من آخره . ) اهـ

(٣)

وقال ابن الجوزي : ( والدبر : النحل ، سمي دبرا لأنه يُعقب ما يُنتفخ  
به ، والدبر : المال الكثير سمي دبرا لكثرة لأنه يبقى للأعقاب . ) اهـ  
فكلمة يتدبرون : من الفعل المزيد : تدبر يتدبر تدبرا ، والامل : دبر  
والزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى ، فالتدبر هو مزيد  
الغطر والتمعن في عاقبة الشيء وما يؤول اليه ؛

(٤)

اسند ابن جرير (٤) عن الضحاك : ( أفلا يتدبرون القرآن ، قال : يتدبرون :  
النظر فيه ) ، ونقل ابن الجوزي (٤) عن ابن عباس : ( أفلا يتدبرون القرآن

(١) روح المعاني : ج٥/٩٢ ، (٢) لسان العرب ج٤/٢٦٨ مادة دبر

(٣) زاد المسير في علم التفسير : ج٢/١٤٤ (٤) جامع البيان : ج٨/٥٦٨

(٥) زاد المسير : ج٢/١٤٤

فيتفكرون فيه فيرون تصديق بغضه لبعض ، وأنَّ أحدًا من الخلاق لا يقدر عليه (٠) ، والذي أفاده العلماء أنَّ أصل التدبر هو :

التأمل والنظر في أديار الأمر وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه

ثم استعمل في كل تأمل وتفكر ، سواء كان نارا في حقيقة الشيء

وأجزائه أو سوابقه وأسبابه أو لواحقه وأعقابه (١)

وقد فرق الطوسي (٢) بين التدبر والتفكر ، بأن التدبر : تصرف القلب

بالنظر في العواقب ، والتفكر : تصرف القلب بالنظر في الدلائل (٠)

قلت : والمعنى العام الذي تخلص إليه هذه اللغة : هو جهل

هؤلاء المنافقين حقيقة الرسالة ، وكنه هذه الهداية بسبب عدم

نظرهم وتفكرهم وتدبرهم في القرآن الذي يدل على حقيقة الرسالة وعاقبة

المؤمنين بها والجاحدين لها ، فهما التدبر يعرفون أنه الحق من ربهم

وأن ما أنذر به الكافرون والمنافقون واقع بهم لأنه كما صدق فيما

أخبر به عما يُبيِّتُون في أنفسهم وما يشنون عليه مدورهم يصدق كذلك

فيما يخبر من سوء مصيرهم ، فلذا كانوا لاستحواذ الباطل والغبي

عليهم لا يدركون كنه هداية القرآن في ذاتها ، أفلم يأن لهم أن

يدركوا من خصائصه ومزاياه أنه لا يمكن ان يكون إلا من عند الله (٣)

قوله : ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا )

( ولو كان من عند غير الله ٠٠ ) : أي لو كان من كلام البشر كما

تزعّم الكفار والمنافقين (٤)

وقوله : ( ٠٠ لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا ) : قال الشيخ زكريا الانصاري (٥)

: ( يدل بمفهومه على أن في القرآن اختلافًا قليلًا وإلا لما كان للتقيد

بوصف الكثرة فائدة مع أنه لا اختلاف فيه أصلاً ، إذ المراد بالاختلاف

فيه التناقض في معانيه والتباين في نظامه ، وأجيب : بأن التقيد

بالكثرة للمبالغة في اثبات الملازمة ، أي لو كان من عند غير الله

لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا فضلًا عن القليل ، لكنه من عند الله فليس

فيه اختلاف كثير ولا قليل (٠) اهـ

(١) ارشاد العقل السليم للعلامة أبي السعود ج١/٧٤٤

روح المعاني للالوسي ج٥/٩٢ ،

(٢) في تفسيره : التبيان ج٣/٢٧٠ (٣) انوار تفسير المنار ج٣/٢٣٣

(٤) انوار التنزيل للبيضاوي : ص/١٢٠ ، تفسير ابن كثير ج١/٨٠٢

روح المعاني للالوسي ج٥/٩٣ (٥) فتح الرحمن / ١١٩ - ١٢٠



قلت : والواضح أنه يريد أن ما كان من عند غير الله ملازم  
لكثرة الاختلاف وما كان من عند الله منزّه عن الاختلاف قليله وكثيره  
ولذلك أفاد الاوسى (١) : أن كلمة ( وجدوا ) في الآية متعددة السي  
مفعولين ، أولهما : ( كثيرا ) وثانيهما : ( اختلافا ) بمعنى مختلفا  
قلت : ومعنى ذلك أن قوله : ( لوجدوا ) منصب على قوله : ( اختلافا كثيرا )  
وهذا يريد ما قاله الانصاري من أن المراد نفي الاختلاف في القرآن مطلقا  
وأن ما كان من عند غير الله ملازم لكثرة الاختلاف وهي صفة دائمة لا  
ينفك عنها كلام الادمي  
ونظير هذا المعنى في كتاب الله قوله تعالى :  
( ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ) - البقرة / ٤١ -  
فمعناه : أن كل ثمن تأخذونه عن آيات الله فهو قليل ، ولم يُرد  
التخصيص والمنع من الثمن القليل خاصة (٢) فقلة الثمن ملازمة لكل عوض  
عن آيات الله لأنها لا تقدر بثمن ، ومثل ذلك قول الشاعر :  
من أناس ليس في اخلاقهم  
عاجلُ الفحش ولا سوء الجزع  
قال المرتضى (٣) : ( وانما أراد نفي الفحش كله عن أخلاقهم وإن وصفه  
بأنه عاجل ، ونفي الجزع عنها وإن وصفه بالسوء ، وهذا من غريب  
البلاغة ودقيقها ، ونظائره في الشعر والكلام الفصيح لا تحصر ) ١٠ هـ  
قلت : ما تقدم هو بيان المراد بوصف الاختلاف بالكثرة ، أما بالنسبة  
للمعنى المراد بالاختلاف فقد قال الامام الغزالي (٤) : ( وليس المراد نفي  
اختلاف الناس فيه بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن ) ١٠ هـ  
اي ان القرآن قد اختلف الناس فيه ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر  
ولذا فقد قال تعالى : ( يُظلم به كثيرا ويهدي به كثيرا ) - البقرة / ٢٦  
وقال : ( عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ) - النبأ / ٣  
وقال : ( وكذب به قومك وهو الحق ) - الانعام / ٦٦ -  
فالاختلاف بين الناس في القرآن موجود ولكن الاختلاف المنفي هو  
الاختلاف الكائن في نفس القرآن اي بين آياته وسوره في لفظه او معناه  
والله ولي التوفيق .

(١) روح المعاني / ج ٥ / ٩٣

(٢) امالي المرتضى : ج ١ / ٣٣٨ للشريف المرتضى علي بن الحسين ، ت ٤٢٦ هـ

(٣) المصدر السابق نفس الموضوع

(٤) نقله عنه الزركشي في البرهان ج ١ / ٤٦

### المراد بالاختلاف المنفي :

بعد أن بينت أن المراد بالاختلاف المنفي الاختلاف عن ذات القرآن  
أبين هنا ماهية الاختلاف المنفي عن ذات القرآن :

بعد تتبع أقوال العلماء والمفسرين في بيان الاختلاف المنفي والمراد  
منه في الآية ، نجدها منحصرة في أربعة أوجه هي كما يلي :

أولاً : الاختلاف في اللفظ

ثانياً : الاختلاف في المعنى

ثالثاً : الاختلاف في الأخبار عن المغيبات الحاضرة والماضية والمستقبلية

رابعاً : الاختلاف في المقولات العلمية التي لغت إليها القرآن

### الوجه الأول : الاختلاف في اللفظ

تناول العلماء والمفسرين هذا الوجه بالشرح والبيان وأنه من أوجه  
سلامة القرآن من الاختلاف ، نقل الزركشي<sup>(١)</sup> عن الخزالي :  
(يقال هذا كلام مختلف أي لا يشبه أوله آخره في الفصاحة ، أو هو  
مختلف النظم فبعضه على وزن الشعر وبعضه منزه عن بعضه على أسلوب  
مخصوص في الجزالة ، وبعضه على أسلوب يخالفه ، وكلام الله منزه عن  
هذه الاختلافات ، فإنه على منهاج واحد في النظم ، مناسباً أوله آخره  
وعلى مرتبة واحدة في غاية الفصاحة فليس يشمل على الغث والسمين ،  
ومسوق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى ،  
وكلام الأدميين يتطرق إليه هذه الاختلافات بل كلام الشعراء والمترسلين  
إذا قيس عليه وجد فيه اختلاف في منهاج النظم ثم اختلاف في درجات  
الفصاحة بل في أصل الفصاحة حتى يشمل على الغث والسمين ، فلا  
تساوى رسالتان ولا قصيدتان ، بل تشمل قصيدة على أبيات فصيحة  
وأبيات سخيفة ) اهـ

(٢)

وحول نفس المعنى يقول الإمام الشاطبي رحمه الله :

(فأما جهة اللفظ فإن الفصاحة فيه متواترة مطردة بخلاف كلام المخلوق  
فإنك تراه العجى الاختلاف ما هو ، فيأتي بالفعل من الكلام الجزل الفميج  
فلا يكاد يختمه إلا وقد عرض له في اثنا عشر ما نقص من منصب فصاحته  
وهكذا تجد القصيدة الواحدة منها ما يكون على نسق الفصاحة اللائقة  
ومنها ما لا يكون كذلك ) اهـ

(١) البرهان في علوم القرآن : ج٢ / ٤٦ - ٤٧

(٢) في كتابه : الاعتصام ج٢ / ٣٠٧

ونقل الفخر الرازي<sup>(١)</sup> عن أبي مسلم الامغهازي قوله :  
( المراد منه الاختلاف في رتبة الفصاحة حتى لا يكون في جملة ما يُعد  
في الكلام الركيك بل بقيت الفصاحة فيه من أوله الى آخره على نهج  
واحد ومن المعلوم أن الانسان وإن كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة  
فاذا كتب كتابا طويلا مشتملا على المعاني الكثيرة فلا بد وأن يظهر  
التفاوت في كلامه بحيث يكون بعضه قويا متينا وبعضه سخيلا نازلا ،  
ولما لم يكن القرآن كذلك علمنا أنه المعجز من عند الله تعالى ) اهـ  
وقد اسهب الامام الباقلاني رحمه الله في بيان هذا الوجه وتجليته  
فقال<sup>(٢)</sup> : ( ليس للحرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف  
البديع في البلاغة ، والتشابه في البراعة على هذا الطول ، وعلى  
هذا القدر ، وإنما تنسب الى حكيمهم كلمات معدودة والفاظ قليلة ،  
والى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها الاختلال ويعتريها الاختلاف ويثملها  
التعمل والتجوز والتعسف ؛

وقد حمل القرآن على كثرته وطوله متناسبا في الفصاحة على ما وصفه  
الله به : ( الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر  
منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله )  
- الزمر / ٣ - وقوله : ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا  
كثيرا ) النساء / ٨٢ -

كما أن عجب نظمه وبديع تاليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما فيه  
من قصص ومواعظ وحكم وأحكام وإعذار وإنذار ووعد ووعيد وغير ذلك  
وتجد كلام البليغ الكامل والشاعر المقلق يختلف حسب اختلاف هذه الامور  
فمن الشعراء من يجود في التباين دون التقرير ومنهم من يُجرب في  
وصف الابل او الخيل او حير الليل او وصف الحرب او وصف الروض  
ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس إذا ركب ، والنابعة اذا رهب ، وبزهير  
اذا رغب ، ومتى تأملت شعرا لشاعر البليغ رأيت التفاوت في شعره على  
حسب الأحوال التي يتصرف فيها ، فيأتي بالغاية في البزاعة في المعنى  
فإذا جاء الى غيره قصر عنه وبان الاختلاف في شعره ، ثم نجد من يجود  
في الرجز ولا يمكنه نظام القصيد أصلا ، ومنهم عكس ذلك ؛

وقد تأملنا نظام القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي  
قد ذكرناها على حد واحد في حسن النظام وبديع التاليف والرمف ، لا  
تفاوت فيه ولا انحطاط عن المرتبة العليا ، وكذلك قد يتفاوت كلام الناس

(١) التفسير الكبير للرازي : ج / ٩  
(٢) اعجاز القرآن : ( ٣٦ - ٣٨ ) مع بعض التصرف

عند إعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتاً ، ويختلف اختلافاً كبيراً ،  
ونظرنا في القرآن فيما يُعاد ذكره من القصة الواحدة نرأينا غير  
مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة ، فعلمنا  
بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر لأن الذي يقدرون عليه قد بينا  
فيه التفاوت الكثير عند التكرار وعند تباين الوجوه واختلاف الأسباب اه  
قلت : مما تقدم نرى أن وجه الاختلاف اللفظي المنفي يشمل :  
توالي الفصاحة والبلاغة بدون تفاوت ، وكذلك اطراد الاتساق والانسجام  
في نظمه واسلوبه مع اختلاف اغراضه وتنوع اساليبه وطوله وكثرة معانيه  
كل ذلك في المرتبة العليا والغاية القموى في البراعة والابداع ،  
فسمة التغير والاختلاف المستمر من حال الى حال تبدو دائماً ظاهرة في  
كلام البشير وسمة الثبات والتناسق هو الظاهرة البارزة في القرآن ،  
فهناك مستوى واحد في هذا الكتاب المعجز تختلف ألوانه باختلاف الموضوعات  
التي يتناولها ، ولكن يتحد مستواه وكماله في الأداء بلا تغير ولا اختلاف (١)  
هذا ومن الجدير بالذكر أن العلامة أبا السعود قد خالف أن يكون  
هذا الوجه الذي شرحناه مراداً في الآية ، وعلى رأيه بأنه لا يساعده سياق  
الآية ، وذهب الى أن المراد : نفي تخلف أخباره عن مطابقة الواقع  
قال عند تفسير الآية : ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً  
كثيراً ) : بأن يكون بعض أخباره غير مطابق للواقع إن لا علم بالأمر الخبيثة  
ماضية كانت أو مستقبلية لغيره سبحانه ، وحيث كانت كلها مطابقة للواقع  
تعيين كونه من عند الله تعالى (٠) اه  
قلت : وإن كانت الآية سيقت لما ذكره أبو السعود في الظاهر ، لكن  
العبرة بعموم اللفظ ، ولفظ الآية صالح لنفي جميع انواع الاختلاف  
في القرآن والله تعالى اعلم

### الوجه الثاني : الاختلاف في المعنى

قال ابن جرير الطبري (٣) : ( يعني جل ثناؤه بقوله : ) أنفلا يتدبرون  
القران (٠٠٠) أنفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم يا محمد : كتاب  
الله فيعلمون حجة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك وأن الذي أتيتهم  
به من التنزيل من عند ربهم ، لاتساق معانيه وائتلاف أحكامه وتأييد  
بعضه ببعضاً بالتصديق ، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق ، فان ذلك لو كان  
من عند غير الله لاختلقت أحكامه وتناقضت معانيه وأبان بعضه عن فساد بعض ) اه

(١) انظر : في ظلال القرآن ج٢ / ٧٢١ ، التصوير الفني في القرآن لسيد قطب / ٧٤-

(٢) في تفسيره ج١ / ٧٤٤ وسوف يأتي بيان الوجه الذي تبناه ابو السعود قريباً

(٣) في تفسيره جامع البيان ج٨ / ٥٦٧

وأُسند ابن جرير (١) عن قتادة : (أي قول الله لا يختلف وهو حق

ليس فيه باطل وإن قول الناس يختلف)

وأُسند عن ابن زيد (٢) : (إن القرآن لا يكذب بعضه بعضا ، ولا ينقض بعضه

بعضا ، ما جهل الناس من أمر وإنما هو من تقصير عقولهم ، وجهالتهم  
وقرأ (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا )

قال فحق على المؤمن أن يقول ( كل من عند الله ) ويؤمن بالمشابه  
ولا يضرب بعضه ببعض ، وإذا جهل أمرا ولم يعرفه أن يقول : الذي قال  
الله حق ، ويعرف أن الله تعالى لم يقل قولا وينقضه ، ينبغي أن يؤمن  
بحقيقة ما جاء من الله . اهـ (٣)

ونقل صاحب البرهان عن الغزالي قوله : ( كلام الشعراء والمترسلين إذا  
قيس على كلام الله وُجد فيه اختلاف في الأغراض لأنَّ الشعراء والفصحاء

في كل واد يهيمون ، فتارة يمدحون الدنيا وتارة يذمونها ، وتارة يمدحون  
الجبين فيسمونه حزما ، وتارة يذمونهم ويسمونه ضعفا ، وتارة يمدحون  
الشجاعة ويسمونها صراحة ، وتارة يذمونها ويسمونها تهورا ، ولا ينفك  
كلام الأدي عن هذه الاختلافات ، اختلاف الأغراض واختلاف الأحوال ، والانعان  
تختلف أحواله فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه ، ويتعذر عليه  
عند الانقباض ، ولذلك تختلف أغراضه فيميل إلى الشيء مرة ويميل عنه  
أخرى ، فيوجب اختلاف الأحوال والأغراض اختلافا في كلامه بالضرورة ،  
ولقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشرا تختلف أحواله فلو  
كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجدوا فيه اختلافا كثيرا . اهـ  
وحول نفس المعنى يقول الفخر الرازي (٤) :

الذي ذهب إليه أكثر المتكلمين : أن المراد منه أن القرآن كتاب  
كبير وهو مشتمل على أنواع كثيرة من العلوم ، فلو كان ذلك من عند  
غير الله لوقع فيه أنواع من الكلمات المتناقضة ، لأن الكتاب الكبير  
الطويل لا ينفك عن ذلك ، ولها لم يوجد ذلك علمنا أنه ليس من عند  
غير الله . اهـ

قلت وأقوالهم متقاربة في بيان هذا الوجه من الاختلاف وهو الاختلاف

في المعنى ، حيث إن معاني القرآن على كثرتها وعلى تكرارها بحسب مقتنيات  
الأحوال جاءت على غاية من التناسق والانسجام والتعاقد فلا تناقض ولا اختلاف  
وكلها تدعو إلى غاية واحدة وسبيل واحد ومنهج واحد ، على وجه لا سبيل  
إلى البشر إن يدانوه (٥)

(١) تفسير الطبري : ج٨ / ٥٦٧ (٢) نفس المرجع والصفحة

(٣) البرهان : ج٢ / ٤٦ - ٤٧ مع بعض التصرف

(٤) في تفسيره ج١٠ / ١٩٦ ، وانظر : زاد المسير ج٢ / ٣٠٧ ، تفسير القرطبي ٢٩٠/٥

مجمع البيان للطبرسي ١٧٢/٤ ، تفسير البيضاوي ص : ١٢٠

(٥) انظر : الاعتصام للامام الشاطبي ج٢ / ٣٠٧

ومن جوانب الانسجام والتناسق التام في معاني القران جانب التشريع والتنظيم ، يقول سيد قطب رحمه الله (١) :

(فما من نظرية بشرية وما من مذهب بشري إلا وهو يحمل الطابع البشري جزئية النظر والرؤية والتأثر الوقتي بالمشكلات الوقتية وعدم رؤية المتناقضات في النظرية أو المذهب أو الخطة التي تؤدي الى الاضطراب بين مكوناتها - إن عاجلاً أو آجلاً - وعدم القيام بمصلحة البشرية وسعادتها ، ذلك أن المناهج البشرية ناشئة من طبيعة الإدراك البشري المحدود ، ومن الجهل البشري بما وراء اللحظة الحاضرة ، فوق جبهه بكل مكونات اللحظة الحاضرة ، وعكس ذلك كله ما يتسم به المنهج القراني الشامل المتكامل والثابت الاصول ثبات النواميس الكونية ، وهو مع ثبات أصوله جعله الله مملحا لكل تغيير أو تبديل في أوضاع المجتمعات أو هيئاتها أو حاجاتها في كل مكان وزمان ) (١٠) هـ

### الوجه الثالث :

#### الإخبار عن المغيبات الحاضرة والماضية والمستقبلية

أولاً : والمغيبات الحاضرة وهي الإخبار بما في ضمائر المنافقين واليهود وغيرهم والمقصود بذلك أن الآيات التي نزلت تُخبر بها في ضمائر المنافقين وغيرهم كان الواقع كما أنزل الله ، ولذا لم يأت أحد منهم ليقول لم اقل ذلك او لم أُبَيِّته او غير ذلك ، فلما لم يعترضوا دل ذلك على عدم الاختلاف بين ما ينزل وبين حقيقة الأمر ، وكذلك فان الهدف هو دعوة الناس للإيمان ، فلو كان الرسول يأت بهذه الآيات من عنده لما استطاع أن يصرح بشيء مما في ضمائر الناس لحرصه على استجابتهم له وفي تصريحه بخلاف ما في الواقع هو اغراء لهم بعدم الإيمان به لوقوفهم على الاختلاف الذي لا يمكن ان يكون من عند الله ، ولذلك نجد سورة التوبة قد اطنبت في ذكر المنافقين وفضحهم وكشف سرائرهم نقل الواحدي (٢) عن السدي : ( قال بعض المنافقين : والله لو ددت أني قُدمت فجلدت مائة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا ، فأُنزل الله هذه الآية ) يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تُنبئهم بما في قلوبهم ( التوبة / ٦٤ -

(١) في ظلال القران / ج٢ / ٧٢١ - ٧٢٢

(٢) اسباب النزول ، تحقيق سيد مقرر ٢٤٩ وانظر تفسير الخازن ج٣ / ٩٥

(١)

والخرج الطبري عن مجاهد قوله : ( كانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون

عسى الله ان لا يغشي علينا اسرنا )

قال ابو حيان (٢) : ( وذهب الزجاج الى ان الضمير في فيه (٣) عائد على

ما يخبره به الله تعالى مما يببتون ويسرون ، والمعنى انك تخبرهم

به على حد ما يقع وذلك دليل على انه من عند الله غيب من الغيوب) اهـ

وقال الرازي (٤) : ( ذكروا في تفسير سلامته من الاختلاف ثلاثة اوجه :

الاول : قال ابو بكر الاصم : معناه ان هؤلاء المنافقين كانوا يتواطئون

في السر والعلن على انواع كثيرة من المكر والكيد ، والله تعالى كان

يطلع الرسول - عليه الصلاة والسلام - على تلك الاحوال حالا فحال ويخبره

عنها على سبيل التفصيل ، وما كانوا يجدون في كل تلك الا الصدق ،

ف قيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى نالا لما اطرده الصدق

فيه ولما ظهر في قول محمد انواع الاختلاف والتفاوت فلما لم يظهر ذلك علمنا

ان ذلك ليس الا باعلام الله تعالى ) انتهى المراد

وقال ابو السعود (٥) : ( لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) بان يكون بعض اخباره

غير مطابقة للواقع ، ان لاعلم بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلية

لغيره سبحانه ، وحيث كانت كلها مطابقة للواقع تميز كونه من عند الله

تعالى . اهـ

واذكر فيما يلي امثلة لما نزل مخبرا عن ضمائر المنافقين :

اولا : قوله تعالى : ( ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن

قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين امنوا

منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم ) - برائة / ٦٢ -

قال الواحدي (٦) : ( وقال محمد بن اسحاق وغيره : نزلت في رجل من المنافقين

يقال له نبتل بن الحارث ، وكان ينم بحديث النبي - صلى الله عليه وسلم -

هو المنافقين فقيل له لا تفعل ، فقال : انما محمد اذن من حدثه شيئا

صدقه ، نقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا ، فانزل الله تعالى

هذه الآية . اهـ

وقال ابن الجوزي (٧) : ( فلما الاذى فهو عيبه ونقل حديثه ، ومعنى اذن :

يقبل كل ما قيل له ، قال ابن قتيبة : الاصل في هذا ان الاذن هي السامعة

فقيل لكل من صدق بكل خبر يسمعه : اذن ؛

ومعنى : اذن خير لكم اي اذن خير لا اذن شر يسمع الخير فيعمل به ولا

يعمل بالشر اذا سمعه . اهـ

(١) في تفسيره ج ١٤/ ٣٣١ ، وانظر الدر المنثور ٤/ ٢٢٩ اسباب النزول / ٢٤٩

(٢) البحر المحيط ج ٣/ ٣٠٥ (٣) اي في قوله : ( لوجدوا فيه . . . )

(٤) التفسير الكبير ج ١٠/ ١٩٦ ، وانظر : روح المعاني ج ٥/ ٩٢

(٥) ارشاد العقل السليم ج ١/ ٧٤٤ ، (٦) اسباب النزول / ٢٤٨

(٧) زاد المسير : ج ٣/ ٤٦٠ وانظر تفسير ابن كثير ج ٢/ ٥٧٠

ثانيا : قوله تعالى :

( ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته  
ورسوله كنتم تستهزؤن ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ، إن  
نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ) - براءة ٦٦/٦٧ -  
اخرج ابن جرير<sup>(١)</sup> عن قتادة : ( بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
في غزوة تبوك ، وبين يديه ناس من المنافقين إذ قالوا : أيرجوا هذا  
الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات ، فأطلع الله نبيه على  
ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم - : احبسوا علي الركب ، فأتاهم  
فقال : قلتم كذا قلتم كذا ، فقالوا يا نبي الله إنما كنا نخوض  
ونلعب ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ما تسمعون ) - اه  
قال الاوسى<sup>(٢)</sup> : ( وأرادوا : إنما نلعب ونتلعب لتقصر مسافة الطريق  
بالحديث والمداعبة كما يفعل الركب ذلك لقطع الطريق ، ولم يكن ذلك  
منا على طريق الجد ، والاستفهام للتوبيخ ١٠٠٠ أي قل لهم غير ملتفت  
الى اعتذارهم ناعياً عليهم جنائياتهم : قد استهزأتم بمن لا يصح الاستهزاء  
به ( قد كفرتم ) أي أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول عليه الصلاة والسلام -  
والطعن فيه ( بعد إيمانكم ) أي لإظهاركم الايمان ، وهذا وما قبله لأن القوم  
منافقون فأصل الكفر في بواطنهم ولا إيمان في نفس الأمر ) - اه

ثالثا : قوله تعالى :

( ألم تر إلى الذين نُهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون  
بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله  
ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ، حسبهم جهنم يطولونها  
فبئس المصير ) - المجادلة / ٨ -

نقل السيوطي<sup>(٣)</sup> عن ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال :

( كان بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وبين اليهود مودة ، فكانوا اذا  
مر بهم رجل من أصحابه جلسوا بتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم  
يتناجون بقتله أو بما يكرهه ، فنهاهم النبي - صلى الله عليه وسلم -  
عن النجوى فلم ينتهوا فأنزل الله : ( ألم تر إلى الذين نهوا عن  
النجوى ) الآية

(١) تفسير الطبري : ج١٤ / ٣٣٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمر  
واسناده صحيح لغيره ، انظر : الصحيح المسند من اسباب النزول / تاليف :

الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ، ص : ٧٨

(٢) روح المعاني ج٤ / ١٣١ (٢) لباب النقول في اسباب النزول : ٢٠٦

وانظر : اسباب النزول للواحي : ٤٣٦



وأخرج ابن جرير<sup>(١)</sup> عن ابن عباس ومجاهد : أنها نزلت في اليهود والمنافقين  
وأخرج احمد والطبراني والبخاري<sup>(٢)</sup> عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم  
: أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : سام عليكم  
ثم يقولون في انفسهم «لولا يعذبنا الله بما نقول» فنزلت هذه الآية :  
ولإنا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله . . . ) الآية

والنجوى في الآية : هي المناجاة ، وقوله : ( ويقولون في انفسهم  
لولا يعذبنا الله بما نقول ) : أي هلا يعذبنا الله بسبب ذلك لو كان  
محمد - صلى الله عليه وسلم - نبيا<sup>(٣)</sup>

ونلاحظ من كل ما سبق أن القرآن الكريم قد هتك حجاب النفس  
فذكر ما يخطر وما يجول في أنفس المنافقين وغيرهم ، يخبرنا القرآن  
بما تحدثهم انفسهم من الكيد للمسلمين والحقد والحسد فاضحا لهم وكاشفا  
عن طوايا نفوسهم ومبرهنا لهم ان هذا القرآن من عند العظيم الخبير  
الذي يعلم السر واخفى ، فكان الواقع كما قال القرآن بدون اختلاف  
« ومن اصدق من الله قيلا »

ثانيا : الإخبار عن الماضي الذي لم يشاهده رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - ولم يقف على تاريخه<sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى : ( وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الامر  
وما كنت من الشاهدين ، ولكننا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما  
كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين ،  
وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما  
ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون . ) - القصص / ٤٤ - ٤٦ -

قال ابن كثير رحمه الله<sup>(٥)</sup> : ( يقول تعالى منبها على برهان

نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - حيث أخبر بالغيوب الماضية خبراً كأن  
سامعه شاهد وراء لما تقدم وهو رجل أمي لا يقرأ شيئا من الكتب ،  
نشأ بين قوم لا يعرفون شيئا من ذلك كما أنه لما أخبره عن مريم  
وما كان من أمرها قال تعالى : ( وما كنت لديهم إذ يلقون اقلامهم  
أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون . . . ) الآية

..... وقال ههنا بعدما أخبر عن قصة موسى من اولها الى اخرها وكيف

---

(١) تفسير الطبري : ج ٢٨ / ١٠ ، وانظر الدر المنثور : ج ٨ / ٨٠  
(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ / ١٢٢ : ( رواه احمد والبخاري والطبراني  
واسناده جيد ) ، وانظر : الصحيح المسند من اسباب النزول / ١٤٩  
(٣) زاد المسير ج ٨ / ١٨٨ ، ابن كثير ٤ / ٥٠٤ ، روح المعاني ج ١٠ / ٢٦  
(٤) انظر تفسير المنار / ج ٥ / ٢٣٣ (٥) في تفسيره ج ٢ / ٢٢٤

كان ابتداء إحياء الله اليه وتكليمه له : ( وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ) يعني : ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطئ الوادي ، وما كنت من الشاهدين : لذلك ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى إليك ذلك ليكون حجة وبرهاناً على قرون قد تناول عهدها ونسوا حجج الله عليهم وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين ) اهـ

قلت والقران الكريم مملوء بالقصص وأنباء الغيب الماضية التي لا سبيل للعلم بها إلا عن طريق الوحي ، كما أن اليهود وغيرهم من مشركين ومنافقين لم يستطيعوا انكار هذا القمص أم الطعن فيه لموافقته للواقع وعدم اختلافه وتناقضه ، بل هو في غاية الصدق والانجام ، ف جاء هذا القمص عبرة للمعتبرين وحجة باهرة وتمديقا للكتب السابقة ، قال تعالى :  
( ولقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ) - يوسف/ ١١١  
وأذكر فيما يلي أقوال بعض العلماء الذين اعتبروا هذا الوجه من أوجه سلامة القران من الاختلاف :

قال الباقلاني (١) : ( والوجه الاخر ما انطوى عليه القران من قصص الاولين وسير الماضين وأحاديث المتقدمين وذكر ما شجر بينهم وكان في أعمارهم ) اهـ  
وقال الزركشي (٢) : ( ما تضمنه من اخباره عن قصص الاولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها فقال : ( عليك من انباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ..... ) الآية

ونقل السيوطي (٣) عن القاضي عياض في اثبات هذا الوجه قوله :  
( الرابع : ما انبأ به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفخذ من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده - صلى الله عليه وسلم - على وجهه ويأتي به على نمه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ) اهـ  
وقال الالوسي (٤) : ( ان المراد بالاختلاف احد امرين : الاول : الاختلاف المناقض للبلاغة ، والثاني : الاختلاف فيما أخبر عنه من قصص الماضين وسير الاولين مع أمية من جاء به وعدم دراسته للعلوم ومطالعتة للكتب ، ولا شك أنه لم يوجد في القران شيء من هذه الاختلافات ) اهـ  
وفي هنا القدر كفاية من أقوال العلماء وانما اردت الامثلة والايجاز في تجلية هذا الوجه من اوجه سلامة القران من الاختلاف ،

(١) التمهيد : ص / ١٥٩ ، وانثار : اعجاز القران له ايضا : ص / ٣٤ ، ٤٩

(٢) البرهان في علوم القران : ج ٢ / ٩٦

(٣) الاتقان / ج ٢ / ١٢٢ (٤) روح المعاني : ج ١ / ٢٦٣

ثالثا : الاخبار عن المغيبات المستقبلية

اخبر القران عن وقوع اشياء وحوادث في المستقبل الغامض الذي انقطعت  
دونه الاسباب ، وكل ذلك وقع كما حدث القران وما تخلف وجاء على  
النحو الذي اخبر به في اجمال ما اجمل وتفصيل ما فعمل (١)  
ولشدة ايمان الصحابة ورسوخ يقينهم بوعد الله وانه لا يتخلف وان  
ايات الله لا تختلف عن الواقع الذي تخبر به كانوا مستبشرين بوعد  
الله ونصره ، فهذا ابو بكر الصديق - رضي الله عنه - كان اذا اغزى  
جيوشه عرفهم ما وعدهم الله من الظاهر دينه ليثقوا بالنصر ويستبشروا  
بالفتح (٢) ، فكان الامر كما وعد الله تعالى ففتحت البلاد واسلمت العباد  
وفرح المؤمنون بنصر الله ومكن الله لهم دينهم كما قال تعالى :  
( وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض  
كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم  
من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك  
فاولئك هم الفاسقون ) - النور / ٥٥ -

ومما اخبر القران عنه انه سيقع قوله تعالى :  
( الم ، غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع  
سنين ، لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله  
ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ) - الروم / ٤٤ -  
ذكر اهل التفسير في سبب نزولها : انه كان بين فارس والروم  
حرب فغلبت فارس الروم ، فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
واصابه فشق عليهم وفرح المشركون بذلك لان فارس لم يكن لهم كتاب والروم  
اصحاب كتاب ، فنزلت هذه الاية فخرج بها ابو بكر - رضي الله عنه - الى  
المشركين ، فقالوا : هذا كلام صاحبك ! فقال الله انزل هذا ، فراهنهم  
ابو بكر الصديق علعان الروم تغلب فارس ومدغمي الاجل الى تسع سنين  
فظهرت الروم على فارس لما دخلت السنة السابعة من نزول الاية تحقيقا  
لوعد الله (٣)

وقوله تعالى في الاية : ( في ادنى الارض ) : اي اقرب ارض الروم الى  
فارس ، قال ابن عباس : وهي طرف الشام

(١) انظر مناهل العرفان للشيخ الزرقاني : ج/٢ : ٢٦٣ وما بعدها

(٢) راجع اعجاز القران للباقلاني ص : ٣٣ - ٣٥

(٣) تفسير الطبري ج١/ ١٥ - ٢٢ تفسير ابن كثير ج٣/ ٦٧٣ الروم / ١ - ٤

اسباب النزول للواحيدي : ٣٦٠ ، لباب النقول للسيوطي : ١٦٨

وانظر : زاد المسير ج١/ ٢٨٧ روح المعاني للالوسي ج١١/ ١٧ - ١٨

وقوله لله الامر من قبل ومن بعد ) : اي من قبل ان تغلب الروم ومن بعد ما غلبت ، والمعنى ان غلبة الغالب وحُذْلان المغلوب بامر الله وقضائه ، وفرح المؤمنون بنصر الله حيث وافق ذلك يوم بدر وفيها نصر الله جنده ودحر جند الشيطان وايضا لان اهل الكتاب وهم الروم اقرب للمؤمنين من الفرس المجوس عبّاد النيران (١)  
قال الاوسي (٢) : ( وكان ذلك من الايات البيّنات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القران من عند الله عز وجل لما في ذلك من الاخبار عن الغيب الذي لا يعلمه الا الله تعالى للعليم الخبير ، وقد صح انه اسلم عند ذلك اناس كثير ) اهـ

ومن الامثلة ايضا : قوله تعالى :

( سيهزم الجمع ويولون الدبر ) القمر / ٤٥

جاءت هذه الاية بعد قوله تعالى : ( ام يقولون نحن جميع منتصر ) فجاءت الاية ردّاً على محض دعواهم ، وقد نزلت حيث لم يفرض جهاد ولا كان قتال ولذا قال عمر رضي الله عنه يوم نزلت (٣) : ( قلت يا رسول الله اي جمع سيهزم ؟ فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نذرت الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في اثارهم مملتا بالسيف وهو يقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر )

فهذا مما أخبر الله به نبيه من علم الغيب ، فكانت الهزيمة لجموع الكفار يوم بدر تحقيقاً لوعده الله ، وتصديقاً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتبياناً لكل من عنده تأمل وتدبر أن كلام الله تعالى لا اختلاف فيه ولا تناقض ، بل هو آيات بيّنات وحق لا ريب فيه تنزيل من حكيم حميد

---

(١) تفسير الطبري : ج١ / ٢١ - ١٥ ، زاد المسير : ج١ / ٢٨٧ - ٢٨٩

روح المعاني : ج١ / ١٧ - ١٨

(٢) روح المعاني : ج١ / ١٩

(٣) اخرجاه ابن ابي حاتم والطبراني في الاوسط وابن مردويه عن ابي هريرة -

( الدر المنثور للسيوطي : ج٧ / ٦٨١ ) .

الوجه الرابع من أوجه سلامة القرآن من الاختلاف :

ما تضمنه ولغت الأنظار إليه من الآيات الكونية والنفسية ، والمقولات العلمية التي لم تكن معروفة في وقت نزول القرآن

فعند تدبر آيات القرآن الكريم نجد أن كل ما أخبر الله عنه من مظاهر

هذا الكون ومشاهده وتفصيلاته نجده كما أخبر الله عنه بدون الاختلاف أو تضاد (١) وقد تصدى كثير من العلماء لهذا الوجه وبيان موافقة معانيات العلم

الحديث لما جاء به القرآن ، وأنه كلما تقدم العلم وتنوعت المعارف ازداد يقين أهل العلم بأنه لا اختلاف ولا تضاد بين الآيات القرآنية والآيات الكونية بل إنهما في غاية الانسجام والتوافق ، كيف لا وهما من عند الله ، الكون هو آيات الله المنظورة ، والقرآن هو آياته المسطورة

قال الله تعالى : ( إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الأبصار الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ) ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار ) آل عمران / ١٩١

وقال تعالى : ( سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ) - فصلت / ٥٢

وعللاً فقد رأى المؤمن والكافر على حد سواء آيات الله في الآفاق والانس ، يقول وحيد الدين خان (٢) : ( رغم نزول القرآن قبل قرون كثيرة من عصر العلوم الحديثة ، لم يتمكن أحد من اثبات أية أخطاء علمية فيه ولو أنه كان كلاماً بشرياً لكان هذا ضرباً من المستحيل ) ١٥

ويقول الطبيب الفرنسي المسلم موريس بوكاي (٣) : ( وتناولت القرآن منتبهاً بشكل

خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظواهر الطبيعية ، لقد اندهلني بيقظة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظواهر وهي تفاصيل لا يمكن أن تدرك إلا

في النص الاطلي ، اندهلتنيمطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن هذه الظواهر نفسها ) ١٥ وقال (٤) : ( فالقرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد العلمي من وجهة نظر العلم في العصر الحديث ، وعلى حين أن هذا الاختلاف بين العلم ونصوص العهد الجديد موجود ) ١٥

(١) من ضمن الحملات المحمومة ضد القرآن والاسلام ادعاء الملحدين والمنصرين ان

القرآن فيه آيات تخالف ما اثبتته العلم الحديث وذلك بحملهم بعض الآيات على غير محلها من اجل الطعن في القرآن ، وارتدت في هذا المبحث دحض تلك الافتراءات وقد خصصت فصلاً في هذه الرسالة للآيات الكونية في الباب الثالث فليُنظر ، ولمعرفة مصدر

هذه الافتراءات ودوافعها انظر : رد مفتريات على الاسلام د : عبد الجليل ثلبي ص : ١٢٩ - ١٣٠ (٢) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ١٣ - ١٤ ( فكرة اعجاز القرآن / ٢٤٧ )

(٣) نفس المرجع ص ٢٤٩

وأكثر مَنْ جمع في هذا وأطال : الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره (١) حيث ذكر أن في القرآن من آيات العلوم ما يربو على خمسين وسبعمائة لية وهو يدل بذلك على مدى اهتمام القرآن بتنمية التفكير العلمي لدى المسلمين وبيان موافقة القرآن لكل معطيات العلم بدون اختلاف أو تضاد (٢) ومن العلماء الذين تصدوا لهذا الوجه الشيخ عبد الرزاق نوفل حيث يقول : (٣) وكلما وصل العلم الى الحقيقة مستقبلاً وجد أن القرآن قد سبقه اليها وسبق قوله بها (٤) وقال (٥) : (وتتضمن هذه الآيات الكثير من الحقائق والقوانين العلمية الفلكية التي لم تعرف إلا في العصر الحاضر .) ومنهم الدكتور عبد العليم خضر في كتبه : (سلسلة العلم والقرآن) ويقول في مقدمة كتابه : (الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن) عند ذكر منهجه في البحث واهدافه منه يقول (٦) أنه يقوم على : (اثبات أن منهجية القرآن ترسم الطريق لمنهجية البحث العلمي الجغرافي ملخصة في قوله تعالى : (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وما تُغني الآيات والنظر عن قوم لا يؤمنون) يونيو / ١٠١ - اثبات صدق الرسول الامين محمد - صلى الله عليه وسلم - من خلال إبراز الإعجاز العلمي في مجال الظواهر الجغرافية التي نطق بها محمد النبي الامي الذي لم يطلع على علوم الهيئة والبلدان وصورة الارض ، وإنما كان ما قاله وحياً يوحي اليه من السماء .) اهـ وبعد فالذين تبناوا هذا المنهج وهذه الفكرة أكثر من أن يُحصى ، وهدفهم الوحيد اثبات وبيان أن القرآن لا يختلف ولا يتعارض مع معطيات العلم الحديث التي تقررت واصبحت من الحقائق ، وان القرآن قد اشار الى بعضها والقرآن الكريم اهدافه من ذلك ويحتاج ايناحها الى بحث خاص (٥)

والذكر فيما يلي أحد الامثلة التي ذكرها القرآن الكريم والتي لم يتجلى معناها على وجه الدقة الا في هذا العصر الذي تقدمت فيه العلوم واستطعننا بواسطتها ادراك بعض الحقائق التي اشار اليها القرآن ونبه عليها ، ذلك ان كتاب الله تعالى مخاطب به كل احد من الانس والجن مسلمهم وكافرهم ، فالمسلم يزداد ايماناً وبصيرة ، والكافر يصحو من جهل وعناده وجحوده وكفره لما يرى من آيات الله المسطورة التي توافق آياته المناورة في هذا الكون الفسيح الذي يدل على بارئه ومقتنه ومبدئه

(١) راجع تفسير الجواهر ص : ٣

(٢) معجزة الارقام والترقيم في القرآن الكريم ٢٩ (٣) نفس المرجع / ٤٣

(٤) ص : ١٠ - ١٢

(٥) انظر : فصل موهم الآيات الكونية في الباب الثالث من هذه الرسالة

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد  
وليس هناك مانع شرعي أو عقلي يمنع أي جيل من الاجيال ان يفهم بعض  
آيات القران على وجه غير الذي فهمه السابقون بناءا على ادلة ثابتة  
وصحيحة ، وعلى وجه لا ينتقص افهام علمائنا الاماض الذين فسرنا كتاب الله  
وبذلوا جهدهم في ذلك فنحن إنما نبنه على جهودهم ، وهم قد أدوا واجبهم  
بناءا على ما لديهم من معلومات وحقائق ولهذا فقد ورد عن الصحابي الجليل  
علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ما يشير الى ما تقدم وهو قوله عندما  
سئل : ( هل عندك من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيء سوى القران ؟  
فقال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلا أن يُعطى الله عبدا فهما في  
كتابه ، أو ما في الصحيفة ، قلت : وما في الصحيفة ؟ قال : العقل  
وفكك الاسير وان لا يقتل مسلم بكافر ) (١)  
كما ان الاشياء التي تصبح من الحقائق وتكون معلومة مسلمة في اي عصر  
ولم تكن معروفة في العصر الذي قبله ونجد مصداقها في كتاب الله هو ما  
يشير اليه قوله تعالى : ( سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين  
لهم أنه الحق ) - فطت / ٥٣ -

من أمثلة ذلك قوله تعالى :  
( خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار  
ويكور النهار على الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ، الا  
هو العزيز الغفار ) - الزمر / ٥ -  
هذه الاية الكريمة من كتاب الله تناولها علماء التفسير في عصرنا هذا بالبحث  
والتدبر ، وذكروا انها تشير صراحة الى ما تقرر وثبت واصبح من الحقائق  
المسلمة من أن الارض التي نعيش عليها تاخذ الوضع الكروي اجمالا ، وهو أمر  
لم يكن معروفا زمن نزول القران وإنما هو وحي يوحى ،  
وسوف أبين دلالة هذه الاية على ما ذكرته من كروية الارض وانه لا اختلاف  
بين الايات القرانية ومعطيات العلم

وأبدأ ببيان تفسير العلماء المتقدمين لمعنى التكوير في الاية :  
يقول الامام ابن جرير الطبري (٢) رحمه الله : عند تفسير قوله تعالى :  
( يكور الليل على النهار )

يقول : يغشي هذا على هذا ، كما قال : ( يولج الليل في النهار ويولج  
النهار في الليل ) ، واسند عن ابن عباس قوله : ( يحمل الليل على النهار )  
واسند عن ابن زيد قوله : ( حين يذهب بالليل ويكور النهار عليه ، ويذهب بالنهار  
ويكور الليل عليه )

(١) اخرجه البخاري / كتاب الديات ، باب لا يقتل مسلم بكافر ج٨ / ٤٧  
واحمد في مشنده : ج٣٥ / ٣٥ ، والحميدي في مشنده ج٢٤ / ٢٤ بالفاظ متقاربة عن ابي جحيفة

قال : سالت عليا رضي الله عنه ١٠٠٠٠ الحديث  
(٢) تفسير الطبري ج٢٣ / ١٢٣ طبعة دار المعرفة ط٢

(١)

ويقول ابن كثير رحمه الله : ( أي سخرهما يجريان متعاقبين لا يقران كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا ، كقوله : ( يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ) الاعراف/٥٤ -

هذا معنى ما رُوي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي (٠) اهـ

ويقول الرازي<sup>(٢)</sup> رحمه الله : ( والمراد من هذا التكوير أنه يزيد نسي

كل واحد منهما بقدر ما ينقص من الآخر ، والمراد من تكوير الليل والنهار

ما ورد في الحديث : (نعوذ بالله من الحور بعد الكور) (٣)

أي : من الأدبار بعد الأقبال ، وأعلم أن الله سبحانه وتعالى عبر عن

هذا المعنى بقوله : ( يكور الليل على النهار ) ويقوله : ( يغشي الليل النهار )

ويقوله : ( يولج الليل في النهار ) اهـ

ويقول الأوسى<sup>(٤)</sup> رحمه الله : ( وقوله تعالى : ( يكور الليل على النهار

ويكور النهار على الليل ) بيان لكيفية تصرفه فيما ذكر بعد بيان

الخلق ، فإن حدوث الليل والنهار منوط بتحريك أجرام سماوية ، والمراد

على ما رُوي عن قتادة يغشي أحدهما الآخر ، فالمغشي حقيقة المكان ، ويجوز

أن يكون المغشي الليل والنهار على الاستعارة ويكون المكان ظرفا ،

والمقصود أنه لما كان أحدهما غاشيا للآخر أشبه اللباس الملفوف على لابس

في ستره بإياه واشتماله عليه وتغطيه به ، وتحقيقه : أن أحدهما لما كان

محيطا على جميع ما أحاط به الآخر من غير أن يكون ثم شيء زائد غير الظهور

والخفاء جعل إحاطته على محاط الآخر إحاطة عليه مجازا لملابسته ، وعبر

عنها بالغشيان والتكوير للشبه المذكور (٠٠٠) اهـ

قلت : هذه أقوال السابقين في هذه الآية الكريمة ، وانتقل الآن إلى

بيان أقوال المعاصرين من العلماء وما فهموه من المراد بالآية :

يقول الشيخ المراغي<sup>(٥)</sup> رحمه الله في تفسير الآية :

( أي يغشي كلا منهما الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس ، أو يجعلهما

في تتابعهما أشبه بتتابع أكوار العمامة بعضها على بعض ، ألا ترى إلى

الأرض وقد دارت حول نفسها وهي مكورة فأخذ النهار الحاد من مقابلتها

للمشمس يسير من الشرق إلى الغرب ويلف حولها طاويا الليل ، والليل

من الجهة الأخرى يلتف حولها طاويا النهار ، فالأرض كالرأس والظلام

والضياء يتتابعان تتابع أكوار العمامة يلتفتان متتابعين حولها ، وفي

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٤ / ٧٠ الزمر/٥

(٢) التفسير الكبير : ج ٢٦ / ٢٤٣

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر يتعوذ من وعشاء السفر وكآبة المنقلب

والحور بعد الكور (٠٠٠) الحديث ( كتاب الحج / باب استحباب الذكر إذا ركب دابته

شرح النووي / ٩ : ١١١ ) وأخرجه الترمذي في الدعوات / باب ما يقول إذا خرج مسافرا ج ٥ / ٤٩٧

(٤) روح المعاني للآلوسي ج ٢٤ / ٢٣٨

(٥) تفسير المراغي : ج ٢٢ / ١٤٥



وفي هذا إيحاء الى كروية الأرض أولا ، والى دورانها حول نفسها ثانيا فتكوير الارض ظاهر الاية ، ودورانها أتى تابعا بالرمز والإشارة (٠) اه (١) :

(يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل )

وهو تعبير عجيب يقسر الناظر فيه قسرا على الالتفات الى ما كُشف حديثا عن كروية الارض، ومع أني في هذه الظلال حريص على ألا أحمل القرآن على النظريات التي يكشفها الانسان لأنها نظريات تخطيء وتصيب ، وتثبت اليوم وتبطل غدا ، والقران حق ثابت يحمل آية صدقه في ذاته ولا يستمدها من موافقة أو مخالفة لما يكشفه البشر الضعاف المهازيل ، مع هذا الحرص فان هذا التعبير يقسرنى قسرا على الناظر في موضوع كروية الارض ، فهو يصور حقيقة مادية ملحوظة على وجه الارض ، فالارض الكروية تدور حول نفسها في مواجهة الشمس ، فالجزء الذي يواجه الشمس من سطحها المكور يخمره الضوء ويكون نهارا ولكن هذا الجزء لا يثبت لان الارض تدور وكلما تحركت بدأ الليل يخمر السطح الذي كان عليه النهار ، وهذا السطح مكور ، فالنهار كان عليه مكورا والليل يتبعه مكورا كذلك ، وبعد فترة يبدأ النهار من الناحية الاخرى يتكور على الليل ، وهكذا في حركة دائبة : (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ) واللفظ يرسم الشكل ويحدد الوضع ويعين نوع طبيعة الارض وهركتها ، وكروية الارض ودورانها يغسران هذا التعبير تفسيراً أدق من أي تفسير آخر لا يستصحب هذه النظرية (٠) اه

قلت : وقد أجاد رحمه الله في تفسيره لهذه الاية كعادته دائما مع

الدقة في التعبير والحرص على عدم التكلف في التفسير ، وهو يشير الى أن المعلومات الحديثة والحقائق الجديدة المكتشفة تعين على تفسير بعض الايات وفهم المراد منها مصداقا لقوله تعالى :

( سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق )

ونلاحظ من خلال استعراض اقوال المفسرين قديما وحديثا حول الاية أنه لا تعارض بين اقوالهم ، حيث إن إعجاز القرآن يتجلى في هذه الاية ، فلفظ التكوير يحتمل جميع المعاني التي أوردها المفسرون وكلها تؤدى الى مفهوم واحد مشترك بين جميع المعاني ، فاختلاف الليل والنهار والزيادة والنقص في كل منهما وإيلاج أحدهما في الاخر وتعاقبهما واتخاذهما الوضع الكروي على الارض بسبب أنها ظرف لهما ، كل ذلك يحتمله لفظ التكوير الوارد في الاية قال في اللسان (٢) : ( الكور : لوث العمامة يعني ادارتها على الرأس

وقد كورتها تكويرا ، وكل دارة من العمامة كور )

فالتكوير هو اللف والاحاطة على جهة الاستدارة كما في تكوير العمامة وتكوير

الليل على النهار بسبب استدارة الارض التي هي ظرف لهما

وبهذا الذي تقدم نرى كيف ان الاية صريحة في الإشارة الى كروية الارض

(١) في ظلال القرآن ج٥ / ٣٠٣٨

(٢) لسان العرب مادة كور ج٥ / ١٥٥ وانظر : تاج العروس ج٣ / ٥٣٠

وَأَنَّ لَفْظَ التَّكْوِيرِ فِي آيَةِ يَصِفُ انْزِلَاقَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَكَأَنَّهُمَا نَمَطَا كُرَّةٍ تَمَامًا ، وَمَعْنَى آيَةِ عَلَى هَذَا : أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَحِيطَانِ بِالْكُرَّةِ الْأَرْضِيَّةِ فَهِيَ مَكُورَانِ حَوْلَهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ (١)

وهذه الآية كغيرها من الآيات تدل على أن منزل هذا القرآن هو خالق هذا الكون ولذا لا بد من تصديق الآيات المسطورة للآيات المنزورة وتعاضدهما في الدلالة على رب الوجود وخالق الكائنات الذي أحكم وأتقن كل شيء (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) - الملك / ١٤ -

وكل ذلك يدل على أن النبي محمداً الامي الذي لم يطالع في الكتب ولم تتقدم العلوم في عصره لا يمكن أن يأتي بمثل هذه المعلومات وهذه الحقائق إلا عن طريق الوحي ، وصدق الله إذ يقول : ( وَلَئِنْ لَتَلَقَّ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ) - النمل / ٦ -

ولا ينافي كروية الأرض ما جاء من آيات فيها لفظ البسط والمد والفرش ، كقوله تعالى : ( وهو الذي مدَّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ) - الرعد / ٣ -

وقوله : ( والأرض فرشاً لها فنعم الماهدون ٠٠٠ ) - الذاريات / ٤٨ -

وقوله : ( والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً ) - نوح / ١٩ -

فهذا كله لا ينافي الكروية لأن المراد من معاني المد والفرش والبسط ونحو ذلك المراد منه : ما يحصل به الانتفاع لمن حلَّ في الأرض حيث إن الآيات جاءت في معرض الامتنان وتهيئة الأرض للمعيشة كما قال الباري :

( لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً )

فمن فضل الله ونعمته أنه جعل الأرض مبسوطة ممدودة لكل أحد مع أنها مكورة في جملتها ، وفي هذا غاية الدلالة على القدرة والمنة معاً ،

وجاء ذلك من عظم حجم الأرض ، فالكرة العظيمة لعظمتها ترى سطحها مستويًا وكأن كل قطعة منها سطح مفروش يصح القعود والنوم عليه ، كما أن الكرة كلها عظمت قررت أقواس سطحها من الخط المستقيم (٢)

كما أنه من المعلوم أن الأرض ليست كلها مبسوطة بل فيها الجبال والتعاريح ونحو ذلك فيكفي في النعمة علينا أن يكون فيها بساط ومواقع مسطوحة يمكن التصرف عليها وليس يجب أن يكون جميعها كذلك ، فقوله : ( وجعل لكم الأرض فراشاً ) ونحو ذلك من الآيات لا يقتضي الإشارة إلى جميع الأرض وجملتها بل إلى مواقع منها يصح بها الامتنان حيث إننا نعلم بالمشاهدة أن قسي

(١) انظر : معجزة القرآن للشيخ محمد متولي شعراوي ، ص /

حوار مع صديقي الملحد : لمصطفى محمود ، ص / ٤٨

وجوه من الاعجاز القرآني / لمصطفى الدباغ ، ص / ١٣٢ - ١٣٣

(٢) انظر : المسلمون وعلم الفلك / الشيخ محمد الصواف ، ص / ٤٤ - ٤٨

الزد القرآني / عبد الله كنون ، ص / ٢٨ حيث رد عليه على أحد الملحدين الذي أوهم أن القرآن ينفي كروية الأرض في قوله : ( وهو الذي مدَّ الأرض ) ونحوها

في الارض ما ليس ببساط ولا فراش<sup>(١)</sup>

وحول هذا يقول الرازي<sup>(٢)</sup> : ( إنه ثبت بالدلائل أَنَّ الارض كرة فكيف يمكن

المكابرة فيه ؟ فإن قالوا : وقوله : ( مدَّ الارض ) يُنافي كونها كرة فكيف

يمكن مدّها ؟ قلنا : لانسَلَم ، إِنَّ الارض جسم عظيم والكرة إذا كانت

في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح . اهـ

وقال الآلوسي<sup>(٣)</sup> : ( الحق الذي لا ينكره إلا جاهل أو متجاهل أن ما ظهر

منها كزِّي حسا ، ولذلك تختلف أوقات الصلاة في البلاد فقد يكون الزوال

ببلد ولا يكون ببلد آخر ، وهكذا الطلوع والغروب وغير ذلك ،

نعم إنَّها لعظم جرمها يُشاهد كل قطعة وقطر فيها كأنَّه مسطح ، وهكذا كل

دائرة عظيمة ، وبذلك يُعلم أنه لا تنافي بين المد وكونها كرية . اهـ

قلت : كما أنَّ لفظ المد والفرش والبسط من الادلة على كرية الارض

وذلك لانه لا يصح أن تكون الارض مبسوطة لكل أحد إلا إذا كانت بشكل

الكرة بحيث يراها كل من عليها مبسوطة ، ولو كانت الارض مستوية بجملتها لكان

الذي بطرفها لا يراها مبسوطة عند آخرها ، فلما كانت مبسوطة لكل احد

بمراى العين دل ذلك على كريتها

فثبت بذلك أن هذه الاغاظ وهي البسط والمد والفرش تدل على الكرية مع

ما فيها من بيان المنة من الله لعباده بتهيئة الارض وعدادها للمعيشة )

كما قال الباري : ( والارض فرشناها فنعم الماهدون ) - الذاريات / ٤٨ -

وقال : ( والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبيلا فجاجا ) - نوح / ١٩

(١) انظر : آمالي المرتضي ( للشريف علي بن الحسين المرتضي ت ٤٢٦ )

حيث رد فيه على ابي علي الجبائي الذي استدل بقوله تعالى :

( والله جعل لكم الارض بساطا .. ) على بطلان ما قيل من ان الارض

كرية الشكل

(٢) تفسير الرازي ج ١٩ / ٣ ، ج ٤٤ / ١٩٢

(٣) روح المعاني للآلوسي ج ١٥ / ٩١ ، ج ٢٩ / ٩٤

## الفوائد المستنبطة من الآية

بعد أن انتهيت من تفسير الآية لبدّ من بيان أهم الفوائد والإرشادات المستنبطة من الآية :-

أولاً : وجوب التدبر في القرآن (١) لمعرفة معناه ومرماه ، وللوقوف على بلاغته ونظمه ، وتأثيره وحسنه ، وأمره ونهييه وبالتالي معرفة ما فيه من توافق وتعاضد والتثام ، فتدبر القرآن فرض على كل مكلف بحسب طاقتة وقدرته ولذلك لا بدّ من معرفة لغة القرآن مفرداتها وأساليبها (فهي التي يجب على من دخل في الاسلام ومن نشأ فيه أن يتقنها بقدر استطاعته ، وليس تعلم هذه اللغة ولا غيرها من اللغات بالأمر العسير فقد كان الأعاجم في القرون الأولى يحذقونها في زمن يسير حتي يزاحموا الخلف من أهلها في بلاغتها ، وإنما يراه أهل هذه الاعمار عسيرا لانهم شغلوا عن اللغة نفسها ) (٢)

ولذلك فلا عجب في ظهور دعوات خبيثة بين الحين والآخر لاستبدال الفصحى بالعامية ، ذلك أن أعداء الاسلام يكيّدون له من كل جهة وموبأ ويستخدمون تلاميذهم من أبناء جلدتنا ليث هذه الافكار المسمومة وذلك من أجل العمل على تقويض لغة القرآن ، وبالتالي عدم القدرة على تدبر كتاب الله والنظر فيه ، والنتيجة هي ابتعاد المسلمين عن احكام القرآن وتشريعه ومن ثم انحطاطهم وتأخرهم وبقاء السيادة لأعداء الاسلام ، وهذا هو الهدف الذي يخططون له ليل نهار (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين )

وفي هذا المجال يقول السيد محمد رشيد رضا (٣) :

(وتدبر القرآن وتأمل ما يهدي اليه بأسلوبه الذي امتاز به هو طريق الهداية القويم وصراط الحق المستقيم ، فإنه يهدي صاحبه الى أنه من عند الله والى وجوب الاهتداء به لكونه <sup>من</sup> عند الله الرحيم بعباده العليم بما يصلح به امرهم مع كون ما يهدي اليه معقولا في نفسه لموافقته للفطرة وملائمته للمصلحة ) اهـ

قلت : فالمسلمون لو استقاموا على تدبر القرآن والاهتداء بهديه لما فسدت أخلاقهم واحوالهم ولما ظلم واستبد حكامهم ولما زال ملكهم

(١) الجامع لاحكام القرآن / المقرطبي ج ٥ / ٢٩٠

(٢) تفسير المنار / محمد رشيد رضا ج ٥ / ٢٩٥ بتصريف

(٣) المرجع السابق/ نفس الموضوع

وسلطانهم ، ولما عاروا عالة في معاشهم وأسبابها على سواهم من أعداء الاسلام ، ، وكل ما اصابهم من ذلك هو عقوبة لهم من الله حتى يرجعوا لتدبر القرآن وفيهم معانيه والعمل به) قال تعالى :  
( ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلمهم يرجعون )  
- السجدة / ٢١ -

ثانيا : الآية فيها رد على فساد قول من قال : لا يؤخذ من التفسير الا ما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ومنع من أن يُتاول على ما يسوغه لسان العرب (١)

قال الاوسي (٢) : ( ويُستدل بالآية على فساد قول من زعم أن القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير النبي - صلى الله عليه وسلم - أو الامام المعصوم كما قال الشيعة ) ١٥

وقال الرازي (٣) : ( دلت الآية على ان القرآن معلوم المعنى خلاف ما يقوله من يذهب الى انه لا يعلم معناه الا النبي - صلى الله عليه وسلم - والامام المعصوم ، لانه لو كان كذلك لما تهيأ للمنافقين معرفة ذلك بالتدبر ولما جاز أن يأمرهم الله تعالى به وأن يجعل القرآن حجة في حجة نبوته، ولا أن يجعل عجزهم عن مثله حجة عليهم ) ١٥

قلت : وكلامه في غاية النفاسة ، فكتاب الله تعالى مخاطب به كل احد ولا تنقضي عجائبه ولا تُحصى فوائده ، ويؤيد هذا الاستدلال :  
ما رواه الامام البخاري (٤) واحمد في مسنده (٥) عن أبي جحيفة قال : قلت لعلي بن أبي طالب : هل عندك من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيء سوى القرآن ؟ فقال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلا أن يُعطي الله عبداً فهماً في كتابه ، أو ما في الصحيفة ، قلت : وما في الصحيفة ؟  
قال العقل وفكاك الاسير وأن لا يُقتل مسلم بكافر .

---

(١) تفسير القرطبي ج٥ / ٢٩٠ ، نظم الدرر المبقاع ج٥ / ٣٤٠

(٢) روح المعاني للالوسي ج٥ / ٩٣

(٣) مفاتيح الغيب ج١٠ / ١٩٧

(٤) صحيح البخاري / كتاب الديات / باب : لا يقتل مسلم بكافر ج٨ / ٤٧

(٥) مسند احمد ج٢ / ٣٥ ومسند الحميدي ج١ / ٢٣

ثالثا : - في الآية دليل على الأمر بالنظر والاستدلال ، والأخذ بالدليل والحجة وبطلان التقليد في حق من هو أهل للتدبير والاستنباط وفهم النصوص (١) قال الرازي (٢) : (دلت الآية على وجوب النظر والاستدلال لأنه تعالى أمر المنافقين بالاستدلال بهذا الدليل على صحة نبوته ٠) اهـ

قلت : إن كثيرا من الذين تشببه عليهم نصوص القرآن ويتوهمون وجود تعارض بين بعض آياته إنما هو نتاج قلة النظر والتدبير وعدم فهم النصوص وقد أوضح هذا الأمر الامام الشاطبي رحمه الله فقال (٤) : (فإن قوما أغفلوا هذا الأمر ولم يُمعنوا النظر حتى اختلف عليهم القمهم في القرآن والسنة فأحالوا بالاختلاف عليها ، تحسينا للظن بالنظر الاول ، وهذا هو الذي عاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من حال الخوارج حيث قال : (يقرأون القرآن لا يُجاوز حناجرهم) (٥) فومضهم بعدم الفهم للقران ، وعند ذلك خرجوا على أهل الاسلام ، ثم لم يزل هذا الاشكال يعتري اقواما حتى اختلفت عليهم الايات والاحاديث وتدافعت على افهامهم فجمعوا به قبل إمعان النظر ٠) وقال (٦) : (فإن الذي عليه كل موفق ان الشريعة لاتناقض فيها ولا اختلاف ، فمن توهم ذلك فيها فلم يمعن النظر فيها ولا أعطى وحي الله حقه ، ولذلك قال تعالى : ( أفلا يتدبرون القرآن ٠٠٠٠ ) فحظهم على التدبير أولا ثم أعقبه : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فبين أنه لا اختلاف فيه ، والتدبير يعين على تمديق ما أُخبر به ٠) اهـ

(١) نظم الدرر للبقاعي : ج ٥ / ٣٤٠

تفسير القرطبي ج ٥ / ١٩٠ ، روح المعاني للالوسي ج ٥ / ٩٢

(٢) في تفسيره مفاتيح الغيب ج ١٠ / ١٩٧

(٤) الاعتصام ج ٢ / ٣١١

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب الانبياء ، باب قول الله تعالى : والى عاد اخاهم هودا ٠٠) ج ٤ / ١٠٨ عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ومسلم في كتاب الزكاة ، باب التحريض على قتل الخوارج عن علي رضي الله عنه

(٦) الاعتصام ج ٢ / ٣١٧ بتصرف قليل

رابعاً : - تُرشد الآية الى أنَّ تدبر القرآن ودوام الصلوة به يجعل العبد دائم المراقبة لله لدوام شعوره بأنَّ هذا الكلام من الله تعالى وأنَّ العبد مطالب بدوام الخشية لهذا الرب المعبود ، قال البقاعي<sup>(١)</sup> : ( فإذا علموا أنه من عند الله بهذا الدليل القطعي حفظوا سرائرهم كما يفظوا علانياتهم لان الامر بالهاعة مستور في السر والعلن ) اهـ

قلت : وقد أثنى الله عز وجل على عباده الذين يتلون كتابه آناء الليل وأطراف النهار ويتدبرونه ، قال تعالى :

( فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ) - الزمر / ١٧ -

وقال تعالى : ( والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها عما وعميانا ) - الفرقان / ٢٣ -

وقال : ( انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ) - الانفال / ٨ -

خامساً : - ان القرآن هو القول الغملي والحكم العدل بين جميع

المتنازعين وهو مرجح المختلفين ، وفي هذا يقول الشاطبي<sup>(٢)</sup> رحمه الله : ( وإذا ثبت أن القرآن في نفسه لا اختلاف فيه صح أن يكون حكماً بين جميع المختلفين ، لانه إنما يُقرر معنى هو الحق والحق لا يختلف في نفسه ، فكل اختلاف صدر من المكلفين فالقران هو المهيمن عليه ، قال تعالى : فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ) - النساء / ٥٩ -

فهذا دليل على ان الحق فيه واضح وان البيان فيه شافئ ، لاشيء بعده يقوم مقامه ، وهكذا فعل الصحابة رضي الله عنهم لأنهم كانوا اذا اختلفوا في مسألة ردوها الى الكتاب والسنة ، وقضايهم شاهدة بهذا المعنى ) اهـ والشاطبي رحمه الله يستنبط من الآية دلالتها على وجوب تحكيم كتاب الله في كل شؤون الحياة وفي كل مسألة يتنازع فيها ، وهو في ذلك محقق لان كتاب الله انما انزل ليعمل به وليكون منها سعادة البشر في الدارين ، فالاعراض عنه وهجر تحكيمه في شؤون الحياة يعوي حتما الاختلاف والتنازع وبلوغ درك الشقاء ولذلك فإنه لاعزة ولا فلاح للمسلمين الا بالرجوع لكتاب الله وسنة نبيه ، روى الحاكم<sup>(٣)</sup> ومالك في الموطأ<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنه

(١) نظم الدرر في تناسب الاي والسور ج ٥ / ٢٤٠

(٢) الاعتصام ج ٢ / ٣٠٩

(٣) المستدرک ، کتاب العلم ج ١ / ٩٣ باسانيد صحيحة (٤) كتاب القدر ج ٢ / ٨٩٨

والحديث صححه الشيخ الالباني في سلسلة الاحاديث الصحيحة ج ٤ / ٣٦١

أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع :  
( ٠٠٠ ) إني قد تركت فيكم ما إن اعتمتم به فلن تظلوا أبداً ، كتاب الله  
وسنة نبيه )

والتمسك بكتاب الله هو المصلح الوحيد لحياة البشر بسبب أنه لا يختلف مع  
واقع كل مجتمع في كل زمان ، ذلك أنه تنزيل الحكيم الخبير  
أما تشريعات العباد فانها تتناقض مع كل واقع وكل ظرف ذلك انها صدرت  
من عقل ينقمه الكمال وعلم بالظاهر دون باطن الحال ، فلا ريب ان  
يكون الاختلاف سمتها المميزة ذلك أنها من عند غير الله  
قال الشاطبي بعد كلام (١) : ( واذنا تقرر ذلك فعلى الناظر في نصوص الشريعة  
أن يراعي أمرين ، الاول : النظر اليها بعين الكمال لا بعين النقصان وان  
الخروج عنها تيه وذل ، فالزائد والمنقص في جهتها هو المبتدع باطلقه  
والمنحرف عن الجادة

الامر الثاني : ان يوقن انه لاتضاد بين آيات القرآن ولا بين الاخبار النبوية  
ولا بين احدهما مع الاخر بل الجميع جار على مهيج واحد ، ومنتام الى معنى  
واحد ، فإذا أداه بابي الوأي الى ظاهر الاختلاف فواجب عليه ان يعتقد  
انتفاء الاختلاف لأن الله قد شهد له أنه لا اختلاف فيه ، فليقف وقوف المضطر  
السائل عن وجه الجمع ، أو المسلم من غير اعتراض ) اهـ

### سادسا : تكريم الادراك البشري

وقد عبر عن هذه الغائدة الشهيد سيد قطب فقال (٢) :

( الامر بالتدبر في الآية الكريمة فيه تكريم للادراك البشري والعقل  
الانساني ، واحترام هذا الكائن البشري وادراكه الذي وهبه له الخالق

المنان حيث عرض الله عليهم الاحتكام في امر القرآن الى ادراكهم وتدبر  
عقولهم ، فكل جيل له ادراكه وفهمه وقدراته ، لذا تنوعت الاداة التي  
تضمنها هذا القرآن للدلالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم - وأن ما جاء

به هو من عند الله ، ولا بد من ملاحظة هذا التكريم الذي كرمه الله  
للانسان بهذا التحكيم لاينبغي أن يكون سبيلا الى الغرور وتجاوز الحد  
فيجب أن نحترم الادراك البشري بالقدر الذي أراد الله له من التكريم

في مجاله الذي يحسنه ثم لا نتجاوز به هذا المجال كي لا نمضي في التيه بلا دليل ) اهـ

(١) الاعتصام : ج٢ / ٣٠٩

(٢) في ظلال القرآن : ج٢ / ٧٢٣ مع بعض التصرف



قلت : وإن التيه والغرور قد يبلغ ببعض الناس الى أن يقدم رأيه وظنه على أحكام الشارع ونصوصه الثابتة ، محتجا بأن هذه النصوص لا تصلح لهذا الزمان أو هذا المجتمع ، أو أن فيها قسوة مثلا وذلك في أحكام العقوبات وإنما أتى هذا من ضعف إيمانه أو زيغ قلبه أو جهله بأحكام الشرع واهدافه وغاياته والمنافع التي تُرجى من تطبيقه ، وإنما ترسخت هذه الوسوس في قلبه من قلة تدبره في معاني النصوص ومراميها ، وغروره بعقله وإدراكه ولو تأمل قليلا ونظر بعين الحكمة والانصاف لتواضع لخالقه وأيقن بجهل نفسه وحيادها عن الصراط المستقيم

سابعاً : - استنبط بعض العلماء أن الإعجاز حاصل لكل مخلوق من إنس وجن وملائكة لشمول قوله تعالى : ( ولو كان من عند غير الله ) قال البيضاوي (١) عند تفسير قوله تعالى : ( قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ) - الاسراء : ٨٩ - قال : ( ولعله لم يذكر الملائكة لأن إتيانهم بمثله لا يخرجهم عن كونه معجزا ولأنهم كانوا وسائط في إتيانه ) اهـ وقد رد عليه العلامة ابن كمال باشا بقوله (٢) : ( ان الملائكة عاجزون عنه ايضا لقوله تعالى : ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) ثم علل عدم ذكر الملائكة في الآية بأن الملائكة لا يخرجون عن أمر الله وطاعته لأنهم معصومون ، وكذا قال الشهاب الخفاجي ، وأضاف بان التحدي ليس معهم والتصدي لمعارضته لا يليق بشأنهم لعصمتهم ، وانه يكفي في الإعجاز عجز من تحداه به (٣) قلت : كون الملائكة معصومين عن الخروج عن امر الله لا يمنع افتراض مآثرتهم للانس والجن لبيان عجز الجميع عن الاتيان بمثل القرآن وذلك ابلغ في الإعجاز ، ولكن الذي يظهر لي ان عدم ذكرهم في الآية سببه والله اعلم ان الملائكة غير مكلفين والمقصود في الآية تحدي المكلفين وبيان عجزهم (٤) للدلالة على صحة النبوة باثبات ان القرآن ليس من كلام بشر أو جن ، فلو اعترض معترض بأنه يمكن أن يكون من كلام الملائكة فذلك اعتراف منه بوجودهم وهم من المغيبات التي ذكرت في القرآن ، واعترافه بوجودهم هو المطلوب ، لان المفترض ان منكر كون القرآن من كلام الله جاحد للمغيب مطلقا والملائكة من المغيبات وطريق معرفتها هو القرآن ، اضافة إلى ان الاجتماع على الاتيان بمثل القرآن اجتماع على محال ، والملائكة

(١) انوار التنزيل / ص : ٣٨٣

(٢) نقله عنه نعيم الحمصي في كتابه : فكرة اعجاز القرآن ص : ١٦٦

(٤) عدم تكليف الملائكة هو قول الجمهور من العلماء ، انظر : لوامع الانوار البهية للسفاري ج ٢ / ٤٠٩

(٣) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ج ١ / ٥٨

ليس من شأنها ذلك بعكس المكلفين الذين ينتابهم النقص فقد

يقومون بما هو محال في نفسه لعدم إحاطتهم بالأمر

وقيل : الملائكة داخلون في عموم لفظ الجن وذلك لاستتارهم (١)

قلت : وهذا غير صحيح لأن لفظ الجن في عموم الشرع علم على تلك

المخلوقات النارية قال تعالى :

(والجان خلقناه من قبل من نار السموم) - الحجر / ٢٧ -

وروى الامام مسلم<sup>(٢)</sup> عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم - ( خلقت الملائكة من نور و خلقت الجن من نار

وخلق آدم مما وصف لكم )

فالشارع فرق بين الملائكة والجن في اطلاقه فدل ذلك على أنهما متغايران

إذا أطلق احدهما لم يُرد به الاخر أو كلاهما حتما

(٣)

ثامنا : - قال القاسمي رحمه الله : (وفي بقية الآية العذر للمصنفين

فيما يقع لهم من الاختلاف والتناقض لان السلامة من ذلك من خصائص

القران ) ٠ اه

تاسعا : - الآية فيها أن هؤلاء المنافقين لم يجدوا في القران اختلافا ،

وإلا لأعلنوه ، ولذلك قال تعالى ( لوجدوا فيه ٠٠٠ ) أي أنهم لم يجدوا ،

فنعى الله تعالى عليهم نفاقهم وكفرهم مع وجود العجة عليهم وهو هذا

الكتاب : ( أولم يكفهم أنا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ٠٠ )

وهذا الذي حصل منهم وهو النفاق والكفر أعظم دليل على أن الجحود

والحسد من اعظم اسباب الكفر والاحاد ، وكذلك الغفلة ومرض القلب

بالشبهات والشهوات .

(١) والمقصود ان لفظ الجن في اللغة تعم كل ما خفي عن الانظار

لانها مأخوذة من مادة جنن بمعنى استتر

انظر : لسان العرب ج١٢/١٢٢ مادة : جنن ، تفسير غريب القران لابن قتيبة / ٢١

روح المعاني ج١٥ / ١٦٦ ، فكرة اعجاز القران : ٢٠٤

(٢) صحيح مسلم : كتاب الزهد ، باب في احاديث متفرقة / ( شرح النووي : ج١٨ / ١٢٢ )

(٣) محاسن التأويل للقاسمي : ج٢ / ٣٢٢

## الفصل الرابع : سلامة القرآن من الاختلاف من أدلة النبوة

بعد شرح الآية التي تُرشد الى تدبر القرآن والنظر فيه للاستدلال  
بسلامة القرآن من الاختلاف على كونه من عند الله ، انتقل الان الى تقرير  
مضمون الآية ، وتجليه ما تضمنته من الدلالة على نبوة خاتم المرسلين  
مستدلا بأقوال العلماء الذين أثبتوا هذا الوجه كدليل من أدلة النبوة  
فاقول : تكلم العلماء في إعجاز القرآن ووجوه إعجازه ، وبيان القدر المعجز  
منه ، ودلالة الإعجاز القرآني على نبوة الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
وكيف أنَّ الله سبحانه قد تحدى العرب أهل اللغة والانس والجن جميعا على  
أنْ يأتيوا بمثله أو بسورة من مثله ،  
ثم ذكر العلماء الغاية التي من أجلها جعل الله سبحانه معجزة الرسول  
الأساسية هي القرآن ، وليس كما كانت معجزات السابقين من الانبياء ،  
قال الماوردي (١) : (مُعْجَزُ كُلِّ رَسُولٍ مُوَافِقٌ لِلْأَغْلِبِ مِنْ أَحْوَالِ  
عَصْرِهِ وَالشَّائِعِ الْمُنْتَشِرِ فِي نَاحِي دَهْرِهِ ، لِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ بُعِثَ  
فِي عَصْرِ السَّحَرَةِ خُصَّ مِنْ فُلُقِ الْبَحْرِ يَبْسَا وَقَلِبِ الْعَمَاحِيَةِ مَا بَهَرَ كُلَّ  
سَاحِرٍ وَأَنْزَلَ كُلَّ كَافِرٍ ، وَبُعِثَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَصْرِ الطَّبِّ ، فَخُصَّ مِنْ إِبْرَاءِ  
الزَّمَنِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى بِمَا أَدْهَشَ كُلَّ طَبِيبٍ وَأَنْزَلَ كُلَّ لَبِيبٍ ،  
وَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي عَصْرِ الْفَمَاجَةِ وَالْبَلَاغَةِ خُصَّ بِالْقُرْآنِ  
فِي إِجْزَائِهِ وَإِعْجَازِهِ بِمَا عَجَزَ عَنْهُ الْفَصَّاحُ وَأَذْعَنَ لَهُ الْبَلَّغَاءُ ، وَتَبَدَّدَ فِيهِ  
الشُّعْرَاءُ ، لِيَكُونَ الْعَجْزُ عَنْهُ أَقْبَهُرَ وَالتَّقْصِيرُ فِيهِ أَظْهَرَ . ) (٥٠)  
قلت : ولذلك أفاد العلماء أنَّ الغالب أنَّ تكون معجزة كل رسول مناسبة لما  
انتشر في عصره وبرز فيه قومه وعرفوا بالمهارة فيه ليكون ذلك ادعى الى  
فهمها واعظم لدلائلها على المطلوب وأمكن في الالتزام بمقتضاها (٢)  
قال السيوطي (٣) : (معجزة هذه الامة عقلية لغزط ذكائهم وكمال افهامهم  
ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة ،  
خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها نورو البطائر كما قال صلى الله  
عليه وسلم - : ( ما من الانبياء من نبي إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله  
آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أوحى الله إليَّ ، فأرجو  
أنْ أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ) (٤)

(١) اعلام النبوة : ص ٥٧

(٢) المواقف في علم الكلام / ٣٥٤

مناهل العرفان للزرقاني / ج ٢ / ٢٣٢ مذكرة التوحيد / عبد الرزاق عفيفي / ٢٨

(٣) الاتقان في علوم القرآن / ج ٢ / ١١٦

(٤) اخرجه البخاري في فضائل القرآن ، باب كيف يزول الوحي ج ٦٦ / ٩٦

ومسلم في كتاب الايمان ، باب وجوب الايمان برسالة النبي ( شرح النووي على مسلم ١٦/٤

فالمعجزات الواضحة الماضية كانت حية تُشاهد بالأبصار ، كناقاة صالح ،  
وعصا موسى ، ومعجزات القرآن تُشاهد بالبصيرة ، فيكون من يتبعها لأجلها  
أكثر ، لأنّ الذي يُشاهد بعين العقل باقٍ يشاهده كلُّ مَنْ جاء بعد الأول  
مستمرًا ، بينما معجزات الانبياء انقرضت بانقراض أعمارهم فلم يشاهدها إلا  
من حضرها (١٠) اهـ

إنّ رسالة النبي الأمي صلى الله عليه وسلم - قائمة على قواعد العلم والعقل  
في ثبوتها وموضوعها ، ولذا لم تُجعل معجزته الأساسية المتحدى بها  
قائمة على أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف في سنن الكون ، بل جعل  
الله سبحانه حُجّة نبوة خاتم النبيين عين موضوع نبوته ، وهو الكتاب المعجز  
للشعر بإعجازه اللفظي والمعنوي وبما احتواه من أدلة على النبوة مثل  
هدايته وعلومه وانبياء الغيب التي فيه (١)

وقد قصّ الله تعالى علينا أنّ المشركين قد اقترحوا الآيات الكونية على رسوله  
صلى الله عليه وسلم - فاحتج الله عليهم بالقرآن في جملته ، قال تعالى :

(أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ) - العنكبوت / ٥١ -

وقال تعالى بعد أن تحداهم بالقرآن :

( فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنّما أنزل بعلم الله ) - هود / ١٤ -

وقال تعالى : ( لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون

وكفى بالله شهيدا ) - النساء / ١٦٦ -

فجعل الله سبحانه انزال الكتاب وسماعه حجة كافية في اثبات صدق الرسول  
وأنه نبي مرسل ، وأنّ القرآن حقٌّ دلالة صدقه من ذاته ، وجعل عدم  
استجابتهم للتحدي وعجزهم عن الاتيان بمثل أقصر سورة منه دليلا كافيا انه  
أنزل بعلم الله ، قاله سبحانه يشهد بهذا القرآن أي بإعجازه وبما  
احتواه من أدلة على النبوة وانه من عند الله الحكيم الحميد

ولا بدّ من الإشارة الى انه مادام التحدي قد وقع بأقصر سورة من

القرآن كما قال تعالى : ( ولئن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا

فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ،

فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة

أعدت للكافرين ) - البقرة / ٢٣ - ٢٤ -

ما دام الامر كذلك وعلمنا أنّ كثيرا من قصار السور لا تحتوي على أخبار

عن المنجيات أو علوم كونية أو غير ذلك مما قيل في أوجه اعجاز القرآن

تاكد لدينا ان اعجاز القرآن المتحدى به منحصر في الناحية البيانية

التي امتاز بها القرآن (٢) وما تضمنه من اموراخرى إنما هي أدلة على النبوة

(١) انظر: الوحي المحمدي / لمحمد رشيد رضا ص ٦٢

(٢) انظر اعجاز القرآن / للرافعي ص ١٤٨ فما بعدها

قدمة الطائفة الترانيم / الشيخ محمد شاكر ص ٢٠ - ٢٦

رادفة للإعجاز البياني لها حكم وغايات كثيرة ،

وقد ذكر الامام الخطابي (١) رأي الطائفة التي زعمت أن إعجاز القرآن

بما تضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان كما ثم نقده بقوله :

(ولا يُشك أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه ، ولكنه ليس

بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن ، وقد جعل سبحانه في صفة

كل سورة أن تكون معجزة بنفسها لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها فقال :

(ولن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ٠٠)

من غير تعيين ، فدل على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه ٠) اهـ

وقال الفخر الرازي (٢) : (عندي وعند الاكثرين أنه معجز بسبب الفصاحة

واحتجوا على صحة قولهم بهذه الآية (٣) لأنه لو كان وجه الإعجاز هو

كثرة العلوم او الاخبار عن الغيوب او عدم التناقض لم يكن لقوله (مفتریات)

معنى أما إذا كان وجه الإعجاز هو الفصاحة صح ذلك لان فصاحة الفصحح

تظهر بالكلام سواء كان الكلام صدقا أو كذبا ٠) اهـ

قلت : والشاهد من كل ما تقدم أن القرآن قد تحدى الله تعالى

بإعجازه البياني ، فصاحته الغذة ونظامه الفريد واسلوبه العجيب الذي أعين العرب

أن يجاروه أو حتى أن يفكروا في معارضته ،

أما ما اشتمل عليه القرآن من أمور اخرى كالإخبار عن المنبيات او العلوم الكونية

او السلامة من الاختلاف ونحو ذلك مما ذكر كأوجه لإعجاز القرآن ، إنما هي

دلائل على نبوة رسول الله وصدقته ، وأن هذا القرآن إنما هو وحي يوحى ،

وجيء بهذه الدلائل عازدة وشاهدة ومؤكددة لإعجاز القرآن البياني ، ولها مقام

وحكم ساذكر بعضها بمشيئة الله تعالى ،

وسلامة القرآن من الاختلاف مع طولها ودلالة ذلك على نبوة رسول الله صلى الله

عليه وسلم - لا تجعلها وجها لإعجاز القرآن متحديا بها ، بل تجعلها دليلا من

أدلة النبوة التي احتواها القرآن ، وما أكثرها ، مساندة ومؤكددة لإعجازه

الذي أعجز العرب أهل البيان فمن بعدهم من باب أولى

أما أسباب وجود هذه الدلائل والحكمة منها فهي كما يلي :

اولا : ضعف ملكة اللغة لدى أهلها بعد القرون الاولى فكيف بنغيرهم من أهل

الشعوب الاخرى التي دخلت في الاسلام ، فلا بد من وجود دلائل اثري غير البيان

الذي لا يفهمه غير أهلهم ، فالأمم غير الناطقة بالعربية او التي ضعفت

ملكة اللغة عندها لا تستطيع ادراك اعجاز القرآن من نظامه وبلاغته لذا فقد

اوجد الله تعالى لها في القرآن من الادلة ما يدفع الى التصديق والايمان بانه

(١) إعجاز القرآن للخطابي / ص: ٢١ - ٢٣

(٢) في تفسيره : ج١٧ / ١٩٥ (٣) هي قوله تعالى (ام يقولون اغترأه

قل فاتوا بعشر سور مثله مفتریات) - هود / ١٣ -

من عند الله وأنه لا قدرة للبشر عليه ،  
أما الإعجاز فهو حاصل لهم لأنَّ أهل اللغة الذين برعوا فيها وملكوا أزمتهما  
لما عجزوا عن معارضة القرآن والأتیان بأقصر سورة منه بل خضعوا وخشعوا  
لبيانه وروعته واتقانه ذلك أنَّ أغبرهم أعجز منهم حتماً ، وكذلك فإنَّ غير  
أهل اللغة يستطيعون فهم معاني القرآن المترجمة ، فإذا تدبر احدهم معاني  
آيات الله مفسرة ووجد التناسق والانسجام في المعاني والمباني فيعلم  
بذلك أنه ليس بكتاب من وضع البشر بل هو تنزيل من رب العالمين

ثانياً : - كما أنَّ هناك مقصد آخر وهو أنَّ منكري النبوة الشاكين

في القرآن قد ينسبون هذا الكلام المعجز للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم -  
نفسه وأنه قد فاق أهل عصره في البلاغة والخصاحة فلذا جاء بهذا القرآن المعجز  
فجاءت هذه الادلة رداً عليهم لأن هذه المعلومات التي احتواها القرآن جاءت على  
يد رجلا مي فذل ذلك انها من عند الله العليم الخبير

قال الشيخ الزرقاني (١) رحمه الله : ( إضافة الى الفرق الشاسع بين

القرآن والحديث النبوي ، وإضافة الى ان النابغة في أي عصر من العصور  
يستطيع اقرانه بيسر وسهولة ان يحاكيه مجتمعين ومنفردين بالشيء القليل  
وإضافة الى انه ادعاء على أكرم شخصية عرفها التاريخ طهرا ونبلا ، واسمى  
مقام اشتهر امانة وصدقا حتى نفس قومه لم يكذبوه قال تعالى :  
( فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ) الانعام / ٣٣ -

إضافة الى كل ذلك جاءت هذه الادلة التي تضمنها القرآن لتبين للناس  
أنَّ محمداً النبي الامي لم يكن ليأتي بالقرآن من عنده ، وهذه الدلائل  
التي تضمنها القرآن والتي جاءت على يد نبي أمي في عصر لم تتقدم فيه  
العلوم ، تكاد تكون بجملتها موجهة لغير أهل اللغة ( أولأهلها الذين ضعفت  
سليقتهم ، إضافة الى ما فيها من تقوية ايمان من استشعر الإعجاز  
وتذوقه وايقن بالعجز أمام آيات الله الناطقة بأنَّ هذا الكتاب :  
( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد )

---

(١) مناهل العرفان : ج ٢ / ٨٥ مع بعض التفرغ

وبعد هذا التقديم انتقل لشرح وبيان وتقرير أن سلامة القرآن من الاختلاف من أدلة النبوة

فأقول : تقدم في هذا المبحث أن الله سبحانه وتعالى قد احتج بالقران على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم - فيما يخبر به وأنه نبي من عند الله وأن القرآن قد احتوى أدلة كثيرة لتقرير ذلك ، منها الاعجاز البياني الذي تحدى الله تعالى به وادلة كثيرة جاءت ماهرة لوجه الاعجاز فيه ومن هذه الأدلة :

سلامة القرآن من الاختلاف والتناقض طوله وكثرة سوره واياته

واختلاف اغراضه واساليبه ، وتنوع معلوماته ، ونزوله منجما في ثلاثة وعشرين عاما في أماكن شتى وهو مع ذلك في غاية التوافق والانسجام والاحكام لا اختلاف فيه ولا تناقض ، لا نجد لوفيه أبخ من قوله تعالى :  
( الرء كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ) - هود / ١ -  
وقوله : ( الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ٠٠٠ ) - الزمر / ٢٣ -

فمن المعروف أن القرآن قد تطرق لموضوعات شتى كالأمر والنهي ، والوعد والوعيد والحكم والأمثال ، والوعظ والقصص ، وذكر المنجيات والعلوم الكونية ومظاهر الخلق ودلائل البعث والنشور وغير ذلك ، وحين نتدبر الآيات في كل هذه الاغراض نجدها في منتهى البلاغة والبراعة وغاية الانسجام والتوافق والانتظام أوله يشبه آخره لا يمل قارئه ولا يسهم مجوده ولا يملك متدبره ، يزيد المتقين هدى والمؤمنين إيمانا ، ذلك أنه في غاية الترابط والتلاحم أوله يصدق آخره ان نظم القرآن وترتيبه على الوجه المعهود الهياكل والمخالفات لانهما الكتب المؤلفة ، وهو مع ذلك متناسبا لآي والسور في المعاني والمباني والموضوعات الشتى كأنه وحدة واحدة ، دليل مادي على أنه ليس بكتاب وضعي بشري يجلس اليه واضعه من الناس ، فيجعل لكل طائفة من معلوماته المتناسبة فصلا ، ولكل مجموعة من فصوله المتتابعة بابا ، بل هو مجموعة هدايات من الوحي الالهي اقتضتها الحكمة ودعت اليها المصلحة ، لا تجد فيها خلا ولا تناقضا بل تاخذ برقاب بعضها كأنها موضوع واحد

(١)

يقول الشيخ الزرقاني : ( إن هذا المزيج الطريف الذي نجده في كل سورة او طائفة منه له أثر بالغ في التنازق قارئه وتشويق سامعه واستفادة المستفيد بأنواع متنوعة منه ، فما أشبه كل مجموعة من القرآن بروضة يانعة يتنقل الانسان بين أحيائها متمتعا بكل الثمرات ،

أو بمائدة حافلة بثمن الأطعمة يشبع الجائع حاجته بما فيها من جمع الألوان (٠) اهـ

ويقول الدكتور محمد عبد الله دراز (١) : (إنك لتقرأ السورة الطويلة

المنجمة يحسبها الجاهل أعضانا من المعاني حُشيت حشوا ، وأوزاعا من المباني جُمعت عفوا ، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بُنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول ، وأقيم على كل أصل منها شُعب وفصول ، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وُضع رسمه مرة واحدة ، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق ، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق الى طريق ، بل ترى بين الاجناس المختلفة تمام الألفة كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التظام والإلتحام ،

ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين ، وتؤدي بمجموعها غرضا خاصا كما يأخذ الجسم قواما واحداً ، ويتعاون بجملته على اداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية )

وقال (٢) : (أي تدبير محكم وأي تقدير مبرم ، او أي علم محيط لا يضل ولا ينسى ولا يتردد ولا يتمكن كان قد أعدّ لهذه المواد المبعثرة نظامها وهداها في ابان تشيتها الى ما قدره لها ، حتى صيغ منها ذلك العقد العظيم ، وسرى بينها هذا المزاج العجيب ، سبحان الله ! هل يمتري عاقل أن هذا العلم البشري وأنّ هذا الرأي الأنف البدائي الذي يقول في الشيء : (لو استقبلت من أمري ما استدبرت لقلت أو فعلت ولقدت أو اخرت) لم يك أهلا لان يتقدم الزمان ويسبق الحوادث بعجيب هذا التدبير ؟ أليس ذلك وحده آية بينة على أنّ هذا النظم القراني ليس من وضع بشر وإنما هو وضع العليم الخبير) بلى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) اهـ

قلت : إن من كان يؤمن بالله ربا وخالقا ومهيمننا على هذا الكون بعد تدبير القران وتأمّله وملاحظة آياته وسوره والتأمّنها ، وتعاضد معانيها وسلامتها من الاختلاف مما لا يمكن لاحد من البشر ان يأتي بمثلها ، لامندوحة له ولا مناص من الايمان بان هذا الكتاب منزل من لدن عليم خبير لهداية البشر ورسم طريق سعادتهم في الدارين ولتزكية نفوسهم وجوارحهم واصلاح مجتمعهم من الانحراف والتهيه والظلال ، فيكون اتباع الرسول

(١) في كتابه : النبأ العظيم / ١٥٥

(٢) المصدر نفسه : ١٥٧



الذي جاء بهذا القرآن فرضا لازما عاما كما قال تعالى :

( قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا ، الذي له ملك السموات  
والارض لا إله إلا هو يحيي ويميت ، فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي

يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ) - الاعراف / ١٥٨ - ٦

أمّا الذي لا يؤمن بالله ربا وخالقا ومعبودا ، فإنّ هذا القرآن بما فيه  
من دلائل لا تُحصى ، ومن ضمنها سلامته من الاختلاف ، والذي لا يصدر مثله  
عن بشر ، فلا بُدّ أن يكون هذا القرآن حجة ناهضة على وجود الله الحق  
لأنّ مثل هذا القرآن لم يُعبد في الخلق بما اشتمل عليه من الآيات والدلائل ٦

هذا وإنّ الله تعالى لما كانت له الآيات الكونية التي أبدعها

وأتقن صنعها كما قال : ( الذي أحسن كلّ شيء خلقه ٠٠٠ ) - السجدة / ٧ -

وقال : ( صنّع الله الذي أتقن كلّ شيء ) - النمل / ٨٨ -

ولمّا لم يكن في خلقه تفاوت ولا فطور كما قال سبحانه :

( ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ) - الملك / ٣ -

وكان كل شيء من خلقه بنظام وتقدير : ( إنّنا كلّ شيء خلقناه بقدر ) - القمر / ٤٩ -

كانت كذلك آياته القرآنية المسطورة غاية في الإبداع والانسجام والتوافق

ذلك أنّها حادرة من عند الله المهيمن المبدع ، فكل ما صدر عن العظيم

فهو عظيم ودال على عظمته ، وكل ما صدر عن المبدع فهو بديع ودال على

إبداعه : ( كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ) - هود / ١ -

فلذلك لا يمكن أن يكون هذا القرآن السالم من الاختلاف والتناقض والتفاوت

صادر عن البشر الذين هم مجبولون على الخطأ والنسيان والسهو ، حيث لا يخلو

الواحد من الناس في يومه الواحد من التناقض والاختلاف والغفلة والنسيان ٦

وإذا اعتبرنا نزول القرآن منجما بحسب الوقائع والاحوال ، وأمر النبي

- صلى الله عليه وسلم - عند نزول الآية أو الطائفة من الآيات أن توضع في

محلها من سورة كذا ، وهو لا يقرأ في الصحف ما كتب أولاً ولا ما كتب آخراً

وإنما يحفظه حفظاً ، ومع ذلك يأتي الآخر موافقاً للأول ومنسجماً معه ،

إذا اعتبرنا ذلك تبين لكل منصف متدبر أنه لا يمكن أن يأتي به من عند

نفسه ، حيث لم تجر العادة بأنّ الذي يأتي من عند نفسه بالكلام الكثير

في المناسبات والوقائع المختلفة يتذكر عند كل قول جميع ما سبق له في

السنين الخالية ويستحضره ليجعل الآخر موافقاً للأول ، ونحن نرى العالم النابغ

في علم معين يؤلف الكتاب فيه وينقحه ويطبعه فلا تمر سنوات قليلة إلا

ويظهر له الخطأ والاختلاف فيه ، فلا يعيد طبعه إلا بعد أن يُغيّر فيه ويصح

ما شاء ، فما بالك بالذي يظهر للإنسان من التفاوت والاختلاف في الكتب

التي يؤلفها غيره من أول وهلة ،  
وقد ظهر القرآن في أمة أمية ، لا مدارس فيها ولا كتاب على لسان أمي لم  
يتعلم القراءة والكتابة ، فكيف يمر عليه أربعة عشر قرنا ولا يظهر فيه  
اختلاف أو تفاوت ، أليس هذا برهانا ناصعا على كونه من عند الله أوحاه  
الى عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - (١)

فهذا القرآن مما لا يقدر عليه بشر لان الذي يقدرون عليه قد تبين  
فيه التفاوت الكثير والتناقض عند التكرار وعند تباين الوجوه واختلاف الاسباب  
واختلاف احوال الانسان ، فإنه لذلك تختلف أغراضه ، فيميل الى الشيء مرة  
ويميل عنه اخرى ، فيوجب اختلاف الاحوال والافراض اختلافا في كلامه بالضرورة  
فلا تصادف اللسان يتكلم في ثلاث وعشرين سنة وهي مدة نزول القرآن ،  
فيتكلم على غرض واحد وعلى منهج واحد ، ولقد كان رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - بشرا تختلف احواله ، فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من  
البشر لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (٢)

وحول هذا المعنى يقول الشهيد سيد قطب (٣) رحمه الله :

(ظاهرة عدم الاختلاف والتناقض الكامل الشامل في ذات المنهج الذي تحمله  
العبارات ويؤديه الاداء ذلك هو جانب التنظيم والتشريع ، فلما من نظرية  
بشرية وما من مذهب بشري الا وهو يحمل الطابع البشري ، جزئية النظر  
والرؤية والتأثر الوقتي بالمشكلات الوقتية ، وعدم رؤية المتناقضات في  
النظرية أو المذهب أو الخطة التي تؤدي الى الاصطدام بين مكوناتها إن  
عاجلا أو آجلا ، وعدم القيام بمصلحة البشرية وسعادتها ،  
ذلك أن المناهج البشرية ناشئة من طبيعة الادراك البشري المحدود ، ومن  
الجهل البشري بما وراء اللحظة الحاضرة ، فوق جهله بمكونات اللحظة القادمة ،  
وعكس ذلك كله هو ما يتسم به المنهج القرآني الشامل المتكامل الثابت  
الاصول ثبات النواميس الكونية ، وهو مع ثبات اصوله جملة الله  
مُصَلحا لكل تغيير أو تبديل في أوضاع المجتمعات او هيئاتها او حاجاتها  
في كل زمان ومكان ) اهـ

ولظهور هذا الدليل من أدلة النبوة وقوته فقد ذكره كثير من

العلماء وجها لاعجاز القرآن او دليلا من ادلة النبوة

انقل هنا بعضا من أقوالهم بعد أن قررت هذا الدليل وأوضحته بقدر المستطاع

(١) انظر : المنار ج٥ / ٢٣٤ لمحمد رشيد رضا

(٢) البرهان المنزكري ج٢ / ٤٧

(٣) في ظلال القرآن ج٢ / ٢٢١

وأبدأ بشهادة الله تعالى وهو خير الشاهدين :

قال تعالى : ( أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا ) النساء / ٨٢ -

وقال : ( لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدًا ) - النساء / ١٦٦ -

أي يشهد بنبوتك وبحقية الذي أنزله إليك وهو القرآن لاخرائه على أدلة كثيرة ومنها سلامته من الاختلاف ، فالقرآن بما فيه من أدلة كافية في الشهادة كما قال تعالى :

( أولم يكفهم أننا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، إن في ذلك لآيات لذكرى ورحمة لقوم يوقنون ) - العنكبوت / ٥١ -

وانذكر الان أقوال بعض العلماء في الباب :

يقول الرازي (١) : ( اعلم أن ظاهر الآية يدل على أنه تعالى

احتج بالقران على صحة نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - إذ لو لم تحمل

على ذلك لم يبق لها تعلق بما قبلها البتة ، والعلماء قالوا : دلالة

القران على صدق محمد - صلى الله عليه وسلم - من ثلاثة أوجه :

احدها فماحتها ، وثانيها : اشتماله على الإخبار عن الغيوب ،

والثالث : سلامته من الاختلاف .

ثم قال : الذي ذهب اليه اكثر المتكلمين : أن المراد منه - أي الوجه

الثالث - أن القرآن كتاب كبير وهو مشتمل على انواع كثيرة من العلوم ٢.

فلو كان ذلك ممن عند غير الله لوقع فيه أنواع من الكلمات المتناقضة

لان الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك ولما لم يوجد فيه ذلك

علمنا أنه ليس من عند غير الله . اهـ

ويقول ابن الحنبلي (٢) : ( ذكر أدلة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم -

من الكتاب العزيز ، والكتاب العزيز كله دليل على صدق رسالته . . . .

الى ان قال : دليل اخر قوله تعالى : ( أفلا يتدبرون القرآن ام على

قلوب اقفالها ) - محمد / ٢٤ -

( أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا )

قال : واذا تقررت هذه الأدلة التي ذكرناها فكل دليل دل على رسالة محمد

- صلى الله عليه وسلم - وعلى رسالة من سبقه من الانبياء - ملوات الله عليهم

سبحان الله وبحمده

(١) في تفسيره : ج ١٠ / ١٦٦ اية النساء / ٨٢ ( ولو كان من عند غير الله . . . .

(٢) في كتابه : استخراج الجدل من القرآن ص / ٩٩ - ١٠٠

وابن الحنبلي هو : الامام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم الدين ، المعروف بابن الحنبلي شيرازي الاصل ، برع في الحديث والفقه والتفسير والوعظ ولادب : ٣٣٤ هـ بدمشق انظر : ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١٩٣ / ٢ ، الاعلام للزركلي ١١٦ / ٤

(١)

وسلامه - فهو دليل على وجود الصانع سبحانه .

ويقول ابن كثير (٢) : ( يقول تعالى أمرا عباده بتدبر القرآن ونهايا لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة والغاظة البليغة ، ومخبراً لهم انه لا اختلاف فيه ولا اضطراب . . . ولا تعارض ، لانه تنزيل من حكيم حميد فهو حق من حق ، ولهذا قال تعالى ( أفخلاً يتدبرون القرآن ) ثم قال : ( ولو كان من عند غير الله ) أي لو كان مفتعلاً مختلفاً كما يقوله من يقوله من جهة المنافقين والمشركين في بواطنهم ، ( لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ) أي اضطراباً وتضاداً كثيراً ، أي وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله ، كما قال تعالى مخبراً عن الراسخين في العلم حيث قالوا : ( آمنا به كلٌّ من عند ربنا ) أي محكمه ومتشابهه حق ، فلهذا ردوا المتشابه الى المحكم فاهتدوا ، والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم الى المتشابه فنخروا ) ١٥

ويقول القاضي عضد الدين الأيجي (٣) في معرض ذكر وجوه إعجاز القرآن

( وقيل عدم اختلافه وتناقضه مع ما فيه من الطول )

وقال في موضع آخر (٤) بعد أن ردّ على منكري الإعجاز البلاغي ، قال : ( سلّمنا لكن لم لا يجوز أن يكون المعجز ما انتهى عنه الاختلاف ) ١٥

ويقول الأوسوي (٥) : في معرض تعقيبه على الرازي حول الإعجاز :

( ولا يمنع احتمال كونه الأسلوب الغريب وعدم إشماله على التناقض كما قيل به ) وقال في موضع آخر (٦) ( والاعتراض على كون وجه الإعجاز عدم التناقض والاختلاف مع الطول والامتداد بوجهيه مدفوع ) ١٥

ونقل نعيم الحمصي (٧) عن الشيخ أوليا زادة قوله : ( ان وجوه

الإعجاز الدالة على صدق النبي ثلاثة ٠٠٠٠ الثالث : سلامته من الاختلاف ) ١٥

ومن المعاصرين السيد محمد رشيد رضا حيث يقول (٨) :

( الوجه الرابع : سلامته على طولهِ من التعارض والتناقض والاختلاف خلافاً لجميع كلام البشر وهو المراد بقوله تعالى : ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ) وإننا نجد كبار العلماء في كل عصر يُصنفون الكتاب فيُسودون ثم يُصححون ويُبَيِّضون ثم يطبعون وينشرون ثم يظهر لهم ولنغيرهم

(١) في جواز إطلاق لفظ الصانع على ذات الله عز وجل خلاف ، والصحيح انه لا يجوز

إطلاقه الا مقيداً او مضافاً ، كما جاء في صحيح مسلم عن ابي هريرة مرفوعاً :

( ليعزم في الدعاء فان الله تعالى صانع ما شاء لا مكره له ) كتاب الذكر والدعاء

باب العزم في الدعاء ( شرح النووي / ج ١٧ : ٧ ) وانظر الخلاف في ذلك :  
الوامع الانوار للسفاريني ج ١ / ٤٥ ، ١٢٤ روح المعاني للأوسوي ج ٢٠ / ٣٦

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ١ / ٨٠٤ النساء / ٨٢

(٣) المواقف في علم الكلام / ٣٥٠ ، طبعة : مكتبة المتنبي ، القاهرة

(٤) المرجع السابق : ٣٥٤ ، (٥) روح المعاني ج ١٢ / ٢١ ، (٦) نفسه ج ١ / ٣١

(٧) فكرة اعجاز القرآن : ٢٠٥ ، والشيخ أوليا زاده له كتاب : مفتاح التفاسير ط / ١٢٨٦هـ

(٨) المطار ج ١ / ٢٠٣

كثير من التعارض والاختلاف والأغلاط اللغوية والمعنوية ، لا سيما إذا مال  
الزمان ، ... ولكن هذا النوع من الإعجاز إنما يظهر في جملة القران  
في السور الطويلة فيه لا في كل سورة ، فان سلامة السور القصيرة من  
ذلك لا يُعد أمرا معجزا يتحدى به ( ٠ ) اه  
ومن المعاصرين ايضا الاديب اليرافعي (١) فقد قال في اثناء سرده لوجه  
العجاز وأيده : ( واخرون يقولون بل ذلك في خلوه من التناقض واشتماله  
على المعاني الدقيقة ) ( ٠ ) اه

وفي هذا القدر كفاية من أقوال العلماء الذين استدلوا بظاهرة سلامة  
القران من الاختلاف على نبوة خاتم المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم (٢)  
أو اعتبروا سلامة القران من الاختلاف من وجوه إعجازه ،  
وقد ثبت من خلال ما تقدم أن اعتماد هذا الدليل القوي الذي احتواه  
القران للتدليل على نبوة خاتم المرسلين من أهم ما يُتمسك به ويُحتج به  
حيث إنه دليل واضح وظاهر ، خاصة وأن الله سبحانه قد نص عليه ، وقرع  
المنافقين لغفلتهم عنه أو لعدم ادراكهم له بسبب عدم تدبرهم للقران (٣)  
ونستطيع مقابل ذلك الاحتجاج بالتناقض والاضطراب في كتب اهل الكتاب على  
أنها في جملتها لا يمكن ان تكون مك عند الله تعالى وانها لذلك محرفة  
ومبدلة

#### تناقض العهد القديم والجديد عند اهل الكتاب

يدعي اهل الكتاب أن ما بأيديهم من العهد القديم والجديد يدعون انهما  
< نصوص صحيحة وثابتة لم يعثرها أي تغيير أو تبديل ، بينما الواقع يدل  
على أنهما يتضمنان الدليل القاطع على خلاف ذلك ، وذلك بسبب الاختلاف  
والتناقض الموجود في العهد الواحد ، وكذلك بين العهدين مما يؤيد  
وقوع التغيير في كتب الله السابقة ، وأنها لم تبقى كيوم نزلت ،  
وقد تضمن ما يسمونه العهد الجديد من الحكايات والقصص في بعض نسخه  
ورواياته ما اغفله البعض الآخر ، واشتمل على أمور قد اشتمل الآخر على  
نقيضها أو ما يخالفها ، وفيها ما تحكم الضرورة بأنه ليس من كلام

الله تعالى أصلا (٢)

(٣)

يقول ابن القيم رحمه الله : ( فهذه التوراة التي بأيدي النصارى  
تخالف التوراة التي بأيدي اليهود ، والتي بأيدي السامرة تخالف هذه وهذه )  
وهذه نسخ الأنجيل يخالف بعضها بعضا ويناقضه ( ٠ ) اه

(١) اعجاز القران / ١٤٨

(٢) انظر هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى / لابن قيم الجوزية / ٤٨

(٣) المرجع السابق / ٤٨

وانكر هنا بعض الامثلة على هذه التناقضات ،  
فقد اشتركت الاناجيل الاربعة في ذكر أحداث ذات أهمية كبيرة في تاريخ  
المسيحية ، وتشكيل معتقداتها ، ولكن مع أهمية هذه الأحداث  
اختلفت الاناجيل فيها اختلافا جوهريا ، وهذا الاختلاف يتبعه اضطراب العقيدة  
وزعزعة أصولها ، فمن ذلك اختلاف الاناجيل في وصف قيام المسيح من قبره  
وذكر الحرس الروماني ، ووجود ملكين في القبر مرة ، ومجيء ملاك من الخارج  
مرة أخرى ، ووجود ملاك واحد في القبر مرة ثالثة ، أي أن الاناجيل  
الاربعة اختلفت في أهم حادثة تقوم المسيحية عليه ، ثم هناك اختلاف في  
النساء اللاتي جئن الى قبره ، فمرة هي مريم المجدلية وحدها (١) ، ومرة  
هي مريم المجدلية ومريم الأخرى (٢) ، ومرة كُنَّ المجدلية وأم يعقوب وسالومة ،  
(٣) (٤)

قال الالوسي في تفسيره (٥) في معرض ذكره لتناقضات الاناجيل :  
( فمن ذلك أن " متى " ذكر أن المسيح مُلب وُلب معه لمان ، أحدهما  
عن يمينه والآخر عن شماله وأنهما جميعا كانا يهزأان بالمسيح مع اليهود  
ويُعيّرانه (٦) ، وذكر " لوقا " خلاف ذلك ، فقال : إن أحدهما كان يهزأ به  
والآخر يقول له : اما تتقي الله تعالى ، أمّا نحن فقد جُوزينا وأمّا هذا  
فلم يحمل قبحا ، ثم قال للمسيح : يا سيدي انكزني في ملكوتك ،  
فقال : حقا انك تكون معي اليوم ففي الفردوس (٧) (٨) ،

قال الالوسي : ولا يخفى أن هذا يؤول الى التناقض ، فإن اللصين عند  
متى كافران وعند لوقا أحدهما مؤمن والآخر كافر ) اهـ  
قلت : وهذه إنما هي مجرد أمثلة ، وإلا فتناقضات العهد القديم والجديد  
وما فيها من تضارب وُبعد عن كلام الانبياء بحاجة الى بحث مستقل (٩) ،  
وهذا التناقض والاختلاف إنما سببه أنها روايات تاريخية شفوية لم  
تكتب في عهد المسيح عليه السلام بل كُتبت في العصور التالية على أيدي  
رجال لا يُعرف حالهم ، ولم تحظى هذه الروايات بالسند الصحيح فضلا عن  
التواتر لا في اللفظ ولا في الكتابة ، بعكس القران الذي تواتر لفظه  
وتواترت كتابته منذ عهد الرسول حتى يومنا هذا  
( إننا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون ) - الحجر / ٩ -

(١) انجيل يوحنا : اصحاح ٢٠ فقرة ١١

(٢) انجيل متى : اصحاح ٢٨ / ١ ، (٣) مرقس : اصحاح ١٦ / ١

(٤) انظر كتاب : رد مفتريات على الاسلام د عبد الجليل شلبي ص : ٢٤٦ ففيه تفاصيل

(٥) روح المعاني ج ٣ / ٢٠٦ ، (٦) متى : اصحاح ٢٧ / ٤٤

(٧) لوقا : اصحاح ٢٣ / ٢٩ - ٤٣ ، (٨) وانظر كتاب : شفاء الغليل في بيان ما

وقع في التوراة والانجيل من التبديل للامام عبد الملك الجويني ص : ٥١ - ٥٢ وغيرها

(٩) وقد اشبع الكلام فيها العلامة : رحمة الله الهندي في كتابه ( إظهار الحق )

وهو كتاب مطبوع ، وانظر : الفصل لابن حزم الظاهري ج ١ / ٢١٠ ، ٢٥٢ ج ٢ / ٢٧

وهداية الحيارى لابن القيم / ١١٢ ، ومحاضرات في النصرانية للشيخ محمد ابو زهرة ٢٩٨

## أدلة أخرى على النبوة من القرآن

بعد هذا العرض والبيان لدلالة " سلامة القرآن من الاختلاف على النبوة " أنكر هنا بعض الآيات التي تضمنها القرآن ، والتي تحمل في ثناياها أدلة على صدق مبلغ هذا القرآن وأنه رسول رب العالمين ، أنكر ذلك تميماً للفائدة ولبیان أن القرآن الكريم يتضمن أدلة كثيرة متظاهرة تدل على أنه وحي يوحى وأنه ليس بقول البشر وأن الذي جاء به هو رسول رب العالمين الواجب اتباعه ومن حاد عن طريقه خسر الدنيا والآخرة ، ومن هذه الأدلة ما يلي :-

أولاً : ما ذكره القرآن من قصة الإمك وهي الحادثة التاريخية التي حصص الحق فيها ، وتجلى بسببها إيمان المؤمنين ونفاق المنافقين ، وبالتالي نبوة خاتم المرسلين فقد روى الامام البخاري<sup>(١)</sup> رحمه الله حديث الإمك عن جماعة من التابعين عن عائشة رضي الله عنها ، وبينت فيه الصديقة بنت الصديق بداية القصة وخاتمتها ، وكيف أن عدو الله عبد الله بن أبي رأس المنافقين استغل تأخر عائشة عن الركب بسبب حاجتها ، ومجيئها بعد ذلك مع الصحابي الجليل : صفوان بن المعطل يقود راحتها ، استغل عدو الله ذلك لاتهامها في عرضها وهي زوجة خاتم الانبياء والمرسلين ، وقد تناقل الخبر ضفاف الايمان والمنافقين وروجوها في المدينة لمدة شهر وتلبث الوحي فلم ينزل لحسم الامر من بداية الامر لحكمة ارادها الله سبحانه ، والرسول في كل ذلك لا يدري حقيقة الامر ، وهو صلى الله عليه وسلم حين يرمى في عائشة رضي الله عنها يرمى في كل شيء ، يرمى في فراشه وعرضه وقلبه ورسالته ، ويتحدث الناس في المدينة شهراً كاملاً فلا يملك أن يضع لهذا كله حداً ، يعاني من <sup>فريضة</sup> العار ويعاني فجيعة القلب ، فمع وجود القرائن الكثيرة على براءة أهله لكنه لا يطمئن نهائياً لهذه القرائن والغرية تفوح في المدينة ،

وعندما ثقل العيب عليه بعث الى أسامة بن زيد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يستشيرهما في خاصة أمره حين حز الأمر في نفسه وتلبث الوحي الذي يُنير له الطريق ، ثم ما لبث أن ذهب الى عائشة نفسها يُصارعها بما يقول الناس ويطلب منها البيان الشافي ، حيث قال لها :

(١) صحيح البخاري : كتاب الشهادات ، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً ج ٣ / ٢٢٧

وفي كتاب التوحيد ، باب / ٣٤ ج ٨ / ١٩٨

واخرجه الامام مسلم في صحيحه : كتاب التوبة ، باب في حديث الإمك ( شرح النووي / ١٧ / ١٠٢ )

( يا عائشة فإنه بلغني أنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرك الله تعالى وإن كنت أمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا تاب تاب الله عليه ) ، وعندما تمل الآلام التي نزلت بها على هذا النحو يأتي الفرج الحاسم من السماء ، فينزل القرآن ببراءة عائشة الصديقة الطاهرة ،

( إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ) - النور / ١١ -

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله (١) :

( وما كان حديث الإفك رمية لعائشة وحدها إنما كان رمية للعقيدة في شخص نبيا وبانيها ) ( ولقد كانت معركة خاضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاضمتها الجماعة المسلمة والخطر على الإسلام من تلك الفرية من أشد الأخطار التي تعرض لها الإسلام في تاريخه ) اهـ

قلت : تدلنا القصة بوضوح تام أنها من آيات النبوة ، حيث

إن الرسول لو لم يكن نبيا لما انتظر كل هذا الوقت طابرا متاثرا ينتظر الفرج ، يستشير ويسأل ويفكر في الأمر ، فلو لم يكن نبيا لسارع وعجل في تكذيب التهمة عن زوجه وعرضه خاصة وأنه في بيعة تعتبر الشرف والعرض من أهم الأمور التي يُعترز بها ، فلما لم يكن الأمر كذلك دلنا أن الرسول إنما هو عبد الله ورسوله يأتمر بأمره ويبلغ عنه وليس له من الأمر شيء<sup>(٢)</sup> ، وقد أراد الله سبحانه بهذه القصة والواقعة حكماً وفوائد كثيرة منها ما ذكرته ،

ولذا قال تعالى : ( إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم )

فبعد أن ذكر الله سبحانه حكم قذف الأجنيات وحكم قذف الزوجات ذكر في هذه الآيات براءة عائشة أم المؤمنين مما رماها به أهل الإفك والبهتان من المنافقين وضعاف الإيمان صيانة لعرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقوله : " بالإفك " أي ما أفككت به الصديقة أم المؤمنين رضي الله عنها - والإفك هو أبلغ ما يكون من الكذب والبهتان قال الشوكاني<sup>(٣)</sup> : ( وأجمع المسلمون على أن المراد في الآية ما وقع من الإفك على عائشة أم المؤمنين ، وإنما وصفه الله بأنه إفك لان المعروف من حالها رضي الله عنها - خلاف ذلك )

(٢) انظر: النبأ العظيم ص ٢٤

(١) في ظلال القرآن ج٤ / ٢٥٠٠ - ٢٥٠١

د. محمد عبد الله دراز

(٣) فتح القدير ج٤ / ١٢



وقال الالوسي (١) : ( وفي لفظ المجيء إشارة الى أنهم أظهروه من غير أن يكون له أصل . . . . . وقوله " عمبة منكم " للتسليية بأنّ الجائين بذلك الافك فرقة متعمبة متعاونة وذلك من امارات كونها إفكا لا اصل له ) اهـ

وقوله : ( لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم )  
أي لنيلكم بالصبر عليه الثواب العظيم ، وانزال ما فيه تعظيم لشأنكم ، وصيرورة قصتها شرعا عاما ، وهو خير لكم لما فيه من الدلالة على صدق نبيكم وانه لا ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى

### المثال الثاني من ادلة النبوة :-

سورة المسد : ( بسم الله الرحمن الرحيم ، تبت يدا أبي لهب  
وتبّ ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيطى نارا ذات لهب ، وامراته  
حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد )

روى البخاري (٢) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :  
( خرج النبي صلى الله عليه وسلم - الى البطحاء فمعد الجبل فنادى : يا صباحاه  
فاجتمعت اليه قريش ، فقال : أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مُمّحكم ومُمسّكم  
أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد )  
فقال أبو لهب : ألهنا جمعنا تبا لك ، فأنزل الله :  
( تبت يدا أبي لهب وتب )

ومع أنّ أبا لهب عمّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلا أنّنا نلاحظ  
الشدة في الخطاب ، والغاية في الدعاء بالهلاك ، ولا عجب في ذلك  
فان فيها الدلالة على نبوة من جاء بها ، حيث انه - صلى الله عليه وسلم -  
كان حليما لطيفا في الدعوة الى الله مع كل الناس والعم اولى الناس  
بالحلم واللطف ، ولكن لما كان ابو لهب عدوا لله تبرا منه الرسول  
وهذه خصال الانبياء ، وقد كان له فيها اسوة ، فهذا نبي الله ابراهيم  
عليه السلام كان يلاطف أباه فلما يئس منه وتبين له اصراره على الكفر  
تبرا منه قال تعالى : ( فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إنّ  
ابراهيم لأواه حليم ) - التوبة / ١٤ -

والسورة كلها من آيات النبوة التي تضمنها القرآن الكريم حيث اخبر الله  
فيها بجملة امور تدل على ذلك ،

(١) روح المعاني ج١٨ / ١١١ ، ١١٥

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير ، تفسير سورة تبت جا / ٩٦

وفي كتاب الجنائز ، باب ذكر شرار الموتى ج٢ / ١٠٨

واخرجه مسلم في كتاب الايمان ، باب بيان ان من مات على الكفر فهو في النار  
(شرح النووي ج٣ / ٨٣)

وقبل بيان دلالتها على ذلك أُبين المعنى الإجمالي للسورة :  
يقول تعالى : ( تبت يدا أبي لهب وتب )

أي هلكت وخابت وخسرت يداه ، وخصهما بالذكر لأن أكثر العمل يكون بهما ،  
والجملة دعاء عليه بالخسران والهلاك ،

وقوله : " وتب " أي وهلك ، والمعنى أنه قد وقع ما دعا به عليه ،  
نهي لإخبار بأن هذا الدعاء قد حصل (١)

ثم ذكر أن ما كان يعتز به في الدنيا من مال وجاه لم يُغن عنه من  
الله شيئاً في الدنيا ولا في الآخرة فقال :

" ما أغنى عنه ماله وما كسب " أي لم يُغده ماله حينئذ ، ولا عمله  
الذي كان يأتيه في الدنيا من معاداته رسول الله صلى الله عليه وسلم -

طالباً للعلو والظهور ، وما حصل له من التباب في الدنيا مثل هلكه  
بمرض العدسة لم يدفعه عنه ما جمع من مال وما كسب من ربح وجاه

حيث نفر منه الناس حتى أولاده فاستأجروا له بعض السودان ليذبحوه بعد  
ثلاثة أيام من موته حيث أنتن (٢)

ثم أوَّده الله سبحانه بالنار هو وامرأته فقال : ( سيطى ناراً ذات لهب  
وامرأته حمالة الحطب في جيدها جبل من مسد )

أي سيطى أبو لهب وامرأته حمالة الحطب ناراً ذات لهب ، كانت امرأته  
تحمل الشوك والقدر فتطرحة بالليل على طريق النبي كما كانت تمشي

بالنميمة بين الناس

في جيدها جبل من مسد : أي في عنقها جبل من مسد وهو النار ،

والمعنى : أن تلك السلسلة قد فتلت فتلا محكما في عنقها تعذب بها في  
النار وقد كان هذا في الدنيا أيضا ، حيث كانت تعير النبي صلى

الله عليه وسلم - بالفقر ، وهي تحتطب في جبل تجعله في عنقها فحقتها  
الله به فاهلكها ، وهو في الآخرة جبل من نار (٣)

ونلاحظ من خلال ما تقدم من تفسير السورة كيف أنها جاءت بدلائل

واضحة على نبوة خاتم المرسلين ، وذلك بالإخبار عن هلاك أبي لهب في  
الدنيا وخسارته ، وكذلك الإخبار عن تخلي أولاده عنه ، وعدم انتفاعه

بماله ، وأنه سيطى نار جهنم ذات اللهب ، وهذا يعني الإخبار بأنه لن  
يؤمن وسيموت كافرا وتكون جهنم مصيره ، لذا فقد استدلل العلماء بهذه

السورة على أنها من دلائل النبوة فتبي القرآن ، حيث لم يستطع أبو لهب  
أن يعلن إسلامه ولو كذبا ، وانقل الآن أقوال العلماء في ذلك :

(١) مفردات الراغب الاصفهاني : ٧٢ ، زاد المسير : ج٩ / ٢٥٩

تفسير القرآن العظيم ج٤ / ٩٠١ ، فتح القدير ج٥ / ٥١٢ ، روح المعاني ٣٠ / ٣٣٣

(٢) فتح القدير : ٥ / ٥١٢ ، روح المعاني / ٣ / ٣٢٦

(٣) تفسير القرآن العظيم ج٤ / ٩٠٢ ، زاد المسير ج٩ / ٢٦١ فتح القدير ج٥ / ٥١٢

قال الطوسي (١) : ( وقوله ( سيملى ناراً ذات لهب ) في ذلك دلالة على صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه أخبر بأنه يموت على كفره ، وكان الأمر على ذلك ) اهـ

وقال الماوردي (٢) : ( وهذه الآية تشمل على أمرين : أحدهما وعيد من الله سبحانه حقاً عليه بكفره ، الثاني إخبار منه تعالى بأنه سيموت على كفره وكان خبره صدقاً ووعيداً حقاً ) اهـ

وقال ابن الجوزي (٣) : ( وفي هذا دلالة على صحة نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ، لأنه أخبر بهذا المعنى : أنه وزوجته يموتان على الكفر فكان كذلك ، إذ لو قالوا بالسننهما : قد أسلمنا ، لوجد الكفار متعلقاً في الرد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، غير أن الله علم أنهما لا يُسلمان باطناً ولا ظاهراً ، فأخبره بذلك ) اهـ

وقال القرطبي (٤) : ( والحكم ببقاء أبي لهب وامرأته في النار مشروط ببقائهما على الكفر الى الموافاة ، فلما ماتا على الكفر صدق الإخبار عنهما ففيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم - فامرأته خنقها الله بحبلها وأبو لهب رماه الله بالعدسة بعد وقعة بدر بسبعة ليال ) اهـ

وقال ابن كثير (٥) : ( قال العلماء وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة ، فإنه منذ نزل قوله تعالى : ( سيملى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ) فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان ، لم يُقيِّض لهما أن يؤمنا ولا واحداً منهما لا باطناً ولا ظاهراً لا مُسراً ولا مُعلنين ، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة ) اهـ

وقال الخطيب الشربيني (٦) : ( وقد تضمنت هذه الآيات الإخبار عن الغيب بثلاثة أوجه ، أحدها : الإخبار عن التيباب والخسران وقد كان ذلك قائمياً : الإخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده وقد كان ذلك ثالثاً : الإخبار عنه بأنه من أهل النار وقد كان ذلك ، لأنه مات على الكفر وامرأته ، ففي ذلك معجزة للنبي - صلى الله عليه وسلم - ) اهـ

قلت : فثبت مما تقدم دلالة الآيات على ما ذكرته من كونها دلائل على نبوة خاتم المرسلين وأن ما جاء به من القرآن ما هو الا وحي يوحى ، حيث لا يمكن لمُدعي الرسالة أن يُغامر بإثبات دوام كفر رجل مشهور في قومه مثل أبي لهب لاحتمال أن يتظاهر بالإيمان ، فيضعف

(١) تفسير التبيان ، ج ١٠ / ٤٢٧ ، توفي محمد بن الحسن الطوسي سنة : ٤٦٠ هـ وهو عالم شيعي مفسر ، تفقه في البداية للشافعي ، ترجمته في طبقات الشافعية ج ٤ / ١٢٦ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ص / ٨٠

(٢) في تفسيره : النكت والعيون ج ٤ / ٥٤١ (٣) زاد المسير ج ٩ / ٢٦٢ (٤) في تفسيره ج ٢٠ / ٢٣٧ ، (٥) في تفسيره ج ٤ / ٩٠٢ ، (٦) السراج المنير ج ٤ / ٥١٤

موقفه وتنهار مبادؤه ، ولكن هذا الجزم لا يصدر إلا  
عن نبيٍّ مبعوث من رب العالمين ، كما أن شدة الوعيد في  
الآية تتناول عمه الذي هو أحقُّ الناس بالملاطفة أو لم يكن عدواً  
للّهِ ، فلما ثبتت عداوته للّهِ تبرأ منه وهذا هو سبيل الأنبياء  
حيث لا تربطهم بالناس سوى رابطة العقيدة ، واللّهِ تعالى اعلم

## الفصل الخامس :

### أسباب وجود "موهم الاختلاف والتناقض في القرآن"

وموقف الباحث عند التعارض الظاهري في نصوص القرآن

بعد العرض السابق لدلالة سلامة القرآن من الاختلاف على نبوة خاتم المرسلين ، أشعر الآن في بيان الأسباب التي يُتوهم منها وجود اختلاف أو تناقض بين آيات القرآن العظيم ، وأُبَيِّنُ أَنَّ هذه الأسباب مرتبطة ببعضها بعلاقة قوية ، وَأَنَّ الوهم ناتج عن عدم ادراك العلاقة بين هذه الأسباب أو لعدم ادراك شروط حصول التناقض، أو لعدم تدبر القرآن أو للجهل بمبادئ اللغة ، فيحسب الواهم وجود تعارض بين بعض النصوص المرتبطة ببعضها أو المفسرة لبعضها لعدم فهم المراد من الآيات ولقلة الإطلاع على الآثار ودراستها ، ولذلك ينبغي على كل أحد أن يدرك أسباب حصول الإيهام ، وان يدرك شروط حصول التناقض حتى لا يقع في الوهم والجهل وتحميل كتاب الله ما هو منه بريء ، فالواجب على كل مسلم وكل عاقل أن يدرك أن كتاب الله مؤلف غير مختلف ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ) تنزيل من حكيم حميد ) - فُصِّلَتْ / ٤٢ -

فالقرآن هو كتاب الله الخالد المنزل لرحمة العالمين وإخراجهم من الظلمات إلى النور ولسعادة الدارين ، كما أنزل لجمع الشمل وتوحيد القلوب والصفوف ، والنحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، قال تعالى : ( فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله وإلى الرسول ٠٠٠٠ ) النساء / ٥٩ واستطيع أن أجمل الأسباب التي هي محل توهم الاختلاف في القرآن بتسعة أسباب وهي كالتالي :

اولا : النسخ

ثانيا : العموم والخصوص

ثالثا : الاطلاق والتقييد

رابعا : البيان والاجمال

خامسا : اختلاف الحكم

سادسا : اختلاف الوقت

سابعا : اختلاف المحل

ثامنا : اختلاف الموضوع

تاسعا : تعارض العموميين

أولا : النسخ

وإبدأ ببيان أهمية هذا العلم :

إنَّ معرفة ناسخ القرآن ومنسوخه من أهم علوم القرآن التي بدونها لا يستطيع أحد أن يُفسّر كلام الله تعالى ، وهذا الغن العظيم من تتمات الاجتهاد ، إذ الركن الاعظم في باب الاجتهاد معرفة النقل ، والنقل بقسميه الكتاب والسنة قد حمل فيه النسخ لحكمة أرادها الله سبحانه مما فيه مصلحة العباد ، حيث إنَّ المصلحة تصير في النسخ بعدما زالت عن المنسوخ ، قال الله تعالى :

( ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ، ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ) - البقرة / ١٠٦ -

وفي معرفة الناسخ والمنسوخ معرفة أول الامرين وآخريهما ، ففيه الاهتداء الى صحيح الأحكام خصوصا إذا ما وجدت أدلة ظاهرها التعارض فبمعرفة سابقها من لاحقها يندفع التعارض ، ولهذا كان السلف الصالح يُعنون بهذه الناحية ويلفتون أنظار الناس اليها ،

أخرج الهمداني (١) في كتابه الاعتبار ، والنحاس (٢) في الناسخ والمنسوخ

عن علي رضي الله عنه ( أنه مر على قاص فقال : أتعرف الناسخ من المنسوخ قال : لا ، قال : هلكت وأهلكت )

يريد أنه عرض نفسه وعرض الناس للإهلاك ، فالذي يريد أن يتمدى لتفسير كتاب الله لا بد من أن يتقن ناسخ القرآن ومنسوخه ، إضافة الى بقیة الشروط المطلوبة فيه حتى لا يخطئ في فهم مراد الله وحكمه ، فالقرآن كاللحم الواحد أخذ برقاب بعضه يفسر بعضه بعضا ،

أخرج الدارمي في سننه (٣) والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٤) عن حذيفة

رضي الله عنه أنه قال : ( إنما يغتني الناس احد ثلاثة ، رجل قد علم ناسخ القرآن من منسوخه ، وأمير لا يجد من ذلك بدا ، أو أحق مُتكلِّمًا ) وأخرج ابن جرير في تفسيره (٥) من طريق علي بن أبي طلحة عن

ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ( وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خيرا كثيرا ) - البقرة / ٢٢٩ -

قال : المعرفة بالقرآن ناسخه من منسوخه ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره وحرامه وحلاله وأمثاله )

(١) الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص : ٦

(٢) ص : ٥ ، (٣) ج١/٦٢ باب الفتيا وما فيه من الشدة

(٤) ص : ٤ ، (٥) تفسير الطبري ج٥/٥٧٦ تحفید محمد سائل

فالناسخ والمنسوخ ضرب من ضرب التدرج في نزول الوحي الذي يتدرج مع تدرج الأحداث والوقائع مراعيًا ملاحظة العباد في الدارين ، فمعرفةنا بما صح من وجوهه تُعين على عدم الوقوع في الوهم بأن هناك تعارضًا بين بعض الآيات ، وتُظهرنا على جانب من حكمة الله في تربية الخلق وتوقفنا على مصدر القرآن الحقيقي وهو الله عز وجل لأنه (يمحو ما يشاء ويُثبت وعنده أمُّ الكتاب ) فهو يرفع حكماً ويُثبت آخر من غير أن يكون لأحدهم من خلقه عمل في ذلك ولا شأن (١)

### تعريف النسخ :

وانتقل الآن الى تعريف النسخ في اللغة والاصطلاح حتى يكون القارئ على علم بالمراد من هذا المصطلح ، ثم أشرح التعريف بإيجاز مستعينا بكلام أهل الأصول ،

النسخ في اللغة :

قال ابن مناور (٢) : ( والنسخ إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه ، وفي التنزيل ( ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ) ، ونسخ الآية بالآية ازالة مثل حكمها ، والشيء ينسخ الشيء نسخاً : أي يزيله ويكون مكانه والأشياء تناسخ : تداول فيكون بعضها مكان بعض كاليد والملك ، والعرب تقول : نسخت الشمس النال وانتسفته : أزالته ، والمعنى : أذهبت النال وحلت محله ، ونسخت الريح أثار الديار : غيرتها وهناك معنى آخر للنسخ ذكره في نفس الموضع وهو النسخ بمعنى النقل ، قال : النسخ اكتتابك كتاباً عن كتاب حرفاً بحرف ، والأصل نسخة ، والمكتوب عنه نسخة لأنه قام مقامه ، والكاتب ناسخ ، ومُنسخ ، وفي التنزيل : ( إِنَّا كُنَّا نَسْنِسُّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) - الجاثية / ٢٩ -

أي نَسْنِسُّ ما تكتب الحفظة فيثبت عند الله (٠) اهـ

قلت : والذي يهمنا في البحث النسخ بالمعنى الأول وهو : معنى التغيير

وإقامة الشيء مقام الآخر ، فهو عبارة عن التبديل كما قال تعالى :

وإذا بدلنا آية مكان آية ۞ ننسخها من الآيات ۞ وننزل بها آية ۞

وإذا بدلنا آية مكان آية ۞ ننسخها من الآيات ۞ وننزل بها آية ۞

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج٢ / ٢٨

الاعتبار للهمداني ص : ٦ ، مناهل العرفان للزرقاني ج٢ / ٢٩ - ٧٠

(٢) لسان العرب ، مادة : نسخ ج٣ / ٢٤٤

### النسخ اصطلاحاً :

هناك عدة تعريفات للأصوليين متقاربة المعنى وبعضها أدق من بعض ، واخترت منها ما تبين لي أنه أدقها وأصحها ، وهو :  
" رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر عنه " (١)  
شرح التعريف (٢) : إنَّ رفع الحكم الشرعي معناه قمع تعلقه بأفعال المكلفين ، حيث إنَّ الحكم الشرعي هو : خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين إما على سبيل الطلب أو الكف أو التخيير ، وإما على سبيل كون الشيء سبباً - كأن يربط بين الوراثة ووفاة شخص ، فتكون وفاته سبباً لوراثة آخر - أو شرطاً - كاشتراط الوضوء للصلاة والشهادة للنكاح - أو مانعاً - كالقتل والردة المانع للميراث - أو صحياً أو فاسداً - وهما ومغان يردان على الأحكام الشرعية فتتوقف الصلاة مثلاً بأنها صحيحة عند تحقق سببها واستيفاء شروطها وتكون غير صحيحة إذا لم تستوف ذلك (٣)

### والدليل الشرعي يشمل الكتاب والسنة ،

والرفع يخرج منه ما ليس برفع كالتخصيص فإنه لا يرفع الحكم وإنما يقصره على بعض أفرادها (٤) ، ورفع الحكم الشرعي خرج به : رفع براءة الذمة لأنها <sup>عقلية</sup> لا شرعية ، مثل ايجاب الصلاة فإنه رافع لبراءة ذمة الانسان منها قبل ورود الشرع بها ، ومع ذلك لا يُقال له نسخ وإن رفع هذه البراءة ،

وقوله في التعريف : " بدليل شرعي " : خرج به رفع حكم شرعي بدليل عقلي ، وذلك كسقوط التكليف عن الانسان بموته أو جنونه أو غفلته ، لان الله تعالى إذا اخذ ما وهب أسقط ما أوجب ، وقوله : " متأخر عنه " : لأنه لو كان متملاً به كان بياناً واتماماً للمعنى الكلام ، وتقديراً له بمدة وشرط ،

ومثاله قوله تعالى : ( حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلاً ) فلما جاء قوله تعالى : ( الزانية والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ..... ) النور / ٢ -

كان ذلك بياناً للمسبب الوارد في الآية الاخرى ، فقوله " او يجعل الله لهن سبيلاً " هو بيان وتقدير للحكم بمدة معينة وشرط معين ، فلما جاءت

(١) وهو تعريف ابن الحاجب والبيزدي صاحب كشف الاسرار ، وقد استعمل

البيزدي سائر التعريفات ونقدها ورجح ما اخترته انظر :

كشف الاسرار : ج ٣ / ١٥٥ - ١٥٦ ، حاشية التفتازاني على مختصر ابن الحاجب ١٨٥/٢

(٢) انظر في ذلك : المستمضى للفرغلي ١٠٧/١ ، العدة لابي حنيفة ٢٧٨/٣

كشف الاسرار ١٥٥/٣ ، الاحكام للامدي ٢٣٦/١ ، مناهل العرفان للزرقاني ٢٢٢/٢ - ٢٨

(٣) تراجع كتب الاموال لمعرفة السبب والشرط والمانع وغيرها

(٤) سوف يأتي ان شاء الله بيان الفرق بين النسخ والتخصيص بعد مبحث العموم والخصوص



الاية الثانية لم تكن نسخا لهذا الحكم وإنما بيان لما أُحْمِلَ فيه  
وَقَدْ رَدَّ مِنْ مُدَّةٍ أَوْ شَرْطٍ (١)

ثبوت النسخ :

والنسخ إنما يثبت بما يلي : أولا : إذا كان هناك نص من الشارع  
على أن هذا ناسخ وهذا منسوخ ، ومثاله قوله تعالى :  
( يا أيها النبي حرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشِيرُونَ  
مَآبِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ مَآبِرَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا  
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ، الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ  
أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ) فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ مَآبِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ  
مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ) - الأنفال / ٦٥

فقوله تعالى : الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ ... الآية مريح في بيان  
النسخ ، فمقابلة الواحد للجملة كانت فرضا ثم خُفِّفَ عَنْهُمْ بِمَا ذَكَرَ  
اللَّهُ مِنْ مَقَابِلَةِ الْوَاحِدِ لِلْأَثْنَيْنِ (٢)

ثانيا : إذا دلَّ على ذلك الإجماع ، والإجماع لا ينسخ ولا ينسخ

به وإنما يدل على النسخ

ثالثا : أن يكون هناك تعارض بين النصين بحيث لا يُستطاع العمل

بكليهما ، أمّا إذا استطعنا الجمع والتوفيق بين مدلولي النصين والعمل  
بهما معا فهو المقدم والأولى لأن أعمال الدليلين أولى من أعمال أحدهما  
والأصل في الأحكام بقاؤها وعدم نسخها ، وإن لم يمكن الجمع ننظر  
أيهما المتقدم وأيها المتأخر في الزمان فيكون المتأخر ناسخا لحكم  
المتقدم (٣)

أمور مهمة تتعلق بالنسخ ينبغي للباحث أن يدركها

أولها : أن الناسخ هو الشارع كما يدل عليه قوله تعالى :

ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ) - البقرة / ١٠٦  
وقد يُطلق النسخ على دليبه كذلك ، فيقال : آية الموارث نسخت  
آية الوصية للوالدين والأقربين

ثانيها : أن النسخ لا يقع إلا في الأحكام الشرعية التي هي

ليست من الكليات ، قال الإمام الشاطبي رحمه الله (٤) :

( القواعد الكلية من الضرورات والحاجيات والتحسينيات لم يقع فيها

نسخ ، وإنما وقع في أمور جزئية بدليل الاستقراء ، فإن كل ما

يعود بالحفظ على الأمور الخمسة ثابت ) (٥)

(١) انظر تفصيل الكلام على هذه المسألة : أصول السرخسي ج٢ / ٧١

شرح الكوكب المنير ج٢ / ٧١

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ج٢ / ٨٧٧ (٣) انظر الاثنان للسيوطي ج٢ / ٢٤

(٤) الموافقات ج٢ / ٧٩

والأمور الخمسة التي قصدتها الشاطبي رحمه الله هي الضروريات التي جاءت الشريعة بحفظها لسعادة البشر في الدارين ، وهي حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال ، فما يعود على هذه الأمور بالحفظ والعناية لا يُنسخ لأنها من مصالح العباد ، فموضوع النسخ هو ما كان من فروع العبادات والمعاملات ، أما غير هذه الفروع من أمهات العقائد والأخلاق وأصول العبادات والمعاملات ، ومدلولات الأخبار المحضة فلا نسخ فيها ولذلك فإن الأديان الإلهية متحدة في العقائد وأمهات الأخلاق وأصول العبادات والمعاملات ، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : ( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ٠٠٠٠٠ ) الآية - الشورى / ١٣ -

ثالثها : هناك كثير من النصوص ذكرت في الناسخ والمنسوخ وهي ليست كذلك ، وقد نبه على ذلك بعض المحققين ومنهم الامام الزركشي في البرهان (١) حيث قال :

( ما أمر به لسبب ثم زال ذلك السبب كالأمر حين الضعف والقلّة بالصبر وبالمغفرة للذين لا يرجون أيام الله ونحوه من عدم ايجاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحوها ثم الامر بايجاب ذلك : ليس بنسخ في الحقيقة وإنما هو نسيء (٢) كما قال تعالى ( ننسأها ) (٣) فالمُنسأ هو الأمر بالقتال الى ان يقوى المسلمون ، وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الاذى ، وبهذا التحقيق تبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف أنها منسوخة بآية السيف (٤) وليست كذلك بل هي من المنسأ ، بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعلة توجب ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلة الى حكم آخر ، وليس بنسخ إنما النسخ الازالة حتى لا يجوز امتثاله ابداً ، ومن هذا قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم ٠٠٠ ) الآية - المائدة / ١٠٠ -

(١) البرهان في علوم القرآن ج٢ / ٤٢ - ٤٣

(٢) اي مؤخر ، انظر مجموع الفتاوي ج١٧ / ١٨٨

(٣) تمام الآية : ( ما ننسخ من آية أو ننسأها نأخذ بخير منها أو مثلها ) وهي قراءة ابي عمرو وابن كثير النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج٢ / ٤٠

(٤) وهي قوله تعالى : ( فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ٠٠٠ ) - التوبة / ٤

كان ذلك في البدء الامر ، فلما قوي الحال وجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمقاتلة عليه ، ثم لو فرض وقوع الضعف كما أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ) <sup>(١)</sup> عاد الحكم ، وهو سبحانه حكيم أنزل على نبيه - صلى الله عليه وسلم - حين الضعف ما يليق بتلك الحال رأفة بمن تبعه ورحمة ، اذ لو وجب لأورت مشقة وحرجا ، فلما أعز الله الاسلام وأظهره ونصره أنزل عليه من الخطاب ما يكافيء تلك الحالة من مطالبة الكفار بالاسلام أو بأداء الجزية إن كانوا أهل كتاب ، أو الاسلام او القتل إن لم يكونوا اهل كتاب ، ويعود هذان الحكمان - اي المسالمة عند الضعف والمسايغة عند القوة - يعود سببهما ، وليس حكم المسايغة ناسخا لحكم المسالمة بل كل منهما يجب امتثاله في وقته (٠) اهـ

قلت : تبين مما مر كيف أن هناك احكاما تُدرج في تشريعها مما يلائم المصلحة في كل ظرف ، وسوف اشرح هذه الاحكام بالتفصيل كلاً في بابيه بمشيئة الله تعالى

الامر الرابع : ما قاله الامام الشافعي رحمه الله من أن الكتاب لا ينسخ الا الكتاب ، حيث قال في رسالته <sup>(٢)</sup> :

( وانزل عليهم الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة ، وفرض فينسخه فرائض أثبتها ، وأخرى نسخها رحمة بخلقه بالتخفيف عنهم وبالتوسعة عليهم ، زيادة فيما ابتدأهم به من نعمه ..... وأبان الله لهم أنه إنما نسخ من الكتاب بالكتاب ، وان السنة لا ناسخة للكتاب وانما هي تبع للكتاب بمثل ما نزل نصا ومفسرة معنى ما أنزل الله منه مجملاً ... وفي قوله ( ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ) بيان ما وصفت من أنه لا ينسخ كتاب الله إلا كتابه كما كان المبتدئ لغرضه ، فهو المزيل المثبت لما شاء منه جل ثناؤه ، ولا يكون ذلك لأحد من خلقه ، وفي كتاب الله دلالة عليه قال الله :

( ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ، ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ) - البقرة / ١٠٦ -

فأخبر أن نسخ القران وتأخير انزاله لا يكون إلا بقران مثله (٠) اهـ

(١) اخبره الامام مسلم في صحيحه عن ابي هريرة ، كتاب الايمان ، باب بيان ان الاسلام بدأ غريبا ( شرح انووى ج٢ / ١٧٥ )

(٢) الرسالة ج١ / ١٠٦ ، وهو قول الامام احمد ايضا ، وجمهور الاصوليين على ذلك ، وخالف في ذلك قوم من الظاهرية والقاضي ابو يعلى ، انظر : روضة الناظر / ٧٩ ، العدة : ٧٨٨ / ٣ ، ارشاد الفحول : ١٨٦ / نهاية السؤل : ١٧٩ / ٢ ، شرح الكوكب المنير : ٥٢٩ / ٣

وقال الشاطبي<sup>(١)</sup> رحمه الله : ( الأحكام اذا ثبتت على المكلف فادعاء

النسخ قبيها لا يكون الا بامر محقق ، لان ثبوتها على المكلف  
أولاً محقق فرفعها بعد العلم بثبوتها لا يكون إلا بمعلوم محقق  
ولذلك أجمع المحققون على أن خير الواحد لا ينسخ القرآن ولا الخبر  
المتواتر لأنه رفع للمقطوع بالمظنون (١٠) اهـ

قلت : ومن أثبت نسخ الكتاب بالسنة من الأصوليين ليس له دليل نقلي  
يعتمد عليه <sup>(٢)</sup> ولا يمح الاستدلال بحديث : ( لاوصية لوارث ) الذي  
سيأتي بيانه - على أنه ناسخ لاية الوصية ، لأنه قد ثبت أن  
الناسخ هو آية الموارث ، والحديث يدل على ذلك ويبيّنه وسوف يأتي  
توضيح ذلك قريباً إن شاء الله تعالى

#### الأمر الخامس :-

لابدّ من الاشارة الى أن اطلاق لفظ النسخ عند السلف أعمّ منه عند  
الخلف ، فلا بُدّ من فهم ذلك عند دراسة موضوع النسخ ، ولئلا نخلط  
النسخ بغيره مثل التخصيص ونحوه

قال الشاطبي <sup>(٣)</sup> : ( والذي يظهر من كلام المتقدمين أن النسخ  
عندهم في الإطلاق أعمّ منه في كلام الأصوليين ، فقد يطلقون علي  
تقييد المطلق نسخاً وعلى تخصيص العموم نسخاً ، وعلى بيان المبهم  
والمجمل نسخاً ، لأن جميع ذلك مشترك في معنى واحد ، وهو أن  
النسخ في الإصطلاح المتأخر اقتضى أن الأمر المتقدم غير مراد في  
التكليف ، وإنما المراد ما جاء به آخراً ، وهذا المعنى جارٍ في  
تقييد المطلق فإنّ المطلق متروك الظاهر مع مقيده ، فلا إعمال له في  
إطلاقه بل المعمل هو المقيّد وكذلك العام مع الخاص ،  
فلما كان كذلك استسهل اطلاق لفظ النسخ في جملة هذه الصعاني لرجوعها  
الى شيء واحد ، ومن أمثلة ذلك :

قال ابن عباس في قوله تعالى ( قل الأنفال لله والرسول ) - الانفال/١  
منسوخ بقوله : ( واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة ٥٥ )

الانفال / ٤٣

وانما ذلك بيان المبهم<sup>(٤)</sup> في قوله : ( لله والرسول ) اهـ

(١) الموافقات ج٣ / ٧٢

(٢) واحتجاج البعض بقوله تعالى ( نأت بخير منها ) وان المقصود بالخيرية  
ما حصل به خير للمكلف ، وهو السهولة فني التكليف او كثرة الاجر ، اجاب  
عنه العلماء ، راجع مجموع الفتاوى ج١٧ / ٤٧ - ٤٨ فقيه تفصيل حول الموضوع  
٣٩٨ / ٢٠

(٣) الموافقات ج٣ / ٧٣

(٤) انظر احكام القرآن لابن العربي ج٢ / ٨٣٤ حيث قال بعض العلماء إنه نسخ حقيقي

### الأمر السادس :-

أَنَّ النسخ لا يلزم منه أَنَّ الله قد انكشف له ما لم يكن عالماً به ، فإنَّ الله تعالى يعلم أَنه يأمرهم بأمر مطلق ويُدِيم عليهم التكليف الى وقت معلوم يقطع فيه التكليف بالنسخ ، قال ابن قدامة (١) : ( العقل لا يمنع أَنَّ يكون الشيء مطّحة في زمان دون زمان ، ولا بُعد ان الله يعلم مطّحة عباده في أَنَّ يأمرهم بأمر مطلق حتى يستعدوا له فيثابوا ، ويمتنعوا بسبب العزم عليه من معاص وشهوات ثم يخففه الله عنهم . ) اهـ قلت : أي أَنَّ المطّحة تصير في الناسخ بعدما زالت عن المنسوخ حيث إنَّ مصالح العباد تتجدد بتجدد الأزمان وتختلف باختلاف الاشخاص والاحوال ، فالله تعالى يُغيّر ما شاء من شرائعه واحكامه على وفق علمه وارادته وحكمته ، وعلمه سبحانه لا يتغير ولا يتبدل انما التغيير في المعلوم لا في العلم ، كما أَنَّ هناك أمراً مهماً وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم - بعثه الله تعالى في قوم لم يكونوا اصحاب دين ولم يتقيدوا قبله بقانون ولا نظام ، فلو خوطبوا بالاحكام الشرعية دفعة واحدة لما أطاقوها ، ولذلك اخذهم الله سبحانه بالتدرج ، فنزل على الرسول من الاحكام ما يطيقون ، حتى اذا ذاقوا بشاشة الايمان وراضوا انفسهم على شكائم خلقية فاضلة ، خوطبوا بأحكام الشريعة الخالدة ، ويعد هذا العرض الموجز لموضوع النسخ انتقال الى ضرب مثال لبيان انه ليس هناك تعارض بين الناسخ والمنسوخ بمعنى انه لا يمكن العمل بكليهما وان الناسخ يأتي متأخراً في الزمان لبيان انتهاء العمل بالمنسوخ لانتهاء الحكمة والمطّحة التي اقتضت ذلك زمان تشريع المنسوخ ، حيث إنَّ النسخ هو انتقالٌ إلى الأحسن والاصلح للمكلف

### نسخ الوصية للوالدين والاقربين بآيات الميراث

المعروف أَنَّ الميراث في الجاهلية لم يكن يسير على نظام محكم ثابت ، فقد كان اكبر الابناء يأخذ التركة ، وأحياناً يوصي بها لمن يشاء ، والمرأة في كل الاحوال ليس لها نصيب ، فأوجب الله تعالى اولاً ان تكون الوصية في الوالدين والاقربين من غير تعيين ، حتى اذا الغوا ذلك جاءت اية الميراث المحكمة فوزعت التركة بأحكام الفرائض ذلك التوزيع العادل (١)

(١) روضة الناظر / ٦٩

(٢) راجع مناهل العرفان للشيخ الزرقاني : ج٢ / ٧٩ ، اصول الفقه

لابي زهرة / ١٤٩

والآن الى ضرب المثال :

قال الله تعالى : ( كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا  
الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ) - البقرة / ١٨٠ -  
تفيد هذه الآية أنّ الوصية للوالدين والاقربين فرض وحق واجب

على من حضرهم الموت من المسلمين ،

وهذا في الظاهر يعارض ما تضمنته آيات المواريث التي اعطت كل ذي حق  
حقه ومنهم الوالدين قال تعالى :

( يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ، فإن  
كُنَّ نساءً فوق اثنتين فلهن مثل ما ترك ، وإن كانت واحدة فلها  
النصف ، ولأبويه لكل واحدٍ منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ،  
فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمّهُ الثلث ، فإن كان له اخوة  
فلامّهُ السدس ، من بعد وصية يوصي بها أو دين ) (٥٠٠٠٠) الآيات من  
١٠ - ١٤ من سورة النساء

فقد يتوهم متوهم أنّ هناك تعارضاً ، حيث أفادت الآية الأولى

أنّ الأمور به هو الوصية للوالدين والاقربين عند حضور الموت وان هذه  
الوصية موكولة الى العباد بشرط ان يراعوا الحدود ويبيّنوا حق كل قريب  
بحسب قرابته ، واليه الإشارة بقوله تعالى : ( بالمعروف ) اي بالعدل (١)  
والآية الثانية أفادت أنّ الله قد قسم الميراث وأعطى كل ذي حق

حقه ، فكيف التوفيق بين مدلول هذه الآيات وآية الوصية السابقة ؟  
والجواب : ان آية الوصية منسوخة بآيات الميراث (٢) بمعنى أنّ الوصية  
قد رُفِعَ حُكْمُهَا حيث تولى الله سبحانه بيان ذلك الحق على وجه

يُتَيَقَّنُ أَنَّهُ الصَّوَابُ ، وأنّ فيه الحكمة البالغة ، فتحوّل الامر عن جهة  
الإيحاء الى الميراث فقال تعالى : ( يوصيكم الله في أولادكم ) (٥٠٠) الآيات  
قال اللوسي (٣) : ( أي الذي فوض اليكم تولى شأنه بنفسه اذا

عجزتم عن مقاديره لجهلكم ، ولما بين بنفسه ذلك الحق انتهى حكم  
تلك الوصية لحصول المقصود ) (٥٠) اهـ

قال الامام الشافعي في الرسالة (٤) : ( فانزل الله ميراث الوالدين ومن  
ورث بعدهما ومعهما من الاقربين وميراث الزوج من زوجته والزوجة من زوجها

(١) روح المعاني لللوسي ج٢ / ٥٤

(٢) وهذا ما اطبق عليه جماهير العلماء والمفسرين ، والقول ان الناسخ  
هو حديث (لاوصية لوارث) غير صحيح لما سيأتي

(٣) روح المعاني ج٢ / ٥٤

(٤) ج١ / ١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٤٥

فكانت الآيتان محتملتين لأن تثبتا الوصية للوالدين والاقربين والوصية للزوج والميراث مع الوصايا فيأخذون الميراث والوصايا ، ومحتملة بأن تكون المواريث ناسخة للوصايا ٠٠٠٠ الى أن قال ما خلاصته : وقد طلب العلماء ما يرجح أحد الاحتمالين فوجدوا في سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث ) (١) والخبر متواتر فأفاد أن المواريث ناسخة للوصية للوالدين والاقربين والزوج والزوجة ، ثم قال ما نصه : (( وكذلك قال أكثر أهل العلم إن الوصية للاقربين منسوخة زائل فرضها ، إذا كانوا وارثين فبالميراث وإن كانوا غير وارثين فليس يفرض أن يوصي لهم ، ومن أوصى له الميت قرابة وغيرهم جازت الوصية إذا لم يكن وارثا ... وأحب إلي لو أوصى لقرابته ) وقد اكد المفسرون كلام الشافعي رحمه الله

وقال اللوسى (٢) : ( النسخ في الحقيقة باية المواريث والاحاديث مبينة لجهة نسخها ) اهـ

قلت : فالحديث قد بين لنا مراد الشارع وهو أن آيات المواريث ناسخة لاية الوصية ، فيجب العمل بذلك ، وأنه لا تجوز الوصية للوارث ، ويبقى غير الوارث خارج نطاق النسخ فتشعر الوصية له قال ابن الجوزي (٣) : ( والعلماء متفقون على نسخ الوصية للوالدين

والاقربين الذين يرثون ، وهم مختلفون في الاقربين الذين لا يرثون هل تجب الوصية لهم ؟ على قولين أحدهما أنها لا تجب لاحد ) اهـ قلت : والجمهور على استحبابها لغير الوارث لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : ( لا وصية لوارث ) حيث إن مفهومه مشروعية الوصية لغير الوارث خاصة اذا كان فقيرا (٤)

(١) هذا الحديث نص على تواتره الامام الشافعي في الرسالة جا / ١٤٢

وكذلك جمع من الائمة ( انظر : نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني / ١٠٨ والحديث مروى عن جمع من الصحابة ، فقد أخرجه ابو داود في كتاب الوصايا ج٢ / ٢٩٠ ، رقم : ٢٨٧٠

والترمذي في كتاب الوصايا ، باب ما جاء لا وصية لوارث ، وقال : حسن صحيح ج٤ / ٤٣٣

وابن ماجة كتاب الوصايا ، باب لا وصية لوارث ج٢ / ٩٠٥ رقم : ٢٧١٣

وأخرجه الامام احمد في مسنده ٥ / ٢٦٧ ، أخرجه عن : أبي أمامة الباهلي ،

وعمر بن خارجة ، وانس بن مالك رضي الله عنهم ، وقد توسع في تخريجه

الشيخ الالباني في كتابه : ( إرواء الغليل ) واستوفى طرقه ونص على تواتره ج١ / ٩٥

(٢) روح المعاني : ج٢ / ٥٤

(٣) زاد المسير : ج١ / ١٨٢

(٤) انظر احكام القران لابن العربي ج١ / ٧٢

على أن لا تزيد علي الثلث لقول الرسول - على الله عليه وسلم -  
لسعد بن أبي وقاص : ( الثلث والثلث كثير ) (١)

والملاحظ هنا أننا نفينا حصول الاختلاف والتعارض بين النصين وهما  
آية الوصية وآيات المواريث ، ذلك باثبات ان هناك اختلافاً في زمان نزول  
كل منهما وأن أحدهما ناسخٌ لحكم الآخر وإذا ثبت ذلك فليس هناك مجال  
للتوهم بحصول اختلاف أو تناقض بين هذه النصوص وذلك لحصول انفكاك في  
الجهة الزمانية ،

وهذا المثال يوضح ويُعين على فهم بقية الأمثلة التي هي من  
شاكلته والتي ستمر في أبوابها - إن شاء الله تعالى - ، والتي يكون سبب  
الوهم فيها حصول النسخ الذي بينت أهميته وهكمته فيما مضى  
والله ولي التوفيق

---

(١) أخرجه الامام البخاري في صحيحه ج٢/ ١٨٦ ، كتاب الومايا ،

باب : الوصية بالثلث

وأخرجه الامام مسلم في صحيحه ، كتاب الوصية ( شرح النووي ج١١ / ٨٢ )

والامام احمد في مسنده ج١ / ١٧٢ وغيرهم عن سعد بن ابي وقاص

وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم



السبب الثاني من أسباب إيهام الاختلاف

العموم والتخصيص :  
العام في اللغة (١) : هو الشامل المستغرق ، يقال : مطر عام  
وخصب عام ، أي شمل الامكنة كلها  
وقد عرف العلماء العام بعدة تعريفات متقاربة المعنى ، وبعضها أدق من  
بعض ، واخترت منها ما تبين لي أنه الأقرب إلى الدقة :  
فالعام : ( هو لفظ يستغرق جميع ما يطرح له دفعة بحسب وضع واحد  
بلا حصر ) (٢)

شرح التعريف :-

يخرج من هذا التعريف ما لا يطرح للشمول والاستغراق مثل اللفظ المطلق  
فانه لا يدل على شيء من الأفراد ففلا عن استغراقها ، ويخرج ما لا  
يستغرق دفعة مثل النكرة في سياق الاثبات - كرجل ورجلين ورجال -  
لان " رجل " مثلا يطرح لكل ذكر من بني آدم ، لكنه ليس بمستغرق دفعة  
وقس عليه رجلين ورجال ، ولكن المستغرق دفعة مثل قولك : " الرجال " فانه  
لفظ عام لا يشذ عنه رجل ،  
واحترز بقولهم : " بحسب وضع واحد " من اللفظ المشترك كالعين  
فانه يطلق على العين الباصرة ، والماء الجارية ، فلا يسمى عاما لانه  
لم يوضع لهما وضع واحد ، بينما العام يدل على جميع ما يشتمل  
عليه بوضع واحد وفي حال واحدة "  
وخرج بقولهم : بلا حصر ، نحو لفظ عشرة فان العدد محصور باللفظ فلا  
يكون من صيغ العموم ؛  
واما الخاص فانه لا يدل على الشمول والاستغراق وانما يدل على فرد واحد  
او افراد محصورين

وللعموم صيغ ذكرها العلماء (٣) :

- ١ - المعرف بأل ، مثل قوله تعالى : ( والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما  
٠٠٠٠٠ ) الآية - المائدة / ٣٨ -
- ٢ - المعرف بالإضافة ، مثل قوله تعالى : ( يوصيكم الله في اولادكم ٠٠٠ )  
الاية - النساء / ١١ -
- ٣ - الفاظ الشرط ، مثل قوله تعالى : ( فمن شهد منكم الشهر فليصمه ٠٠٠ )  
الاية - البقرة / ١٨٥ -

(١) لسان العرب ج٢/ ٨٨٩ مادة عمم

(٢) روضة الناظر : ١٩٤ ، كشف الاسرار : ج١/ ٣٣ ، نهاية السؤل : ج٢/ ٥٦

المعتمد في اصول الفقه : ج١/ ٢٠٣ ، مذكرة اصول الفقه للشنقيطي : ٢٠٣

اصول الفقه لابن زهرة : ١٢٣ ، وقارن بتعريف ابن الحاجب : حاشية التفتازاني

ج٢/ ١٠١ ، والامدي في الاحكام : ج١/ ٥٤ ، والغزالي في المستقصى : ج١/ ٣١٩

- ٤- الأسماء الموصولة ، مثل قوله تعالى : ( والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً ) (٠٠٠٠) الآية - البقرة / ١٨٥ -
- ٥- النكرة في سياق النفي ، أو النهي ، أو الشرط ،  
مثال النفي : ( ولم تكن له صاحبة ) - الانعام / ١٠١ -  
ومثال النهي : ( لا يسخر قومٌ من قومٍ ) - الحجرات / ١١ -  
ومثال الشرط : ( إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ) - الحجرات / ٦ -
- ٦- النكرة الموصوفة بوصف عام ، كقوله تعالى : ( ولعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مشركٍ ولو أعجبكم ) - البقرة / ٢٢١ -
- ٧- ما سبق بكل أو جميع ونحو ذلك ، مثل قوله تعالى : ( كلُّ نفسٍ ذائقة الموت ) - آل عمران / ١٨٥ - ( الله خالق كلِّ شيء ) - الزمر / ٦٢ -

(١)

تعريف التخصيص وشرح التعريف :

من المعلوم أن العام قسماً ، عام لا يدخله التخصيص ، وعام دخله التخصيص وهو أن يقوم دليل على أنه قد تخصّص بمخصّص ، لذا لا بد من تعريف التخصيص

وهو : ( قصر العام على بعض أفرادهِ بإرادة الأولى بدليل )

فالمُخصّص مُبيّن لإرادة الخاص ، إذ هو على الحقيقة بيان خروج الصيغة عن وضعها من العموم إلى الخاص ، أي بيان لإرادة المُتّارِع لبعض أفراد العام ابتداءً ، وأن الأفراد التي لا تشملها الأحكام المُقرّنة بلفظ العام لم تدخل في ضمن العام بالنسبة لهذه الأحكام ،

فاللفظ الذي كان يتناول الجميع في نفسه قد اقتصرت دلالتُهُ على البعض خاصة ، ولذا عرف أبو الحسين البصري التخصيص بقولته (٢)

(إخراج بعض ما تناوله الخطاب )

ومعنى قولنا : إن العموم مخصّص : أن المتكلم به استعمله في بعض

ما تناوله

قال الآمدي (٣) : ( هو صرف اللفظ عن جهة العموم إلى جهة الخاص ،

ولا معنى لتخصيص العموم سوى صرف اللفظ عن جهة العموم الذي هو حقيقة

فيه إلى جهة الخاص بطريق المجاز ) اهـ

ما تقدم هو معنى التخصيص ، أمّا كلمة خاص وخصوص فيفترق عما

تقدم ، لان معنى " خاص " أنه وُضع لشيء واحد ، نحو قولنا : البصرة

(١) الأحكام للآمدي ج١/١١٦ ، المعتمد لأبي الحسين البصري : ج١/٢٥٧

حاشية التفّازاني : ج٢/١٢٩ ، الاتقان للسيوطي ج٢/١٦ - ١٨

اصول الفقه لأبي زهرة / ١٣٠ ، مذكرة الشنقيطي / ٢١٨

(٢) المعتمد في اصول الفقه : ج١/٢٥٧ ، (٣) الأحكام : ج٢/١١٦

وزيد ، ونحوه فهو موضوع لعين واحدة أو افراد محصورين ، فهناك فرق بين قولنا مخصص وخاص ، فالمخصص هو العام بعد تخصيصه ، اي قصره على بعض أفراده ، والخاص موضوع في الأصل لعين واحدة وشيء واحد والعام يُخصّص بما يتصل به وبما ينفصل عنه ، والذي يعنينا من ذلك هو العام الذي يُخصّص بالمنفصل إذ هو الذي يُتوهم تعارضه مع المُخصّص المنفصل ،

اما المُخصّص المتمصل فليس فيه إيهام ، ولا بأس بضرب أمثلة له :

المخصّص المتمصل يكون بالشرط والغاية والاستثناء وبدل البعض من الكل :  
فمثال الشرط : ( ولأبويه لكل واحدٍ منهما السدس مما ترك إن كان له ولد )  
النساء / ١١ -

ومثال الاستثناء : ( والعصر إنَّ الانسان لڤي خسر إلا الذين آمنوا ) (العصر/ ٢-١)

= الصفة : ( فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ) النساء/ ٢٥

= الغاية : ( ولا تقربوهن حتى يطهرن ٠٠٠ ) - البقرة / ٢٢٢

= بدل البعض من الكل : ( ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ) - آل عمران / ٩٧ -

أما المُخصّص المنفصل فيكون بعدة أدلة<sup>(١)</sup> :

والذي يعنينا منها التخصيص بالنص وبالذات النص القراني ، إذ أن التخصيص

يكون بكتاب أو سنة ، ومثال تخصيص الكتاب بالسنة :

قوله تعالى : ( وأحل لكم ما وراء ذلكم ) - النساء / ٢٤ -

خصّص بقوله - طي الله عليه وسلم - : ( لا تُنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ) (٢)

وتخصيص الكتاب بالكتاب وهو موضوع البحث متفق عليه بين العلماء

يقول الامدي<sup>(٣)</sup> : ( وقد اتفق العلماء على جواز تخصيص الكتاب بالكتاب

ودليله المنقول والمعقول : أمّا المنقول : فهو أن قوله تعالى :

( وأولات الاحمال أجهن أن يضعن حملهن ) - الطلاق / ٤ -

ورد مُخصّصاً لقوله تعالى : ( والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن

بأنفسهن أربعة اشهر وعشرا ) - البقرة / ٢٣٤

(١) منها دليل العقل ، والحس ، والاجماع ، والقياس ، والمفهوم ، والعرف

المقارن للخطاب ، انظر لذلك عامة كتب الاصول ، باب العموم والتخصيص

(٢) اخرج به البخاري ، كتاب النكاح ج٦/ ١٢٨ ، ومسلم : كتاب النكاح

واللفظ له ( شرح النووي / ج٩/ ١٩١ ) ، واحمد ج٢/ ٤٦٢ ، ٥٣٣ واصحاب السنن

عن ابي هريرة رضي الله عنه ،

(٣) الاحكام : ج٢ / ١٤٦ - ١٥٠

وقوله : ( والمحضات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ٠٠ ) - المائدة/٥ -  
ورد مُخصّما لقوله تعالى : ( ولا تَنكحوا المشركات حتى يُؤْمَنَ ٠٠ ) - البقرة/٢٢١  
وأما المعقول : فإنّه إذا اجتمع نمان من الكتاب احدهما عام والآخر  
خاص ، وتعدّر الجمع بين حكميهما فإنه إما أن يُعمل بالعام فيلزم منه  
إبطال الدليل الخاص مطلقا فيما خرج عنه ، فكان العمل بالخاص أولى ،  
ولأن الخاص أقوى في دلالة ، والتخصيص ليس فيه سوى دلالة على عدم  
إرادة المتكلم لكل الصور المفروضة بلفظ عام ، وهو منع لإثبات الحكم لبعض  
أفراد ، والعمل بالخاص لا يلزم منه إبطال العام مطلقا لامكان العمل به  
فيما خرج عنه فكان العمل بالخاص أولى ٠ ) اهـ

### أقسام العام في القرآن

قال العلماء : إنَّ العام على ثلاثة أقسام :  
الاول : " عام باق على عمومته " أي لم يأت دليل يخصه مطلقا ،  
ومثاله : قوله تعالى : ( حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ ٠٠٠ ) الآية - النساء/٢٣  
وقوله : ( - - والله بكلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) - البقرة/٢٨٢ -

الثاني : العام المراد به الخصوص ، وهو الذي لم يُرد شموله لجميع  
الأفراد لا من جهة اللفظ ولا من جهة الحكم ، بل هو ذو افراد استعمل  
في فرد منها ، وهو مجاز لنقل اللفظ عن موضوعه الاصلي وقرينته عقلية  
لا تنفك عنه ، ويصح أن يراد به واحد ، ومن أمثلته قوله تعالى :  
( الذين قال لهم النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قد جمَعوا لكم فَاخْشَوْهُمْ ٠٠٠ ) - آل عمران/١٧٣  
والقائل واحد وهو أعرابي من خراعة ، او مجموعة من الأعراب (١) وعلى  
كل حال فهم ليسوا كل الناس ، ومنها قوله تعالى :  
( أم يحسدون النَّاسَ على ما آتاهم الله من فضله ٠٠ ) - النساء/ ٥٤ -  
أي رسول الله - طى الله عليه وسلم - لجمعه ما في الناس من خصال الخير  
ولما آتاه الله من النبوة (٢)

الثالث : العام المخصوص ، وهو الذي أُريد شموله وعمومه  
لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لها لا من جهة الحكم ،  
ويكون المخصص منفصلا ومتصلا وقد تقدم بين ذلك (٣)

(١) أسباب النزول للواحي : ١٢٦ ، لباب النقول للسيوطي : ٦١

وانظر الرسالة للامام الشافعي : ٥٨

(٢) تفسير الماوردي ( النكت والعيون ) ج١ / ٣٩٨

(٣) الرسالة : ٥٣ ، الاتقان : ج٢ / ١٦

## علاقة العام بالخاص

عند الجمهور الخاص يُخصَّص العام سواء علم أن الخاص متأخر عن العام أم لم يعلم ، أم علم تأخر العام (١)

فإذا كان هناك نص عام وخاص وهما كالمتناهين فالواجب أن يكون الخاص مخصَّصاً للعام ، لأنَّ اجراء العام على عمومه يُلغي الخاص ، بينما استعمال الخاص واخراج ما تناوله من العام لا يلغي واحداً منهما فكان هذا أولى (٢)

قال الآمدي (٣) : (٤) العمل بالخاص لا يلزم منه ابطال العام مطلقاً لا مكان العمل به فيما وراء الخاص ، فكان العمل بالخاص أولى لأنه بيان للعام والبيان أولى من الإبطال . اهـ

ولتوضيح ذلك نستعرض مثالا من القران للعام الذي خصَّص بنفس منفصل لبيان اهمية هذا الباب ، وأن آيات القران مكملة لبعضها البعض ، منسجمة في معانيها ليس فيها اختلاف أو تناقض يقول الله تعالى بشأن عدة المطلقات (٥) :

( والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ) - البقرة / ٢٢٨ -

اي على المطلقة عدة لها احكامها ومقدار هذه العدة ثلاثة قروء ، والقراء : هو فترة الطهر او الحيض على خلاف بين العلماء ، فقوله : " والمطلقات " عام في جميع المطلقات ، ويشمل : غير الحامل ، والحامل ، والمدخول بها ، وغير المدخول بها ، والتي تحيض ، والصغيرة ، والكبيرة التي يئست من الحيض ، اي عموم النساء ، ولكن جاءت آيات اخرى خصت بعض النساء بأحكام تختلف عن هذا الحكم الذي هو وجوب الاعتداد لثلاثة قروء ،

فقد خصت الحامل بأن عدتها تنتهي بوضع حملها لقوله تعالى :

( وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ) - الطلاق / ٤ -

وخصت غير المدخول بها بأن ليس عليها عدة ، لقوله تعالى :

( يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن

تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ، فتمتعوهن وسرحوهن سراحا

جميلاً ) - الاحزاب / ٤٩ -

(١) شرح الاسنوي ج٢/ ١١٥ ، حاشية التفنازاني ج٢ / ١٤٧ ، المعتمد ج١ / ٢٧٦

الاحكام للامدي ج١ / ٣٠٢ - ٣٠٤ ، شرح الكوكب المنير ج٢ / ٢٨٢

(٢) المراجع السابقة (٣) الاحكام ج٢ / ٣٠٤

(٤) عند الحنفية وامام الحرمين الجويني : ان العام المتأخر ينسخ الخاص المتقدم

ويخص بالخاص المقارن له ، والمتأخر ، وانا لم يعرف التاريخ توقفوا ، اذ

ليس الحكم باحد الامرين اولى من الاخر ، قلت : والراجح هو طريقة الجمهور لظهور حجتهم

والله اعلم ، انظر : اصول السرخسي ج١ / ١٣٣ ، حاشية التفنازاني ج٢ / ١٤٧

(٥) العدة : هي الفترة التي تقضيها المرأة بعد طلاقها او وفاة زوجها =

وُحِّصَتِ المَنْفِرَةُ وَالْأَيْسَةُ بِالْأَشْهَرِ دُونَ الْقُرُوءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى :  
( وَاللَّيْلِ يَثْنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةٌ  
أَشْهُرٌ وَاللَّيْلِ لَمْ يَحْضَنْ ) (٠٠٠٠٠) - الطلاق / ٤ -  
فَمِنْ مَجْمُوعِ هَذِهِ الْآيَاتِ تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ الْآيَةَ الْأُولَى وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى :  
( وَالْمَطْلُوقَاتُ يُتْرِكْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ) (٠٠٠٠٠) الْآيَةَ  
مِنَ الْعَامِ الْمَخْصُوصِ بِمَخْصُوصٍ مُنْفَصِلٍ ، حَيْثُ تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَمْ يُرَدِّ بِهِ عَمُومِ  
الْمَطْلُوقَاتِ ، بَلْ، نَوَاتِ الْحَيْضِ مِنْهُنَّ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ وَاللَّوَاتِي لِسُنِّ حَوَامِلِ (١)  
فَعِنْدَ جَمْعِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالتَّمَعُّنِ فِيهَا وَالتَّدْبِيرِ فِي أَحْكَامِهَا نَجَدُهَا تَعَطُّيْنَا  
أَحْكَامًا تَفْصِيلِيَّةً مُتَنَوِّعَةً لِلْمَطْلُوقَاتِ حَيْثُ إِنْ أَحْوَالِهِنَّ تَخْتَلَفُ ، لَذَا اخْتَلَفَتْ  
الْأَحْكَامُ بِحَقِّهَا ، فَالَّذِي يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَاتِ كُلَّ مِنْهَا عَلَى حِدَةٍ يَظُنُّ أَنَّ هُنَاكَ  
اِخْتِلَافًا فِي بَيَانِ عِدَّةِ الْمَطْلُوقَةِ ، وَلَكِنْ عِنْدَ دِرَاسَتِهَا وَمَعْرِفَةِ سَبَبِ نَزْوِلِهَا  
وَتَدْبِيرِ مَعَانِيهَا وَفَهْمِ اِخْتِلَافِ أَحْوَالِ النِّسَاءِ وَمِرَاعَاةِ الشَّارِعِ لِهَذِهِ الْاِخْتِلَافَاتِ  
نَجِدُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ وَالْمَلَائِمَةِ لَيْسَ فِيهَا اِخْتِلَافٌ أَوْ تَعَارُضٌ  
بَلْ، هِيَ مُتَمِّمَةٌ لِبَعْضِهَا مُنْسَجِمَةٌ كَلِّ الْاِنْسِجَامِ  
وَهَذَا الْمَثَلُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْضَحَ لَنَا عِلَاقَةَ الْعَامِ بِالْخَاصِّ وَلِذَلِكَ نَظَائِرُ  
كَثِيرَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَقَعَ فِيهَا تَوْهَمُ الْاِخْتِلَافِ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا مِنَ الْغَفْلَةِ  
عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ ، وَلِعَدَمِ تَدْبِيرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ ، فَالْقُرْآنُ وَحِدَةٌ مُتَكَامِلَةٌ  
يُفْسِرُ بَعْضُهُ بَعْضًا كَمَا قَالَ الْبَارِي :  
( كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ) - هُودُ / ١ -

### الفرق بين النسخ والتخصيص

بَعْدَ أَنْ تَطَرَّقْنَا لِكُلِّ مِنَ النِّسْخِ وَالتَّخْصِيسِ كَسَبَبِيْنَ مِنْ أَسْبَابِ إِيْهَامِ الْاِخْتِلَافِ  
لَا بُدَّ مِنْ بَيَانِ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا ، حَيْثُ لَا غَنَى لِمَنْ يَرِيدُ مَعْرِفَةَ النِّسْخِ  
وَالتَّخْصِيسِ عَنْ مَعْرِفَةِ مِمِيزَاتِ كُلِّ مِنْهُمَا ، لِحُصُولِ اللَّبْسِ فِيهِمَا وَاشْتِرَاكِهِمَا فِي  
فِي الْأَخْصِ بَيْنَهُمَا ، إِذِ الْتَخْصِيسُ هُوَ قَصْرُ الْحُكْمِ عَلَى بَعْضِ أَفْرَادِ الْعَامِ  
دُونَ الْبَعْضِ الْآخَرَ ، فَفِيهِ مَا يُشْبِهُ النِّسْخَ مِنْ حَيْثُ رَفْعُ الْحُكْمِ عَنْ بَعْضِ  
أَفْرَادِ الْعَامِ إِلَّا أَنَّ النِّسْخَ هُوَ رَفْعُ الْحُكْمِ السَّابِقِ بِالْكُلِّيَّةِ ، سَوَاءً كَانَ مَوْضِعُهُ  
عَامًا أَوْ خَاصًّا ، أَمَّا التَّخْصِيسُ فَلَا يَلْزَمُ مَعَهُ أَنْ يَكُونَ لِأَفْرَادِ الْعَامِ  
الْمَرْفُوعِ عَنْهَا الْحُكْمُ حُكْمٌ قَدْ رُفِعَ بِالتَّخْصِيسِ بَلْ، لَا يَكَادُ يَوْجَدُ ذَلِكَ وَلَوْ  
وُجِدَ لَكَانَ تَسْمِيَتُهُ بِالنِّسْخِ أَوْجِبَ ،

ولا يحل لها أن تتزوج فيها أو تخطب استبراء للرحم ، وللعدة  
بالنسبة للمطلقة احكام الزوجية ، فللرجل ان يراجعها خلالها إن لم  
يكن الطلاق بائنا وكذلك يتوارثان إن مات أحدهما خلال العدة

(١) تفسير ابن كثير ج٤ / ٥٩٥ الطلاق / ٤ ، تفسير الرازي ج٦ / ٨٥ - ٨٦

تفسير القرطبي ج٢ / ١١٢ ، ج١٨ / ١٦٥ ، روح المعاني ج٢ / ١٣٠ ، ج٢٨ / ١٣٦

والتمييز بين النسخ والتخصيم من وجوه ستة :

احدها : أنّ النسخ لا يكون إلّا متأخرا عن المنسوخ ، والتخصيم يصح اتصاله بالمخصوص ويصح تراخيه عنه وتقدمه عليه ؛

الثاني : أنّ الدليل في النسخ لا يكون إلّا خطابا ، والتخصيم قد يقع بغير خطاب ، كالتخصيم بالقياس والعقل والعرف المقارن للخطاب ؛

الثالث : أنّ نسخ الشيء لا يجوز إلّا بما هو مثله في القوة او بما هو أقوى منه في الرتبة ، والتخصيم جائز بما هو دون المخصوص في الرتبة ، لأنّ النسخ رفع والتخصيم بيان ،

فقوله تعالى : ( وأحلّ لكم ما وراء ذلكم ... ) النساء / ٢٤ - نص عام متواتر لأنه قرآن ، وقد خصّص بخبر الأحاد : ( لا تُنكح المرأة على عمتها ... ) (١) الحديث ؛

الرابع : أنّ التخصيم لا يدخل في الأمر بمأمور واحد ، والنسخ جائز في مثله ، كسخ استقبال بيت المقدس باستقبال بيت الله الحرام ، فالمنسوخ شيء واحد ، بخلاف التخصيم فلا يدخل الا في عام له افراد متعددة يخرج بعضها بالمخصص ويبقى بعضها الاخر ؛

الخامس : أنّ التخصيم يُخرج من الخطاب ما لم يُردّ به ، والنسخ رافع ما كان قبل النسخ مقصودا دخوله في معنى اللفظ ، وفي الحكم ، أي رافع لما اريد اثبات حكمه ؛

السادس : النسخ لا يدخل الأخبار ، وإنّما هو في الإنشاء فقط ، بخلاف التخصيم ، فانه يكون في الإنشاء والخبر (٢)

---

(١) سبق تخريجه قريبا

(٢) الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار ، للهمداني : ٢٣ - ٢٤ التمهيد في اصول الفقه ، لابي الخطاب الحنبلي : ٧١ ، ١٠٣ روضة الناظر : ٦٨ ، مذكرة الشنقيطي : ٦٩

السبب الثالث من أسباب إيهام الاختلاف :-

الإطلاق والتقييد

يُعتبر الإطلاق والتقييد من أسباب الإيهام لمن لا يعرفه ، لذا لا بُدَّ من بيان هذا السبب مع الشرح وضرب المثال ، وأبدأ بالتعريف وشرحه :

(١) فالمطلق : ( هو المتناول لوحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه )

وهي النكرة في سياق الأمر أو ما يؤول اليه ،

ومثال الأول : قوله تعالى : ( فتحرير رقبة ) - المجادلة / ٣ -

ومثال الثاني : قوله صلى الله عليه وسلم : ( لا نكاح إلا بولي ) (٢)

فالحديث خبر لفظاً إنشاءً معنى ،

والمطلق يدل على الحقيقة بلا قيد (٣) ، فقوله : " فتحرير رقبة "

يدل على حقيقة الرقبة ، ولكنه لم يُعيّن وصفها ولم يُقيدها بقيد كقولك :

رقبة مؤمنة ، " كما أن المطلق يدل على شائع في جنسه " (٤)

ومعنى ذلك كونه حصة محتملة لحصص كثيرة مما يندرج تحت أمر مشترك من

غير تعيين ، فتخرج المعارف كلها لما فيها من التعيين ،

شخصاً : نحو زيد ، وهذا ، أو حقيقة نحو : الرجل ، أو استغراقاً نحو :

الرجال ، وكذلك كل عام ولو نكرة نحو : كل رجل ، ولا رجل

لأنه بما انضم اليه من كل والنفي صار للاستغراق ، والملاحظ

أنَّ المطلق : لفظ يتناول الذات دون الصفات

أما المُقَيَّد فهو (٥) : ( المتناول لمعيّن أو لغير معين موصوف بأمر

زائد على الحقيقة الشاملة لجنسه )

كقوله تعالى : ( فتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين

متتابعين ) - النساء / ٩٢ -

قيّد الرقبة بالإيمان والصوم بالتتابع ، فالمُقيّد يدل على مدلول

المطلق بصفة زائدة ، فهو يُخرج اللفظ من الشيوع بوجه من الوجوه

(١) روضة الناظر : ٢٣٠ ، شرح الكوكب المنير : ج٣ / ٣٩٢ ، الاحكام : ج٣ / ٣

أرشاد الفحول للشوكاني : ١٦٤

(٢) أخرجه : ابو داود في سننه ، كتاب النكاح ، باب في الولي ج٥٦٨ / ٢

وابن ماجة ، باب لا نكاح الا بولي ج٦٠٥ / ١ ، والترمذي : كتاب النكاح

باب ما جاء لا نكاح إلا بولي ، ج٤٠٧ / ٣ ، واحمد في مسنده ج٤١٣ / ٤ ، ج٢٥٠ / ١

من رواية أبي موسى الأشعري وابن عباس وجابر رضي الله عنهم ، وهو حديث صحيح

وفي بعض الروايات : ( وشاهدين ) وهي زيادة موقوفة على ابن عباس بسند

صحيح ، انظر : ارواء الغليل للشيخ الالباني ج٢٣٥ / ٦

(٣) الاتقان : ج٢ / ٣١ ، (٤) حاشية التفتازاني : ج١٥٥ / ٢

(٥) انظر تعريفات المقيد في : ارشاد الفحول : ١٦٤ ، الاحكام للامدي : ج٤ / ٣

حاشية التفتازاني : ج١٥٥ / ٢ ، روضة الناظر : ٢٢٩ ، شرح الكوكب المنير : ج٣ / ٣٩٣



فقله : " رقبة مؤمنة " أخرج الرقبة عن الشيوع بوصفها بالإيمان ، حيث كانت الرقبة شائعة بين المؤمنين وغيرهم ، فأزيل ذلك الشيع عنها وقيدت بالمؤمنة ، فالتقيد يرجع إلى نوع من التخصيص يُسمى تقيدا اصطلاحا فحكمه حكم التخصيص ، فكما يُقدم الخاص بيانا للعام فكذلك يقدم المُقيد بيانا للمطلق ، فالمطلق مع المُقيد كالعام مع الخاص ؛

قال العلماء : ومتى وُجد الدليل على تقيد المطلق صير إليه وإلا فلا بل يبقى المطلق على إطلاقه والمقيد على تقيده ، يقول الزركشي<sup>(١)</sup> : ( والضابط أنّ الله تعالى إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ، ثم ورد حكم آخر مطلقا نظر ، فإن لم يكن له أصل يرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقيده به وإن كان له أصل غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر ) اهـ

فالأول مثل اشتراط العدالة في الشهود على الرجعة والفرق والوصية في قوله تعالى : ( وأشهدوا ذوي عدل منكم ) - الطلاق / ٢ -

وقد أطلق الشهادة في البيوع فقال : ( وأشهدوا إذا تباعتم ) - البقرة / ٢٨٢

وقال : ( فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم ) - النساء / ٦ - والعدالة شرط في الجميع ، قال السيوطي<sup>(٢)</sup> :

( هذا مذهب الشافعي والجمهور<sup>(٣)</sup> ) اهـ

والثاني : مثل تقيد الصوم بالتتابع في كفارة الظهار والقتل : ( فصيام شهرين متتابعين ) - النساء / ٩٢ -

وتقيده بالتفريق في صوم التمتع : ( فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتن ) - البقرة / ١٩٦

وأطلق كفارة اليمين وقضاء رمضان ، فيبقى على إطلاقه من جوازه مفرقا ومتابعا فلا يمكن حمله عليهما لتنافي القيد<sup>(٤)</sup>

وللمطلق مع المقيد ثلاثة حالات ذكرها علماء الأصول ، واتفق العلماء

على أنه إذا اختلف الحكم والسبب فلا يُحمل المطلق على المقيد ، وفيما عدا ذلك فالجمهور على حمل المطلق على المقيد في حالة اتحاد الحكم ولو اختلف السبب ، أمّا إذا اتحد السبب واختلف الحكم ففيه خلاف بين العلماء<sup>(٥)</sup> قال الشيخ محمد أبو زهرة<sup>(٦)</sup> رحمه الله :

(١) البرهان في علوم القرآن : ج٢ / ١٥ ، وانظر : المستصفى للغزالي : ٣٧٠

(٢) الاتقان : ج٢ / ٣١

(٣) معلوم أن الحنفية خالفوا الجمهور في ذلك فقالوا : لا يُحمل المطلق على المقيد ، وحجتهم ان الزيادة على النص نسخ ، انظر : كشف الاسرار ج٢ / ٢٨٩ ، حاشية التفازاني : ج٢ / ١٥٧

(٤) البرهان للزركشي ج٢ / ١٥

(٥) تقدم خلافاً أبي حنيفة رحمه الله ، ولمعرفة حالات المطلق مع المقيد راجع :

حاشية التفازاني ج٢ / ١٥٦ ، نهاية السؤل : ج٢ / ١٤٠ ، روضة الناظر : ٢٣٠

شرح الأوكب المنير ج٣ / ٣٩٥ ، (٦) في كتابه : اصول الفقه ص : ١٣٧

؛ ( وحجة الجمهور في اعتبارهم المطلق محمولا على المقيد اذا اتحد الحكم ولو اختلف السبب هو وحدة القران الكريم ، ووحدة منزله وإعجازه في إيجازه فإذا وردت كلمة في القران مبينة حكما من أحكامه فلا بُدَّ أن يكون الحكم واحدا في كل موضع تُذكر فيه الكلمة ، فإذا وردت كلمة الرقبة على أن تحريرها مطلوب) فلا بُدَّ أن تكون تلك الرقبة متحدة الجنس والوصف في كل نصوص القران ، فإذا كانت مقيدة في أحد الموضوعات فلا بد ان تكون مقيدة في غيره لوحدة العقاب ولوحدة مُنزل الكتاب ، ولتأخي الأحكام ولتجانسها .  
قلت : وبعد هذا الموجز في بيان المطلق والمقيد ، سأطبق بمثال يوضح المراد ممّا مرّ ، إن قد يقع الإيهام بسبب عدم العلم بالمطلق والمقيد :

يقول الله تعالى : ( وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ) - المائدة/٥  
أطلق في الآية الإحباط على مَنْ يكفر بالإيمان ، اي الذي يرتد بعد أن كان مؤمنا ، فظاهر ذلك أنه قد خسر إيمانه وأعماله الماضيين ، سواء رجع الى الإيمان أو لم يرجع ؛  
ولكن هناك آية أخرى قيدت هذا الاحباط بمن يرتد ويموت على الكفر، وهي قوله تعالى : ( ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ) - البقرة /٢١٧ -  
فقيد حبط الأعمال بالموت على الردة وليس بمطلق الردة ، ان أن المرتد قد يتوب ويرجع الى دينه ،  
فوجب ردّ الآية المطلقة الى الآية المقيدة ، وألّا يُقضى بإحباط الاعمال إلا بشرط الموافاة على الكفر ، وهذا مذهب الشافعي رحمه الله ومن وافقه حيث استدل بالآية على أن الردة لا تُحبط الاعمال حتى يموت عليها ، وذلك بناء على أنها لو حبطت مطلقا لما كان للتقييد بقوله سبحانه :  
( فيمت وهو كافر ... ) فائدة (١)

(١)

احكام القران لابن العربي ج١/١٤٧ ، تفسير الرازي ج١/٢٦ ، روح المعاني ١١٠/٢  
وراجع احكام المرتد في المغني لابن قدامة : ج٨/١٢٦  
هذا وقد ذهب الحنفية والمالكية الى ان الردة تحبط الاعمال مطلقا ،  
لقوله تعالى : ( ومن يكفر بالايمن فقد حبط عمله ) ، قال ابن العربي :  
وقال علمائنا : انما ذكر الموافاة هنا لانه علق عليها الخلود في النار  
جزاء له فمن وافى كافرا ظله الله في النار بهذه الآية ، ومن اشرك حبط عمله  
بالآية الاخرى : ( لئن اشركت ليحطن عملك ) فهما ايتان مفيدتان لمعنيين مختلفين  
وحكمين متغايرين ، وما خوطب به النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو لامته حتى  
يثبت اختصاصه به ) اه - احكام القران ج١/١٤٨ -  
قلت : والراجع ما ذهب اليه الشافعي ومن وافقه حملا للمطلق على المقيد ولما  
يأتي من أدلة .

قلت : ومما يؤيد أن الذي يُحبط الاعمال هو الموت على الكفر ، لا مطلق الردة أمور عدة منها : قوله تعالى :

( ولقد أُوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . ) - الزمر / ٦٥ -

فقد بيّن الله سبحانه في هذه الآية أن من يحبط عمله يكون من الخاسرين مطلقا ، وهذا لا ينطبق على من أشرك بالله مرتدا ثم تاب توبة نصوحا ، لأنه والحال هذه يموت على الايمان ، فلا يكون من الخاسرين ، فدل ذلك على أن الذي يحبط عمله هو من يموت كافرا ؛ ومنها : قوله تعالى : ( قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ظلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا . . . ) الكهف // ١٠٥ - ...

أخبر الله في هذه الايات أن من تحبط اعماله لا يكون له يوم القيامة وزنا وأن جزاءه جهنم خالدا فيها ، وهذا الحكم لا ينطبق على من يرتد ثم يرجع الى إيمانه ، فدل ذلك أن جوط العمل مقرون بدخول جهنم والخسارة الأبدية ، وهذا ينطبق على حال من يموت كافرا، نسال الله العافية كما أن في اعتقاد عدم جوط عمل المرتد دعوة له للرجوع الى دينه طمعا في الثواب الذي حصله ؛

ومما يُشير الى ذلك قوله تعالى : ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرنّ عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ) - العنكبوت / ٧ - فقد يكون ما عمله قبل الردة من الصالحات أحسن مما بعدها ، كأن يكون صحب النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم ارتد ثم رجع الى الايمان

والمحبة فهذا على الصحيح يسمى صحابيا ، سواء رجع إلى الايمان قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم - أو بعدها كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى ، بناء على أن الردة لا تُحبط العمل ؛

( ومعلوم أن الذين ارتدوا على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كالحارث بن قيس ، وطائفة معه أنزل الله فيهم : ( كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسولَ حقٌ وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين ) - آل عمران / ٨٦ -

وكعبد الله بن أبي سرح والذين خرجوا مع الكفار يوم بدر وأنزل فيهم :

(١) انظر : الامابة في تمييز الصحابة ج ١ / ١٠٠ - ١٢ حيث قال :

( ويدخل فيه - اي في الصحابي - من ارتد وعاد الى الاسلام قبل ان يموت سواء اجتمع به - صلى الله عليه وسلم - مرة اخرى او لا ، وهذا هو الصحيح المعتمد ثم ذكر ان الاشعث بن قيس اطبق اهل الحديث على عده من الصحابة وهو ممن ارتد ثم عاد الى الاسلام في خلافة ابي بكر

؛ ( ثمَّ إنَّ ربك للذین هاجروا من بعد ما فُتِنوا ثمَّ جاهدوا وصبروا  
إنَّ ربك مِنُّ بعدها غفور رحیم ) - النحل / ١١٠ -  
فهؤلاء عادوا الى الاسلام ، وعبد الله بن أبي سرح عاد الى الاسلام عام  
الفتح ، وبايعه النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يأمر أحدا منهم  
بإعادة ما ترك حال الكفر في الردة ، كما لم يكن يأمر سائر  
الكفار إذا أسلموا ، وقد ارتد في حياته خلق كثير اتبعوا الأسود  
العنسي الذي تنبأ بصنعاء اليمن ثم قتله ، وعاد اولئك الى الاسلام  
ولم يؤمروا بالإعادة (١) ممَّا يدل على عدم جوب أعمالهم ولو كانت  
مُحِبَّة لأمروا بإعادة ما عملوه قبل الردة كالحج وغيره ، وكل ذلك  
يدل على أنَّ جوب العمل مقيد بالوفاء على الكفر ؛

فالذي يظهر ممَّا تقدم يوضح ما سبق بيانه من تكامل آيات  
القرآن ووحدتها ، فعلاقة الإطلاق والتقييد ليست من الاختلاف في  
شيء ، وإنما هي أسلوب قرآني حيث إنَّ القرآن قد نزل بلغزة  
العرب ( ومن مذهبهم استحباب الاطلاق اكتفاء بالمقيد وطلباً للإيجاز  
والإختصار ) (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ج ٢٢ / ٤٥ - ٤٦

(٢) البرهان في علوم القرآن للامام الزركشي : ج ٢ / ١٦

السبب الرابع من أسباب إيهام الاختلاف :

البيان والإجمال

وإبدأ بذكر المَجْمَل تعريفًا وشرحًا ، فقد عرّف الأصوليين المَجْمَل بأنه :  
( أي لفظ أو فعل تردد بين محتملين على السواء ، أي لم تتضح  
دلالته فلم يُفهم منه عند الإطلاق معنى مُعيّن ) (١)

ومثال المَجْمَل : الألفاظ المشتركة ، مثل لفظة " العين " المشتركة  
بين الذهب والعين الناظرة ، والعين الجارية ؛  
والقرء مشترك بين الحيض والطهر ، وقد يكون الإجمال في لفظ  
مركب كقوله تعالى : ( أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ) - البقرة/ ٢٣٧ -  
فهذا اللفظ يحتمل الزوج ويحتمل الولي ،  
وقد يكون الاجمال في حرف : كقوله تعالى : ( وما يعلم تأويله إلا الله  
والراسخون في العلم ) - آل عمران / ٧ -

فالواو في قوله : " والراسخون " محتملة للعطف فيكون الراسخون يعلمون  
المتشابه ، ومحتملة للاستئناف فيستأثر الله بعلمه ؛  
وحكم المَجْمَل : التوقف على البيان الخارجي ، فلا يجوز العمل بأحد  
محتملاته إلاّ بدليل خارج عن لفظه لعدم دلالة لفظه على المراد به ،  
وقد يقول قائل : بما أن المَجْمَل متوقف على البيان الخارجي فما فائدة  
وجوده في القرآن والسنة ، والجواب عن ذلك :  
(٢)  
أن المَجْمَل له حكمة وله فوائد لا يخلو عنها ، قال ابن قدامة :  
( فإن قوله تعالى : ( وآتوا حقه يوم حصاده ) - الانعام / ١٤١ -  
يُعرّف وجوب الإيتاء ، ووقته ، وأنه حق المال ، ويمكن العزم على  
الامتثال والاستعداد له ، ولو عزم على تركه عصى لكن الاجمال جاء  
في مقدار الحق الذي تكفلت السنة ببيانه ) اهـ  
فالمَجْمَل لا يكفي وحده في العمل به ، فقوله تعالى : ( خذ من أموالهم  
صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها ... ) التوبة / ١٠٣ -

ظاهاها ومعناها مفهوم ، ليس ممّا لا يُفهم المراد به ، بل نفس ما دلّت  
عليه لا يكفي وحده في العمل به فإنّ الأمور به صدقة تكون مطهرة  
مزرّكية لهم وهذا إنما يُعرف ببيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - (٣)

(١) المستمضى : ج١/ ٢٤٥ ، كشف الاسرار ج١/ ٥٤ ، الإحكام ج٣/ ٨

اصول السرخسي ج١/ ١٦٨ ، شرح الكوكب المنير ج٣/ ٤١٤ ، حاشية التفتازاني ١٥٨/٢

(٢) روضة الناظر / ١٦٦

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج٧/ ٣٩١

أمّا البيان (١) : فهو اسم مصدر من بيّن ، وهو فعل المُبيّن ، ويُطلق على ما حصل به التبيين وهو الدليل ، أي المبيّن ، وقد عرفه العلماء بأنه : ( ما نصّ على معنى معيّن من غير إبهام ) وهو ما أظهر المعنى للمخاطب وأوضحه ، ويأتي البيان ابتداء من غير أن يُسبق بإجمال ، ظاهر المعنى بيّن المراد ، فالبيان شامل لكل إيضاح سواء تقدمه خفاء أو لا ، ولكن الذي يهنا هو البيان الذي يأتي في مقابل المجمل ، والذي يرد لتحديد المراد بالمجمل وإخراجه الى حيز التجلي والوضوح ، ذلك أنه وردت آيات قرآنية فيها إجمال، وآيات أخرى بينها وحددت المراد منها ، وهذه الآيات تكون محلا للوهم بأن بينها تعارضا ، بينما هي في الواقع تفسر بعضها وتبين المراد منها ، قال العلماء : والكلام اذا ورد مجملا " ثم بيّن وفصل أوقع عند النفس من ذكره مبينا ابتداء ، ولذا جاء ذلك في القرآن لأنه نزل عربيا بأساليب العرب ليكون أبلغ في الاعجاز ، وقد أخرج الله في كتابه أن القرآن يبين بعضه بعضا وأن البيان يأتي بعد الاجمل ، كما قال :

( أَلر ، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ) هود/١-  
وتم هنا للتراخي ،

وقال تعالى لنوح : ( احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الامن سبق عليه القول ) - هود / ٤٠ -  
فظن نوح عليه السلام ان ابنه من أهله حتى بيّن الله تعالى له انه ليس من اهله الموعود بنجاتهم ،

وكما أن القرآن يُبين بعضه فإن السنة كذلك مبينة لكتاب الله كما قال تعالى : ( وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ) - النحل/٤٤  
فآيات الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك من الاحكام بينها السنة المطهرة ومن بيان السنة قوله عليه الصلاة : ( وصلّوا كما رأيتموني أُصلي ) (٢)

(١) المستمضى : ج١/٢٧٥ - ٢٨١ ، أصول السرخسي : ج٢ / ٢٧

حاشية التفزازاني ج٢/١٦٢ ، شرح الكوكب المنير ج٣/٤٣٧ التمهيد في اصول الفقه ٠٣/٢

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الاذان ، باب ١٨ ، ج١ / ١٥٥ عن

مالك بن الحويرث رضي الله عنه

وقوله عليه الصلاة والسلام ايضا : ( لتأخذوا عني مناسككم ) (١)  
وليس ذلك إلا لأنه المبيّن والمبلّغ عن ربه عز وجل ؛

والبيان إجمالاً يحصل بأُمور : منها الكلام ، كبيان القران  
لبعضه ، فقوله تعالى : ( أُطت لكم بهيمة الانعام إلا ما يُتلى عليكم  
٠٠٠٠) - المائدة / ١ -

لفظ مجمل بيّنه قوله تعالى في آية أخرى : ( حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ  
وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ٠٠٠٠ ) - المائدة / ٣ -

فميتة بهيمة الأنعام ودمها مُحَرَّم فهذا بيان للمجمل في قوله : " إلا ما  
يُتلى عليكم "

ومنه بيان السنة القولية للقران ، كحديث عبد الله بن عمر

- رضي الله عنه - مرفوعا : ( فيما سقت السماء والعيون أو كان عَثْرِيَا

العشر ، وما سُقِيَ بالنَّضْحِ نِصْفُ الْعَشْرِ ) (٢)  
فهذا الحديث مُبيّن لقوله تعالى : ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) - الانعام / ١٤١ -

ويكون البيان بالفعل ، اي فعل النبي صلى الله عليه وسلم - فقد بين

بفعله ما أجمله الكتاب من كفيات بعض العبادات ، كالركوع والسجود ،

وافعال الحج وغير ذلك ، فقد بين ذلك كله بالقول والفعل فكان مثلا

يطلي بالكيفية المشروعة ويقول : ( وطلّوا كما رأيتموني أُطلي ) (٣)

قال ابن النجار<sup>(٤)</sup> : ( فدل قوله ذلك على أن فعله بيان لا أن نفس

القول بيانا ، حيث إن الفعل مشاهد والمُشاهد أدل لأنه أسرع الى الفهم

وأثبت في الذهن ) اهـ

وإجمالاً فإن كل مفيد من كلام الشارع وفعله وسكوته وكتابه وشارته

وتنبهه بفحوى الكلام على علّة الحكم كل ذلك بيان (٥)

---

(١) اخرجہ الامام مسلم في صحيحه : كتاب الحج ، باب رمي جمرة العقبة

شرح مسلم للنووي ج١/٤٢ ، واخرجه ابو داود في المناسك رقم / ١٩٧٠

واحمد في مسنده ج٢ / ٣٠١ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

(٢) اخرجہ الامام البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب / ٥٥ ج٢ / ١٣٢

والعثري : هو الزرع لا يسقيه الا ماء المطر ، ( لسان العرب / ج٤ : ٥٤١ ، عشر

(٣) تقدم تخريجه قريبا

(٤) شرح الكوكب المنير ج٢ / ٤٤٣ ، وابن النجار هو العلامة : محمد بن احمد

بن عبد العزيز الفتوحى الحنبلي ، عالم اصولي توفي سنة : ٩٧٢ هـ

(٥) المستمضى للغزالي ج١ / ٢٧٦ ، اصول السرخسي ج٢ / ٢٧

المعتمد في اصول الفقه : ج١ / ٣٣٩ ، حاشية التفتازاني

روضة الناظر لابن قدامة : ١٨٥

واضرب هنا مثلاً على البيان والاجمال في آهتتين من كتاب الله  
قد يقع فيهما توهم الاختلاف والتعارض بسبب عدم تدبر القران ونصوص  
السنة ، قال الله تعالى :

( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ) الانعام / ١٠٣  
هذه الآية ظاهراً الاجمال حيث كان المعنى متردداً بين نفي الرؤية  
اصلاً وبين نفي الاحاطة دون اصل الرؤية ،

وقد جاءت آية اخرى ترفع هذا الاجمال وتبين المراد ، وهي قوله  
تعالى : ( وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ) - القيامة / ٢٢ -

فهذه الآية دلت على وقوع الرؤية لله تعالى في الآخرة اكراماً  
للمؤمنين ، فتبين بها أن قوله تعالى ( لا تدركه الابصار ٠٠٠٠ )  
لم تنف مطلق الرؤية وإنما نفت الادراك وهو الإحاطة والحصر ، وحينئذ  
تكون الآية دالة على اثبات الرؤية ، وهوأئمه سبحانه يرى ولا يدرك  
فيرى من غير احاطة ولا حصر تعالى وتقدس (١)

وايضا قوله تعالى : ( كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون )  
- المطففين / ١٥ -

فإن هذه الآية لما دلت أنه تعالى حجب الفجار عن رؤيته خزياً لهم  
اثبت حصول الرؤية للأبصار اكراماً لهم ، وبذلك يرتفع الاجمال  
في قوله تعالى : ( لا تدركه الابصار ٠٠٠٠ )

وللاجمال الذي في الآية الاولى وهي ( لا تدركه الابصار ٠٠٠ )  
استدل بها المعتزلة على نفي الرؤية لله تعالى في الدنيا والآخرة

حيث إن حجتهم : أن الادراك المضاف الى الأبصار إنما هو الرؤية  
فالاية نفتت أن تراه الابصار ، وذلك يتناول جميع الابصار في جميع الاوقات  
بواسطة اللام الجنسية في مقام المبالغة ، ولأنه تعالى تمدح بكونه  
لا يرى حيث ذكره في اثناء المدائح ، وما كان من الصفات عدمه مدحاً  
كان وجوده نقماً يجب تنزيه الله تعالى عنه ، ولذلك فان المراد من  
الاية نفي الرؤية المطلقة لا الرؤية على وجه الاحاطة ، لأن الآية  
اطلقت وعمت النفسي (٢)

---

(١) البرهان للزركشي ج٢/ ٢١٦ ، كجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١٦ / ٨٧  
روح المعاني للالوسي ج ٧ / ٢٤٧ - ٢٤٨

(٢) تفسير الزمخشري ج٢/ ٤١ ، متشابه القران / للقاضي عبد الجبار ج١ / ٢٥٥  
شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ، ص : ٢٢٢ - ٢٤١  
امالي المرتضي ج١ / ٢٢ ، ٣٦ ج٢ / ٢١٥ ، روح المعاني للالوسي ج٧ / ٢٤٥  
حيث لخص استدلال المعتزلة بما سبق في الملب



وقد أجاب العلماء من أهل السنة والجماعة على ذلك من وجهين

### الوجه الأول :-

هو ما تقدم من أنّ الإدراك ليس هو الرؤية المطلقة ، وإنما هو الرؤية على وجه الإحاطة بجوانب المرئي ، كما فسره بذلك ابن عباس ترجمان القرآن رضي الله عنهما ، حيث أخرج ابن جرير<sup>(١)</sup> بسنده عن ابن عباس : ( لا تُدرکه الأَبصار ... لا يُحيط بصر أحدٍ بالملك ... ) وروى عن قتادة مثل ذلك ، ثم قال<sup>(٢)</sup> : ( فان كان الشيء قد يرى الشيء ولا يدركه ، ويدركه ولا يراه فكان معلوماً بذلك أنّ قوله : ( لا تدرکه الابصار ... ) بمعزل من معنى : لا تراه الأبصار ، وأنّ معنى ذلك : لا تُحيط به الابصار ، لأنّ الإحاطة به غير جائزة ..... فإنّ أهل الجنة ينظرون بأبصارهم يوم القيامة الى الله ولا يدركونه بها تصديقاً لله في كلا الخبرين وتسلّهما لما جاء به تنزيله على ما جاء به في السورتين ... ) اهـ

(٣)

وقال ابن المنير في حاشيته على الكشاف :

( الإدراك عبارة عن الإحاطة ومنه : ( فلما أدركه الغرق ... ) - أي أحاط به ، و ( إنا لمدركون ) أي مُحاط بنا ، فالمنفي إذا عن الابصار إحاطتها به عز وجل لا مجرد الرؤية ... وتخصيص الإحاطة بالنفي يشعر بطريق المفهوم ثبوت ما هو أدرك من ذلك ، وأقله مجرد الرؤية ، كما أنّا نقول : لا تُحيط به الأفهام ، وإن كانت المعرفة بمجرد ما حاصله لكل مؤمن ... ) اهـ

قلت : فعلي هذا يتبين لنا أنّ انتفاء الإدراك لا يلزم منه انتفاء مطلق الرؤية ، لأن نفي الآخر لا يستلزم نفي الأعمّ ، فصح أنّ يقال : إنّنا نرى الله تعالى يوم القيامة ولا تُدرکه أبصارنا ، لأنّه تعالى أكبر وأعظم من أن يُحاط به إذ هو الظاهر والباطن وهو بكل شي مُحيط ، ومعلوم أنّ الرجل قد يقول : ( رأيت السماء وما أدركتها ) ، وهو صادق لم يُحيط بصره بكل السماء ولم يدركها<sup>(٤)</sup>

(١) تفسير ابن جرير الطبري ج١٢ / ١٣ ، تحقيق محمود شاكر

(٢) المصدر السابق : ج١٢ / ١٤ - ١٦

(٣) الكشاف للزمخشري بحاشية ابن المنير ج٢ / ٤١

(٤) تفسير الرازي ج١٣ / ١٢٥ ، روح المعاني للالوسي ج٧ / ٢٤٥

التمديد بالنظر الى الله تعالى في الآخرة ، للاجري : ١١٤

ابن حزم وموقفه من الالهيات / د. احمد الناصر : ٣٩٠ ،

شرح جوهره التوحيد للشيخ ابراهيم الباجوري : ص ١١٦

الوجه الثاني :

على فرض التسليم بأن الإدراك المُضاف الى الأَبصار هو الرؤية ، وأن الكلام لعموم النفي ، فإنّ هذا العموم مخصوص بالدنيا لقوله تعالى : وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربّها ناظرة ( - القيامة / ٢٢ -

والتخصيص من أوجه البيان ، فقوله تعالى : الى ربها ناظرة عُدِّي فيه النظر بحرف الجر إلى ، وأُضيف إلى الوجه الذي هو محل النظر وهذا لا يحتمل إلا الرؤية بالأعين ، فعكس هذا فالآية نص في الرؤية يوم القيامة ، ولا تحتمل غيرها من المعاني (١)

قال الامام أبو الحسن الأشعري رحمه الله بعد ذكر الآية : (٢)

( ولما قرن الله النظر بذكر الوجه أراد نظر العينين اللتين في الوجه ..... ثم بين رحمه الله أنه لا يصح أن يكون المعنى هنا هو الانتظار كما يقوله المعتزلة ، وأنّ تقييد النظر بيوم القيامة واطلاق آية : ( لا تدركه الأبصار ) يدل أن الأبصار لا تراه في الدنيا وإنما في الآخرة حين يأذن الله سبحانه بكرامة أوليائه وتمتعهم بالنظر الى وجهه الكريم وخزي أعدائه وحجبهم عنه تعالى (٣) .

وعلى هذا فإنّ النصوص الشرعية من الكتاب والسنة (٤) بيّنت أنه ليس المراد من قوله تعالى : ( لا تدركه الأبصار ) عموم النفي في كل الاوقات والاحوال بل في الدنيا وعلى هذا فلا مجال لتوهم وجود اختلاف بين الآيات وكذلك لا مجال للاحتجاج بآية " لا تدركه الأبصار " على ان المراد بها أن الأبصار لا تراه مطلقا في الدنيا والآخرة ، لأنه يصدق أن تقول : لا تدركه الأبصار في الدنيا

قال الامام احمد رحمه الله (٥) :

(أما قوله : ( وجوه يومئذٍ ناضرة ) يعني في الحسن والبياض ، ( الى ربها ناظرة ) : تعانين ربها في الجنة ، وأما قوله : ( لا تدركه الأبصار ) يعني في الدنيا دون الآخرة ، وذلك أن اليهود قالوا لموسى : ( أرنا الله جهرة ) فأخذتهم الماعقة وهم ينظرون ( النساء / ١٥٣ -

(١) تفسير الطبري ج١٢ / ١٤ - ١٦ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة : ١٤٠

التمهيد للباقلاني : ٢٧٤ ، زاد المسير لابن الجوزي : ٩٨/٢

تفسير القرطبي : ج١٩ / ١٠٧ ، روح المعاني ٢٤٥/٧ ، الرازي : ١٢٥/١٣ ، ٢٢٨/٣٠

(٢) الابانة عن اصول الديانة / ٣٣

(٣) المصدر السابق : ٣٣ (٤) يأتي قريبا ذكر نصوص السنة وبيان تواترها

(٥) الرد على الزنادقة : ١٣ - ١٤

فماتوا وعوقبوا لقولهم : " أرنا الله جهرة " ، وقد سأل مشركوا قريش النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : ( أو تأتي بالله والملائكة قبيلة ) - الاسراء / ٩٢ - فلما سألوا النبي . صلى الله عليه وسلم - هذه المسألة قال الله تعالى : ( أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ) - البقرة / ١٠٨ -

حين قالوا : " أرنا الله جهرة ... الآية " فأنزل الله سبحانه يُخبر أنه ( لا تدركه الأبصار .. ) يعني في الدنيا دون الآخرة فإنهم يرونه .<sup>هـ</sup>

قلت : وعلى الوجهين كليهما فالاجمال في الآية مرتفع ولا تعارض بين الآيات لأنّ المبيّن لا يُعارض المُجمل بل هو موضح ومفسّر له ، فعلى الوجه الأول بيّن قوله تعالى : ( وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة ) أنّ المراد بقوله : ( لا تدركه الابصار .. ) التمدح بكونه سبحانه لا يُحاط به أبداً ، إذ هو بكل شيء محيط ، وهو بقدرته يحجب الأبصار عن أن تحيط به في الآخرة عندما يأذن للمؤمنين بالتمتع بالنظر الى وجهه الكريم

وعلى الوجه الثاني فالآية فيها تمدح بكونه سبحانه لا يُرى في الدنيا لعدم إذنه بذلك ، ولضعف البشر عن أن يروا ربهم وخالقهم بدون أن يُهيئهم لذلك ، ولهذا قال سبحانه لموسى عليه السلام عندما طلب رؤيته تعالى قال له : ( لن تراني ) يعني في الدنيا

وقد قال العلماء إنّ هذه الآية تدل على جواز الرؤية في الجملة ، وأنها واقعة يوم القيامة ، قال تعالى حكاية عما قاله موسى عليه السلام :

( ربّ أرني انظر إليك ، قال لن تراني . . . ) - الاعراف / ١٤٣ -

قال ابن قتيبة رحمه الله ( ١ ) : ( وفي قول موسى عليه السلام : ( ربّ أرني انظر اليك ) أُبينُ الدلالة على أنه يُرى يوم القيامة ، ولو كان الله تعالى لا يُرى في حال من الأحوال ولا يجوز عليه النظر لكان موسى عليه السلام قد خفي عليه من وصف الله تعالى ما علموه ( ٢ ) ولكن موسى عليه السلام علم أنّ الله تعالى يُرى يوم القيامة ، فسأل الله تعالى أن يجعل له في الدنيا ما أُجله لانبياؤه وأوليائه يوم القيامة فقال له : " لن تراني " يعني في الدنيا . ) هـ

(١) تأويل مختلف الحديث : ١٤٠

(٢) يقصد المعتزلة الذين قالوا انه تعال لا يجوز عليه ان يرى

انظر : شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ٢٦٢

قال ابن تيمية : التزم المعتزلة القول بانكار رؤية الله في الآخرة بسبب اعتقادهم ان قيام الصفة في الموصوف يدل على الحدوث ، والدليل عندهم يجب طرده فالتزموا حدوث كل موصوف بصفة قائمة به ، ولهذا التزموا القول بخلق القران وانكار الرؤية وعلوه على عرشه ، الى امثال ذلك من اللوازم

انظر : موافقة صحيح المنقول لهـرج المعقول ص ٢١ :

فسؤال موسى عليه السلام دلّ على عدم امتناعها لكونه رسولا مصطفى ،  
يُمْتَنَعُ عَلَيْهِ الْجَهْلُ بِمَنْ أُرْسِلَهُ وَاصْطَفَاهُ ، كما أن الله تعالى لم ينهه  
عن طلبه ولم يُنْكَرْ عَلَيْهِ ذلك ، ولو كانت الرؤية مُحَالَةً لُنْكَرَ عَلَيْهِ (١)

هذا وقد تواترت الأخبار عن المصطفى - صلى الله عليه وسلم -

بأن المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة ، وهو بيان آخر للإجمال  
الوارد في قوله تعالى : ( لا تدركه الابصار ) ، والتواتر يغيد العلم  
القطعي كما أجمع على ذلك أهل الحق وسلف الأمة ؛

واحاديث الرؤية مروية عن ثمانية وعشرين صحابيا كلها ثبتت رؤى رؤية  
المؤمنين لربهم عز وجل في جنات النعيم ،

فقد أخرج البخاري (٣) ومسلم (٤) وأصحاب السنن (٥) والمسائيد (٦)

عن جرير بن عبد الله البجلي وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وصُهب وأنس  
وبلال وغيرهم رضي الله عنهم أحاديث في رؤية الرب تبارك وتعالى :

منها حديث الصحيحين عن جرير البجلي قال : ( كنا جلوسا عند النبي

- صلى الله عليه وسلم - إذ نظر إلى القمر ليلة البدر ، قال : إنكم

سترون ربكم كما ترون هذا لا تُتْضَامُونَ فِي رُؤْيَيْتِهِ ، فان استطعتم أن لا

تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوا .

والتشبيه في الحديث للرؤية وهو فعل الرائي لا للمرأي ،

والمعنى : ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك وتنتفي معها الريبة

كروء يتكم القمر لا ترتابون ولا تمتثرون (٧)

(١) المواقف للجرجاني ص : ٣٠٠ ، زاد المسير لابن الجوزي ج٣ / ٢٥٦

تفسير الرازي ١٤ / ٢٣١ ، تفسير القرطبي ج٧ / ٢٧٨ ، حادي الارواح لابن القيم : ٢٢٣

روح المعاني للالوسي ج٩ / ٤٦ ، شرح جوهرة التوحيد : ١١٧

(٢) صرح بذلك جمع من العلماء ، وقالوا : انها مروية عن ثمانية وعشرين

صحابيا ، اولم يشتهر عن غيرهم خلاف ذلك فكان اجماعا ، انظر :

تفسير ابن كثير ج٤ / ٧٠٥ - القيامة / ٢٣ - ،

لوامع الانوار للفقاريني ج٢ / ٢٤٠ - ٢٤٤ ، نظم المتناثر للكتاني : ١٥٣

(٣) في صحيحه : كتاب التوحيد ، باب ٢٤ / ٢٤ ، ج٨ / ١٧٩ - ١٠ ، وفي مواقيت الصلاة باب ١٦ /

ج١ / ١٣٨ ، وفي كتاب الاذان باب ١٢٩ / ج١ / ١٩٥

(٤) في صحيحه : كتاب الايمان ، باب اثبات رؤية الله تعالى ( شرح النووي : ١١٤ / ١١٤ )

(٥) ابو داود في السنن : باب في الرؤية ، ج٥ / ٩٧ ط : حمص

والترمذي : في صفة الجنة ، باب ما جاء في رؤية الرب ، رقم ٢٥٥١ ، ج٤ / ٢٨٧

وابن ماجة في المقدمة ج١ / ٦٣ ، ط : فؤاد عبد الباقي

(٦) مسند الامام احمد : ج٢ / ٢٧٥ ، ج٣ / ١٦ ، ٣٤٥ ، ج٤ / ١١ ، ٣٣٢ ، ج٦ / ١٥

(٧) جامع الاصول لابن الاثير ج١٠ / ٥٥٨ تحقيق شعيب الارناؤوط

ومنها حديثُ صُهيب الذي رواه الامام مسلم (١) : ( فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر الى ربهم عز وجل ، ثم تلا هذه الآية : ( للذين أحسنوا الحُسنى وزيادة ) - يونس / ٢٦ - فهذا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن رؤية الرب تبارك وتعالى في جنات النعيم التي أخبر عنها القرآن الكريم

وبهذا المثال المتقدم في آيتين من كتاب الله يتبين لنا أهمية معرفة البيان والاجمال لتفسير كتاب الله ، وأنّ الذي ينبغي هو حمل المُجمل على المُبيّن ، وأنه لاتناقض ولا تعارض بينهما أبداً لأن كتاب الله يُفسّر بعضه بعضاً ) حيث إنّ كلام الله كالكلام الواحد آخذ برقاب بعضه يُفصّل بعضه بعضاً كما قال تعالى :  
( الر ، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ) - هود / ١

هذا موقف القارئ المُتدبر لكتاب الله المتبّع لسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وآثار الصحابة والسلف في منهجهم عند تفسير كلام الله تعالى ، بخلاف طريقة أهل البدع كالمعتزلة وغيرهم ممن يتمسكون بظواهر بعض الايات المُجملّة ، ويتركون ما بيّنها من الآيات المحكمة والسنة المُطهرة ، ويحكمون في ذلك عقولهم القاصرة وأهواءهم ، ويدل على ذلك أنهم قد غفلوا عمّا ثبت من الحديث الصحيح في بيان آيات النظر والرؤية لله تعالى ، والله ولي التوفيق

---

(١) في صحيحه : كتاب الايمان ، باب اثبات رؤية الله تعالى

( شرح النووي : ج٢ / ١٧ )

السبب الخامس من أسباب إيهام الاختلاف : اختلاف الحال

وهو أن يرد من الشارع نصان ظاهرهما التعارض بينما الواقع أن كلا منهما يدل على حكم يختلف عن الآخر لاختلاف الحال والظرف الواقع فيه المكلف يُعرف ذلك من السياق ودلالة النصوص ، ولا يخفى اختلاف الحكم بالنسبة للمسافر مثلاً فصي قصره للصلاة ، وجواز افطاره في رمضان ، ومسحه على الخف ثلاثة أيام بلياليها خلافاً للمقيم وغير ذلك من الأحكام التي جاءت بها الشريعة المطهرة رفعا للحرَج وتيسيراً على الأمة ، فاختلاف الحكم لاختلاف الحال في مثل هذه الظروف وغيرها لا يعني أن هناك اختلافاً أو تناقضاً في النصوص ، بل هي في حالتها هذه تصور لنا روعة التنزيل وانسجامه في أحكامه الملائمة لطبيعة البشر وتقلب أحوالهم واختلاف ظروفهم ، ولا عجب فإن هذه الشريعة لم تأت إلا لاسعاد البشر في الدارين ، فهي المصلح الوحيد لحياة الناس، وفي اتباعها الفلاح والنصر والغلبة، وفي مخالفتها نال الدارين ، كما قال الباري : ( ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكى ونحشره يوم القيامة أعمى . . . ) - طه / ١٢٤ -

ومن أمثلة اختلاف الحال :

ما ذكره الله سبحانه في كتابه الحكيم من اختلاف أحوال القيامة وما فيه من الشدة وتنوع أشكال الحساب ، وقد صور لنا القرآن مناظر مختلفة لأهل القيامة يزجج اختلافها لاختلاف حالهم ، ومن ذلك ما ذكره الله تعالى في حق الكفار وأهل الضلال يصف أحوالهم في المحشر : ( مُهْطِعِينَ مَقْنَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ) - إبراهيم - ٤٣ -  
ومرة قال : ( ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ) - الإسراء - ٩٧ -  
ومرة قال : ( أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا . . . ) - مريم / ٣٨ -  
يعني ما أسمعهم وأبصرهم ، إلى غير ذلك من الآيات التي تتكلم عن حال الكفار من ناحية النظر والسمع يوم القيامة  
فمرة يصف بصرهم بأنه مرفوع ومرة هم خاشعون من النذل ، ومرة هم يسارقون النظر ينظرون من طرف خفي ، ومرة هم عمي لا يرون ،  
فمرد اختلاف هيئاتهم ومغة حشرهم هو نظراً لاختلاف حالهم وطبيعة حسابهم وما يريد الله بهم ، فهم عندما يخرجون من قبورهم يكونون رافعي رؤوسهم

من الخوف وهول المفاجئة ، وفي عرصات القيامة أيضا يكونون في احوال  
مختلفة فبكرة يقرأون كتبهم وهذا يقتضي أن يكونوا في غاية الإبطار حتى يروا  
بأعينهم ما قدموه لانفسهم ، وكذلك حتى يروا أهوال القيامة ، كما قال  
تعالى : ( ورأى المجرمون النار فظنوا انهم واقعوها ٠٠٠٠ ) الكهف / ٥٣ -  
فهناك ينظرون من طرف خفي يُسارقون النظر أعاننا الله من ذلك  
وكونهم يُحشرون عميا كما نصت عليه آيات أخرى إنما هو في نهاية المطاف  
عندما يُلقون في جهنم لتجتمع عليهم ظلمة جهنم وظلمة العمى  
ولا مانع أن يُحشروا في أول الأمر كذلك ثم يكشف الله عن أسماعهم وأبصارهم  
ليزدادوا حسرة بما يرونه من كرامة المؤمنين عند ربهم وخزي الكافرين  
ثم يعيدهم بعد ذلك عميا وصما وبكما بعد دخولهم جهنم ليكون تخطيهم  
فيها أنكى لهم ، وابلغ في عذابهم (١)

وبهذا يتبين لنا جلياً كيف أن الصور المختلفة لأحوال أهل المحشر  
تبين لنا بمجموعها حال الكفار في مواطن القيامة المختلفة في المحاسبة  
والمجازاة وصور العذاب اللاحق بهم  
فالآيات في غاية التوافق والانسجام ، وقد وُزعت في عدة مواطن من القرآن  
وفي كل موطن ذكر لنا موقفاً ومشهداً يصور حالة معينة حتى يكون قارئ  
القرآن دائم التذكر لذلك اليوم العسير ومستعداً له بالعمل الصالح  
والله تعالى أعلم وهو ولي التوفيق

---

(١) سوف يأتي مزيد ايضاح وشرح لاحوال القيامة في فصل موهم آيات  
الحشر والقيامة بأذن الله تعالى

السبب السادس من أسباب إيهاام الاختلاف : اختلاف المحل  
والمراد من ذلك اختلاف المحل الوارد فيه النمان ، فيكون كل  
نص يتكلم عن محل غير الآخر ، لذلك فقد يتوهم متوهم أن بين النصين  
اختلافاً وتعارفاً ، بينما الواقع ان هناك اختلافاً في المحل ،  
ومن ذلك : ما يحصل يوم القيامة من نفي النسب والتساؤل بين الناس  
قال الله تعالى : ( فلذا نُفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا  
يتساءلون ) - المؤمنون / ١٠١ -

فهذه الآية ظاهراً يدل على انقطاع الانساب يوم القيامة مطلقاً وكذلك  
انتفاء التساؤل بين الناس  
وقد جاءت آيات أخرى تدل على ثبوت الأنساب بينهم كقوله تعالى :  
( والذين آمنوا واتبعتهم نزيهم بإيمان الحقنا بهم نزيهم ٠٠٠ ) - الطور / ٢١ -  
وقوله : ( يوم يفر المرء من أخيه وامه وابيه ٠٠٠ ) - عبس / ٣٤ - ٣٥  
كما جاءت آيات أخرى تدل على أنهم يتساءلون كقوله تعالى :  
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين  
قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ٠٠٠٠ ) - الصافات / ٢٧ - ٢٩  
فهذه الآيات تثبت التساؤل والتحاوور بين الكفار ، وليس بين هذه  
الآيات تعارض او تناقض ، لان المراد بنفي الانساب : انقطاع فوائدها  
وآثارها التي كانت مترتبة عليها في الدنيا ، من العواطف والنفع والملاط  
والتفاخر بالاباء ، فهذه الانساب لا تنفع بدون ان يكون هناك ايمان  
وتقوى كما قال تعالى : ( يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله  
بقلب سليم ) - الشعراء / ٨٩ -

وليس المراد بنفي الانساب في الآية نفي حقيقة النسب ، ان هو ثابت  
للانسان في الدنيا والاخرة كما قال تعالى :  
( يوم يفر المرء من أخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ٠٠ ) - عبس / ٣٤ -  
فهذا في الحقيقة اثبات للنسب ونفي لفائده يوم القيامة ،  
ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ( وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ  
يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ) (١)

وهذا الانقطاع لآثار النسب وفوائده ، انما هو في حق الكفار واهل  
الضلال ، أما المؤمنون فلهم من الله عز وجل المزيد من الكرامة

---

(١) أخرجه الامام مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه - ، كتاب الذكر والدعاء  
باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ( شرح النووي ج ١٧ / ٢٢ )



ومن ذلك انتفاعهم بأنسابهم بمشيئة الله تعالى كما قال عز وجل :  
( والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم  
من عملهم من شيء ) - الطور / ٢١ -

فانتفاع المؤمنين بالأنساب إنما هو نتيجة إيمانهم وعملهم الصالح  
يقول الله تعالى في سورة الرعد واصفا لعباده المؤمنين :  
( الذين يُوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ) فوعفهم الله  
ثم قال في آخره : ( اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح  
من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل  
باب ) - الرعد / ٢٢ - ٢٣ -  
(١) وبهذا يحصل عظيم السرور بالاجتماع بالاهل والاولاد والاخلاء

هذا بالنسبة للأنساب

اما بالنسبة للتساؤل الذي نُفي مرة وأُثبت أخرى ، فإن الجواب  
عنه راجع لاختلاف المحل ، فلذلك أُثبت في موقف ونُفي في آخر ،  
ونفي السؤال والمحاورة هو عند اشتغالهم بالصعق والمحاسبة والجواز  
على الصراط ، واثباته إنما هو في مواقف اخرى من محلات القيامة (٢)  
أخرج ابو داود (٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت : ذكرت النار فبكيت ،  
فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ما يُبكيك؟ قلت : ذكرت النار  
فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ قال أما في ثلاثة مواطن  
فلا يذكر أحدٌ أحداً ، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه ام يثقل  
وعند تطاير المحف حتى يعلم أيقع في يمينه ام في شماله ام  
من وراء ظهره ، وعند الصراط إذا وُضع بين ظهري جهنم حتى يجوز (٤)  
ومن ذلك إجابة ابن عباس - رضي الله عنهما - للسائل عن ذلك  
بأن نفي السؤال بعد النفخة الاولى وقبل الثانية ، واثباته بعدهما  
حيث اجاب السائل بقوله : ( فلا أنساب بينهم : في النفخة  
الاولى ، ثم يُنفخ في الصور " فصعق من في السموات ومن في  
الارض إلا مَنْ شاء الله " فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون  
ثم في النفخة الاخرى : أقبل بعضهم على بعض يتساءلون )

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار / ٢٨٠

(٢) فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ج٧/٥٥٧ ، طبعة دار المعرفة

الاتقان للسيوطي ج٢/ ٢٧ ،

(٣) في سننه : كتاب السنة ، باب ذكر الميزان ، رقم : ٤٧٥٥ وهو حديث

حسن ، انظر : جامع الاصول لابن الاثير ج١٠ / ٤٧٥

(٤) اخرج ذلك عنه البخاري في صحيحه : كتاب التفسير ج٦/ ٣٥ ( حم السجدة )

وانظر فتح الباري : ج٧/ ٥٥٧ ، الدر المنثور للسيوطي : ج٦/ ١١٦

قال ابن قتيبة (١) رحمه الله : ( فإنه إذا نُفخ في الصور نفخة واحدة ، تقطعت الأرحام وبطلت الأنساب وشُغلوا بأنفسهم عن التساؤل وصعق مَنْ فتي السموات والارض إلا مَنْ شاء الله ، فإذا نُفخ فيه أخرى قاموا ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، وقالوا : من بعثنا من مرقدنا ، هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ، وهو معنى قول ابن عباس) اه  
وهناك وجه ثالث :

وهو أن السؤال المنفي سؤال خاص ، وهو سؤال بعضهم العفو عن بعض فيما بينهم من الحقوق لقنوطهم من الإعطاء ولو كان المسؤول أباً أو ابناً أو زوجة (٢)

قال النحاس (٣) : ( إنما هو لا يتساءلون بالأرحام ، فيقول أحدهم : أسألك بالرحم الذي بيني وبينك لما نفعني أو أسقطت لي حقا لك علي ، أو وهبت لي حسنة ، وهذا بيّن لأن قبله : ( فلا أنساب بينهم ) أي ليس ينتفعون بالانساب بينهم ... ويتساءلون ها هنا إنما هو أن يسأل بعضهم بعضا ويوبخه في أنه فعله ، أو فتح له بابا من المعصية ، يُبين ذلك انه بعده : ( إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ) فقليل هو من قول الاتباع للمتبعين دليله قوله تعالى : ( ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ) - سبأ / ٣١ - اه

قلت : وهذه الأوجه الثلاثة محتملة ويندفع بها توهم وجود اختلاف بين الآيات السالفة الذكر ، وخاصة الوجهين الأولين القائمين على وجود اختلاف في المحل ، فاثبات التساؤل والمحاورة في محل ، ونفيها في محل آخر من مواقف يوم القيامة الطويل ، والله ولي التوفيق

(١) تأويل مشكل القرآن : ٦٦

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ج٥ / ٤٩٠ ، تفسير الرازي ج٢٣ / ٢٢٣  
تفسير القرطبي ج١٢ / ١٥١ ج١٥ / ٧٤ ، روح المعاني ج١٨ / ١٨٤  
الدر المثور : ج١ / ١١٧ ، الاتقان : ج٢ / ٢٧

(٣) نقله عنه القرطبي في تفسيره : ج١٥ / ٧٤ وانظر : زاد المسير ج٥ / ٤٩١

السبب السابع :

اجتلاف الموضوع ، فقد يأتي في القرآن الكريم أو السنة المطهرة نمان يوم ظاهرهما التعارض أو الاختلاف ، ولكن عند التدبر والتدقيق ومعرفة سياق النص وسبب نزوله والمعنى المراد نجد أن الموضوع الوارد فيه أحد النصين يختلف عن الآخر ، ولهذا أمثلة كثيرة في القرآن والسنة ، منها المثال التالي :

قال الله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون ٠٠٠ ) - آل عمران / ١٠٢ -  
هذه الآية يوم ظاهرها الاختلاف مع آية أخرى تأمر بالتقوى أيضا لكن حسب القدرة والاستطاعة ولم تُقيد بحق التقوى ، وهي قوله تعالى :  
( فاتقوا الله ما استطعتم ٠٠٠ ) - التغابن / ١٦ -  
ولذلك ادعى بعضهم أن الثانية ناسخة للاولى (١) ، ولكن هذا غير صحيح ، فليس هناك نسخ لأنه لا يوجد تعارض أولا حيث يمكن الجمع بينهما ، ولأنه لا يوجد دليل على النسخ ثانيا ،

وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : ( لم تُنسخ ولكن حق تقاته : أن يُجاهد في الله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ويقوموا لله سبحانه بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم )  
ومعلوم أن الله تعالي لم يجعل علينا في الدين من حرج ولم يكلفنا فوق طاقتنا أولا واخرا ، وانا كان الامر كذلك فان وجه الجمع بينهما هو ما نقله الامام الزركشي<sup>(٢)</sup> عن أبي الحسن الشاذلي : من أن الآية الاولى وهي قوله تعالى : ( فاتقوا الله حق تقاته ٠٠٠ ) محمولة على التوحيد ، والآية الثانية وهي : ( فاتقوا الله ما استطعتم ) محمولة على الاعمال ، حيث إن المقام يقتضي ذلك ، لأنه قال بعد الاولى : ( .. ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون )

قلت : وهذا يوافق ما تقدم عن ابن عباس لأن معنى كلامه راجع لاخلال التوحيد وصحة النية وهو مطلوب في كل حال حتى في حالة الاكراه على الكفر ، لأن المطلوب في تلك الحالة هو أن يطمئن قلبه بالإيمان ولو أظهر الكفر تقيّة ، كما قال الباري :  
( إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدرا ، فعليه غضب من الله ولهم عذاب شديد ) - النحل / ١٠٦ -

(١) قال بالنسخ : سعيد بن جبير والربيع بن انس وقتادة ، انظر : تفسير بن جرير ج٢/٦٧ ، تحقيق احمد شاكر ، تفسير بن كثير ج٢/٧٢ ط: دار الشعب تفسير الماوردي ج١/٢٢٧ ، الدر المنثور للسيوطي : ج٢/٢٨٣  
(٢) تفسير بن جرير ج٢/٦٨ ، (٣) البرهان في علوم القرآن ج٢/ ٥٥

فانشراح الصدر بالإيمان والثبات عليه مهما كانت الظروف والمغريات هو حق التقوى ، وهو حق الله على العباد ، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - :

هل تدري ما حق الله على العباد ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ،  
قال : فلن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً (١) (١)

أما في مجال الأعمال والأحكام فلم يكلفنا سبحانه إلا ما نُطيق ونستطيع ، كما قال تعالى حكاية على لسان المؤمنين :

( ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ٠٠٠ ) - البقرة / ٢٨٤ -

وثبت في صحيح مسلم<sup>(٢)</sup> أجابة دعائهم : ( قال : قد فعلت )  
ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد خفف عنا الصلاة في السفر ، وأباح لنا الجمع (الإفطار) والمسح على الخفين ثلاثة أيام ، وغير ذلك مما فيه التيسير ورفع الحرج وتكليف ما في الوسع) رحمة بهذه الأمة المباركة وكل ذلك إذا قام به المسلم على الوجه الشرعي فقد اتقى الله استطاعته ، وفي التقييد بالإستطاعة يتجلى لطف الله بعباده ، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ) (٣)

والمريض إذا لم يقدر أن يُطلى في المسجد جماعة ، أو لم يستطع الصلاة قائماً فطلى في البيت أو قاعداً كل ذلك مشروع له لأن تقوى الله في تلك الحال هو أن يؤدي العبادة بقدر استطاعته) وهذا ما تضمنه قوله تعالى :

( فاتقوا الله ما استطعتم )

التي لا تُعارض قوله تعالى : ( اتقوا الله حق تقاته )

الواردة بشأن اخلاص التوحيد الذي هو حق الله على العبيد :

وهناك وجه آخر<sup>(٤)</sup> : - وهو أن تقوى الله حق تقاته فسرتها الآية الأخرى : ( فاتقوا الله ما استطعتم ) ، إذ أن المرء المسلم متى بذل غاية جهده في تقوى الله ولم يأل جهداً في ذلك وقام بالعبادة على الوجه المطلوب بقدر ما يستطيع ويطبق من غير حرج ولا مشقة فقد اتقى الله حق تقاته ، وعلى ذلك فالآيتان متوافقتان ومفسرتان لبعضهما

(١) أخرجه الامام مسلم : كتاب الايمان ( شرح النووي ج١ / ٢٣١ - ٢٣٢ )

(٢) سبق تخريجه

(٣) أخرجه الامام البخاري في كتاب الاعتصام ، باب / ٢ ، واللفظ له ج١ / ١٤٢  
ومسلم في الفضائل ، باب وجوب اتباعه - صلى الله عليه وسلم -  
( شرح النووي : ج ١٥ / ١٠٩ ) عن ابي هريرة رضي الله عنه

(٤) انظر : تفسير الرازي : ج ١٦١ / ١٦١ ، تفسير الماوردي ج ١ / ٢٣٧

تفسير ابي السعود ج ٢ / ٦٥ ، تنزيه القران عن المطاعن للقاضي عبد الجبار / ٧٣

تفسير القرطبي ج ١٨ / ١٤٤ ، روح المعاني للالوسي ج ٤ / ١٧

إذ القرآن مُبين لبعضه كما قال الباري :

( ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانُهُ ) - القيامة / ١٩ -

فمن طلّى في مرضه قاعداً أو أفطر في رمضان بنية القضاء عند الشفاء فقد اتقى الله حقّ تقاته ، إذ أن حقّ التقوى هو عمل المستطاع

قال القاضي عبد الجبار<sup>(١)</sup> : ( إن حقّ تقاته لا يكون إلا ما يستطيعون

لأنه تعالى لا يكلف نفساً إلاّ وسعها ، فلا اختلاف بين الآيتين ، ولذلك قال :  
ولا تموتن إلا وانتم مسلمون ) ، فإن حقّ تقاته أن يتمنى المرء حتى يموت  
مسلماً . ( اهـ )

قلت : والأمر بتقوى الله حقّ تقاته هو كقوله تعالى في شأن الجهاد  
( وجاهدوا في الله حقّ جهاده ٠٠٠ ) - الحج / ٧٨ -

وطاقة الناس في الجهاد تختلف بحسب القدرة والعجز ، والعلم والجهل ،  
فحقّ التقوى وحقّ الجهاد بالنسبة إلى القادر أو العالم شيء ، وبالنسبة  
إلى العاجز أو الجاهل شيء ، ولذلك قال تعالى بعد آية الجهاد السالفة  
: ( ٠٠٠ هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ٠٠٠ )

فحقّ الجهاد وحقّ التقوى هو ما يُطيقه كل عبد في نفسه (٢)

كما أن في قوله تعالى : ( اتقوا الله حقّ تقاته ) دافعا قويا

للمسلم للترقي في إيمانه وتقواه وزيادة الطاعات ، فجعل حقّ التقوى  
هكذا بدون تحديد ليجعل القلب مجتهدا في بلوغها كما يتصورها  
وكما يُطيقها ، وكلّما اقترب بتقواه من الله يتقوّ شوقه إلى مقام  
أرفع ممّا بلغ (٣) والمطلوب من المؤمن أن يبلغ في التقوى حتى  
لا يترك من المستطاع شيئا (٤)

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن : ٧٣

(٢) انظر زاد المعاد لابن القيم ج ٣ / ٨ تحقيق الارناؤوط

(٣) في ظلال القرآن ، للشهيد سيد قطب ج ١ / ٤٢٢

(٤) تفسير الزمخشري : ج ١ / ٤٥٠

### السبب الثامن : تعارض العموميين

قد مررنا بنا تعريف العام فيما تقدم ، وكيف أن العام لا يُعارض الخاص ، لأن العام يُحمل على الخاص لأنه بيان له كما تقدم ، ولكن قد يتعارض عموماني في الظاهر ، فيزيد أحدهما على الآخر من وجهه وينقص عنه من وجه آخر ، وقد يكون العموم مطلقاً أو من وجه دون وجه (١) فيجب الجمع بينهما أو ترجيح عموم أحدهما على الآخر، وجعل الآخر مخصصاً له لوجوب العمل بالراجح ، وهذه المرجحات تظهر عند التدبر والتأمل في كتاب الله ومعانيه ، وغير المتدبر أو الجاهل يظن أن هناك اختلافاً وليس به

ومثال تعارض العموميين في الظاهر :

قوله تعالى في سياق المُحرمات من النساء :

(..وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) - النساء / ٢٣ -

مدلول هذه الآية عام في كل الاخوات فيشمل جمع الأختين في ملك اليمين وهذا في الظاهر يعارض قوله تعالى :

( والذين هم لفروجهم حافظين إِلَّا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم

غير ملومين ٠٠٠٠ ) - المؤمنون / ٦ -

فإن قوله : " أو ما ملكت أيمانهم " يعنى كل ما تملك اليمين ، ومن

ذلك الأختين المملوكتين ، فإن ظاهر النص يُحل الجمع بينهما في الوطاء

إذا كانتا ملك يمين

وكلا النصين يُمكن أن يخص الآخر ، فإن قوله : وأن تجمعوا بين

الاختين ( يُمكن أن يخص بالنص الآخر على أن المراد جمع الاختين في

النكاح دون ملك اليمين ،

وقوله : ( أو ما ملكت أيمانهم ) يمكن ان يخص عموميه بالنص الآخر

على ان المراد منه اباحة ملك اليمين دون الجمع بين الاختين

واعلم انه قد ورد عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي

الله عنه - انه قال عندما سئل عن جمع الاختين في ملك اليمين ، فقال :

( احطهما اية وحرمتها اية ، واما انا فما احب ان افعل ذلك )

وزوي مثل ذلك عن الخليفة الراشد علي بن ابي طالب - رضي الله عنه -

(١) العام من وجه والخاص من وجه : هما اللذان يوجد كل واحد منهما مع الآخر احيانا

ويوجد كل منهما بدون الآخر احيانا اخرى ، فيجتمعان في صورة ، وينفرد كل واحد منهما

في صورة ، والامثلة توضح ذلك ، انظر : شرح الكوكب المنير ج٣ / ٢٨٤ مع الهامش

ادلة التشريع المتعارضة ، د . بدران ابو العنين ص : ١٦٤

(٢) موطأ مالك : ج٢ / ٥٢٨ ، تحقيق عبد الباقي ، مصنف عبد الرزاق ج٧ / ١٨٩

سنن البيهقي ج٧ / ١٦٣ ، موسوعة فقه عثمان : ١٠٢

وأنه نهى عن ذلك وبالغ في النهي<sup>(١)</sup> ، وهذا منه يدل على أنه قد ترجح لديه التحريم والله اعلم ، هذا وقد ذكر العلماء أن عموم قوله تعالى : ( وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ ) يترجح على عموم الآية الأخرى : ( أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) بمرجات عدة فيخصّ عموم إباحتها وطء ملك اليمين بغير الجمع بين الأختين ، فلا يجوز للرجل إذا ملك أختين بملك اليمين فوطأ إحداهما لا يجوز له أن يوطأ الأخرى ، وأما المرجات فهي ما يلي<sup>(٢)</sup> :

أولاً : إن حفظ عموم قوله : ( وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ ) أولى ، لأنه عموم لم يتطرق إليه تخصيص متفق عليه ، فهو أقوى من عموم تطرق إليه تخصيص بالاتفاق ، إذ قد استثنى من تحليل ملك اليمين المشتركة ، والمستبرأة ، والمجوسية ، والأخت من الرضاع والنسب وسائر المحرمات ، أما الجمع بين الأختين فحرام على العموم

ثانياً : إن قوله تعالى : ( وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ ) سيق بعد ذكر المحرمات وعدها على الاستقواء ، إلحاقاً لمحرمات تعم الحرائر والإماء ، أما قوله : " أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ " فلم يسق لبيان المحللات قصداً بل في معرض الثناء على أهل التقوى الحافظين فروجهم عن غير الزوجات والسرايير فلا يظهر منه قصد البيان ، وقد تقرر في الأصول : أن أخذ الأحكام من مظانها أولى من أخذها من غير مظانها

ثالثاً : إن قوله تعالى " أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ " وارد في معرض المدح للمتقين ، وما كان كذلك فإن اعتبار عمومه مختلف فيه ، قال الشيخ الشنقيطي<sup>(٣)</sup> رحمه الله : ( والعام الوارد في معرض المدح أو الذم اختلف العلماء في اعتبار عمومه ، فأكثر العلماء على أن عمومه معتبر وخالف في ذلك بعض العلماء<sup>(٤)</sup> ومنهم الشافعي رحمه الله ، حيث قال : ( العام الوارد في معرض المدح أو الذم لا عموم له ، لأن المقصود منه الحث في المدح ، والزجر في الذم ) إذا تقرر ذلك فإن المتفق على عمومه أولى من المختلف في عمومه (١٠) هـ

(١) موطأ مالك ج٢/٥٢٢ كتاب النكاح ، مصنف عبد الرزاق : ج١٨٩/٧

سنن البيهقي ج١٦٤/٧ ،  
(٢) المستصفى للبخاري : ٣٥٩ ، حاشية التفازاني ج٢/٣١٢ ، روضة الناظر : ٢٢٢  
شرح الكوكب المنير ج٢/٢٥٥ ، الأحكام للامدي ج٢/١١٥ ، الاتقان للسيوطي ج١٨/٢  
روح المعاني للالوسي ج٤/٢٦٠ ، أضواء البيان للشيخ الشنقيطي ج١٠/٧٣

(٣) أضواء البيان : ج١٠/٧٤

(٤) وقال بعدم العموم أبو الحسن الكرخي ، وبعض الحنفية ، وبعض المالكية ، ونقل ذلك عن الشافعية باطلاق ( شرح الكوكب المنير مع الهامش : ٢٥٥ )

رابعاً : إن آية ( وأن تجمعوا بين الاختين ) حاضرة والأخرى مبيحة ، والحاضر مُقدّم على المبيح احتياطاً ، والأخذ بالإحتياط أصل في الشرع كما تقرر في علم الاصول (١) وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ( دع ما يريبك الى ما لا يريبك ) (٢)

خامساً : إن آية ( وأن تجمعوا بين الاختين ) مدنية والأخرى مكية ، ومن مسالك الترجيح ترجيح المدني على المكي اذا كان هناك تعارض ظاهري (٣) ومن الجدير بالذكر أن الجمع المحرم الذي ترجح هو جمع الأختين من الإمام المملوكتين في الوطاء ، وأما الجمع بين الاختين في الملك فهو جائز بلا خلاف بين العلماء كما قال العلامة ابن قدامة المقدسي في كتابه المغني (٤) وقال الامام مالك رحمه الله (٥) : فني الامة تكون عند الرجل فيصيبها ثم يريد ان يصيب اختها ، انها لا تحل له حتى يحرم عليه فرج أختها بنكاح أو عتاقة أو كتابة أو ما أشبه ذلك .

---

(١) القوي في أصول الفقه ج٣/١٤ ، اصول السرخسي ج٢/٢١ ، الإحكام : ج٢/٢٢٦  
حاشية التفتازاني ج٢/٣٠٢ ، كشف الاسرار : ج٣/٩٤ ، العدة : ج٢/٩١٧

(٢) اخرج الترمذي في صفة القيامة والرقائق باب ٦٠/٦٦٨ وقال : حسن صحيح والنسائي في كتاب الاثرية ، باب الحث على ترك الشبهات ، ج٨/٣٢٧  
واحمد في مسنده ج١/٢٠٠ ، والحاكم في المستدرک كتاب البيوع ج٢/١٣ وقال : صحيح الاسناد ، ووافقه الذهبي كلهم عن الحسن بن علي رضي الله عنهما

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ج٢/٤٨

(٤) ج٦/٥٦٤ حيث فصل في المسألة

(٥) الموطأ ج٢/٥٣٩ بتحقيق عبد الباقي



موقف الباحث عند التعارض والاختلاف الظاهري في النصوص

بعد أن بينت الأسباب التي توهم وجود الاختلاف والتناقض في النصوص القرآنية ، وضربت الأمثلة لكل ذلك مع بيان موقف الباحث والدارس من هذه الأسباب ، وكيفية حمل كل توهم للاختلاف في القرآن على سبب من هذه الأسباب ، والتي تدل على إعجاز هذا القرآن وتنوع أساليب بيانه وتفوق منهجه ، وإحكام آياته وتألفها وانسجامها وترباطها ، ولا عجب فان القرآن قد أنزل رحمة للعالمين وهدى للناس ، فالمطلوب من كل احد هو تدبر آياته كما قال تعالى :

(كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب.) - ص ٢٩ -

الآن أنه قد يعرض للباحث أو القارئ في نصوص الكتاب أو السنة ما يُوهم الاختلاف ، والخروج من هذا التوهم وبيان علاقة النص بما يخالفه في الظاهر يتنازعه في بعض الاحيان عدة أسباب كأن يحتمل النمان النسخ أو الجمع بينهما ، لذا لابد من تفصيل القول في ذلك بما يناسب حاجة البحث وبيان موقف الباحث والقارئ من نصوص الكتاب اذا كان هناك ما ظاهره التعارض او الاختلاف ، وسوف اطبق هذه الدراسة على نصوص السنة أيضا بشيء من الاجاز للعلاقة الوثيقة التي تربط القرآن بالسنة إذ هي مُفسّرة ومُبيّنة للقران ، كما أنها مؤكدة للمعاني الواردة فيه وقد تأتي بحكم جديد كما هو معلوم ، وإذا كان الأمر كذلك فأقول :

إن الواجب على كل من يتطرق لدراسة النصوص والبحث فيها أن يعلم أن الشارع الحكيم لا يُمكن أن ينزل حكيمين متناقضين في آن واحد في مسألة واحدة ثم يطلب من المكلف أن يأتي بهما معا في وقت واحد ، لذا فالواجب على كل باحث أن يسلك المنهج العلمي المرتضى في فهم النصوص والربط بينها وتقديم بعضها على بعض ، والمسلك المتفق عليه بين جمهور العلماء هو كالتالي :

أولا : الجمع بين مدلولات النصوص والتوفيق بينها ما أمكن ذلك ثانيا : فان تعذر ذلك فالنسخ إن أمكن ذلك وعلم المتقدم والمتأخر ثالثا : ان تعذر كل ذلك نلجأ للترجيح ، فيقدم الراجح للعمل (١)

---

(١) خالف الحنفية في هذا المنهج فقدموا الترجيح على الجمع ، وسوف يأتي بيان منهجهم

وابداً ببيان مسلك الجمع والتوفيق بين النصوص فأقول :  
إذا ظهر ما يُظن أنه تعارض بين نصين وأمكن العمل بكل واحد منهما ولو  
من وجه دون وجه ، فلا يُصار الى غير ذلك لأن أعمال الدليلين أولى  
من إهمال أحدهما ، ولأن الأصل في الأدلة هو الأعمال دون الإهمال .  
هذا إذا لم يثبت النسخ ، فإذا ثبت أن النصين احدهما ناسخ والاخر  
منسوخ بأي طريقة <sup>معتبرة</sup> ( كان هو المقدم لأنه يكون حينئذ مراد الشارع  
والواجب التعبد بما يريده الشارع ،

(١)  
وحول أولوية الجمع والتوفيق بين النصوص يقول الامام الشافعي رحمه الله :  
( ولزم أهل العلم أن يُمضوا الخبرين على وجوههما ما وجدوا لإمضاءهما  
وجهاً ، ولا يعدونهما مختلفين وهما يَحتملان أن يُمضيا ، وذلك اذا امكمن .  
فيهما أن يُمضيا معا أو وُجد السبيل الى امضاءهما ، ولم يكن منهما  
واحد بأوجب من الآخر . )

وقال في موضع آخر (٢) : ( ولا يُنسب الحديثان الى الاختلاف ما كان  
لهما وجهاً أن يُمضيا معا ، إنما المختلف ما لم يَمْضِ الا بسقوط غيره  
مثل ان يكون الحديثان في الشيء الواحد هذا يحله وهذا يحرمه . ) اه  
وقال الامام الشاطبي (٣) رحمه الله :

(التعارض اذا ظهر فلا بد من أحد أمرين: إما الحكم على أحد الدليلين  
بالإهمال ، فيبقي الآخر هو المُعمل لا غير، وذلك لا يصح إلا مع فرض ابطاله  
بكونه منسوخاً، أو تطرق غلط أو وهم في السند أو في المتن إن كان خبر  
آحاد ، أو كونه مضموناً يُعارض مقطوعاً به الى غير ذلك من الوجوه  
القادرة في اعتبار ذلك الدليل ،

وإذا فرض أحد هذه الاشياء لم يُمكن فرض اجتماع دليلين فيتعارضا ،  
وقد سلموا أن احدهما ناسخاً فلا يُعد معارضا فكذلك ما في معناه ، فالحكم  
اذا للدليل الثابت عند المجتهد كما لو انفرد عن معارض من اصل ،  
والامر الثاني : الحكم عليهما معا بالأعمال ويلزم من هذا أن لا يتوارد  
الدليلان على محل التعارض من وجه واحد وانما يتواردان من وجهين ، وإذا  
ذاك يرتفع التعارض البتة . ) اه

(١) الرسالة : ٣٤١ ، تحقيق احمد شاکر

(٢) نفس المصدر : ٣٤٢

(٣) الموافقات : ج٤ / ٢٠٤ ، والشاطبي هو: ابراهيم بن محمد اللخمي الغرناطي  
الشهير بالشاطبي ، اصولي حافظ كان من ائمة المالكية له عدة مصنفات منها  
الموافقات ، والاعتماد ، وهو غير الشاطبي المقرئ صاحب القصيدة المعروفة بالشاطبية  
في علم القراءات ، ( الاعلام للزرکلي : ج١ / ٧١ )

وتعرض لذلك الإمام الحازمي فقال (١) :

( ادعاء النسخ مع امكان الجمع بين الحديثين على خلاف الاصل إذ لا عبرة بمجرد التراخي ... ) وقال في موضع آخر (٢) :

( مهما أمكن الجمع بين الأحاديث تعذر النسخ ، ومهما أمكن حمل كلام الشارع على وجه يكون أعمّ للفائدة كان أولى صونا لكلامه صلى الله عليه وسلم - عن سمات النقص ، ولأنّ في ادعاء النسخ اخراج الحديث عن المعنى المفيد وهو على خلاف الأصل . ) اهـ وحول هذا المعنى يقول العلامة اللكنوي (٣) رحمه الله :

( إنّ اخراج النص الشرعي عن العمل به مع امكان العمل غير لائق فالأولى أنّ يُطلب الجمع بين المتعارضين بأي وجه كان بشرط تعمق النظر وغوص الفكر ، وأما اذا وُجد ما يدل على ارتفاع الحكم الاول صريحا صير الى النسخ كما صرح بذلك أهل أصول الحديث ، وليس كل متأخر معارض لمتقدمه ناسخا له ، وإنّ التعارض في نظر الرجال لا يُخرج الدليلين عن العمل بهما معا فيعمل بكل واحد منهما إمّا عزيمة وإمّا رخصة . ) اهـ

قلت : تبين مما مضى من أقوال الائمة كيف أنّ الواجب عند

التعارض الظاهري بين النصوص هو الجمع بينها ، ولا نلجأ للنسخ ما أمكن الجمع ، اللهم الا اذا ورد دليل منفصل يُبيّن أن هذا ناسخ وهذا منسوخ ، وهنا يجب العمل بالنسخ ، وذلك لأنّه تبين لنا أنّه مراد الشارع ومثاله : آية الوصية مع آية الميراث الذي تقدم بيانه ، فالآيتان يمكن تفسيرهما على أنّ الميراث ناسخ لوجوب الوصية للوالدين والاقربين الوارثين ويمكن الجمع بينهما على أنّ الوصية جائزة للوارثين مع ما ثبت لهما من الميراث ، فلما جاءت السنة الصحيحة وبينت انه ( لا وصية لوارث ) (٤)

دلنا ذلك على أنّ آية الميراث ناسخة للوصية للوالدين والاقربين الوارثين وأنه لا يجوز الوصية للوارث ، ويبقى غير الوارث خارج نطاق النسخ ، فتجوز له الوصية ، فهنا قدمنا النسخ على الجمع دليل خارجي رجح النسخ

(١) الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار : ٦٩

(٢) نفس المصدر : ص ٩

(٣) الاجوبة الفاضلة : ١٨٣ - ١٨٤ ، واللكنوي هو : محمد عبيد الحي اللكنوي من علماء الهند البارزين ، له عدة مصنفات قيمة ، انظر : مقدمة الاجوبة : ١١

(٤) الحديث تقدم تخريجه في مبحث الناسخ والمنسوخ في فصل لمباب موهم الاختلاف

المسلك الثاني : النسخ

يُلجأ اليه عند عدم إمكانية الجمع وتعذره مع معرفة المتقدم زمانا والمتأخر عليه ، واللجوء للنسخ بعد الجمع هو طريقة الجمهور من العلماء ، وهو الطريق الصحيح ذلك أن اللجوء الى الترجيح قبل النسخ فيه اهمال احد الدليلين بالكلية ورد للخبر المرجوح ، اما اللجوء الى النسخ فليس فيه هذا المحذور ، ذلك اننا نكون قد أعملنا النسخ المنسوخ في وقت من الاوقات ، وكذلك نكون قد أثبتنا الخبر المنسوخ ولم نرده كما الحال في الترجيح ، والمراد بالترجيح هنا الترجيح في أخبار الاحاد وسوف يأتي بيانه بمشيئة الله تعالى ،

ومن امثلة اللجوء للنسخ عند تعذر الجمع :

قوله تعالى ( وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَيَنَّ أَنْفُسَهُنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ، فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ) - البقرة / ٢٣٤ -

فهذه الآية الكريمة توجب على المتوفى عنها زوجها أن تعتد اربعة اشهر وعشرة أيام ، فاذا انقضت هذه المدة حل لها التزوج وجاءت اية أخرى بحكم آخر وهي قوله تعالى :

( وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ ، فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ) - البقرة / ٢٤٠ -

فهذه الآية أوجبت على الأزواج أن يوصوا لأزواجهم بالنفقة والسكنى لمدة عام ما لم يخرجن من بيوتهن ، فاذا خرجن فليس عليهن جناح في ذلك وليس عليكم جناح في منع النفقة والسكنى عنهن وترك منعن من الخروج ، لانه لم يكن مقامها الحول واجبا عليها بل كانت مخيرة في ذلك لقوله تعالى : ( فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ) يعني من التشوف للزواج (١)

وانا كان الامر كذلك فإنه لا يمكن الجمع بين مدلولي الايتين لعدة امور

منها :-

---

(١) احكام القرآن لابن العربي : ج١ / ١٠٧ ، زاد المسير : ج١ / ١٨٦  
تفسير الرازي ج٦ / ١٥٨ ، تفسير القرطبي ج٣ / ٢٢٦  
روح المعاني للالوسي ج٢ / ١٥٨

أن الآية الأولى توجب العدة مطلقا ، فلم تقيد بها بعدم خروجهن من البيوت كما أنها ربطت التشوف للزواج ببلوغ الأجل وهو انتهاء العدة ،  
بينما الآية الأخرى ربطت انتهاء العدة بخروجهن من بيوتهن فإذا خرجن حل  
لهن التشوف للزواج لكنها متى خرجت سقطت نفقتها من مال زوجها المتوفى  
فهي على هذا مخرجة في الاعتداد وليس بواجب عليها كما هو الأمر في  
الآية الأولى ،

كما أن الوصية بالنفقة والسكنى للمتوفى عنها زوجها قد ثبت نسخه بما  
ثبت لها من الميراث ، والسنة دلت على أنه : ( لاوصية لوارث ) (١)  
فإذا سقطت عنها النفقة والسكنى فهي لم تعد مخرجة في الاعتداد بل ثبت بحقها  
حكم آخر وهو وجوب الاعتداد ، وهو ما صرح به الآية الكريمة :  
( يترصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا )

هذا وهناك أدلة تثبت هذا النسخ سوى ما تقدم من عدم إمكانية الجمع  
منها : ما رواه البخاري (٢) عن ابن الزبير قال : ( قلت لعثمان بن  
عفان : " والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا ... ) قد نسختها الآية  
الأخرى فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال : يا ابن أخي لا أُغَيِّرُ شيئا من  
مكانه . ( ٠ ) اهـ

ويقصد رضي الله عنه أن ترتيب الآيات توقيفي ، وأن الآية قد يُنسخُ حكمها  
ولا يُنسخ رسمها ،

ومنها قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للفريرة بنت مالك بن سنان حين  
قتل زوجها : ( امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله ) (٣)

أي انتهاء الأربعة أشهر والعشرة أيام

ومنها ما نقله القرطبي (٤) عن القاضي عياض : من أن الإجماع منعقد على  
أن الحول منسوخ ، وأن عدتها أربعة أشهر وعشرا

وقال القرطبي (٥) بعد أن نقل ذلك : ( هذا مع وضوحه في السنة الثابتة  
إجماع من علماء المسلمين لا خلاف فيه ، والرواية عن مجاهد شاذة لم  
يتابع عليها . )

(١) تقدم تخريجه

(٢) في كتاب الطلاق باب / ٤٢ ، ج١ / ١٨٣ ، كتاب التفسير باب ٤١ ج٥ / ١٦٠

(٣) أخرجه أبو داود في سننه : كتاب الطلاق ، باب في المتوفى عنها ج٢ / ٧٢٣

والنسائي : كتاب الطلاق ، باب مقام المتوفى عنها زوجها ج٦ / ١٩٩

والترمذي في سننه : كتاب الطلاق ، باب أين تعتد المتوفى عنها رقم / ١٢٠٤ ، وقال : حسن صحيح

(٤) تفسير القرطبي ج٢ / ٢٢٦ ونظر البحر المحيط لابي حيان ج٢ / ٢٤٥

(٥) نفس المصدر

من وفاة زوجها أربعة اشهر وعشرا ، مدخولا بها أو غير مدخول ، صغيرة لم تبلغ أو كبيرة قد بلغت ( اه قلت فهذا المثال المتقدم يوضح لنا سلوك طريق النسخ عند تعذر الجمع وأن النصوص التي لا يظهر وجه الجمع بين مدلولاتها لا بد أن يرد في الشرع ما يبين الناسخ من المنسوخ .

وفيما يلي مثال آخر من السنة لاتمام الغائدة :  
روى البخاري (١) ومسلم (٢) عن عائشة وأم سلمة - رضي الله عنهما - ( أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يُصبح جنبا من جماع غير احتلام في رمضان ثم يصوم )

وروى البخاري (٣) ومسلم (٤) عن أبي هريرة عن الفضل بن عباس : أنه - صلى الله عليه وسلم - قال : ( من أدركه الفجر جنبا فلا يصم ) فالواضح من الحديثين أنه لا يمكن الجمع بينهما ، حيث إن الحديث الاول يُثبت مشروعية أن يُصبح المرء جنبا من جماع في رمضان ثم يصوم ، لأنه فِعْلُ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وهو القدوة ، ولا دليل على الخصوصية ويدل على عدم الخصوصية قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لمن سأله : ( يا رسول الله تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم؟ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم ) والحديث الاخر الذي رواه أبوهريرة عن الفضل مرفوعا يدل على أن من أصبح جنبا فلا صوم له

لذا فقد سلك العلماء طريق النسخ وقدموا حديث عائشة وام سلمة وجزم الامام النووي (٦) بأنه استقر الاجماع على ذلك

قال الشوكاني (٧) : ( وعن ابن المنذر وغيره سلوك النسخ ، وبالنسخ

قال الخطابي وقواه ابن دقيق العيد بأن قوله تعالى :

( أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ) - البقرة / ١٨٧ -

يقتضي إباحة الوطء في ليلة الصوم ومن جملتها الوقت المقارن لطلوع الفجر

فيلزم إباحة الجماع فيه ومن ضرورته أن يُصبح فاعل ذلك جنبا ولا يفسد صومه ( اه

(١) صحيح البخاري : كتاب الصوم باب : ٢٢ الصائم يصبح جنبا ج٢ / ٢٣٢

(٢) في صحيحه : كتاب الصوم ، واللفظ له ( شرح النووي ج٧ / ٢٢٢ )

(٣) صحيح البخاري كتاب الصوم ، الصائم يصبح جنبا ، ج٢ / ٢٣٣

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الصوم ، واللفظ له ( شرح النووي ج٧ / ٢٢٠ )

(٥) صحيح مسلم : كتاب الصوم ، ( شرح النووي ج٧ / ٢٢٣ - ٢٢٤ )

(٦) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ج٧ / ٢٢٢ )

(٧) نيل الاوطار : ج٤ / ٢٩٢

قلت : والرواية عن مجاهد أخرجها الإمام البخاري بسنده عن ابن أبي  
نجيح عن مجاهد قال : ( جعل الله لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين  
ليلة وصية ، إن شاءت سكنت في وصيتها ، وإن شاءت خرجت وهو قول  
الله تعالى : ( غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم ) فالعدة كما هي  
واجب عليها ) اهـ

وهذا الجمع من مجاهد رحمه الله غير صحيح وذلك لعدة أمور :

منها أن الوصية للوارث منسوخة باتفاق العلماء بما ثبتت من الميراث وأنه  
لاوصية لوارث ، فكيف يجوز للزوجة وهي وارثة ان تتمتع بنفقة حول زيادة  
على نصيبها في الميراث (٢)

ومنها ان الآية الثانية لم توجب تربية سنة بل او جبت الوصية بما يتمتعن  
به سنة ، ذلك انها تجعل للمتوفى عنها حق الخروج في أي زمن ، وحق  
ترك الحداد ، والتشوف للزوج اذا هي خرجت ، فلا يحرم عليها شيء من  
ذلك قبل أربعة اشهر وعشرا اذا كان ذلك بالمعروف شرعا (٣)

يقول الامام الطبري (٤) في ذلك : ( ثم أخبر تعالى ذكره أنه لا حرج على  
أولياء الميت في خروجهم وتركهن الحداد على أزواجهن لأنّ المقام حولا في  
بيوت أزواجهن والحداد عليه تمام حول كامل لم يكن فرما عليهن وانما كان  
ذلك اباحة من الله تعالى ذكره لهن ، إن اقمتم تمام الحول محدات ،  
فأما إن خرجن فلا جناح عليهن أزواجهن الميت ولا عليهن فيما فعلن في أنفسهن  
من معروف وذلك ترك الحداد . ) اهـ

هذا بالنسبة للآية الثانية أما الآية الاولى : فقد حرمت على المتوفى عنها  
زوجها حق الخروج وحق التشوف للنكاح ، وأوجب عليها الحداد والتربية  
حتى يبلغ الكتاب اجله ، وهذا يدفع إمكانية الجمع  
ثم انه نقل عن مجاهد نفسه القول بالنسخ (٥) ولهذا فالظاهر أنه قد  
رجع عن قوله الأول وفاقا لاجماع الأمة

قال ابن المنذر : ( وأجمعوا أنّ عِدَّةَ الْحُرَّةِ الْمُسْلِمَةِ الَّتِي لَيْسَتْ بِحَامِلٍ مِنْ  
(٦)(٧)

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير / سورة البقرة : ج٥/١٦٠

(٢) هذا بالنسبة للنفقة ، أما السكنى في الاربعة اشهر وعشرا فهي محل خلاف بين  
العلماء وهما قولان للشافعي : ابن كثير ج١/٤٤٤ ، القرطبي ج٣/٢٢٦ البحر المحيط ج٢/٢٢٣

(٣) البحر المحيط ج٢/٢٤٦ ، حاشية الجمل على الجلالين ج١/١٩٦

مناهل العرفان للزرقاني ج٢/١٥٧ ط الحلبي ، الدر المنثور ج١/٧٣٩

(٤) تفسير الطبري ج٥/٢٦١ ، تحقيق احمد شاکر

(٥) القرطبي : ج٣/٢٢٦ ، (٦) في كتاب الاجماع : ١٠٨ ط دار طيبة - الرياض

وانظر : بداية المجتهد لابن رشد ج٢/٩٦ لمعرفة تفاصيل احكام العدة

(٧) وابن المنذر : هو ابو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري ،

الحافظ المجتهد الفقيه ، كان يُعرف بـفقيه مكة وشيخ الحرم ، ت : ٣١٨

تهذيب الاسماء واللغات للغوي : ج١/٧٢٣ ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج٣/١٠٢

ومما يدل على النسخ أيضا رجوع أبي هريرة - رضي الله عنه -  
عن الفتوى بما كان يرويه لبلوغه الخبر الناسخ حيث ثبت في مسلم<sup>(١)</sup>  
(قال: فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك )

قال الإمام النووي<sup>(٢)</sup> : ( جواب بن المنذر فيما رواه البيهقي : أن حديث  
أبي هريرة منسوخ وأنه كان في أول الأمر حين كان الجماع محرما في الليل  
بعد النوم ، كما كان الطعام والشراب محرما ثم نُسخ ذلك ولم يعلمه  
أبو هريرة ، فكان يُفتي بما علمه حتى بلغه الناسخ فرجع إليه ، قال  
ابن المنذر : هذا أحسن ما سمعتُ فيه ) اهـ

قلت : ومما يتقدم نرى كيف ان العلماء قد سلكوا طريق النسخ عند  
وجود تعارض بين نصين توفر فيهما شروط النسخ ، وقدموا ذلك على الجمع  
لما فيه من التكلف<sup>(٣)</sup> ، اضافة الى رجوع أبي هريرة عما كان يُفتي به وذلك  
لبلوغه آخر الامرين في حكم صوم من أصبح جنبا من جماع ، والله الموفق

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الصوم ، ( شرح النووي ج٧ / ٢٢٢ )

(٢) شرح صحيح مسلم ج٧ / ٢٢١

(٣) جمع بعضهم بان المراد بحديث ابي هريرة : ( من أدركه الفجر وهو جنب  
فلا يصم ) المراد بذلك الارشاد إلي الافضل ، وهو أن يغتسل قبل الفجر  
فلو خالف جاز ، وأن النبي فعله لبيان الجواز

وجواب اخر : لعله محمول على من ادركه الفجر مجامعا فاستدام بعد طلوع

الفجر عالما فانه يفطر ولا صوم له ، (شرح النووي على مسلم ج٧ / ٢٢٢ )  
قلت : وكل ذلك فيه نوع من التكلف والنسخ هو الطريق الصحيح كما تعلم



### المسلك الثالث : الترجيح

ولا بد من الإشارة الى أن الترجيح عند التوفيق بين نصوص القرآن يختلف مدلوله عن الترجيح بين نصوص الاخبار الأحادية ، فالترجيح عند دراسة نصوص القرآن المقصود به : الترجيح بين مدلولات النصوص الظنية الدلالة ، والترجيح هنا لا يؤدي الى إهمال النص المرجوح بل يُعمل بهما كليهما ، فهو اعتبار أن هذا النص بيان لذاك او مخصص له أو مقيد له ، وغير ذلك مما لا يقتضي اطراح أحد النصين ، حيث لا يجوز الترجيح بين الأدلة القطعية بقوة السند كما هو الحال في أخبار الآحاد ، بل يُلجأ للترجیح بالحكم (١)

وقد تقدم مثال الجمع بين الأختين في ملك اليمين ، وكيف أن عموم قوله تعالى : ( وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ) - النساء / -

يُعارض في الظاهر عموم قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلِإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ) - المؤمنون - فلا بد ان يكون أحدهما مخصصاً للآخر ، فلجئنا الى الترجيح فوجدنا أن

عموم قوله تعالى : ( وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ) يترجح على عموم قوله تعالى ( . . أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) فيخصص عموم الثانية بالاولى ، وقد تقدمت مرجحات ذلك في الفصل السابق

ومن المعلوم أن القرآن كله قطعي الثبوت فنصومه كلها في قوة واحدة ، والترجيح بينها لا يكون كما هو الحال في الترجيح بين الأدلة الظنية كما سيأتي بيانه

وقد ذكر الامام الزركشي في البرهان (٢) بعض مسالك الترجيح بين مدلولات النصوص القرآنية التي ظاهرها التعارض أو الاختلاف ، أجملها فيما يلي مع بعض التوضيح وضرب الأمثلة ما أمكن ذلك

أولها : تقديم المدني على المكي (٣) ، فيقدم الحكم بالآية المدنية على المكية في التخصيص والتقديم

فمن فوائد معرفة المكي والمدني تمييز الناسخ من المنسوخ فيما اذا وردت آيتان من القرآن في موضوع واحد ظاهرهما الاختلاف ، ومثاله قوله تعالى : ( وَاَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ) الحجر / ٩٤ - فانها من سورة الحجر وهي مكية ، يخالف مدلولها قوله تعالى :

(١) ارشاد الفحول للامام الشوكاني : ٢٧٤ (٢) البرهان في علوم القرآن ج٢/٤٨ (٣) المكي هو ما نزل من القرآن قبل الهجرة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة انظر : مناهل العرفان للشيخ الزرقاني ج١ / ١٩٤

( فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ٠٠٠٠ ) - التوبة / ٥ -  
وهي من سورة التوبة المدنية ،  
والجواب ظاهر وهو أن الآية الثانية ناسئة للأولى بحكم كونها آية مدنية  
والأولى مكّية

ثانيها : أن يكون أحد الحكمين على غالب أحوال أهل مكة ، والآخر  
على غالب أحوال أهل المدينة ، فيقدم الحكم بالخبر الذي فيه أحوال أهل  
المدينة

كقوله تعالى : كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ (٠٠٠) - البقرة / ١٧٨ -  
مع قوله : ( وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ) - آل عمران / ٩٧ -  
والإجماع منعقد على أن من جنى في الحرم لا يُؤمّن لأنه هتك حرمة الحرم ورد  
الأمان ، وأجمعوا على أن الحرم لا يفيد الأمان فيما سوى التفس ،  
إنما الخلاف فيما إذا وجب القصاص عليه خارج الحرم فالتجأ إلى الحرم  
فهل يستوفي منه القصاص في الحرم ؟

قال مالك والشافعي وأحمد في رواية : يستوفي لعموم قوله تعالى :  
(كتب عليكم القصاص في القتل) - البقرة / ١٧٨ -

وقال أبو حنيفة وأصحابه : إذا قتل خارج الحرم ثم دخله لم يُقتل ، بل  
يُضيق عليه حتى يخرج من الحرم ، لعموم قوله تعالى :  
( ومن دخله كان آمناً ) - آل عمران / ٩٧ -  
ويترجح مذهب الجمهور من عدة أوجه :

الوجه الأول : - ما أفاده الإمام الزركشي (١) من تقديم الحكم بالخبر  
الذي فيه أحوال أهل المدينة ، فإذا أمكن بناء كل واحدة من اليتين على  
البديل جعل التخصيص في قوله تعالى : ( ومن دخله كان آمناً )  
كانه قال : إلا من وجب عليه القصاص

الوجه الثاني ما قاله الرازي (٢) : من أن قوله : ( كان آمناً )  
اثبات لمسمّى الأمن ويكفي في العمل به اثبات الأمن من بعض الوجوه ،  
وهو عام في كل من دخله وقد خصّ بمن وجب عليه القصاص  
الوجه الثالث : ما قاله أبو بكر ابن العربي (٣) رحمه الله :  
ان قوله تعالى : ( ومن دخله كان آمناً ) خبر عمّا كان وليس فيه اثبات  
حكم مستقل وإنما هو تنبيه على آيات وتقرير نعم متعدي ، فإن الله  
سبحانه قد كان صرف القلوب عن القصد إلى معارضته ، وصرف الأيدي عن إنايته

(١) البرهان ج٢ / ٤٩ ، (٢) تفسير الرازي : ج٨ / ١٥٢

(٣) أحكام القرآن ج١ / ٢٨٤ - ٢٨٥ بتصرف ، وانظر : تفسير الماوردي ج١ / ٣٣٥

وجمعها على تعظيم الله تعالى وحرمته ، كما قال تعالى :  
( أولم يروا أننا جعلنا حرماً آمناً ويُتخطف الناس من حولهم ، أفتبالباطل  
يؤء منون وبنعمة الله يكفرون ؟ ) - العنكبوت / ٦٧ -  
هذا بالإضافة الى أنّ من قال لا يُستوفى فيه القصاص ممّن لجأ اليه قالوا :  
إنه لا يُطعم ولا يُسقى ويُضيق عليه حتى يضطر للخروج وليس هذا من الأمن  
في شيء ، كذلك قولهم يقع القصاص في الأطراف في الحرم ، ولا أمن ايضاً  
مع هذا ( اهـ )

الوجه الرابع : ما روي عن بعض السلف : ( ١ ) أن الحرم لا يُعيذ عاصياً  
ولا فاراً بدم ولا فاراً بخربة ( ٢ )

ثالث الترجيحات : أنّ يكون أحد الظاهرين مستقلاً بحكمه ، والآخر مقتضياً  
لفظاً يزداد عليه فيقدم المستقل بنفسه عند المعارضة والترتيب ،  
ومثال ذلك قوله تعالى : ( وأتموا الحج والعمرة لله ) - البقرة / ١٩٦ -  
مع قوله تعالى : ( فإن أُحصرتم فما استيسر من الهدي ) - البقرة / ١٩٦ -

وقد أجمعت الأمة على أنّ الهدي لا يجب بنفس الإحصار ، وإنما يجب على من  
تحلل بالإحصار ، فيكون تقدير الآية : فإن أُحصرتم فتحللتم فما استيسر  
من الهدي ، هذا والإجماع منعقد على أنّ المُحرم إذا حصره عدو من المشركين  
أو غيرهم فمنعوه من الوصول الى البيت ولم يجد طريقاً آمناً فله التحلل  
وقوله تعالى : " فان احصرتم ... " إنما نزلت في حصر الحُدبية ، وكان

النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه محرمين بعمرة فحلّوا جميعاً ( ٣ )  
وقد قدم جمهور العلماء دلالة قوله تعالى : ( وأتموا الحج والعمرة لله )  
والتي فيها أنّ المُحرم ليس له التحلل عند المرض بل يبقى على إحرامه  
حتى يقدر على النسك ، قدموا ذلك على دلالة قوله تعالى :

( فان أُحصرتم فما استيسر من الهدي ) التي تفيد في ظاهرها جواز الإحلال  
لمن منعه مرض عن مواصلة النسك ،

ومرجح التقديم هو أنّ قوله تعالى : " وأتموا الحج والعمرة لله " مستقلاً بحكمه ، وقوله : " فإن أُحصرتم ... " مقتضياً لفظاً يُزاد عليه

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحج ( شرح النووي ج٩ / ١٢٩ ) والقائل : عمرو بن سعيد

(٢) الخربة : اصلها سرقة الابل وتطلق على كل خيانة ، غريب الحديث للخطابي ج٢ / ٢٢٦

(٣) المغني لابن قدامة ج٣ / ٣٥٦ ، ٣٦٣ احكام القران ج١ / ١٢٠ ، البرهان للزركشي ج٢ / ٤٩

(٤) مالك والشافعي واحمد وغيرهم ، وقال بجواز التحلل عند المرض ونحوه ابو

حنيفة واصحابه وابو ثور ، المغني ج٣ / ٣٦٣ ، الموطأ : ج١ / ٢٦٠ كتاب الحج

وتقديره : فإن أُحصرتم فتحتلتم ... حيث إن الإجماع مُنعقد على أن الهدي لا يجب بنفس الإحصار بل بالتحلل من الإحرام هذا وللجمهور أدلة أخرى على أن الآية مُختصة بمن حصره عدو ، منها : أن الآية إنما نزلت في حصر المشركين للرسول واصحابه عن أداء العمرة ، فدل ذلك أن المراد بالآية هو حصر العدو ، ومنها قوله تعالى بعد الآية : ( ٠٠ ) فإذا أمنتُم فمن تمتع بالعمرة الى الحج ( ٠٠٠ ) حيث إن الأمن لا يطلق إلا في ارتفاع الخوف من العدو ومنها أنه تعالى ذكر بعد الآية حكم المريض فالظاهر أن المُحصر غير المريض ومنها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل على مُباعة بنت الزبير ، فقالت : يا رسول الله إني أريد الحج وأنا شاكية ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( حجي واشترطي أن مَحَلِّي حيث جِستني ) (١) فلو كان المرض يُبيح الحل ما احتاجت الى شرط (٢) ومنها ما ورد مثنى آثار عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم باسانيد صحيحة<sup>(٣)</sup> من أنه ( لا حصر إلا حصر العدو ) ( وأن من حصره مرض لا يحل حتى يطوف بالبيت وبين الصفا والمروة ) ، كما اخبر ابن عمران ذلك سنة النبي - صلى الله عليه وسلم -

#### رابع الترجيحات :-

ترجيح النص على الظاهر (٤) : وذلك أن النص في دلالة على الحكم اقوى من الظاهر ، ولذلك اذا تعارض النص مع الظاهر قُدِّم النص في العمل لأن الاقوى دلالة يقدم على غيره ، ومثال ذلك : قوله تعالى في الخمر : ( يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ) - المائدة / ٩٠ فهذه الآية نص في التحريم ولا يحتمل غير ذلك ، فلا يكون معارضا له

- (١) رواه : مسلم في الحج ، باب جواز اشتراط المحرم التحلل ( شرح النووي ج١ / ١٣١ )  
واحمد في مسنده ج١ / ١٦٤ ، كلهم عن عائشة رضي الله عنها  
(٢) المغني لابن قدامة ج٢ / ٣٦٣ ، بداية المجتهد لابن رشد ج١ / ٣٥٤  
احكام القرآن لابن العربي ج١ / ١٢١ ، نيل الاوطار للشوكاني ج٥ / ١٧٤  
(٣) اخرجه عنهم : مالك في الموطأ في الحج ، ما جاء فيمن احصر بغير عدو ج١ / ٣٦١  
( اثر ابن عمر وابن الزبير )  
والشافعي في مسنده ص : ١٢٤ ، ٣٢٧ طاوولى ( اثر ابن عباس )  
البخاري كتاب المحصر ، باب ٢ / ٢٠٧ ( اثر ابن عمر )  
(٤) النص : ما يفيد بنفسه من غير احتمال ، او هو الصريح في معناه الظاهر : ما يسبق الى الفهم منه عند الاطلاق معنى مع تجويز غيره ، او ما احتمل معنيين هو في احدهما اظهر من الاخر ، ( روضة الناظر : ١٥٧ )

قوله تعالى : ( ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا  
إذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ،  
والله يُحب المحسنين ) - المائدة / ٩٣ -  
فهذه الآية لم تُسق لتطيل كل طعام و شراب بل لبيان منزلة التقوى ،  
وأن المتقي من يعمل الصالحات و يحسن عملها (١)  
ولذلك لما سيق شارب خمر الى عمر و سأله لِمَ شربتها ؟ و استدل بهذه  
الآية ، أقام عليه عمر الحد و قال له : اخطأت التأويل ، اذا اتقيت الله  
اجتنبت ما حرّم الله (٢)

### الترجيح في السنة

الذي تقدم هو ترجيح بين مدلولات نصوص القران ، و انتقل الآن الى بيان  
الترجيح في السنة غير المتواترة ، وهي أخبار الآحاد التي تُعتبر ظنية الثبوت  
في الجملة (٣) ولهذا تفاوتت في قوة ثبوتها ، لذلك قد يرد بعض الاخبار  
المتعارضة إما في الظاهر فنلجأ للجمع بين مدلولاتها كما تقدم ، وإما  
يكون التعارض حقيقي فنلجأ للنسخ إن علم المتأخر من المتقدم ،  
وإلا فالترجيح وقد عرف العلماء الترجيح بأنه :  
( تقوية أحد الدليلين الظنيين المتعارضين بمرجح من المرجحات فيعمل بالاقوى)  
أو هو : ( اقتران أحد الصالحين للدلالة على المطلوب مع تعارضهما بما  
يوجب العمل به وإهمال الآخر )  
فإذا كان أحد الدليلين غير صالح للدلالة فلا تعارض ، فإذا اقترن احد  
الدليلين بمرجح من المرجحات فهذا مما يوجب العمل به وإهمال المرجوح (٤)

(١) اصول الفقه للعلامة ابي زهرة : ٩٥ وانظر : تفسير الالوسي ج١/١٨٧

زاد المسير لابن الجوزي ج٢/ ٤١٩

(٢) وسبب نزول الآية كما روى البخاري في كتاب التفسير (ج٥/ ١٩٠) عن انس

أنه لما نزل تحريم الخمر قال بعض القوم : قُتل قوم وهي في بطونهم ، قال :  
فأنزل الله : ( ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا ) الآية  
أي لأنها لم تكن محرمة عندما قُتلوا ، فلمهم العذر

(٣) البيهقي في الأشربة ج٨ / ٣١٦ ط : دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد

والدارقطني ج٣ / ١٦٦ ، طبعة المدني - المدينة المنورة ، والشارب : قدامة بن

(٣) اخبار الآحاد : هي التي لم تبلغ الى درجة التواتر الذي يفيد  
العلم الضروري بحصول الخبر ، لكنها في نفس الوقت متفاوتة في قوة ثبوتها ،  
وكثير منها يفيد العلم النظري ، مثل الأحاديث المسلسلة بالائمة او المخوفة بالقرائن  
وإذا صح الخبر عن رسول الله و جب العمل به باتفاق الأمة

(٤) الأحكام لسامدي ج٣/ ٢٥٦ ، كشف الاسرار ج٤/ ١٩٨ ، المستصفى / ٥٢٢ ، شرح البدخشي / ٣ : ٤٤٥

قال الآمدي (١) : ( كان الصحابة والسلف لا يعدلون الى الاراء والاقيسة الا بعد البحث عن النصوص والياس منها ، ومن نظر في وقائع اجتهاداتهم علم أنهم كانوا يُوجبون العمل بالراجح من الظنيين دون أضعفهما ) اه  
هذا ومن الجدير بالذكر أنه اذا كان أحد الداليلين المتعارضين قطعياً دون الآخر فإنه يجب تقديمه باتفاق ، فإن الظن لا يدفع اليقين ، إلا اذا كان المقطوع عاماً والمظنون خاصاً ، كآية خُصّت بحديث صحيح ، فالصحيح أن المظنون يُخصى عموم المقطوع ، لأن العمل بالأخص فيه إعمال الدليلين خلافاً للحنفية فإنهم يجعلون العام المقطوع المتأخر ناسخاً للخاص ، ويتوقفون حيث لم يُعلم التاريخ (٢).

ومثال ذلك :

قوله تعالى بشأن المحرمات من النساء : ( وأحل لكم ما وراء ذلكم ) بالنساء/٢٤  
خُصّ ذلك بتحريم نكاح المرأة على عمتها والمرأة على خالتها وغير ذلك بطريق السنة الثابتة وهي قوله - صلى الله عليه وسلم - :  
( لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها . ) (٣)

والترجيح في الأخبار يكون من عدة أوجه ذكرها العلماء (٤)  
اذكرها بايجاز يتناسب مع حاجة البحث  
الوجه الأول : الترجيح الراجع الى الاسناد ، وذلك من عدة أمور :  
احدها : كثرة الرواة ، حيث إن الخبر الذي رواه أكثر يترجح لأنه أقوى في النفس وأبعد من الغلط والسهو ، وفي اجتماع الأكثر تقوية للظن ، ولذا فقد تنتهي الكثرة الى التواتر الذي لا يُشك فيه ، والكثرة التي يرجح بها على القلة إنما يُعتمد عليها بعد صحة الخبرين وإلا فليس لكثرة الرواة والطرق ترجح على غيره ، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يرجحون بكثرة العدد

(١) الإحكام : ج٣ / ٢٥٦

(٢) شرح البدخشي ج٣ / ١٦٠

(٣) تقديم تخريج ذلك في مبحث العموم والخصوص

(٤) المستصفى للغزالي : ٥٢٢ فما بعدها ، الإحكام للآمدي : ج٣ / ٢٥٩

كشف الأسرار ج٤ / ١٢٠ ، التمهيد في أصول الفقه لأبي الخطاب ج٣ / ٢٠٢

الاعتبار للحازمي : ١١ ، روضة الناظر لابن قدامة : ٣٤٧

ارشاد الفحول للشوكاني : ٢٧٦

فأبو بكر الصديق - رضي الله عنه - قوَّى خبر المنيرة بن شعبة في ميراث الجدة بموافقة محمد بن مسلمة (١) وقوَّى عمر - رضي الله عنه - خبر أبي موسى الأشعري في الاستئذان بموافقة أبي سعيد الخدري (٢) - رضي الله عنهم جميعا - ومن أمثلة ذلك : ما رواه الشيخان (٣) عن عبادة بن الصامت وأبي سعيد الخدري مرفوعا : ( الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلا بمثل سواء بسواء ، يدا بيد فاذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد ) وفي رواية : ( فمن زاد أو استزاد فقد أربى )  
رجح العلماء هذا الحديث على حديث أسامة الذي أخرجه الشيخان أيضا (٤)  
( إنما الربا في النسيئة ) ( لا ربا إلا فيما كان يدا بيد ) (٥)  
وقالوا : إن مع عبادة عمر وزيد بن أرقم والبراء بن عازب وأبي سعيد الخدري وأبا هريرة وغيرهم ، فالحديث الذي رواه جمع أولى من الذي رواه واحد (٦)

- 
- (١) خبر ميراث الجدة : ( أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أطمع الجدة السدس ) أخرجه الترمذي : كتاب الفرائض ، باب ميراث الجدة ، وقال : حسن صحيح ج٤/٤١٩ و أبو داود : كتاب الفرائض ، باب ميراث الجدة ج٣/٣١٧ رقم : ٢٧٢٤ وابن ماجه : في الفرائض ، باب ميراث الجدة ، رقم ٢٧٢٤ تحقيق عبد الباقي ومالك في الموطأ ، كتاب الفرائض ، باب ميراث الجدة ج٢/٥١٣
- (٢) خبر أبي موسى في الاستئذان : ( إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذ ذن له فليرجع ) أخرجه البخاري : كتاب الاستئذان ، باب ١٣ ج٧ / ١٣٠ ومسلم : في الاستئذان ( شرح النووي ج٤ / ١٣٠ ) عن أبي سعيد الخدري
- (٣) البخاري : في البيوع ، باب ٧٨ / ٣٠ ، ج٣ / ٣٠ ، عن عمر ، وأبي بكر ، وأبي سعيد ومسلم : في البيوع ، باب الربا ( شرح النووي ج١١ / ١٤ ) عن عبادة بن الصامت وأبي سعيد وأبي هريرة والبراء بن أرقم وغيرهم ، واللفظ لمسلم
- (٤) البخاري : في البيوع ، باب ٧٩ / ٣١ ، ج٣ / ٣١ ومسلم : في البيوع ، باب الربا ( شرح النووي ج١١ / ٢٥ - ٢٦ ) واللفظ له
- (٥) أي يجوز بيع درهم بدرهمين ، وصاع بصاعين من التمر اذا كان يدا بيد ، أما مؤجلا فهو حرام ، وإباحة الصورة الاولى وهي درهم بدرهمين حالا مجمع على ترك العمل بها ( شرح النووي على مسلم ج١١ / ٢٥ )
- (٦) انظر : الرسالة للامام الشافعي : ٢٨١ ، ارشاد الفحول للشوكاني : ٢٧٦  
نيل الاوطار ج٥ / ٢٩٩  
والترجيح بكثرة الرواة خالف فيه أكثر علماء الاحناف ، وذهب بعضهم الى الترجيح بكثرة الرواة ، انظر : كشف الاسرار ج٤ / ١٢٠ ، تيسير التحرير ج٣ / ١٦٩  
أصول السرخسي : ج٢ / ٢٤

الامر الثاني : الترجيح بناءً يعود على صدق الراوي وورعه أو ضبطه وإتقانه ، أو امتياز بصفة معينة ، ومن أمثلة الترجيح

لامتياز الراوي بصفة معينة :

(١) ما رواه البخاري وغيره عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها - أن بَريرة عُنقت في حال كون زوجها عبداً ، رَجَّح العلماء هذه الرواية على رواية الاسود بن يزيد (٢) عنها أنه كان حراً ، لأن القاسم كان مُحرمًا لعائشة لأنها عمته فكان يسمع منها بدون حجاب ، بخلاف الاسود بن يزيد ، فهنا رجح العلماء خبر القاسم لامتياز بصفة معينة وهو كونه راويًا عن عائشة بدون حجاب لما في ذلك من الفائدة والقدرة على حسن التلقي ، ويؤيد ذلك أيضًا رواية ابن عباس في البخاري وغيره ،

الامر الثالث : أن يكون راوي أحد الخبرين المتعارضين صاحب الواقعة ، فقد قدّم العلماء حديث أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث (٣) رضي الله عنها ( أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تزوجها وهو حلال ) (٤)

على خبر ابن عباس رضي الله عنه - ( أن النبي - صلى الله عليه وسلم -

تزوج ميمونة وهو مُحرم ) (٥) ومما يعضد هذا الترجيح : أن أبا رافع مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

كان السفير في تزوج ميمونة ، قال : ( تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

ميمونة وهي حلال وينى بها وهي حلال ، وكنتُ أنا الرسول فيما بينهما ) (٦)

الأمر الرابع : أن يكون أحدهما باشر القصة ، ولذلك قدّم الصحابة أخبار أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صفة صوم مَنْ أصبح جنبًا على من روى خلاف ذلك (٧)

وهناك أمور أخرى تعود للسند ذكرت أهمها (٨)

(١) البخاري : كتاب الطلاق ، باب / ١٥ خيار الأمة تحت العبد ، ج٦ / ١٧١

ومسلم في العتق ، باب الولاء لمن اعتق ( شرح النووي ج ١٠ / ١٤٦ - ١٤٧ )

عن القاسم وعروة بن الزبير أيضًا ، والبخاري : في الطلاق عن ابن عباس ج ٦ / ١٧١

(٢) أخرجه أبو داود في الطلاق ، باب من قال كان حراً ، رقم ٢٢٣٥ ج ٢ / ٦٧٢

والنسائي : في الطلاق باب خيار الأمة ، ج ٦ / ١٣٣ ، طبعة الحطبي ، واحد : ١٧٠/٦

(٣) هي أم المؤمنين تزوجها النبي سنة سبع ، قيل هي الواهية نفسها للنبي ،

روت ستة وأربعين حديثًا ، وتوفيت : سنة ٥١ هـ ( الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٤ / ٤١١ )

(٤) مسلم في النكاح ، تحريم نكاح المحرم ( شرح النووي ج ٩ / ١٩٦ )

ورواه الترمذي : في كتاب الحج ج ٣ / ٢٠٤ ، وأبو داود في المناسك ج ٢ / ٤٢٢

(٥) البخاري في النكاح ، باب ٣٠ نكاح المحرم ج ٦ / ١٢٨ ، ج ٢ / ٢١٤

ومسلم في النكاح ، تحريم نكاح المحرم ( شرح النووي ج ٩ / ١٩٦ )

(٦) رواه الترمذي في كتاب الحج ج ٣ / ٢٠٠ وقال حديث حسن ،

واحمد في مسنده ج ١ / ٣٩٢ ، وانظر : نيل الاوطار للشوكاني ج ٥ / ٨٣

(٧) تقدم تخريج ذلك ، (٨) ومن اراد معرفة المزيد فليراجع كتب الاصول وعلوم

الحديث ، التي مرت الاشارة الى بعضها ، وانظر : تدريب الراوي ٢ / ٢٠٠ ، والتقيد ولباح

للعراقي ص : ٢٨٦



الوجه الثاني : الترجيح لأمر يعود الى المتن وذلك بأمر منها : أن يكون أحد الخبرين حاظرا والاخر مُبيحا ، فيقدم الحاضر على المُبيح احتياطا وتركيا للريبة (١)

ومنها : أن يكون احد الخبرين قولا ، فيقدم على الفعل عند التعارض كما أن الفعل مُقدم على التقرير ، وإنما كان القول مقدما على الفعل لاحتمال الفعل الاختصاص به - صلى الله عليه وسلم - ، ولأنّ الفعل المجرد لا يدل على المراد من دون قرينة ، والقول يدل على الحكم بنفسه (٢) كما أن أكثر الاحكام مستندها الاقوال دون الافعال ،

ويمكن التمثيل لهذا بما رواه الامام مسلم وغيره عن عثمان من أنه - صلى الله عليه وسلم - قال : لا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ (٣) مع ما رواه الشيخان<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس : ( أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تزوج ميمونة وهو مُحْرِمٌ )

فهذا من تعارض القول والفعل فيترجح القول خاصة وأنه قد ثبت من حديث ميمونة أم المؤمنين أنه قد تزوجها حلالا (٥) ، فهذا يدل أن قول ابن عباس : أنه تزوج وهو مُحْرِمٌ مُؤَوَّلٌ أو وهم كما قال الخطابي (٦) ومنها : أن يكون أحدهما دالاً على الحكم والعلة ، والآخر على الحكم دون العلة ، فما يدل على العلة يكون أولى ، ومن أمثلة ذلك : ما رواه الشيخان<sup>(٧)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما - مرفوعا : ( مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ ) ، فهذا الحديث يدل بمسلك الإيماء والتبنييه على أن علة القتل هنا تبديل الدين ، فيشمل الذكر والأنثى

- 
- (١) سبق توضيح ذلك في مبحث تعارض العموميين ، وانظر : ادلة التشريع المتعارضة / ١٠١
  - (٢) أي ان مجرد فعل الرسول له لا يدل على وجوب او نداء او اباحة او غير ذلك من صيغته بل من قرينة اخرى ، انظر : كتاب افعال الرسول - صلى الله عليه وسلم - ودلالاتها على الاحكام ، ص : ٨٩ ، ٢٦٥ ، وادلة التشريع : ٢٠٣ - ٢٠٥
  - (٣) اخرجه مسلم في كتاب النكاح ، تحريم نكاح المحرم ( شرح النووي ج٩ / ١٩٤ ) واحمد في مسنده ج١ / ٥٧ ، ٦٤ ، وابو داود في المناسك ج٢ / ٤٢١ ، رقم / ١٨٤١
  - (٤) والترمذي في الحج ، باب كراهية تزويج المحرم ج٣ / ٩٨١ ، وابن ماجه في النكاح رقم / ١٩٦٦
  - (٥) سبق تخريجه في الامر الثالث من الوجه الأول للترجيح
  - (٦) سبق تخريجه ايضا قريبا
  - (٦) معالم السنن للخطابي بهامش سنن ابي داود ج٢ / ٤٢٣ في المناسك رقم / ١٨٤٣
  - (٧) البخاري في صحيحه : كتاب استتابة المرتدين ، باب / ٢ حكم المرتد والمرتدة ٥٠ / ٨ ومسلم في صحيحه : كتاب القسامة ، ما يُباح به دم المسلم ( شرح النووي ٤٨ / ١٢ )

مع الحديث الصحيح الآخر الذي رواه الشيخان (١) : أنه صلى الله عليه وسلم - ( نهى عن قتل النساء والصبيان )

ففيه الحكم دون العلة ، فيقدم عليه الأول لذكر العلة مع الحكم ، فيكون الأرجح قتل المرتدة ، لأنَّ تبديل الدين صفة موجودة في الرجل والمرأة ، فصارت كالعلة وهي المؤثرة في الأحكام دون الأسماء ، كما أن النهي عن قتل النساء وارد على سبب في الحربية ، لأنه لا معنى فيهن لقتال ، وذلك خلافاً لمن منع قتل النساء مطلقاً بالكفر/ سواء كن مرتدات أو حربيات كالحنفية (٢)

ومنها : تقديم رواية الإثبات على رواية النفي ، ومثاله : ما قاله ابن عمر (٣) - رضي الله عنهما : ( سألت بلالاً فقلت : أطلّى النبي - صلى الله عليه وسلم - في الكعبة ؟ قال : نعم ركعتين بين الساريتين اللتين على يساره إذا دخلت ، ثم خرج فطلّى في وجه الكعبة ركعتين ) مع ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - قال (٤) : ( لما دخل النبي - صلى الله عليه وسلم - البيت دعا في نواحيه كلها ولم يُملّ حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة ، وقال هذه القبلة )

فقدّم العلماء رواية بلال ، لأنه مُثبت وابن عباس إنما يعتمد في نفيه على سماعه من أسامة بن زيد ، كما ثبت في صحيح مسلم (٥) : حيث ساق بسنده إلى عطاء قال : ( ولكنني سمعته - أي ابن عباس - يقول : أخبرني أسامة بن زيد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ولم يُملّ فيه حتى خرج )

وأسامة إنما ينفي حسب علمه ورؤيته ، وذلك لا يُعارض ما أثبتته بلال لأنَّ المُثبت معه زيادة علم ، والله تعال أعلم

- 
- (١) البخاري : كتاب الجهاد والسير باب ١٤٨/ قتل النساء في الحرب ج٣/ ٢١  
ومسلم : كتاب الجهاد والسير ، تحريم قتل النساء والصبيان ( شرح النووي ج١١/ ١٦٤ )
- (٢) الرسالة للامام الشافعي : ٣٠٠ ، الاعتبار للحازمي : ٢٠  
المغني لابن قدامة ج٨ / ١٢٣ ، مذكرة اصول الفقه للشيخ الشنقيطي : ٢٢٢
- (٣) صحيح البخاري : كتاب الصلاة ، باب ٣٠ ( واتخذوا من مقام ابراهيم صلى )  
ج١/ ١٠٤ ، فتح الباري ج١/ ٥٠١ ، واللفظ له
- (٤) ومسلم : في كتاب الحج باب استحباب دخول الكعبة للحاج ( شرح النووي ج٩/ ٨٢ )
- (٥) أخرجه البخاري : كتاب الصلاة باب ٣٠ / ( واتخذوا من مقام ابراهيم صلى ) ج١/ ١٠٤  
ومسلم : في كتاب الحج ، باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره ( شرائع النووي ج٩/ ٨٧ )  
شرح النووي على مسلم ج٩/ ٨٧ ) كتاب الحج ، استحباب دخول الكعبة

### الوجه الثالث : الترجيح بأمر خارجي

منها أن يشهد القرآن أو السنة أو الإجماع بوجوب العمل على وفق الخبر ، أو يعضده قياس ، أو يعمل به الخفاء الى غير ذلك (١)  
قال السرخسي (٢) : ( إن ظهر عمل الناس بأحد النصين دون الآخر ينتفي التعارض ، لأن الذي ظهر العمل به بين الناس ترجح بدليل الإجماع فينتفي به معنى التعارض بينهما ، مع أن الظاهر أن اتفاقهم على العمل به لكونه متأخرا ناسخا لما كان قبله ، وبالعلم بالتاريخ ينتفي التعارض فكذاك بالإجماع الدال عليه ، وإن كان المعمول به سابقا فذلك دليل على أن الآخر مؤول أو سهو من بعض الرواة إن كان في الأخبار ) اهـ  
قلت : ومن أمثلة عمل الناس بأحد النصين دون الآخر حديث : ( الذهب بالذهب والفضة بالفضة ..... الى قوله : ( يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى ) مع الحديث الآخر : الذي رواه أسامة بن زيد : (٣)  
( إنما الربا في النسيئة ) ، فقد ترجح الحديث الاول لعمل الناس به ، واجماعهم على ترك العمل بالثاني كما قال الامام النووي - رحمه الله تعالى -

ومن أمثلة الترجيح لموافقة ظاهر القرآن :

حديث التغليس بالصبح الغني روته عائشة (٥) : ( كُنَّ نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة الفجر متلفعات بمروطهن ثم ينقلبن الى بيوتهن حين يقضين الصلاة لا يعرفهن أحد من الغلس )  
فإنه قُدم على حديث الإسفار بالفجر وهو ما رواه رافع بن خديج مرفوعا :  
( أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر )  
فحديث التغليس يوافق ظاهر القرآن وهو قوله تعالى :  
( وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض ) - آل عمران / ١٣٣ -

(١) انظر : الرسالة للامام الشافعي : ٢٨٤ - ٢٨٥ ، تدريب الراوي للسيوطي ج٢/٢٠٢ التمهيد في اصول الفقه لابي الخطاب الحنبلي ج٣ / ٢١٧ - ٢٢٠

(٢) اصول السرخسي ج٢ / ١٨-١٩ (٣) تقدم تخريجهما

(٤) شرح النووي على مسلم ج١١ / ٢٥

(٥) اخرج به البخاري : في مواقيت الصلاة ، باب/٢٧ وقت الفجر ج١ / ١٤٤

(٦) اخرج به : الترمذي في كتاب الصلاة ، باب ما جاء في الاسفار بالفجر ، وقال حسن صحيح ، ج١/ ٢٨٩ تحقيق احمد شاکر

والنسائي : في الصلاة ، باب الاسفار ج١ / ٢٧٢ بنحوه

وابو داود : في الصلاة باب في وقت الصبح ج١ / ٢٩٤

وقوله تعالى : ( وحافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ) - البقرة / ٢٣٨ -  
قال الشافعي (١) رحمه الله : ( وَمَنْ قَدَّمَ الصَّلَاةَ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا كَانَ  
أَوْلَى بِالْمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا مِمَّنْ أَخَّرَهَا عَنْ أَوَّلِ الْوَقْتِ ) اهـ  
كما يؤيد ذلك ما رواه الترمذي وأبو داود (٢) عن أم فروة -  
رضي الله عنها - ( سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - : أي الأعمال أفضل  
قال : الصلاة لأول وقتها ) (٣)  
الى غير ذلك من أساليب الترجيح التي ذكرها العلماء  
وأردتُ مما تقدم بيان منهج العمل وموقف الباحث مع ذكر أمثلة ولم  
أقصد الحصر ، وتركت استقراء ما قيل في الترجيح لأن هذا المبحث  
من تنمة الفائدة ،  
ويظهر لنا مما تقدم كيف أن النصوص لا تخلو عند تعارضها الظاهري من  
إحدى ثلاث : إمكانية الجمع ، أو النسخ ، أو الترجيح  
وبهذا نرى أن نصوص الشريعة لا يمكن ادعاء تعارضها ، إلا من قبل جاهل أو  
حاقد ،

(١) الرسالة : ٢٨٩

(٢) الترمذي في كتاب الصلاة ، باب ما جاء في الوقت الاول من الفضل ج١ / ٣١٩  
وابو داود في كتاب الصلاة ، باب المحافظة عليه وقت الصلاة ج١ / ٢٩٦  
والحديث صححه الشيخ الالباني في صحيح الترغيب والترهيب / ١٥٩  
(٣) قال السيوطي رحمه الله ( في شرحه لسنن النسائي ج١ / ٢٧٢ ) :  
( قال في النهاية : اسفر الصبح انما انكشف وضاء ، قالوا : انه حين  
امرهم بتغليس صلاة الفجر في اول وقتها ، كانوا يطلونها عند الفجر الاول  
حرما ورجبة ، فقال اسفروا بها اي : اخروها الى ان يطلع الفجر الثاني  
ويتحقق ، ويقوي ذلك انه قال لبلال : نور بالفجر قدر ما يبصر القوم  
مواقع نبلهم ، وقيل ان الامر بالاسفار خاص باليالي المقمرة لان اول الصبح  
لا يتبين فيها فأمروا بالاسفار احتياطا . ) اهـ

منهج الحنفية في التخلص من التعارض الظاهري بين النصوص

لقد سلك علماء الحنفية منهجا مغايرا لمنهج الجمهور في التوفيق بين النصوص ، وخلاصة منهجهم كما ذكروه في كتبهم (١) هو كالتالي :

: يُنظر في الدليلين المتعارضين في الظاهر من حيث التاريخ الذي وردا فيه ، فإن علم المتأخر منهما كان المتأخر ناسخا للمتقدم فإن لم يُعلم التاريخ فعلى المجتهد أن يبحث عن مرجح لأحد الدليلين ) فإن لم يكن مرجح ، فيدفع التعارض بالجمع بين الدليلين والعمل بهما بقدر الامكان ، وذلك بحمل أحد الدليلين على غير ما يُحمل عليه الدليل الآخر ،

فالحنفية في هذا الترتيب قدموا الترجيح على الجمع بخلاف طريقة الجمهور ، ولهذا فهم يُقدمون الخبر المشهور إذا عارض خبر الواحد ، ويقدمون النص القرآني على خبر الآحاد وإن أمكن الجمع بينهما ، الى غير ذلك وهم قدموا الترجيح على الجمع لأمر ذكروها (٢) :

قالوا : لأنّ تقديم الواجح على المرجوح هو المعقول وعليه انعقد الاجماع فأولوية الإعمال إنما هو اذا لم يكن المهمل مرجوحا ، والسر فيه أن المرجوح عند مقابلة الراجح ليس دليلا فليس في إهماله إهمال دليل لهذا فإن الاحاف قد رجحوا (٣) حديث : ( تنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر من البول . ) (٤)

وهو عام في بول ما يؤكل لحمه وما لا يؤكل ، وبول الانسان رجحوا عموم ذلك على ما أفاده حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - في خبر العُرنيين : ( فأمرهم أن يأتوا إبل المدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ... ) (٥) والذي يدل على طهارة أبوال ما يؤكل لحمه (٦)

(١) تيسير التحرير : ٢٣٨/٣ ، كشف الاسرار ٥٥/٢ ، اصول السرخسي ١٨/٢

مسلم الثبوت : ج١/١٥٣ ، الاجوبة الفاضلة للكنوي / ١٩٦

(٢) المصادر السابقة (٣) تيسير التحرير ج٢ / ١٣٨

(٤) رواه البزار والطبراني في الكبير عن ابن عباس ( صحيح الترغيب للالباني/٦٥

والدارقطني في الطهارة عن انس ، والحاكم في المستدرک كتاب الطهارة

عن ابي هريرة ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ج١ / ١٨٣

(٥) البخاري : كتاب الحدود ، باب المرتدين ، ج١٩/٨ ، وفي الوضوء باب ٦٦ ج١/٦٤

(٦) وهو مذهب النخعي والاوزاعي والزهري ومالك واحمد ومحمد بن الحسن

وزفر وطائفة من السلف ، ووافقه من الشافعية : ابن خزيمة وابن المنذر

وابن حبان والاصطخري والرويانى ، ( المغني لابن قدامة ٨٨/٢ ، نيل الاوطار ج١/٦٠ )

قلت : ولا يصح ادعاء الخصوصية هنا لعدم الدليل ، ولأن الله تعالى لم يجعل الشفاء في ما حرم ، فتطيل التداوي بها دليل على طهارتها ، وطهارة ما يلحق بها ، لذلك فإنَّ الواجب هو الجمع بين الخبرين فيحمل حديث ( تنزهوا من البول ٠٠٠ ) المتقدم على بول الإنسان ، ويؤيد ذلك الحديث الذي رواه البخاري (١) في الذي يُعذَّب في قبره : ( كان أحدهما لا يستتر من بوله ٠٠٠ ) فلم يذكر سوى بول الناس كما قال البخاري (٢) وقد أيّد الإمام الشوكاني (٣) مذهب الجمهور بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يطي في مرابض الغنم وأمر بذلك (٤) مع أنها لا تخلو من أبقارها وأبوالها وأنَّ النهي عن الصلاة في معادن الإبل إنما هو لأجل أن لا تؤذي المطي وقال (٥) : ( ولم نجد للقائلين بالنجاسة دليلاً يصلح للنقل عن حكم الأصل واستصحاب البراءة الأصلية ) وغاية ما جاءوا به حديث صاحب القبر (٦) وهو مع كونه مراداً به الخوص كما سلف عموم ظني الدلالة لا ينتهز على معارضة تلك الأدلة المعتمدة بما سلف ( ١٥

قال ابن قدامة في المغني (٧) : والنجس لا يُباح شربه، ولو أُبِح

للضرورة لأمرهم بغسل أثره إذا أرادوا الصلاة ( ١٥

قلت : فهذا الذي تقدم مثال لخبرين يمكن الجمع بينهما سلك الحنفية فيهما مسلك الترجيح ، وما ذكروه من أدلة علي منجهم من أولوية الراجح على المرجوح حتى مع إمكان التوفيق والجمع ليس بصحيح ، لان قولهم : «إن الإجماع منعقد على تقديم الراجح على المرجوح» هو فيما اذا لم يمكن الجمع بينهما فاذا أمكن كانا دليلين ، فليس هناك راجح ومرجوح ، فعدم العمل بهما هو إهمال لأحدهما بلا داعي ، والله ولي التوفيق

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء ، باب ٥٥ من الكبائر ان لا يستتر من بوله

جا / ٦٠ ، ورواه أيضا اصحاب السنن

(٢) المصدر السابق : نفس الكتاب ، باب ٥٦ جا / ٦١

(٣) نيل الأوطار : جا / ٦٠

(٤) البخاري : كتاب الوضوء ، باب أبوال الإبل والدواب والغنم جا / ٦٤

(٥) نيل الأوطار ، مصدر سابق جا / ٦١

(٦) الحديث المتقدم : ( تنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر من البول )

وكذلك جاء في بعض روايات البخاري : ( لا يستتر من البول ) جا / ٦١

بدل من بوله

(٧) المغني : جا / ٨٨

## الباب الثالث : موهـم الاختلاف في النص القرآني

وهو من أربعة فصول :

الفصل الأول : موهـم الاختلاف في القراءات

الفصل الثاني : موهـم الاختلاف فيما يخص الكتاب

النسخ ، الشعر ، المحكم والمتشابه ، الالفاظ الأعجمية

.....

الفصل الثالث : المباحث اللغوية

الفصل الرابع : موهـم الاختلاف في القصص القرآني ، وقد أُلحقت به كل

ما يتعلق بالقصص وإن كان مما يتعلق بالباب الثالث

## موهم الاختلاف في القراءات

من المعروف أن هناك عشرَ قراءات متواترة يُقرأ بها النص القرآني ،<sup>(١)</sup> وهذه القراءات العشر نقلتها الأمة خلفا عن سلف ، حفظا وكتابة ، وسند الأمة في الحفظ والكتابة متمل برسول الله - صلى الله عليه وسلم - نقله جمع عن جمع بشروط التواتر المعروفة ، حتى وصلت اليها هذه القراءات كما نطق بها خاتم الأنبياء والمرسلين ، تحقيقا لقوله تعالى :

( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) - الحجر / ٩ -

فوجود هذا الاختلاف في القراءات مع تناسق مضمونها وأسلوبها البياني ، وأثرها المعجز ، وعدم تناقضها أو تعارض مدلولاتها له سببه وحكمته وفائدته ، وكله من عند الله عز وجل نزل به الروح الامين على سيد الانبياء والمرسلين - صلى الله عليه وسلم -

فالقراءات بمجموعها تمثل النص القرآني المتلقى عن رسول الله ، والاختلافات بينها انما هي في بعض الحروف أو كيفية النطق بها من تخفيف أو تشديد<sup>(٢)</sup> وغير ذلك مما سوف يأتي بيانه

وبسبب الجهل بمعنى القراءات وأسباب اختلافها وحكمتها وعلاقتها بالأحرف السبعة ، يظن بعض اعداء الاسلام جهلا أو من باب الطعن في المصدر التشريعي للمسلمين عن كيد وحسد أن النص القرآني منتلّف أو متناقض الذي غير ذلك<sup>(٣)</sup>

كما أن بعض المسلمين ممن لم ينهل من علوم القرآن قد يتوهم او ينقدح في ذهنه بعض الاشياء التي تتعلق بالقراءات ينبغي ازاحة الستار عنها وبيان حقيقتها ،

والذي سوف اتعرض له في هذا الفصل هو ما يتعلق ببيان أصل القراءات ومصدرها وحكمتها وفائدتها ، وبيان ماهية اختلافها ، وانه ليس باختلاف تضاد وانما هو اختلاف توسعة ورحمة وإعجاز ، وسوف اذكر بمشيئة الله امثلة تطبيقية لاختلاف القراءات

(١) انظر لمعرفة تواتر القراءات العشر : منجد المقرئين لابن الجزري ٩٣-٩٤، ١١٩، ومقدمة النشر في القراءات العشر لابن الجزري ايضا ، وفيه النفع للمفاقي

ص : ٨ ( بهامش سراج القارىء ٦ ) ، والاتقان للسيوطي : ج١/ ٨٢

(٢) البرهان للزركشي: ج٢ / ٣١٨ (٣) انظر : كتاب القراءات في نظر المستشرقين

والملحددين للشيخ عبد الفتاح القاضي ، وكتاب الرسم العثماني

للدكتور : عبد الفتاح الشلبي ، وكتاب : نقض كتاب في الشعر الجاهلي

للعلامة : محمد الخضر حسين ص : ١٠٦



أصل القراءات ومصدرها :-

تعتبر القراءات المتواترة مظاهر للأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ،  
لذا لا بد من إثبات نزول القرآن على سبعة أحرف ، ثم بيان معناها  
وعلاقتها بالقراءات

نزول القرآن على سبعة احرف :

روى الشيخان<sup>(١)</sup> وأصحاب السنن<sup>(٢)</sup> والمسانيد<sup>(٣)</sup> عن جمع من الصحابة قوله -  
صلى الله عليه وسلم - : ( إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف )  
وقد نصَّ أبو عبيد، والحاكم، والسيوطي، والمصفاقي، وغيرهم من الحفاظ والأئمة  
أنه من الأحاديث المتواترة (٤)

وروى الحافظ أبو يعلى في مسنده الكبير<sup>(٥)</sup> : ( أنَّ عثمان بن عفان رضي  
الله عنه قال، يوماً وهو على المنبر : ( أنكرَّ الله رجلاً سمع النبي -  
صلى الله عليه وسلم - قال : ( إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شافٍ  
كافٍ ) لمَّا قام ، فقاموا حتى لم يُحصوا فشهدوا أنَّ رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - قال : ( أنزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف ) ،  
فقال عثمان - رضي الله عنه - : وأنا أشهد معهم )

---

(١) البخاري : في فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة احرف ج٦ / ١٠٠  
ومسلم في فضائل القرآن ( شرح النووي : ج٦ / ٩٩ ) كلاهما عن عمر بن الخطاب

وابن عباس وأبي بن كعب ، زاد في رواية مسلم : « فاقروا ما تيسر منه »  
(٢) الترمذي في القراءات ، ج٥ / ١٩٤ وقال حسن صحيح ، عن عمر وأبي بن كعب بنحوه  
وابو داود : كتاب الصلاة ، باب أنزل القرآن على سبعة احرف ج٢ / ١٥٨  
والنسائي في الامتتاج ، باب جامع ما جاء في القرآن ج٢ / ١٥٠ عن عمر وأبي بن كعب  
(٣) احمد في مسنده : ج٢ / ٣٠٠ ، ٣٣٤ ، ج٤ / ١٦٩ ، ٢٠٤

وابن جرير في تفسيره : ج١ / ٢١ عن ابي هريرة مرفوعاً وسنده على شرط  
الشيخين ، ( سلسلة الاحاديث الصحيحة للشيخ الالباني : ج٤ / ٢٧ )  
وابن حبان في صحيحه : عن ابي هريرة وابن مسعود ( موارد الثمَّان : ٤٤٠ )  
وغيرهم : انظر مجمع الزوائد للمهيتمي : ج٧ / ١٥٠

(٤) انظر : نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني : ٢٨  
النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج١ / ٢١ ، الاثنان للسيوطي ج١ / ٤٥  
امرشد الوجيز لابي شامة : ٨٧ ، غيث النفع للمصفاقي بهامش سراج  
القارئ ٤ : ص ٩

(٥) مجمع الزوائد للمهيتمي : ج٧ / ١٥٢

## الحكمة والسبب من ورود القرآن على سبعة أحرف

إن الحكمة من ذلك هي التيسير على هذه الأمة والتخفيف عليها ، يقول ابن الجزري<sup>(١)</sup> موضحاً ذلك : ( فأما سبب وروده على سبعة احرف فللتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها والتهوين عليها شرفاً لها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق ، حيث أتاه جبريل فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف ، فقال - على الله عليه وسلم - : أسأل الله منافاته ومحوته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ولم يزل يُبرِّد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف )<sup>(٢)</sup> ، وذلك أن الانبياء عليهم السلام كانوا يُبعثون الى قومهم الخاصين بهم ، والنبي - على الله عليه وسلم - بعث الى جميع الخلق أحمرها واسودها عربيها وعجميها ، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفه ، والسنتهم شتى ، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته الى غيرها او من حرف الى آخر ... فلو كُلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن السنتهم لكان من التكليف بما لا استطاع . ) اهـ

ويقول ابن قتيبة<sup>(٣)</sup> : ( وكل هذه الحروف كلام الله تعالى نزل به الروح الامين على رسوله عليه السلام ، وذلك أنه كان يعارضه في كل شهر من شهر رمضان بما اجتمع عنده من القرآن ، فيُحدث الله اليه من ذلك ما يشاء ، فكان من تيسيره أن أمره أن يُقرأ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم ، فلهذا يُقرأ : " على عين " يريد: حتى حين ولا سدي يُقرأ " تعلمون " و " تسود وجوه " ، والتميمي يهـمـبـز والقشري لا يهـمـز .... ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولم يُمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويل ، وتذليل للسان وقطع للعادة ، فأراد الله بـرجمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات . ) اهـ

---

(١) النشر في القراءات العشر ج١ / ٢٢ . ببعض الاختصار  
(٢) رواه الامام مسلم : عن أبي بن كعب مرفوعاً ولغظه : ( ... إن الله يأمرك أن تقرأ أمك القرآن على سبعة احرف ، فأیما حرف قرأوا عليه فقد اصابوا ) - ( شرح النووي ج٦ / ١٠٤ ) كتاب فضائل القرآن  
(٣) تأويل مشكل القرآن : ص / ٢٨ باختصار بعض المقاطع

ولا يعني هذا التيسير والتخفيف أن يُبدل كل أحد لفظ القرآن بما يوافق لهجته ولغته ، بل المراد أن الله أنزل من الحروف ما يوافق لهجات الأمة وطريقة تعبيرها في ذلك الوقت ، وقد أوضح ذلك الإمام ابن عطية (١) رحمه الله فقال : ( أباح الله تعالى لنبيه عليه السلام هذه الحروف السبعة ، وعارضه بها جبريل عليه السلام في عرضاته على الوجه الذي فيه الإعجاز وجودة الرصف ، ولم تقع الإباحة في قوله عليه السلام : ( فاقروا ما تيسر منه ) بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض اللغات جعلها من تلقاء نفسه ، ولو كان هذا لذهب لإعجاز القرآن ، وكان معرضاً أن يُبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله ، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبي ليوسع على أمته ، فأقرأ مرة لأبي بما عارضه جبريل ، ومرة لابن مسعود بما عارضه ، به أيضاً ، وعلى هذا تجيء قراءة عمر بن الخطاب لسورة الفرقان وقراءة هشام بن حكيم لها ، والآن فكيف يستقيم أن يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في كل قراءة منهما وقد اختلفا : ( هكذا أقرأني جبريل ) (٢) هل ذلك إلا أنه أقرأه مرة بهذه ومرة بهذه . ) اهـ

قلت : وما تقدم من كلام هؤلاء الأئمة يوضح لنا الحكم من هذه الأحرف ، وقد جاء النص عليها كما روى الإمام الترمذي (٣) عن أبي بن كعب - رضي الله عنه قال : ( لقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جبريل ، فقال : يا جبريل اني بعثت الى أمة أميين منهم العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط ، فقال : يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ) ولا بد من الإشارة أن حكمة التيسير والتخفيف على هذه الأمة في هذه الأحرف هي الحكمة الرئيسية ، وهناك حكماً وفوائد أخرى سيأتي ذكرها بحسب مشيئة الله تعالى

(١) نقله القرطبي في تفسيره : ج١ / ٤٧

(٢) الرواية في الصحيحين ، وإنه - صلى الله عليه وسلم - قال لهشام : اقرأ فقرأ ، فقال : هكذا أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه ) وقد سبق تخريجه

(٣) سنن الترمذي : في القراءات ، ج٥ / ١٩٣ ، رقم : ٢٩٤٤ ، وقال حسن صحيح وأبو داود : ج٢ / ١٦١ ، كتاب الصلاة رقم : ١٤٧٨ ط الحلبي والنسائي في الامتياز ، باب جامع ما جاء في القرآن ج٢ / ١٥٣

معنى قوله - عليه الصلاة والسلام - :

( إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف )

بعد استقراء اقوال العلماء في ذلك فإن الذي يظهر لي أن معنى :  
السبعة أحرف الواردة في الحديث : سبعة أوجه من اللغات والمعاني  
متفرقة في القرآن على ما يأتي (١)

وهذا ما اختاره جمع من الائمة منهم : ابن قتيبة وابن عبد  
البر ، والباقلاني (٣) ، والرازي (٥) ، والزركشي (٦) ، وابن الجزري (٧)  
ومكي بن أبي طالب القيسي (٨) ، وأبو علي الاهوازي (٩) ، وغيرهم  
ومن المعاصرين : الشيخ عبد العظيم الزرقاني صاحب مناهل العرفان (١٠) ،  
والشيخ محمد بخت المطيعي (١١) ، والشيخ الخصري الدمياطي ، والدكتور  
صبحي الصالح (١٢) ، وغيرهم

وانقل هنا بعض نصوصهم في إثبات معنى الاحرف السبعة :  
يقول ابن قتيبة (١٣) رحمه الله : ( وانما تأويل قوله - على الله عليه  
وسلم - أنزل القرآن على سبعة احرف : على سبعة أوجه من اللغات  
متفرقة في القرآن ٠٠٠ والحرف يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم  
وعلى الكلمة الواحدة ، ويقع على الكلمة بأسرها ، والخطبة كلها والقصيدة  
بكمالها ٠٠٠ قال تعالي : ( ومن الناس من يعبد الله على حرف فان  
أعابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه ٠٠ ) الحج/١١ -  
على حرف : أي على وجهه ، ثم قال : (وقدتدبرت وجوه الخلف في  
القران فوجدتها سبعة اوجه ، ثم ذكرها  
وقال مكي بن أبي طالب القيسي (١٤) بعد أن ذكر الالوجه السبعة :  
( والي هذه الاقسام السبعة ذهب جماعة من العلماء ٠٠٠ وقال :  
وهو الذي نعتقده في ذلك ونقول به وهو الصواب إن شاء الله )

- 
- (١) قصدت في هذا المبحث بيان معنى الاحرف السبعة للقارئ من اقصر طريق  
حتى يستطيع أن يدرك سبب وجود القراءات القرآنية ، لذلك لم أورد الاقوال  
الآخري ، ولأن ذلك ليس من مقاصد هذا البحث ، ولمعرفة الاقوال الآخري وتفصيلها  
يراجع : النشر لابن الجزري ج١/٢٤ ، البرهان للزركشي ج١/٣١٤ - ٢٢٠  
(٢) تأويل مشكل القرآن : ٣٤ ، (٣) التمهيد ج٤/٦٦ (٤) النشر ج١/٢٦  
(٥) النشر : ج١/٢٧ (٦) البرهان ج١/٣٣٤ ، (٧) النشر : ج١/٢٦  
(٨) الإبانة : ص ٣٤ (٩) المرشد الوجيز لابن شامة : ١١٦ فما بعدها ، حيث  
ذكر اقوال ائمة آخريين ايدوا هذا القول  
(١٠) مناهل العرفان ج١/١٥٧ (١١) انظر : معجم القراءات القرآنية ، المقدمة  
(١٢) مباحث في علوم القرآن : ١٠٨ (١٣) تأويل مشكل القرآن / ٣٤  
(١٤) الإبانة : ٨٠٤٨٩

وقال الزركشي<sup>(١)</sup> : ( حاصل اختلاف القراء يرجع الى سبعة أوجه ٠٠٠ )  
ثم شرع في عددها ، أما الحافظ محمد بن الجزري<sup>(٢)</sup> فقد أفاد أنه فكر  
وأمعن في هذا الحديث نيّف وثلاثين سنة حتى فتح الله عليه بما يراه  
أنه الصواب وقال : ( تتبعت القراءات صحيحها وشاذها ومعيها ومنكرها ،  
فإذا هي يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها ٠٠ )  
ثم ذكرها ،

قلت : فهذه الأوجه السبعة التي سوف يأتي تفصيلها تنتظم جميع  
الاختلافات الواردة في القراءات ، كما تشمل على الحكمة التي لأجلها  
جاءت الاحرف السبعة الى غير ذلك من الغوائد التي سوف يأتي ذكرها<sup>(٣)</sup>  
وبالإستقرار التام لاختلاف جميع القراءات<sup>(٤)</sup> توصل العلماء الذين مر ذكرهم  
الى توضيح المقصود منها ، وانها سبعة أوجه لا يشذ عنها حرف واحد ،  
وهذه السبعة اوجه ترجع جميع الاختلافات في القراءة اليها دون أن تلزم  
في الكلمة الواحدة<sup>(٥)</sup>  
ولا بد من معرفة أن هذه السبعة أوجه في القراءات لا تشذ عن رسم المصحف  
الامام الذي نسخه الخليفة الراشد عثمان بن عفان عن صف أبي بكر  
الصديق رضي الله عنهما والتي كانت مشتملة على ما يحتمله رسمها من  
الاحرف السبعة متضمنة للعرضة الآخيرة ؛  
وانتقل الان الى بيان الواجه السبعة التي هي تغير الأحرف السبعة ،  
ملخصة منقحة مع ضرب الامثلة لكل وجه من القراءات المتواترة

(١) البرهان في علوم القرآن : ج١ / ٣٣٤

(٢) النشر في القراءات العشر ج١ / ٢٦

(٣) وللمزيد في معرفة ترجح هذا المذهب يُراجع : مناها العرفان ج١ / ١٥٧

(٤) كان استقرار الرازي تاما وافيا واستقرار غيره فيه بعض النقص وذلك لا  
يقدر فيمن كان استقراره تاما ، كما أن استقراراتهم متقاربة  
راجع : مناها العرفان للزرقاني ج١ / ١٦٥ ، مباحث في علوم القرآن د ٠ صبحي  
المالح ، : ص ١٠٥

(٥) وهذا بخلاف من قال إنها سبعة لهجات أو سبعة لغات ، فهناك اختلافات  
لا ترجع لمجرد اللهجة كما أن في القرآن لغات لاكثر من سبع قبائل ،  
إضافة الى أن هشام بن حكيم وعمر بن الخطاب اختلفا في القراءة كما  
مر وكلاهما قرشي ، انظر : الاتقان ١ / ٨٢ ، ٢٣٠ ، البرهان ١ / ٢١٩ ،

مباحث في علوم القرآن : ١٠٦

(١) الأوجه السبعة :-

أولاً : اختلاف الأسماء إفراداً وتثنيةً وجمعاً

ومثاله : قوله تعالى : ( والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ) - المؤمنون : ٨

قرأ ابن كثير<sup>(٢)</sup> : ( والذين هم لأمانتهم ) بالإفراد ، والملاحظ أن رسم المصحف للكلمة : هكذا : " لأمنتهم " بدون ألفين ، حتى تحتل القراءتين

ثانياً : الاختلاف في تصريف الأفعال من مضارع وماض وأمر ،

ومثاله : قوله تعالى : ( رَّبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ) - سبأ / ١٩ -

يكسر العين المهملة واسكان الدال المهملة من «باعد» ، وهي قراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائي وابن ذكوان وخلف ، وقرأ يعقوب<sup>(٣)</sup> وهو من القراء العشرة : «رَبَّنَا بَاعِدْ» «برفع» «رَبَّنَا» على أنه مبتدأ ، ويلفظ «باعد» على أنه فعلا ماضيا جملته خبر ، وقرأ : ابن كثير وأبي عمرو وهشام<sup>(٣)</sup> : «رَبَّنَا بَعْدُ» على صيغة الدعاء ، وفيها معنى الإلحاح<sup>(٤)</sup> ، والملاحظ أن الرسم العثماني للكلمة «رَبَّنَا بَعْدُ» وهي محتملة للقراءات الثلاث حيث انها في الرسم العثماني بلا ألف

ثالثاً : الإختلاف بالإبدال : وهو إبدال حرف بحرف مقاربه له في الرسم ، ومثاله : ( قوله تعالى : ( وما هو على الغيب بضنين )

التكوير / ٢٤ -

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي<sup>(٥)</sup> : «بظنين» ،

وقراءة «بظنين» معناها : لا يبخل محمد - صلى الله عليه وسلم - بما آتاه الله

من العلم والقران ، ولكن يؤدي عن الله عز وجل ،

وقراءة «بظنين» معناها : ما هو بمتهم على الوحي أنه من الله تعالى

حيث إنها من ظننت : اي اتهمت ، لا من ظننت المتعدي الى مفعولين<sup>(٦)</sup>

(١) انظر : تأويل مشكل القران لابن قتيبة : ٣٦ الإبانة للقيسي : ٨٢ - ٩٠

النشر في القراءات العشر ج١ / ٢٦ - ٢٨ ، منهاهل العرفان ج١ / ١٥٥ فما بعدها

مباحث في علوم القران ، د . صبحي الصالح : ١٠٨ - ١١٢

(٢) النشر ج٢ / ٣٢٨ ، حجة القراءات لابي زرعة : ٤٨٢

(٣) النشر ج٢ / ٣٥٠ ، حجة القراءات : ٥٨٨

(٤) كانت سبأ ملوك اليمن واهلها ، وكانت التابعة منهم وبلقيس - صاحبة سليمان - منهم ، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع ارزاقهم

وزروعهم وثمارهم ، وبيعت الله اليهم الرسل تأمرهم ان يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته فكانوا كذلك ما شاء الله ، ثم اعرضوا عما امروا

به فعوقبوا بارسال السيك والتفرق بالبلاد - ابن كثير : ج٣ / ٨٤٤

(٥) النشر : ج٢ / ٣٩٨

(٦) حجة القراءات لأبي زرعة : ٧٥٢ ، وابوزرعة هو : الامام عبد الرحمن بن

محمد بن زنجلة ، من علماء القرن الرابع الهجري ، مقرئ ، وقاضي وفقه مالكي ( مقدمة حجة القراءات : ٢٥ فما بعدها )

رابعاً : - الاختلاف بالتقديم والتأخير

ومثاله : قوله تعالى : ( فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ) - التوبة / ١١١ -

بفتح ياء الأولى وضم الثانية ، قرأ حمزة والكسائي وخلف<sup>(١)</sup> :

( فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ ) بضم ياء الأولى وفتح الثانية ، فأفادت القراءة

الثانية مدحهم بأنهم يُقْتَلُونَ بعد أن يقتل منهم<sup>(٢)</sup>

خامساً : اختلاف وجوه الإعراب : ومثاله قوله تعالى :

( ذو العرش المجيد ) - البروج / ١٥ -

قرأ حمزة والكسائي وخلف<sup>(٣)</sup> : ( ذو العرش المجيد ) بخفض النال ،

فقراءة الرفع على أنه نعت كلمة " ذو " العائد على ذات الله تعالى

وقراءة الجر على أنه صفة العرش<sup>(٤)</sup>

سادساً : - الاختلاف بالزيادة والنقص ، ومثاله قوله تعالى :

( وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار ) - التوبة / ١٠٠ -

قرأ بن كثير<sup>(٥)</sup> : ( تجري من تحتها الأنهار ) بزيادة " من " ،

وهما قراءتان متواترتان قد وافق كل منهما رسم مصحف الإمام ، فإن

زيادة " من " وهي قراءة ابن كثير المكي وافقت رسم المصحف المكي

وهو أحد المصاحف التي بعث بها عثمان إلى الأمصار<sup>(٦)</sup>

ومن الأمثلة أيضا : قوله تعالى :

( وقالوا اتخذ الله ولدا ) - البقرة / ١١٦ -

قرأ ابن عامر الشامي<sup>(٧)</sup> : ( قالوا اتخذ الله ولدا ) بغير واو<sup>(٨)</sup>

(١) النشر : ٢ / ٢٤٦ (٢) حجة القراءات : ٣٢٥

(٣) النشر : ٢٩٩ / ٢ (٤) حجة القراءات : ٧٥٧

(٥) النشر : ٣ / ٣٩٩ ، حجة القراءات : ٣٢٢ ، وانظر : كتاب المصاحف لابن

أبي داود : ٤٧ طاولي ، المطبعة الرحمانية بمصر

(٦) قال ابن الجزري في توجيه قراءة : ( تجري من تحتها الأنهار )

: فيُحتمل أنه إنما لم يُكتبَ <sup>من</sup> آفها هذا الموضع لأن المعنى : ينبع الماء من

تحت أشجارها ، لأنَّه يأتي من موضع ويجري من تحت هذه الأشجار ، وأما

في سائر القرآن فالمعنى : أنها تأتي من موضع وتجري تحت هذه الأشجار ،

ولهذا المعنى خولف في الخط ، وتكون هذه الجنات معدة لمن ذكر تعظيما

لأمهم وتنويها بفنلهم وإظهارا لمنزلتهم لمبادرتهم تصديق هذا النبي الكريم

عليه من الله أفضل الملة والتسليم ) اهـ ( النشر : ج٢ / ٢٨٠ )

(٧) النشر : ج٢ / ٢٢٠ ، حجة القراءات : ١١٠

(٨) ونقص الواو في قراءة ابن عامر على أن الكلام مستأنف غير متعلق بما

قبله ، لأنه قد علم أن المخبر عنه بهذا القول هو المخبر عنه فيما تقدم

بمنع ذكر الله في المساجد والسعي في خرابها ، وأثبت الواو عند غيره

لعطف الجملة على الجملة ، لأن المخبر عنهم واحد فعطف آخر الكلام على أوله

انظر : حجة القراءات : ١١٠ ، الكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي ٢٦٠ / ١

وقد وافقت قراءة ابن عامر رسم المصحف الشامي الذي هو بلده ، حيث إن عثمان - رضي الله عنه - قد أرسل الى الشام مصحفا إماما كبقية الأمصار، فمهما كان الإختلاف بين القراءات المتوترة فإنه لا يخرج عن رسم المصحف الامام

سابعاً :- اختلف اللهجات بالتفخيم والترقيق ، والإمالة ، والإظهار ، والإدغام ، والتسهيل ونحو ذلك

وهذا الحرف أكثر الحروف انتشارا في القراءات حيث إنه يُراعسي اختلف اللهجات وكيفية أداء الكلمات والحروف لدي القبائل (١)

١ - مثال التفخيم ، كلمة : " الصلاة " بتفخيم اللام (٢)

٢ - مثال الترقيق ، كلمة : " خيرا " بترقيق الراء (٣)

٣ - مثال الإشباع ، كلمة " عليهم دائرة السوء " تُقرأ: عليهمو دائرة السوء " بإشباع حركة الضم (٤)

٤ - مثال التسهيل ، كلمة : " أنتم أشد خلقا " تُقرأ بتسهيل الهمز : " أنتم أشد خلقا " بتسهيل الثانية ، وتسهيل الهمز لغة قريش وبني تميم يهمزون (٥)

٥ - مثال الإشمام ، كلمة : " وغيض الماء " بإشمام الضم مع الكسر (٦) و : " مالك لا تأمنا " بإشمام الضم مع الإدغام (٧)

٦ - مثال الإمالة ، كلمة : " بلى قادرين " و " هل أتاك " بإمالة ألف بلى وأتاك ، وكذلك : جاء وشاء وموسى وعيسى ، ونحو ذلك (٨) والإمالة تكون : بجعل الألف ياءً مُثَمَّة بفتحة ، وهذا يُؤخذ بالتلقي

(١) وهذا كله متواتر ، انظر في ذلك : مُنجد المقرئين لابن الجزري ٢٢٧ - ٢٣٨

(٢) وهي قراءة ورش ، النشر: ج٢/ ١١١ ، تيسير التحبير / ٧٤

(٣) وهي رواية الأزرق عن ورش ، النشر ج٢ / ٧٤

(٤) حجة القراءات : ٨٠ ، وهذه قراءة ابن كثير ورواية قالون عن نافع

(٥) وتسهيل الهمز قراءة : ابي عمرو وورش عن نافع وابن كثير وحمة وابي

جعفر مع بعض الفروق بينهم : النشر ج١ / ٣٦٢ فما بعدها ، ٢٩١

وتيسير التحبير ٥٧ - ٦٣ ، حجة القراءات ٨٤ ، تاويل مشكل القران ٣٨

وهذا كله يؤخذ بالتلقي من القراء

(٦) والاشمام قراءة الكسائي ، وافقه بعض القراء في بعض الكلمات ، انظر :

تيسير التحبير : ١٢٤ ، حجة القراءات : ٨٩ وهذا يؤخذ بالتلقي ايضا

(٧) قرأ بها الجميع الا ابو جعفر ، تيسر التحبير : ١٢٤ ، حجة القراءات ٨٩

(٨) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف مع بعض الفروق بينهم ، وامال غيرهم في بعض الكلمات ، انظر : النشر ج٢ / ٣٥ ، حجة القراءات : ٨٧ تيسير التحبير: ٦٦



وبعد فإن هذه الاختلافات فني أداء الكلمات والحروف والنطق بها ، تتجلى بها حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف ، وما وسّعه الله تعالى على العرب وغيرهم ، حيث كان أغلب الناس أميين يصعب عليهم قراءته بوجه واحد ، كما أن هذه القراءات حفظت لنا ضروب اللهجات العربية ، وما فيها من فصاحة وجاذبية وملائمة للظرفة ، وما عليها من طلاوة وحلاوة تزيد من جاذبية القرآن وروعة أسلوبه ؛

ومن المعلوم أن لغة قريش قد انتظمت كثيرا من مختارات السنة القبائل العربية التي كانت تأتي الى مكة في مواسم الحج وأسواق العرب المشهورة ، قال الامام البغوي (١) :

( ولا يكون هذا الاختلاف داخلا تحت قوله تعالى : ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) - النساء / ٨٢ -  
ان ليس معنى هذه الحروف أن يقرأ كل فريق بما شاء مما يوافق لغته من غير توقيف ، بل كل هذه الحروف منصوطة وكلها كلام الله عز وجل - نزل به الروح الأمين على الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدل عليه قوله عليه السلام :  
( إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ) (٢)

فجعل الاحرف كلها منزلة ( ١هـ  
وفي جمال القراء للسخاوي (٣) بعد ان حكى القول بنزول الفاتحة مرتين :  
( فإن قيل فما فائدة نزولها مرة ثانية ؟ قلت : يجوز أن تكون نزلت مرة على حرف واحد ونزلت الثانية ببقية وجوها نحو : ملك ، ومالك ، والسرطا والصراط ، ونحو ذلك . ) ١هـ

فالاختلاف في القراءات اختلاف تنوع وتغاير وليس اختلاف تضاد وتناقض

كما سيأتي توضيحه

#### علاقة القراءات بالاحرف السبعة

معلوم ان الاحرف السبعة تعم القراءات المتواترة والشاذة ، فالقراءات المتواترة جزء من الاحرف السبعة ، حيث ان القراءات تشتمل على ما يحتمله رسم المصحف العثماني من الاحرف السبعة (٤)

(١) شرح السنة ج٢ / ٥٠٩

(٢) سبق تخريجه في اول المبحث

(٣) عن الاتقان للسيوطي : ج١ / ٣٥

(٤) انظر المرشد الوجيز لابي شامة : ١٢٨ ، منجد المقرئين لابن الجزري : ١١١

قال الإمام مكي بن أبي طالب القيسي<sup>(١)</sup> : ( إن هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم وصحت روايتها عن الائمة إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووافق اللفظ بها خط المصحف ) مصحف عثمان الذي جمع الصحابة فمن بعدهم عليه ، وأطرح ما سواه مما يخالف خطه ، فقرأ بذلك لموافقة الخط ، لا يخرج شيء منها عن خط المصاحف التي نسخها عثمان - رضي الله عنه - وبعث بها الى الأمصار (٠) اهـ

وحول هذه العلاقة بين القراءات والأحرف السبعة يقول المحقق ابن الجزري<sup>(٢)</sup> رحمه الله : ( وأما هل هذه السبعة الأحرف متفرقة في القرآن ؟ فلا شك عندنا أنها متفرقة فيه ، بل وفي كل رواية وقراءة باعتبار ما تقرّر في وجه كونها سبعة أحرف ، لأنها منحصرة في قراءة ختمة وتلاوة رواية ، فمن قرأ ولو بعض القرآن بقراءة معينة اشتملت على الأوجه المذكورة<sup>(٣)</sup> فإنه يكون قد قرأ بالأوجه السبعة التي ذكرناها دون أن يكون قرأ بكل الأحرف السبعة (٠) )

وقال<sup>(٤)</sup> : وقد ذهب جماهير السلف والخلف وأئمة المسلمين الى أن هذه المصاحف العثمانية مشتمة على ما يحتمل رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي - صلى الله عليه وسلم - على جبريل - عليه السلام - متضمنة لها لم تترك حرفاً منها (٠) اهـ

وقال العلامة أبو شامة<sup>(٥)</sup> : ( وبقي من الأحرف السبعة التي كان أبيض قراءة القرآن عليها ما لا يخالف المرسوم ، وهو ما يتعلق بتلك الألفاظ من الحركات والسكنات والتشديد والتخفيف وابدال حرف بحرف يوافق في الرسم ونحو ذلك ، وما لا يحتمله الرسم الواحد فُرق في المصاحف فُكُتِب بعضها على رسم قراءة وبعضها على رسم قراءة أخرى (٠) ) اهـ قلت : ومن أمثلة ذلك كلمة " وصى " من قوله تعالى : ( ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب ) - البقرة / ١٣٢ -

فقد قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر وهم من القراء العشرة : " وأوصى بها إبراهيم ... " ، والكلمة مرسومة كذلك في مصاحف أهل المدينة والشام ، وقرأ الباقون : " ووصى " بتشديد الصاد المهملة من غير همز قبل الواو ، وكذلك هي في مصاحفهم<sup>(٦)</sup>

وتقدم مثال زيادة "من" في بعض المصاحف في مبحث الوجوه السبعة

(١) الإبانة عن معاني القراءات : ٣٤ ، وانظر : النشر : ج١ / ٣٩

(٢) النشر : ج١ / ٣٠ وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ج١٣ / ٣٩٥

(٣) اي الأوجه السبعة التي مر ذكرها في هذا الفصل

(٤) النشر : ج١ / ٣١

(٥) النشر : ج٢ / ٢٢٢ ، المصاحف لابن ابي داود :

(٥) المرشد الوجيز : ٨٩

### كيفية نشوء القراءات

فان سأل سائل عن كيفية نشوء القراءات فالجواب أن عثمان رضي الله عنه - حين بعث مع كل مصحف من يوافق قراءته في الأكثر الغالب ، وعند تفرق الصحابة في البلدان مع اختلافهم في القراءات نقل ذلك عنهم التابعون ومن تبعهم ، واختلف بسبب ذلك أخذ التابعين حتى وصل الأمر على هذا النحو الى الامة القراء المشهورين (١)

فمن المعلوم أن كل صحابي من أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد قرأ على النبي حرفاً او جملة من الحروف فلما انتشروا في الافاق اقرأوا الناس بها ، فاختلف أخذ الناس عنهم ، وفي كل مصر من الامصار التي ارسل اليها عثمان بالمصاحف اشتهر قراء تواترت اليهم القراءات عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فاختلفت قراءاتهم بحسب اختلاف اخذهم ممن قبلهم من الصحابة والتابعين ، قال الامام السفاقي (٢) : ( ولا يقدر في ثبوت التواتر اختلاف القراء ، فقد تواتر القراءة عند قوم دون قوم فكل من القراء إنما لم يقرأ بقراءة غيره لأنها لم تبلغه على وجه التواتر . ) اهـ

وحول ما تقدم يقول الامام مكي بن أبي طالب (٣) : ( ولما مات النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج جماعة من الصحابة في أيام أبي بكر وعمر الى ما افتتح من الامصار ليعلموا الناس القرآن والدين فعلم كل واحد منهم أهل مصره على ما كان يقرأ على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين علموهم ، فلما كتب عثمان المصاحف ووجهها الى الأمصار ، وحملهم على ما فيها وأمرهم بترك ما خالفها ، قرأ أهل كل مصر مصحفهم الذي وجه اليهم على ما كانوا يقرأون قبل وصول المصحف اليهم مما يوافق خط المصحف ، وتركوا من قراءاتهم التي كانوا عليها مما يخالف خط المصحف ، ..... فهذه العلة اختلفت رواية القراء فيما نقلوا واختلفت أيضا قراءة من نقلوا عنهم لذلك ) اهـ

---

(١) الإبانة للقيسي : ٥٠ ، النشر في القراءات العشر : ج١ / ٨

وانظر أحكام القرآن لابن العربي ج٢/ ١٠٣ ، تفسير القرطبي : ج١ / ٤٥

(٢) غيث النفع في القراءات السبع بهامش سراج القارئ ص : ١٧ - ١٨

(٣) الإبانة : ٥٣ ، وراجع ما كتبه الدكتور عبد الفتاح شلبي في كتابه : رسم المصحف العثماني : ٩٣ فما بعدها فقد فصل القول في ذلك

### أمثلة تطبيقية لاختلاف القراءات

وبيان حكمتها والغرض منها ، وأن الاختلاف الذي بينها ليس اختلاف تضاد وهذا المبحث فيه استعراض لبعض الامثلة من القراءات المتواترة ، والتي تتجلى فيها فوائد ومعاني وأحكام أفادها هذا التباير والتنوع ، فكل قراءة تُغايِر الأخرى إما أن تكون متممة ومفسرة لمعني الأخرى ، وإما أنها جاءت بحكم جديد ، وهنا تكون القراءتان بمنزلة الآيتين

المثال الاول : - قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا إذا

قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين ) - المائدة / ٦ -  
فقد قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم والكسائي ويعقوب : بفتح لام "أرجلكم" على أن الكلمة منصوبة معطوفة على المغسولات وهي الوجوه والأيدي ، وإذا كان الأمر كذلك فإن الغرض هو غسلهما ،

وقرأ ابن كثير وحزمة وأبو عمرو وشعبة عن عاصم : بخفض لام " أرجلكم " على أن الكلمة مجرورة (١) أي انها معطوفة على الرؤوس والتي فرضها المسح والمعطوف على المجرور مجرور وله أحكامه  
فهاتان القراءتان قد يُتوهم أن بينهما تعارضا وتناقضا ، لأن احدهما تثبت الغسل والأخرى تثبت المسح ، ولكن عند التدبر وفهم حقيقة الأمر نجد أن القراءتين لهما حكم الآيتين لأنهما أثبتتا حكمين شرعيين في حالتين مختلفتين ، وهذا من بلاغة القران وإيجازه وإعجازه ، فغسل الرجلين هو فرض من لم يكن لابسا للخُف ، ومسح الرجلين هو لمن كان لابسا للخف سواء في الحضر أو في السفر ، ومن المعلوم أن المسح قد ثبت في السنة كما سيأتي ، فدل ذلك على أن قراءة الجر جاءت لبيان فرضية المسح في حالة لبس الخفين ليكون ذلك أوقع في النفس لكونه منصوبا عليه في الكتاب والسنة ، قال الامام الشافعي (٢) رحمه الله بعد ذكره للآية :

( فقصد جل ثناؤه قصد القدمين بالغسل كما قصد الوجه واليدين ، فكان ظاهر الآية انه لا يُجزىء في القدمين إلا ما يُجزىء في الوجه من الغسل أو الرأس من المسح ، وكان يحتمل أن يكون أريد بغسل القدمين او مسحهما بعض المتوضئين نون بعض ، فلما مسح رسول الله على الخفين =

(١) النشر : ج٢ / ٢٥٤ ، حجة القراءات لابي زرعة : ٢٢١ ،  
الكشف عن وجوه القراءات السبعة للقيسي : ج١ / ٤٠٥ - ٤٠٦

(٢) الرسالة : ٦٦

وأمر به مَنْ أَدخل رجليه في الخفين وهو كامل الطهارة ، دلت سنة رسول الله على أنه إنما أُريدُ بغسل القدمين أو مسحهما بعض المتوضئين دون بعض ) ( ٠ ) اهـ

وقال الإمام السرخسي في أصوله (١) : ( ثم تنتفي هذه المعارضة بأن تُحمل القراءة بالخفض على حال ما إذا كان لا بسا للخف ، بطريق أن الجلد الذي استتر به الرجل يُجعل قائما مقام بشرة الرجل فإنما ذُكرُ الرجل عبارة عنه بهذا الطريق ، والقراءة بالنصب على حال ظهور القدم فإنَّ الغرض في هذه الحال غسل الرجلين عينا ) ( ٠ ) اهـ

وقال الامام القرطبي (٢) : ( وقد قيل إن الخفض في الرجلين إنما جاء مقيّدا لمسحهما اذا كان عليهما الخفان ، وتلقينا هذا القيد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ان لم يصح عنه أنه مسح رجليه إلاّ وعليهما خفان ، فبيّن . صلى الله عليه وسلم - بفعله الحال التي تُغسل فيه الرجل والحال التي تُمسح فيه ، وهذا أحسن ، وحديث جرير في المسح على الخفين لا يخفى ، قال احمد بن حنبل : أنا استحسن حديث جرير في المسح على الخفين (٣) ، لأن اسلامه كان بعد نزول المائدة ) . اهـ قلت : لأن المائدة كانت من آخر ما نزل من القرآن ولم يُنسخ منها شيء وفيها آية الوضوء آنفة الذكر ، فيقصد الامام احمد أن فعل الرسول هذا جاء بيانا لقراءة الجر في الآيّة ، وحديث جرير متفق عليه وفيه : ( رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بال ثم توضأ ومسح على خفيه ، قال الأعمش كان يعجبهم هذا الحديث لأنّ إسلام جرير كان بعد نزول المائدة ) ( ٠ )

وكذلك فإنّ إسلامه بعد نزول المائدة يرفع احتمال أن تكون الآيّة ناسخة لما ثبت من سنة المسح على الخفين

(١) اصول السرخسي : ج٢ / ٢٠

(٢) تفسير القرطبي : ج٦ / ٩١

(٣) اخرج الامام البخاري : في الصلاة ، باب ٢٥ الصلاة في الخفاف ج١ / ١٠٢ ومسلم : في الطهارة ، باب المسح على الخفين ( شرح النووي : ج٢ / ١٦٤ ) واللفظ لمسلم ، واخرجه البخاريّ ايضا في الطهارة ، باب المسح على الخفين ج١ / ٥٨ ، ومسلم : في الطهارة ايضا عن المنيرة بن شعبة وسعد بن ابي

وقامه وبلال بن رباح وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم جميعا واخرج الامام احمد في مسنده ( ج٤ / ٣٦٢ ) عن جرير قال : أنا أسلمت بعدما نزلت المائدة ، وأنا رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمسح

بعدهما أسلمت ) وسنده صحيح ، انظر : ارواء الغليل للشيخ اللبناني ج١ / ١٣٦

قال الامام النووي في شرح مسلم : ( ج٢ / ١٦٤ ) اجمع من يعتد به في الاجماع على جواز المسح على الخفين في السفر واحضر ، سواء كان حاجة او لغيرها وانما انكرته الشيعة والخوارج ولا يعتد بخلافهم ، وقد روى المسح على الخفين خلافا لا يحصون من الصحابة ، قلت : وقد نص الائمة على تواتره ، انظر : نظم المتناثر / ٤٤

وحول هذا المعنى نقل العلامة الآلوسي في تفسيره<sup>(١)</sup> بعد أن ذكر  
الاقوال الأخرى في الآية نقل معنى ما تقدم عن بعض أهل السنة وأضاف :  
( وقوله : " الى الكعبين " لبيان المحل الذي يُجزىء عليه المسح لأنه  
لا يُجزىء على ساقه ، وادّعى السيوطي أنه أحسن ما قيل في  
الآية . ) اهـ

قلت : وما تقدم في توجيه هاتين القراءتين فيه الكفاية لبيان  
المراد ودفع توهم التعارض بين القراءتين من أقصر طريق وأوضحه ، وقد  
أعرضت عن الاقوال الأخرى اختصاراً ولترجح ما تقدم في نظري والله الموفق

#### المثال الثاني :-

قوله تعالى حكاية عن أهل سبأ : ( فقالوا ربنا باعد بين  
أسفارنا ) - سبأ / ١٩ -

هذه الآية قرأ بها جمهور القراء على جهة الدعاء والمسألة

وقرأ يعقوب : ( ربنا باعد بين أسفارنا ) على جهة الخبر<sup>(٢)</sup>

والمعنيان وإن اختلفا صحيحان ، لأن أهل سبأ سألوا الله أن يفرقهم

في البلاد فقالوا : ( ربنا باعد بين أسفارنا ) فلما فرقهم فني

البلاد وباعد بين أسفارهم قالوا : ربنا باعد بين أسفارنا ) أي

أجابنا الى ما سألناه ، فحكى الله تعالى عنهم بالمعنيين في غرضين<sup>(٣)</sup>

ومعلوم أن أهل سبأ قد بطروا النعمة وملّوها كما ملّ بنو إسرائيل

المن والسلوى ، ولما ذكرتهم الرسل نعم الله وما فيه من

أمان بين قراهم أنكروا أن يكون ما هم فيه نعمة من الله ، وسألوا

الله أن يُبعد بين أسفارهم فمزقهم الله كل مُمزق وجعلهم أحاديث<sup>(٤)</sup>

(١) روح المعاني : ج٦ / ٧٨ ، وانظر البرهان للزركشي : ج٢ / ٥٢

وقد تبنى الشيخ الزرقاني هذا الوجه ورجحه في مناهله

(٢) النشر : ج٢ / ٣٥٠ ، حجة القراءات : ٥٨٨

(٣) تأويل مشكل القرآن للإمام ابن قتيبة : ٤٠

(٤) زاد المسير لابن الجوزي : ج٦ / ٤٤٨ ، تفسير ابن كثير : ج٣ / ٨٤٩ سبأ / ١٩

روح المعاني : ج٢٢ / ١٣٠

المثال الثالث :

قوله تعالى : ( قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ) الأنعام / ٣٣ - هذه الآية الكريمة قرأ بها نافع والكسائي بتخفيف قوله : " لا يكذبونك " والباقون بالتشديد (١) ، ف قيل هما بمعنى واحد وقيل بينهما فرق ، قال ابو حيان (٢) : ( فمعنى التخفيف : لا يجدونك كاذبا ، أو لا ينسبون الكذب اليك ، وعلى معنى التشديد : يكون إما خيرا محضا عن عدم تكذيبهم إياه ويكون ذلك الى كلهم على سبيل المجاز والمراد به بعضهم لأنه معلوم قطعا أن بعضهم كان يكذب<sup>نبيه</sup>ه ويكذب ما جاء به ، وإما أن يكون نفي التكذيب لانتفاء ما يترتب عليه من المزار ، فكأنه قيل : لا يكذبونك تكذيبا يضرك لأنك لست بكاذب ، فتكذيبهم كلا تكذيب . ) اهـ وقال الإمام أبو زرعة (٣) : ( قال الكسائي : معنى " لا يكذبونك " أنهم ليسوا يكذبون قولك فيما سوى ذلك ، قال : والعرب تقول : أكذبت الرجل " اذا أخبرت أنه جاء بالكذب ، وكذبتة " أخبرت أنه كاذب ، فكان الكسائي يذهب الي أن الإكذاب يكون في بعض حديث الرجل وأخباره التي يرويها ، والتكذيب يكون في كل ما أخبر أو حدث به ، وهذا معنى قول الفراء (٤) ، وذاك أنه قال : " معنى التخفيف : - والله أعلم - لا يجعلونك كذابا ، وإنما يريدون أن ما جئت به باطل لأنهم لم يجربوا عليه كذبا فيكذبوه ، إنما أكذبوه أي : ما جئت به كذب لانعرفه " وقال قطرب : أكذبت الرجل : اذا دللت على كذبه ، فكان تأويل ذلك : لا يدلون على كذبك ببرهان يبطل ما جئت به )

هذه بالنسبة الى قراءة التخفيف ، أما قراءة التشديد : فقد قال أبو زرعة (٥) رحمه الله : ( قال ابن عباس : " لا يسمونك كذابا ، ولكنهم ينكرون آيات الله بألسنتهم وقلوبهم موقنة بأنها من عند الله كما قال تعالى : ( وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ) " ، وقال بعض أهل العربية : " فإنهم لا يكذبونك " أي لا يصحون عليك الكذب تقول : كذبتة أي صححت عليه الكذب . ) اهـ

قلت : ومما تقدم نرى كيف أن الله سبحانه قد ضمن لنا في هاتين القراءتين معنيين مختلفين يظهران مواقف الكفار في حق الرسول - صلى الله عليه وسلم - فعلى قراءة التخفيف بمعنى : لا ينسبون<sup>ل</sup>الكذب الى الكذب ، أو لا يدلون على كذبك ببرهان ، وعلى قراءة التشديد : بمعنى نفي حقيقة تكذيبهم وإنما هو مجرد جحود باللسان ، مكابرة وعنادا وحسدا ، والله اعلم

(١) النشر : ج٢/٢٥٧ ، حجة القراءات : ٢٤٦ ، (٢) البحر المحيط : ج١/١١١

(٣) حجة القراءات : ٢٤٧ ، (٤) معاني القرآن : ج١/٢٣١

(٥) حجة القراءات : ٢٤٨

المثال الرابع :

قوله تعالى : ( وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ) - ابراهيم / ٤٥ -  
قرأ الكسائي : بفتح اللام الأولى ورفع الثانية ( وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ  
مِنْهُ الْجِبَالُ ) ، وقرأ الباقون : بكسر الأولى ونصب الثانية ،  
وعلى هذا فقد يتوهم أن بينهما تضادا ، والواقع أن الآية قد جمعت  
في هاتين القراءتين معنيين أرادهما الله سبحانه لبيان مكر هؤلاء الظالمين  
الذين تقدم ذكرهم قبل هذه الآية وبيان أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله  
مهما عظم ، فالقراءة الأولى وهي ( وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ )  
"ان" فيها مخففة من الثقيلة واللام الأولى لام توكيد دخلت لتوكيد  
الخبر ، واسم إن ضمير الشأن محذوف تقديره : " وَإِنَّه كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ  
مِنْهُ الْجِبَالُ " أي قد كادت تزول من مكرهم ، وفي المراد بالجبـال قولان:  
أحدهما الجبال المعروفة ، والثاني : أنها ضربت مثلا لأمر النبي - صلى  
الله عليه وسلم - وثبوت دينه كثبوت الجبال الراسية ، والمعنى : لو بلغ  
كيدهم إلى إزالة الجبال لما زال أمر الاسلام (٢) ،  
قال ابن الجوزي (٣) : ( ويدل على صحة هذا قوله : ) فلا تحسبن  
الله مظلوم وعده رسوله ) - ابراهيم / ٤٦ -

أي فقد وعدك الظهور عليهم ٤٠هـ

فمعنى هذه القراءة : أن الله تعالى عظم مكرهم كما قال :  
( ومكروا مكرا كُبَّارًا ) - نوح / ٢٢ -

والقراءة الثانية ، وهي قراءة أكثر القراء : " إِنْ " فيها بمعنى ما  
واللام الأولى لام نفي لوقوعها بعد نصب ونصب الفعل بها ، والتقدير:  
" وما كان مكرهم لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ " أي هو أحقر وأضعف وأهون ،  
فالمعنى هو تصغير مكرهم وتحقيره فلم يكن هذا المكر ليذهب به الحق  
وأمر الاسلام (٤)

وعلى هذا فقد أُفادت القراءتان معنيين متغايرين ، لكنهما متعاضان  
والمراد منهما واحد ، فمكرهم عظيم من جهة خبثهم وسوء نياتهم وكثرة  
تآمرهم واستمرارهم في الكيد للاسلام وأهله ، وهذا المكر بالاسلام  
وأهله مهما عظم واشتد ولو بلغ إزالة الجبال الراسيات فإنه أهون وأحقر  
من أن يوقف هذا الدين العظيم أو يوهن من عزيمة أهله ، ذلك بأن الله قد تكفل  
بحفظه ويرد كيدهم ، ( ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ) الانفال / ٢٠ -  
وقال : ( قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد ) النحل / ٢٦ -

(١) النشر : ج٢ / ٣٠٠ ، الكشف عن وجوه القراءات : ج١ / ٤٦ ، زاد المسير : ج٤ / ٧٤

(٢) زاد المسير : ج٤ / ٧٤

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع : ج٢ / ٢٧ ، النكت والعيون للماوردي : ج٢ / ٣٥٤ -  
زاد المسير : ج٤ / ٣٧٤ روح المعاني للالوسي ج١٣ / ٢٥١



المثال الخامس :

قوله تعالى : ( حتى إذا استيئس الرسلُ وظنّوا أنّهم قد كذّبوا جاءهم نصرنا ٠٠٠٠ ) - يوسف / ١١٠ -

قرأ عاصم وحمة والكسائي وأبو جعفر بتخفيف " كذّبوا " مع كسر الذاًل المعجمة ، وقرأ الباقر بتشديد الذاًل مع كسرها أيضا (١)

" وظنّوا أنّهم قد كذّبوا " فهاتان قراءتان متواترتان قد يُظن أنّ بينهما تضادا وتعارضا ، بينما حقيقة الأمر أنّهما بمنزلة الآيتين حيث إن كل قراءة يُراد بها غير ما يراد بالأخرى وذلك كما يلي :

فقراءة التخفيف : معناها حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم المرسل اليهم ، توهم قومهم الذين تابعوهم أنّ الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من النصر على الأعداء إنّ لم يؤمنوا أو : وظن القوم المكذبون المرسل اليهم أنّهم كذبوا من جهة الرسل بمعنى أنّ الرسل قد كذبوا عليهم في ادعائهم النبوة ، وفي النصر عليهم فلم يصدقوهم في شيء مما ذكر ، كما حصل مع نوح عليه السلام الذي دعا قومه الف سنة الآخمين عاما فما آمن معه إلا قليل وكذبه أكثر قومه كما قال تعالى : ( كذبت قوم نوح المرسلين ) - الشعراء / ١٠٥ وقال تعالى : ( وما آمن معه إلا قليل ) - هود / ٤٠ -

وعندها أوحى اليه : ( أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ) فهناك استيئس منهم ودعا عليهم ، قال تعالى : ( فدعا ربه أنبي مغلوب فانتصر ) - القمر / ١٠ -

فجاءه نصر الله ، واهلك الكافرون المكذبون تمديقا لوعده الله تعالى فالضائر الثلاثة في قراءة التخفيف ( وظنّوا أنّهم قد كذبوا ) للمرسل اليهم قال مكّي (٢) : ( وحسن أن يكون الضمير في "ظنّوا" وفي "أنهم" للمرسل إليهم ولم يجر لهم ذكر لأن ذكر الرسل يدل على أنّهم مرسلًا إليهم ) ٠ اهـ

قلت : ولأنّ في قوله تعالى : ( حتى إذا استيئس الرسل ٠٠٠ ) حذف تقديره : حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم المرسل اليهم ، فالضمير في ظنّوا عائد على المحذوف من الكلام بدلالة السياق والله اعلم هذا بالنسبة لقراءة التخفيف ، أما قراءة التشديد ( وظنّوا أنّهم قد كذبوا ) فالمعنى : وتيقن الرسل أنّ قومهم قد كذبوهم في دعوى

(١) النشر في القراءات العشر : ج٢ / ٢٩٦ حجة القراءات : ٣٦٦

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع : ج٢ / ١٦ وانظر : روح المعاني : ج١٣ / ٢٠

الرسالة وفي كل ما جاء وابه عن الله تعالى تكديبا لا يُرجى معه الإيمان أصلا ، فحينئذ جاء نصر الله تعالى للرسول ومن آمن بهم ، وأنزل عذاب الاستئصال بالمكذابين ، فعلى هذه القراءة يكون الظن بمعنى اليقين ، والضائر الثلاثة للرسول ، فأفادت القراءة ثابتهن نعى الله تعالى عليهما في آية واحدة ، إذ كل قراءة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها ، فالذي تحصل من القرائتين كما تقدم هو تيقن الرسول بتكذيب قومهم وأسسهم من إيمانهم كما هو مُستفاد من قراءة التشديد ، وكذلك ظنُّ القوم المكذابين أنَّ الرسول قد كذبوا عليهم في ادعائهم النبوة وفي النصر عليهم إن لم يؤمنوا بهم (١)

#### المثال السادس :

اختلاف القراءة في البسمة<sup>(٢)</sup> في أوائل السور من المعلوم أنَّ القراء اختلفوا في قراءة البسمة بين السور ، واتفقوا جميعا على قراءتها اذا ابتداء القارئ سورة من السور ، الا اذا ابتداء براءة سواء كان الابتداء عن وقف أم عن قطع ، والتحقيق أن هذا الاختلاف راجع لاختلاف القراءات الذي هو بدوره راجع للأحرف السبعة التي تقدم ذكرها في هذا المبحث ، والتي نزل عليها القرآن الكريم للحكم والفوائد التي مرَّ ذكرها ايضا ، وهذا ما أوضحه الائمة من القراء : قال الإمام الزركشي (٣) :  
( وأيضا البسمة نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة ، فمن قرأ بحرف نزلت فيه عددها ، ومن قرأ بغير ذلك لم يعددها . ) اهـ

---

(١) حجة القراءات: ٣٦٦ ، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢/١٥ - ١٦  
النشر في القراءات العشر : ج١/٥١ ، زاد المسير لابن الجوزي : ج٤/٢٩٦  
مجموع الفتاوى لابن تيمية : ج١٥ / ١٧٥ - ١٩٠ ،  
القراءات في نظر المستشرقين ، للشيخ عبد الفتاح القاضي : ١٤٩ - ١٥٢  
(٢) ويقال لها التسمية ايضا ، والبسمة: مصدر بسمل اذا قال : "بسم الله الرحمن الرحيم" وهي من الكلمات المنحوتة مثل حوقل وهلل وحمدل وغير ذلك ، يراد بها الاختصار  
(٣) البرهان في علوم القرآن : ج١ / ٢٥٢ >

وقال المحقق ابن الجزري<sup>(١)</sup>: ( والصواب أن كلاً من القولين حق وانها آية من القران في بعض القراءات وهي قراءة الذين يفتلون بها بين السورتين ، وليست آية في قراءة من لم يفتل بها والله أعلم ) اه وقال في موضع آخر بعد أن ذكر الأقوال في البسمة<sup>(٢)</sup> :  
( وهذه الأقوال ترجع الى الثفي والإثبات والذي نعتقده أن كليهما صحيح وأن كل ذلك حق فيكون الاختلاف فيها كالاختلاف في القراءات ) اه وقال السخاوي رحمه الله<sup>(٣)</sup> : ( فإن ابن كثير وعاصم والكسائي يعتقدونها آية منها ومن كل سورة ووافقهم حمزة على الفاتحة خاصة ) اه وقال ابن تيمية رحمه الله<sup>(٤)</sup> : ( إن كل واحد من القولين حق وإنها آية من القران في بعض القراءات ، وهي قراءة الذين يفتلون ولا يفتلون بها بين السورتين ) ، وقال في موضع آخر<sup>(٥)</sup> :  
وأبلغ من ذلك البسمة فإن من القراء من يفتل بها ومنهم من لا يفتل بها ، وهي مكتوبة في المصاحف ، ثم الذين يقرأون بحرف من لا يبسلون لا يبسلون ، ولهذا لا ينكر عليهم ترك البسمة إخوانهم من القراء الذين يبسلون ) اه

قلت : ومما يدل على أن البسمة لم تنزل في بداية السور كآية في بعض الأحرف ونزلت في بعضها الآخر :  
ما أخرجه الامام البخاري في صحيحه<sup>(٦)</sup> : ( أنه أول ما جاء الملك بالوحي قال : ( اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم )  
فهذا أول ما نزل ولم ينزل قبل ذلك " بسم الله الرحمن الرحيم "  
وثبت في السنن<sup>(٧)</sup> مرفوعاً : ( سورة من القران ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له ، وهي تبارك الذي بيده الملك ) وهي ثلاثون آية بدون البسمة

---

(١) النشر : ج١ / ١٥ ، (٢) نفس المصدر : ج١ / ٢٧١  
(٣) عن النشر : ج١ / ٢٧١ ، (٤) مجموع الفتاوى : ج١٣ / ٣٩٩  
(٥) المصدر السابق : ج١٣ / ٤١٨ ، وانظر : ٤١٩  
(٦) صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي ج١ / ٣  
(٧) أخرجه : الترمذي في فضائل القران ج٢ / ٢٣٨ وحسنه ، وابو داود في كتاب الصلاة ، باب عدد الاي رقم : ١٤٠٠ ، وابن ماجه في الادب ، باب ثواب القران ج٢ / ١٢٤٤ عن أبي هريرة ، وله شاهد في الطبراني الكبير عن انس بسند صحيح ( الاتقان ٦٨ / ١ ، نيل الاوطار ج٢ / ٢٢٧ )

ولا يغيب عن الذهن أن سورة براءة تُركت البسمة فيها عند جميع القراء وذلك مما يدل على أن البسمة في بداية السور هو من الأمور التي تختص بالقراءات<sup>(١)</sup> ، وأنها من علم الرواية وليس من علم الدراية ، ولذلك أثبت ابن الجزري أن اختلاف الفقهاء في البسمة سواء كان في الفاتحة أو غيرها راجع لاختلاف القراءات في الحقيقة<sup>(٢)</sup> وهذا هو الحق الذي لا يصح غيره ، ولذلك قال ابن الجزري في منجد المقرئين<sup>(٣)</sup> : ( والإمام الشافعي رضي الله عنه جعل البسمة من القرآن مع أن روايته عن شيخه مالك تقتضي عدم كونها من القرآن وذلك لأن الامام الشافعي من أهل مكة وهم يُثبتون البسمة بين السورتين ويعدونها من أول الفاتحة آية ، وهو قرأ قراءة ابن كثير... فلم يعتمد على روايته عن مالك في عدم البسمة ، لأنها آحاد واعتمد على قراءة ابن كثير لأنها متواترة... ) اهـ

قلت : وأما الأحاديث الواردة بشأن الإسرار بالبسمة أو الجهر بها في الصلاة فهذا ليس له علاقة بكون البسمة آية أو غير آية ، فالاحتجاج بذلك في غير موضعه ، فما دام أن القراء الذين يُثبتون البسمة أوائل السور قراءاتهم متواترة ، والذين لا يُثبتونها كذلك فهي آية قطعاً في بعض القراءات ، وغير آية قطعاً في البعض الآخر ولا يصح أن نختلف فيها بعد ذلك ، والله تعالى أعلم

هذا والقراء الذين يغطون بالبسمة ويعتبرونها آية في مطلع كل سورة هم : ابن كثير وعاصم والكسائي وأبو جعفر ورواية قالون عن نافع وطريق الأصفهاني عن ورش ، ووصل بين كل سورتين حمزة وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب<sup>(٤)</sup>

وبعد : فهذه ستة أمثلة تطبيقية بينت فيها ان اختلاف القراءات انما هو اختلاف تنوع وتغاير وليس اختلاف تضاد وتناقض ، وقد ذكرت من الامثلة ما اظن ان فيه كفاية لتوضيح المراد من البحث وهناك امثلة اخري بحاجة الى دراسة منفصلة في رسالة علمية ، وقد تبين من الامثلة السالفة ان التوهم بوجود تضاد بين القراءات منشأه الجهل بأصل القراءات وحكمة وجودها وكذلك الجهل بمعانيها وانتقل الان الى بيان انواع الاختلاف في القراءات وفائدتها والحكمة من ذلك

(١) قال القُشيري : ( الصحيح أن التسمية لم تكن فيها لأن جبريل

عليه السلام لم ينزل بها فيها ) - البرهان : ج١ / ٢٦٢ -

(٢) النشر : ج١ / ٢٧١

(٣) منجد المقرئين : ٤٥٠

(٤) النشر لابن الجزري : ج١ / ٢٥٩ ، وانظر ذلك مفصلاً ج٢ / ٢٠٠

وكتاب الاقناع في القراءات السبع لابن الباناش : ج١ / ١٥٨

انواع الاختلاف في القراءات (١)

لا يخلو الاختلاف في القراءات من ثلاثة أحوال (٢) :

أولها : - اختلاف القراءتين في اللفظ مع اتفاقهما في المعنى  
ومن هذا النوع ما يرجع الى اختلاف اللغات كقراءتي :  
"اهدنا الصراط" بالماد ، و " السراط " بالسين ، الى ما يُشاكل  
هذا من نحو الإظهار والإدغام والمد والقصر ، والحكمة من ذلك ما  
تقدم من التيسير والتخفيف على هذه الأمة بلطف الله ورحمته ، ومن هذا  
النوع ما لاختلف فيه اللغات وإنما هما وجهان أو هي وجوه تجري في  
الفصح من الكلام نحو : ( وما عملت أيديهم ) و ( وما عملته أيديهم )<sup>(٣)</sup>  
وهذا النوع وارد على سنة العرب من صرف عنايتها الى المعاني ،  
ونظرها الى الألفاظ نظر الوسائل فلا ترى بأسا في ايراد اللفظ على  
وجهين أو وجوه ما دام المعنى الذي يقصد بالخطاب باقيا في نظمه  
ومأخوذا من جميع اطرافه ، وفي هذا توسعة على القارئ وعدم قصره على  
حرف ، ولا سيما أنه كان محجورا عليه أن يغير الكلمة من القران  
ويحيد بها عن وجهها المسموع

ثانيا : - اختلاف اللفظ والمعنى مع صحة المعنيين كليهما ،  
وحكمة هذا أن تكون الآية بمنزلة آيتين وردتا لافادة المعنيين جميعا  
وذلك كاختلاف قراءتي : ( مالك يوم الدين ) و ( ملك يوم الدين )  
بغير ألف ، فقد أفادت إحدى القراءتين أن الله مالك يوم الدين  
يتصرف فيه كيف يشاء ، وأفادت الأخرى انه الذي يحكم فيه بما يريد ،  
وكذا : ( كيف ننشزها ) بالراء والزاي<sup>(٤)</sup> لأن المراد بهما العظام  
وذلك أن الله أنشزها أي : أحيها ، وأنشزها أي : رفع بعضها الى  
بعض حتى التأممت ، فضمن الله تعالى المعنيين في القراءتين<sup>(٥)</sup>

ثالثا : اختلاف اللفظ والمعنى مع عدم اجتماعهما في شيء واحد  
بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التصادم نحو قوله تعالى :  
( وظنوا أنهم قد كذبوا ) بالتخفيف ، مع القراءة الأخرى بالتشديد<sup>(٦)</sup>  
وقد تقدم وجه التشديد والتخفيف وأن الضمائر على قراءة التخفيف تعود  
على القوم المرسل اليهم ، وعلى قراءة التخفيف تعود الضمائر على المرسل<sup>(٧)</sup>  
**فأفادت القراءتان معنيين ثابتين نص الله تعالى عليهما في آية واحدة**

(١) تأويل مشكل القران لابن قتيبة : ٤٠ ، النشر لابن الجزري : ج١/٤٩ - ٥٠  
نقض كتاب في الشعر الجاهلي : ١٠٧ - ١٠٩

(٢) والمراد بذلك ما وقع في القراءات العشر المتواترة ، ولا يعنينا ما شذ  
عن ذلك ، انظر : كتاب القراءات في نظر المستشرقين ، للشيخ عبد الفتاح  
القاضي حيث رد فيه على ادعاءات المستشرقين الذين يحتجون بالقراءة الشاذة  
(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف وشعبة : " وما عملت " بغير هاء ضمير وهي في مصحف  
اهل الكوفة كذلك ، وقرأ الباقرن بالهاء ، النشر : ج٢ / ٣٥٣

(٤) قرأ بالزاي المنقوطة ابن عامر والكوفيون ، والباقرن بالراء المهملة ، النشر : ج٢/٣١  
(٥) راجع : النشر ج١/٥٠ ، تأويل مشكل القران : ١٤١  
(٦) قرأ بالتخفيف : عاصم وحمزة والكسائي وابو جعفر ، والباقرن بالتشديد ، النشر : ج٢/٢٩٦  
(٧) النشر : ج١/٥١  
حجة القراءات : ٢٦٦

قال ابن الجزري (١) : ( وكل ما صحّ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من ذلك فقد وجب قبوله ، ولم يسع أحدا من الأمة رده ، ولزم الإيمان به وأنّ كنه منزل من عند الله تعالى ، إنْ كل قراءة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى ، علما وعملا لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض ) هـ

قلت : وقد ثبت في الصحاح كيف أنّ الصحابة رضي الله عنهم - كانوا يقرأون القرآن كما تعلموه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيرى البعض أنّ غيره يقرأه بخلاف قراءته التي أقرأه إياها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فينكر عليه في بانيء الأمر ثم يتحاكما السني الرسول فيقرهما كليهما بقوله : " أحسنت " و " أصبت " و " هكذا أنزلت "

روى البخاري (٢) ومسلم (٣) واللفظ للبخاري عن عمر بن الخطاب قال : ( سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فكِدتُ أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلّم فلجِبَّتْه بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقلت : كذبتَ ، فإنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أقرأنيها على غير ما قرأتَ ، فانطلقتُ به أقوده الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت : إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : أرسله ، اقرأ يا هشام ، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : كذلك أنزلت ، ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقرأني فقال - صلى الله عليه وسلم - : كذلك أنزلت ، ثم قال : إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا ما تيسر منه )

(١) النشر : ج١ / ٥١

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب انزل القرآن على سبعة احرف ج١/١٠٠

(٣) صحيح مسلم ، فضائل القرآن ، ( شرح النووي ج١ / ٩٨ )

(١) فائدة اختلاف القراءات والحكمة من ذلك

اولا : التسهيل والتخفيف على الأمة كما تقدم مفصلا في أول المبحث  
ثانيا : ومن الفوائد والحكم ما في ذلك من نهاية البلاغة وكمال  
الإعجاز وجمال الإيجاز ، إذ كل قراءة بمنزلة الآية ، ولو جُعلت  
دلالة كل لفظة آية على حدة لم يخفَ ما كان من التطويل ، ولهذا  
كان قوله تعالى : ( وأرسلنا إلى الكافرين ) منزلا لغسل الرجل  
والمسح على الخف ، واللفظ واحد لكن باختلاف إعرابه كما تقدم  
ثالثا : ومنها سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة ، إذ هو  
على هذه الصفة من البلاغة والوجازة ، فإنه مَنْ يحفظ كلمة ذات أوجه  
أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى لقبوله من حفظه جملا من الكلام  
تؤدي معاني تلك القراءات المختلفة ، لا سيما فيما كان خطه واحدا  
فإن ذلك أسهل حفظا وأيسر خطأ

رابعا : ومنها ما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة إذ هو  
مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف  
بيل كله يصدق بعضها بعضا ويُبين بعضه بعضا ، ويشهد بعضه لبعض على  
نمط واحد وأسلوب واحد ، وما ذاك إلا آية بالغ وبرهان قاطع على  
صدق مَنْ جاء به - صلى الله عليه وسلم -

خامسا : ومنها إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يُفرغون جهودهم  
ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك واستنباط الحكم والاحكام من دلالة  
كل لفظة ( فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو  
أنثى ) - آل عمران / ١٩٥ - والأجر على قدر المشقة

سادسا : ومنها ما ادخره الله من المنقبة العظيمة والنعمة الجليلة  
الجسيمة لهذه الأمة الشريفة من إسناد كتاب ربها ، فهو خصيصة الله لهذه الأمة  
المحمدية واعظاما لقدر هذه الملة الحنيفية ، وكل قارئ يوصل حروفه  
بالنقل إلى أمته ويرفع ارتياب الملحد قطعا بوصله ، فلو لم يكن من  
هذه الفوائد إلا هذه الفائدة لكفت

سابعا : ( ومنها أن أثر هذا التعدد في القراءات : حفظ كثير  
من طرق البيان وضروب اللهجات وإن لم يكن القصد من القرآن تعليم اللغة

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة : ٢٨ - ٤٠ ، البرهان للزركشي : ج٢ / ٢٢٩  
النشر في القراءات العشر : ج١ / ٥٢ - ٥٣ ، متراكبات القرآن للسيوطي : ج١ / ٢٦٨  
اعجاز القرآن للرافعي : ٤٧ - ٤٨ ، مناهل العرفان للزرقاني : ١٤٥ -  
نقض كتاب في الشعر الجاهلي : ١٠٨ ، مؤلفه العلامة محمد الخضر حسين  
من علماء الأزهر

وتقرير أساليب خطابها وفنون بيانها . (١)

ثامنا : ومنها أن اختلاف القراءات أحد جوانب الإعجاز القرآني حيث إن التحدي بالقرآن كان لكافة العرب فلما كانت لهجاتهم وأساليب بيانهم متباينة ، وضروب الفصاحة في الكلام متنوعة ، جاءت القراءات كنوع من التحدي (٢)

وفي هذا يقول الأديب الرافعي (٣) رحمه الله - :

(وإنما تمّ هذا النظم للقرآن مع بقاء الإعجاز الذي تحدي به وقع اليأس من معارضته ، على ما يكون في نظمه من تقلب الصور اللفظية في بعض الأحرف والكلمات بحسب ما يُلائم تلك الأحوال في مناطق العرب ، فقد تم له التمام كله ، ومار إعجازه إعجازا للفترة اللغوية في نفسها حيث كانت وكيف ظهرت ومهما يكن من أمرها . . . . . ومن ثمّ لا يستقيم للعرب أن يعارضوا القرآن إذ كان مأتى العجز من فطرتهم اللغوية ، ثم قال : إذ لا وجه للاختلاف الصحيح إلا هذا فإن القرآن لو نزل على لفظ واحد ما كان بضائره شيئا ، وهو ما هو إحصاء وإبداعا . ) اهـ

قلت : وقد أوما إلى هذه الفائدة الإمام البغوي (٤) حيث قال :

(وقوله في الأحاديث " كلها شاف كاف " يريد والله اعلم - أن كل حرف من هذه الحروف السبعة شاف لصدور المؤمنين لاتفاقها في المعنى وكونها من عند الله وتنزيله ووحيه كما قال تعالى : ( قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ) - فصلت / ٤٤ - وهو كاف في الحجة على صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لإعجاز نظمه وعجز الخلائق عن الاتيان بمثله . ) اهـ

قلت : فلما كانت العرب متباينة في لغاتها ولهجاتها وأساليب بيانها ،

وفنون خطابها مع كونها على قدر مشترك من الفصاحة والبلاغة مع تفاوت في ذلك ، جاء القرآن مراعيًا لهذه الناحية فكانت القراءات المنزلة من عند الله تحديًا لجميع أصحاب اللهجات حتى لا يدعي مدّع أن القرآن ليس على لغة قبيلته حتى يستطيع معارضته ، فأسكت الله بذلك كل مدّع ، وأفحم كل عدو وجاحد ، وأثلج صدور المؤمنين ( ولا ريب أن ذلك أدل على صدق محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنه أعظم في اشتغال القرآن على مناح جمة في الإعجاز وفي البيان ، على كل حرف ووجه وبكل لهجة ولسان ) ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم ) (٥)

(١) نقض كتاب في الشعر الجاهلي للسيد محمد الخضر حسين : ٥٢ - ٥٤ حيث رد فيه على من تعرض للقراءات جهلا وكيدا ، وأحسن رحمه الله في الرد عليه وعلى أمثاله من أعداء الإسلام .

(٢) مشترك الاقران للسيوطي : ١٦١ ، المرشد الوجيز لابي شامة : ١٣٥ الاعجاز والقراءات ، د . فتحي عبد القادر : ٤٦ فما بعدها

(٣) اعجاز القرآن : ٤٧

(٤) شرح السنة ج٤ / ٥١٢ ، تحقيق شعيب الارناؤوط وزهير الشاويش ط : المكتب الاسلامي

(٥) مناهل العرفان للشيخ الزرقاني : ج١ / ١٤٩



الفصل الثاني : الآيات المختصة . بالكتاب .

١- قوله تعالى بشأن القرآن : ( ذلك الكتاب لا ريب فيه ٠٠ ) - البقرة / ٢  
 هذا النص يفيد العموم ، لأنه نكرة في سياق النفي ، وعلى ذلك  
 فالآية تنفي كل ريب عن هذا القرآن العظيم ، وهناك آيات أخرى  
 تدل على أنّ بعض الناس يرتاب في القرآن مثل قوله تعالى :  
 ( وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ٠٠٠ ) - البقرة / ٢٣ -  
 وقوله تعالى : ( وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ) - التوبة / ٤٥ -  
 والجواب : أنّ القرآن لم ينفر أنّ أحدا يرتاب فيه ، وإنما المنفي  
 كونه متعلقا للريب ومظنة له بوجه من الوجوه ، والمقصود أنه لا  
 شبهة في صحته ولا في كونه من عند الله ، ولا في كونه معجزا ،  
 لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان وظهور المعجزة بحيث لا ينبغي  
 لمرتاب أن يقع فيه ، قال العلامة أبو السعود<sup>(١)</sup> : ( ألا يرى كيف  
 جُوّز ذلك في قوله ( وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ٠٠ ) ففرض  
 كونهم في الريب لا كون الريب فيه ، لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه  
 مع نوع إشعار أنّ ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ) ( ١٠ )  
 وريب الكفار إنما هو لعمى بصائرهم كما قال تعالى : ( أفمن  
 يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ) - الرعد / ١٩ -  
 ويقول الشاعر :  
 قد تُنكر العينُ ضوءَ الشمسِ من رمدٍ  
 وقد يُنكر الفمُ طعمَ الماءِ من سقمٍ  
 فلهذا نفى الله سبحانه الريب فيه مع كثرة المرتابين على معنى ؛  
 أنّ العاقل بعد النظر والتدبر في كونه وحيا من الله تعالى ، لا يجد  
 فيّته أدنى ريب ، ذلك أنه تعالى قد نعى على المرتابين قلة تدبرهم  
 لكتاب الله كما قال : ( أفلا يتدبون القرآن ولو كان من عند غير  
 الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) - النساء / ٨٢ -  
 فالأسباب التي تُوجب الريب منفية عن القرآن ، كالتلبيس والتعقيد والتناقض  
 والدعوي العارية عن البرهان ، والركاكة والعمى ، كل ذلك منتف عن  
 كتاب الله ، فالقرآن حق يجب أن لا يُرتاب فيه ، وهذا كما يُبين  
 المرءُ الشيءَ لخصمه فيحسن منه بعد البيان أن يقول : هذا واضح  
 كالشمس ، هذا لا يشك فيه أحد<sup>(٢)</sup> ولهذا قال الخطيب القزويني<sup>(٣)</sup> :  
 هو من باب إنزال المنكر منزلة غير المنكر إذا كان معه ما . إن تأمله  
 ارتدع عن الإنكار ( ١٥ )

(١) في تفسيره ارشاد العقل السليم : ج١ / ٢٥

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار : ١١

فوائد في مشكل القرآن للعز بن عبد السلام : ٦٩ ، تفسير الزمخشري (١) / ١١٣

تفسير الرازي : ج١ / ١٨ ، روح المعاني : ١٠٦ / ١ ، أضواء البيان ١٠ / ٧

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة : ١٥

قال الرازي (١) : ( ولو قلت المراد : لا ريب في كونه مُعجزاً على  
الخصوص كان أقرب لتأكيد هذا التأويل بقوله : ( وإن كنتم في ريب  
مما نزلنا على عبدنا ٠٠ ) ، فالمراد أنه بلغ من الوضوح الف حيث  
للا ينبغي لمرتاب أن يرتاب فيه ، والأمر كذلك لأن العرب مع  
بلوغهم في الفمحة الى النهاية عجزوا عن معارضة أقصر سورة  
من القرآن ، وذلك يشهد بأنه بلغت هذه الحجة الى حيث لا يجوز  
للعاقل أن يرتاب فيه ٠ ) اهـ

هذا وقد ذكر العلماء وجهها آخر : وهو أن قوله تعالى :  
" لا ريب فيه " نفي بمعنى النهي ، أي لا ترتابوا فيه لأنه  
من عند الله ، ونظيره قوله تعالى : ( فلا رفث ولا فسوق  
ولا جدال في الحج ) - البقرة / ١٩٧ -  
أي لاترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا (٢)

وعلى كلٍ فإن آيات القرآن لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا  
من خلفها ، تنزيل من عزيز حكيم

---

(١) في تفسيره مفاتيح الغيب : ج ٢ / ١٨

(٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للامام زكريا الانصاري : ١٣  
فوائد في مشكل القرآن : ٦٩ روح المعاني : ج ١ / ١٠٧

- ٢٢ قوله تعالى : ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) - البقرة / ٢ -  
وصف الله تعالى في هذه الآية القرآن بأنه هدى للمتقين ، مسع  
أنه وصفه في آيات أخرى بأنه هدى للناس كما قال : ( شهر  
رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ٠٠٠ ) - البقرة / ١٨٥ -  
فقد يُظن أن بين هاتين الآيتين تعارض ، ولدفع ذلك فإن الجواب من  
ثلاثة أوجه :
- الوجه الاول<sup>(١)</sup> : أن الهدى يُطلق في القرآن ويُراد به معنيان :
- الاول الهدى العام ، والثاني الهدى الخاص ، أما الهدى العام :
- فهو هدى الدلالة وإبانة الطريق وإيضاح الحجة ، وهو الذي  
تقدر عليه الرسل وأتباعهم من الدعاة الى الله ، ومن ذلك  
قوله تعالى : ولكل قوم هاد ) - الرعد / ٧ -
- وقوله : ( وإنك لتهدي الى صراط مستقيم ) - الشورى / ٥٢ -
- وقوله : ( إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ) - الانسان / ٣ -
- وقوله : ( وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ) - فصلت / ١٧ -
- أي بينا لهم طريق الحق والنجاة فاتبعوا طريق الباطل والخسارة  
فقوله تعالى : " هدى للناس " بحق القرآن يُراد به الهدى العام  
وهو الدلالة وإيضاح الحجة بالآيات البينات والبراهين الواضحات ، وما  
فيه من إعجاز وإحكام ودلائل لا تُعد ولا تُحصى  
وتفرد هو سبحانه بالهدى الخاص الذي معناه التأييد والتوفيق ، ومنه  
بهذا المعنى قوله تعالى لنبيه . صلى الله عليه وسلم - :
- إنك لا تهدي من أحببت ٠٠٠ ) - القصص / ٥٦ -
- فالهدى على هذا يجيء بمعنى تمكين الايمان في القلب ، فالرسول  
- صلى الله عليه وسلم - ليس بإمكانه تمكين الايمان في قلب أحد  
بدون إرادة الله ، فهذا عمه أبو طالب اجتهد عليه كثيرا حتى يقول  
كلمة التوحيد لكنه لم يقلها ومات على غير ملة الاسلام ، فلماذا  
نزل<sup>(٢)</sup> قوله تعالى : ( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء )  
ومن الهدى بمعناه الخاص قوله تعالى : ( أولئك الذين هدى الله )  
وقوله : يهدي من يشاء ٠٠٠٠ ) - ابراهيم / ٤ -
- وقوله : ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ) - الانعام / ١٢٥ -

(١) زاد المسير : ج١ / ٢٤ ، تفسير القرطبي : ج١ / ١٦٠ تفسير ابن كثير : ج٢ / ٦٣  
روح المعاني للالوسي : ج٢ / ٦١ ، اضواء البيان للشنقيطي : ٨٧ / ١٠

(٢) اخرج سبب النزول : البخاري : ج٢ / ٩٨ في كتاب الجنائز باب اذا قال  
المشرك لا اله الا الله عند الموت ، عن سعيد ابن المسيب عن ابيه  
واخرجه الامام مسلم : في كتاب الايمان ، باب وفاة ابي طالب وما نزل فيه ،  
( شرح النووي على مسلم : ج١ / ٤٠ )

الوجه الثاني (١) :-

أنه سبحانه قد بين في غير موضع أن القرآن هدى للناس نعم الكل، وإنما خص المتقين بها في قوله " هدى للمتقين " من حيث اختصاصا بقبولها وانتفعوا بها، فالقرآن فيه الهداية للجميع لكن لا ينالها إلا الأبرار، قال تعالى : قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى (٠٠) - فطلت/٤٤ - وقال : ( وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارة ) - الاسراء/٨٢ -

فالقرآن فيه الهداية للجميع بما فيه من آيات وبراهين وإعجاز وإحكام ، لكن لما كان المتقون هم الذين يتدبرون آياته ويعملون بها خصهم الله تعالى بالذكر في غير موضع تكريما لهم ولبيان فضلهم وحسن عاقبتهم ، وهذا لا ينفي أن يكون القرآن فيه الهداية لعامة الناس ، لأنه من المعلوم أن ذكر الواحد لا يدل على أن غيره بخلافه كما قال تعالى : إنما أنت منذر من يخشاها ) - النازعات / ٤٥ - فهذا لاينفي عموم إنذاره - صلى الله عليه وسلم - لقوله تعالى : ( وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ) - سبأ / ٢٨ - فالمتقون يخشون عند الإنذار ويزدادون إيمانا مع إيمانهم ، وتوجل قلوبهم لذكر الله تعالى ، بعكس غيرهم ممن أعمى الهوى قلبه وطمس على بصيرته ، ( كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ) - المطففين / ١٥ - فوجود الشبهات والشهوات مانع من الانتفاع بالقرآن كما قال تعالى : ( إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ) - غافر / ٢٨ -

ولا يخفى أن قوله تعالى : " هدى للمتقين " من إيجاز القصر (٢) أي هدى للضالين المائرين الى الهدى بعد الضلال ، وحسنه التوصل الى تسمية الشيء باسم ما يأول اليه ، وهذا راجع لما تقدم من تخصيصهم بالذكر لانتفاعهم بالقرآن وتدبرهم لآياته فاصبحوا متقين بعد ضلال ، والله تعالى أعلم

---

(١) زاد المسير : ج١ / ٢٤ ، تفسير ابن كثير : ج١ / ٦٢ البقرة / ٢  
تفسير الرازي : ج٢ / ٢١ ، روح المعاني : ج١ / ١٠٩ ، تنزيه القرآن : ١١

(٢) الايضاح في علوم البلاغة : ١٦

(٣) قوله تعالى " هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات  
هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ وَ أُخْرُ مُتَشَابِهَات ٠٠٠٠ " - آل عمران / ٧ -  
مع قوله تعالى : " ألر ، كتاب أحكمت آياته ثُمَّ فَصَّلَتْ  
حكيم خبير " - هود / ١ -  
وقوله تعالى : " الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى  
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ٠٠٠ " - الزمر / ٢٣ -  
هذه الآيات تتعلق بكتاب الله عز وجل قد يُتوهم أن بينها  
اختلافا و تزاادا فقوله تعالى : " منه آيات محكمات " يفيد  
التبويض ، فهى تدل على أن القرآن منه محكم ومنه متشابه ،  
وقوله تعالى : " كتاب أحكمت آياته " يفيد العموم ، أى أن كل  
الآيات محكمة  
وقوله تعالى : " كتابا متشابها " يدل على أن كله متشابه .  
ووجه الجمع بين هذه الآيات ما يلى :-  
كل آية من هذه الآيات أفادت غير ما أفادته الأخرى من غير  
اختلاف بينها ، فالقرآن دل على أنه بكليته محكم ودل على أنه  
بكليته متشابه ودل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه ،  
فمعنى كونه كله محكما :- أنه فى غاية الاتقان فى ألفاظه  
ومعانيه وإعجازه ، أخباره صدق وأحكامه عدل ، لا يعتريه  
اختلاف أو خلل أو زلل فكله صحيح محكم وحق من عند الله ،  
" لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم  
حميد " ، والعرب تقول فى البناء الوثيق والعقد الوثيق الذى  
لا يمكن حله : محكم ، فهذا وصف جميعه بأنه محكم (١)  
وأما كونه متشابها كما قال تعالى : " كتابا متشابها " فمعنى  
ذلك : أن آياته متفقه غير مختلفة يُشبه بعضها بعضا فى البلاغة  
والحسن والصدق والصحة وعدم التناقض وتأييد بعضه لبعض  
والاعجاز والسلامة من جميع العيوب ، وإليه الإشارة بقوله  
تعالى : " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا  
كثيرا " - النساء / ٨٢ -

(١) تفسير الرازى ١٦٧ / ٧ ، تفسير القرطبي ١٠ / ٤  
روح المعانى ٨٠ / ٣ - ٨٢ ، فتح الرحمن / ٧٨ - ٧٩  
أضواء البيان / ١٠ / ٤٧

أى لكان بعضه واردا على نقيض الآخر ، ولتفاوت نسق الكلام فى  
الفصامه والركاكه. (١)

لذلك يُطلق المعنيان على جميع القرآن فأياته مُحكمات وهي أيضا  
متشابهة فى كونها فى غاية الاحكام لا يشذ عن ذلك آية واحدة  
فلاحكام العام بما فسرتة والتشابه العام بما فسرتة يشترك فيه جميع  
آيات القرآن الكريم .

وأما كون بعضه محكم وبعضه متشابه كما قال تعالى :

" منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات ... "

فالمراد بالمحكم منه :- واضح المعنى ظاهر القصد والدلالة ، مُحكم  
العبارة محفوظ من الإحتمال والإشتماء فهو أصل الكتاب والعُمدة فيه  
يُرد اليه غيره كقوله تعالى : " ولا تقربوا الزنا ... " - الاسراء/٢٢ -  
وقوله : " ولا تجعل مع الله إلها آخر ... " - الاسراء/٢٩ -

وقوله : " ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ... " - الشورى/١١

وغير ذلك، قال : محمد بن جعفر بن الزبير (٢) : " المحكمات : فيهن حجة

الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ، ليس لهن تصريف وتحريف  
عما وُضعن عليه "

وأفاد الرازى (٣) : " أن المحكم : هو ما كان موضوعا لمعنى ولا يحتمل  
غيره وهو النص ، أو ما احتمل معنيان واحتماله لأحدهما راجح  
وهو الظاهر . "

هذا بالنسبة للمحكم من القرآن ، أما المتشابه منه الذى هو فى  
مقابل المحكم :- فهو ما خفى علمه على غير الراسخين فى العلم مما  
فيه غموض ودقة فالمتشابه فى قوله : " وأخر متشابهات " من باب  
الاحتمال والاشتماء ، من قوله تعالى : " إن البقر تشابه علينا " - البقرة /٧٠ -  
أى التبس علينا ، فالآيات المتشابهات هي التي تحتمل معان متشابهة لا يمتاز  
بعضها عن بعض فى استحقاق الارادة ولا يتضح الأمر إلا بالنظر الدقيق،  
وعدم الاتضاح قد يكون للاشتراك أو الاجمال أو غير ذلك .

-

(١) تفسير الرازى ج ٧ / ١٦٧

تفسير القرطبي ٤ / ١٠

(٢) تفسير الطبرى ج ٦ / ١٧٧ تحقيق محمود شاكر

وانظر القرطبي ١ / ١٠

(٣) تفسير الرازى : ج ٧ / ١٦٨

ولا ريب أن الراسخين في العلم يعلمون ما اشتبه على غيرهم كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري (١) و مسلم (٢) عن النعمان بن بشير مرفوعا :

"إنّ الحلال بين وإنّ الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ... " الحديث فدل ذلك على أنّ من الناس من يعرفها قال ابن تيمية رحمه الله (٣) : " وكلام السلف في ذلك يدل على أن التشابه أمر إضافي فقد يشتبه على هذا ما لا يشتبه على هذا ، فعلى كل أحد أن يعمل بما استبان له ويكل ما اشتبه عليه الى الله . " ٠١ هـ فالمتشابه كناية عما لا يتضح معناه لغير الراسخين في العلم ، وكون المحكمات أمّا لغيرها من المتشابه باعتبار رده إليها وإرجاعه لها ، وأمومتها لنفسها باعتبار عدم احتياجها الى شيء سوى نفسها لظهور معناها .

وقيل : إنّ المتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة والحروف المقطعة في أوائل السور ، وذلك بناءً على أن الواو في قوله تعالى :

" وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم ... " - آل عمران / ٧ - استثنائيه لا عاطفة لكن الراجح هو كونها عاطفة (٤)

قال ابن تيمية رحمه الله (٥) : " قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلا عن غيرهم وليس ذلك في آية معينة بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا ، وذلك يكون لغرابة اللفظ وتارة لاشتباه المعنى بغيره ، وتارة لشبهة في نفس الانسان تمنعه من معرفة الحق ، وتارة لعدم التدبّر التام ، وتارة لغير ذلك من الاسباب ، فيجب القطع بأن قوله تعالى :

" وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ... " أن الصواب قول من يجعله معطوفا ويجعل الواو لعطف مفرد على مفرد " ٠١ هـ

(١) كتاب العلم ، باب فضل من استبرأ لدينه - ١ / ١٩

(٢) كتاب المساقاة والمزارعة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، (شرح)

النووي ٢٦/١١ ) ورواه أيضا أصحاب السنن وأحمد ج ٤ / ٢٢٧ / ٢٦٩ وألفاظهم متقاربة واللفظ لمسلم .

(٣) أنظر مجموع الفتاوى ١٧ / ٣٨٥

(٤) القرطبي - ٤ / ١٠

روح المعاني ٣/٨٠ - ٨٢ ، أضواء البيان / للشنقيطي - ١٠ / ٤٧ وهناك أقوال أخرى في المحكم . والمتشابه لم أورد استقصاءها اختصارا و لبيان وجهه من أقصر طريق ، وراجع للمزيد تفسير الطبري - ٦ / ١٧٤ فما بعدها ، الرازي ٧ / ١٧٠ مجموع الفتاوى ١٧ / ٣٨٤

(٥) مجموع الفتاوى ١٧ / ٤٠٠

وانظر تفسير الطبري ٦ / ٢٠٣ حيث نقل ذلك عن ابن عباس ومجاهد والربيع

(١) وقال الأوسبي رحمه الله : فى قوله تعالى :

" وأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ... " : " وهو إما يأخذ ظاهره الغير مراد له تعالى ، أو يضربون القرآن بعرضه ببعض ويظهرون التناقض بين معانيه إلحادا منهم وكفرا ويحملون لفظه على أحد احتمالاته التى توافق أغراضهم الفاسده فى ذلك " ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله " . قلت : وقد ورد أن نصارى نجران احتجوا بقوله تعالى .

" وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه " - النساء / ١٧١ - الواردة بشأن عيسى عليه السلام احتجوا بها على ألوهيه عيسى . ومعلوم أن لفظ كلمة الله " يُراد به الكلام ويُراد به المخلوق ، بالكلام " وروح منه " يراد به ابتداء الغاية ويراد به التبعيض وهنا نجد أن النصارى احتجوا بالمتشابه وتركوا المحكم ،

كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه مسلم (٢) : " اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سُمى الله فاحذروهم ... " وهو انما تشابه عليهم لجهلهم ومرض قلوبهم وزيفها ابتغاء للفتنة ولعدم تدبرهم لكتاب الله فإن قوله " منه " إضافة تشريق كما تقول بيت الله / والمعنى روح من أمر الله ، ومما يقاربها قوله تعالى :

" وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه " الجاثية / ١٣ وأما الراسخون فى العلم والمتدبرون لكتاب الله فيعلمون معانى هذه الكلمات بردها للمحكّمات ، والمحكم هو ما قاله تعالى بعدها فى نفس الآية : " إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ... " فهذا يُفسر القرآن بعرضه ولذلك أمرنا بتدبر القرآن (٣) . وأما حكمة وجود المتشابه فى القرآن : فهي أن ذلك يكون أدهى لاثارة العلم والرغبة فى النظر فى القرآن ، وإشغال أهل العلم بردهم المتشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويدأومون على البحث والاهتمام فيثابون على تعبيهم ، ولو جعل القرآن كله محكما لاستوى فيه العالم والجاهل ولماتت الخواطر .

(١) روح المعاني : ٨٢ / ٣

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب العلم / باب النهي عن اتباع متشابه القرآن

( شرح النووى على مسلم ١٦ / ١١٧ ) وانظر تفسير الطبرى ج ٦ / ١٨٩

فما بعدها

(٣) تفسير الطبرى ج ٦ / ١٨٠

، زاد المسير ٢ / ٢٦٠

تفسير الرازى ٧ / ١٧٣

، روح المعاني ٦ / ٦٤

تفسير الماردى ١ / ٤٣٦



كما أن فيه اختبارا للعباد ليقف المؤمن عنده ويرده إلى عالمه  
فيعظم بذلك ثوابه، ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ ، فيستحق بذلك  
العقوبة كما أن فيه ضربا من ضروب الإعجاز حيث جاء على نسق  
كلام العرب الذى فيه المَوْجَز الذى لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير  
ظاهره ، وفيه الكنايات والاشارات والتلويحات وهذا الضرب الثانى  
هو المستحيل عند العرب والبديع فى كلامهم، فأُنزل الله القرآن على  
هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكأنه قال : عارضوه  
بأى الضربين شئتم (١)

وخلاصة الأمر : أن الإحكام يُطلق فى القرآن ويراد به واضح الدلالة  
والمعنى كما فى قوله تعالى : " منه آيات محكمات ..."  
والمتشابه الذى هو مقابله بعكس معناه أى مشتبه الدلالة والمعنى غير  
متضح لغير العالم، ويطلق الإحكام ويراد به من جهة اللفظ والنظم  
والمعنى أيضا كما فى قوله تعالى :-  
" أحكمت آياته ثم فصلت ..."  
وهذا الاحكام مرادف لكلمة "متشابهة" فى قوله تعالى : " كتابا متشابها "  
ولله الحمد أولا وآخرا

---

(١) مشكل القرآن لابن قتيبة / ص ٦٣

تنزيه القرآن عن المطاعن / القاضى عبد الجبار ص ٥٧ - ٥٨

زاد المسير لابن الجوزى ج ١ / ٣٥١ - ٣٥٣

(٤) توهم وجود الشعر فى القرآن :

قال الله تعالى : " وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا نكر  
و قرآن مبين " يس/٦٩

وقال تعالى : " وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ... " الحاقة/٤١

مع ما قيل إن هناك مقاطع قرآنية تُشبه الشعر وهذا يوهم التعارض مع  
الآيات التى تنفى ذلك .

لابدّ من العلم أن كتاب الله عز وجل قد استُهدف منذ بدء الدعوة  
لظعن الحاسدين والحاقدين وخاصة من لم يتذوق بلاغة القرآن  
فها هم كفار مكة يدّعون أن النبى - صلى الله عليه وسلم - شاعر  
وذلك فى جملة ادعاءاتهم المتناقضة فمرة هو عندهم كاهن ومرة مجنون  
ومرة شاعر ومرة ساحر ، ولهذا قال تعالى فى حقهم : " عمّ يتساءلون  
عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون ... "

وقال : " والسماء ذات الحبك إنكم لفى قول مختلف يُؤفك عنه من أفك (١) "   
وقد كذبهم الله سبحانه فى دعواهم أنه شاعر فقال :

" والشعراء يتبعهم الغاؤون ... "

لأن الذين يتبعهم الغاؤون لا يمكن أن يكون النبى - صلى الله عليه وسلم -  
منهم حيث اتبعه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، رجال  
صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، جاهدوا أنفسهم وجاهدوا أعداء  
الدين حتى نشروا الاسلام شرقا وغربا ، وأصبحوا سادة الأمم ، فلا  
يمكن لهؤلاء أن يكونوا اتباع شاعر يقول ما لا يفعل ، وقد كان - صلى  
الله عليه وسلم - خلقه القرآن وهو قدوة العالمين قولا وعملا فأخلاقه  
تكذب دعواهم ، لذا كذبهم الله سبحانه بقوله : " وما هو بقول شاعر  
قليلا ما تؤمنون "

وقوله تعالى : " إنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ، بل جاء بالحق وصدق  
المرسلين " - الصافات / ٣٦ -

" فأعلم سبحانه أنه نزه القرآن عن نظم الشعر والوزن لأن القرآن  
مجمع الحق ومنبع الصدق ، وقصارى أمر الشعراء\* التحصيل بتموير  
الباطل فى صورة الحق ، والافراط فى الاطراء والمبالغة فى السذم  
والايذاء دون إظهار الحق ، وإثبات الصدق منه بالعرض ،  
ولم يُرد سبحانه أنه ليس بشعر ، فإن وزن الشعر أظهر من أن يشتبه  
عليهم حتى يحتاج الى أن يُنفى عنه ، ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمى

(١) أى يُصرف عن الايمان بالقران من صرفه الله عن ذلك

المنذقيون القياسات المؤدية في أكثر الأحيان الى البطلان والكذب شعرية . " (١)

قال الباقلاني رحمه الله (٢): " نفى الله الشعر عن القرآن وعن النبي - صلى الله عليه وسلم - وما علمناه الشعر وما ينبغي له ... " وقال في ذم الشعراء : " والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون "

وقال : " وما هو بقول شاعر . "

وهذا يدل على أن ما حكاه عن الكفار من قولهم إنه شاعر ، وان هذا شعر لابد وأن يكون محمولا على أنهم نسبوه الى أنه يشعر بما لا يشعر به غيره من الصنعة اللطيفة في نظم الكلام ، لا أنهم نسبوه في القرآن الى أن<sup>الذي</sup> أتاهم به هو من قبيل الشعر الذي يتعارفونه على الأعراب المحصورة المألوفة ، أو يكون محمولا على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم وأهل الفطنة منهم في وصفهم إياهم بالشعر لدقة نظرهم في وجوه الكلام وطرقهم في المنطق ، وان كان ذلك الباب خارجا عما هو عند العرب شعر على الحقيقة ، أو يكون محمولا على أنه أطلقه بعض الضعفاء منهم في معرفة أوزان الشعر ، وهذا أبعد الاحتمالات ، فان حُمل على الوجهين الأولين كان ما أطلقوه صحيحا وذلك أن الشاعر يفتن لما لا يفتن له غيره وانا قدر على صنعة الشعر كان على ما دونه - في رأيهم وعندهم - أقدر فنسبوه الى ذلك لهذا السبب " ١٠ هـ

قلت :- ومما يدل على أن ادعاءهم بأن النبي شاعر وأن القرآن قول شاعر أرادوا به ما تقدم من الكذب أو دقة الصنعة في نظم الكلام ما أخرجه الحاكم في مستدركه ومصححه والبيهقي في الدلائل (٣) عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قول الوليد بن المغيرة لما قرأ عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - القرآن : " والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه (٤) ولا بقصيدهه ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه

(١) البرهان للزركشي ج ١ / ١١٣

(٢) اعجاز القرآن / ص : ٥١

(٣) انظر الاثقان ٢ / ١١٧

(٤) رجز الشعر هو :- نمط من الشعر ذو تفعيلة واحدة متكررة وقيل في صفته أنه مطية الشعراء وذاك لأنه غير معقد ولا يلتزم فيه بنظام التفعيلة وتفعيلته الاساسية كالتالي :-

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

العروض / الشيخ جلال الحنفي ص ٤٨٦ - ٤٩٥

الذى يقول من هذا ، ووالله إنَّ لقوله الذى يقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته . " ١٠ هـ

إذا عُرف ما تقدم فإن بعض الملاحدة يدعون بوجود ما هو على وزن الشعر فى القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهذا الادعاء لا يستحق الرد عليه لظهور تهافته ولأنه لا يدل إلا على جهلٍ من قائله ببلاغة القرآن ، وكذلك جهله المطبق بأوزان الشعر وحقيقته ؛ وإما لأجل التلبيس على الناس لاظهار اختلاف القرآن وتناقضه حسنا وكيدا

قال ابن العربى رحمه الله (١) :

" ولقد اجتهد المجتهدون فى أن يُجروا القرآن أو شيئا منه على وزن

من أوزان الشعر فلم يقدرُوا فظهر عند الولى والعدو أنه ليس بشعر ، وقد اعترض جماعة من فصحاء الملحدة علينا فى نظم القرآن والسنة بأشياء أرادوا بها التلبيس على الضعفة " ١٠ هـ

وقد قيل فى بعض المقاطع القرانية أنها على أوزان الشعر وحتى لا يتوهم متوهم صحة ذلك أتى هنا بأمثلة مما قالوا ثم أعقب عليه بالرد اللازم ، وأبدأ هنا بالرد التفصيلى ثم أعقبه بردا جمليا:

الرد التفصيلي لما قيل في القرآن أنه على وزن الشعر

قال ابن العربي رحمه الله (١)

" منها قوله تعالى : " فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت

على كل شيء شهيد " - المائدة / ١١٧ -

وقالوا : إن هذا من بحر المتقارب (٢) ، وهذا إنما اعترض<sup>به</sup> الجاهلون

بالصناعة لأن الذي يلائم هذا من الآية قوله :

" فلما ... الى قوله : كل " وإنا وقفنا عليه لم يتم الكلام وإنا

أتمناه بقول : " شيء شهيد " خرج عن وزن الشعر "

قلت :- نلاحظ كيف يكرون ويلبسون على الضعفة بتجزئة الآية باستخراج  
كلام غير تام المعنى ليقولوا أنه على وزن الشعر . هل هكذا يكون  
الشعر ؟

ونرجع الى كلام ابن العربي : " ومنها قوله تعالى :

" ويخزهم وينصرم عليهم ويشفر صدور قوم مؤمنين " - التوبة / ١٤ -

ادّعوا أنه من بحر الوافر (٣) ، وهذا فاسد من أوجه :-

أحدها :- أنه إنما كانت تكون على هذا التقدير لو زدت فيها ألفا

بتمكين حرف النون من قوله " مؤمنين " فتقول : مؤمنينا

الثاني :- أنها إنما كانت تكون على الروي بإشباع حركة الميم في

قوله : " ويخزهم " وإذا دخل عليه التغير لم يكن قرآنا وإنا

قُرئ على وجه لم يكن شعرا ،

ومنها قوله تعالى : " ودانية عليهم ظلالها و ذلت قطوفها تذليلا "

و هذا موضوع على وزن الكامل (٤) من وجه و على روي الرجز (٥) من

وجه آخر، وهذا فاسد لأن من قرأ عليهم " باسكان الميم يكون على وزن

فعولن، وليس في بحر الكامل ولا في بحر الرجز فعولن بحال ، ومن

(١) أحكام القرآن / ٤ / ١٦١٢ ، وأنظر اعجاز القرآن للباقلاني ٥١ - ٥٤

والبرهان للزركشي ج ٢ / ١١٤

(٢) بحر المتقارب : ٠٠ أحد البحور الثمانية التفاعيل وهو كالتالي

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

العروض / ٢١٠

(٣) بحر الوافر : من بحور الشعر الغنائى وهو كالتالى :

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن

العروض / ٤٤٦

(٤) بحر الكامل :- أحد البحور الشعرية وهو كالتالى :

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن ، العروض / ٤٢٢

(٥) تقدم تفسير معنى الرجز قريبا .

ومن أشبع حركة الميم فلا يكون بيتا إلا باسقاط الواو من  
دانية ، و اذا حُذفت الواو بطل نظم القرآن ،

ومنها قوله تعالى : " ووضعتنا عنك وزرك ، الذى أنقض ظهرك ، ورفعنا  
لك ذكرك . " - الانشراح / ٢ - ٤ -

زعموا - أرغمهم الله - أنها من بحر الرمل<sup>(١)</sup> وأنها ثلاث أبيات  
كل بيت منها على مصراع وهو من مجزوه على فاعلات فاعلات ، ويقوم فيها  
فاعلات مقامه ، فيقال لهم : ما جاء فى ديوان العرب بيت من الرمل  
على جزئين وإنما جاء على ستة أجزاء تامة كلها : فاعلات أو فاعلات  
أو على أربعة أجزاء كلها : فاعلات أو فاعلات ، فأما على جزأين كلاهما  
فاعلات فاعلات فلم يرد قط فيها ، و كلامهم هنا يقتضى أن تكون كل  
واحدة من هذه الآيات على وزن بعض بيت ، وهذا مما لا نُنكره<sup>(٢)</sup>  
وإنما ننكر أن تكون آية تامة ، أو كلام تام من القرآن على وزن  
بيت تام من الشعر ،

ومنها قوله تعالى : " رأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع  
اليتيم " - الماعون / ١ - ٢ -

وهذا باطل<sup>(٣)</sup> ، لأن الآية لاتقع فى أقوال الشعراء إلا بحذف اللام من  
قوله فذلك " وبتمكن حركة الميم من اليتيم " ، فيكون اليتيما .  
انتهى بتصرف قليل

قلت فهذه الأمثلة التى تقدم ذكرها تبين لنا بوضوح تلبيس الملاحدة  
ومكرهم وكيف أنهم يزيدون فى الآيات أو يُنقصون منها حتى ينتظم  
لهم ما أرادوا من ادعاء الشعر

وما تقدم هو رد تفصيلى لبعض الأمثلة تدلك على الباقى من  
افتراءات الملاحدة وإليك الرد الاجمالي :-

---

(١) بحر الرمل :- من البحور ذات الصفة الرجزية الغنائية وهو كالتالى  
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

العروض / ٢٦٥

(٢) سوف يأتى فى الرد الاجمالي بيان ذلك

(٣) أى ادعائهم أن الآيات من بحر الخفيف الذى تفعيلته

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

العروض / ٢٨٢

وقد ضمن أبو نواس

هذه الآيات فى شعره بعدما زاده فيها ونقص وقال :

أرأيت الذى يكذب بالدي ن فذاك الذى يدع اليتيما

قلت : وأى قرآن اقتبسه شاعر فهو هكذا لابد له من التغيير فيه نأيا بلفظ

القرآن أن يكون شعرا أنظر اعجاز القرآن للباقلانى/٥٢هـ

- والجواب الاجمالي قد تكفل به الامام الباقر (عليه السلام) رحمه الله فقال (١) :  
" إنَّ الفصحاء منهم حين أُورِد عليهم القرآن لو كانوا يعتقدونه شعرا  
ولم يروه خارجا عن أساليب كلامهم لبادروا الى معارضته لأنَّ الشعر  
مُسَخَّر لهم فسهل عليهم ، فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك ولا عولوا عليه  
عُلِمَ أنهم لم يعتقدوا فيه شيئا مما يقدره الضعفاء في الصنعة  
والمُرمدون في هذا الشأن ، وإنَّ استدراك من يجيء الآن على فصحاء  
قريش وشعراء العرب قاداته في ذلك الزمان وبلغائهم وخطابهم ، وزعمه  
بأنه قد ظفر بشعر في القرآن وقد ذهب أولئك النفر عنه وخفى  
عليهم مع شدة حاجتهم عندهم الى الطعن في القرآن والغف منه  
والتوصل الى تكذيبه بكل ما قدروا عليه ، فلن يجوز أن يخفى على  
أولئك وأن يجهلوه ، ويعرفه من جاء الآن وهو بالجهل حقيقا ،  
اذا كان كذلك علم أن الذي أجاب به العلماء عن هذا السؤال سديد  
وهو أنهم قالوا : إنَّ البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعرا (٢)  
وأقل الشعر بيتان فصاعدا ، والى ذلك ذهب أكثر أهل صناعة  
العربية من أهل الاسلام ، وقالوا أيضا : إنَّ ما كان على وزن بيتين  
الا أنه يختلف وزنهما او قافيتهما فليس بشعر ،  
ثم يقولون : ان الشعر انما يُطلق متى قصد القاصد اليه على الطريق  
الذي يُتعمد ويُسلك ، ولا يصح أن يتفق مثله الا من الشعراء ، دون  
ما يستوي فيه العاوي والجاهل والعالم بالشعر واللسان وتصرفه  
وما يتفق من كل واحد فليس يكتسب اسم الشعر ولا صاحبه اسم  
شاعر ، لأنه لو صح أن يُسمّى كل من اعترض في كلامه ألفاظ تتزن  
بوزن الشعر أو تنتظم انتظام بعض الأعراب كان الناس كلهم شعراء  
لأن كل متكلم لا ينفك من أن يعرض في جملة كلام كثير يقوله ما قد  
يتزن بوزن الشعر وينتظم بانتظامه  
ألا ترى أن العاصم قد يقول : لصاحبه : " أغلق الباب وأتني بالطعام "  
ويقول الرجل لأصحابه : " أكرموا من لقيتم من تميم " ؟ ومتى تتبع  
الانسان هذا النحو عرف أنه يكثر في تضاعيف الكلام مثله وأكثر منه "  
انتهى المراد

---

(١) إعجاز القرآن / ٥٣ بحذف بعض الفقرات ،  
وانظر : أحكام القرآن / لابن العربي ٤ / ١٦١٢  
قرطبي ١٥ / ٥٢ لرازي ٢٦ / ١٠٥ روح المعاني / ٢٣ / ٤٦  
(٢) تقدم في كلام ابن العربي قوله : " وانما ننكر آية تامة أو كلام تام من القرآن  
على وزن بيت تام من الشعر "

وقال الجاحظ<sup>(١)</sup> حول هذا المعنى :- " ويدخل على من طعن فسى قوله : " تبث يدا أبي لهب " وزعم أنه شعر لأنه فى تقدير مستفعلن مفاعلين<sup>(٢)</sup> فيقال له : إعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل " مستفعلن مستفعلن " كثيرا ، و"مستفعلن مفاعلين" وليس أحد فى الأرض يجعل ذلك المقدار شعرا ، ولو أن رجلا من الباعة صاح : من يشتري باذنجان ؟ لقد كان تكلم بكلام فى وزن "مستفعلن مفعولات " وكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يقصد الى الشعر ، ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيا فى جميع الكلام واذا جاء المقدار الذى يعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد اليها كان ذلك شعرا . انتهى

قلت : فمن هذا الذى تقدم يتبين حقيقة قوله تعالى :  
" وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو الا ذكر وقرآن مبين " (٣)  
وأن القول بأن القرآن فيه ما يشبه أوزان الشعر قول بلا علم لا يصدر عن عالم بالعربية وبلاغتها والشعر وفنونه ، كذلك لا يصدر عن مؤمن بالله ورسوله حيث يقول الله تعالى :

" وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون "  
قال الفيروزبَادى<sup>(٤)</sup> : " خُصَّ ذكر الشعر بقوله " ما تؤمنون " لأن من قال القرآن شعر ومحمد شاعر بعدما عَلم اختلاف آيات القرآن فى الطول والقصر واختلاف حروف مقاطعه ، فلكفره وقلة إيمانه فإن الشعر كلام موزون مُقفى وخُصَّ ذكر الكهانة بقوله " ماتذكرون " (٥) لأن من ذهب الى أن القرآن كهانة وأن محمدا كاهن فهو زاهل عن ذكر كلام الكهّان فانه أسجاع لا معانى تحتها وأوضاع تنبو الطباع عنها ولا يكون فى كلامهم ذكر الله " ١٠ هـ

(١) البيان والتبيين / ١ / ٢٨٨ تحقيق عبد السلام هارون ط : ٢

وأنظر تفسير الرازى ٢٦ / ١٠٥

(٢) تفعيلة البحر السريع : " مستفعلن مستفعلن فاعلين ..... "  
ومفاعلين من بدائل مستفعلن فى هذا البحر

العروض / ٥٩٩

(٣) يس / ٦٩

(٤) بصائر نوى التمييز ج ١ / ٤٧٩

(٥) اشارة الى قوله تعالى : " وما هو بقول كاهن قليلا ما تذكرون "  
الحاقة / ٤٣



قلت : فالذى يتحصل أن التفاعيل العروضية لا يعنى وجودها وجود الشعر أبداً، فهى كالحروف لا يعنى وجودها وجود الكلام العبارات ذات المعانى المفهومة ، فالتفعيلات العروضية لا بُدَّ لها من هيئة مرسومة لدى الشعراء من تناسق ووزن وقوافى ، والشعر لا تنجلي شخصيته بالشرط الواحد ولا بالبيت الواحد ولا بالأبيات المتناثرة المتقطعة ، بل له حدود وأوصاف تتحقق بها شخصيته ويتبين بها شكله وموضوعه فهو قواف منظومة على هيئة أبيات ، مؤلف كل بيت منها من مصراعين متكافئين ، بمقادير إيقاعية ويقال لمجموع تلك الأبيات قصيدة ، ويجب أن تكون القصيدة من بحر واحد ووزن واحد وليس من أوزان شتى، أما ما جاء في كلام الله على وفاق التفعيلات فليس بشعر لما تقدم ولأن النثر على اختلاف أنماطه ونماذجيه فيه الكثير مما يوزن بالتفعيلات ولا يسمّى ذلك شعر ، كما أن الكفار الذين نسبوا الرسول للشعر أرادوا به أكثر من معنى، ابتغاء التهوين من أمره وأمر شريعته . والعرب أنفسهم لم يواجهوا الرسول صلى الله عليه وسلم بنماذج من القرآن مما يبدو فيه الشكل الشعري ليتحدوا رده عليهم بنفى الشعر عن الرسول وعن كتاب الله لأن ذلك لم يكن موضع بحث أصلاً (١)

---

(١) أنظر : العروض للشيخ جلال الحنفي ص ٦٠٢ - ٦٠٩ .

(٥) توهم الاختلاف بين آيات اثبات النسخ وآيات حفظ القرآن من التبديل والتغيير قال الله تعالى: " ما ننسخ من آية أو ننسها نأتريخيراً منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير " - البقرة / ١٠٦ -

وقال: " واذنا بننا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ، قل نزلناه روح القدس من ربك بالحق " - النحل / ١٠١ -

هاتان الآيتان يوهم ظاهرهما التعارض مع قوله تعالى: " واذنا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا آتت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله ممن تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إليّ " - يونس / ١٤ -

وكذلك قوله تعالى: " اتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ... " - الكهف / ٢٧ -

وظاهر من الآيات التوافق وأن النسخ والتبديل المثبت غير التبديل المنفى إذ أن التبديل المنفى هو تبديل الرسول أو غيره لشيء من القرآن لأن المبدل والناسخ هو الله وليس ذلك لأحد غيره فالله قد حفظ كتابه من أن تمتد إليه يد التبديل والتغيير لأنه الكتاب الخالد الذى شاء الله له أن يكون كتاب البشرية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها هذا وقد استبعد قوم ممن ينتسبون الى الاسلام النسخ فى القرآن واعتبروه مناقضاً لقوله تعالى: " لا مبدل لكلماته " فهذا المبحث رد على مقالته هذه وكذلك لدحض افتراءات أعداء الاسلام الذين يجهلون معانى آيات القرآن ويظنون أنها متعارضة بسبب عدم تدبرهم لكتاب الله .

إذا عرف ذلك فقد قال بعضهم (١): " وإخبار القرآن هنا بأنه لا مبدل لكلمات الله يضع مسألة النسخ فى القرآن موضع المراجعة وإعادة النظر فيما قيل فى النسخ " ١٠ هـ

وقال البعض الآخر (٢): " إن آية " ما ننسخ من آية أو ننسها ... " جاء سياقها فى الحديث عن اليهود والتوراة وأن معناها: هو نسخ القرآن للتوراة ، وقد أنكر هذا البعض نسخ الآيات بالآيات فى القرآن

(١) هو الدكتور محمد البهي فى تفسيره سورة الكهف ص / ١٧

(٢) هو الدكتور أحمد حجازى السقا فى كتابه: " لانسخ فى القرآن " ص : ١٩

اتباعا لأبي مسلم الأصفهاني

ودفعا لأقوال هؤلاء وغيرهم أقول وبالله التوفيق :

إن الآيتين الأوليين : " ما ننسخ من آية ... "

وقوله تعالى : " وإنا بدلنا آية مكان آية ....."

قد نزلتا بشأن نسخ آي القرآن ببعضه للأسباب والحكم التي ذكرتها

في التمهيد في مبحث النسخ

فقوله تعالى : " ما ننسخ من آية أو ننسها ... " أخرج ابن أبي حاتم (١)

من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كان ربما ينزل

الوحي على النبي - صلى الله عليه وسلم - بالليل ونسيه بالنهار ، فأنزل

الله : " ما ننسخ من آية أو ننسها ... الآية " ١٠١ هـ - ص / ٣٢ - (٢)

وذكر الواحدوى في أسباب النزول : أن المشركين قالوا ألا ترون إلى

محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه ، ويقول

اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما هنا القرآن الا كلام محمد يقوله

من تلقاء نفسه وهو كلام يناقض بعضه بعضا فأنزل الله تعالى :

" وإنا بدلنا آية مكان آية ....." الآية

وأنزل أيضا " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ... " أو

هذا بالنسبة لسبب النزول :

أما سياق الآيات فهو للرد على أهل الكتاب والمشركين معا

الذين يقولون: إن هذا القرآن من عند محمد ، فهي لتبكيك المشركين

واليهود في حسدهم لما ينزل من خير الوحي على رسول الله حيث

كان اليهود يتخذون من نسخ بعض الأوامر والتكاليف ذريعة للتشكيك في

مصدر هذه الأوامر والتكاليف و يقولون : لو كانت من عند الله ما

نُسخت ولا صدر أمر جبريل يلغى أو يعدل أمرا سابقا ،

واشتدت هذه الحملة عند تحويل القبلة من بيت المقدس قبله اليهود

إلى الكعبة فنزل القرآن يبين للمسلمين أن نسخ بعض الأوامر والآيات

يتبع حكمة الله الذي يختار الأحسن لعباده ويعلم ما يصلح لهم

في كل موقف وينبهم في الوقت ذاته أن هدف اليهود هو ردهم كفارا

بعد إيمانهم حسدا من عند أنفسهم على اختيار الله لهم واختصاصهم

برحمته و فضله . (٢)

(١) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص : ٢٤

(٢) ص / ٣٢ وأنظر تفسير الرازي ٣ / ٢٢٦

(٣) في ظلال القرآن ج ١ / ٩٩ - ١٠٠ بتصرف

كما قال تعالى قبلها : " ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن يُنزلَ عليكم من خير من ربكم " - البقرة / ١٠٥ -  
فجاءت آية " ما ننسخ ... لبيان أن الله تعالى يأتي بالآيات و إذا أغاضكم ذلك ننسخ منها ما شئنا ونأتى بخير منها أو مثلها أيضا فموتوا بغيظكم ذلك أن الله على كل شيء قدير يقول الامام برهان الدين البقاعي (١) :

" ولما حرم سبحانه قولهم " راعنا " بعد حله وكان ذلك من باب النسخ وكان اليهود يرون أن دينهم لا يُنسخ ، فكان النسخ لذلك من مطاعنهم في هذا الدين وفي كون هذا الكتاب هدى للمتقين ، لأنه على زعمهم لا يجوز على الله .... لما كان ذلك قال تعالى جوابا عن طعنهم سابقا له في مظهر العظمة معلما أنه قد ألبس العرب المحسودين ما كان قد زين به أهل الكتاب دهورا فابتذلوه وندسوا محياه ، وردلوه و غيروه وبدلوه ، إشاره الى أن الحسد لكونه اعتراضا على المنعم يكون سببا للباس المحسود ثوب الحاسد " ١٠١ هـ ثم بكتهم الله على أسئلتهم التعجيزية والتي يضاهائون بها أهل الكتاب في قوله تعالى بعدها : " أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ... " - البقرة / ١٠٨ -

وهذا مما يدل أن سياق آية " ما ننسخ ... " جاء في الرد على المشركين واليهود في طعنهم في النسخ في القرآن ، وليس المراد بها : ما ننسخ من شريعة ... وكيف يصح ذلك مع قوله تعالى : " أو ننسها " و هل الشريعة تنسى بأكملها ؟ أو تؤخر بأكملها على قراءة " نساها " هذا مع اتفاق المسلمين أن المراد بالآية نسخ القرآن بالقرآن

وكذلك فإن قوله تعالى : " وإذا بدلنا آية مكان آية ... " جاء سياقها في الرد على المشركين يتضح ذلك من خلال قراءة السياق حيث قال تعالى بعدها : - " ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين " - النحل / ١٠٣ ودلالة الآية صريحة على النسخ وإلا فما معنى التبديل هنا .

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآتي والسور ج ٢ / ٩٠ - ٩١

وليس الغرض من هذا المبحث إثبات وقوع النسخ في القرآن (١) وإنما القصد بيان عدم التعارض والاختلاف بين الآيات السالف ذكرها وأن الذين ينفون النسخ في القرآن يقولون بلا علم ويذهلون عن الآيات التي تتحدث عن النسخ وعن سياقها وسبب نزولها ، أما قوله تعالى : " قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى ..... " - يونس / ١٥ - فقد نزلت (٢) لما قال المشركون : أنت بقرآن غير هذا ليس فيه ما نستبعده من البعث وتوابعه أو ما نكرهه من ثم آلهتنا والوعيد على عبادتها ، أو بدله بأن تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى " قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى " أى من جهتي ومن عندى فإله تعالى هو الذى يبدل ما شاء بما شاء " إن اتبع الا ما يوحى الى " من غير تغيير له فى شي أصلا فهو سبحانه الذى ينسخ ما يشاء ويبدل ما يشاء وليس النسخ والتبديل فى القرآن للرسول ولا لأحد من خلقه كما قال تعالى : " ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين " - الحاقة / ٤٤ - ٤٧ -

فلاحظ أن الآية ليس فيها أى حجة لمن نفى النسخ عن القرآن لأن نفي التبديل منصب على التبديل من تلقاء نفس الرسول أو غيره كما هو نص الآية (٣)

وقوله تعالى : " لا مُبَدَّل لكلماته ... " - الكهف / ٢٧ - يفيد نفس المعنى : أى لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها غيره أما هو سبحانه فقدرته شامله لكل شيء يمحو ما يشاء ويثبت (٤) فالتبديل المثبت هو لله تعالى والمنفي هو تبديل خلقه وأما تفسير منكرى النسخ للباطل فى قوله تعالى : " لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " - فصلت / ٤٢ - على أنه نال على منع النسخ لأن التغيير فيه نوع من الباطل وقد نفى الله عن القرآن كل أنواع الباطل ، فمردود بما قاله المفسرون

---

(١) راجع التهديد فى هذه الرسالة مبحث النسخ  
وأنظر أيضا تفسير الرازى ج ٢ / ٢٢٧ - ٢٣١ حيث توسع فى اثبات النسخ  
(٢) أسباب النزول للواحدوى / ٢٢٧ .  
(٣) أنظر : روح المعانى ج ١١ / ٨٤ . تفسير الرازى ج ٤ / ٥٤٩  
(٤) روح المعانى ١٥ / ٢٥٧ .  
وأنظر : كتاب " رد مفتريات على الاسلام للدكتور عبد الجليل شلبي  
ص ٦٧ - ٦٨ .

لأن الباطل في الآية هو ما خالف الحق، والنسخ حق، ومعنى الآية : أن عقائد القرآن موافقة للعقل وأحكامه، مسايرة للحكمة، وأخباره مطابقة للواقع، وألفاظه محفوظة من التغيير والتبديل، ولا يمكن أن يتطرق إلى ساحته الخطأ بأي حال فعنه الآية بهذا المعنى أدل على إثبات النسخ ووقوعه منها إلى نفيه وامتناعه، لأن النسخ تصرف إلهي حكيم تقتضيه الحكمة وترتبط به المصلحة كما تقدم (١)

وهذا الذي تقدم هو رد على ما احتج به أبو مسلم الأصفهاني كما نقل عنه وعلى من حذا حذوه

وقد دافع بعض العلماء عن أبي مسلم بأنه لم ينفى النسخ في القرآن ولكنه يتحاشى أن يُسميه باسمه، ويسميه تخصيصاً اتقاء من تهجم الضالين والمنكرين لوقوع النسخ وتأثراً بما ذكرته سابقاً من قوله تعالى : " لا تبدل لكلمات الله ... " الآية

وقوله تعالى : " لا يأتيه الباطل من بين يديه ... " الآية

وقد أجاب عن ذلك الشيخ الزرقاني بما فيه الشفاء فقال (٢) " إن أبا مسلم على فرض أن خلافه مع الجمهور لفظي لا يعدو حدود التسمية نأخذ عليه أنه أساء الأدب مع الله في تحمسه لرأي قائم على تحاشي لفظ اختاره جلت حكمته ودافع عن معناه بمثل قوله تعالى :

" ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير " . هـ

(١) الرازي ١٠٤ / ٢ ، الإحكام للآمدي ١٠٦ / ٣ ،

مناهل العرفان ١٠٣ / ٢

(٢) مناهل العرفان ١٠٤ / ٢ ، وانظر الرازي ٢ / ٢٢٩

(٦) توهم وجود ألفاظ غير عربية في القرآن

يقول الله تعالى : " إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " - الزخرف / ٢ -  
ويَقُولُ اللهُ تَعَالَى : " إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " - يوسف / ٢ -  
ويقول تعالى : " ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته  
أعجمي وعربي " - فصلت / ١٤ -  
ويقول تعالى : " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه " - إبراهيم / ٤ -  
فهذه الآيات من كتاب الله نص صريح على عريضة القرآن وأنه  
يخلو من الألفاظ الأعجمية

ومع ذلك فقد قيل في بعض كلمات القرآن إنها مُعَرَّبَةٌ أي أعجمية  
الأصل وهذا القول في ظاهره يُعارض النصوص القطعية الصريحة في  
خلو القرآن من اللفظ الأعجمي  
ومن الكلمات التي قيل فيها ذلك كلمة سندس وإستبرق قيل إنهما  
فارسيان وهما رقيق الديباج و غليظه  
والسجل : الكتاب بالفارسية  
والطور : جبل بالسريانية  
والرقيم : اللوح بالرومية  
والمشكاه : الكوة بالحبشية  
واليسم : البحر بالقبطية  
وممن روى عنه القول بذلك : ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والسدي  
وغيرهم من السلف<sup>(١)</sup> وقد اختار هذا القول - وهو وجود المعرب<sup>(٢)</sup>  
في القرآن -

---

(١) تفسير الطبري / المقدمة ج ١ / ص ١٢ - ١٤ تحقيق محمود شاكر  
الدر المنثور : ج ٤ / ٥٠٢ ، البرهان للزركشي ج ١ / ٢٨٨ ، الاتقان ١ / ١٣٥  
النكت والعيون للماوردي ج ٢ / ٤٦٧ ، ٢٥٨ ، زاد المسير ٤ / ١٧٨  
المزهر للسيوطي : ج ١ / ٢٦٨ ، الطاحبي لابن فارس ص ٦٠ - ٦١  
تفسير الفخر للرازي ج ٢٩ / ١٢٧ سورة الرحمن

(٢) قال الجوهري في الصحاح : " ج ١ / ١٧٩ مادة عرب " وتعريب الاسم الأعجمي : أن  
تتفوه به العرب على منهاجا تقول : عربته العرب وأعربته أيضا  
وأنظر المزهر / ١ / ٢٦٨  
وقال الجواليقي (العرب ص : ٦) : " فالعرب اجترأوا على تغيير الأسماء  
الأعجمية وبدلوا الحروف التي ليست من حروفهم بحروف قريبة المخرج منها  
وربما غيروا البناء من الكلام الفارسي وجعلوه على أبنية اللغة العربية

- جماعة من العلماء منهم ابن عطية<sup>(١)</sup> ، والسيوطي<sup>(٢)</sup> ونقله عن الجويني وأبو عبيد القاسم بن سلام<sup>(٣)</sup> وهؤلاء الذين قالوا بذلك علّوا رأيهم بأمر تبدو في الظاهر بأنها مقنعة لكنها عند التحميم يبين ضعفها وعدم صحتها وذلك لأنها أولا وقبل كل شيء تعارض النص القاطع المريح "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" - يوسف / ٢ -

والضمير في أنزلناه راجع الى جميع ألفاظه لفظا لفظا لأنها جميعها منزلة كذلك .  
وسوف أبدأ ببيان أقوالهم في ذلك وحججهم وتعليقهم لذلك ثم أعقب ذلك بأقوال الجمهور من العلماء الذين أنكروا مقالة وجود المعرب في كتاب الله

قال ابن عطية<sup>(٤)</sup> : " كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لعائر الألسنة بتجارات وبرحلتى قريش وكسفر مسافر ، ابن أبي عمرو الى الشام وسفر عمر بن الخطاب ، وكسفر عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد الى أرض الحبشة ..... فعلقت العرب بهذا كله ألفاظا عجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت في تخفيف ثقل العجمة ، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصح ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرآن ، فإن جهلها عربي ما فكجهلها في لغة غيره ، وكما لم يعرف ابن عباس معنى فاطر الى غير ذلك ، فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية لكن استعملتها العرب وعربت بها في عربية بهذا الوجه " . ٥٠١ هـ

ونقل السيوطي عن الجويني قوله<sup>(٥)</sup> : وهناك حكمة أخرى لاستعمال هذه الألفاظ المعربة ، ونضرب مثلا كلمة الاستبرق : وهو أن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ولم يكن لهم بها عهد ، ولا وضع في اللغة العربية للديباج الثخين اسم ، وإنما عربوا ما سمعوا

(١) أنظر تفسيره المسمى : المحرر الوجيز ، تحقيق أحمد صادق الملاح ج ١ / ٦٩ والبرهان ج ١ / ٢٨٩ .

(٢) الاثقان للسيوطي ج ١ / ١٣٦ .

(٣) الصاحبى في فقه اللغة لابن فارس ص ٦٠ - ٦١

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / ج ١ / ٢٠

وأنظر البرهان ج ١ / ٢٨٩

(٥) الاثقان / ج ١ / ١٣٧



من العجم واستغنوا به عن الوضع لقلّة وجوده عندهم وندرة  
تلفظهم به " ١٠١ هـ

وقال ابن الجوزي في زاد المسير<sup>(١)</sup> وقرأت على شيخنا أبي منصور  
اللغوي قال : قال أبو عبيد<sup>(٢)</sup> : " وكلاهما مصيب إن شاء الله ، وذلك  
أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأمل ، فقال أولئك على الأمل  
ثم لفظت به العرب بالسنتها فعربته فمار عربيا بتعريبها إياه ،  
فهى عربية في هذه الحالة أعجبية الأمل فهذا القول يصدق الفريقين  
جميعا " ١٠١ هـ

ثم أنهم قالوا : إن استعمال القرآن لهذه الألفاظ التي اقتبسوها  
من لغات بعض الأمم بسبب الخلطة بما يلائم فطرتهم و مناهجهم اللغوية  
هو من بلافة القرآن حيث صارت هذه الكلمات المعربة من كلام العرب  
وأساليبهم في البلافة ، وهذا من دلائل الإعجاز ، حيث لم يترك  
القرآن منهجا أو أسلوبا أو تركيبا يسلكه العرب في حوارهم وكلامهم  
إلا سلكه القرآن إمعانا في التحدى وبيانا من الله تعالى أن هذا  
القرآن بلسان عربي مبين .<sup>(٣)</sup>

واحتجوا أيضا بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث إلى كافة  
فيجب أن يكون في الكتاب المنزل عليه لسان كافة<sup>(٤)</sup>  
وأجيب عن ذلك :- بأنه يجب أن يكون فيه على قولكم جميع اللغات  
من التركية والزنجية وأصناف الفارسية وبقية الشعوب والأمر بخلاف  
ذلك ، كما أن هذه الكلمات القليلة التي قيل فيها إنها معربة لا يحصل  
بها بيان ولا يحصل بها تبليغ حتى يقال إنها للناس كافة كما أنه  
إذا عجز العرب أهل الفصاحة والبيان عن مثل القرآن فغيرهم  
أعجز فثبت صدقه في حق الجميع<sup>(٥)</sup>

---

(١) زاد المسير ج ٤ / ١٧٨ ، وأنظر البرهان ١ / ٢٩٠ ، والصاحبي / ٦١  
(٢) أبو عبيد هو القاسم بن سلام ، وهو هنا يردّ على شيخه أبو عبيدة معمر بن  
المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ والذي شنع على من قال بوجود المعرب في  
القرآن كما سيأتي قريبا

(٣) مجلة كلية الشريعة عدد ٢  
مبحث نقاء القرآن الكريم من الكلام الأعجمي ص ٢٠٢

د . حسن عتر .

(٤) الاتقان ١ / ١٢٧

(٥) التمهيد في أصول الفقه ٢ / ٢٨٠

كما أنهم أجابوا عن قوله تعالى " قرآنا عربيا " بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تُخرجه عن كونه عربيا

وعن قوله تعالى : " أعجمي وعربي " بأن المعنى من السياق : أكلام أعجمي و مخاطب عربي

واستدلوا باتفاق النجاة على منع صرف نحو : " ابراهيم " للعلمية والعجمية وقالوا : بأن الاعلام وإن كانت ليست محل خلاف إلا أنه اذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس (٢)

قال الفخر الرازي (١) عند تفسيره لكلمة استبرق : " والجواب الحق أن اللفظة في أصلها لم تكن بين العرب بلغه وليس المراد أنه أنزل بلغته هي في أصل وضعها على لسان العرب ، بل المراد أنه منزل بلسان لا يخفي معناه على أحد من العرب ، ولم يستعمل فيه لغة لم تتكلم العرب بها فيصعب عليهم مثله لعدم مطاوعة لسانهم بها فعجزهم عن مثله ليس إلا لمعجز . "

هذا وقد أنكر جمهور العلماء وقوع المعرب في القرآن وفي مقدمتهم الامام الشافعي وأبن جرير الطبري شيخ المفسرين وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، والقاضي أبو بكر بن الطيب وأبو الحسين بن فارس اللغوي وغيرهم (٣)

واستدلوا على عدم وقوع المعرب في القرآن بوصف القرآن بكونه عربيا ، ولهذا فقد شدد الامام الشافعي النكير على من زعم وقوع ذلك فيه فقال في الرسالة (٤) :-

" ومن جماع علم كتاب الله العلم بأن جميع كتاب الله انما نزل بلسان العرب ..... فالواجب على العالمين أن لا يقولوا الا من حيث علموا وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الامساك أولى به وأقرب من السلامة له ان شاء الله ، فقال منهم قائل : إن في القرآن عربيا وعجميا - والقرآن ينزل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب - ووجد قائل هذا القول ممن

(١) تفسير الرازي ٢٩ / ١٢٧

(٢) الانتقان ١ / ١٣٦

(٣) أنظر : البرهان للزركشي ١ / ٢٨٨ ، تفسير الطبري ج ١ / ص ١٤ من مقدمة تفسيره

الرسالة للشافعي ج ١ / ٤٠ - ٥٢ ، الماحبي لابن فارس ص ٥٨ - ٦٢

روح المعاني للاكوسي ج ١٢ / ١١٤

(٤) الرسالة ج ١ / ٤٠ - ٥٢

قبل ذلك منه تقليدا له وتركنا للمسألة له عن حجته ومسألة غيره ممن خالفه ، وبالتقليد أغفل مَنْ أغفل منهم والله يغفر لنا ولهم ، ولعل من قال إن في القرآن غير لسان العرب وقيل ذلك منه : ذهب الى أن من القرآن خاصا يجهل بعضه بعض العرب ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرهم ألفاظا ولا نعلمه يحيط بجميع علمه انسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه ٠٠٠٠ فإن قال قائل :- ما الحجة في أن كتاب الله محض بلسان العرب لا يخلطه فيه غيره

فالحجة فيه كتاب الله، قال الله : " وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه " - ابراهيم / ٤ -

وقال : " وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى و ممن حولها " . - الشورى - ٧ -

وقال : " قرآنا عربيا غير ذي عوج " - الزمر / ٢٨ -  
فأقام حجته بأنه كتاب عربي في كل آية ذكرناها ثم أكد ذلك بأن نفس عنه - جل ثناؤه - كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه ، فقال تبارك وتعالى : " ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين " - النحل / ١٠٢ -  
وقال : " ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فُصِّلَت آياته لأعجمي وعربي " . ٥٠١ هـ - فصلت / ٤٤ -

وقد استنكر أبو عبيدة معمر بن المثنى<sup>(١)</sup> دعوى وجود غير العربية في القرآن فقال : " إنما نزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ، ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول " .

قال ابن فارس<sup>(٢)</sup> تعقبا على قول أبي عبيدة هذا : " ومعناه أتى بأمر عظيم وكبير وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الاثيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها وفي ذلك ما فيه " . ٥٠١ هـ  
وقال القاضي عبد الجبار المعتزلي<sup>(٣)</sup> : " ان كتاب الله تعالى وصف بأنه عربي فما يوجد فيه يجب أن يُعلم أنه لغة إما حقيقة وإما مجازا، وانا كنا نقبل ذلك عتي ورد به شعر منظوم أو كلام منشور فلأن يلزم ذلك لما ذكرنا أولى " . ٥٠١ هـ

(١) انظر : الماحبي لابن فارس / ٥٩ ، البرهان للزركشي ج ١ / ٢٨٨

(٢) الماحبي ص ٦٢ وأنظر البرهان ج ١ / ٢٨٨

(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن / ص :-

قلت : ومن حجة الجمهور الذين أنكروا وقوع المُعَرَّب في القرآن أن كل تلك الألفاظ عربية صرفة، ولكن لغة العرب متسعة جدا ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الأجلة، وقد خفي على ابن عباس معنى فاطر وغيرها (١) ومن هنا قال الشافعي في الرسالة (٢) لا يحيط بجميع علم لسان العرب انسان غير نبي " ولهذا فقد أخرج ابن جرير بسند صحيح (٣) عن أبي ميسرة التابعي الجليل قوله : " في القرآن من كل لسان " قلت : أي من ألسنة العرب (٤) أما استدلال السيوطي في الاتقان (٥) بظاهر كلام أبي ميسرة على أنه أراد من كل لسان من ألسنة الأمم فهو غير مقبول لأنه يحتمل غير ذلك مثلما فسّره ابن جرير في مقدمة تفسيره (٦) : " بأنه فيه من كل لسان اتفق فيه لفظ العرب ولفظ غيرها من الأمم التي تنطق به " ، كما أنه يحتمل ما فسّره به وهو الذي أرجحه لما في القرآن من ألسنة القبائل العربية غير قريش (٧) ولما سوف يأتي من تفسير ما توهم بأنه مُعَرَّب في القرآن . وقال القرطبي (٨) تأييدا لما تقدم من عدم وقوع المُعَرَّب في القرآن " ولو جعلناه قرآنا أعجميا ... : أي بلغة غير العرب " لقالوا لولا فصلت آياته " أي بُينت فإننا عرب لا نفهم الأعجمية، فبين أنه نزل بلسانهم ليتقرر به معنى الإعجاز إذ هم أعلم الناس بأنواع الكلام نظما ونثرا ، وانا عجزوا عن معارضته كان من أدل الأدلة على أنه من عند الله ولو كان بلسان العجم لقالوا لا علم لنا بهذا اللسان . قلت : وفي كلامه هنا رد على من استدل " بأن وجود المُعَرَّب في القرآن أبلغ في الإعجاز لأنه جاء على وفق مناهج العرب لأنهم استعملوا هذه الألفاظ في محاوراتهم وعلى هذا الحد نزل القرآن " فكلام القرطبي

(١) الدر المنثور :- ج ٢ / ٣

(٢) الرسالة ج ١ / ٤٢

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ، المقدمة ج ١ / ١٣ تحقيق محمود شاكر

وأنظر الاتقان ج ١ / ١٣٦

(٤) أما قول عثمان رضي الله عنه الذي رواه البخاري : " انما نزل القرآن بلغة قريش " فأراد به معظمه وهذا بين .

(٥) أنظر ج ١ / ١٣٦

(٦) تفسير الطبري / المقدمة ج ١ / ١٣ تحقيق محمود شاكر

(٧) أنظر كتاب اللغات في القرآن / لاسماعيل بن عمرو المُقرئ / تحقيق صلاح الدين

المنجد، مطبع القاهرة / مطبعة الرسالة ، وأنظر الاتقان ج ١ / ١٣٣

(٨) تفسير القرطبي ج ٥ / ٢٦٨

يدلنا على أن العرب لو علموا بوجود المعرّب في القرآن لاحتجوا بذلك على أن فيه أعجيبا وهم عرب لنا لا يستطيعون معارضة فلما لم يحتجوا بذلك علم أنهم لم يروا فيه لفظا أعجيبا لنا فان القول بأن وجود المعرّب في القرآن من دلائل الإعجاز ليس بصحيح .  
وحول هذا قال الزركشي<sup>(١)</sup> : " ولو جعلناه قرآنا أعجيبا " .  
يدل على أنه ليس فيه غير العربي ، لأن الله تعالى جعله معجزة العرب العرباء به ، ويحاجز البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة " ١٠ هـ .  
وقد فسّر من أنكر وقوع ما قيل فيه أنه معرّب في القرآن بما فيه الشفاء إن شاء الله ، أما التفسير الأول  
فقد ذكر الطبري<sup>(٢)</sup> وحكي عن أبي عبيد واستصوبه الأزهري وذكره ابن جنبي في الخواص والثعالبي في فقه اللغة<sup>(٣)</sup> من أن هذه الأمثلة المنسوبة الى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تتوارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد " وبهذا فسروا الأخبار المروية عن ابن عباس وغيره ممن نسب اليه القول بوجود بعض الألفاظ الأعجمية في القرآن ، فقد روى ابن جرير الطبري<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما :  
" إن ناشئة الليل " قال بلسان الحبشة ، وانا قام الرجل من الليل قالوا : نشأ ، فذكر الطبري أن هذه الأخبار وأمثالها لا تدل على أن الكلمات المزعومة عجمتها لم تكن كلاما للعرب قبل نزول القرآن فإن نطق الأفاجم بها لا يدل على أن العرب قد اقتبسوها منهم ، ولكن غاية ما يدل عليه ذلك أنها من الكلام الذي تتفق فيه ألفاظ بعض الأمم دون أن تكون إحداها مقتبسة من الأخرى ،  
وقال : " وذلك هو معنى من رويناه عنه القول في الأحرف التي مضت في صدر هذا الباب من نسبة بعضهم بعض ذلك الى لسان الحبشة ، ونسبة بعضهم بعض ذلك الى لسان الفرس ، ونسبة بعضهم بعض ذلك الى

(١) البرهان : ج ١ / ٢٨٢

(٢) تفسير الطبري / المقدمة / ج ١ / ص : ١٤ فما بعدها تحقيق / محمود شاكر

وانظر البرهان ١ / ٢٨٩ صاحب ابن فارس / ص ٢٩

(٣) روح المعاني ١٥ / ٢٧٢ المزهر للسيوطي ج ١ / ٢٦٧ - ٢٦٨

القرطبي ١ / ٦٨ ، اللغات في القرآن / لاسماعيل بن عمرو المقرئ

والخواص لابن جنبي ج ٢ / ٢٨٦ - ط ٢ تحقيق محمد علي النجار

(٤) تفسير الطبري / المقدمة ج ١ / ص ١٣

لسان الروم ، لأن من نسب شيئا الى ما نُسبه اليه لم ينفِر  
بنسبته إياه الى ما نُسبه اليه أن يكون عربيا، ولا من قال منهم  
هو عربي تفني ذلك أن يكون مُستجِحا النسبة الى من هو كلامه من  
سائر أجناس الأمم غيرها ، وانما يكون الاثبات دليلا علي النفسي  
فيما لا يجوز اجتماعه من المعاني كقول القائل : فلان قائم فيكون  
بذلك قوله دالا على أنه غير قاعد و نحو ذلك مما يمتنع اجتماعه  
لتناقضهما، فأما ما جاز اجتماعه فهو خارج من هذا المعنى .....  
فكذلك ما قلنا في الأحرف التي ذكرنا وما أشبهها - غير مستحيل أن  
يكون عربيا بعضها أعجميا ، وحبشيا بعضها عربيا ، إذْ كان موجودا  
استعمال ذلك في كلتا الأمتين ، فناسب ما نسب من ذلك الى إحدى  
الامتين أو كليهما فحق غير مبطل ، ..... وهذا المعنى الذي قلناه  
في ذلك هو معنى قول من قال : (في لقران من كل لسان) - عندنا بمعنى  
والله أعلم : أن فيه من كل لسان اتفق فيه لفظ العرب ولفظ  
غيرها من الأمم التي تنطق به نظير ما وصفنا من القول فيما  
مضى ،

وذلك أنه غير جائز أن يُتوهم على ذي فطرة صحيحة مُقرِّبكتاب  
الله ممن قد قرأ القرآن وعرف حدود الله - أن يعتقد أن بعض  
القران فارسي لا عربي وبعضه نبطي لا عربي وبعضه رومي لا عربي  
وبعضه حبشي لا عربي ، بعدما أخبر الله تعالى ذكره عنه أنه  
جعل قرآنا عربيا . انتهى المراد .

وقال الشافعي<sup>(١)</sup> : ( فان قال قائل : فقد نجد من العجم من  
ينطق بالشيء من لسان العرب  
فذلك يحتمل ما وصفت من تعلمه منهم ، فان لم يكن ممن تعلمه  
منهم فلا يوجد يُنطق الا بالقليل منه ، ومن نطق بقليل منه فهو تبع  
للعرب فيه ،

ولا ننكر اذا كان اللفظ قيل تعلمنا أو نُطق به موضوعا :- أن  
يوافق لسان العجم أو بعضها قليلا من لسان العرب كما يتفق القليل  
من ألسنة العجم المتباينة في أكثر كلامها مع تنائي ديارها واختلاف  
لسانها وبعد الأواصر بينها وبين من وافقت بعض لسانه منها .

ومن نصر هذا القول القرطبي<sup>(١)</sup> حيث نسب الى ابن قتيبية أنه يقول : إن الاستبرق فارسي معرب ، ثم قال : والصحيح أنه وفاق بين اللغتين اذ ليس في القرآن ما ليس من لغة العرب ،

وقال أبو حيان<sup>(٢)</sup> : " ولا يبعد اتفاق اللغات في لفظة واحسنة فقد وُجد ذلك في كلام العرب مع لغات غيرهم "

وقال ابن الأثير<sup>(٣)</sup> : " عند تفسير قوله : ( هيت لك ) " وهذا وفاق بين لغة قريش وأهل حوران كما اتفقت لغة العرب والروم في القسطاس ، ولغة العرب والفرس في السجيل ( ١ )

وقال أبو الخطاب الحنبلي<sup>(٤)</sup> : ( إن جميع ذلك لغة العرب وانما وافقتها فارس والروم والحبشة فيها ، كما وافقتها في كثير من الكلام كالدواة والمنارة والتنور ..... )

قال : وفي العربية ألفاظ يعرفها بعضهم دون بعض ( ١ ) وقد قام اسماعيل بن عمرو المقرئ بتصنيف كتاب اللغات في القرآن<sup>(٥)</sup> وقد أسند مضمونه الى جهر الأمة ابن عباس ومما قاله في كتابه<sup>(٦)</sup> : " والقران ليس فيه لغة إلا لغة العرب وربما وافقت اللغة اللغات وأما الأمل والجنس فعربي لا يخالطه شيء "

وقال في تفسيره لكلمة الطور<sup>(٧)</sup> : من قوله تعالى : ( ورفعنا فوقكم الطور ) - البقرة / ٦٣ -  
يعنى الجبل ، وافقت لغة العرب في هذا الحديث لغة السريانية (

وقال<sup>(٨)</sup> : ( نمرهن اليك ) - البقرة / ٢٦٠ -  
يعني فقطعنن وافقت لغة النبطية

وقال<sup>(٩)</sup> : ( مقاليد السموات والأرض ) - الزمر / ٦٣ -

يعني مفاتيح وافقت لغة الفرس والأبباط والحبشة الى غير ذلك .

(١) تفسير القرطبي ١٠ / ٣٥٧ .

(٢) البحر المحيط ج ٥ / ٢٥٣

(٣) زاد المسير : ج ٤ / ٢٠٣ تفسير الرازي : ١٨ / ١١٣

(٤) التمهيد في أصول الفقه ٢ / ٢٧٨

(٥) بتحقيق صلاح الدين المنجد /

(٦) مقدمة الكتاب

(٧) نفس المصدر ص ٢

(٨) نفس المصدر ص ٢

(٩) نفس المصدر ص ٣

## التفسير الثاني : لما قيل إنه معرب

قال بعض العلماء بأن سبب اشتراك بعض الألفاظ بين العربية وغيرها من اللغات يعود الي الاشتقاق من أصل لغوي واحد قديم، حيث إن اللغة العربية تعتبر أحد اللغات السامية ذات الأصل اللغوي الواحد، ومن اللغات السامية اضافة الى اللغة العربية الكنعانية والحبشية والسريانية والعبرية وغير ذلك .  
فالالفاظ المشتركة بين العربية وغيرها من اللغات السامية ليست ترجع الى التعريب فقط بل غالبها يرجع الى الأصل السامي (١)

ولعل من نسب بعض الكلمات في القرآن إلى بعض اللغات السامية مثل الحبشية والسريانية والعبرية قصد أن هذه الكلمة موجودة أيضا في تلك اللغة ولم يقصد أنها غير عربية .  
ومما يدل على ذلك أن معظم الكلمات التي قيل فيها أنها معربة قيل أنها عسرية أيضا .

قال د . العتر (٢) : فدعوى التعريب لا تصح الا بأدلة قوية تفيد الاشتقاق المباشر وخروج الكلمة من خصائصها العربية - بل تُنسب الى السامية القديمة المتداولة بين الساميين أيام اتصالاتهم وتشابه ظروفهم وتقارب ألسنتهم قبل أن تتفرق وتتميز بسماتها وخصائصها (٣) .

وقال الدكتور محمد تقي الدين الهلالي (٣)  
" وهذه الكلمات الكثيرة المشتركة بين اللغات السامية هي أصيلة في كل واحدة منها ، لا يقال : إن إحداهن أخذتها من الأخرى، وهذا هو الشأن في كل مجموعة من اللغات ، ترجع الى أصل واحد ، كاللغات اللاتينية : كاللغة الإيطالية والاسبانية والفرنسية والرومانية ومجموعة اللغات الجرمانية : كالألمانية والهولندية والفلمنكية والسويدية والنرويجية والدنمركية .  
وضرب الدكتور الهلالي بعض الأمثلة على تقارب اللغتين العربية والعبرية

---

(١) أنظر : مبحث ، نقاء القرآن الكريم من الكلام الأعجمي ، مجلة كلية الشريعة

/ عدد ٢

(٢) نفس المصدر ص ٢٠٠

(٣) مجلة البحوث الاسلامية / العدد الثامن ص ٢١٤

(٤) نفس المصدر ص ٢١٥ - ٢١٦



في كثير من الكلمات لكونهما لغتين ساميتين أصلهما واحد ومن ذلك كلمات البسمة

فاسم : شم بإبدال السين شيئا ، وذلك كثير العبرانية  
والله : ألوهيم

والرحمن : هارحمن - حيث الهاء للتعريف -

وقد قام كاتب يهودى عربى<sup>(١)</sup> بعمل قاموس للكلمات العربية التي لها ما يقابلها في العبرية ، وقد أثبت في كتابه هذا أن أصل اللغتين واحد وأنها قد افترقتا وأن العبرية " نالت ما نالته من عناية وتهذيب وتقويم وثثقيف وإصلاح وترتيب تهش لها الحضارة وييسم لها الدهر و الملأ<sup>(٢)</sup> " إلا أن المصنف المذكور قد تعسف وحاد عن الصواب وادّعى أن العبرية هي الأصل وأن العربية فرع لها واستدل لذلك بما هو أوهى من بيت العنكبوت<sup>(٣)</sup>

وحيث أن الكاتب مجيد للغتين فقد أتى بالكلمات العربية التي لها مقابل في العبرية من حيث اللفظ والمعنى :  
ومن أمثلة ما جاء به :

أن كلمة سلم ، سبت ، سمن ، قسط ، سكن ، سكب ، سبح وغير ذلك مما يشبهه ، هي بالعبرية بالشين والمعنى واحد وكذلك : وعظ ، وقظ ، حفظ ، لحظ ، وما شابه ذلك هي عبريا باللام والمعنى واحد<sup>(٤)</sup>

وكل ذلك يدل على أن هذه اللغات السامية أصلها واحد ثم تشعبت وافترقت وتميزت كل لغة منها ببعض المميزات والخصائص وبقي الكثير من التشابه فيما بينها وكل ذلك إن دل على شيء فإنما يدلنا على شيء واحد وهو أن ما ورد في القرآن مما قيل عنه أنه معرب لا يصح القول به وهو قول ناتج عن عدم العلم باللغات السامية وغيرها وفوق كل ذي علم عليم ،  
والذى أراه أن بعض الكلمات التي قيل فيها إنها معربة مثل ما قيل إنه فارسي لا بد أن تكون الموافقة و التوارد هي سبب

---

(١) هو ( فرج مراد ) مؤلف القاموس المسمى ملتقى اللغتين العبرية والعربية وهو من مجلدين من الحجم المتوسط

(٢) ملتقى اللغتين ج ١ / ١١

(٣) المصدر السابق ج ١ / ص ٢ - ٤

(٤) نفس المصدر ج ١ / ٩ - ١٠

التشابه بين اللغتين لأن العربية والفارسية أصلهما ليس واحد وغير ذلك من اللغات المامية سبب التشابه فيها في بعض الكلمات انما هو لاتحاد الأصل كما تقدم

وهذا الذي تقدم من كون القرآن يخلو من الكلمات المعربة هو الصواب الذي لا يصح غيره كما قال ابن جرير والشافعي عليهما الرحمة ولذلك فان الكلمات التي قيل إنها معربة لاتعارض قوله تعالى :  
( إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون )

لأنها عربية أصيلة ووجودها في القرآن دليل على عربيتها، ومن أشر عنه من السلف لم يقل بأنها عربية - كما قال ابن جرير فيما تقدم بل نسبته إياها الى السريانية أو العبرية أو غير ذلك لا يعنى أنها غير عربية إذ أن هذه الكلمات مما اشتركت فيه اللغات لكون أصلها واحد أو مما اتفقت فيه اللغات اتفاقا عفويا كما تقدم

والذين قالوا بوجود المعرب في القرآن لهم وجهة نظر قد ذكرتها في بداية البحث ، وما قيل إنه معرب كلمات معدودة على الأصابع وقد اختلف فيها أهي معربة أم عربية ، فكل ما قيل فيه إنه معرب قيل إنه عربي أو مما اتفقت عليه اللغات كما أن دعوى أن أصله أعجمي ثم عرب معارضة بمثلها وهو إمكان كون أصله عربيا ثم أعجم في اللغات الأخرى وانظر للمثال :  
كلمة " سجيل " قيل إنها فارسية معربة بينما قال آخرون إنها عربية (١)

وكذلك كلمة " استبرق " وهيت لك (٢) وغيرها .  
وهذه الكلمات التي قيل فيها إنها معربة لا يصح القول بأنها كذلك لا في الأعلام لأن العلم يحكي بلفظه في جميع اللغات .  
أما غير ذلك من الكلام كالأفعال والتراكيب وأسماء الأجناس فلا يصح أبدا أن تكون معربة فمثلا

(١) أنظر : النكت والعيون / ٢ / ٢٢٩ روح المعاني ١٢ / ٢١١

المعرب للجواليقي / ص : ١٨١

المفردات للراغب الأصبهاني ٢٢٤

اللغات في القرآن / ص ٢٩

(٢) أنظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج ٥ / ٢٩٣

كلمة "السجل" (١) : قيل إنها الكتاب بالفارسية، كيف يصح ذلك  
ولها مقابل في اللغة العربية ولم لا يصح أن يكون العرب قد  
وضعوا كلمة سجل وكلمة كتاب لمعنى واحد ، كالأسد والليث موضوعان  
لمعنى واحد

ولا يبعد أن تكون الكلمة موضوعة لهذا المعنى فى اللغتين كما  
تقدم فلا اختلاف ولا تعارض  
وأضرب هنا مثالا لكلمة أخرى نسبت لغير العربية وهى كلمة  
"أخلد"

قال السيوطي في الاتقان\* : قال الواسطي في الإرشاد : أخلد الى  
الأرض : ركن بالعبرانية " انتهى

قال الدكتور الهلالي (٢) : (هذا القول لا يقوله الا جاهل باللغات  
السامية فان أخلد وخذل موجودتان فى اللغتين كلاهما و متفقتان  
فى معانيهما فى الجملة فمن قال إنها عبريتان وليستا عربيتين فقد  
قفا ما لا علم له به ومن قال العكس فهو مثله ولم نر أحدا  
من علماء العربية أشار إلى أن "أخلد" عبرانية كما ادعى هنا  
المدعى .) انتهى

وهذا المثال يؤيد ما قلته من أن التعريب إن صح لا يصح  
إلا فى الاعلام، وغير ذلك مما لمعناه لفظ مقابل فى اللغة العربية  
فلا يصح أبدا أن يكون معربا و لله الحمد أولا وآخرا .

---

(١) أنظر : لسان العرب مادة سجل ج ١١ / ٣٢٦ حيث قال : والسجل كتاب  
العهد ونحوه ، والجمع سجلات ، وقيل السجل الكاتب ، وفى التنزيل  
العزیز : " كطى السجل للكتب " و جاء فى التفسير أن السجل الصحيفة  
التي فيها الكتاب ثم قال : وقيل السجل باللغة الحبشية الرجل ٠٠٠ الخ

(٢) مجلة البحوث الاسلامية ص ٢١٩

### الفصل الثالث : الباحث اللغوية

(١) مبحث في القسم وما فيه من موهب الاختلاف

من المعلوم أن الله سبحانه قد أقسم في القرآن الكريم بنفسه كما أقسم بغيره من مخلوقاته ومظاهر عظمته وقدرته التي أبدعها في هذا الوجود ، حيث أقسم بالزمان كالليل والفجر والضحى والعمر وغيرها ، وأقسم بالمكان السماء والأرض ومواقع النجوم والبلد الأمين مكة وغير ذلك

ومظاهر نعمته ورحمته كالناريات والمرسلات<sup>(١)</sup> والعاديات<sup>(٢)</sup> التي غير ذلك ولله سبحانه أن يخلق بما شاء على ما يشاء ، فهو الخالق والمالك وهو أعلم بأسرار خلقه والنهي عن الحلف بغير الله إنما ورد في حق العباد لأن الحلف بالشيء تعظيم له ، ومن حق المسلم ألا يعظم غير الله كما أن الحلف بغير الله من الشرك

- والغرض من القسم كما هو معلوم تأكيد الخبر وتحقيقه أو إثباته على وجه يُفيد اليقين ، وقد جرت عادة العرب إذا أرادت أن تؤكد أمراً بأبلغ المؤكدات - أن تقسم عليه بما هو عزيز عليها أو بمن هو مقدس عندها وخاصة في العهود والمواثيق التي يخشون نقضها حيث للقسم عندهم حرمة عظيمة ليس من السهل انتهاكها ولهذا كان القسم عندهم قاطعاً في ثبوت الحق أو تأكيد الوعد أو تمديد الخبر

يقول زهير

فان الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء<sup>(٣)</sup>

فما دام الأمر كذلك فان القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب التي من عاداتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً<sup>(٤)</sup> .

كما أن الله سبحانه قد أقسم بمخلوقاته لتشريفها واعلاء شأنها ولفت النظر إليها كآيات ودلائل على عظمة الله وقدرته وإبداعه ورحمته بخلقه و أنها محل للنظر والتفكير<sup>(٥)</sup>

(١) الزاريات والمرسلات : الرياح

(٢) العاديات : هي الخيل التي تعدو

(٣) يعني يمينا أو منافرة الى حاكم يقطع بالبينات ، أو جلاء : أي برهاننا يجلو الحق " الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ / ١٤٠ تحقيق : أحمد شاکر

(٤) الاثقان ١٣٣ / ٢

(٥) القسم بالمخلوقات ، د. نبيه حجاب ، مجلة كلية الشريعة ص ٢١٢

كما قال تعالى : " ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار ..... " - آل عمران / ١٩١ -  
وقد قال الشاعر :

" وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وبعد فإن ما تقدم هو موجز أردت الإتيان به لعلاقته ببعض الآيات القرآنية التي أقسم الله فيها ببعض مخلوقاته .  
فهناك آيات قرآنية قد يُتوهم متوهم أن بينها اختلافاً ذلك أنه قد وردت آيات ظاهرها نفي القسم وأخرى إثبات للقسم ومن ذلك قوله تعالى : " والتين والزيتون وطور سنين  
وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم "

وقال في آية أخرى " لأقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسان في كبد ..... " - البلد / ١ - ٣ -  
ففي الأولى أقسم بالبلد الأمين وهو مكة وفي الأخرى نفي هذا القسم ومن ذلك أيضا قوله تعالى :

" ..... واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب

الآخود ..... " - الآيات - البروج / ١ - ٤ -

وقال في آية أخرى :

" لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة

أحسب الإنسان أنن نجوع عظامه ..... " - القيامة / ١ - ٤ -

ففي الآية الأولى أقسم باليوم الموعود وهو يوم القيامة وفي الأخرى الظاهر أنه نفي القسم بيوم القيامة

ومن ذلك أيضا قوله تعالى :- " والسماء والطارق وما أدراك

ما الطارق النجم الثاقب إن كل نفس لعلها حافظ ..... " - الطارق / ١ - ٤ -

وقال في آية أخرى : " فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو

تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون ..... " - الواقعة / ٧٥ -

ففي الآية الأولى أقسم بالطارق وهو النجم الثاقب ، وفي الأخرى الظاهر أنه نفي القسم بمواقع النجوم فقد يتوهم متوهم أن هذه الآيات بينها تعارض أو اختلاف بسبب ما يبدو في الظاهر من ذلك حيث إنه تعالى في بعض الآيات أقسم بأشياء وفي آيات أخرى كان القسم مسبقا بحرف النفي (١)

(١) انظر : البرهان للزركشي ج ٢ / ٤٦ حيث ذكر حصول هذا التوهم لبعض الناس ورد بعض العلماء عليه و كذلك كتاب رد مفتريات على الاسلام / ٦٩ - ٧٠ حيث ذكر فيه ما أوهمه المنهرون حول القسم ورد عليهم

والواقع أن ما ظاهره نفي القسم لا يعارض الآيات التي فيها اثبات القسم ذلك لأن هذا الأسلوب من أساليب العرب الذين نزل القرآن بلغاتهم وأساليب كلامهم جريا على عاداتهم في التخاطب وتأكيد المعاني، وهذا فيه ما فيه من الإمعان في التحدى حيث إن هذا الكتاب لا يخرج بجملته عن لسان العرب ولو أن هذا الأسلوب، وهو اثبات القسم مرة ونفيه أخرى - خارج عن أسلوبهم وفصاحتهم لاتخذوه مطعنا، وهذا لم يحصل منهم، ومما يدل على ذلك ما أخرجه ابن جرير (١) والحاكم (٢) وصححه عن سعيد بن جبير قال : سألت ابن عباس عن قوله تعالى : " لا أقسم بيوم القيامة " قال : يقسم ربك بما شاء من خلقه " ومثله عن قتادة (٣)

فهذا السائل يسأل عن الحكمة من القسم بيوم القيامة حيث كانت هذه المورة جارية على أساليبهم في تأكيد الكلام وابن عباس أثبت في جوابه أن لله أن يقسم بما يشاء، ولم يقل للسائل أن هذا نفي للقسم وفي ذلك دلالة على أن المراد بهذه الآية ومثلاتها مما ظاهره نفي القسم المراد بذلك هو نفس ما أريد بالقسم وأن هذا جريا على أساليب العرب في التفنن في الكلام

إذا علم ذلك فإن العلماء والمفسرين قد وضحوا وجه مجيء " لا " قبل القسم على ثلاثة أقوال وأوجه، وكلها توضح تناسق آيات القرآن وانسجامها و اتفاق معانيها وأنه ليس بينها اختلاف

القول الأول : وهو قول كثير من المفسرين (٤) أن " لا " هذه التي ظاهرها النفي إنما هي صلة مزيدة جيء بها للتأكيد يُستفتح بها الكلام كما هو أسلوب العرب في ذلك وجريا على عاداتهم في التخاطب

(١) تفسير ابن جرير ٢٩ / ١٠٨

(٢) المستدرک ج ٢ / ٥٠٩ كتاب التفسير وقال : صحيح الاسناد ووافقه الذهبي وأنظر الدر المنثور ج ٨ / ٣٤٢

(٣) انظر المراجع السابقة

في كتاب البرهان في علوم القرآن / ج ٢ / ٤٦

(٤) ونقل عن ابن عباس وسعيد بن جبير وأبي عبيدة

أنظر : القرطبي ١٧ / ٢٢٣ ، فتح القدير للشوكاني ٥ / ٣٢٩ ، ابن كثير ج ٤ / ٤٦٤

أحكام القرآن لابن العربي ٤ / ١٩٣٤ تفسير الرازي ٢٩ / ١٨٧

روح المعاني ٢٩ / ١٧١ ، زاد المسير ج ٨ / ١٥٠ ، ٤١٥ ، الماوردى ٤ / ٣٥٥

وانظر مغنى اللبيب لابن هشام الأمازي ج ١ / ٢٧٥ - ٢٧٧

وتأكيد المعاني وهذا القرآن انما نزل بلسانهم وقد استدل أصحاب هذا القول بأن مجيء " لا " صلة للتأكيد واستفتاح الكلام قد جاء في آيات القرآن وأشعار العرب وقد نقل الزركشي عن ابن سريج أنه قال في ذلك لمائل سأله : " إن العرب قد تدخل " لا " في أشناء كلامها وتلغي معناها وأنشد فيه أبياتا " ٠ ا هـ  
ومن الآيات التي استشهد بها لهذا القول :-  
قوله تعالى : " قال ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ألا تتبعني " طه / ٩٢ :

يعني أن تتبعني

وقوله تعالى : " لئلا يعلم أهل الكتاب " - الحديد / ٢٩ : أي ليعلم أهل الكتاب  
وقوله تعالى : " ولا تستوى الحسنة ولا السيئة " فصلت / ٣٤ : أي و السيئة  
وقوله تعالى : " فلا وربك لا يؤمنون " النساء / ٦٥ : أي فوربك  
واستدلوا كذلك بمجموعة من الشواهد الشعرية ومنها :-  
قول الشاعر :

تذكرت ليلى فاعترتني صباة وكاد ضمير القلب لا يتقطع (١)  
فلو قلنا أن " لا " هنا نافية لاختلف المعنى المراد ، لكنه جاء بها  
هنا صلة لتأكيد تقطع القلب .

ومنها قول العجاج :

في بئر لاحور سرى وما شعر بافكه حتى رأى الصبح جسر (٢)  
أي سرى في بئر حور أي مهلكة وما شعر بذلك .....  
فلو كانت لا هنا نافية لاختلف المعنى المراد ولم ينسجم البيت فلا  
هنا صلة قاله أبو عبيدة وغيره

ومنها قول ساعدة الهذلي :

أفعنك لا برق كأن وميضه غاب تمنمه ضرام مثقّب (٣)  
يعني أعنك برق ، و " لا " صلة

(١) ذكره الماوردي ج ١ / ٣٥٥ وابن العربي في أحكام القرآن ج ٤ / ١٩٢٤

(٢) أنشده الجوهري في الصحاح ج ٢ / ٦٣٩ باب الراء فصل الحاء " كلمة حور " ذكر الصدر الأول و ذكره بتمامه الكشاف ٤ / ٥٣٦ ومعنى البيت : سرى في بئر مهلكة وما درى بذلك و دام على كذبه حتى ظهر الحق ،

(٣) انشده الأصمعي أنظر : أضواء البيان للشنقيطي ج ١٠ / ٣٢٤ .

ومنها قول امرئ القيس  
فلا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر (١)  
يعني وأبيك لأنه يريد القسم لتأكيد شجاعته وعدم فراره

وأنشد الفراء قول الشاعر :  
ما كان يُرضى رسول الله دينهم ولا الاطيبان أبو بكر ولا عمر (٢)  
يعني وعمر و " لا " صلة  
هذا وقد ذكر الفراء أن لفظة " لا " لا تكون صلة الا في الكلام الذي  
فيه معني الجحد والنفي كالبيتين الأخيرين وتُعقب بالامثلة المتقدمة  
ومنها بيت ساعدة الهذلي (٣)

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٩٤ ، خزنة الأدب ج ٤ / ٤٨٩

وأنظر : الكشاف ٥٢٦ / ٤

أضواء البيان ج ١٠ / ٣٢٢

(٢) معاني القرآن للفراء ج ٢ / ٢٠٧ / القيامة أضواء البيان ١٠ / ٣٢٢

(٣) أضواء البيان ١٠ / ٣٢٢



## القول الثاني :

وهو الذي ذهب اليه الزمخشري أن " لا " هذه انا وقعت في خلال الكلام كقوله تعالى : ( فلا وربك لا يؤمنون ) النساء / ٦٥ فهي صلة تزداد لتأكيد القسم مثلها في قوله تعالى : ( لئلا يعلم أهل الكتاب ) ، لتأكيد العلم وأنها انا وقعت ابتداء كما في قوله تعالى : ( لا أقسم بيوم القيامة ) ( لا أقسم بهذا البلد ) فهي للنفي لأن الصلة انما تكون في وسط الكلام ذلك <sup>أن</sup> انشاء القسم يتضمن الاخبار عن تعظيم القسم به ، فهو نفي لذلك الخبر الضمني على سبيل الكناية ، والمراد أنه لا يعظم بالقسم لأنه في نفسه عظيم أقسم به أولاً ، وترقى من هذا التعظيم الى تأكيد المقسم عليه اذ المبالغة في تعظيم المقسم به تتضمن المبالغة فيه (١)

وأيد هذا الوجه الفخر الرازي وأنكر كونها صلة انا جاءت في بداية الكلام . فقال (٢)

وهذا القول عندي ضعيف من وجوه ،

أولها : أن تجويز هذا يُفضي الى الطعن في القران لأن على هذا التقدير يجوز جعل النفي اثباتا والاثبات نفيا

وثانيها : أن هذا الحرف انما يزداد في وسط الكلام

وأما قول امرئ القيس :

لا وأبيك ابنة العامرى ..... فهو قسم على النفي (٣)

وقوله تعالى : ( لا أقسم ) نفي للقسم فتشبه أحدهما بالآخر غير جائز .

والدليل عليه أنه لو حلف لا يقسم كان البر بترك القسم، والحنث

بفعل القسم فظهر أن البيت المذكور ليس من هذا الباب وقول من

أثنتها صلة في أول الكلام : إن القران كالسورة الواحدة ، مدفوع بأن

---

(١) الكشاف / ج ٤ / ٥٢٥ - ٥٢٧ سورة القيامة ، ج ١ / ٥٣٨

وأنظر روح المعاني ج ٢٩ / ١٧٠ حيث أوضح مذهب الزمخشري بما تقدم

وأنظر غني اللبيب لابن هشام ج ١ / ٢٧٦

(٢) تفسير الرازي ٢٠ / ٢١٥ ، ج ٢٩ / ١٨٧

(٣) أى أن ( لا ) مؤكدة للقسم على النفي لأنه جاء بعدها واو القسم الظاهر

عملها في المقسم به مما لا يجعل ( لا ) عمل في هذا البيت غير تأكيد معنى

النفي الوارد في البيت ، بينما ( لا في قوله : ( لا أقسم ) تجعل النفس تنطاق

الى فهم النفي منها لأنها انا دخلت على الفعل المضارع في أول الكلام لا تفيد الا

النفي أو النهي .

القران كالمسورة الواحدة في عدم التناقض، فأما أن يقرن بكل آية ما قرن بالآية الأخرى فذلك غير جائز لأنه يلزم جواز أن يقرن بكل إثبات حرف النفي في سائر الآيات، وقال (١)

ان لا هنا لنفي القسم كأنه قال :- لا أقسم عليكم بذلك اليوم وتلك النفس ولكني أسألك غير مقسم أتحسب أنّا لا نجمع عظامك اذا تفرقت بالموت ، فإن كنت تحسب ذلك ، فأعلم أنا قادرون على أن نفعل ذلك ، وهذا القول اختيار أبي مسلم وهو الأصح ويمكن تقدير هذا القول على وجوه أخر :

أحدها : كأنه تعالى يقول : ( لا أقسم بهذه الأشياء على اثبات هذا المطلوب ، فان هذا المطلوب أعظم وأجل من أن يُقسم عليه بهذه الأشياء ) ويكون الغرض من هذا الكلام تعظيم المقسم عليه وتفخيم شأنه

ثانيها : كأنه تعالى يقول : لا أقسم بهذه الأشياء على اثبات هذا المطلوب فإن إثباته أظهر وأجلى وأقوى وأحرى من أن يحاول اثباته بمثل هذا القسم ثم قال بعده : أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ، أي كيف خطر بباله هذا الخاطر التاسد مع ظهور فساده

قلت : فالرازي رأيه مع الزمخشري فهما يفرقان بين ( لا ) التي في وسط الكلام والتي في أوله ويريان أن لا التي في وسط الكلام هي الملة لتأكيد القسم أما لا في أول الكلام كما في : ( لا أقسم بهذا البلد ) فهي نفي حقيقى بمعنى: أنى لا أقسم بهذا البلد العظيم الذى يستحق القسم به على اثبات ما بعده حيث إن الأمر أظهر ممن أن يُقسم عليه وأن يتطرق اليه شك لكون الواقعة المراد الاقسام عليها في غاية الظهور ؛ فيريد بنفي القسم الاعلام بذلك ، والنتيجة أن المعنى هو بيان وتجلية الأمر المراد التأكيد عليه ولفت النظر تجاهه وهذا يلتقى مع المعنى المراد من القسم

القول الثالث : وقال به الفراء وابن قتيبة وابن جرير وابن العربي أن ( لا ) زيدت في الكلام على نية الرد على المكذبه كما تقول فى الكلام : " لا والله ما ذاك كما تقول " ولو قلت : والله ما ذاك كما

(١) نفي المصدر ج ٣٠ / ٢١٥

وأنظر روح المعاني ج ٢٧ / ١٥٢

تقول لكان جائزا غير أن ادخالك " لا " في الكلام أولا أبلغ في الرد<sup>(١)</sup> فأريد بقوله تعالى : " لا أقسم بيوم القيامة " .  
تكذيب للكفار لأهم قالوا : لقيامه  
قال الفراء<sup>(٢)</sup> : ( ... ولكن القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار ) فجاء الاقسام بالرد عليهم في كثير من الكلام المبتدأ منه وغير المبتدأ كقولك في الكلام : ( لا والله لا أفعل ذلك ) .  
جعلوا ( لا ) - وإن رأيتها مبتدأة - ردا لكلام قد مضى فلو ألقيت ( لا ) مما يُنوي به الجواب ، لم يكن بين اليمين التي تكون جوابا واليمين التي تستأنف فرق . " ١٠ هـ

وقال الألويس<sup>(٣)</sup> : وقال سعيد بن جبير وبعض النحاه :- ( لا ) نفي ورد لما يقوله الكفار في القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة ، كأنه قيل : فلا صحة لما يقولونه فيه ثم استؤنف فقيل : أقسم ( ..... ) ١٠ هـ  
وقال أبو بكر بن العربي رحمه<sup>(٤)</sup> الله مؤيدا لهذا الوجه :- :-  
( وأما من قال إنها رد فهو قول ليس له رد لأنه يصح به المعنى ويتمكن اللفظ والمراد ( . )

واختار هذا الوجه واستصوبه ابن جرير رحمه الله . (٥)  
قلت : ومع وجاهة هذا القول إلا أنه قد تُعقَّب بما يوهن الاستدلال به ، فقد تعقبه أبو حيان بأنه لا يجوز لما فيه من حذف اسم ( لا ) وخبرها في غير جواب سؤال نحو ( لا ) في جواب : هل من رجل في الدار؟ وقال الألويسي<sup>(٦)</sup> ( وقيل الأولي فيما ان قصد بلا نفي المحذوف واستئناف لما بعدها في اللفظ الاثيان بالواو نحو : لا وأطال الله بقاءك ) .  
ولهذا قال الجلام الشنقيطي في أضواء البيان<sup>(٧)</sup> : ( وهذا القول وإن قال به كثير من العلماء فليس بوجيه عندي لقوله تعالى في سورة القيامة :

( ولا أقسم بالنفس اللوامة ) لأن قوله تعالى : ( ولا أقسم بالنفس اللوامة ) يدل على أنه لم يرد الاثبات المؤتلف بعد النفي بقوله أقسم ( ..... ) ١٠ هـ

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبية ص ٢٤٦ - ٢٤٧

وانظر غريب القرآن له أيضا ص ٤٩٩ سورة القيامة

(٢) معاني القرآن للفراء ج ٣ / ٢٠٧ سورة القيامة تفسير الماوردي ٤ / ٣٥٥

(٣) روح المعاني ج ٢٧ / ١٥٢ وانظر القرطبي ١٧ / ٢٢٣

(٤) أحكام القرآن ج ٤ / ١٩٣٤

(٥) تفسير ابن جرير الطبري ج ٢٩ / ١٠٩

(٦) روح المعاني ج ٢٧ / ١٥٢

(٧) أضواء البيان ج ١٠ / ٣٢٤ وقد رجح الشيخ الشنقيطي القول الاول وأيده بالشواهد

أى أنه لو كان الأمر كما قالوا : لقال : ( وأقسم بالنفس اللوامة )  
للاكتفاء ب ( لا ) الأولي في نفي ورد ما قالوا  
ولهذا قال الرازي<sup>(١)</sup> : ان إعادة حرف النفي مرة أخرى في قوله :  
( ولا أقسم بالنفس اللوامة ) مع أن المراد ما ذكره تقدر في  
فماحة الكلام

قلت : والأقوال الثلاثة وإن كان بعضها أقوى من بعض إلا أنها  
جميعاً تلتقي عند نقطة واحدة وهي أن آيات القسم المسبوقة بحرف ( لا )  
كقوله : ( لا أقسم بيوم القيامة ) وقوله : ( فلا أقسم بمواقع النجوم )  
وغير ذلك لا يُعارض الآيات الأخرى والتي فيها الاقسام بيوم القيامة  
ومواقع النجوم كقوله :  
( واليوم الموعود ) وقوله ( والسماء والطارق ) وغير ذلك  
كما أن قوله تعالى :

( فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقس لو تعلمون عظيم )  
أثبت فيه الباري أنه قسم عظيم لو أقسم به لكنه لم يُقسم به لأن ما  
يريد الكفار أن يقسم عليه ليس في حاجة للقسم لظهوره و عظمته  
ودلالته فأراد بنفي القسم الاعلام بذلك لذا قال بعده :  
( وإنه لقس لو تعلمون عظيم )

ويؤيد الذي تقدم اجمالاً قراءة ابن كثير<sup>(٢)</sup> ( لأقسم بيوم القيامة )  
وهي قراءة سبعة متواترة واللام في هذه القراءة لتأكيد الفعل وهو  
أقسم<sup>(٣)</sup> فدل ذلك أن الآيات المسبوقة بحرف ( لا ) والآيات غير المسبوقة  
بذلك غرضها واحد وغايتها متحدة ) وتؤيد بعضها وإن اختلف أسلوبها

(١) تفسير الرازي ج ٣٠ / ٢١٥

(٢) رواية قنبل عن ابن كثير ، والنقاش عن أبي ربيعة عن البزى عن ابن كثير

أنظر : النشر ج ٢ / ٢٨٢ ، الاقناع لابن البان ج ٢ / ٢٩٨

وهي قراءة ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وأبن محيصة

زاد المسير ٤١٥ / ٨ تفسير الماوردى ج ٤ / ٣٥٥

(٣) ذكر الأوسى ( ج ٢٧ / ١٥٢ ) أن بعض النحويين أجاز القسم على فعل

الحال وحينئذ لا يصح أن يقرن الفعل بالنون المؤكدة لأنها تخلصه

للاستقبال وهو خلاف المراد

قلت : وهذه القراءة السبعة الثابتة تدل على هذا فلا عبرة بغيره

واختم بقول ابن العربي رحمه الله حيث قال (١) :

( ولو كان هذا خارجا عن أسلوب البلاغة قادحا في زين الفصاحة  
لاعترض عليه به الفصحاء البلّغ من العرب والخصماء اللد ، فلما  
سلموا فيه تبين أنه على أسلوبهم جار وفي رأس فصاحتهم منظوم )  
فالإيهام المتصور قد دُفع بهذه الأقوال :  
فعلى القول الأول أن ( لا ) صلة زائدة جاءت على أساليب العرب  
في التفنن في الكلام والخطاب فلا إشكال لأنها على هذا القول ليست  
بنافية للقسم الذي أثبت في مواطن أخرى

وعلى القول الثاني وهو أنها نفي للقسم وعند النظر في المراد  
بهذا النفي نجد أنه بيان عظمة المقسم عليه وشدة ظهوره بحيث  
لا يحتاج الى أن يُقسم به فهو في نفسه عظيم أقسم به أولا  
وترقى من هذا التعظيم الى تأكيد المقسم عليه وتخفيف شأنه  
فكان نفي القسم كناية عن ذلك

وهذا هو الغرض من الاقسام وهو تأكيد المقسم عليه وتخفيف  
شانه واثباته ولفت النظر اليه فاختلف الاسلوب واتحد المعنى  
والمراد وهذا من بلاغة القران وإعجازه وامعانه في تحدى  
العرب بهذا القرآن

وعلى القول الثالث : أن ( لا ) رد لكلام سبق فهو أيضا لا يعارض  
الآيات التي فيها اثبات القسم لأن ( لا ) في هذا القول نفي ورد  
لكلام الكفار الذي تقدم ثم استأنف فقال : أقسم بيوم القيامة

الا أن الذي يظهر لي من هذه الأقوال هو القول الثاني وهو  
الذي قال به الزمخشري والرازي كما تقدم لصحة الاستدلال والتوجيه  
ويليه في الصحة والظهور القول الأول : بأن ( لا ) صلة مزيدة  
للتأكيد كما تقدم وما يؤيد القول الثاني أنه سبحانه في  
الآيات التي جاءت مسبقة بحرف ( لا ) يأتي بعد المقسم عليه باستفهام  
انكارى فيه انكار وتوبيخ للجاحدين آيات الله ونعمه رغم ظهورها الذي هو  
أجلى من أن يقسم به أو يتطرق اليه شك ففي الواقعة قال بعد المقسم عليه :  
( أفبئنا الحديث أنتم مدهنون ) أى تكذبون وتتهاونون

وفي القيامة قال بعد المقسم عليه : ( أياحسب الإنسان أن لن نجعله عظاما )

وفي البلد قال بعد المقسم عليه : ( أياحسب أن لن يقدر عليه أحد ) وهكذا  
والله ولي التوفيق

## القواعد النحوية

(٢) " مبحث في توهم مخالفة بعض الآيات للمشهور من قواعد النحو والعربية " من المعلوم أنه لم يتوفر لنص ما توفر للقران الكريم من تواتر رواياته وعناية العلماء ب ضبطها وتحريها متنا و سندا وتدوينها وضبطها بالمشافهه عن أفواه العلماء، الاثبات الفصحاء من التابعين عن الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم - فهو النص العربي الصحيح المتواتر المجمع على تلاوته بالطرق التي وصل إلينا بها ، وعلى هذا يكون هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة في قراءته كلها المتواترة والثابتة ، ولا ننسى بعد ذلك أن أئمة القراء كأبي عمرو بن العلاء والكثائي ويعقوب الحضرمي هم أئمة في اللغة والنحو أيضا ، حتى أن القراءات الشاذة وهي التي لم تُنقل بالتواتر أقوى سندا وأصح نقلا من كل ما احتج به العلماء من الكلام العربي غير القران ، وليس ذلك إلا لأن روايتها الأهلون عرباً فصحاء سليمة سلائقهم تبنى على أقوالهم قواعد العربية (١)

وإذا كان الأمر كذلك فان من الواجب أن نتعرض الى دفع ما يُتوهم مخالفته لقواعد العربية ، والذي يدعوا الى ذلك أمران ، الأول : أن بعض الآيات التي يُتوهم مخالفتها لقواعد النحو والعربية قد رُوي أنها من لحن كاتب المصحف (٢) وتناقلت ذلك بعض المراجع واستغلها بعض أعداء الاسلام (٣)

الأمر الثاني : أن بعض النحاة قد توهم أن بعض القراءات تخالف ما يعرفه من قواعد النحو والعربية إما تعصبا لمنهجه النحوي أو لعدم الاطلاع على تواتر القراءات ومنهجية علماء القراءات ونقلتها وتاريخ تدوينها والعناية بحفظها في الصدور قبل السطور جيلا

(١) أنظر : في أصول النحو / سعيد الأفغاني ص ٤ - ٥

(٢) سوف يأتي قريبا بيان ذلك مع دفعه بالمنقول والمعقول

(٣) أنظر : مذاهب التفسير الاسلامي للمستشرق جولد تسهر / ترجمة د. عبد الحليم

النجار ص : ٤٦ ، ٦٦

القراءات في نظر المستشرقين / للشيخ عبد الفتاح القاضي

رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القران الكريم ص : ١٧ - فما

بعدها ١١١ فما بعدها

بعد جيل<sup>(١)</sup> اضافة الى أن عدم الاحاطة بكلام العرب ومناهجهم يجعل بعض النحاء يتسرع في الحكم على بعض القراءات بمخالفة ما يعرفه من القواعد التي قعدوها وسوف يأتي بيان ذلك، اذا علم ذلك فإن القواعد النحوية هي التي تخضع للقراءات ولا تخضع القراءات للقواعد النحوية لأن القرآن بجميع قراءاته نزل على أفصح لغات العرب وأكثرها زيوعا وانتشارا ، والقواعد النحوية مستنبطة من كلام العرب منشوره ومنظومة ، كما أنها مستنبطة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة ،

فالكلام العربي وفي مقدمته القرآن والسنة مصدر هذه القواعد منه نشأت وعنه أخذت فهو الأصل وهي الفرع .  
لذا فلا بد أن يُعلم أنه ليس في القرآن ما يخالف القواعد النحوية وكلام العرب وما يُتوهم بخلاف ذلك انما مرجعه للجهل بكلام العرب وأساليبهم ونقص الاستقراء واضطراب المنهج وكيف يُتوهم ذلك وانما نزل القرآن بلسان العرب كما قال تعالى :

"إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون"

وقد تكفل الله بحفظ القرآن في قوله :

"انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون"

وقال "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ..."

---

(١) راجع ما كتبه العلماء بشأن كتاب المصاحف ونسخها وبعثها للأمصار وانتشار الصحابة حيث وزعت المصاحف وأخذ الناس عنهم بالتواتر أنظر في ذلك :  
منجد المقرئين لابن الجزرى ، و مقدمة النشر له أيضا و كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ٩ - ٣٤

وأبدأ بتفنيد الادعاء بأن ما ورد مما يوهم مخالفة القواعد النحوية هو: لحن من كاتب المصحف كما روى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: "إن في القرآن لحنًا وستقيمه العرب بألسنتها" (١) وكذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها حيث روى عن عروة بن الزبير أنها قالت: "يا ابن أختي هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب" (٢) وقد بين السيوطي (٣) رحمه الله - اضطراب هذه الروايات وبين علتها، فنقل عن ابن أخته بسنده عن عبد الله بن عامر قال: - "لما فرغ من المصحف أتى عثمان فنظر فيه فقال: أحسنتم وأجملتم أرى شيئًا سنقيمه بألسنتنا" فهذا الأثر لا إشكال فيه، وبه يتضح معنى ما تقدم - من الروايات الأخرى والتي تُنسب لعثمان - فكانه عرض عليه عقب الفراغ من كتابته، فرأى فيها شيئًا كتب على غير لسان قريش كما وقع لهم في: التابوه، والتابوت (٤)؛ فوعده بأنه سيقمه على لسان قريش، ثم وفى بذلك عند العرض والتقويم ولم يترك فيه شيئًا ولعل من روى تلك الآثار السابقة عنه حرفها ولم يتقن اللفظ الذي صدر من عثمان فلزم منه ما لزم من الأشكال، فهذا أقوى ما يجاب به عن ذلك ولله الحمد . ٠ ١ هـ

قلت: فالروايات الأخرى والتي تدل على وجود خطأ في كتابة القرآن أو لحن تعارض الروايات الأخرى الصحيحة والتي تنفي ذلك فهي روايات باطلة ومردودة لا يركن إليها من في قلبه ذرة من إيمان أو معرفة بالعربية وليس لها أي وزن أو اعتبار أمام تواتر المصاحف والقراءات القرآنية

- 
- (١) المصاحف لابن أبي داود / باب المصاحف العثمانية ص ٤١  
الدر المنثور ج ٢ / ٧٤٤
- (٢) المصاحف؛ ابن أبي داود ص : ٤٣ ، تفسير ابن جرير ج ١ / ٣٩٥ تحقيق أحمد شاکر .
- (٣) الاتقان في علوم القرآن ج ١ / ١٨٤ .
- (٤) أخرج ذلك ابن أبي داود في المصاحف ص ٢٦ عن أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه : " واختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه فقال نفر القرشيون التابوت ، وقال زيد : التابوه فوق اختلافهم الى عثمان فقال : اكتبوه التابوت فإنه بلسان قريش ا . ٠ هـ



القرانية (١) .

قال ابن جرير (٢) رحمه الله عند حديثه عن قوله تعالى :

( والمقيمين الصلاة ) - النساء / ١٦٢

قال : ولو كان " والمقيمين " خطأ من جهة الخط لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله . صلى الله عليه وسلم - يُعَلِّمُونَ مَنْ عَلَّمُوا ذلك من المسلمين على وجه اللحن ، ولأصلحوه بالسنتهم ولقنوه للأمة تعليماً على وجه الصواب ، وفي نقل المسلمين جميعاً ذلك قراءة على ما هو به في الخط مرسوماً أدل الدليل على صحة ذلك وموابه ، وأن لا يمنع في ذلك للكاتب . " ١٠١ هـ

وقال الزمخشري في الكشاف (٣) موجهاً قراءة <sup>الذهب</sup> " في أية " والمقيمين الصلاة " " نُصِبَ عَلَى الْمَدْحِ لِبَيَانِ فَضْلِ الْعِلْمِ ..... وَهُوَ بَابٌ وَاسِعٌ قَدْ أُورِدَ عَلَيْهِ سَبُوبُهُ أَمْثَلَةٌ وَشَوَاهِدٌ ، وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ فِي خَطِّ الْمُصْحَفِ لِحْنَاً وَلَمْ يَعْرِفْ مَنَاهِبَ الْعَرَبِ وَمَا لَهُمْ فِي النُّصْبِ عَلَى الْإِخْتِمَاصِ مِنَ الْإِمْتِنَانِ ، وَغَابَ عَنْهُ أَنَّ الْمَاقِبِينَ الْأُولَى الَّذِينَ مِثْلَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَانُوا أَعْدَاءَ هِمَّةٍ فِي الْغِيْرَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَذَبَّ الْمُطَاعِنُ عَنْهُ مَنْ أَنْ يَتْرَكُوا فِي كِتَابِ اللَّهِ ثُلْمَةً لَيْسَ دَهَا مَنْ بَعْدَهُمْ وَخَرَقُوا يَرْفَوهُ مَنْ يَلْحَقُ بِهِمْ " . " ١٠١ هـ

قلت : ومدق في ذلك فكيف يُظن بالصحب الكرام وهم القدوة بعد خير الأنام أن يتركوا لحناً أو خطأ يصلحه من بعدهم وهم الذين سخرهم الله لحفظ كتابه وتبليغ دينه ومن أجل ذلك

---

(١) أنظر : كتاب " القراءات في نظر المستشرقين والملحدون / الشيخ عبد الفتاح القاضي : ص ١٧٢ .

(٢) تفسير ابن جرير ج ١ / ٣٩٧ .

(٣) الكشاف : ج ١ / ٥٨٢ .

فقد قال أبو بكر الأباري<sup>(١)</sup> في الرد على من يزعم وجود لحن في القرآن:-  
" وفي قوله تعالى: " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون" دلالة  
على كفر هذا الانسان ، لأن الله عز وجل قد حفظ القرآن من  
التغيير والتبديل والزيادة والنقصان ، وقي هذا الذي قال توطئة  
الطريق لأهل الإلحاد ليُدخلوا في القرآن الحكيم ما يحلون به عُرَا  
الاسلام " ٠ ١ هـ

وقد ذكر السيوطي<sup>(٢)</sup> رحمه الله شبه من قال إنَّ في القرآن لحنًا  
وفند ذلك وقال في دفعها :- " وأما قول عثمان : إنَّ في القرآن  
لحنًا .... الخ

فهو مُشكل اذ كيف يُظن بالمصاطبة أو لا اللحن في الكلام فضلا عن القرآن  
وهم الفمحاء اللد ، ثم كيف يُظن بهم ثانيا اجتماعهم على  
الخطأ وكتابته ، ثم كيف يُظن بهم ثالثا عدم التنبه والرجوع ، ثم  
كيف يُظن بعثمان عدم تغييره ثم كيف يُظن أنَّ القراءة استمرت على  
ذلك الخطأ وهو مروى بالتواتر خلفا عن السلف ، وكيف يتركه  
عثمان لتقييمه العرب ، واذا كان الذين تولوا جمعه لم يُقيموه وهم  
الخيار فكيف يقيمه غيرهم ، إنَّ هذا مما يستحيل عقلا وشرعا  
وعادة ٤

وأيا فإِنَّ عثمان لم يكتب مصحفا واحدا بل كتب عدة مصاحف  
فان قيل إنَّ اللحن وقع في جميعها فبعيد اتفاقهم على ذلك أو في  
بعضها فهو اعتراف بصحة البعض ولم يذكر أحد من الناس أنَّ اللحن  
كان في مصحف دون مصحف ولم تأتي المصاحف فقط مختلفة إلا فيما  
هو من وجوه القراءات وليس ذلك بلحن " ٠ ١ هـ بتصرف قليل

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية<sup>(٣)</sup> معلقا على شبهة وجود اللحن في المصحف  
: " وما يبين كذب ذلك : أنَّ عثمان لو قُدِّر ذلك فيه فإنما رأى ذلك  
في نسخة واحدة فأما أن تكون جميع المصاحف اتفقت على الغلط و  
عثمان قد رآه في جميعها وسكت ، فهذا ممتنع عادة وشرعا من  
الذين كتبوا ومن عثمان ، ثم من المسلمين الذين وصلت اليهم  
المصاحف ورأوا ما فيها وهم يحفظون القرآن ويعلمون أن فيه لحنًا

---

(١) في المصاحف ، نقلا عن القراءات في نظر المستشرقين والمطحنين للشيخ

القاضي ص ١٧٨ .

(٢) الاثنان ج ١ / ١٨٣ وأنظر روح المعاني ج ١ / ٢٠

(٣) مجموع الفتاوى ج ١٥ / ١٥٣

لا يجوز في اللغة فضلا عن التلاوة، وكلهم يقر هذا المنكر لا  
يغيره أحد ، فهذا مما يُعلم بطلانه عادة ، ويعلم من دين القوم  
الذين لا يجتمعون علي ضلالة . " انتهى

قلت: والأجوبة المتقدمة لهؤلاء العلماء الأجلاء عن تلك الآثار توضح  
لنا أن الخبر الوارد عن عثمان وعائشة إنما هو مردود لاضطرابه  
وإعلاله

مضطرب لاختلاف الروايات في ألفاظها ومعانيها مما يدل على  
حصول الخطأ في النقل عن عثمان وغيره ، يدل على ذلك ورود الرواية  
الصحيحة المعني والتي لا إشكال فيها كما ذكر السيوطي ، كما أن  
القران محفوظ في الصدور قبل السطور وهو منقول بالتواتر من عصر  
المحابة رضي الله عنهم وحتى يومنا هذا وهو محفوظ بحفظ الله ،  
فهل حصول الخطأ في الكتابة على فرض صحته يجعل المحابة  
يغيروا حفظهم على حسب ذلك أم أنهم يؤدون القرآن كما سمعوه من  
في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا هو اعتقادنا فيهم وهم  
نقلة الدين و حماة حياضه و حملة لوائه رضي الله عنهم وأرضوه ،  
وادعاء اللحن إنما هو من سائس أعداء الاسلام الذين يغفلون عن  
مثل قوله تعالى :

" إنما نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ."

وسوف أبين بمشيئة الله أهم الأمثلة والتي ادُعي بأنها من لحن  
الكاتب أو أنها تخالف قواعد العربية ونبين صحتها وخصائصها  
وانها لا تعارض ما صح وثبت من كلام العرب وأساليبهم الخطابية  
بل هي تصحح ذلك وتثبت فصاحة من نطق به من العرب كما  
سيأتي .

وانتقل الآن الي بيان حقيقة ادعاء بعض النحاة وغيرهم من أن بعض القراءات القرانية تخالف بعض قواعد العربية

فانه من الثابت أن بعض النحاة البصريين وغيرهم قد وقفوا من بعض الأحرف القرانية موقفا غير محمود (١)

قال الاستاذ أحمد مكي الأثاري في كتابه "الدفاع عن القرآن" (٢) :  
" انني لا أتهم هؤلاء النحاة في دين أو خُلُق ..... ولكنها العممية المذهبية والتمسك بالقواعد النحوية ..... كل ذلك فرض عليهم أن يقفوا هذه المواقف التي لا تليق بالعلماء الأجلاء " . ٥٠١ هـ

وما زال العلماء قديما وحديثا يُنكرون على بعض نحاة البصرة ومن سلك سبيلهم، قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره (٣) :  
" ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم فكم حكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون ، وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون وانما يعرف ذلك من له استبحار في علم العربية " ٥٠١ هـ

قلت : فالذى أنكره العلماء والمحققون على بعض النحاة هو جعلهم ما قعدوه من القواعد استنادا الى ما علموه من كلام العرب أصلا ومقياسا لغيره ولذلك ردوا بعض الأحرف القرانية استنادا لذلك

متجاهلين أو غافلين أن ورود الحكم في القرآن دليل علي صحته وعربيته وفصاحته وهو المقياس لصحة غيره .

---

(١) في أصول النحو / سعيد الأفغاني ٣٧ - ٤٠  
الدفاع عن القرآن / د . أحمد مكي الأثاري / المقدمة  
مناهل العرفان للزرقاني / ج ١ / ٤٤٢  
وأنظر : النشر لابن الجزرى ج ١ / ١٠ ، الكامل للمبرد ج ٢ / ٢٤٩  
الكشاف ٢ / ٥٤ ، وأنظر مبحث قوله تعالى : " وكذلك يُبين لكثير من  
المشركين قتل أولادهم شركاؤهم " ، الحجة في القراءات السبع ص : ١٢٥

(٢) ص : ومن المقدمة ، ص : ٤ - ٥

(٣) البحر المحيط : ج ٣ / ١٥٩ .

وخير ما يصف اضطراب موقف بعض النحاة هذا قول الفخر الرازي في تفسيره (١) : " وكثيرا ما أرى النحويين يتحيرون في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن ، فإنا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول فرحوا به ، وأنا شديد العجب منهم ، فانهم انا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليل على صحتها ، فلئن يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحتها كان أولي " ٠١٠ هـ

قلت : والقراءة سُنّة متبعة يأخذها الأحق عن السابق بالسند والرواية ، ينقلها جيل عن جيل حفظا وكتابة وعناية من علماء هذه الأمة وقرائها العدول الأثبات حتى يتصل السند برسول الله - صلى الله عليه وسلم -

قال ابن الجزري رحمه الله (٢) : " فقولنا في الضابط ولو بوجه نريد به وجهها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصحا مُجمعا عليه أم مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله ، انا كانت القراءة مما شاع وناح وتلقاه الأئمة بالاسناد الصحيح ، اذ هو الأصل الأعظم والركن الأثوم .... ، فكم من قراءة أنكروها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يُعتبر انكارهم .... " ٠١٠ هـ

ولهذا قال الحافظ أبو عمر الدانسي (٣) : " وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأثس في اللغة والأيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل ، وانا ثبتت الرواية لم يردّها قياس عربية ولا نشو لغة لأن القراءة سُنّة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها " ٠١٠ هـ

فاللغة العربية أوسع من أن يحيط بها النحويون وقد قال الشافعي يرحمه الله (٤) : " ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا ولا نعلمه يحيط بجميع علمه انسان غير نبي " ٠١٠ هـ وهناك فائتات كثيرة فاتت على الذين جمعوا اللغة في عصر التدوين

---

(١) تفسير الرازي ج ٣ / ١٥٩ ، دفاع عن القرآن ص " و " من المقدمة  
(٢) النشر في القراءات العشر ج ١ / ١٠  
(٣) في كتابه جامع البيان (نقلا عن الاتقان للسيوطي ج ١ / ٧٥  
والنشر ١ / ١٠)

(٤) الرسالة ص ٤٢

والشعر العربي قد ضاع عنه الكثير قبل أن يُدوّن ، وقد قال الفاروق رضي الله عنه في الشعر : " حُفِظَ أَقْلُ ذَلِكَ وَزَهَبَ عَنْهُمْ كَثِيرُهُ " (١)

والذي أراه أن النحاة الذين وقفوا موقف المعارضة لبعض الأُحرف القرآنية لو علموا بتواتر الأُحرف التي عارضوها لكان موقفهم منها قد تغيّر، وهذا ظننا بهم إذ كيف يتجرأ مسلم على عدم اعتبار شاهد قرآني مقياساً للنحو أو دليلاً على صحة وجه من الأوجه النحوية .

وذلك لأن القراءة قد تواترت عند قوم ولا تواترت عند آخرين ، ولهذا نجد ابن جرير الطبري المفسّر يضعف بعض الأُحرف ويرجح البعض الآخر من القراءات السبعية وغيرها وليس ذلك إلا لكونها لم تصح عنده ولا يمنع ذلك من أنها تواترت وصحت عند غيره ، فلهم العذر في ذلك (٢)

ومن ذلك المبرد الذي أثير عنه قوله في قراءة ابن عامر : " وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين قتلُ أولادهم شركائهم " الأُعام / ١٣٧ برفع " القتلُ " ونصب " أولادهم " وجر " شركائهم " بالفصل بين المضاف والمضاف إليه ، أثير عنه قوله : " لا تحل القراءة بها " وكذلك قوله في قراءة حمزة " الذي تساءلون به والأرحام " - بجر الأرحام : " وهذا ممّا لا يجوز عندنا إلا أن يضطر اليه شاعر (٣)

(١) البحر المحيط ج ٤ / ٢٣٠ .

(٢) تفسير الطبري / : ج ٢ / ٤٨ ، ١٨ / ٢٣

وانظر رسم المصحف العثماني د. الشلبي ص / ٦٠ .

(٣) أنظر الكامل للمبرد ج ٢ / ٧٤٩ طبع الطبي تحقيق أحمد شاكر

وشرح المفصل لابن يعيش ج ٣ / ٧٨

دفاع عن القرآن د. أحمد مكي الأنصاري ص : ٧

وقد انتقده بعض النحاة و علماء اللغة على ذلك ومنهم ابن جني وأبن يعيش والحريري، حيث قال الأخير في درة الغواص (١) :  
" وهذه من جملة سقطاته وعظيم هفواته فان هذه القراءات من السبع المتواترة وقد وقع في ورطة وقع في مثلها بعض النحاة بناء على أن القراءات السبع عندهم غير متواترة " ٠١ هـ

قلت : والذي يظهر أن بعض النحويين ليس له دراية بعلم القراءات والأحرف ولذا فلا عجب اذا أنكر حرفا متواترا لأنه يُنكر ما لا علم له به بناء على تلك القواعد التي قعدوها دون استقراء وأفري لكلام العرب، ولهذا فقد اشدت نكير العلماء المحققين على مثل هؤلاء (٢)  
كما أن بعض النحاة لا يُعذر وذلك لأنه ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكما لفظيا ويتخذه مذهبا ثم تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم فيأخذ في صرف الآية عن وجهها وتأويلها (٣)  
ولا يغيب عن البال أن تعقيد النحو قد مرّ بمراحل متعددة فالذين كانوا في العصر الأول مثلا كالخليل و سيبويه و متقدمي البصريين يختلف اتجاههم عن اتجاه المتأخرين عموما (٤)

فالذي يتبين أنه ليس لنا بعد أن أجمع المسلمون على تواتر القراءات أن نحيد عن بعضها بأن نُضعف حرفا ما لتوهم مخالفته لما قعدته النحاة الاوائل

فالواجب المتحتم على كل طالب علم هو اعتماد القراءة المتواترة حتى ولو لم ترد في لغة من اللغات على الاطلاق، فالقرآن هو الحجّة البالغة وعلى أساسه يكون تعقيد القواعد، قال الاستاذ أحمد مكي (٥)  
" والمنهج السليم في ذلك أن يُمعن النحاة في القراءات المتواترة والمصححة السند فما خالف منها قواعدهم صححوا به تلك القواعد ورجعوا النظر فيها فذلك أعود على النحو بالخير ، أما تحكيم

(١) درة الغواص ص ١٥ الطبعة الأولى (نقلا عن دفاع عن القرآن ص ٧) .

(٢) أنظر مناهل العرفان للزرقاني ج ١ / ٢٤٧ - ٤٥٤

(٣) في أصول النحو ، سعيد الأفغاني / ٣٢ عن الفصل لابن حزم /

(٤) دفاع عن القرآن / أحمد مكي الأثمري ص ٤ رسم المصحف العثماني

د. عبد الفتاح شلبي ص ٥٨ ، ٧١ - ٧٢

وأنظر الكتاب لسبوية ٢ / ٤٢٣ حيث يضعف بعض القراءات اعتمادا

على ما انتهى اليه من قياس

(٥) في كتاب الدفاع عن القرآن ص / ٧ من المقدمة

قواعدهم الموضوعة في القراءات الصحيحة التي نقلها الفمطاء  
العلماء فقلب للأوضاع وعكس للمنطق إذ كانت الوايات الصحيحة مصدر  
القواعد لا العكس " ٥٠١ هـ

ويحسن بنا أن نختم بقول العلاء ابن المنير - رحمه الله -  
حيث قال (١) : " وليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربية بل  
تصحيح قواعد العربية بالقراءة " ٥٠١ هـ

وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه وينبغي على العلماء سلوكه  
ومن العلماء الذين سلكوا هذا المسلك المحمود الامام ابن مالك  
حيث اتخذ القرآن والسنة الصحيحة في مقدمة الشواهد وأدلة  
التعميد ومقاييس الصحة ، قال في منظومته الكافية الشافية  
في باب الفصل بين المتضايقين " (٢)

وعمدتني قراءة ابن عامر وكم لها من عاضدٍ وناصر  
رحمة الله عليه ورضوانه .

---

(١) الائتماف من الكشاف ( مطبوع بحاشية الكشاف ) ج ٢ / ٥٤

(٢) شرح الكافية الشافية ج ٢ / ٢٧٨



والآن استعرض أهم الأمثلة القرآنية التي ادعوا عليها توهمًا مخالفة القواعد النحوية مع إبطال هذا التوهم والله ولي التوفيق:

أولا : قوله تعالى في البقرة :

( ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ) الآية / ٢٢

وقال في المائدة :-

( إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) الآية / ٦١

وقال في الحج :-

( ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله علي كل شيء شهيد ) الآية / ١٧

ففي سورة المائدة رفع "الصابئون" مع أنها معطوفة علي اسم ان وحقها في الظاهر النصب كما هو شأن المواضع الأخرى التي جاءت فيها هذه الكلمة ، فهل هناك من سبب في رفعها في هذا الموضع دون غيره ؟

فالجواب الذي قاله العلماء<sup>(١)</sup> :- أنه رفع "الصابئون" بالابتداء ونوى به التأخير عن مكانه كأنه قال : "إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون" والصابئون هذا حالهم ، أو والصابئون كذلك .

فقدمهم في اللفظ وأخرهم في التقدير لحكمة وفائدة وهذا جار على أساليب العرب كما قال الشاعر :

فمن يك أمس بالمدينة رحله فإني وقيارٌ بها لغريب<sup>(٢)</sup>

از التقدير : فإني لغريبٌ بها وقيارٌ كذلك

(١) أنظر : درة التنزيل / ٢٠ ، اعراب القرآن للعكبري / ٢٢١

تأويل مشكل القرآن / ٥٤ ، القرطبي / ٦ / ٢٤٦ ، روح المعاني / ٦ / ٢٠١

بمائر نوى التمييز / ١ / ١٤٤ ،

(٢) البيت لضابي البرجمي ، اللسان / ٦ / ٢٣٨ ، تفسير الطبري / ١٦ / ١٣٧ سورة طه

واحتج بذلك سيبويه في كتابه (١) وأنشد قول الشاعر (٢)  
وإلا فاعلموا أنا وأنتم بُغاةٌ ما بقينا في شقاقٍ  
والمعني : فاعلموا أنا بغاة ما بقينا في شقاقٍ وأنتم أيضا  
كذلك

أما عن الحكمة والفائدة في تقديم اللفظ هنا مع نية التأخير  
فلأنه تعالى قدم المائبين على النطاري في هذا الموضع لأنه ترتيب  
حسب الزمان، فالمائبون كانوا قبل عيسى في الزمن (٣)  
وقال ابن الزبير الغرناطي (٤) معللاً سبب ذلك إضافة إلى علة الترتيب  
الزمني بأنه: "أورد مرفوعاً تنبيهاً على أن الترتيب الأخرى ليس  
بحسب ترتيب الدنيا بل إنَّ المستجيب المؤمن من الكل مخلص والمكذب  
متورطاً ثم مراتب الجزاء بحسب الأعمال وتأكيداً للتسوية في الحكم  
إذا اتفقوا في الموافاة على الإيمان ، فنبه التقديم على هذا ،  
وزاد القطع إلى الرفع تأكيداً لأن قطع اللفظ عن الجريان على  
ما قبله مُحَرِّكٌ للحظ توجيهاً " ٥٠١ هـ

وقال الآلوس (٥): " وانما وُسِّطت الجملة هنا بين إن وخبرها مع  
اعتبار نية التأخير ليسلم الكلام عن الفصل بين الاسم والخبر  
فالمائبون مع ظهور ضلالهم وزيفهم عن الأديان كلها حيث قبلت  
توبتهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فغيرهم أولي بذلك " ٥٠١ هـ

وهناك توجيه آخر للأية قال به ابن قتيبة والفراء  
قال ابن قتيبة (٦) : - رفع " المائبون " لأنه ردٌ على موضع " إن الذين  
آمنوا " وموضعه رفع ، لأن " ان " مبتدأة وليست تُحدث في الكلام معنى  
كما تحدثه أخواتها ، ألا ترى أنك تقول : زيد قائم ، ثم تقول :  
" إنَّ زيدا قائمٌ " ولا يكون بين الكلامين فرق في المعنى ، وتقول :  
زيد قائم ، ثم تقول : ليت زيدا قائم " فتحدث في الكلام معنى  
الشك ،

(١) الكتاب لسيبويه ج ٢ / ١٥٦ تحقيق عبد السلام هارون

(٢) بشر بين أبي حازم ، أنظر المصدر السابق ج ٢ / ١٥٦

(٣) درة التنزيل / ص ٢٠ ، بمائر نوى التمييز ، / ١٤٤

(٤) في ملاك التأويل ج ١ / ٧٨

(٥) رفع المعاني ج ٦ / ٢٠١

(٦) تأويل مشكل القرآن : ٥٢ /

وأنظر تفسير الرازي ج ١٢ / ٥٦

ويدلك على ذلك قولهم : إنَّ عبدَ الله قائمٌ وزيدٌ فترفع زيدا كأنك قلتَ : - "عبدُ الله قائمٌ وزيدٌ"

وتقول : لعلَّ عبدَ الله قائمٌ وزيداً ، فتتمب مع لعلَّ وترفع مع انَّ ، لما أحدثته لعلَّ من معنى الشك في الكلام ، لأنَّ "إنَّ" لم تُحدث شيئاً ، وكان الكسائي يجيز : "إنَّ عبدَ الله وزيدٌ قائمان" والبصريون يجيزونه وينشدون :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإنِّي وقيارٌ بها لغريب<sup>(١)</sup>  
وقال بنحو ذلك الفراء<sup>(٢)</sup> : قال : إنَّ اسم "إنَّ" في هذه الآية وهو "الذين" من الأسماء التي لا يتغير حالها عند اختلاف العوامل<sup>(٣)</sup> فلا يظهر أثر كلمة إنَّ فيها ، فالذي يُعطف عليه يجوز فيه النصب على إعمال هذا الحرف ، والرفع على إسقاط عمله فيجوز أن يقال : "ان هؤلاء وإخوتك يكرمونا" " وإن قطام وهند عندنا" والسبب في جواز ذلك ان كلمة ان " كانت في الأصل ضعيفة العمل لأن كلمة "إنَّ" إنما تعمل لكونها مشابهة للفعل ومعلوم أنَّ المشابهة بين الفعل وبين الحرف ضعيفة ، وانا صارت بحيث لا يظهر لها أثر في اسمها صارت في غاية الضعف ، فجاز الرفع بمقتضى الحكم الثابت قبل دخول هذا الحرف عليه .

فهنا تقرير قول الفراء وقد ذكره الرازي<sup>(٤)</sup> ورجحه على القول الأول والذي يظهر لي أن كلا القولين صحيح ويلتقيان عند معنى واحد وهو جواز مجيء المعطوف على اسم إنَّ مرفوعاً اما بالابتداء على نية التأخير لفائدة يقتضيها المعنى والسياق كما هو القول الأول . وإمّا لأن كلمة "ان" ضعيفة العمل في بعض الأحوال كما تقدم في تقرير قول الفراء ولذلك يجوز أن يأتي المعطوف على اسمها والذي لا يظهر له أثر في الاعراب مرفوعاً على الأصل ، أي رد على موضع " إن الذين آمنوا " كما هو تعبير ابن قتييبة

فمن أقوال هؤلاء العلماء يتضح لنا وجه رفع "الصائبون" ويزداد إيماننا واعتقادنا بعظمة القران وأسرار الله في كلامه

(١) تقدم تخريج البيت .

(٢) معاني القران سورة المائدة / ٦٩

(٣) فأنت تنطق "الذين" في حال النصب والرفع والجر حالاً واحداً لا يتأثر بموقعه من الاعراب فصح أن عليها المرفوع وان كان حقه النصب باعتبار محله بالنظر الى لزومه حالة واحدة مع سائر العوامل .

(٤) تفسير الرازي ج ١ / ٥٦

التي لا تحصى ولا تعد .

ثانيا : قوله تعالى في سورة النساء :

( لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما ) الآية / ١٦٢  
قوله تعالى في هذه الآية " والمقيمين الصلاة " منصوبة وعلامة النصب الياء ، قد يُتوهم أن ذلك مخالف لنسق الآية وغيرها من الآيات وقواعد النحو ، إذ من حق الكلمة في الظاهر أن تكون مرفوعة عطفا على قوله : " والمؤمنون " كما أن كلمة :  
"المؤتون الزكاة " جاءت بعدها وهي مرفوعة فما بال كلمة :  
" والمقيمين الصلاة " جاءت منصوبة من بينها .

والجواب : ان المعتمد في إعراب هذه الكلمة أنها جاءت على أسلوب من أساليب العرب عندما يصفون ويمدحون فيركزون على صفة من الصفات الممدوحة في الكلام فينصبونها على المدح ، وهو قول الخليل وسيبويه وسائر البصريين (١)

قال سيبويه (٢) : هذا باب ما ينصب على التعظيم ومن ذلك

" والمقيمين الصلاة " وأنشد لابن خياط :-

وكل قوم أطاعوا أمر سيدهم      إلا نُميرا أطاعت أمر غاويها  
الظاعنين ولما يُظعنوا أحــدا      والقائلون لمن نار نخيلها (٣)  
وأنشد لخرنق بنت هفان (٤) :

لا يَبْعَدَنَّ قومي الذين هـم      مُمُّ العداة وآفة الجُرر  
النازلين بكل معـــــــترك      والطيبون معاقد الأزر

نصبت النازلين على المدح فكأنها قالت : أعني النازلين ، فالعرب من أساليبها أن تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد وبعته اذا تناولت بمدح

(١) اعراب القرآن للعكبري ج ١ / ٢٠٢ ، تأويل مشكل القرآن / ٥٣

القرطبي ٦ / ١٣ ، روح المعاني ٥ / ١٤ ، تفسير الرازي ١١ / ١٠٨

(٢) الكتاب : ج ١ / ٢٤٩ ، وانظر : الكامل للمبرد : ٢ / ٧٥١

(٣) قوله : " والظاعنين ولما يُظعنوا أحدا " أي يخافون من عدوهم لقلتهم وذلهم فيظعنون ولا يخاف منهم عدوهم فيظعن عن دارهم خوفا منهم -

القرطبي ٦ / ١٤ (٤) الكتاب : ١٠٩

وخرنق بنت هفان من بني قيس : وصفت قومها بالظهور على العدو ونحس

للأضياف والملازمة للحرب والعفة عن الفواحش، قرطبي ٦ / ١٤ ،

تأويل مشكل ١ / ٥٣ .

أو ذم ، خالفوا بين اعراب أوله أو وسطه أحيانا ثم رجعوا  
بآخره الى اعراب أوله . وربما أجروا اعراب آخره على اعراب أوسطه  
وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الاعراب (١)

وعلى هذا يقال : جاعني قومك المطعمين في المَحَل والمغيثون  
في الشدائد ، والتقدير جاعني قومك أعني المطعمين في المحل  
وهم المغيثون في الشدائد  
وكذا ههنا تقدير الآية : أعني المقيمين الصلاة وهم المؤتمنون  
الزكاة (٢)

واختار ابن جرير (٣) أن " والمقيمين " في موضع خفض نسقا على " ما "  
التي في قوله : " بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك " وأن معنى  
المقيمين الصلاة : الملائكة

قال : فيكون تأويل الكلام : " والمؤمنون منهم يؤمنون بما  
أنزل اليك يا محمد من الكتاب و بما أنزل من قبلك من كتبي و  
بالملائكة الذين يقيمون الصلاة ، ثم يرجع الى صفة الراسخين في  
العلم " فيقول : لكن الراسخين في العلم منهم والمؤمنون  
بالكتب والمؤتمنون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر

قلت :- وبهذا يتبين لنا أن قوله تعالى : (( والمقيمين الصلاة ))  
رغم مخالفتها لما قبلها وما بعدها لكنها موجهة توجيها عربيا  
سليما سقت لأجله الشواهد على صحتها مما يدل على استعمال  
العرب لهذا الاسلوب من التفنن في الكلام والخطاب ، والقرآن إنما نزل  
على لسانهم وجريا على عاداتهم في الخطاب ليكون أبلغ في الاعجاز  
وأمعن في التحدى فالقول بأن هذه الكلمة أو غيرها من لحن  
الكاتب، أو توهم أنها تخالف قواعد العربية ليس له وزن أو  
اعتبار أو مستند صحيح .

(١) تفسير الطبري ٩ / ٣٩٥ تحقيق محمود شاكر

(٢) أنظر تفسير الرازي ج ١١ / ١٠٨

(٣) تفسير الطبري ج ٩ / ٣٩٥ فما بعدها

ثالثاً :- قوله تعالى في سورة طه :-

(( إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ وَيَذْهَبَا

بَطْرِيقَتِكُمُ الْمُثَلِي ۖۖۖۖ )) الآية / ٦٣

هذه قراءة ابن كثير ورواية حفص عن عاصم وهما من القراء

السبعة ، بتخفيف نون (( إِنَّ )) وبإثبات الألف في (( هذان )) (١)

وعلى هذه القراءة تكون (( إِنَّ )) مخففة من الثقيلة ولهذا دخلت اللام

على الخبر للتفرقة بين إِنَّ النافية وإِنَّ المخففة من الثقيلة ولهذا

تسمي اللام الفارقة (٢)

وقد قرر ابن مالك في ألفيته أن (( إِنَّ )) اذا خُفِّت يقل

عملها ، فانا أهمل عملها وهي مخففة ألزمت اللام وكانت بمنزلة

ان النافية التي لا يلزم بعدها نصب الاسم بل لا بد أن يكون

مرفوعاً

قال ابن مالك (٣) : وَخُفِّتْ إِنْ فَقُلَّ الْعَمَلُ وَتَلَزَمَ اللَّامُ إِذَا مَا تُهْمَلُ

وعلى هذا فلا إشكال في هذه القراءة

وكذلك قراءة أبي عمرو البصرى : (( ان هذين لساحران ۖۖۖۖ )) (١)

بتشديد نون (( إِنَّ )) وبإثبات الياء في "هذين" كعلامة على النصب

لأنها اسم "إِنَّ" حسب القاعدة المشهورة

وقرأ نافع المدني وعاصم برواية شعبة وحمزة والكسائي : (٤)

(( إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ۖۖۖۖ )) بتشديد نون (( إِنَّ )) وإثبات ألف

(( هذان ))

وحسب القاعدة المشهورة فان هذه القراءة قد يُتوهم أنها

تخالف قواعد العربية .

وللعلماء في قراءة أهل المدينة والكوفة : (( إِنَّ هَذَانِ )) المتواترة

أقوال وتوجيهات لبيان فصاحتها وأنها موافقة لما جاء عن العرب

وأن القرآن قد حفظ ضروب اللهجات وأنواع اللغات التي نطق بها العرب

وانه كان وسوف يبقى الشاهد والمقياس لصحة الكلام وعربيته (٥)

(١) النشر في القراءات العشر ٢ / ٣٢١ البحر المحيط لأبي حيان ٢٥٥/٦

وقراءة ابن كثير بتشديد النون من (( هذان ))

(٢) الحجة في القراءات لابن خالويه ص : ٢٤٢ ، تحقيق عبد العال مكرم ط : دار الشروق

(٣) - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج١ / ٣٧٧

(٤) النشر في القراءات العشر ٢ / ٣٢١

(٥) انظر في ذلك : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١ / ٥٣ شرح المفصل ٧٨/٨

تأويل مشكل القرآن ص ٥٠ ، البحر المحيط ٢٥٥ / ٦

القرطبي ١١ / ٢١٦ روح المعاني ١٦ / ٢٢١ مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٥ / ٢٤٨

فأما القول الأول وهو أشهرها واختاره أبو حيان وابن مالك والأخفش وأبو علي الفارسي :

أن هناك قبائل عربية تجعل رفع المثني ونصبه وخفضه بالألف وهم : بنو الحرث بن كعب ، وزبيد ، وكنانه بن زيد ، وبكر بن وائل ، وهمدان ، وخثعم ، وبني العنبر ، وبني الهجم ، ومراد وعذرة

يقولون : جاء الزيدان ، ورأيت الزيدان ، ومررت بالزيدان ، وجلست بين يديه

قال ابن خالويه<sup>(١)</sup> : (( وقوله تعالى (( ان هذان لساحران )) فالحجة لمن شدد النون في (( ان )) وأتى بألف في (( هذان )) أنه احتج بخبر الضحاك عن ابن عباس : (( أن الله تعالى انزل هذا القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب ))

وهذه اللفظة بلغة بني الحرث بن كعب - خاصة - لأنهم يجعلون التثنية بالألف في كل وجه لا يقبلونها لنصب ولا خفض قال شاعرهم<sup>(٢)</sup> إنَّ أباهَا وأبا أباهَا قد بلغنا في المجد غايتها (( ١٠٠

وانشد الفراء<sup>(٣)</sup> لرجل من بني أسد قال ما رأيت أفصح منه : فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى

مساغا لناياه الشجاع لسمما

فقال لناياه بدلا من : لناياه وقال آخر : -<sup>(٤)</sup>

تزود منا بين أذناه ضربة دعته الى هابي التراب عقيم قال : بين أذناه : بدلا من بين اننيه

قال ابو جعفر الثعالب<sup>(٥)</sup> : وهذا القول من أحسن ما حملت عليه الآية ان كانت هذه اللغة معروفة وقد حكاهما من يرتضى علمه ومدقه وأمانته : منهم أبو زيد الانصاري وأبو الخطاب

---

(١) في كتابه : الحجة في القراءات السبع ص ٢١٧  
(٢) هو ابو النجم العجلي وقيل لرؤية . أنظر جمع الهوامع للسيوطي مع الحاشية ج ١ / ١٢٨ تحقيق د . عبدالعال مكرم  
(٣) معاني القرآن ج ٢ / ١٨٤  
(٤) البيت لهويز الحارثي : اللسان ١٠ / ٦٤٠ ، الصحاح ٦ / ٢٥٢٢  
(٥) اعراب القرآن / للنحاس ج ٢ / ٢٤٦

الأخفش والكسائي والفراء، كلهم قالوا : هذه لغة بني الحرث ابن كعب، وحكى أبو عبيدة عن أبي الخطاب الأخفش أن هذه لغة بني كنانة

### القول الثاني : -

أن قوله (( إِنَّ هَذَا )) جاء على أصله الذي ينبغي أن يكون وأصحاب هذا القول عبروا عنه بعبارات متقاربة قال أبو جعفر النحاس<sup>(١)</sup> : (( ومن أبين ما في هذا قول سيوية )) واعلم أنك إذا نثيت الواحد زدت عليه زائدتين الأولى منهما حرف مد ولين (وهو حرف الاعراب ))

قال أبو جعفر : فقول سيويه وهو حرف الاعراب يوجب أن الأصل ألا يتغير فيكون (( إِنَّ هَذَا )) جاء على أصله ليعلم ذلك ولا يفكر في انكار من أنكر هذه اللغة أنا كان الأئمة قد رووها وبُسِّتِ أنها الأصل . ))

قلت : أي أن لزوم الألف في لفظة 'هَذَا' نمبا ورفعا وخفضا اجتمع فيه أنه لغة مروية وأنه جاء على أصله الذي ينبغي أن يكون ومن ذلك قول الفراء<sup>(٢)</sup> : (( وجدت الألف دعامة ليست بلام الفعل فزدت عليها نونا ولم أغيرها كما قلت : (( الذي )) ثم زدت عليه نونا فقلت : جاءني الذين عندك ، ورأيت الذين عندك ومررت بالذين عندك . )) ١٠ هـ

قلت : ومعنى ما تقدم أن ألف (( هذا )) هو حرف لين وهو حرف متطرف فلو غير إلى الياء في النصب والجر لذهب الأصل ولما عُرف أن هذه الياء جاءت في النصب والجر بدل الألف، هذا بخلاف الاسم الصحيح كمحمدان رفعا، ومحمدين نمبا وجرًا، فإن الألف والنون ، والياء والنون ، زوائد على الأصل وحروف الكلمة الأصلية لم يُحذف منها شيء بعكس (( نا )) التي هي للإشارة فإن بناءها الأصلي على النون والألف المتطرفه فلو أبدلت بالياء

(١) المصدر السابق ج ٢ / ٢٤٦ .

(٢) معاني القرآن ٢ / ١٨٤ . وأنظر القرطبي ١١ / ٢١٨

مجموع الفتاوى ١٥ / ٢٥٧



### لذهب أصل من بنية الكلمة

وكلام الفراء في الذاى ، والذاىن) هو عىن كلام سىبوىه فى لزوم هذان فى كل أحوالها الألف ، لأن الألف أصل فى بنية الكلمة كما أن الياء أصل فى بنية الكلمة ، وأمثال هذه الكلمات الأصل فىها وجود الأصل ولا يعدل عنه الى نصب المثنى أو جره بالياء الا فى حيث يكون هذا الأصل مستمحباً معلوماً وهو لا يستحب ولا يعلم لكثير من الناس ولذا نطقت بعض القبائل العربية (( هذان )) فى كل الأحوال استمحباً لذلك الأصل ونزل القرآن المتواتر بذلك تقريراً لفصاحة نطق هذه القبائل التى أسلفت ذكرها .

نقل السىوطى فى الأشباه والنظائر<sup>(١)</sup> : عن القفطى فى إنباه الرواة أن القاضى اسماعىل بن اسحق سأل أبا الحسن بن كيسان عن قراءه (( ان هذان لساحران )) فأجاب بأنها مبنية لامعربة ) قال فما علة بنائها ؟ ، قال : لأن المفرد منها هذا وهو مبني ، والجمع (( هؤلاء )) وهو مبني ، فتحمل التثنية على الوجهين ، فأعجب القاضى ذلك وقال : ما أحسنه لو قال به أحد ((٠٠٠٠)) ٠١ هـ

وقد أوضح ابن فارس فى كتابه الماحبى<sup>(٢)</sup> : أن الإعراب القياسى يقتضى لزوم الألف فى التثنية فىقال : (( هذان )) فى جمىع الأحوال فىقال : (( وذلك أن هذا )) اسم منهوك ونهكه أنه على حرفىن احدهما حرف علة وهى الألف وهما كلمة تنبىه ، لىست من الاسم فى شىء ، فلما تُنى أُحتىج الى ألف التثنية فلم يوصل اليها لسكون الألف الأصلية ، وأُحتىج الى حذف أحديهما فىقالوا : ان حذفنا الألف الأصلية بقى الاسم على حرف واحد وان أسقطنا ألف التثنية كان فى النون منها عوض ودلالة على معنى التثنية ، فحذفوا ألف التثنية فلما كانت الألف الباقية هى ألف الاسم واحتاجوا الى اعراب التثنية لم يغيروا الألف عن صورتها لأن الاعراب واختلافه فى التثنية والجمع انما يقع على الحرف الذى هو علامة التثنية والجمع ، فتركوها على حالها فى النصب والخفض ...

(١) الأشباه والنظائر ٣ / ١٣٤ ، وأنظر اعراب القرآن للنحاس ٢ / ٢٤٦ والقرطبى ١١ / ٢١٩ .

(٢) الماحبى لابن فارس ص : ٤٩ - ٥٠ وذكر معناه ابن هشام فى شذور الذهب ص ٢٨ فما بعدها وأنظر دفاع عن القرآن ص ٨٦ .

... قال : ومما يدل على هذا : قوله جل ثناؤه  
( ( فذانك برهانان من ربك )) (١) لم تُحذف النون (٢) - لأنه لو  
حذفت النون- وقد أُضيف لذهب معنى التثنية أصلاً لأنه لم تكن  
للتثنية ها هنا علامة الا النون وحدها ، فإذا حُذفت أشبهت  
الواحد لذهب علامة التثنية )) ٥٠١ هـ

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية (٣) : ان بناء المثنى اذا كان مفرده  
مبنياً أفصح من إعرابه ، لأن القياس في أسماء الإشارة هو أن يلحق  
مثناه بمفرده ومجموعه لا يلحق بمثنى الذى هو معتبر بمفرده ومجموعه  
وقال : وقد تقطن للفرق غير واحد من النحاة ونكر قول الفراء  
وابن كيسان والجرجاني في ذلك  
قال بيان هذا القول : أن المفرد : (( نا )) فلو جعلوه ككائر  
الاسماء لقالوا في التثنية : (( نوان )) ولم يقولوا : (( نان )) كما  
قالوا : عصوان ، ورحوان ونحوهما من الأسماء الثلاثية  
وفي (( ذات )) التي بمعنى صاحب قالوا : (( هو نو علم ))  
( ( وهما نوا علم )) ، كما قال : (( نواتا أفنان )) وفي اسم  
الإشارة قالوا : نان ، ذاتان كما قال : (( فذانك برهانان من  
ربك ))

فان نا بمعنى صاحب هو اسم معرب فتغير اعرابه في الرفع  
والنصب والجر ف قيل : (( نو ، ونا ، و نى )) ٥٠١ هـ .  
ومن ذلك قول ابن الحاجب : (٤)

قال : ان (( هذان )) مبني لدلالته على معنى الإشارة وإنّ قول  
الأكثرين : (( هذين )) جراً ونصباً ليس اعراباً أيضاً .

قال ابن هشام (٥) : وعلى هذا فقرأة هذان أقيس ان الأصل في  
المبني أن لا تختلف صيغته مع أن فيها مناسبة لألف ساحران)) ٥٠١ هـ .

(١) آية ٢٢ / القصص .

(٢) من ذانك

(٣) مجموع الفتاوى ج ١٥ / ٢٥٥ فما بعدها

وأنظر شذور الذهب لابن هشام ص ٢٨ فما بعدها

فقد أتى بقول ابن تيمية ملخصاً مهذباً .

(٤) مغني اللبيب لابن هشام ج ١ / ٥٨ تحقيق د. مازن المبارك و محمد علي

حمد الله .

(٥) المصدر السابق ج ١ / ٥٨

وفي إعراب القرآن المنسوب للزجاج (١)؛ جعل الأصل في إعراب المثني أن يكون بالألف على الدوام في جميع الأحوال لكن الاستعمال جاء علي خلاف الأصل قال (٢) : (( ومن ذلك : (( انّ هذان لساحران )) الأصل في ألف التثنية أن تكون كعما ورحا في الرفع والنصب والجر علي صوره واحدة ، لأن الحركة فيها مقدره كما هي في ألف ((عما)) و ((رحا)) - ولكنه جاء الاستعمال علي قلبها ياء في النصب والجر حرما علي البيان اذ لم يكن هناك ما في المفرد من البيان - ألا تراك تقول : ضرب موسى العاقل عيسى الأديب فيتبين الرفع بالمفة بعد الفاعل ونصبها بعد المفعول ، وهذا المعني لا يتأتى بالتثنية لو قلت : ضرب الزيدان العاقلان العمران القائمان - لم تتغير المفة فجاء قوله : (( انّ هذان لساحران علي الأصل الذي ينبغي أن يكون )) ٥٠١ هـ

قلت : فمن خلال ما تقدم يتضح لنا أن قوله تعالى : (( انّ هذان لساحران )) جاءت علي الأصل الذي ينبغي أن يكون وأنها في غاية الفصاحة وأن هذه القراءة قد اجتمع فيها شيان : أولهما : أنها جاءت علي الأصل كما تقدم والثاني : أنها نزلت علي لغة نطق بها الكثير من القبائل فليس هناك اختلاف بين القولين .  
والذي يتلخص أن الأسماء المبنية مثل هذا و الذي ونحوها الأصل بقاء مثنائها كمفردها وجمعها مبني علي كل حال و أما قراءة أبي عمرو البصري (( إنّ هذين )) بالياء فانها تدل علي جواز الاعراب فيصح في مثل ذلك البناء وهو فصيح والاعراب وهو فصيح أيضا لكونه قراءة سبعة .  
والله تعالى أعلم وهو ولي التوفيق ،

(١) إعراب القرآن للزجاج ص ٩٢٢ تحقيق الاستاذ الأبياري

وانظر : دفاع عن القرآن ص ٨٠

(٢) ص ٩٢٢ من المصدر السابق - من القسم الثالث .

رابعاً :- قوله تعالى :

(( وكذلك زَيْنَ لَكثير من المشركين قتلَ أولادِهِم شركاءُهم )) الانعام/١٣٧  
قرأ ابن عامر الشامي وهو أحد القراء السبعة :-  
(( وكذلك زَيْنَ لَكثير من المشركين قتلَ أولادِهِم شركاءُهم )) بالبناء  
للمفعول ونصب الأولاد وجر الشركاء بإضافة مفعولا بينهما بمفعول  
القتل .

انتقد الزمخشري هذه القراءة لمخالفتها للقواعد النحوية فسي  
نظره فشنع عليه الأئمة في ذلك<sup>(١)</sup> وجعلوه بعلمي القراءة والأصول  
لأن ماردّه محض قراءة متواترة نظيرها في كلام العرب في غير ما  
بيت ، كما تولى النحاة البصريون كبر توهين هذه القراءة<sup>(٢)</sup> تعصبا  
لمقاييسهم النظرية لتسلم لهم قواعد وضعوها دون استقراء وافٍ فقد  
قالوا : إنّ المضاف والمضاف اليه في حكم الشيء الواحد والكلمة  
الواحدة فلا يُفصل بينهما بأجنبي وإنما جاز الفصل بالظرف والجار  
والمجرور لأننا نتسامح فيهما ولا نتسامح في غيرهما<sup>(٣)</sup> كما حكم  
الفراء علي هذه القراءة بأنها ليست بشيء<sup>(٤)</sup>

وهذا ان لم يكن اساءة أدب مع كتاب الله فهو عدم إطلاع علي،  
تواتر هذه القراءة السبعية لابن عامر أعلى القراء السبعة سندا وهو  
العربي الصريح وكلامه حجة يستدل به النحاة واللغويون لأنه من  
عصور الاحتجاج : قال ابن البانثي<sup>(٥)</sup> :- و عبد الله بن عامر من  
التابعين سمع أبا الدرداء وفضالة بن عبيد ووالدة بن الأسقع ، ومعاوية  
ابن أبي سفيان وغيرهم ٠٠٠٠٠ وليس في السبعة القراء من العرب إلا  
ابن عامر وأبو عمرو وسائرهم موالي ، وتوفي بدمشق سنة ثمانني  
عشر ومائة في أيام هشام بن عبد الملك . ٠٠١ هـ  
فكيف يكون كلامه العادي حجة لأنه من عصور الاحتجاج ، ثم يرفضون

(١) انظر البحر المحيط لأبي حيان ج ٤ / ٢٣٠ سورة الأنعام / ١٣٧

روح المعاني للآلوسي ج ٨ / ٢٣

وأنظر الكشاف بحاشية ابن المثير ج ٢ / ٥٤

(٢) الحجة في القراءات السبع / ١٢٥ تفسير القرطبي ٧ / ٩١ ، البحر المحيط ٤ / ٢٢٩

(٣) في أصول النحو / سعيد الأفغاني ٤٠ - ٤١ ، دفاع عن القرآن / ١٠٤

(٤) معاني القرآن ج ١ / ٢٥٨ الأنعام / ١٣٧ وأنظر دفاع عن القرآن / ١٠٤

(٥) في كتابه الاقناع في القراءات السبع :- ج ١ / ١٠٤ - ١٠٥

تحقيق د . عبد المجيد قطامش ط : اولي

القراءة التي رواها عن كبار الصحابة والتابعين (١) فما نامت  
اللغة سماعا فقولهم لا ينهض حجة في شيء  
قال أبو حيان (٢) : (( وبعض النحويين أجازوها وهو الصحيح لوجودها  
في هذه القراءات المتواترة المنسوبة الي العربي الصريح المحض أبـن  
عامر الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في  
لسان العرب، ولوجودها أيضا في لسان العرب في عدة أبيات )) ٠١ هـ .  
هذا وقد تولى العلامة ابن مالك الرد عليهم في عدة مواضع  
من مصنفاته قال في الفيته المشهورة (٣)

فصل مُضَافٍ شَبَهَ فِعْلٌ مَا نَصَبَ      مَفْعُولًا أَوْ ظَرَفًا أَجْزُ ، وَلَمْ يُعَبِّ  
فَصْلٌ يَمِينٌ ، وَاضْطَرَّارًا وَجَدَا      بِأَجْنَبِيٍّ أَوْ بُنِعَتْ أَوْ نَدَا (٤)

وقال في الكافية الشافية (٥)  
و ظرفاً أو شبيهه قد يفصلُ  
فصلان في اضطرارٍ بعض الشعرا  
لفاعل من بعد مفعولٍ حجزُ  
يفركُ حبَّ السنبِلِ الكنافجِ  
و عمدتي قراءةُ ابنِ عامرٍ  
جُزئى إضافة ، وقد يُستعملُ  
وفي اختيارٍ قد أضافوا المصدراً  
كقول بعض القائلين للرجز  
بالقاعِ فركَ القطنِ المحالجِ (٦)  
و كم لها من عاضدٍ و ناصرٍ هـ

و الشاهد هو إضافة المصدر للفاعل مفعولا بينهما بالمفعول  
كقول الراجز : فركَ القطنِ المحالجِ ؛ أى فركَ المحالجِ القطنِ ، وقال  
ابن مالك في تسهيل الفوائد (٧) : وان كان المُضَافُ مصدرًا جاز أن يُضَافَ  
نظماً ونثراً الى فاعله مفعولا بمفعوله )) ٠١ هـ .

(١) انظر : اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للديلمي ص : ٢١٧

(٢) البحر المحيط ٤ / ٢٣٠ الأنعام / ١٣٧

(٣) شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك ج ٣ / ٨٢ - ٨٣

(٤) وشبه الفعل هو المصدر واسم الفاعل ، قال ابن عقيل : ومثال ما فصل فيه

بين المضاف والمضاف اليه بظرف نمبه المضاف الذي هو مصدر ما حكي عن

بعض من يوثق بعربيته : (( تَرَكَ يَوْمًا نَفْسِكَ وَ هَوَاهَا سَعِي لَهَا فِي رِأْيَا ))

وقول ابن مالك : وَلَمْ يُعَبِّ فَصْلٌ يَمِينٌ ؛ مثاله كما قال ابن عقيل : هذا غلام

والله زيدٌ ، شرح ابن عقيل ج ٣ / ٨٢ - ٨٣

(٥) شرح الكافية الشافية ج ٢ / ١٧٨

(٦) هو أبو جندل الطهوى يصف جرانا ، ومعني السنبيل الكنافج : المكتنز ، والضمير في

يفرك يعود للجراد أنظر شرح الكافية ج ٢ / ١٨٦ مع الهامش

(٧) تسهيل الفوائد لابن مالك ص ١٦١ .

وقال في شرح التسهيل<sup>(١)</sup> : ان قراءة ابن عامر فضلا عن أنها قراءة ثابتة بالتواتر ومعزوة الى موثوق بعربيته من كبار التابعين في الفماحة وأخذ عن جامع القران عثمان رضي الله عنه فضلا عن ذلك فإنها قوية في القياس لثلاثة أمور .  
أحدها :- كون الفاصل فضلا فإنه لذلك صالح لعدم الاعتداد به الثاني :- كونه غير أجنبي معنى لأنه معمول للمضاف وهو المصدر الثالث :- أن الفاصل مُقَدَّرُ التَأخِيرِ لأن المضاف اليه مقدر التقديم لأنه فاعل في المعنى ، حتى أن العرب لو لم تستعمل مثل هذا الفصل لاقتضى القياس استعماله ، لأنهم قد فصلوا في الشعر بالأجنبي كثيرا فاستحق((الفصل بغير أجنبي)) أن يكون له مزية فيحكم بجوازه مطلقا وانا كانوا قد فصلوا بين المضافين بالجملة في قول بعض العرب (( هو غلام - ان شاء الله - أخيك )) فالفصل بالمفرد أسهل (( ١٠ هـ

قال القرطبي في تفسيره<sup>(٢)</sup> : قال القشيري : ( اذا ثبتت القراءة عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو الفصح لا القبيح ، وقد ورد ذلك في كلام العرب وفي مصحف عثمان : (( شركائهم )) بالياء فهذا يدل على قراءة ابن عامر وأضيف القتل في هذه القراءة الى الشركاء لأن الشركاء هم الذين زينوا ذلك ودعوا اليه فالفعل مضاف الى فاعله على ما يجب في الأصل لكنه فرّق بين المضاف والمضاف اليه وقدم المفعول وتركه منصوبا على حاله إذ كان متأخرا في المعنى ، وأخّر المضاف وتركه مخفوضا على حاله ان كان متقدما بعد القتل ، والتقدير : وكذلك الذين كثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم :  
أى أن قتل شركائهم أولادهم (( ١٠ هـ

وقال الآلوسي في تفسيره<sup>(٣)</sup> : (( وقال العلماء إن هناك فرقا بين المضاف الذي لم يعمل وبين غيره بأن الثاني يُفصل فيه بالظرف والأول إذا كان مصدرا أو نحوه يُفصل بمعموله مطلقا ، لأن إضافته في نية الانفصال ومعموله مؤخر رتبة ففعله كلافصل فلذا ساغ ذلك

(١) شرح تسهيل الفوائد ج ٢ / ١٨٢ وأنظر : النشر لأبن الجزري حيث نقل كلام ابن مالك هذا ج ٢ / ٢٥٥

(٢) ج ٧ / ٩٣ الإبعام / ١٣٧

(٣) روح المعاني ج ٨ / ٣٣

فيه ولم يُخَصَّ بالشعر، وممن صرح بذلك ابن مالك وخطأ  
الزمخشري بعدم التفرقة فقال في الكافية (.....)) وذكر الآيات  
التي نقلناها آنفاً

قلت :- فهذا بيان المحققين من العلماء<sup>الذين</sup> اتفعلوا من علوم  
النظر والأثر ، ومما يؤيد أن المنكرين لهذه القراءة ولغيرها  
انما ينقصهم المزيد من علم الأثر قول ابن خالويه<sup>(١)</sup> بحق  
ابن عامر : (( وانما حمل القارئ بهذا عليه أنه وجد في مصاحف  
أهل الشام بالياء فاتبع الخط )) ٥٠١ هـ

و كلامه هذا منقوض وباطل ، إذ أن القراءة سنة متبعة  
مأخوذة بالتلقي من أفواه القراء الأعلام جيلاً عن جيل ، وعثمان  
لما أرسل المصاحف أرسل مع كل مصحف من الصحابة من يقرباً  
القرآن على ما يوافق رسم ذلك المصحف كما تقدم في أول هذا الفصل  
كما أنه من المعلوم أن المصاحف العثمانية التي وُزعت على  
الامصار روعي فيها اختلاف القراءات المتلقاة من رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - لذا فقد كان هناك بعض الاختلاف في رسم المصاحف  
مثل : (( تجرى من تحتها الأنهار )) في التوبة

هكذا هي في المصحف المكي<sup>(٢)</sup> وهي قراءة ابن كثير المكي  
وجمهور القراء على حذف (( من )) وكذلك هي في بقية المصاحف  
والله ولي التوفيق ،

---

(١) الحجة في القراءات ص / ١٢٥

وأنظر تفسير الزمخشري ٢ / ٥٤

(٢) النشر في القراءات العشر ج ٢ / ٢٨٠

من مباحث موهم الاختلاف في النص القرآني  
التقديم والتأخير والزيادة والنقص وإبدال كلمة بأخرى

من المعلوم أن بعض آيات القرآن الكريم متشابهة في اللفظ يعاد  
ذكرها في موطنين أو أكثر ، لكن باختلاف بسيط من تقديم كلمة وتأخير  
أخرى أو زيادة في كلمة أو إبدالها بأخرى ، لحكم وفوائد يقتضيها  
المعنى الذي سيقت له الآية ولمناسبة ما قبلها من الكلام كما سوف  
يأتي تفصيله .

ومن المعلوم أنه لا يتقدم اللفظ في الكتاب العزيز ذكرا أو يتأخر  
أو يبدل بغيره إلا لموجب ، لذا فإن هذا المبحث فيه بيان تناسق آيات  
الكتاب وترباطها وانسجامها مع سياقها وبيان فوائد كل تقديم أو تأخير  
أو زيادة أو ابدال في لفظه في الآيات المتشابهة اللفظ ، وفي ذلك رد  
على أعداء الإسلام ممن يتعرضون لمتشابه اللفظ بالقاء الشبهات والضلالات  
حوله بأنه مختلف .

ومن أجل ذلك فقد انبرى من علماء المسلمين من استوعب الآيات  
المتشابهة اللفظ في مصنف لبيان تناسقها ومناسبتها لسياقها وانسجام  
معانيها ، ولورد على الطاعنين والملحدين في هذا الباب بالذات ، ومن  
هؤلاء العلماء الخطيب الاسكافي في كتابه درة التنزيل فقد قال في  
مقدمة كتابه : بعد أن ذكر أنه لم يسبق لمثل عمله من بيان  
متشابه اللفظ مثل التقديم والتأخير والزيادة والنقص في بعض الآيات  
المتشابهات دون بعض .

قال : (( ففتقتُ من أكمام المعاني ما أوقع فرقانا وصار المبهم  
المتشابه وتكرار المتكرر تبيانا ، ولطعن الجاحدين ردا ، ولمسلك الملحدين سدا .  
وسميته : دُرّة التنزيل وُغرة التأويل )) ١٠ هـ

والآخر هو أحمد بن الزبير الفرناطي في كتابه الذي سَمّاه :  
(( ملك التأويل القاطع بذوى الاحاد والتعطيل في توجيه المتشابه  
اللفظ من أي التنزيل )) .

قال في مقدمة كتابه ( ص / ٣ ) : (( وان من مُفغلات مصنفي  
أئمتنا رضي الله عنهم في خدمة علومه وتدبير منطوقه الجليل ومفهومه :  
توجيه ما تكرر من آياته لفظا أو اختلف بتقديم أو تأخير وبعض زيادة  
في التعبير ، ففسر إلا على الماهر حفظا ، وظن الغافل عن التدبير



والمخلد الى الراحة عن التفكير أن تخصيص كل آية من تلك الآيات بالوارد فيها مما خالفت فيه نظيرتها لسبب يقتضيه وداع من المعنى يستوعبه ، ليس على جميع الوارد من ذلك مرجحات من المعاني ومقتضيات من لوازم التركيب ، فتعسا لمن تنكب عن واضح آياته ، وكأنه لم يقرع سمعه قوله تعالى : (( كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته - سورة ص / ٢٢ - .

ثم ذكر أن مما حركة الى هذا الغرض أنه باب لم يقرعه أحد ممن تقدمه مع عظيم موقعه وجليل منزعه ومكانته في الدين وفته أعضاد المشركين وذوى الشك والارتياب من الطاعنين والملحدين ، سوى صاحب درة التنزيل : الخطيب الاسكافي . ٥٠ هـ

قلت : وسوف آتي هنا بأمثلة شاملة من الكتاب العزيز تعدل على غيرها وتوضح لنا ماتقدم من حكمة وجود بعض الاختلاف في متشابه اللفظ، ولما كان متشابه اللفظ لا يخرج إجمالاً عن هذه الأنواع الثلاثة من الاختلاف أخذت منه نماذج وأمثلة ولم استوعب هذا المبحث لأن ذلك مما يطول وهذه النماذج تكفي في بيان المراد .

وأبدأ بالتقديم والتأخير : -

التقديم والتأخير في كتاب الله يأتي لحكم وغايات تتناسب مع سياق الكلام وما يقتضيه بلاغة الكتاب وفماحته وتغاير أساليبه وليس في ذلك اختلاف ولا تعارض .

ومن ذلك : قوله تعالى ( في البقرة / ٦٢ )

(( ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين (١) من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ))

وقال : (( في المائدة / ٦٩ )) : (( ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون )) .

---

(١) المابئون : قوم لا دين لهم ولا كتاب يعبدون الملائكة ، وقيل الكواكب وقيل غير ذلك - فهو من صبا اذا مال ، لأنهم مالوا عن الأديان الى دينهم فالذى يجمعهم أنهم لا دين لهم . انظر تفسير الماوردي ٨٦/١ زاد المسير ٩٢/١ روح المعاني ٢٧٨/١ تفسير ابن كثير ١٥٧/١ قرطبي ٤٣٥/١ .

وقال : (( فى الحج / ١٧ )) : (( ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شىء شهيد . ))

نلاحظ فى هذه الآيات أنه سبحانه قدم ذكر النصارى على الصابئين فى آية البقرة بينما قدم ذكر الصابئين على النصارى فى آتى المائدة والحج ، فهل هناك حكمة وفائدة من هذا التقديم والتأخير .

فالجواب<sup>(١)</sup> : انه عند تدبر هذه الآيات نجد أن كل آية جاءت لغرض معين :

فالآية الأولى وهى آية البقرة والتى قدّم فيها النصارى على الصابئين جاء الترتيب فيها حسب نزول الكتب السماوية :

صحف ابراهيم ، التوراة ، الانجيل ، ثم ذكر الصابئة الذين لا كتاب لهم فهم متأخرون من هذا الباب - أى فى الرتبة .

فهم لا يُقرّون بالبداة والعودة وإرسال الرسل كحال أهل الأديان الذين هم أهل الكتاب ، لذا فقد أُخروا فى الذكر لهذا الغرض وهذا على تفسير الذين آمنوا بأنهم المؤمنون بصف ابراهيم وغيره من الأنبياء السابقين وهم كانوا قبل اليهود والنصارى .

أما على تفسيرهم بأنهم الحنفيون قبل البعثة أو المؤمنون بموسى الى أن جاء عيسى<sup>(٢)</sup> عليهما السلام أو المؤمنون بدين الاسلام مخلصين أو منافقين فتقديمهم لأنهم أحق بالتقديم وهم أهل الخطاب وهم معظم من قصد بالخطاب بالتأنيس والترغيب<sup>(٢)</sup> .

---

(١) درة التنزيل ص ٢٠ ، فتح الرحمن ٣٠ / ٣١ / ملك التأويل ج ١ / ٧٤-٧٦

بصائر نوى التمييز ج ١ / ١٤٤ - ١٤٥ .

(٢) انظر : ملك التأويل ج ١ / ٧٥ زاد السير ٩١/١ .

روح المعانى ١ / ٢٧٨ .

(٣) إطلاق التهود كاصطلاح كان بعد التحريف .

أما في سورة المائدة فقد قدّم " المابثون " على النصارى والحكمة من ذلك أنه قد رُوعي في هذه الآية غرضان: الزمان، والرتبة، فالمابثة متقدمون في الزمان على النصارى (١) لذا فقد قدمهم لفظاً . والغرض الآخر هو مراعاة الرتبة ولذلك أُخروا في النية فرفع " المابثون " ونوى به التأخير عن مكانه على أنه مبتدأ وخبره مقدر . يفهم من سياق الآية كأنه قال : ( إن الذين آمنوا والذين هادوا والنجاري من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمابثون هذا حالهم أيضاً ) (٢) .

وإنما قدّم " المابثون " في اللفظ وأخروا في النية لأن التقديم الحقيقي التقديم بكتبه المنزلة على الأنبياء عليهم السلام . وهناك وجه آخر ذكره ابن الزبير القرطبي (٣) وغيره . " وهو أن المابثين أشد الفرق المذكورين في هذه الآية ضلالاً فقدّم ذكرهم في سورة المائدة زيادة بيان في أن المؤمن من الكل مخلص والمكذب متورط ثم مراتب الجزاء بحسب الأعمال حيث إن الآية سيقت للترغيب في الإيمان والعمل الصالح . فكان التقدير : كل هذه الفرق إن آمنوا وتابوا وعملوا صالحاً قبل الله توبتهم وأزال ذنبهم حتى المابثون فانهم إن آمنوا وعملوا صالحاً كانوا أيضاً كذلك " ٥٠١ هـ .

فابن الزبير لا ينظر إلى الترتيب الزمني ولا إلى الترتيب الرتبتي بقدر ما ينظر إلى سلامة من آمن من كل هذه الفرق وهلاك من لم يؤمن ولذا رفع المابثون لبيان أن الترتيب ليس هو المقصود .

- 
- (١) وهذا قاله الاسكافي في الدرّة وابن الزبير في ملك التأويل وهو الذي يظهر لأن المابثة ليسوا أهل كتاب، والذي ذكره كثير من المفسرين أن دينهم مركب من اليهودية والمجوسية ( انظر القرطبي ( ٤٣٥/١ ) ) وأنهم خرجوا من دين أهل الكتاب وهذا يدل على تأخرهم عن اليهودية وأن بداية ظهورهم كان بعد اليهودية ) .
- (٢) وهذا مذهب الخليل وسيبويه وسبق مجيء زيادة تفصيل في توجيه الآية من الناحية النحوية في مبحث موهم الاختلاف مع القواعد النحوية .
- (٣) ملك التأويل ( ج ١/٧٥ ) وانظر تفسير الرازي ( ج ١٢/٥٥ ) ، روح المعاني ( ج ٦/٢٠١ ) .

وأما الترتيب الثالث في سورة الحج وهو قوله تعالى :  
( ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس<sup>(١)</sup> والذين  
أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء  
شهِيد ) .

فهذه الآية جاء ترتيب الفرق فيها حسب ترتيب الأزمنة التي  
كانت فيها ، والتي لانية للتأخير معه ، لأنه لم يقصد في هذا  
المكان أهل الكتب ان كان أكثر من ذكر ممن لا كتب لهم وهم الصابئون  
والمجوس والذين أشركوا عبدة الأوثان ، فهذه ثلاث طوائف ، وأهل الكتاب  
طائفتان ، فلذا رُتبوا بالأزمنة ، واخر الذين أشركوا لأنهم  
وان تقدمت لهم أزمنة فانهم كانوا أكثر من مُني رسول الله  
- صلى الله عليه وسلم - وصلي بجهادهم وكأنهم لما كانوا موجودين  
في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - كانوا أهل زمانه وهذا الزمان  
متأخر عن أزمنة الفرق الذين قدم ذكرهم<sup>(٢)</sup> .

---

(١) قوم يعبدون الشمس والقمر والنيران ، يقولون إنَّ للعالم أطلسين  
نور وظلمة .

(٢) درة التنزيل ص ٢٠ ، فتح الرحمن ٣٠ - ٣١ ، بمائردى التمييز  
ج ١/١٤٤ ، ملك التأويل ج ١ ٧٤ - ٧٦ .

المثال الثاني :

قوله تعالى ( في البقرة / ١٧٢ ) :  
( إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلَّ به لغير  
الله . )

قدّم في هذه الآية لفظة ( به ) .

وقال تعالى : ( في المائدة / ٣ ) : ( حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ  
وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ ) .  
وقال ( في الأنعام / ١٤٥ ) : ( قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً  
على طام يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير  
فإنه رجسٌ أو فسقاً أهلٌّ لغيرِ اللَّهِ بِهِ .. ) الآية .

وقال : ( في النحل ١١٤ ) : ( إنما حرم عليكم الميتة والدم  
ولحم الخنزير وما أهلَّ لغيرِ اللَّهِ بِهِ ) .

آخر في هذه الآيات الثلاث لفظة ( به ) بخلاف آية البقرة .  
فهل تقديم الجار والمجرور مرة وتأخيره أخرى من الاختلاف الذي  
ينبغي تنزيه كتاب الله عنه ، وهل لأهل الزيغ والالحاد متعلق  
للطعن في ذلك .

الجواب : ان هذا التقديم والتأخير جارٍ على مقتضى البلاغة  
ومراعاة السياق وجودة النظم ، كغيره من النماذج التي فيها تقديم  
وتأخير ومن المعلوم أن المتكلم يُقدِّم دائماً من الألفاظ ما ينصب  
عليه الغرض فلا بُدَّ أن يكون التقديم لموجب اقتضاه المعنى .

وإذا كان الأمر كذلك فان تقديم لفظة ( به ) في آية البقرة  
بخلاف سائر الآيات .

فيه وجهان : أما الوجه الأول (١)

فتح الرحمن / ٥٠

روح المعاني ج ٢ / ٤٢

(١) ذكره : صاحب الدرّة ٤١ - ٤٢

بمائر نوى التمييز ج ١ / ٥٠

فان آية البقرة وهي أولى الآيات في الترتيب جاء فيها الجار والمجرور وهو لفظه ( به ) على الأصل الذي يقتضيه حكم اللفظ فان مادة "أهل" تتعدى لمفعولها بالباء والتي تجيء كحرف من نفس الفعل فالأصل هو تقديمها ولا تُأخر إلا لغرض وفائدة. يقتضيا المعنى، ولما كانت آية البقرة أولى الآيات في ترتيب المصحف لذلك كانت الباء في هذا الموضع أحق بالتقديم لأنه أولى بما هو أصل ليعلم ما يقتضيه اللفظ .

والوجه الثاني في سبب تقديم لفظة ( به ) في آية البقرة (١) : هو أنه لما كان الضمير في ( به ) يعود على الأنعام التي تُهل لغير الله وهذه الأنعام من جملة النعم والمباحات التي عددها الله سبحانه فيما سبق من الآيات كقوله تعالى : ( إنَّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة .. .. ) الآية (٢) .

وقوله تعالى : ( يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ) (٣) ثم أعقب ذلك بالأمر بالشكر لجميل تلك النعمة : ( يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون ) (٤) لما كان الأمر كذلك وتحصل بهذه المقاصد الجليلة ما ليس في شيء من مواضع الآيات الأخرى ناسب في هذا الموضع تقديم المضمرة المجرور في قوله : ( وما أهل به لغير الله ) ٦

---

(١) ذكره ابن الزبير الغرناطي / ملاك التأويل ج ١ / ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) البقرة / ١٦٤

(٣) البقرة / ١٦٨

(٤) البقرة / ١٧٢

ليناسب ما تقدم لأن العرب مهما اعتزت بشيء أو قصدت به قصد  
زيادة من تأكيد أو تشريف قدمته أو قدمت ضميره .

وفي هذا الموضع نرى أن في تقديم المضر المجرور فيه بيان  
استنكار وتحقير فعل الكفار من الاهلال بهذه النعم والمباحات  
لغير الله .

مع أن المفروض هو الاهلال بها لله المنعم والمتفضل .

هذا بالنسبة لتقديم لفظه ( به ) في آية البقرة ، أما وجه  
تأخير هذه اللفظة في بقية المواضع فالحكمة ظاهرة وهو أن  
الاهلال بالمذبح لا يستنكر إلا اذا كان لغير الله فقدّم المستنكر  
وهو الذبح لغير الله لأنه هو المقصود بالذكر فتقديمه أولى  
فالأصل أن تُهَلَّ لله بما خلق ، ومن القُبْح أن تُهَلَّ بما خلق  
لغيره .

المثال الثالث : -

قوله تعالى : ( في النساء / ١٣٥ ) :

( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله  
ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ٠٠٠٠٠ ) .

وقوله : ( في سورة المائدة / ٨ ) :

( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ،  
ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ) .

ما الفائدة في تقديم قوله بالقسط على قوله شهداء لله  
في الآية الأولى ، وتأخيره عنه في الآية الثانية .

الجواب : - اختلاف الآيتين بالتقديم والتأخير ليس فيه تعارض  
ولتناقض انما هو مسوق لأغراض اقتضاها المعنى ومناسبة السياق في  
كلتا الآيتين فكل آية جاءت لتؤدى هدفا معينا فاننا اذا تدبرنا الآية  
الأولى 'آية النساء ' والتي قدّم فيها قوله ( بالقسط ) لوجدنا أن الآيات  
المتصلة بها مبنية على الأمر بالعدل والقسط .

قال تعالى : ( من يعمل سوءا يُجز به ) ( النساء / ١٢٣ ) .

وقال تعالى : ( ويستفتونك في النساء ٠٠٠ ) ثم قال ( وأن

تقوموا لليتامى بالقسط ) ( النساء / ١٢٧ ) .

وقال تعالى : ( ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم

فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ٠٠ ) - النساء / ١٢٩ -

ثم انه تعالى أمر في هذه الآيات بالمصالحه مع الزوجة ومعلوم أن  
ذلك أمر من الله لعباده بأن يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على  
كل أحد ولو على أنفسهم .

فلما كان السياق مبنيا على الأمر بالقسط ومراعاة الحق وجاءت هذه  
الآية في الشهادة ، أمر عز وجل من عنده شهادة أن يقوم بالحق  
فيها ويشهد لله على كل من عنده حق لغيره يمنعه اياه حتى يصل اليه ،  
فقال : ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ٠٠ ) أي بالعدل  
في كل أحوالكم ولا تنظوا أن للجور دواع تقتضيه فان الله حرم الظلم على  
نفسه وجعله بين عباده محرما ، ثم قال : ( شهداء لله : أي قوموا  
بأداء الشهادة التي عندكم لوجه الله ولا تحيفوا فيها ،



وقوله ( ولو على أنفسكم ) أى التزموا بالعدل واقام الشهادة لله على القريب والبعيد على السواء فلا تحملكم أى علاقة مهما قدست عندكم على الجور أو الحيف فى الشهادة .

فكانت هذه الآية كالمؤكد لكل ماجرى ذكره فى هذه السورة من الأمر بالعدل فناسب لذلك تقديم قوله : ( بالقسط ) .

وقوله: "لله" بعد شهاداء : فلتعلقه بالشهادة كأنه قال : كونوا شهاداء لله لا للهوى والميل الى نوى القربى والدليل أنه قال : ( ولو على أنفسكم .. ) (١).

وأما آية المائدة والتي آخر فيها كلمة ( بالقسط ) وبدأ فيها بالقيام لله ، فقد ثبت قبلها مجموعة من الأوامر والنواهي كالأمر بالوفاء بالعقود ، وتحريم احلال شعائر الله والأمر بنبذ الجور مع الاعداء وترك العدل معهم ، والحض على التعاون على البر والتقوى . والشكر على ما أحل الله من الصيد بالكلاب المعلمة ، والطيبات عامسة واحلال نكاح الذين أوتوا الكتاب والأمر بالطهارة للصلاة والتيمم عند فقد الماء ثم أجمل ذلك كله بقوله تعالى :

( واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقكم الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور ) ( الآية / ٧ )

---

(١) درة التنزيل / ٨٤ - ٨٥ ، ملاك التأويل ج ١٠ / ٢٢١ .  
بصائر نوى التمييز ج ١ / ١٧٦ ، تفسير الرازى ج ١١ / ٧٣ - ٧٤ .  
روح المعانى ج ٦ / ٨٢ ، حاشية الجمل ١ / ٤٦٩ .

وكل ما سبق يقتضى شدة التمسك ومزيد الاهتمام والجهد فى فعل ما أمرنا به وترك ما نهينا عنه فناسب لذلك تقديم قوله : ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله .. ) .

بدأ فيها بالقيام لله أى الاجتهاد فى فعل الأوامر وترك النواهي و اظهار العبودية وتعظيم الربوبية وشكر النعم .  
كما أن هذا التقديم أردع للمؤمنين لأن الآية جىء بها فى معرض ترك العداوة ، ثم ثنى بالشهادة بالقسط ، وأعقبه بالأمر بالعدل حتى مع حصول البغض والعداوة لأن ذلك أقرب للتقوى فجىء فى كل معرض بما يناسبه من السياق والمعنى (١) .

وهناك وجه آخر فى توجيه التقديم والتأخير فى آية المائدة ذكره الخطيب الاسكافى فقال (٢) .:

( وأما فى الآية الأخرى - آية المائدة - فان فحواها يدل على أنها للولاء فقال : كونوا قوامين لله لا للنفع ، ويكون بالقسط متعلقاً بقوامين أى كونوا قوامين لأجل طاعة الله بالعدل والحكم فيه فى حال كونكم شهداء أى وسائط بين الخالق والخلق أو بين النبى وأُمَّته فالقائم بتنفيذ أحكام الله بين خلقه انا وفى بما عليه من حقه فهو شهيد على من وليه ، والدليل على أن الخطاب لولاء الأحكام قولـــــــــــــــــه بعده : ( ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، إعدلوا هو أقرب للتقوى .. ) ا . هـ

قلت : وهو وجه وجهه الا أن الوجه الأول أولى وأظهر والله أعلم .

---

(١) ملاك التأويل ج ١ / ٢٢١ ، بصائر ذوي التمييز ج ١ / ١٧٦ .

تفسير الرازى ج ١١ / ١٨٤ ، حاشية الجمل ج ١ / ٤٦٩ .

روح المعاني ٦ / ٨٣ .

(٢) درة التزيل / ٨٥ .

المثال الرابع :-

قوله تعالى : ( وجاء رجل<sup>(١)</sup> من أقصى المدينة يسعى . . . )  
( القصص / ٢٠ ) .

وقوله تعالى : ( وجاء من أقصى المدينة رجل<sup>(٢)</sup> يسعى . . . )  
( يس / ٢٠ ) .

في هاتين الآيتين نلاحظ أنه قد تأخر ذكر الجار والمجرور وهو قوله ( من أقصى المدينة ) وذلك في سورة القصص . وتقدم مرة أخرى وذلك في آية سورة يس .

وكما مر سابقا فإنه لابد من حكمة وفائدة اقتضاها السياق والمعنى لتقدم الجار والمجرور في سورة يس .

اعلم أولا أن آية القصص : ( وجاء رجل من أقصى المدينة . . ) جاءت على الأصل من تقديم الفاعل لأن مرتبة الفاعل التقدم ولا يتأخر عن الفعل إلا لعارض .

فلما لم يكن هناك ما يدعو لتقديم الجار والمجرور على الفاعل حيث إن المراد أنه جاء من لا يعرفه موسى من مكان لم يكن مجاورا لمكانه فأعلم الرجل موسى ما فيه الكفار من ائثارهم به ، فاستوى حكم الفاعل إذ لم يكن هناك ما يدعو لتأخيره ، إضافة الى أن تقديم ذكر الفاعل فيه فائدة وهي مدح هذا الرجل المؤمن والاعتناء به لأنه كان وحيدا فسي إيمانه جاء من مكان بعيد للدفاع عن موسى ، اذا تقرر ذلك

---

(١) هو مؤمن آل فرعون وكان يكتب إيمانه بموسى ، جاء من أقصى المدينة لما سمع بما قاله فرعون : ( ذروني أقتل موسى ) فجاء للدفاع عنه وقال : ( أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم . . ) الآيات ٢٦ - ٣٥ من القصص .

(٢) هو حبيب النجار وكان قد آمن بالرسول لما وردوا القرية وكان منزله عند أقصى باب من أبواب القرية ، فلما بلغه أن قومه قد كذبوا الرسول وهموا بقتلهم جاء يسعى ويدعو قومه لاتباع الرسول .

ففى وجه تأخر قوله رجل ( عن الفعل وتقديم الجار والمجرور فى سورة يس فى قوله : ( وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى . ) فى ذلك أقوال للعلماء كلها فى غاية الحسن ونهاية البراعة وهى تدل على بعض أسرار كتاب الله وكيف أنه جاء فى نهاية البلاغة وغايات الفصاحة وأنه لكل تقديم أو تأخير أو غير ذلك حكم وغايات لا تُدرك الا بالتدبر والتأمل فى كلام الله تعالى .

قال الخطيب الاسكافي<sup>(١)</sup> : - " إِنَّ الْفَاعِلَ فِي الْمَوْضِعِينَ لَمَّا كَانَ نَكْرَةً وَالْمَعْنَى: جَاءَ جَاءً وَقَدْ دَلَّ الْفِعْلُ عَلَى جَاءٍ ، وَلَا يَكُونُ الْجَائِي مَنْ أَقْصَى الْمَدِينَةَ فِي الْأَعْمِ الْأَغْلِبِ إِلَّا رَجُلًا ، وَكَانَ الَّذِي يَفَادُ الْمُخَاطَبَ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُ جَاءَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ إِلَى مَجْتَمَعِ النَّاسِ فِي الْقَرْيَةِ وَحَيْثُ لَا يَقْرُبُ مِنْ مَجَارَى الْقِصَّةِ وَلَا يَحْضُرُ الدَّعْوَةَ وَمَشْهَدَ الْمَعْجِزَةِ ، فَقَسَمَ مَا تَبَكَّيْتُ الْقَوْمَ بِهِ أَعْظَمَ وَالتَّعَجُّبُ مِنْهُ أَكْثَرَ فَقَالَ :

( وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ) ينصح لهم ما لا ينصحون مثله لأنفسهم ولا ينصح لهم أقربهم مع أنه لم يحضر جميع ما يحضرونه ولم يشهد من كلام الأنبياء<sup>(٢)</sup> ما يشهدونه ، فبعثهم على اتباع الرسل المبعوثين إليهم وقبول ما يأتون به من عند مرسلهم ، ا . هـ

وقال ابو جعفر بن الزبير الفرناطي<sup>(٣)</sup> : -

ان الآية مثال لحال كفار قريش من أهل مكة ، وحال الأنصار من أهل المدينة ، وَأَنَّ بَعْدَ مَسَافَةِ الْمَدْعُو عَنْ دَاعِيهِ إِلَى الْهُدَايَةِ لَا يَغْرَهُ بَعْدَ الدَّارِ ، وَأَنْ مِنْ كَفَرٍ مَمَّنْ بَاشَرَ الرِّسْلَ وَشَافَهُمْ لَا يَنْفَعُهُ قَرَبُ الدَّارِ ، فَالْأَنْصَارُ قَدْ جَاءُوا مَعَ بَعْدِ دَارِهِمْ وَأَمَّنُوا بِالْمُصْطَفَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعَانَدَ عَتَاةَ قُرَيْشٍ فَكَفَرُوا مَعَ الْإِلْتِحَامِ فِي النَّسَبِ وَاتِّحَادِ الدَّارِ ، وَيُوضِحُ لِهَذَا أَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ

(١) درة التنزيل / ٣٩٠ .

(٢) قال ابن كثير : " ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل لا من جهة المسيح عليه السلام كما قال تعالى : ( إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون . ) الى أن قالوا : ( رينا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين ) ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم : ( ان أنتم الا بشر مثلنا ) والله أعلم .

(٣) ملك التأويل ج ٢ / ٧٥٧ - ٨٥٨ باختصار في بداية النص .

وانما افتتحت بذكر قريش وهم المعنيون بقوله : ( لتنذر قوما ما أنذرتهم  
آباؤهم فهم غافلون ) - يس / ٦ - .  
- الى ما بعد من الآيات - والإخبار بأن ذلك لا يجدي عليهم في قوله :  
( وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ) - يس / ١٠ - .

فهذا إخبار بحال كفار قريش ثم قال تعالى : ( إنما تنذر  
من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب .. .. ) أي من انقاد وأصغى  
اليك وإن بَعَدَتْ دَارُهُ وَهَذِهِ حَالُ الْأَنْصَارِ<sup>(١)</sup> ، ثم قال : ( واضرب لهم  
مثلاً ... ) أي للفريقين ممن كفر مع قرب داره ومن آمن مع بعد  
داره .

فحال أصحاب القرية في قولهم : - ( ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا ) كحال  
قريش في قولهم : ( ما ل هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق )  
- الفرقان / ٧ ) . فلما قصد في آية يس مثال من ذكر من الفريقين  
خَصَّتْ من تقديم المجرور على الفاعل بما يُحرز المعنى المقصود فهو  
من قبيل ما قُدِّمَ للاعتناء والاهتمام ) . آ . هـ

وقد ذكر الخفاجي قريبا مما ذكره ابن الزبير فقال<sup>(٢)</sup> :

( قدم الجار والمجرور على الفاعل الذي حقه التقديم بياناً  
لفضله إذ هداه الله تعالى مع بُعْدِهِ عنهم ، وَأَنَّ بَعْدَهُ لم يمنعه عن  
ذلك ، ولذا عبر بالمدينة هنا بعد التعبير بالقرية إشارة الى السعة  
وأن الله تعالى يهدي من يشاء سواء قَرَبَ أم بَعُدَ ) .

وقد نقل الألويسي فائدة أخرى فقال<sup>(٣)</sup> : ( وقيل قُدِّمَ للاهتمام  
حيث تضمن الإشارة الى إنذارهم قد بلغ أقصى المدينة فيشعر أنهم  
أتوا بالبلاغ المبين ، وقيل إنه لو أخرج توهم تعلقه بيسعى فلم  
يفسد أنه من أهل المدينة مسكنه في طرفها وهو المقصود ) .

قلت : - والذي يتلخص من أقوالهم أن التقديم والتأخير في آيتي  
القصص ويس جاء في كل آية مناسبة لسياقها ونظمها والمعنى المراد  
منها ٤

(١) ولعل ابن الزبير يرى أن يس نزلت بعد العقبة وقبل الهجرة .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي ج ٧ / ٢٢٢ .

(٣) روح المعاني ج ٢٢ / ٢٢٦ .

وأن تقديم الجار والمجرور في آية يس إنما جاء لبيان الاعتناء والاهتمام بالرجل الذي جاء من أقصى المدينة وبيان شرفه وفضلته وسرعة امتثاله مع بعد داره وكونها في أقصى المدينة، وبيان شرف المرسلين الذين وصل إنذارهم أقصى القرية فلم يدعوا قريبا ولا بعيدا إلا أنذروه ، كما أن في ذلك تبكيثا لأصحاب القرية وتحنيفا لهم إذ كفروا وهم بالقرب من الرسل ومعجزاتهم وآمن البعيد مع بعده عن مركز الهداية ، وفي هذا بيان أن الفضيلة لمن صدق وأخلص واتبع الهدى ولا يضره بعد الدار عن داعيته إلى الهدى كما لا ينفع الكافر قرينه من دعاة الخير سواء كان قُرْبَ المكان أو النسب .

ومن أجل ذلك اعتني بتقديم الجار والمجرور : ( من أقصى المدينة ) ولما لم ترد هذه الأغراض والمعاني في آية القصص جاءت على ما يجب من تقديم الفاعل إضافة إلى الاهتمام والاعتناء بالرجل المؤمن ومدحه .

وتناسب هذا كله يوضح أن كلاً من الموضعين لا يناسبه ويلائمه غير الوارد فيه ،

ولانستطيع بعد ملاحظة كل هذه المعاني وهذا التناسق في سياق الآيات المتشابهة اللفظ ومناسبتها لما قبلها وما بعدها إلا أن نزداد إيماننا وتدبرا ببلاغة القرآن وفصاحته ودلائل إعجازه ، ولو أن الطاعنين في القرآن من أعداء الإسلام تدبروا مثل هذه المعاني بتجرد ونزاهة لعلموا أن هذا القرآن تنزيل من عزيز حميد وأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ..

( والله ولي التوفيق ) ..

وأنقل الآن إلى مبحث الزيادة والنقص .. ..

( الزيادة والنقص في بعض الآيات متشابهة اللفظ )

وهذا مبحث آخر من المباحث التي تدل على وجه من وجوه بلاغة القرآن وتناسق نظمه حيث إن زيادة لفظة في آية بخلاف نظيرتها من مشابه اللفظ له حكمته وفائدته، يُلاحظ ذلك عند تدبر السياق والمعنى،

ومن أمثلة ذلك في الكتاب العزيز :

قوله تعالى في البقرة : بشأن بني اسرائيل وبيان ظلمهم ومخالفتهم لأوامر الله : ( فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم ٠٠ ٠٠ ) - الآية / ٥٩ - ٠

وقال في سورة الأعراف بشأن نفس القصة :

( فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم )

- الآية / ١٦٢ -

فهل في زيادة منهم في هذه الآية في الأعراف حكمة وفائدة يقتضيانها ليستا في سورة البقرة .

الجواب : انه عند تدبر سياق كل من الآيتين نجد أن في سورة

الأعراف معنى يقتضي زيادة منهم هناك ولا يقتضيها في البقرة ،

وهو أن أول القصة في الأعراف مبني على التخصيص والتمييز حيث

إن الله سبحانه لما ذكر منكرات بني اسرائيل من اتخاذ العجل من

بعده ثم طلبهم رؤية الله جهرة فأخذتهم الرجفة، لما ذكر ذلك

قال : ( ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ) .

فذكر أن منهم من يفعل ذلك ثم عدّ صفوف إنعامه عليهم وأوامره لهم

الى أن قال : ( وأنّ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث

شئتم وقولوا حطّة وادخلوا الباب سجّدا نغفر لكم خطيئاتكم

سنزيد المحسنين ) .

ثم قال : ( فبدّل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم ٠٠ )

فأتى في آخر ما حكى عنهم من مقابلة نعمة الله عليهم بتبديلهم

ما أمروا به من الفعل والقول عند دخول القرية (١) .

(١) القرية هي بيت المقدس صحح ذلك ابن كثير في تفسيره ج ١ / ١٤٨ .

فقد روى البخارى<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا :  
( قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سُجَّداً وقولوا حِطَّةً<sup>(٢)</sup> ) -  
فدخلوا يزحفون على استباههم ، فبدلوا وقالوا : حبة في شعيرة ) ،

ويبين الله في هذه الآية أنهم لم يكونوا سواءً في هذا الفعل  
القبیح ، وأن الذين ظلموا منهم هم الذين بدّلوا وليسوا كلهم .  
لذا جاء بحرف منّ التي هي للتخصيم والتمييز بناءً على اول القصة  
التي هي : ( ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ٥٥ )  
- الأعراف / ١٥٩ -  
ولقوله بعدها : ( منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ٥٥ ) - الأعراف / ١٦٨ -  
فهذا هو السبب في زيادة كلمة منهم في آية الأعراف لمراعاة  
السياق والمعنى المراد .

أما في سورة البقرة فان الله سبحانه وتعالى ذكر قصة بني  
اسرائيل لكنه لم يذكر فيها تخصيصاً وتمييزاً قبل قوله :  
( فبدل الذين ظلموا ٥٥ ٥٥ ) .  
حيث إن سياق القصة بأكمله مُنصبٌ على ذكر مخالفات بني اسرائيل  
وظلمهم وما بدّلوه من أوامر الله .  
حيث ذكر اتخاذهم العجل ، وطلبهم من موسى أن يروا الله جهرة ،

ثم ذكر سبحانه أمره لهم بدخول القرية والأكل منها وأن يدخلوا  
الباب ساجدين مع الاستغفار والشكر .  
وأعقب ذلك بقوله : ( فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم ٥٥ ) .  
ولما لم يرد قبل ذلك تخصيص للمؤمنين من بني اسرائيل - بل ركزت  
الآيات على أفعال الذين ظلموا : - لم يذكر في آخر القصة تخصيصاً فهذا  
هو السبب في زيادة من في الأعراف ، ونقصها في البقرة لمراعاة السياق  
والمعاني الواردة فجاء في كل معرض بما يناسبه .

---

(١) البخارى / كتاب التفسير ج ٥ / ١٤٨ ، كتاب / ٦٥ باب / ٥ .  
(٢) أى لما فتحوها باذن الله أمرهم الله أن يدخلوا خاضعين لله ساجدين مستغفرين  
لذنوبهم أن يحطها الله عنهم - انظر تفسير ابن كثير ج ١ / ١٤٨ .  
(٣) درة التنزيل / ١٨ ، بصائر نوى التمييز / ١٤٣  
تفسير الرازى ج ٣ / ٩٤ ، روح المعاني ج ١ / ٢٦٨ .



وقريبا من هذا المعنى الذى تقدم يقول ابن الزبير الغرناطي<sup>(١)</sup> :  
( إنّ لفظ الذين ظلموا لفظ عام يحتمل التخصيص ، ومن المعلوم  
أن بني اسرائيل لم يكونوا في تلقي الأوامر والنواهي على حد سواء  
كما قال تعالى : ( منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ) - آل عمران / ١١٠ -  
وقوله تعالى : ( من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات  
الله ) - آل عمران / ١١٣ - . وغير ذلك من الآيات ، لذلك جاءت آية  
الأعراف تخصيصا سمعيا بما يُعطيه حرف التبعيض في قوله : ( منهم )  
فآية الأعراف مخصّصة للعموم البادئ من آية البقرة . ١٠ هـ

وقد ذكر الزمخشري<sup>(٢)</sup> : أن زيادة منهم زيادة بيان ،  
قلت : وهو صحيح في الجملة ، وظاهر كلامه أنها بيان للتخصيص  
والتمييز الذى جاء في سياق سورة الأعراف وذلك لأن زيادتها في  
موضع دون موضع لا يمكن أن يكون إلا لحكمة وغاية تناسب المعنى  
والسياق .. والله أعلم .

---

(١) ملاك التأويل ج ١ / ٦٣ - ٦٤ .

(٢) الكشاف ج ٢ / ١٢٥ .

( المثال الثاني للزيادة والنقص )

قوله تعالى : ( وقتلوه حتى لا تكون فتنةً ويكون الدين لله ) .

- البقرة / ١٩٣ -

وقال في الأنفال : ( وقتلوه حتى لا تكون فتنةً ويكون

الدين كله لله ) . - الأنفال / ٣٩ -

فزاد في الأنفال كلمة ( كله ) بخلاف آية البقرة .  
والسبب في ذلك أن آية البقرة جاءت في قتال أهل مكة <sup>(١)</sup> ألا ترى  
ما قبلها : ( وقتلوه حيث ثقتهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ) .  
ثم قال : ( ولا تقتلوه عند المسجد الحرام ) فهذا مختص بأهل  
الحرم ، فاقصر على كلمة الدين من غير توكيد ،  
فيكون التقدير : حتى يكون الدين حيث هو لاء لا في كل مكان ، لأنه  
لا يحصل بقتل مشركي مكة : الدين في كل البلاد .

وأما في الأنفال : فالأمر ورد عاماً في قتال كل الكافرين  
ألا ترى أن قبل الآية : ( قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم  
ما قد سلف ) وليس هذا في طائفة دون أخرى من الكفار فاقتضي  
هذا أن يكون بعده : ( ويكون الدين كله لله ) فأمرؤا بإبطال  
كل كفر قدروا عليه <sup>(٢)</sup> .

\* والآية بمقتضى اللفظ في كل كافر والعبرة بعموم اللفظ  
لا بخصوص السبب ، ومن المعلوم في الشريعة أن كل كافر مهما كان  
كفره فإنه إذا أسلم فإن إسلامه يجب ما قبله ويمحوه فلما اقتضت  
الآية الاستغراق والعموم ناسب ذلك التأكيد المعمم فقال تعالى :  
( وقتلوه حتى لا تكون فتنةً ويكون الدين كله لله ) <sup>(٣)</sup> .

ابن جرير / ج ٣ / ٥٦٦  
تحقيق محمود شاكر

(١) اسباب النزول للواحدى ص / ٤٩  
لباب النقول للسيوطي ص / ٣٦

تفسير الرازي ١٥ / ١٦٣ - ١٦٤ .

(٢) درة التنزيل / ٤٦  
بمائر ذوى التمييز ١٥٣/١

(٣) ملاك التأويل ج ١ / ١١٨ .

قال الألوسي<sup>(١)</sup> : " ولم يجيء هنا كلمة ( كله ) كما في آية الأنفال لأن ما هنا في مشركي العرب ، وما هناك في الكفار عموماً فناسب العموم هناك وتركه هنا " . ٥١ هـ

قلت : ومن المعلوم أن سورتي الأنفال وبراءة من آخر ما نزل لذا جاء فيهما تعميم القتال وتوسيع نطاق الدعوة للعالم كله فكان فرض الجهاد لحماية نشر الدعوة من كيد الكائدين وعناد المعاندين وخاصة الظلمة من الملوك والحكام الذين يقفون في وجه الدعوة ويحولون بينها وبين إيصالها للشعوب المتعطشة لشريعة الله التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها .

فالواجب على المسلمين اليوم العمل على نشر الدين كله في العالم كله ، كما قال تعالى :

( ويكون الدين كله لله ) .

وكما قال تعالى :

( هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ) .

- سورة الصف / ١ -

---

(١) روح المعاني ٢ / ٧٦ .

(( إبدال لفظ بآخر ))

من مباحث متشابه اللفظ ابدال لفظة بأخرى مرادفة لها أو قريبة من معناها لرعاية المناسبة والسياق وما يقتضيه جودة النظم والتفكير في الأسلوب ، إظهارا لغاية الفصاحة ومنتهمى البلاغة ، وإمعانا في التحدى بإظهار المعنى الواحد بعدة ألفاظ وعدة أساليب .

وهناك عدة أمثلة من الآيات القرآنية المتشابهة اللفظ وفيها إبدال حرف بغيره أو كلمة بغيرها مرادفة لها أو قريبة من معناها وسوف أستعرض بعض النماذج مع شرحها .

(١) فمن ذلك قوله تعالى في النحل / ٣٤ :

( فأصابهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون )

وقال في الزمر / ٥١ :

( فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم

سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ) .

مرة قال ( ما عملوا ) ومرة قال ( ما كسبوا ) هل لهذا التغاير ما يستدعيه ؟

الجواب : إن سبب مجيء : ( ما عملوا ) في النحل و ( ما كسبوا )

في الزمر هو استدعاء التناسب ورعاية ألفاظ السياق ، فأية النحل

ورد قبلها قوله تعالى مخبرا عن المشركين ( الذين تتوفاهم الملائكة

ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء ، بلى إن الله

عليهم بما كنتم تعلمون ) ثم صرف الكلام الى كفار العرب في توقفهم

عن الايمان ف قيل : ( هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة ) الآية / ٣٣ .

ثم قيل : كذلك فعل الذين من قبلهم ) والمراد : من قال : ( ما كنا

نعمل من سوء ) ومن كان على مثل حالهم ف قيل بناء على قولهم :

( ما كنا نعمل من سوء ) ، ( فأصابهم سيئات ما عملوا ) وتناسب

هذا أبين تناسب .

وأما آية الزمر ، فقد وقع قبلها قوله :  
( ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض ) الى قوله : ( وبدا لهم  
سيئات ما كسبوا وحق بهم ما كانوا به يستهزؤون )  
- الآيتان / ٤٧ - ٤٨ -

وبعد هذا قال : ( قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم  
ما كانوا يكسبون ) ثم قال : ( فأصابهم سيئات ما كسبوا ، والذين  
ظلموا من هؤلاء ) الآية / ٥٠  
يعنى كفار العرب : ( سمي بهم سيئات ما كسبوا ) وبهذا يتضح وجه  
التناسب في الآيتين وعكس الوارد لا يُناسب .

حيث كل لفظ يأتي في مكانه اللائق به لا يتقدم ولا يتأخر  
وهذا من بلاغة النظم القرآني الذي أعجز العرب حيث وجدوا أن الكلمات  
والألفاظ من كلامهم وألفاظهم لكنهم انبهروا لهذا النظم الفصيح  
المتناسق الذي لا يقدر على مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (١) .

ومثال آخر : قوله تعالى في الأنبياء في حق مريم عليها السلام  
( والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها  
آية للعالمين ) الآية / ٩١ .

وقال في حقها أيضا في التحريم :  
( ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا  
وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين )  
- الآية / ١٢ -

هاتان الآيتان من كتاب الله في حق مريم - عليها السلام -  
تحدثان إجمالا عن إحسانها وعفتها وشرفها وفضلها وتمديقها  
بكلمات الله وكتبه ،

---

(١) أنظر ملاك التأويل ج ٢ / ٦٠٢ .

لكن الملاحظ أنه عبر في آية الأنبياء بقوله :

- ( فنفخنا فيها ) والمراد مريم عليها السلام .
- وعبر في آية التحريم بقوله : ( فنفخنا فيه ) والضمير يرجع الى الفرج ، والمراد به : مخرج الولد ، أو جيب درعها (١) وهو أبلغ في الثناء عليها لأنها اذا منعت جيب درعها فهي لنفسها أمنع (٢) ولا تعارض بين الآيتين : حيث عبر في آية الأنبياء بقوله ( فيها ) لأن جبريل عليه السلام قد نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها ، فصح أن النفخ فيها ، وعبر في التحريم بقوله : ( فيه ) أى فرجها أو في جيب درعها باعتبار أنه أول مكان استقبل النفخ من جبريل عليه السلام ، وكلمة ( فيها ) في الأنبياء تدل على استقرار النفخة واحداث المطلوب-بقدره الله- وهو عيسى عليه السلام .

قال الرازي (٣) : " معناه فنفخنا الروح في عيسى فيها أى أحييناه

في جوفها . "

- فالإيتان مفسرتان لبعضهما ولا اختلاف بينهما .
- لكن ما هو سبب التعبير بقوله ( فيها ) في الأنبياء .
- وقوله ( فيه ) في التحريم .

الجواب : انه عند استعراض سياق آية الأنبياء نجد أن القصد

كان الاخبار عن حال مريم وابنها وأنهما جُعلا آية للناس كما قال :  
( وجعلناها وابنها آية للعالمين ) .

وجاء قبلها بيان قدرة الله تعالى وآيته في زكريا لما دعا ربه أن يرزقه ولداً مع أنه شيخ كبير وامراته عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها فذكر بعد ذلك قصة مريم وهي أعجب فإنها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر .

- 
- (١) حيث أن معنى الفرج في اللغة : كل فرجة بين شيئين ، وموضع جيب درع المرأة مشقوق فهو يسمى فرجا ، ومعنى الدرع : القميص . انظر : المفردات / للرافع الأصفهاني ص ٣٧٥ . ، معاني القرآن للغراء ج ٣ / ١٦٩ ، زاد المسير لابن الجوزي ٥ / ٣٨٥ .
- (٢) روح المعاني ٢٨/١٦٤ ، معاني القرآن للغراء ج ٣ / ١٦٩ ، الدر المنثور ج ٥ / ٦٧١ .
- (٣) تفسير الرازي ج ٢٢ / ١١٨ .

فلما كان القصد التعجب من حالتها وأنها بالنفخ صارت حاملا وأن النفخ لم يتعداها الى غيرها وأنها المخصوصة بهذا الأمر في علم الله لفضلها وشرفها وأنها كانت هي مستقر هذه الآية العظيمة وهي عيسى ، لما كان القصد كذلك أخبر الله تعالى هنا أن النفخ كان فيها مما جعلها حاملا بالآية العظيمة وهي عيسى وبما أن الحامل صفة الجملة ردّ الضمير الى جملتها إذ كان النفخ في فرجها نفخا فيها ، فكان قوله ( فنفخنا فيها ) أولى من قوله : ( فنفخنا فيه ) ليناسب التوسع في المقصود بذكر الآيات .

أما في سورة التحريم فإنّ الغرض كان بيان الموضع الذي وصل فيه النفخ الى جوفها وبيان إحصانها وعفتها وتصديقها بكلمات ربها وكتبه وإثباتها في القانتين وتشبيه حالها بحال سابقتهما امرأة فرعون واجتماعهما في ضرب المثل بهما للمؤمنين ولم يوسع الكلام بذكر ابنها ولم يقصد التعجب من حالها كما هو في الأنبياء فناسب لذلك عدم التوسع في عودة الضمير فجاء اللفظ على أصله فقال ( فنفخنا فيه ) أي في فرجها ، فجيء في كل معرض بما يناسبه والله أعلم (١)

إذا اتضح ما تقدم فإنه لا بُدّ من إيضاح معنى قوله تعالى :

( فنفخنا فيه من روحنا ) .

معنى الآية : - أن عيسى عليه السلام كان مجيئه بغير أب وانمسا هو كلمة الله ألقاها الى مريم وروح منه كما قال تعالى في موضع آخر : ( إنّ مثله عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ) - آل عمران / ٥٩ -

فكلاهما لم يُولد بالطريق المعتاد بل بواسطة القدرة الالهية المباشرة ، فأدم ليس له أب ولا أم وإنما هو من التراب ،

وعيسى ليس له أب ، فحال عيسى وصفته العجيبة كحال آدم فسي الخروج عن الطريق المعتاد وعدم استكمال طرفي الأب والأم ،

(١) انظر درة التنزيل / ٣٠٣ ، بمائرنوى التمييز / ١ / ٣٢٢

تفسير ابن كثير ج٣ / ٣١٠ ملاك التأويل ج ٣ / ٧٥٥

تفسير الرازي ١١٨ / ٢٢ .

فتكوين عيسى في بطن أمه نشأ عن نفخة جبريل في مريم بأمر  
الله تعالى /

واسناد نفخ الروح الى الله تعالى عبارة عن الإحياء كما  
قال تعالى في حق آدم عليه السلام : ( فإذا سويته ونفختُ فيه  
من روحي ) - الحجرات / ٢٩ -

فإن الله هو الذي شاء إحياءه وما كان لنفخة جبريل أن ينتج  
عنها عيسى لولا إرادة الله تعالى ، وما جبريل إلا عبد من عباد الله  
نَفَّذَ به ما أراد ، وهو القادر على تحقيق مراده بلا واسطة .

وتشبيه الإحياء بالنفخ : بأن الروح اذا خُلِقَ في الجسد  
انتشر فيه كالريح اذا نفخ في شيء .

واسناد النفخ اليه تعالى مع أن النافخ هو جبريل عليه  
السلام للتشريف ، كما قال في موضع آخر : ( فأرسلنا اليها  
روحنا فتمثل لها بشرا سويا ) - مريم / ١٧ -

وكان جبريل عليه السلام قد نفخ في جيب درعها فوصل  
النفخ الى جوفها (١) .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ / ٣١٠ ، تفسير الرازي ١١٨/٢٢ ،

روح المعاني ١٦٤ / ٢٨ ، ج ٣ / ١٨٦ .



(( الفصل الرابع ))

---

مَوْهَمُ الْاِخْتِلَافِ  
فِي قِصَصِ الْقُرْآنِ

- وهذا المبحث يشتمل على مقدمة فيها بيان الدافع لادخال  
هذا المبحث فى الرسالة .
- ثم مبحث فوائد تكرار القصة وأسراره .
- ثم مبحث اختلاف الفاظ حكاية القصة الواحدة عند تكرارها مع  
بيان امثلة شاملة للتوضيح .
- ثم مبحث مَوْهَمُ الْاِخْتِلَافِ فى مضمون القصة وفيه استعراض شامل  
لجميع ما فيه إيهام الاختلاف والتعارض فى مضمون القصة .

قص الله جل وعلا في كتابه من أنباء الرسل والأمم لحكمهم  
وغايات عديدة ، وهناك كثير من القصص ثناه الله مرات وكرات ، مرة بايجاز  
ومرة بإطناب ، واختلف أسلوب الحكاية في كل مرة والمحكي واحد ،  
حيث زاد مرة هنا ونقص هناك ، أجمل في موضع وأسهب في آخر ، وهناك  
من القصص ما لم يذكره إلا مرة واحدة ،  
فبسبب ذلك قد يُتوهم متوهم ان تكرار القصص على هذا النحو من  
أسباب الطعن في النص القرآني وعدم سلامته .  
لذلك سوف أعرض في هذا البحث للتكرار في القصص وحكمة مجيئه على هذا  
النمط الذي جاء به .

ثم اختلاف حكاية القصة الواحدة في كل موضع ،  
ثم ما يُتوهم أن فيه اختلافاً أو تناقضاً في المعنى المراد أي المضمون  
مع التوضيح والشرح لكل ذلك .  
والذي يهمننا في هذا الفصل من أمور القصص هو ما يتعلق بموهم الاختلاف  
حيث إن ما يحكيه الله من أنباء الانبياء والأمم السالفة في قصص  
القرآن وما فيها من تكرار مُعجز واختلاف في أُلُف الحكاية ، قد استُهدف  
من قبل الملاحدة وأعداء الاسلام ، بأن فيه اختلافاً وتضاداً وذلك لأجل  
الطعن في النص القرآني ، فكان هذا الفصل محاولة متواضعة للرد عليهم  
ومحاولة لتجلية بعض أسرار القصص في القرآن وبيان تناسقه وانسجامه  
وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن أعداء الاسلام ؛  
( يريدون أن يُطفئوا نورَ الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يُتمَّ نوره  
ولو كره الكافرون . ) - التوبة ٣٤ -  
هذا ومن المحاولات الخبيثة للطعن في سلامة النص القرآني قام كاتب  
يدعي الاسلام بتأليف كتاب حول قصص القرآن (١) .

---

(١) هو: محمد أحمد خلف الله مؤلف كتاب " الفن القصصي في القرآن " ،  
وقد قدمه المذكور لنيل درجة الدكتوراه في كلية الآداب بجامعة  
فؤاد في مصر .  
وكان المشرف على الرسالة والموجه للطالب فيما كتب هو أمين  
الخولى وقد رُفِضت الرسالة واستُنكرت .  
انظر : كتاب منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، فهد بن  
عبد الرحمن الرومي ص ( ٤٤٥ ) فما بعدها الطبعة الأولى - نشر  
مؤسسة الرسالة - بيروت .  
وكتاب موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين  
ج ١ / ٢٤٥ فما بعدها .  
الطبعة الثانية - نشر دار أحياء التراث / بيروت .  
وتفسير الشيخ محمود شلتوت ص ( ٢٧٣ ) طبعة ٨ دار الشروق .  
وكتابه مطبوع عدة طبعات واعتمدت على الطبعة الرابعة .

رَدّد فيه أوهاما وشبهات وتضليلات خلاصتها أن القمص القرآني قائم على أساس فني وأدبي ليس إلّا وادّعى أنه المخرج الوحيد لتفسير ماتوهمه أو أوهمه أنه من الاختلاف والتعارض في القمص القرآني<sup>(١)</sup> وسوف يتبين من خلال هذا البحث أن ما أوهم به هذا الكاتب أو غيره من اعداء الاسلام انما هو محض افتراء وتضليل ومحاولات يائسة للنيل من معجزة الاسلام الخالدة ( إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون )

---

(١) قال المذكور في كتابه ( ص ٣٣ - ٣٤ ) بصدّد حديثه عن تكرار القمص القرآني ( فلماذا كان هذا الاختلاف ؟ لماذا اختلف إيراد القصة الواحدة في موطن عنه في آخر ؟ ) ثم أورد المذكور بعض مظاهر الاختلاف في حكاية قصة موسى وأعبه بقوله : ( إنّ الموقف واحد وإن الحادثة واحدة ولكن الوصف مختلف والحوار غير الحوار ) .. الى ان قال: لقد حاول العقل الاسلامي أن يجيب عن أمثال هذه الأسئلة التي تخص تكرار القمص القرآني واختلاف الوصف والتصوير ولكنه لم يهتد الى رأى قاطع ،

وأضاف : ولو أن العقل الاسلامي أقام فهمه للقصص القرآني على أساس فني وأدبي لما وقف هذه الوقفة ولعرف منذ اللحظة الأولى الذي عدة تكرارا ليس من التكرار في شيء . أن هذه المواد التاريخية غير مقصودة من القمص وأن مقاصد القرآن من مواعظ وعبر ومن إنذار وبشارات تختلف في موطن عنها في آخر ، ومن هنا كان الاختلاف لأن اختلاف المقاصد يدفع من غير شك الى اختلاف الصور الأدبية ( الى آخر ما قاله من جهالات وافتراءات من أن القمص القرآني قائم على وحدة الغرض والعبرة لا وحدة الشخص ، ومن هنا تكون هذه قصة وتلك قصة .... الخ . انظر ص ١٩٧ من الكتاب المذكور ، ومن الجدير بالذكر أن البعض قد انساق الى مثل هذه الشبهات ، انظر كتاب القرآن المجيد محمد عزة دروزة ، وانظر الرد عليهم في كتاب : سيكولوجية القصة للتهامي نقرة ، والفن القصصي في مفهومه ومنطوقه عبد الكريم الخطيب .

( قضية تكرار القصص القرآني )

---

من المعروف أن غالب القصص القرآني تُعاد فيه القصة مرتين أو ثلاثا أو أكثر من ذلك لكن الحديث في كل مقام عن شيء معين لا يكون من زاوية واحدة ، وذلك بحسب المناسبات واختلاف المقامات ، فتكون في كل مرة مشتملة على معان أو أهداف غير التي تشتمل عليها الأخرى ، أو في جو من الأسلوب وطريق الأداء غير الذي تكون فيه في موضع آخر .

ولذلك لم يعتبر بعض العلماء ما وقع في القرآن من هذا من التكرار حيث نظر الى أن التكرار إنما هو اذا أعيدت الألفاظ نفسها في عدة مواضع بدون فائدة زائدة أو غرض معين .  
والصحيح أن التكرار هو لأصل القصة ، وهذا مُراد من قال بالتكرار وذكر فوائده .

لهذا سوف ابدأ ببيان الحكم والفوائد المجنية من تكرار القصص القرآني : -

( الحكمة في تكرار القصص وفوائده إجمالاً )

أولاً : اظهار بلاغة القرآن وفصاحته :

ففي كل موضع زيادة شيء لم يُذكر في الذي قبله أو إبدال كلمة بأخرى لنكتة ، وهذه عادة البلغاء ففي إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة<sup>(١)</sup> .

حيث إن كل فصيح اذا كرّر الكلام في موضوع واحد لم يحافظ على فصاحته الأولى والقرآن في أعلى الفصاحة في تكراراته الكثيرة

قال الباقلاني<sup>(٢)</sup> : " وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه عن الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المرتبة العليا .

وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتاً بيننا ويختلف اختلافاً كبيراً ، ونظرنا القرآن فيما يُعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت ، بل هو في نهاية البلاغة وغاية البراعة فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر .. ) ٥٠١ هـ

ثانياً : أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود الى أهله ثم يهاجر بعده آخرون ويحكون ما نزل بعد صدور من تقدمهم فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى الى قوم ، وقصة عيسى الى آخرين ، وكذا سائر القصص فأراد الله اشتراك الجميع فيها ، فيكون فيها إفادة لقوم وزيادة تأكيد لآخرين وهم الحاضرون<sup>(٣)</sup> .

(١) الاتقان ٢ / ٦٨ ، البرهان ج ٣ / ٩ ، ٢٦ ،

(٢) إعجاز القرآن / ٣٨ .

(٣) البرهان ٢٦ / ٣ ، الاتقان ١ / ٦٨ .

قال ابن قتيبة (١) : " وكانت وفود العرب ترد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للاسلام فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن فيكون ذلك كافيا لهم ، وكان يبعث الى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الأنبياء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى قوم وقصة لوط الى قوم ،

فأراد الله بلطفه ورحمته أن يُشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع ويثبتها في كل قلب ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير .

وليست القصص كالفروض ، لأن كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تنفذ الى كل قوم بما فرضه الله عليهم من الصلاة وعندها وأوقاتها والزكاة وسنتها وصوم شهر رمضان ، وحج البيت ، وهذا ما لا تعرف كيفيته من الكتاب ولم تكن تنفذ قصة موسى وعيسى ونوح وغيرهم من الأنبياء ..... " .

### ثالثا : الاعجاز والتحدى :

حيث أن الله تعالى أنزل هذا القرآن وعجز القوم عن الاتيان بمثله ، ثم أوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأى نظم جاءوا أو بسأى عبارات عبروا ففيه تأكيد التحدى وإظهار الإعجاز ،

ولما تحداهم قال : ( فأتوا بسورة من مثله ) فلو ذكرت القصة في موضع واحد واكتفى بها لقال العربي ائتونا أنتم بسورة من مثله فأنزلها الله سبحانه وتعالى في تعداد السور فعالجتهم من كل وجه (٢) وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة فقصة موسى مثلا ذكرت نحو عشرين مرة أو يزيد ، ونجد أسلوبها في البقرة يختلف عن أسلوبها في الأعراف وهما يختلفان عن الأسلوب الذي جاء في سورة طه أو النازعات ،

(١) تأويل مشكل القرآن / ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٢) الاتقان ١ / ٦٨ ، فتح الرحمن / ٢٠٣ ، البرهان ٣ / ٢٧ .

والآيات تنادى : أيها المنكرون لمعجزة القرآن هذه قصة معروفة الحوادث فقصوها أنتم بأسلوب يماثل هذا الأسلوب القرآني إذا عجزتم فيها نحن أولاً ، نقصها بأسلوب جديد بمثله أيضاً ثم هاهو ذا أسلوب ثالث ، وهكذا فهذا نوع من إعجاز القرآن وتحد للمكرين .

قال الباقلاني (١) : " وأعيد كثير من القصص في مواضع كثيرة مختلفة على ترتيبات متفاوتة ونُبِّهوا بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله مبتدأً به ومكرراً . "

#### رابعاً : جذب النفوس

فالقصة الواحدة لما كُرِّرت في ألفاظها في كل موضع زيادة ونقمان وتقديم وتأخير وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى ، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم - وجذب النفوس الى سماعها ، لما جُبلت عليه من حُبِّ التنقل في الأشياء المتجددة واستلذانها بها ، وإظهار خاصية القرآن حيث لم يحصل مع تكرير ذلك فيه هُجْنة في اللفظ ولا ملل عند استماعه فباين ذلك كلام المخلوقين (٢) .

" فان من جمال النظم القرآني أنه ينقل المشاهد بجميع أبعادها على دفعات ولقطات . كل جانب منها يُبرز بعض مُشَخَّصات المشهد (٣) ولو جمعت تلك المواطن في موضع واحد لتكاملت القصة بمعانيها لكن ذلك لا يفيد تلك الروعة وذلك التلذذ النفسي اللذين حصلتا بتوزيع المشاهد وتفريقها والقرآن كما أسلفت معجزر ببلاغته ،

(١) ص / ٦١ - ٦٢ وراجع بحوث في قصص القرآن ص / ٥٥ ، ١٨١ .

اعجاز القرآن

(٢) البرهان ٢ / ٢٧ .

الاتقان ٦٨/٢ فتح الرحمن / ٢٠٢ للشَّيخ زكريا الأنصاري .

(٣) بحوث في قصص القرآن / السيد عبد الحافظ ص / ٥٥ .

خامساً : حاجة الناس الى الاعتبار وترسيخ العقيدة :

قال شيخ الاسلام ابن تيمية (١) :

"إنَّ الله نَتَى قصة فرعون في القرآن في غير موضع لاحتياج الناس الى الاعتبار بها ، فانه حصل له من الملك ودعوى الربوبية والإلهية والعلو مالم يحصل مثله لأحد من المعطلين وكانت عاقبته الى ما ذكر تعالى (٠) ١٠١ هـ

فالتالي لقصص هؤلاء من الأمم التي أهلكتها الله تعالى لإعراضها عن دعوة الرسل يعتبر بذلك اعتباراً بعد اعتبار (٢) .  
حيث إن في التكرار تأثيراً نفسياً ينطبع في النفس الانسانية فمن أراد الدعاية لشيء قام بالتكرار في الدعاية له في صور متنوعة ومناسبات مختلفة بقصد التأثير ، ومن هنا كان التكرار في القرآن موجهاً الى صميم العقيدة أكثر من سواها كالمعاملات والأحكام ، وكان تأكيداً لحقيقة التوحيد بتكريره إياها في صور متنوعة ، وإبرازها في القصص والأمثال على الخصوص ، من أهم العوامل في تقريرها وترسيخها (٣) .

قال الزركشي (٤) : " وعلى ذلك يُحمل ماورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد ، لأن الانسان مجبول من الطباع المختلفة وكلها داعية الى الشهوات ولا يقمع ذلك الا تكرار المواعظ والقوارع قال تعالى : ( ولقد يسرنا القرآن للذكر ) - القمر / ١٧ - .

وقد أخبر سبحانه بالسبب الذي لأجله كرر القصص والأخبار في القرآن . . فقال : ( ولقد وَّصَّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ) . وقال : ( وصرَّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يُحدِّث لهم ذكراً ) - طه / ١١٣ - ١٠١ هـ

(١) مجموع الفتاوى ١٣ / ١٦٤ .

(٢) تنزيه القرآن / ٢٤٥ .

(٣) سيكولوجية القصة في القرآن / التهامي نقره ، ص / ١١٦

(٤) البرهان ٢ / ٩



سادسا : تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيت فؤاده :

---

قال تعالى : ( وكلاًّ نقصم عليك من أنبياء الرسل ما نثبت به فؤادك ) هود // ١٢٠ .

فكان القصص ينزل مرة بعد مرة ليسليه حالا بعد حال لِمَا كان المشركون يأتون به في حق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل وقت وخاصة في الفترة المكية (١) .

والقرآن لم يكرر من القصص أو من حلقاتها إلا ما كان أشد تجاوبا مع بيئة الدعوة وأكثر استجابة لأهدافها وخدمة لأغراضها ولم يذكر من قصص الأنبياء إلا ما يقوى عزيمة الرسول وأصحابه ويثبت قلوبهم ويُنير سبيلهم (٢) .

فنحن نجد أن هناك تشابها كبيرا بين قصة موسى عليه السلام وقصة الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة .

فقد تأمر على موسى فرعون وقومه ليقتلوه : ( وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ، قال يا موسى إنّ الملائكة يأتون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ) - القصص / ١٩ - .

كما تأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركو مكة : ( وإنّ يمكرُ بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يُخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ) - الأنفال / ٣٠ - .

وفي كلتا القمتين عُدب المؤمنون واضطهدوا ، فقد نال الصحابة في مكة أنواعاً من البلاء والعذاب والخوف والتشريد ، فقصّ الله عليهم من أنبياء المؤمنين أتباع موسى ما فيه تسلية وعزاء لهم

---

(١) انظر : تنزيه القرآن عن المطاعن / القاضي عبد الجبار ص ٤٤٥

البرهان ٢ / ٢٦

(٢) سيكولوجية القصة في القرآن ص / ١١٩

وتثبيت لقلوبهم ، فهاهو فرعون يهددهم بتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف ويصلبهم في جذوع النخل فاستخفوا بتهديده ، حيث إن الايمان ملاً مشاعرهم والحق ملك قلوبهم .

( قالوا لاضرير إنا الى ربنا منقلبون ، إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين ) - الشعراء / ٥٠ - ٥١ -

ولذلك نجد أن قصة السحره مع فرعون قد تكررت عدة مرات في القرآن ، ولا يغيب عن الذهن أن كفار مكة قد نسبوا الرسول إلى السحر ، كما قال تعالى حكاية عنهم : ( إن هذا إلا سحر يُؤثر إن هذا إلا قولُ البشر ) وفرعون وقومه نسبوا موسى إلى السحر أيضا كما قال تعالى حكاية عنهم :

( إن هذان لساحران يريدان أن يُخرجاك من أرضك بسحرهما... ) - طه / ٦٣ -  
فالقصة متشابهة ، لهذا " فقد كان من تربية الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن قصَّ عليه من سير الأنبياء واتباعهم ما يسليه لأن نفوس المفسدين في كل زمان متقاربة ووسائلهم في محاربة الحق متشابهة " (١) .

( ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ... )

- فصلت / ٤٣ -

سابعاً : ومن فوائد التكرار ومقاصده :

---

ترهيب الجاحدين وإنذارهم بما جرت عليه سنة الله في المُكذِّبين  
لرسله فسنة الله واحدة لا تُبدل ولا تتحول فقد تكرر في القرآن بيان  
هلاك فرعون وقومه وبيان هلاك عاد وثمود . . وكذلك تكرر بيان  
هلاك قوم نوح بالطوفان ، وقوم شعيب بالرجفة وغير ذلك ، ولهذا قال الله  
تعالى ( فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود )  
- فصلت / ١٢ -

وقد كان تقرر في أذهانهم ماهية صاعقة ثمود وهي الطاغية  
وما هية صاعقة عاد وهي الريح الصرصر . وما فعلت بهم :  
( فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر  
عاتبه . . . ) - الحاقة / ٦ -

" وقد نبّه الله سبحانه على السبب الذي لأجله كرر الأفاضل  
والوعيد في القرآن بقوله : ( ولقد صرّفنا في هذا القرآن ليذكروا  
وما يزيدهم الا نفورا ) - الاسراء / ٤١ -

وللقصص من التأثير على النفوس بمقتضى فطرها ما ليس لغيره من  
ألوان القول ، فهو يُبين أن ما أنذرا الله سبحانه به من العذاب قد  
وقع لمن جحد واستكبر ولذلك أمر الله تعالى بالسير في الأرض -  
لزيادة العظة والاعتبار بمن سبق فقال تعالى : ( قل سـمـيـروا  
في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين . ) - الأنعام / ١١ -

حكمة عدم تكرار بعض القصص مثل قصة يوسف عليه السلام

---

حيث إنه من المعلوم أن قصة يوسف سقت مساقا واحدا في موضع واحد وهو سورة يوسف ولم تُكرر في القرآن .

وأجيب عن ذلك بعدة أجوبة (١) منها :

أنها قصة تعالج ناحية اجتماعية تقوم على الصراع الذي مبعثه الغيرة والحقد من جانب أخوة يوسف وكيدهم له وهذا ما نراه يحدث كثيرا في المجتمعات الأسرية ، فأراد القرآن أن يجعل هذه القصة مستقلة بنفسها لما فيها من العواقب الوخيمة لكل من يحيد عن الحب والاخلاص ، ويكون مجبولا على الغيرة والشر . (٢)

ومنها : - أن فيها حال امرأة ونسوة افتتنوا بشخص من أبداع الناس جمالا فناسب عدم تكرارها لما فيه من الاغضاء والستر .

ومنها : - انها اختصت بحصول الفرج بعد الشدة بخلاف غيرها من القصص فان مآلها الى الوصال كقصة إبليس وقوم نوح وهود وصالح وغيرهم .

فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمت القصص ، قال الألوسي (٣) : - " في تفسير قوله تعالى : ( نحن نقص عليك أحسن القصص ٠٠٠ ) ولكونها بتلك المثابة من الحسن تتوفر الدواعي التي نقلها ، ولذا لم تتكرر كغيرها من القصص ٠ // ١٠ هـ

ومنها : - قال الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني (٤) : " انما كرر الله قصص الأنبياء وساق قصة يوسف مساقا واحدا اشارة الى عجز العرب كأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لهم : إن كان من تلقاء نفسي فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في سائر القصص .

---

(١) البرهان / ٣ / ٢٧ ، الاتقان / ج٢ / ٦٩

(٢) الاعجاز اللغوي في القصة / ١٢٧ ، محمود السيد أحمد

(٣) روح المعاني ١٢ / ١٧٦

(٤) نفس المصدر



قال السيوطي (١) : " وظهر لي جواب رابع وهو أن سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم كما رواه الحاكم في مستدركه (٢) فنزلت مبسوطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة وترويح النفس بها والاحاطة بطرفيها .

وجواب خامس : وهو أقوى ما يجاب به أن قصص الأنبياء إنما كُتبت لأن المقصود بها إفادة إهلاك من كذبوا رسلهم والحاجة داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار للرسول - صلى الله عليه وسلم - فكلما كذبوا نزلت قصة بحلول العذاب كما حل على المكذبين ولهذا قال تعالى في آيات : ( فقد مضت سنة الأولين )

- الانفال / ٢٨ -

( ألم يروا كم أهلكننا من قبلهم من قرن ) - الانعام / ٦ -

وقصة يوسف لم يُقصد منها ذلك ، وبهذا يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين ، وقصة موسى مع الخضر ، وقصة الذبيح . " ا . هـ

والذي يُستخلص من خلال استقراء قصص القرآن أن التكرار لا يتناول القصة كلها - غالبا - إنما هو تكرار لبعض حلقاتها ومعظمه اشارات سريعة لموضع العبرة فيها وبالقدر الذي يكفي لآداء الغرض المراد من بيان قدرة أو إظهار نعمة أو غير ذلك .

وكذلك فإن كل حلقة من حلقات القصة حينما تُذكر فإننا نجد لها مناسبة تماما للسياق الواردة فيه وذلك لأن القرآن كتاب هداية ودعوة ،

---

(١) الاتقان / ج٢ / ٦٩ . (٢) المستدرک : کتاب التفسیر ، سورة يوسف ج٢ / ٢٥٥

وقال في الدر المنثور : ( ج ٤ / ٤٩٦ ) أخرج اسحاق بن راهويه والسيبزي وأبو يعلى وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان وأبو الشيخ والحاكم وصححه :  
عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : " أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم - القرآن فتلا عليهم زمانا فقالوا : يا رسول الله لو قصصت علينا ، فأنزل الله : ( الأمر ، تلك آيات الكتاب المبين ) .  
هذه السورة .

( اختلاف حكاية القصص )

فمن الأمور التي أوقعت البعض في اللبس أو لنقل لبسوا بها اختلاف الحكاية في القصص القرآني فقد ظنوه انه اختلاف في المحكي وقد نسوا أو تناسوا أن لغة القرآن ليست هي لغة الأمم السابقة وإنما هو يُعبر ويُفصح عما حصل بين الأنبياء وأممهم وغير ذلك . ويحكى ذلك عنهم ، والحكاية إذا اختلفت واتفقت في معناها لا يكون ذلك اختلافًا ولا تناقضًا بل الذي يظن ذلك إنما هو جاهل أو متجاهل كما حصل مع «محمد أحمد خلق الله» في كتابه الفن القصصي في القرآن (١)

حيث أورد مقطعًا من قصة موسى من عدة سور اختلفت فيها الحكاية فوهم أو أوهم انه اختلاف في المحكي وغير ذلك من مفترياته حول القصص (٢) ، ولذلك أوردت هذا المبحث لكشف الغطاء عن اختلاف الحكاية في القصة الواحدة .. والله ولي التوفيق ..

قال السيوطي في الاتقان (٣) :

جميع ماورد في القرآن حكاية عن غير أهل اللسان من القرون الخالية إنما هو معرب عن معانيهم وليس بحقيقة ألفاظهم ولهذا لا شك في أن قوله تعالى ( قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ) . ان هذه الفصاحة لم تجر على لغة العجم " انتهى .

(١) انظر ص ٣٢ منه فما بعدها .

(٢) والرجل بهذا القول لم يأت بجديد بل هي مقولة المستشرقين والتي ردها تلاميذهم ممن لم يدخل الايمان بشاشة قلوبهم ، راجع في ذلك كتاب : نقص كتاب في الشعر الجاهلي للعلامة محمد الخضر حسين ص ٧٦ فما بعدها حول افتراءات المستشرقين وتلاميذهم عن القصص القرآني .

(٣) نقلًا عن ابن جنبي في الخطريات (الاتقان ج ٢ / ١٢٥) .

قلت : فمن المعلوم أن الله سبحانه عندما يثني ذكر القصة في موضع غير الموضع الأول يذكرها بأسلوب مغاير وطريقة مختلفة إما ايجازاً ، وإما اطناباً ، والايجاز والاطناب من أعظم انواع البلاغة حتى قال بعضهم إن البلاغة هي الايجاز والاطناب (١) .

واختلاف الفاظ الحكاية للقصة الواحدة دائر على معنى واحد واختلاف مواضعها المقتضية تغيير الألفاظ فيها ،

قال صاحب درة التنزيل (٢) : " فالقصد حكاية المعنى لا أداء اللفظ على جهته والحكايات ليس يُشترط فيها اذا أدت معانيها دون ألفاظها استيعاب جميعها في مكان واحد بل يجوز أن تُفرق في أماكن كثيرة " اهـ

وقال ابن الزبير الخرناطي (٣) : " من المعلوم باعلام الله سبحانه أنه تعالى لم يرسل رسولا الا بلسان قومه ، فموس عليه السلام إنما خاطب أهله في هذه المحاورة باللسان العبراني الذي هو لسان قومه فالوارد في كتابنا إنما هو حكاية المعنى الذي خُوطب به موسى عليه السلام وخاطب به " اهـ

وقد بين الباقلائي (٤) كيف أعاد القرآن قصة موسى آو حلقات منها على طرق شتى ووجوه مختلفة وفواصل متنوعة مع اتفاق المعنى ، ليعلم عجزهم ولهذا قال : " فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين " اهـ

- الطور / ٣٤ -

فالقصة الواحدة تتكرر في مواضع مختلفة ولكن بأسلوب يتفوق والسياق الذي تعرض فيه والغرض الذي سيقته له فلهذا تذكر على وجوه مختلفة .

وترد القصة الواحدة موجزة مرة ومطولة أخرى ليحصل من ذلك الاطلاع على عليّ البلاغة وجلالة النظم وعليّ الفصاحة في طرفي الايجاز والاطناب ، فان الفصحى من البشر اذا رام هذا لم يف في الطرفين بما يريد ووضح التفاوت في مرتكبه ولان وظهر الضعف مهما طال (٥) .

(١) المصدر السابق ٥٣/٢ .

(٢) الخطيب الاسكافي ص / ١٥٦ ، ٣٣٥ .

(٣) ملك التأويل ٢ / ٦٧٢ .

(٤) إيجاز القرآن ص ٦١ - ٦٢ .

(٥) انظر ملك التأويل ج ١ / ٣٢٥ ، روح المعاني ٢٣ / ٢٣٠ ،

تفسير أبي السعود ٧ / ٢٣٨ .



وأما القرآن الكريم فإنه حين يوجز في قصة ما أو يطنب يبقى على نمط واحد من البلاغة والفصاحة ، كما أنه يستخدم الإيجاز والاطناب عند إعادة ذكره القصة القرآنية لأغراض وأهداف تناسب المقصد العام للسورة والسياق الذي ذكرت فيه القصة، فلما استخدم الإيجاز حمل الاطناب أو العكس لغات الغرض المراد .  
فتكرار القصة الواحدة مطببة مرة وموجزة أخرى مختلفة الحكاية والمحكي واحد لا يؤدي إلى لبس أو تناقض كما يزعمه أعداء الإسلام وسوف أعرض لكثير من الأمثلة لتوضيح هذه الناحية وبيان تناسب القصص في منظوقه ومفهومه .

وفيما يلي البيان والتوضيح لما تقدم بالأمثلة والنصوص :

اختلاف الحكاية في القرآن عند إعادة القصة الواحد يكون أحيانا لاختلاف المقام فيكون حينئذ لاختلاف المحكي .  
وأحيانا يكون المقام واحدا فلا يختلف المحكي وإنما يختلف أسلوب الحكاية كما سيأتي .:

أولا : اختلاف الحكاية لاختلاف المقام :

وسوف أعرض لذلك مثالين :

المثال الأول : قصة نوح عليه السلام :-

يقول تعالى : في سورة الأعراف : حكاية عن دعوة نوح لقومه وردهم عليه .. ( لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، قال الملائكة من قومه إنا لنراك في ضلال مبين ) الآية ٥٨ - ٥٩ .

وقال في هود : ( ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ، فقال الملائكة الذين كفروا من قومه : ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ، وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ) الآيات ٢٥ - ٢٧ .

وقال في سورة المؤمنين : ( ولقد أرسلنا نوحا الى قومه  
فقال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ؟  
فقال الملأ الذين كفروا من قومه : ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن  
يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ماسمعا بهذا في آبائنا  
الأولين ، ان هو الا رجل به جنّة فتربصوا به حتى حين . )  
( الآيات ٢٣ - ٢٥ )

هذه الآيات تمثل تصويرا لمواقف عدة من دعوة نوح لقومه  
وردهم عليه ، ومن المعلوم أن نبي الله نوحاً عليه السلام لبث في  
قومه ( الف سنة الا خمسين عاما ) يدعوهم الى الله تعالى ،  
لذلك كانت مواقفه مع قومه كثيرة حيث دعاهم ليلا ونهارا وسرا وعلانية  
كما قال تعالى : ( قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزيدهم  
دعائي الا فرارا ) نوح / ٥ - ٦

وكذلك الأنبياء يكون لهم مع أممهم مقامات يكون فيها الاعذار  
والانذار ويرجع فيها الوعد والوعيد عودا على بدء ، ولا تكون دعوتهم  
الى الايمان بالله ورفض عبادة ماسوى الله في موقف واحد بلفظ  
واحد لا يتغير عن حاله بل الداعي يفتن في مقاله والجاحد المنكسر  
تختلف أجوبته في مواقفه ، فلذلك تأتي المحكيات مختلفة لاختلف  
المقامات والمواقف ونلاحظ ذلك جليا فيما تقدم من الآيات التي  
تحكي دعوة نوح لقومه ورد قومه عليه فقد يظن ظان أو متوهم أن  
الكلام مختلف والمقام واحد لكن الأمر بخلاف ذلك ،

فالنص الأول من الأعراف يظهر أنها كانت بداية المواجهة حيث  
دعاهم الى الله وخوفهم عذابه العظيم .

وفي النص الثاني من هود لما لم ينزجروا كان المقام مقام انذار  
وذكرهم بأثر العذاب وهو الألم الشديد .

وفي النص الثالث : - انكر عليهم استمرارهم على غيرهم بقوله :  
( أفلا تتقون ) ؟ ونلاحظ أن جميع المقامات كان فيها الدعوة الى  
توحيد الله لأن ذلك هو مقصد الرسالة الأول ،

وقد اختلف ردود القوم في هذه المقامات الثلاثة ، ففي المقام  
الأول وصفوه بالضلال المبين .

فلما كرر عليهم الدعوة والانذار عادوا للانكار باسلوب جديد فقالوا : ( ما نراك الا بشرا مثلنا ) ووصفوا أتباعه بأنهم ممن أراذل القوم وأنهم كاذبون ، وفي النص الثالث : - نجد الملائخ يطوبون عوام القوم ليصدوهم عن دعوة نوح بأنه بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ووصفوه لهم بأنه مجنون ، فنلاحظ اختلاف ردودهم وما ذاك الا لاختلاف المقامات وليس في هذا تعارض أو اختلاف لمن تدبر .

### المثال الثاني : قصة لوط عليه السلام :

يقول تعالى في سورة النمل حكاية عن جواب قوم لوط لنبيهم عندما دعاهم :

( وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم أناس يتطهرون ) الآية ٥٦ .

أما جوابهم في العنكبوت فكان مختلفا : ( فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ) الآية ( ٢٩ ) .  
فقوم لوط لما كرر عليهم نبيهم الانكار وأعاد اليهم الاعذار والانذار قال في موقف ما حكاها الله تعالى في سورة النمل : ( أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون  
فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط ... ) .

أما في العنكبوت فكان موقفا آخر ومقاماً آخر غير المقام الأول حيث أنكر عليهم هنا عدة أمور كما قال تعالى حكاية عنه : ( أنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر .  
فما كان جواب قومه إلا أن قالوا : ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين ) .

فكان موقفهم هنا موقف التكذيب والتحدى حيث عدد عليهم منكراتهم وأما الموقف الاول فكان موقف استهزاء وسخرية لأنه انكر عليهم أمرا قد استفحل في حياتهم واستمرأوه فلذا طالبوا باخراجه ،  
وهذه حال كل داعية للخير والطهارة في مجتمعات الفسق والفجور حيث إنهم في مثل هذه الأحوال لا يجسبون الناصحين ،

فنلاحظ أن الاجابة اختلفت لما اختلف الموقف ولايبعد أيضا أن يكون موقفا واحدا وأجاب بعض القوم بكلام والبعض الآخر أجاب بغيره فالأجوبة كلها من جهتهم ، وانا قال البعض جوابا ورضيه الآخرون فكلهم قائلون به ،

فاختلاف أجوبتهم ليس من التكرار وليس من التعارض أو التناقض  
وانما يقع ذلك لمن لا يتدبر آيات الله عز وجل حق التدبر<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر درة التنزيل ص / ١٥٠ - ١٥١ ، ١٦٤ .

النوع الثانى من الاختلاف فى ألفاظ القصة :-  
اختلاف الحكاية والمحكي واحد فى المقام الواحد

---

من ذلك قصة موسى وذلك فى عدة مواطن منها :

أولا : قوله تعالى :- فى سورة طه

( وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى  
آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاها  
نودى ياموسى ، إنى أنا ربك فاخضع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ، وأنا  
اخترتك فاستمع لما يوهى ، إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم  
الصلاة لذكرى ) الآية ٩ - ١٤ .

وقال فى النمل :- ( إذ قال موسى لأهله إنى آنست نارا سأتيكم منها  
بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ، فلما جاءها نودى أن بسورك  
من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ، ياموسى إنى أنا  
الله العزيز الحكيم . ) الآية ٧ - ٩

وقال فى سورة القصص :

( فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس عن جانب الطور  
نارا، قال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر  
أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ، فلما أتاها نودى من شاطئ الواد  
الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إنى أنا الله رب  
العالمين . ) الآية ٢٩ - ٣١

ونلاحظ من خلال قراءة هذه المقاطع الثلاثة أن القصة واحدة  
والمقام واحد سيقى بألفاظ متغايرة .

فلماذا اختلف الإخبار عن القصة الواحدة ؟

الجواب : أن الله تعالى لم يُخبر أنه خوطب موسى عليه السلام باللغة  
العربية بألفاظ اذا عدل عنها الى غيرها مما يخالف معناها كان اختلافا  
فى القرآن ، بل معلوم أن الخطاب كان بغير هذه اللغة وأنه تعالى أخبر  
فى بعض السور ببعض ماجرى وفي أخرى بأكثر مما أخبر به فى التى قبلها  
وليس يدفع بعضها بعضا وانما هي مفسرة لبعضها ومتممة ،

فأما قوله تعالى : ( لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ) .

فهو معنى قوله : ( سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس )  
كأن الخبر الذي يأتيهم به هو أن يجد على النار ما يهديه ويخبره أن  
الطريق هو ما عليه أو غيره فهو شيء واحد لا اختلاف فيه ،  
فأما قوله : ( فلما أتاهما نودي ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك )  
فهو مما جرى ، ولم يخبر به تعالى في سائر السور وأخبر به في  
هذه (١) .

وقال الفيروز بادى (٢) :

نقص في بعضها وزاد في البعض الآخر لأن الشيء قد يُجمل ثم  
يفصل وقد يفصل ثم يُجمل ، وفي طه فصل ثم أجمل في النمل ثم فصل  
في القصص وبالغ فيه ، وقوله : ( أو أجد على النار هدى ) في طه  
هو بمعنى الخبر في القصص والنمل ،

وكرر ( لعلى ) في القصص لفظا وفيهما معنى ، لأن "أو" في قوله  
( أو أجد على النار هدى ) نائب عن قوله ( لعلى ) ،  
وسأتيكم تتضمن معنى ( لعلى ) (٣) ،  
والجذوة من النار هي الخشبة في رأسها قبس له شهاب فهي في السور  
الثلاث عبارة عن معنى واحد .

قال ابن الزبير الغرناطي : ( ٢٧٤/٢ )

" وأما الافصاح في السورتين الآخرين بالحاجة الى النار وهو  
الاصطلاء ، ولم يقع ذلك في طه ، فان ذلك اخبار بزيادة لا يعارضها  
شيء عما في سورة طه فمرة وقع به الاخبار ، ومرة لم يذكر  
اكتفاء بذكره حيث ذكر ،

وأما التعبير عن الخبر في سورة طه بقوله : ( أو أجد على النار هدى )  
فانصاح بما هو معلوم من قوله في سورة النمل :  
( سأتيكم منها بخبر ) وقوله في سورة القصص ( لعلى آتيكم منها بخبر )

(١) درة التنزيل / ٢٩٢ - ٢٩٣ وانظر ص ٢٩٤ - ٢٩٥ للمزيد  
(٢) بمائثر ذوى التمييز ج ١ / ص : ٣١٣ وانظر فتح الرحمن ص ٤١٨ للشيخ زكريا الانصارى  
(٣) قال في فتح الرحمن ( ص ٤١٨ ) : " قد يقول الراجي اذا قوى رجاؤه سأفعل كذا  
وسيكون كذا مع تجويزه عدم الجزم . "

• وراجع ملاك التأويل / لابن الزبير الغرناطي ج ٢ / ٢٧٢ .

لأن أهله لم يكن لهم من حاجة لغير الاصطلاء واستعلم طريقهم  
فورد في سورة طه مفعلاً بالمقصود معبراً فيها بما هو مفهوم  
من آيتي النمل والقصر من معنى الكلام وسياقه ، فلاختلاف في شيء  
من ذلك كله ولا تعارض ولا خلاف ، والحمد لله " ١٠ هـ

قلت : فكل نقص أو زيادة أو بسط أو إيجاز في سرد الحدث  
إنما يأتي لغاية يقتضيها السياق أو المقام ،

فلما كان الغرض من حكاية قصة موسى في الشعراء بيان ما حصل  
لموسى مع فرعون أو جز الله ماتقدم بقوله : ( واذ نادى ربك موسى  
أن ائت القوم الظالمين ، قوم فرعون ألا يتقون ) ( سورة الشعراء ١٠-١١ )  
وإنما كان هذا الخطاب بعد أن خاطبه بخلع نعليه وأنه اختاره  
لرسالته وأمره بإقامة الصلاة لذكره تعالى وغير ذلك ، فلما كانت الغاية  
في ذلك المقام تجلية أمر فرعون وحواره مع موسى عليه السلام طوى  
الله بداية القصة .

وكذلك نجد في سورة النازعات مثل ذلك

وهو قوله تعالى : ( هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالسواد  
المنقدس طوى ) ، إذ ذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى ،  
وأهديك إلى ربك فتخشى ، فأراه الآية الكبرى ... ) (١) النازعات / آية ١٥-٢٠ هـ

قال الآلوس في تفسيره (٢) : ( الفاء فصيحة تُفصح عن جمل طويست  
تعويلاً على تفصيلها في موضع آخر كأنه قال : فذهب وكان كيت وكيت فأراه ) ١٠ هـ  
وقال الشوكاني في تفسيره (٣) :

"هذه الفاء هي الفصيحة لإفصاحها عن كلام محذوف، يعنى فذهب فقال له  
ما قال مما حكاه الله في غير موضع وأجاب عليه بما أجاب إلى أن قال  
إن كنت جئت بآية فأت بها فعند ذلك أراه الآية الكبرى . " ١٠ هـ .  
قلت : فلما كان الهدف في سورة النازعات بيان قدرة الله تعالى وأنه  
عزيز غالب على أمره ينتقم ممن عصى أمره وكذب بآياته ،

(١) النازعات / آية ١٥-٢٠ والآية الكبرى هي قلب العما حية باذن الله .

(٢) روح المعاني ج ٢٠ / ٢٧ .

(٣) فتح القدير ٥ / ٢٦٥ .

حكى الله تعالى لنا هنا ما يُبين حصول الانذار وبيان الحجّة وعاقبة ذلك التي هي عبرة لمن يخشى بأسلوب موجز في غاية البلاغة فتكرار القصة هنا له هدفه وحكمته ولم يذكر سبحانه وتعالى منها الا ما يخدم المغزى العام للسورة ،

ومن أختلاف الحكاية الزيادة والنقص مع اتحاد المقام لاقتضائه ذلك ؛ من ذلك ما يتعلق بقصة موسى عليه السلام مما حكاه الله عنه من خوفه من العما لما قلبت باذن الله الى حية تسعى فخاف موسى وأدبر .  
فقال الله حكاية عما خاطبه به في ذلك الموقف .

( يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون ) النمل / ١٠ .  
وهذا في سورة النمل أما في سورة القصص فقد قال حكاية عن نفس الموقف : ( يا موسى أقبل ولا تخف انك من الأمنين ) القصص / ٣١ .  
فالمحكى واحد ولكن الحكاية اختلفت ولا تعارض بين الحكايتين لأنه ليس في أحدهما ما ينفي ما جاء في الحكاية الاخرى بل من مجموعهما نستخلص المحكي في ذلك الموقف وهو أنه ثقف في إحداها ما زاده في الأخرى لحكمة يقتضيها السياق فالله قد ناداه بأن يقبل ولا يخف وأنه من الأمنين وأنه لا يخاف لديه المرسلون . اى مجموع ما تضمنته الآيتين /

قال الخطيب الاسكافى (١) :

" ويكون معنى ( انك من الأمنين ) أى من المرسلين الذين لا يخافون " فالمراد من الوارد في السورتين أن موسى عليه السلام أمن من خوفه الذى لحقه وأعلم أنه من الأمنين وأن الأمنين لديه سبحانه هم المرسلون ومن اهتدى بهداهم ممن سبقت له الحسنى ، ومن لحق بهم ممن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فهو لاء هم الأمنون لديه سبحانه بما سبق لهم /  
فسمع موسى عليه السلام من كلام ربه ما حصل له من المعنى المقصود ثم اختلف التعبير عندنا عن ذلك والمعنى واحد فلا اختلاف (٢) .

أما لماذا زاد هنا ما نقص عن هناك واختص كل لفظ بموضعه .  
قال الشيخ زكريا الأنصارى (٣) : قوله تعالى : ( يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون ) قال ذلك هنا وقال في القصص ( يا موسى أقبل ولا تخف انك من الأمنين ) . بزيادة ( أقبل ) لأن ما هنا بُني عليه كلام يناسبه

(١) درة التنزيل / ٣٣٦ .

(٢) ملاك التأويل ج ٢ / ٧٥١ - ٧٥٢ .

(٣) فتح الرحمن ص ٤١٩ ، وانظر بمئات ذوى التمييز ج ١ / ٣٥٠ .



وهو اني لا يخاف لدى المرسلون ، فناسبه الحذف ، وما هناك لم يبين عليه شيء فناسبه زيادة (أقبل) جبرا له وليكون في مقابلة (مدبرا) أي أقبل آمنا غير مدبر ولا تخف . ٥٠١ هـ

قلت : هذا الى جانب البلاغة القرآنية من تغاير الاسلوب وما فيه من نزعة إعجازية بايراد القصة الواحدة على عدة اشكال وألوان للحكم والغايات التي تقدم ذكرها (١) .

ثانيا : ومن ذلك ايضا ما حكاه الله تعالى بشأن قصة لوط عليه السلام عندما أمره وأهله بالخروج من المدينة المغضوب عليها والتي كانت تفعل الفواحش فأراد الله عز وجل أن يدمرها على أهلها ،

يقول تعالى في سورة هود :

( فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ) ، الآية ( ٨١ ) ،

وقال في موضع آخر ( الحجر )

( فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون ) الآية ٦٥ .

نلاحظ كيف أنه في كلا الآيتين اخبرنا الله تعالى عن مجموع المحكي حيث زاد في الأولى مانقمة في الثانية ونقص في الأولى مازاده في الثانية فلا تعارض بين الآيتين فالأولى فيها زيادة ، ( إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم ) ،

والثانية فيها زيادة : ( واتبع ادبارهم )

( وامضوا حيث تؤمرون )

فالآيتان متمتان لبعضهما : فيصح المراد : أن الله تعالى أمر لوطا عليه السلام بأن يخرج بأهله ساريا من الليل وأن لا يلتفت منهم أحد باستثناء امراته لأنها كانت من الكافرين وسوف يصيبها العذاب ،

---

(١) راجع القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه / عبد الكريم الخطيب

وكذلك على لوط ان يتبع أدبار أهله ، أى يسير خلفهم وأن يمشوا  
حيث يأمرهم جبريل عليه السلام أما قوم لوط فانه مصيبيهم العذاب  
الذى أوعدهم الله إياه<sup>(١)</sup> كما قال تعالى : ( إن موعدهم المصبح  
أليس المصبح بقريب ) هود / ٨١

أما عن سبب استثناء قوله تعالى : ( الا امرأتك ) من قوله تعالى  
( فأسر بأهلك بقطع من الليل ) في سورة هود ، ولم يستثن ذلك في  
سورة الحجر ، فالسبب أنه في سورة الحجر تقدم قول الملائكة الذين  
أرسلوا الى لوط عليه السلام فيما حكاه الله عنهم :

( قالوا : إنا أرسلنا الى قوم مجرمين ، الا آل لوط اننا  
لمنجوم أجمعين ، الا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين )  
- الحجر / ٥٨ - ٦٠ -

فهذا الاستثناء الذى لم يتقدم مثله في سورة هود أغنى عن  
الاستثناء الواقع فيها من قوله تعالى : ( فأسر بأهلك بقطع من  
الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك )<sup>(٢)</sup> .

فلأجل هذا الاستثناء الذى تقدم لم يستثن مرة أخرى في قوله :  
( فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد  
وأَمْضُوا حيث تُمْرُونَ )

• اكتفاء بهذا الاستثناء المتقدم •

بخلاف سورة هود فانه لم يتقدم قبل قوله : ( فأسر بأهلك بقطع من  
الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك ..... )

لم يتقدم قبل ذلك استثناء لامرأة لوط لذا حسن أن يؤتى بهذا  
الاستثناء في هذا الموضع ، لبيان مقصد عظيم وهو مآل امرأة لوط  
لشاعة فعلها ، ولم يُطَوَّر ذكر مآلها في جميع المواضع الا في  
الذاريات والقمر ، لأن القصة فيها بُنيت على الايجاز ،

فالذى يتضح من أمر القصة القرآني أن من سنن الله الحكيمه  
عدم استيفاء عناصر القصة الواحدة - غالبا - في موضع واحد بل هي  
موزعة على عدة مواطن في القرآن يحكي الله في كل موطن ما يناسب السياق

---

(١) زاد السير لابن الجوزي ج ٤ / ٤٠٧ ، النكت والعيون ج ٢ / ٢٢٨ ،

روح المعاني ١٢ / ١٠٩ - ١١٢ •

(٢) درة التنزيل / ص ٢٢٦ •

والمقصد الذي سيقت له القصة ومن أسرار الله في ذلك : أن تكون النفس متشوقة الى استيفاء بعض العناصر ، فتدرك جانبا منها في مقام وجانبا آخر في مقام آخر ، وهكذا حتى تستكمل القصة جميع عناصرها ويتم مراد الله عما قصه علينا في كتابه . (١)

ومن اختلاف الحكاية إبدال كلمة بأخرى أو حرف بحرف ومن أمثلة ذلك ما يلي :

أولا : قوله تعالى بشأن مريم : ( قالت رب أنتى يكون لى ولد ٠٠ )

- آل عمران / ٤٧ -

هذا فى آل عمران

وفى سورة مريم : ( قالت أنتى يكون لى غلام ٠٠ ) - مريم / ٢٠ -

الآية الأولى تقدم فيها ذكر المسيح عليه السلام وهو ولدها

وفى مريم تقدم ذكر كلمة ( الغلام ) حيث قال لها الملك :

( ... إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ،

قالت أنتى يكون لى غلام ..... )

فكل كلمة ناسبت سياقها والمعنى واحد . فالولد هو الغلام

وإنما حكى الله عنها معنى ما قالت (٢) .

ومن ذلك أيضا : ما ذكره الله تعالى بشأن إبليس اللعين ،

فقال تعالى : حكاية عنه عندما طرده من رحمته وأنظره الى يوم

يبعثون : ( قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ٠٠ )

- الأعراف / ١٦ -

وقال فى موضع آخر حكاية عن نفس الموقف : -

( قال رب بما أغويتنى لأزینن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين ٠٠ )

- الحجر / ٣٩ -

وقال فى موضع آخر حكاية عن نفس الموقف أيضا :

( قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ٠٠ )

- ص / ٨٢ -

(١) بحوث فى قصص القرآن / ٧٩ .

(٢) انظر بمآثر نوى التمييز ج ١ / ١٦٢ .

هذه الحكاية هي مقطع من قصة خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا كلهم لكن ابليس لم يسجد حسداً واستكباراً فطرده الله من رحمته فطلب ابليس الإنظار الى يوم البعث ، فأجابه الله بأنه من المنظرين الى وقت فناء الدنيا ، فأقسم ابليس بعزة الله أنه سوف يُغوى بني آدم الا المخلصين، وبين كيفية إغوائه لهم حسب ظنه الذي ظنه في بني آدم كما قال تعالى : ( ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين ) سبأ / ٢٠ الى آخر القصة .

والمقطع الذي اخترناه هو الموقف الذي يقسم فيه ابليس بعزة الله التي اغواه بها أن يزين لبني آدم في الأرض وأن يغويهم الا القليل المخلص ، وأنه لأجل ذلك سيعمل جهده حيث لا يدع طريقاً للشـر والاستدراج للمنكر الا ويتبعه مع بني آدم حيث يقعد لهم صراط الله المستقيم ليحرفهم عنه الى طرق الضلال ، ولقد حذرنا الله سبحانه من ذلك بقوله :

( وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ) .

فعند التمعن في اختلاف الحكايات الثلاث التي اخترناها نجد أن مجموعها يدلنا على حقيقة مآسر من اللعين ابليس وأنها كلها منسجمة تؤدي معنا واحداً متكاملاً وهو اجتهاد اللعين في اغواء بني آدم ، وهكذا الحال في جميع ما ذكر في القرآن من قصة آدم وابليس حيث إن أقوال كل حكاية وان توزعت في صور متعددة هي قول واحد في موقف واحد (١) .

يقول الألويسي (٢) : والذي يجب اعتباره في نقل الكلام إنما هو أصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيدُه وأما كيفية إفادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة ، بل قد تُراعى وقد لا تُراعى حسب اقتضاء المقام ، ولا يقدح في أصل الكلام تجريده عنها ، بل قد تُراعى عند نقله كيفية وخصوميات لم يراعها المتكلم أصلاً ، حيث إن مقام الحكاية اقتضتها وهي ملاك الأمر ولا يُخلُّ ذلك بكون المنقول أصل المعنى " انتهى .

(١) انظر : كتاب الفن القصصي في مفهومه ومنطوقه / ص ٣٥٥ - ٣٧٠ .

(٢) ج ٢٣ / ٢٣٠ روح المعاني .

ولذلك أوضح صاحب الدرّة (١) اختلاف الحكايات التي نقلناها بشأن إبليس بقوله : ( والجواب متى حُملت الباء على القسم في قوله ( بما غويتني ) في الآيتين بشهادة الآية الثالثة وهي : ( فبعزتك ) .  
يكن هناك اختلاف في المعنى لأن المراد في قوله : باغواك إياي ، وهو يحتمل وجوها من المعنى أحدهما :  
أن يكون المراد بتخيبك إياي لأجتهن في تخييبهم وهذا ظاهر الكلام لأن القسم مُتلقًى باللام ، ولأن قوله \* ( فبعزتك ) في مقابلتهما من الآية الأخرى ، وتخييب الله إياه هو بعزته ،

والثاني : أن يكون المراد باهلاك إياي بأن لعنتني ، وهذا الفعل أيضا عزة من الله ، وكذلك إن حُمل على معنى الحكم بغوايته فهو عزة من الله تعالى وإذا كان كذلك تماوت في المعنى ، وكلّ قسم ، والاغواء الذي هو التخيب أو الاهلاك أو الحكم بالغواية كل ذلك عزة من الله تعالى فالقسم به كالقسم بعزته (٢) .

وقال العلامة أبو السعود في تفسيره (٣) : عند تفسير قوله تعالى : ( قال فبعزتك .. ) \* الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانذار ولا ينافيه قوله تعالى ( فيما أغويتني ) وقوله : ( رب بما أغويتني ) فان اغوائه تعالى إياه أشر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من أحكام قهره وسلطنته ، فمأل الاقسام بهما واحد .. " ٥١ هـ  
وبعد هذا الايضاح لما يتوهم انه من الاختلاف في حكاية القمص انتقل الى المبحث الآخر وهو ما يتوهم انه من الاختلاف في مضمون القمص .

(١) درة التنزيل للخطيب الاسكافي / ١٤٤ .

(٢) تفسير ابي السعود ج ٧ / ٢٣٨ .

( الفصل الخامس )

---

موه الاختلاف في مضمون القمص  
حسب التسلسل التاريخي (١)

---

قال الله تعالى :-

(( نحن نقم عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا  
القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ))

يوسف / ٣

وقال تعالى :

(( نحن نقم عليك نبأهم بالحق ..... )) الكهف / ١٣

وقال تعالى :

(( لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً  
يفترى ولكن تمديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة  
لقوم يؤمنون )) .

يوسف / ١١١

---

(١) اعتمدت في ترتيب ذكر الأنبياء وقصصهم على ما أفاده الحافظ  
الامام أبو الغداء اسماعيل بن كثير ت : ٧٧٤ في كتابه ( قصص الأنبياء )  
ط اولى محققة، دار الفكر - بيروت .

(١) قصة ابليس :

وردت آيات قرآنية تحكي قصة ابليس ورفضه السجود لآدم حيث قال الله تعالى : ( واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا - ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . )

البقرة / ٣٤

وقال تعالى : ( فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين . )

الحجر / ٣٠ - ٣١

وكذلك في سورة " ص " حيث قال تعالى :  
( فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا ابليس استكبر وكان من الكافرين . )

الآية ٧٣ - ٧٤

فهذه الآيات يستدل بها البعض على أن ابليس كان من الملائكة لأن ظاهر الاستثناء يعني ذلك حيث إنه استثنى منهم ، والمستثنى يكون من جنس المستثنى منه ،

وهذا في الظاهر يعارض قوله تعالى :

( واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه . . . ) الكهف / ٥٠ .  
فهو نص في أن ابليس كان من الجن وليس من الملائكة ،

والصحيح الذي هو قول المحققين من العلماء أن ابليس كان جنياً ، وهو أصل الجن كما أن آدم أصل البشر ،

فالآية التي تنص على أن ابليس من الجن لا تعارض الآيات الأخرى والتي ظاهرها أنه من الملائكة وذلك من عدة أوجه وأدلة ،

الوجه الأول :- أن القول بأن إبليس من الملائكة هو من دلالة الآيات

التي تقدم ذكرها وهذه الدلالة لاجرة بها مقابل النصوص الصريحة والتي تنص على كون ابليس من الجن .

ومن هذه النصوص قوله تعالى : ( كان من الجن ) - الكهف / ٥٠ - .  
والجن اذا أُطلقوا في الكتاب والسنة أريد بهم تلك المخلوقات الخفية المخلوقة من النار كما قال تعالى :

( والجان خلقناه من قبل من نار السموم ) الحجر / ٢٧ .

وقوله : ( وخلق الجن من مارج من نار ) الرحمن / ١٥ .  
وابليس اللعين قال عن نفسه ( خلقتني من نار وخلقته من طين )

الاعراف / ١٢ .

بينما الملائكة مخلوقة من النور بنص الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه (١)  
( خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار وخلق آدم مّما  
وصف لكم ) .

وأما من قال بأن قوله ( كان من الجن ) بأنهم جنس من الملائكة  
اسمهم الجن فهذا القول ليس له سند صحيح من كتاب أو سنة وهو مخالف  
لظاهر القرآن والاطلاق الشرعي (٢).

الوجه الثاني :-

\_\_\_\_\_ أن الآيات التي استثني فيها إبليس من الملائكة مع  
أنه من الجن من باب التغليب لكونه جنيا واحدا فيما بينهم (٣).

قال ابن كثير رحمه الله (٤) : ( دخل إبليس في خطابهم لأنه وإن لم يكن  
من عنصرهم إلا أنه كان قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم فلماذا دخل في  
الخطاب لهم ، وُدِّمَ في مخالفة الأمر ) ١٠١ هـ .

وقال الزمخشري (٥) : ( " إلا إبليس " استثناء متصل لأنه كان جنيا واحدا  
بين أظهر الأئوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله " فسجدوا "  
ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ، ويجوز أن يجعل منقطعا ) .

أي انه على القول باتصال الاستثناء لما جمع الملائكة وإبليس  
الحكم المقصود وهو الأمر بالسجود وكان في زمرتهم موصوف بصفاتهم  
شملته الملائكة تغليبا ثم استثني استثناء واحد منهم .

وأما إذا جعلت " إلا " في الآية بمعنى لكن فليس هناك اشكال لأن  
الاستثناء يكون منقطعا فلا يكون فيه دلالة على أن إبليس من الملائكة (٦).

---

(١) كتاب الزهد ، باب أحاديث متفرقة ( شرح النووي على مسلم ج ١٨ / ١٢٣ )  
عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج ١ / ١١٧ ، اضواء البيان للشنقيطي ج ٤ / ١٢٠-١٢١ .

(٣) البرهان / ٣ / ٢١٠ .

(٤) تفسير ابن كثير ١ / ١١٧ ، ٤ / ١٤٥ ، طبعة دار الكتب العلمية .

(٥) الكشاف : ١ / ٢٧٣ ، ٢ / ٤٨٨ .

(٦) انظر تفسير أبي السعود ج ١ / ٨٧ ، روح المعاني ٢٣ / ٢٢٥ .

زاد المسير ١ / ٦٥ ، القرطبي ١٥ / ٢٢٧ .



قال القرطبي<sup>(١)</sup> : " الاستثناء من الجنس غير الجنس صحيح عند الشافعي والدليل لقول الشافعي أن الاستثناء يستعمل في الجنس وغير الجنس : قول الله تعالى : ( لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قليلا سلاما ) فاستثنى السلام من جملة اللغو ومثله : " وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير والآاليس " فاستثنى اليعافير وهي ذكور الطباء واليعيس وهي الجمال البيض من الأنيس . ( ١٠٠ هـ .

الوجه الثالث :

\_\_\_\_\_ ماقاله ابن تيميه<sup>(٢)</sup> ( ومذهب المسلمين ماأخبر الله به في القرآن ولم يكن في المأمورين بالسجود أحد من الشياطين ، لكن أبوه ابليس كان مأمورا فامتنع وعصى ... والتحقق أنه كان من الملائكة باعتبار صورته وليس منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله ، ولم يخرج من السجود لآدم أحد من الملائكة لاجبرائيل ولا ميكائيل ولا غيرهما . ( ١٠٠ هـ .

أى إن ابليس لما كان في صورتهم دخل في الأمر وإن لم يكن من جنسهم فصح استثناءه منهم لما دخل معهم في الأمر بالسجود لآدم

الوجه الرابع :-

\_\_\_\_\_ أن ابليس اللعين قد عصى ربه واستكبر بنص الآية بينما الملائكة عباد مكرمون قال الله فيهم .  
( لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون ما يؤمرون ) التحريم / ٦ .  
وقال فيهم : ( يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ) النحل / ٥٠ .  
فالمعصية مستحيلة من الملائكة ومما يؤيد ذلك قوله تعالى : ( لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ) لذلك لايمكن أن يكون ابليس من الملائكة<sup>(٣)</sup> .

الوجه الخامس :-

\_\_\_\_\_ أن الله سبحانه جعل لإبليس ذرية وقبيلا وهذا ليس للملائكة .

يقول الله تعالى : ( وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدد بئس للظالمين بدلا ) الكهف / ٥٠ .

(١) تفسير القرطبي ٢٥ / ١٠ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٤٦ / ٤ وانظر تنزيه القرآن عن المطاعن ٢٢ / للقاضي عبد الجبار

(٣) فتح الرحمن / ٣٤٢ ، تفسير القرطبي ٢٢٧ / ١٥ .

وقال تعالى : ( إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ) .

الأعراف / ٢٧ .

فأثبت الله تعالى له ذرية وقبيلة وهذا كما تقدم يناهى طبيعة الملائكة  
لأنهم لا يتوالدون<sup>(١)</sup>.

وما يذكره بعض المفسرين عن جماعة من السلف كابن عباس وغيره  
من أن ابليس كان من أشرف الملائكة ومن خزان الجنة وأنه كان يدبر أمر  
السماء الدنيا ، وأنه كان اسمه عزازيل وغير ذلك<sup>(٢)</sup> . كله من الاسرائيليات  
التي لامعول عليها كما قال ابن كثير وغيره من العلماء مع مصادمتها  
للأدلة التي ذكرناها<sup>(٣)</sup>.

اسند ابن جرير عن الحسن البصرى رحمه الله باسناد صحيح<sup>(٤)</sup>

( ما كان ابليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن كما أن آدم  
عليه السلام - أصل الانس . )

وأسند مثل ذلك عن ابن زيد .

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ٥٠٦/١ حيث اسند معنى ذلك الى الحسن وانظر :

مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٤٦/٤ ، فتح الرحمن لذكريا الانصارى ص : ٣٤٢ .

(٢) انظر الدر المنثور ج ١ / ١٢٤ - ١٢٥ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج ١ / ١١٧ طبعة دار الكتب العلمية

ج ٤ / ١٤٥ - ١٤٦ اضاءة البيان للشنقيط ج ٤ / ١٢٠ - ١٢١ .

(٤) تفسير ابن جرير ج ١ / ٥٠٦ تحقيق محمود شاكر

وانظر ابن كثير ج ٤ / ١٤٥ حيث قال : " وهذا اسناد صحيح عن

الحسن ) .

٢- قوله تعالى في سورة الاعراف :-

( قال مامنك ألا تسجد إذ أمرتك ) الآية ١٢ .

وقال في موضع آخر : ( يا إبليس مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين . ) ص / ٧٥

من المعلوم أن إبليس ابى واستكبر ان يكون مع الساجدين لآدم لذا جاءه التوبيخ والتفريع على ترك السجود كما هو نص الآية :-  
( مامنك أن تسجد ..... )

لكن قوله تعالى في الأعراف : ( ما منعك ألا تسجد .. )  
يوهم ظاهرها ان التوبيخ واللوم جاء على السجود ، لأن المعنى المتبادر ما هو المانع لك على عدم السجود وهذا في الظاهر من موهم الاختلاف ، وعند التدبر والتعمق في سياق الآية ومعناها والمراد منها نجد أنها تفيد نفس ما أفادته الآية الأخرى لكن بأسلوب آخر فحكى الله ما حصل بعدة أساليب يقتضيها السياق والبلاغة ،  
فقوله تعالى ( مامنك ألا تسجد إذ أمرتك ) .

ضمّن فيه ( منعك ) معنى حملك : أي ما حملك على أن لا تسجد ويدل عليه قوله بعدها : ( إذ أمرتك ) أي بالسجود ،  
فقد نبّه بقوله : ( إذ أمرتك ) على أن المراد : مامنك أن تفعل ما أمرتك<sup>(١)</sup>، هذا مع تقدم قوله قبلها : ( لم يكن من الساجدين ) ،  
وقد اختار هذا ابن جرير<sup>(٢)</sup> حيث قال ما حاصله : ( إنَّ "مَنَّعَكَ" تضمّن معنى فعل آخر تقديره : ما أحوجك وألزمك واضطرك أن لا تسجد إذ أمرتك ،

قال الألوسي<sup>(٣)</sup> " وقيل إنها غير زائدة بأن يكون المنع مجازاً عن الإلجاء والاضطرار ، فالمعنى : ما اضطرك الى أن لا تسجد ،  
وجوّز أن يكون ذلك من باب التضمين ، فالمنع هو البخل ويقال في الحماية ومنه فلان ذو منعة : أي حماية ، فالمعنى : ما حماك عن عدم السجود . // ١٠ هـ .

(١) انظر فتح الرحمن / ١٨٨ ، تنزيه القرآن عن المطاعن / ١٤٣

(٢) تفسير ابن جرير ٣٢٤/١٢ وقواه ابن كثير في تفسيره ٣٢٦/٢

(٣) روح المعاني : ج ٨ / ٨٨ .

قلت : ويؤيد ذلك الآية الأخرى حكاية عن نفس الموقف وهي قوله تعالى : ( مالك أن لا تكون مع الساجدين ) الحجر / ٣٢ .  
أى مالى حملك أو حماك على أن لا تكون مع الساجدين .  
فأجاب اللعين بقوله : ( لم أكن لأسجد لبشر خلقتة من صلصال من حمأ مسنون ) .

فنبه إبليس على المانع له من السجود وهو الكبر ، قال القرطبي<sup>(١)</sup> : " وقيل ليست بزائدة ، فان المنع فيه طرف من القول والدعاء فكأنه قال : من قال لك ألا تسجد ، أو من دعاك الى أن لا تسجد ....

فلما نُفخَ في آدم الروحُ وقعت الملائكة سُجداً وبقي هو قائماً بين أظهرهم ، فأظهر بقيامه وترك السجود ما في الضمير فقال تعالى : ( ما منعك ألا تسجد ) أى ما منعك من الانقياد لأمرى ، فأخرج سر ضميره فقال : ( أنا خير منه ) .

وهناك من قال بأن ( لا ) في قوله : ( ما منعك ألا تسجد ) مزيده لتأكيد معنى الفعل الذى دخلت عليه وتحقيقه<sup>(٢)</sup> .  
قال الشهاب الخفاجي<sup>(٣)</sup> : وهي لا تؤكد مطلقاً بل اذا صحب نفيها مقدماً أو مؤخراً صريحاً أو غير صريح : كما في ( غير المنضوب عليهم ولا الضالين ) وكما هنا - أى في الآية - فانها تؤكد تعلق المنع به ) .

والوجه الأول وهو تفسير : ( ما منعك ) ب ما دعاك أو ما حملك أظهر وان كان الوجه الثاني له حظ من النظر ، وعلى كل فلا تعارض بين الآيات لمن فهم وتدبر، ويتبين لنا أن المعنى متفق غير مختلف هذا الى جانب أنه لا بُدَّ أن يُعلم - كما مر سابقاً - أن اقتصاص حكاية ما قيل لابليس لم يقصد به أداء الألفاظ التى قيلت بأعيانها وانما المقصود ذكر المعاني التى حملت بلفظ القرآن الذى يتنوع أسلوبه وأداؤه حسب المقام والسياق في النص القرآني ، والقارئ أو السامع للآيات الثلاث يحمل له معنى واحد وهو ذكر ما حمله على ترك السجود لآدم .. والله ولي التوفيق .

---

(١) تفسير القرطبي : ج ٧ / ١٧٠  
(٢) تفسير الزمخشري ج ٢ / ٦٨ ، روح المعاني ٨٨/٨ ، القرطبي ٧ / ١٧٠  
تفسير ابي السعود ٣ / ٢١٦ ، تنزيه القرآن / ١٤٣ ، فتح الرحمن / ١٨٧  
بمائر ذوى التمييز ج ١ / ٢٠٥ .  
(٣) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوى ج ٤ / ١٥٣ .

(٣) قوله تعالى : حكاية عن إبليس :  
( قال رب فأُنظرنِي الي يوم يُبعثون ، قال : فانك من المُنظَرين ،  
الي يوم الوقت المعلوم . ) الحجر : ٢٧ - ٢٩

قوله تعالى : ( فإنك من المُنظَرين )  
قد يُتوهم أنها استجابة من الله لدعاء إبليس ، ومعلوم أن إبليس  
ابنِ واستكبر وكان من الكافرين والله تعالى لا يستجيب لكافر غير مظهر ،

كما قال تعالى : ( وما دعاء الكافرين الآ في ضلال )

الرعد / ١٤

والذي يزيل هذا التوهم هو أن قوله تعالى : ( فإنك من المنظرين )  
ليس استجابة لدعاء إبليس، وإنما هو إجابة، بمعنى أن الله تعالى  
جاوبه بهذا القول أي إنك إن طلبت الإنظار الي يوم البعث أو لم  
تطلب فانك من المنظرين أي المقدر لهم أن يُنظروا الي يوم البعث  
لحكمة يريدُها الله تعالى ،

فهو إخبار بالانظار المقدر له وللآخرين وليس انشاء انظار  
خاص به وقع اجابة لدعائه : أي انك من جملة الذين أُخِّرَت آجالهم  
أزلا حسبما تقتضيه الحكمة (١) .

وهذا السؤال من إبليس لم يكن عن ثقته بمنزلته عند الله  
تعالى وأنه أهل أن يُجاب له دعاء ، ولكن سأل تأخير عذابه زيادة  
في بلائه كفعل الآيس من السلامة وأراد بسؤاله الانظار الي يوم  
يبعثون ألا يموت لأن يوم البعث لاموت فيه ولا بعده ، ثم قال :  
فانك من المنظرين ، يعني المؤجلين (الي يوم الوقت المعلوم )  
قال ابن عباس : أراد به النفخة الأولى ، أي حين يموت الخلائق  
قال الله تعالى : ( كل من عليها فان ) (٢) .

(١) بمائر ذوى التمييز ٢٠٦ / ١ ، تفسير ابي السعود ٢٢٨ / ٧

روح المعاني ٤٨ / ١٤ ، ج ٢٢٩ / ٢٣ وانظر حاشية الشهاب ج ٤ / ١٥٤ .

(٢) تفسير القرطبي وسورة الحجر / ٢٧ .

وانظر ج ٢٢٩ / ١٥ سورة ص / ٧٩ .

٤- قوله تعالى في حق نصرته للرسول :

( كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ )

المجادلة / ٢١

وقوله : ( إِنَّا لَنُنصِرَنَّ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ) غافر / ٥١

وقوله : ( وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ . ) الصافات / ١٧٢

فهذه الآيات تثبت أن النصر والغلبة والظفر لعباد الله المرسلين مع أنه قد وردت آيات فيها أن بعض الأنبياء والمرسلين قد قُتلوا وهذا في الظاهر ينافي النصر والغلبة ، وهو قوله تعالى في حق بني اسرائيل : -

( ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين

بغير الحق ) البقرة / ٦١

وقوله تعالى أيضا : ( أفكلمنا جاءكم رسول بما لاتهـوى

أنفكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ) البقرة / ٨٧

والجواب : انه ليس بين هذه الآيات تنافي أو اختلاف ،

وذلك كما يلي :

قال المفسرون : إنّ الرسل قسمان : قسم أمروا بالقتال في سبيل الله ، وقسم أمروا بالصبر والكف عن الناس ، فالذين أمروا بالقتال وعدم الله بالنصر والغلبة في الآيات المذكورة ، والذين أمروا بالصبر والكف هم الذين قُتلوا ليزيد الله رفع درجاتهم العلية بقتلهم مظلومين ، وهذا الجمع مفهوم من الآيات لأن النصر والغلبة فيه الدلالة بالالتزام على جهاد ومقاتلة<sup>(١)</sup> . فاذا أمر رسول بجهاد وقاتل لأعدائه بعد صدمه عن سبيل الله فان الله ناصره حتما وعاصمه من القتل

كما أنّ النصر بالحجة والبرهان وظهور الأدلة هو لجميع الأنبياء والرسل فلا يزال الأنبياء والرسل ظاهرين على أقوامهم بحجتهم وأقوالهم

(١) أضواء البيان للشنقيطي ج ٢٤/١٠ ، وانظر النكت والعيون للماوردي ج ١١٥/١

روح المعاني للألوسي ج ٢٧٧/١ ، زاد المسير لابن الجوزي ج ١٩٨/٨ .

القرطبي / ١ / ٤٣٢ .

ولا يزال الكفرة والمعاندون محجوجين ليس لهم الا العناد والمكابرة  
كما قال تعالى عن قوم شعيب :

( قالوا يا شعيب مانفقه كثيرا مما تقول وإنما لنراك فينا ضعيفا  
ولولا رهطك لرجمناك ..... ) هود / ٩١

قال ابن الجوزي<sup>(١)</sup> : - " من بُعث من الرسل بالحرب فعاقبته  
الأمر له ، ومن لم يُبعث بالحرب فهو غالب بالحجة " ٥٠١ هـ

وقال الماوردي<sup>(٢)</sup> : - قال الحسن إن الله عز وجل ما أمر نبيا  
بالحرب الاّ نصره فلم يُقتل ، وإنما خلى بين الكفار وبين من لم  
يؤمر بالقتال من الأنبياء . "

وقال الألوسي<sup>(٣)</sup> : " ان المراد بالرسل : المأمورون بالقتال - كما  
أجاب به بعض المحققين - لأن أمرهم بالقتال وعدم عصمتهم لا يليق  
بحكمة العزيز الحكيم " ٥٠١ هـ

قلت : - والأنبياء الذين قُتلوا اقتضى الله لهم في الدنيا قبل  
الآخرة كما أخبر سبحانه عن بني اسرائيل : - ( وضرت عليهم الذلّة  
والمسكنة وساءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله  
ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون )  
البقرة / ٦١

وأخذ التأثر والمقاممة بعد القتل هو من النصر الذي اثبتته  
الله في كتابه كما قال في المقتول ظلما : ( ومن قُتل مظلوما فقد  
جعلنا لوليّه سلطانا فلا يُسرف في القتل انه كان منصورا . ) - الاسراء / ٣٣  
وكذلك فان الله يقتض لأنبيائه في الدنيا قبل الآخرة كما قال :  
( إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم  
الأشهاد ) غافر / ٥١

(١) زاد المسير ج ٨ / ١٩٨ .

(٢) النكت والعيون ج ١ / ١١٥ ، وانظر القرطبي ٤٣٢ / ١ حيث نسب ذلك

لابن عباس ايضا .

(٣) روح المعاني : ج ١ / ٢٧٧ .

هذا وان الأنبياء الذين لم يُؤمرا بقتال وجهاد قسمان :  
قسم قتلهم أقوامهم ظلما وعدوانا كما فعلت بنو اسرائيل بحق بعض  
الأنبياء وهؤلاء نصرهم الله كما تقدم بأن اقتصر من قاتليهم وعذبهم  
في الدنيا وكتب عليهم انواع اللعنة والغضب والهوان، ذلك لهم خزي ولهم  
في الآخرة عذاب أليم ،

والقسم الآخرهم الأنبياء الذين لم يتمكن أقوامهم من قتلهم  
حيث نصرهم الله بأن أهلك أقوامهم في الدنيا في حياة أنبيائهم كما  
فعل مع قوم فرعون أغرقهم الله ، وقوم نمرود أهلكوا بالمسيحة  
وقوم عاد بالريح العقيم ، وقوم نوح أغرقوا ، وقوم شعيب أخذوا  
بعذاب يوم الظلة ،

كما قال تعالى :

( فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من  
أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان  
الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ) العنكبوت / ٤٠

ومصدق الله ان يقول :

( كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إنّ الله قوى عزيز ) .



٥ - قوله تعالى : ( ونادى نوح ربه فقال : رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . ) هود / ٤٥

هذه الآية الكريمة تدل على أن هذا الابن من أهل نوح عليه عليه السلام ،

وقوله تعالى : ( يانوح إنه ليس من أهلك . ) هود / ٤٦ يدل على خلاف ذلك ،

والجواب : هو أن هذا الابن هو ابن نوح وقد دعا نوح له اعتمادا على وعد الله له بقوله :

( قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول . ) هود / ٤٠

فلذلك قال : ( وإن وعدك الحق )

وقوله : ( إلا من سبق عليه القول ) لاتعني ان ابن نوح منهم

قبل أن يتضح حاله ، وكان يظنه مسلما من جملة المسلمين الناجين

كما يشير اليه قوله تعالى : ( فلا تسألني ما ليس لك به علم ) .

فلم يكن نوح عليه السلام عالما بكفر ابنه إذ ذاك لأنه لم يكن

مجاهرا بكفره والا لم يدع له بل لم يدعه بقوله :

( ولا تكن مع الكافرين ) أي لاتدخل في غمارهم ،

فأخبره الله تعالى : أن هذا الابن عميل عملا غير صالح لكفره ،

فليس هو من الأهل الموعود بنجاتهم ، وإن كان من جملة الأهل نسبا

فمدار الأهلية هو القرابة الدينية وقد انقطعت بالكفر فلا علاقة

بين مسلم وكافر ولذا لم يتوارثا (١) (٢)

---

(١) وهذا لا يمنع بر الأيوين الكافرين وصلتهم ، أما موالاتهم فهي

المنهي عنها لقوله تعالى : ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم

ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله

يحب المقسطين ) المتحنة / ٨

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٦٩٠ ، القرطبي ٩ / ٤٥ ، روح المعاني ١٢ / ٦٩

أضواء البيان للشنقيطي ج ١٠ / ١٥٦ ، أمالي المرتضى ج ١ / ٥٠٢

قال ابن المنير<sup>(١)</sup> : ( لما وُعد عليه السلام بتنجية أهله  
الآ من سبق عليه القول منهم ولم يكن كاشفا لحال ابنه ، بقي على  
التمسك بمينة العموم للأهلية الثابتة ولم يُعارضها يقين في كفر  
ابنه حتى يخرج من الأهل ويدخل في المستثنين ، فسأل الله تعالى  
فيه بناء على ذلك ، فبين له في علمه أنه من المستثنين وأنه هو  
لا علم له بذلك فلذلك سأله فيه ( ٠ ) ٠١ هـ

---

(١) حاشية الأنصاف على الكشاف / لابن المنير ج ٢ / ٢٧٣ - ٢٧٤ .

٦ - قوله تعالى : بشأن نمود :

( فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم ..... ) - الاعراف / ٧٧ -

وقال في آية أخرى : ( فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ..... ) الشمس /

أسند العقرب في هذه الآيات للكل ،

بينما في سورة القمر أسند العقرب لواحد منهم ،

فقال تعالى : ( فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ٠٠ ) القمر / ٢١

قال البيضاوي<sup>(١)</sup> : ( فعقروا الناقة : فنحروها ،

أسند الى جميعهم فعل بعضهم للملازمة ، أو لأنه

• كان يرضاهم )

فالذي فعل العقرب وتعاطاه هو صاحبهم الذي ذكرته سورة القمر وقد

ذكر المفسرون أن اسمه " قدار بن سالف " .

نقل القرطبي<sup>(٢)</sup> قول الشاعر وهو الأفوه الأودي :

أو قبله كقدار حين تابعه

على الغواية أقوام فقد بسادوا

قال الألويسي<sup>(٣)</sup> : " وضمير الجمع للأشقى وجمعه على تقدير وحدته

لرضا الكل بفعله ، قال قتادة بلغنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صبيهم

وكبيرهم وذكرهم وأنشاهم " .<sup>(٤)</sup>

قلت : وما يدل على أن فعلة العقرب كانت برضا الجميع وتدبيرهم

أن الله سبحانه وتعالى قال في سورة القمر :

( فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ، فكيف كان عذابي ونذر ، أنا أرسلنا

عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ) القمر / ٢٠-٢٢ .

فهم قد نادوه لهذه الفعلة بنى الآية فأسند ذلك الى مجموع القبيلة فدل

ذلك على رضاهم جميعا بذلك .

وكذلك عمهم الهلاك بالصيحة مما يدل على اشتراكهم بالجناية واسناد الفعل

الى المجموع مراداً به بعضهم من أساليب اللغة العربية التي نزل بها

القرآن الكريم .

(١) انوار التنزيل / ص ( ٢١٤ ) .

(٢) الجامع لاحكام القرآن / ١٤١/١٧ ، تفسير ابن كثير ٣٦٥/٢ .

(٣) روح المعاني ١٨٥/٣ ، تفسير ابن كثير ٣٦٥/٢ .

(٤) انظر النكت والعيون للماوردي ج ٤ / ١٤٠ .

أخرج الامام احمد في مسنده (١) عن جابر بن عبد الله قال :  
" لما مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم - بالحجر قال : " لا تتألوا  
الآيات فقد سألتها قوم صالح فكانت - يعنى الناقة - ترد من هذا الفج  
وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون  
لبنها يوما فعقروها فأخذتهم صيحة أخذ الله مَنْ تحت أديم السماء منهم  
الآ رجلا واحدا كان فى حرم الله ، فقالوا من هو يا رسول الله قال :  
أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه . "

قال ابن كثير (٢) : وهذا الحديث ليس فى شيء من الكتب الستة  
وهو على شرط مسلم .

---

(١) المسند ج ٢ / ٢١٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٣٦٤ .

وانظر قصص الانبياء له ص ( ١٤٥ ) .

٧ - قوله تعالى بشأن قوم صالح وهم ثمود (١).

( فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح اثنا بما  
تعندا إن كنت من المرسلين ، فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين )  
الاعراف / ٧٧ .

وقال في آية أخرى : ( وأما ثمود فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى  
فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون . ) فصلت / ١٧ .  
وقال في آية أخرى : ( أنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم  
المحتظر ) القمر / ٣١ .

فنلاحظ اختلاف نوع العذاب في كل مع وقوعه لقوم صالح وهدم والجواب  
أنه لا اختلاف في ذلك إذ أن القوم عذبوا بهذه الأنواع كلها : الرجفة  
والصيحة والماعقة (٢).

قال ابن كثير (٣) : " فلما أصبحوا من يوم الأحد وأشرقت الشمس جاعتهم  
صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح " فأصبحوا  
في دارهم جاثمين " أي صرعى لا أرواح فيهم ولم يفلت منهم أحد . ٥٠١ .  
( فقدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها ) .

---

(١) أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم عليه السلام وكانت ثمود بعد  
عاد ومساكنهم فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وماحوله زو وقد  
مر رسول الله صلى الله عليه وسلم - على قراهم ومساكنهم وهو ذاهب  
إلى تبوك سنة تسع ( ابن كثير ج٢/٣٦٣ سورة الاعراف ) قصص الانبياء ١٣٣/٥ .

(٢) انظر روح المعاني ١١٤/٢٤ ، فتح الرحمن / ١٩٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٦٦/٢ ، سورة الاعراف آية ٧٨ .

وانظر قصص الانبياء له أيضا ص (١٤٤) ط أولى دار الفكر .

٨ - ومن الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض .

ما حكاه الله سبحانه عن نبي الله ابراهيم عليه السلام من مناظرته

لقومه وقوله عن الكوكب ( هذا ربي ) ،

في قوله تعالى في الانعام : ( فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكبا  
قال هذا ربي ، فلما أفل قال لأحب الآفلين ، فلما رأى القمر  
بازغا ، قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهني ربي لأكونن من  
القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر  
فلما أفلت قال يا قومي اني برىء مما تشركون . ) الآيات ٧٦ - ٧٨

فقوله عليه السلام عن الكوكب والقمر والشمس : ( هذا ربي )

يوهم أنه قد مر عليه وقت ظن فيه ربوبية غير الله .  
وهذا يعارض الآيات التي اثبت الله تعالى فيها أن ابراهيم عليه السلام  
قد أوتي رشده منذ صغره وفتوته .

قال تعالى : ( ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به  
عالمين ان قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها  
عاكفون ) الأنبياء / ٥١ - ٥٢

وقد وصفه الله بالتوحيد بقوله تعالى :

( ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما

وما كان من المشركين . ) آل عمران / ٦٧

والجواب : أنه لا تعارض بين مدلول هذه الآيات فان ابراهيم عليه  
السلام في قوله عن الكوكب : ( هذا ربي ) كان في مقام المناظرة كما  
هو ظاهر حيث إنه غير جائز ان يكون لله تعالى رسول يأتي عليه وقت  
من الأوقات الا وهو لله موحد وبه عارف ومن كل معبود سواه برى ٤ ،  
فمن المعروف أن قوم ابراهيم كانوا يعبدون الأصنام والكواكب وقد نشأ  
ابراهيم بينهم وقد آتاه الله رشده منذ فتوته فأنكر على قومه  
عبادة الأصنام والكواكب ودعاهم لعبادة الواحد القهار ،

وكان يُجادلهم ويبين لهم عدم نفعها وأنها لا تسمع ولا تُجيب وكان  
من ضمن هذه المجادلات والمناظرات ما حكاه الله عنه عندما رأى كوكبا  
( قال هذا ربي فلما أفل قال لأحب الآفلين . )

فقلوه ( هذا ربي ٠٠٠ ) كان يقصد به التسليم الجدلي ، والمناظر  
قد يسم المقدمة الباطلة تسليما جدليا ليفحم خصمه بذلك .  
فقال ذلك على سبيل الغرض وارتخاء العنان مجازاة مع قومه\* . ليستدل  
بذلك على فساد قولهم ومعتقدهم ثم يكر عليه بالابطال ، وهذا هو  
الحق ، ولذلك تدرج في محاجتهم فقال مرة : ( لا أحب الآفلين )  
ثم قال : ( لا كون من القوم الضالين ) لأن ما رأى لا يملح للربوبية  
وهذه مبالغة منه في النصفه<sup>(١)</sup> وفي ذلك \* تنبيه لقومه على أن من  
اتخذ القمر لها وهو نظير الكوكب في الأفول فهو ضال<sup>(٢)</sup> .

قال ابن المنير<sup>(٣)</sup> : \* والتعريض بضلالهم هنا أصرح وأقوى من  
قوله أولا : ( لا أحب الآفلين ) وإنما ترقى عليه السلام الى ذلك لأن  
الخصوم قد قامت عليهم بالاستدلال الأول حجة فأنسوا بالقدح فسي  
معتقدهم ولو قال هذا في الأول فلعلمهم كانوا ينغرون ولا يصغون الى  
الاستدلال ثم ترقى في النوبة الثالثة الى التصريح بالبراءة منهم  
والتصريح بأنهم على شرك حين تم قيام الحجة عليهم وظهر الحق \* ٠١ هـ  
فالآيات تبين أن استدلاله عليه السلام كان لمحااجة قومه وليس لنفسه  
ومما يدل على أنه كان مناظرا سوى ما تقدم :

أولا : قوله تعالى قبل هذه الآيات : ( وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات  
والأرض وليكون من الموقنين ) .  
ثم قال بعده : ( فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا ٠٠ ) والفاء  
تقتضي الترتيب ، فثبت أن هذه الواقعة انما وقعت بعد أن  
صار ابراهيم من الموقنين العارفين بربه .

---

(١) القرطبي ٢٥ / ٧ ، روح المعاني ١٩٨ / ٧ ، تفسير الرازي ١٣ / ٥٢

دفع ايهام الاضطراب للشنقيطي / ٥٤ .

(٢) الكشاف للزمخشري ٢ / ٣١ .

(٣) حاشية على الكشاف ٢ / ٣١ .

\* قال ابن كثير ( في قصص الأنبياء ص : ١٥٧ ) : والظاهر ان موعظته  
هذه في الكواكب لأهل حرّان ، فانهم كانوا يعبدونها ٠٠٠ وأما أهل  
بابل فكانوا يعبدون الأصنام وهم الذين ناظرهم في عبادتها وكسرها  
عليهم وأهانها وبين بطلانها ٠٠٠ \* ٠١ هـ

ثانيا : مما يدل على ان هذه الواقعة كانت بسبب مناظرة ابراهيم لقومه  
انه تعالى لما ذكر القصة قال : ( وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم  
على قومه ولم يقل على نفسه ، فعلم أن هذه المباحثة انما جرت  
مع قومه لأجل أن يرشدهم الى الايمان والتوحيد .  
ومما يدل على ذلك أنه قال في آخر المناظرة : ( فلما أفلست  
قال يا قوم اني برئ مما تشركون ) وهذا خطاب لقومه المشركين .  
ومما يدل على مناظرته وأن استدلاله كان لقومه وليس لنفسه  
قوله تعالى بعد هذه الآيات : ( وحاجه قومه قال تُحاجوني فـي  
الله وقد هداني ) الآيات .

ثالثا : كما أن ابراهيم عليه السلام من أولى الناس بالفطرة السليمة  
والسجية المستقيمة وقد ثبت في الصحيح - عن ابي هريره رضي  
الله عنه مرفوعا : " ما من مولود الا يولد على الفطرة " (١).  
وقال الله تعالى : ( فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل  
لخلق الله ) الروم / ٢٠

فاذا كان هذا في حق سائر الخليقة فكيف يكون ابراهيم الخليل  
الذي جعله الله أمة قانتا لله حنيفا ولم يلق من المشركين  
ناظرا في هذا المقام ، وقد قال الله فيه : ( اذ جاء ربه  
بقلب سليم ) أي لم يشرك قط (٢) .

قال الألوسي (٣) : " وخلاصة احتجاجه : أن الأقول يدل على مطلق  
الحركة وكل متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج الى القديم القادر فلا  
يكون الأفل إلها بل محتاجا للإله ."  
أي أن ما تغير لا يجوز أن يكون ربا وكانوا يعبدون النجوم  
فأراهم النقص الداخل على النجم بالأقول لأنه ليس ينبغي لإله أن يزول  
ولا أن يغيب ، فلذلك قال : ( لا أحب الآفلين ) واعتبر مثل ذلك فـي  
الشمس والقمر حتى تبين للقوم ما أراد من غير جهة العناد والمبادأة  
بالتنقص والعيب (٤) .

فتبين بذلك أن ابراهيم بمحاجة قومه كان مناظرا لاقرار التوحيد  
وكان سليم القلب ولم يكن كما يتوهم قد أشرك ولو طرفة عين .  
( والله ولي التوفيق ) ..

(١) ابن كثير ٢/٢٤٢ ، القرطبي ٧/٢٥ ، تفسير الرازي ١٣/٥٢ .  
(٢) البخاري في الجائز باب اذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه ج ٤/٩٢ وفي التفسير  
سورة الزوم - باب لا تبديل لخلق الله .  
(٣) روح المعاني ج ٧ / ٢٠٠ ، وانظر تفسير الرازي ١٣/٥٥ .  
(٤) تأويل مشكل القرآن / ابن قتيبة / ٢١٢



٩ - قوله تعالى بشأن ابراهيم عليه السلام ايضا في سورة البقرة  
( وان قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا ) الآية / ١٢٦  
وقال في سورة ابراهيم : ( وان قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا )  
الآية / ٢٥

والمراد بالبلد هي مكة المكرمة بلد الله الحرام ،  
فقد يُظن أن هناك اختلافاً في الدعاء مع أن المقام واحد .  
بينما حقيقة الحال أن ابراهيم عليه السلام حصل منه الدعاء ان  
مرة قبل بناء البيت وقبل مصير تلك البقعة بلدا وهو قوله :  
( رب اجعل هذا بلدا آمنا . ) أي اجعل هذا المكان القفر بلدا  
آمنا ، فالمدهو به أن يجعله بلدا وكذلك أن يجعله آمنا ، ومرة بعد  
بناء البيت لما صار بلدا دعا له بالأمن ،

قال ابن كثير رحمه الله<sup>(١)</sup> : ( قال في هذه السورة ( رب اجعل  
هذا بلدا آمنا . ) أي اجعل هذه البقعة بلدا آمنا ، وناسب هذا  
لأنه قبل بناء الكعبة .

قلت : وما يدل على أن دعاء ابراهيم الأول حصل قبل مصير تلك  
البقعة بلدا وقبل أن تُسكن :  
ما أخرجه البخاري<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس : أن ابراهيم عليه السلام جاء  
بأم اسماعيل وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند  
دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها  
ماء فوضعهما هنالك ، .. الى قوله : وكان البيت مرتفعا من الأرض  
كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت  
بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء  
فنزلوا في أسفل مكة .....

(١) ج ١ / ٢٦٠ / سورة البقرة / ١٢٦ .

(٢) صحيح البخاري / كتاب الأنبياء باب ٩ يزفون النملان في المشي

ج ٤ / ١١٣ .

الى قولهم : اتأذنين أن ننزل عندك قالت: نعم ، ولا حق لكم في الماء ، قالوا نعم . وقص القصة الى أن جاء ابراهيم بعد ذلك وقال لاسماعيل : " ان الله أمرني أن ابني ههنا بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني ..... "

فمن خلال هذا الحديث نرى<sup>أن</sup> دعاء ابراهيم له أن يكون بلدا لأنه لم يكن به أحد يسكنه سوى أم اسماعيل ،

وجاء الدعاء الثاني ( رب اجعل هذا البلد آمنا ) بتعريف البلد لأن البيت كان قد بُني ورفعت قواعده ، وكانت قبيلة جرهم قد استقرت في الوادي واتخذته مسكنا كما تقدم في الحديث . فلذا دعا له ثانية بالأمن (١) .

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup> : ( وقال تعالى في سورة ابراهيم : ( واذ قال رب اجعل هذا البلد آمنا ) وناسب هذا هناك لأنه - والله أعلم - لأنه وقع دعاءً ثانياً بعد بناء البيت واستقرار أهله به وبعد مولد اسحاق الذي هو اصغر سنا من اسماعيل بثلاث عشرة سنة ولهذا قال في آخر الدعاء : ( الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء . ) .

فثبت بما تقدم أن الدعاءين كانا في موقفين ، ولذا فلا اختلاف بينهما .

---

(١) القرطبي ٢ / ١١٨ ، روح المعاني ١ / ٢٨١ ، درة التنزيل / ٢٩

فتح الرحمن / ٢٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٢٦٠ .

١٠ - قوله تعالى : مخبرا عما حل بقوم شعيب من الهلاك بسبب تكذيبهم وظلمهم : ( فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها ، الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ) الأعراف / ٩١ - ٩٢ .

وقال في سورة هود : ( ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين . ) الآية / ٩٤ .

وقال تعالى في الشعراء : ( فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم . ) الآية / ١٨٩

فهذه الآيات المتقدمة سبقت لبيان الهلاك الذي حل بقوم شعيب وبينهما في الظاهر اختلاف حيث انه عبر عن هلاكهم مرة بالرجفة ومرة بالصيحة ، ومرة بعذاب يوم الظلة ،

والحقيقة أنه ليس هناك اختلاف لأن الآيتين الأولىين مختمتان بأهل مدين\* الذين أرسل اليهم شعيب عليه السلام ،

لقوله تعالى في الأعراف : ( والى مدين أخاهم شعيبا ... الى قوله لعلهم قالوا : ( فأخذتهم الرجفة ) الآيات ٨٥ - ٩٢ .

وقال في سورة هود : ( والى مدين أخاهم شعيبا ... الى قوله تعالى ( وأخذت الذين ظلموا الصيحة ) ،

والرجفة هي الزلزلة ، والصيحة هي صيحة جبريل عليه السلام وكانت الصيحة قرينة للرجفة فأسند إهلاكهم الى كل منهما هذه تارة وهذه تارة ،

قال الألوسي<sup>(١)</sup> : ووفق بينهما بأن الصيحة تُفسي الى الرجفة أو هي مجاز عنها ، وقال القرطبي<sup>(٢)</sup> : " فأخذتهم الرجفة " أي الزلزلة الشديدة ، وقيل كانت صيحة شديدة خلعت قلوبهم كما في

(١) روح المعاني ١٤ / ٧٦ ، ج ٩ / ٦

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٤٢

\* كان أهل مدين قوما عربا يسكنون مدينتهم ( مدين ) والتي هي قريبة من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط - البحر الميت - وكانوا بعدهم بمدة قريبة ، ومدين قبيلة عرفت بهم وهم من بني مدين بن مديان بن ابراهيم الخليل . ( قصص الأنبياء لابن كثير

( وأخذت الذين ظلموا الصيحة ) : يقال رجف الشيء يرجف ، رجفا وأرجفت الريح الشجرة : حركته وأصله حركة مع صوت ، ومنه قوله تعالى : ( يوم ترجف الراجفة ) ٥١ هـ

والقصد أن الرجفة كانت مصحوبة بالصيحة وهي صوت هائل كان في نفسه عذابا آخر .

أما آية الشعراء والتي فيها : عذاب يوم الظلة ، فهي لأصحاب الأيكة وهي غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة من الناس فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان أجنبيا منهم ولذلك قال : ( كذب أصحاب الأيكة المرسلين ) إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ( ولم يقل : أخوهم شعيب (١) .

وعذاب يوم الظلة الذي أخذهم هو عذاب على نحو ما اقترحوا كما قال الله عنهم : ( فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين ) .

الشعراء / ١٨٧

فسلط الله عليهم الحرَّ سبعة أيام حتى غلت أنهارهم، وأظلمت سحابة فاجتمعوا تحتها فأمرت عليهم نارا فاحترقوا (٢) ،  
فلذلك قال تعالى بحقهم : ( إنه كان عذاب يوم عظيم ) . وما يدل على أن الذين أهلكوا بعذاب يوم الظلة ليسوا أهل مدين اقترح العذاب وهذا غير موجود في الأعراف وهود حيث قصة أصحاب مدين ، وكذلك نجد تباينا في الحوار بين شعيب مع أهل مدين ومع أهل الأيكة ، مما يؤكد أنهما قصتان ، وكونه عليه السلام أمرهم بايفاء الكيل والميزان وغير ذلك من أمور التجارة فالظاهر أنه بسبب كون الطائفتين مشهورتان بالتجارة ويبدو أنهم كانوا في ممر قوافل التجارة فكانوا يتحكمون فيها وقد أمرهم رسولهم بالعدل والقسط في هذا كله ، ولقربهم من بعضهم فالظاهر أن أصحاب الأيكة تطبعوا بطباع أهل مدين (٣) ،  
والله اعلم

(١) تفسير البيضاوي / ٤٩٥ - ٤٩٦ روح المعاني ج ٦ / ٦ ، ١١٧/ ١٩

• زاد المسير / ٦ / ١٤١

(٢) تفسير البيضاوي / ٤٩٦ ، زاد المسير لابن الجوزي / ٦ / ١٤٣

• تفسير القرآن العظيم / ٣ / ٥٥٣

(٣) في ظلال القرآن ج ٥ / ٢٦١٥

وعلى فرض أنها قصة واحدة وأن أهل مدين هم أصحاب الأيكة كما قال ابن جرير (١) وابن كثير (٢) فلا مانع من أن يكون أصابتهم الصيحة والزلزلة في يوم الظلة فاجتمع عليهم أنواع العذاب، قال ابن كثير رحمه الله (٣) : " وقد اجتمع عليهم ذلك كله أصابهم عذاب يوم الظلة وهي سحابة أظلمت فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم ، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم فزهقت الأرواح وفاضت النفوس وخمدت الأجساد ( فأصبحوا في دارهم جاثمين ) ٥٠١ هـ

فحملت لهم ضرب من العذاب لقبيح مرتكبهم وسوء ردهم على نبيهم وهذا كما تنوع امتحان آل فرعون بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والطمسة ،

هذا وعلى كلا الوجهين فلا اختلاف بين هذه الآيات والوجه الأول الذي تقدم هو الظاهر والصواب في نظري - والله أعلم -

---

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٦١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٥٥٣ ، قصص الأنبياء له أيضا

ص : ٢٥٢

(٣) نفس المصدر السابق ٢ / ٣٧٢ .



لا يعرفه، وأنه ليس من المحظور في قوله : ( فلا تزكوا أنفسكم ) .

وقال الماوردي<sup>(١)</sup> : " وفي هذا دليل على أنه يجوز للانسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل، أو ليس هذا على الاطلاق في عموم الصفات ولكنه مخصوص فيما اقترن بوصلة أو تعلق بظاهر من كسب ، وممنوع منه فيما سواه لما فيه من تزكية ومراآة ، ولو تنزه الفاضل عنه لكان أليقاً بفضله ، فإن يوسف دعت الضرورة اليه لما سبق من حاله ولما يرجوه من الظفر بأهله . " ٥٠١ هـ

وقال الرازي<sup>(٢)</sup> : " لا نُسَمُّ أنه مدح نفسه لكنه بيّن كونه موصوفاً بهاتين الصفتين النافعتين في حصول المطلوب - أي رعاية مصالح الخلق - وبين البابين فرق ، وكأنه قد غلب على ظنه أنه يحتاج الى ذكر هذا الوصف لأن الملك وإن علم كماله في علوم الدين لكنه ما كان عالماً بأنه يفي بهذا الأمر ثم نقول : هب أنه مدح نفسه إلا أن مدح النفس إنما يكون مذموماً اذا قصد الرجل به التناول والتفاخر والتوصل الى غير ما يحسن ، فأما على غير هذا الوجه فلا نسلم أنه مُحَرَّم ، فقوله تعالى : ( فلا تزكوا أنفسكم ) المراد منه تزكية النفس حال ما يعلم كونها غير متزكية ، والدليل عليه قوله تعالى : بعد هذه الآية : ( هو أعلم بمن اتقى ) أما اذا كان الانسان عالماً بأنه صدق وحق فهذا غير ممنوع - والله أعلم - ٥٠١ هـ

قلت : - فنبى الله يوسف لما كان معصوماً عن أن ينطق عن الهوى ورأى أنه لا يصلح لقيادة مصر في سنين المجاعة الا هو لا جرم زكى نفسه بالصفات التي تخوله لتولي المسئولية ورعاية مصالح الأمة ،

وما يدل على جواز تزكية النفس وبيان فضلها وعلمها لمصلحة يراها القائل أو توصلاً للقيام بواجب أو من باب التحدث بنعمة الله ،

(١) النكت والعيون ج ٢ / ٢٨١ سورة يوسف .

(٢) تفسير الرازي ج ١٣ / ١٦٥ سورة يوسف .

قوله صلى الله عليه وسلم : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع . " (١)

فالرسول يتحدث بنعمة الله عليه من تفضيله وتكريمه مع أنه صلى الله عليه وسلم سيد المتواضعين وأبعد الناس عن الكبر والبغي .

وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : " والله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار " .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : " لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الأبل لرحلت اليه . " (٢)

وقال أيضا فيما رواه عن البخارى (٣) : " والله الذى لا اله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت ، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن نزلت " .

فهذه الأشياء خرجت مخرج الشكر لله والتحدث بنعمته وتعريف المستفيد ما عند المفيد رعاية للمصلحة (٤) .

ونهي الرسول عن طلب الإمارة إنما هو في حق من لا يصلح لها وليس بكفه وكذلك في حق من لا يتعين عليه تولي المسؤولية لكونه أصح من يقوم بها ، أما من يتعين عليه ذلك فطلبه لتولي المسؤولية إنما هو من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما حصل مع نبي الله يوسف عليه السلام ،

كما أن الاسلام قد نهي عن طلب الامارة والحرم عليها عموما لأنها مسئولية عظيمة يترتب عليها واجبات وحقوق لا يقوم بها غير الأكفاء الأتقياء ، وكذلك لما في الناس من حب السلطة والحرم عليها فلذلك نهي الاسلام عن ذلك حتى لا تقوم المقاتلة والمنافسة عليها لما في ذلك من الفتنة ولهذا قال عليه السلام " إنا والله لا نُؤلِّي هذا العمل أحدا سأله ولا أحدا حرم عليه . " (٥)

(١) أخرجه مسلم في الفضائل / شرح النووى ٣٦/١٥ ، وأبو داود ج ٢ / ٤٦٧ ، وأحمد ٤٠/٢ عن أبي هريرة .

(٢) أخرج ذلك ابن أبي داود في المصاحف / ص : ٣١ .

(٣) البخارى في صحيحه / كتاب فضل القرآن / باب القراء من أصحاب النبي ( ص ) .

(٤) زاد المسير ج ٤ / ٢٤٤ .

(٥) صحيح مسلم / كتاب الامارة عن أبي موسى الأشعري ( شرح النووى ٢٠٧/١٢ ) والبخارى :

كتاب الاحكام باب رقم ٧ / ما يُكره من الحرس على الامارة ج ٨ / ١٠٦ .



- ١٢ - قوله تعالى في حق أيوب عليه السلام :
- ( إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ) - ص / ٤٤ -
- وصفه هنا بالصبر ، وقال في آية أخرى حكاية عنه :-
- ( ... أَنِي مَسْنِي الشَّيْطَانَ بِنَصْبٍ وَعَذَابٍ ) - ص / ٤١ -
- وفي آية أخرى : ( .. أَنِي مَسْنِي الضَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ )
- الأنبياء / ٨٣ -

فهاتان الآياتان قد يُتوهم من ظاهرهما أن أيوب عليه السلام لم يصبر بل لجأ الى الدعاء لكشف البلاء ، مما ينافي مفهوم الآية الأولى والتي تصفه بالصبر .

والجواب : ان الشكوى الى الله تعالى لاتنافي الصبر ، ولا تُسمى جزءا لما فيها من الجهاد والخضوع والعبودية لله تعالى والافتقار اليه ويؤيده قول يعقوب عليه السلام : ( إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ )

- يوسف / ٨٦ -

مع قوله : ( فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ) - يوسف / ١٨ -

وقولهم الصبر ترك الشكوى : أى الى العباد (١) ،

قال العلامة ابن القيم (٢) - رحمه الله - " فالشكوى اليه سبحانه لاتنافي الصبر الجميل بل إعراض عبده عن الشكوى الى غيره جملة وجعل الشكوى اليه وحده تعالى هو الصبر ، والله تعالى يبتلي عبده ليسمع شكواه وتضرعه ودعاءه ، وقد ذم سبحانه من لم يتضرع إليه ولم يشتكي له وقت البلاء ، كما قال تعالى : ( ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ) - المؤمنون / ٧٦ - ،

والعبد أضعف من أن يتجلد على ربه ، والرب تعالى لم يُرد من عبده أن يتجلد عليه ، بل أراد منه أن يستكين له ويتضرع اليه وهو تعالى يمقت من يشكوه الى خلقه ، ويحب من يشكو ما به اليه ،

وقد شكوا يعقوب عليه السلام الى ربه تعالى بقوله : ( إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ) - يوسف / ٨٦ -

(١) فتح الرحمن : ٤٨٩ ، تفسير ابن كثير ج ٥ / ٢٥٢ الانبياء / ٨٣

(٢) عدة المايرين : ٢٦

وكذلك موسى عليه السلام بقوله : ( رب إنِّي لما أنزلت إليّ من خير فقير . ) - القصص / ٢٤ - ١٠ هـ .

وهدي الانبياء عليهم السلام أكمل من هدى غيرهم وأفضل ، فهذا نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - عندما توفي ولده ابراهيم اتسع قلبه للرضا عن الله ، ورحمة الولد والرقعة عليه ، فحمد الله ورضي عنه في قضاؤه ، وبكى رحمة ورقة ،

وكذلك قصة نبي الله يعقوب - عليه السلام - اذ حكى الله تعالى عنه أنه ابيضت عيناه من الحزن على ولده يوسف رحمة عليه ورقعة مع قوله تعالى عنه : ( فصبر جميل ) - يوسف / ١٨ - . وقوله : ( انما أشكو بثي وحزني الى الله ) يوسف / ٨٦ . فهذا هو كمال الرضا والتفويض (١) .

وقد سُئل النبي - صلى الله عليه وسلم - أي الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الامثل فالأمثل (٢) .

وقول أيوب عليه السلام في الآية : ( أني مسني الشيطان بنصب وعذاب ) أي تعب وألم ومرض وما كان يقاسيه من الشدائد ، وهو المراد بالضرر في قوله : ( أني مسني الضر ) .

والاسناد الى الشيطان تواضعا ومراعاة للادب ، والأفعال كلها خيرها وشرها في إيمانها وكفرها ، طاعتها وعصيانها خالقها هو الله لا شريك له في خلقه ولكن الشر لا يُنسب إليه ذكرا وإن كان موجودا منه خلقا أدبا أدبنا به سبحانه ومنه قول ابراهيم عليه السلام : ( وإذا مرضت فهو يشفين ) - الشعراء / ٨٠ -

وقول الفتى لموسى عليه السلام . ( وما أنسانيه الا الشيطان .. ) - الكهف / ٦٣ -

وكان من جملة دعاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - وذكره لربه قوله :

(١) تسلية اهل المصائب : ١٤٨ ، محمد المنجي الحنبلي ت : ٧٨٥ .

(٢) رواه الترمذى : في الزهد رقم ٢٣٩٨ ، ج ٤ / ٦٠٢ وقال : حديث حسن

صحيح وابن ماجه في الفتن رقم ٤٠٢٤ ج ٢ / ١٣٣٤ .

واحمد في مسنده ج ١ / ١٧٢ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

( لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك ... ) (١) .  
وفي ذلك ارشاد الى استعمال الأدب في الثناء على الله ومدحه وان كان  
كل الأشياء بقضاء الله وقدره .  
وقيل انه ذكر الشيطان لأنه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه وأخرجوه  
من ديارهم (٢) ،

قال العلامة أبو السعود (٣) - رحمه الله - : ( إنا وجدناه  
صابرا ) - فيما أصابه في النفس والأهل والمال ، وليس في شكواه  
الى الله تعالى إخلال بذلك - أي بالصبر الجميل - فانه لا يُسَمَّى  
جزما ، كتمني العافية وطلب الشفاء ، على أنه قال ذلك خيفة الفتنة  
في الدين حيث كان الشيطان وسوس الى قومه بأنه لو كان نبيا لما  
ابتلي بمثل ما ابتلي به ، وإرادة القوة على الطاعة \* ٥٠١ هـ

قلت : والذي يتحصل أن وصف ايوب عليه السلام بالعبد الصابر  
لا يُنافيه كونه تضرع الى الله تعالى لكشف البلاء ، ذلك أن الدعاء  
وطلب العافية لا ينافي الصبر بل هو العبودية والخضوع لله ، وانما  
الذي يُذَم هو الشكوى لغير الله على سبيل الجزع والسخط .  
والله ولي التوفيق .

---

(١) اخرجہ مسلم في صحيحه ، كتاب المسافرين ، باب صلاة النبي  
- صلى الله عليه وسلم - ودعائه في الليل ( شرح النووي ٦ / ٥٧ )  
والترمذی رقم : ٣٤١٧ في الدعوات ، كتاب ما جاء في الدعاء عند  
افتتاح الصلاة بالليل ج ٥ / ٢٥٧ .

(٢) تفسير الرازي ٢٦ / ٢١٢ ، تفسير أبي السعود ٧ / ٢٢٩ .  
القرطبي ١٥ / ٢١٠ .

(٣) في تفسيره ج ٧ / ٢٢٩ وأنظر تفسير الرازي ٢٦ / ٢١٣ .

١٣ - قوله تعالى في حق يونس عليه السلام : -

( فنبذناه بالعراء وهو سقيم ) الصافات / ١٤٥

هذه الآية تدل على نبذ يونس عليه السلام بالعراء بعد أن قذفه الحوت الى الشاطيء كما قال تعالى : ( فلولا أنه كان من المسبحين للبت في بطنه الى يوم يبعثون ) - الصافات / ١٤٤ -  
وقد جاءت آية أخرى قد يُتوهم منها خلاف ذلك ، وهي قوله تعالى : ( لولا أن تداركه نعماً من ربه لنُبذ بالعراء وهو مذموم ) القلم / ٤٩

والجواب عن ذلك : أن تقدير الآية كما قال المفسرون<sup>(١)</sup> : لولا هذه النعمة لنُبذ بالعراء مع وصف المذمومية ، فلما حصلت هذه النعمة لا جرم لم يوجد النبذ بالعراء مع هذا الوصف ، فأخبر الله تعالى أنه نبذ بالعراء وهو غير مذموم لأنه نبي مكرم تداركته رحمة الله ، وعلى هذا فان جواب لولا معتمد على قوله ( وهو مذموم ) لأن المقصود امتناع نبذ مذموماً .

قال الشيخ الشنقيطي<sup>(٢)</sup> - رحمه الله - : " والجواب أن الامتناع المدلول عليه بحرف الامتناع الذي هو ( لولا ) منصب على الجملة الحالية لا على جواب لولا ، وتقرير المعنى : لولا أن تداركه نعمة من ربه لنُبذ بالعراء في حال كونه مذموماً ، لكنه تداركته نعمة ربه فنبذ بالعراء غير مذموم ، فهذه الحال عمدة لا فضلة ، أو أن المراد بالفضلة ما ليس ركناً في الاسناد وإن توقفت صحة المعنى عليه ونظيرها قوله تعالى : - ( وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ) الدخان / ٣٨ -

وقوله : ( وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ) لأن النفي فيهما منصب على الحال لا على ما قبلهما " ٥١ هـ  
قلت : والذي يتحصل أن آية القلم لم تنف أن يونس عليه السلام قد نبذ بالعراء ، بل نفت أنه نبذ بالعراء في حالة كونه مذموماً كما تقدم ، وعلى هذا فليس هناك مجال لتوهم وجود تنافي مع آية الصافات التي اثبتت كونه قد نبذ بالعراء .. والله ولي التوفيق ..

(١) زاد المسير ٣٤٢/٨ ، الكشاف للزمخشري ١٤٨/٤ ، البحر المحيط لأبي

حيان ٣١٧/٨ ، تفسير الرازي ٩٨/٣٠ ، القرطبي ١٢٩/١٥ ، ١٨ / ٢٥٤ ،

روح المعاني ٤٦ / ٢٩ .

(٢) أضواء البيان ج ١٠ / ٢٥٠ .

١٤ - قوله تعالى بشأن آية موسى الأخرى وذلك في سورة طه :

( واضمُّ يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى . )

- الآية / ٢٢ -

والمراد بالجناح : الجنب الذي تحت العضد ، يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر ، استعارة من جناحي الطائر<sup>(١)</sup> ، والمعنى : اجعل كفك تحت عضدك تخرج بيضاء من غير برص ولا أذى كأنها مصباح كآية من آيات الله الكبرى<sup>(٢)</sup> .

وقال في آية أخرى من سورة القصص حكاية عن نفس الموقف :

( أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ، واضم اليك جناحك

من الرهب فذانك برهانان من ربك ..... ) الآية / ٢٢ -

والجيب هو طوق المدرعة من الجهة التي يدخل منها الرأس، فيصبح معنى الآية: أدخل يدك اليمنى من طوق مدرعتك ، وليس بين الآيتين تناقض أو اختلاف لأن المعنى الكلي للآيتين هو : ادخل يدك اليمنى من طوق مدرعتك واجعلها تحت جناحك وهو الابط الأيسر تحت العضد فحكى الله في كل آية بعض المراد .

وأما قوله : ( واضم اليك جناحك من الرهب ) فهو أمر آخر من الله سبحانه لموسى عليه السلام بعد أن ضم يده الى جنبه فخرجت بيضاء من غير سوء كما أخبر الله تعالى فهو أمر له باخفاء الرعب والفرع الحاصل له من الآية أو من أي شيء آخر يعترضه بأن يضم اليه جناحه وهي يده .

قال مجاهد وابن زيد<sup>(٣)</sup> : " أمره سبحانه بضم عضده وذراعه وهو الجناح ليُخفِ بذلك فزعه ومن شأن الانسان اذا فعل ذلك في وقت فزعه أن يقوى قلبه . "

وقال الثوري : " خاف موسى عليه السلام أن يكون حدث به سوء فأمره سبحانه أن يُعيد يده الى جنبه لتعود الى حالتها الأولى فيعلم أن ذلك لم يكن سوءاً بل آية من الله عز وجل . "

(١) أنوار التنزيل / ٤١٥ ، روح المعاني ١٦ / ١٧٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٢٣٤ سورة طه .

(٣) روح المعاني ٢٠ / ٧٥ تفسير ابن كثير ٢ / ٦٢٠ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup> تعقبا على ذلك : " والظاهر أن المراد أعم من هذا ، وهو أنه أمر عليه السلام إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب وهي يده فاذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده ممن الخوف . " ٥٠١ هـ

وهناك معنى ثانيا ذكره صاحب الكشاف<sup>(٢)</sup> : وهو أن يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يظرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وارخاهما ، وإلا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ،

قلت : وبالرغم من وجاهة هذا القول إلا أن ماتقدمه أرجح حسب ظاهر الآيات ،

والحاصل أن موسى عليه السلام أمر في المرة الأولى بأن يضم يده اليمنى الى جنبه الأيسر تحت الابط حتى تخرج بيضاء من غير سوء كآية أخرى من آيات الله ، ثم أمره الله سبحانه أمرا ثانيًا بأن يضم يده اليمنى هذه تحت جناحه الأيسر مرة أخرى لحكمة أخرى وهي أنه لما حصل لموسى بعض الخوف من رؤية الآيات المتقدمة علمه الله سبحانه مافيه إزالة الرهب من كل ما يُخيفه ، وقد أطلق سبحانه في المرة الأولى لفظ الجناح على اليد اليسرى ، وفي المرة الثانية أطلقه على اليد اليمنى بقوله : ( واضم اليك جناحك .. ) وكلاهما جناحان المضموم والمضموم إليه فلا تنافي بين الآيات ،

وقوله تعالى في طه : ( فأوجس في نفسه خيفة موسى .. )

الآية / ٦٧ ..

هو خوفه على الناس أن يُفتنوا بسحر السحرة ويغترون بهم قبل أن يُلقى ما في يمينه ، فقد خاف عليه السلام من أن يعرض للناس ويختلج في خواطرهم شك وشبهة في معجزة العصا للذي رأوا من عصي السحرة ، ف قيل له : ( لا تخفُ إنك أنت الأعلى ) عليهم بالظفر والغلبة<sup>(٣)</sup> .

(١) المصدر السابق ٢ / ٦٢٠ .

(٢) الكشاف للزمخشري ٣ / ١٧٥ وانظر تفسير أبي السعود ٧ / ١٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢ / ٢٥٢ سورة طه / ٦٧ .

روح المعاني ١٦ / ٢٢٨ ، زاد المسير ٥ / ٣٠٦ .

تفسير الرازي ٢٢ / ٨٤ .

١٥ - قوله تعالى : بشأن بني اسرائيل :

( ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعة يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين )  
- القصص / ٢ - ٥ -

هذا النص من كتاب الله يفيد أنّ إفساد فرعون وتقتيله لبني اسرائيل حصل قبل ولادة موسى لقوله بعد ذلك :  
( وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ..... )

وهناك نص آخر من كتاب الله يفيد أنّ إفساد فرعون وتقتيله كان بعد بعثة موسى عليه السلام : وهو قوله تعالى في الاعراف :-  
( وقال الملاء من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك ؟ قال : سنقتلُ أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون )  
الآية / ١٢٧

وليس بين هذين النصين اختلاف أو تضاد لأن افساد فرعون وتقتيله لبني اسرائيل حصل مرتين<sup>(١)</sup> : مرة قبل ولادة موسى إهانة لبني اسرائيل وخوفاً من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته من أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه ، قال ابن كثير<sup>(٢)</sup> : " وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني اسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول ابراهيم الخليل عليه السلام حين ورد الديار المصرية وجرى له مع جبارها ماجرى ، فبشّر ابراهيم عليه السلام ولده أنه سيولد من صلبه وذريته من يكون هلاك مصر على يديه ، فكانت القبط تحدث بهذا عند فرعون فاحترز فرعون من ذلك وأمر بقتل ذكور بني اسرائيل ولن ينفح حذر من قدر لأن أجل الله اذا جاء لا يؤخر ولكل أجل كتاب " ٥٠١ .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٢ / ٢٨١ ، تفسير الزمخشري ١٠٥ / ٢

انوار التنزيل للبيضاوي / ٥١١ ، روح المعاني ٤٤ / ٢٠ .

وليس مرة واحدة كما ادعى محمد خلف الله في كتابه الفن القصصى وأوهم أنه من الاختلاف ، انظر سيكولوجية القصة للتهامي في نقرة

ص / ١٥١ ، ١٥٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٣ / ٦٠٧ .

ولهذا قال الله تعالى بعد ذلك :- ( ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ٦ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ... " الآيات .

فقد أراد الله أن يمنَّ على هؤلاء المستضعفين بأن ينقذهم على يد هذا المولود الذي أوحى إلى أمه أن ترضعه ولا تخاف عليه لأن الله سوف يربيه عند عدوه بقدرته ونعمته وسوف يرده لأمه ويجعله من المرسلين ويكون هلاك فرعون على يده ٦

وبعد بعثة موسى عليه السلام استشاط غضب فرعون من هذا الذي يدعو إلى التوحيد ، واستجاب لبطانة السوء الذين قالوا له : " أئذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك ٦

قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون " .

فظاهر الآيات ينص على أن هذا الأفساد حصل بعد بعثة موسى ٦

قال ابن كثير - رحمه الله - (١) : " وهذا أمر ثانى بهذا الصنيع وقد كان نكل بهم قبل ولادة موسى عليه السلام خذرا من وجوده فكان خلاف مارامه وضد ماقصده فرعون وهكذا عومل في صنيعة أيضا لما أراد اذلال بني اسرائيل وقهرهم فجاء الأمر على خلاف ما أراد أعزهم الله وأذلّه وأرغم أنفه وأغرق جنوده " .

والحاصل أن إفساد فرعون وتقتيله لأبناء اسرائيل حصل مرتين : قبل ميلاد موسى بدافع الخوف من تحقيق الرؤيا التي عبرها له الكهنة ، ثم تجدد ذلك بعد بعثة موسى بدافع الانتقام وإدخال الهلع في نفوس المؤمنين (٢) .

وأنه على قهره وغلبته وحتى لايتوهم أحد أن موسى هو المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكه على يده (٣) ،

" قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ٦

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٢ / ٢٨١ .

(٢) انظر سيكولوجية القصة في القرآن / ١٥٢ .

(٣) انوار التنزيل / ٢١٨ .

تفسير الزمخشري ١٠٥/٢ ، تفسير ابن حيان " البحر المحيط " ج ٤ / ٣٦٧ .



قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ، قال عسى ربكم  
أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون . " الاعراف ١٢٨/١٢٩ .

وقوله تعالى هنا حكاية عن بنى اسرائيل : " أوذينا من قبل أن  
تأتينا ومن بعد ما جئتنا " صريح في أن العذاب قد وقع مرتين على بنى  
اسرائيل كما تقدم فليس هناك اختلاف والحمد لله بين نصوص القصص كما  
أوهمه البعض ممن لم يتدبر القرآن ولم يذق حلاوة الايمان، والله  
ولي التوفيق .

١٦ - قوله تعالى : فى سورة النمل بشأنه آية موسى الكبرى :  
( وألقى عصاك فلما رآها تهتز كأنها جانّ ولىّ مُدبراً ولم يُعقب ياموسى  
لاتخف إنى لا يخاف ليدى المرسلون ) الآية / ١٠ ،

وقال تعالى فى سورة طه :  
( قال ألقها ياموسى ، فألقاها فاذا هى حية تسعى ، قال خذها ولا تخف  
سنعيدها سيرتها الأولى ) ١٩- ٢١ ،

وقال تعالى فى سورة الأعراف :- حكاية عن حوار موسى وفرعون  
( قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين ، فألقى عصاه  
فاذا هى ثعبان مبين ) الآية ١٠٦- ١٠٧ .

وقال فى الشعراء حكاية عن نفس الموقف :-  
( قال فأت به إن كنت من الصادقين )  
فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين . " الآية ٣١ - ٣٢ .  
ذكر مرة أنها انقلبت تهتز كأنها جان ، وهى الحية الخفيفة السريعة  
ولذلك قال تهتز أى تضطرب وتتحرك بسرعة (١).  
وفى الحديث " نهى عن قتل جنان البيوت " (٢).

وذكر فى سورة طه : انها انقلبت حية تسعى  
وليس هناك اختلاف لأن الحية كانت مع عظمها وقوتها سريعة الحركة كأسرع  
الحيات وهى الجان ،  
قال الألويسى (٣) : " فلما رآها تهتز " فصيحة مُفصحة عن جمل حذف أى فألقاها  
فمادت حية فاهتزت فلما رآها تهتز وتتحرك " كأنها جان " وهى كحلاء  
العين لاثوذى ... والتشبيه بها باعتبار سرعة حركتها وختها لاقى هيئتها  
وجنتها " ٥٠١ .

وليس يجب اذا شبهها بالجان أن يكون لها جميع صفاته لأن التشبيه  
يقع فى صفة دون صفة ومن وجه دون وجه (٤).

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٧١/٣ ، انوار التنزيل للبيضاوى / ٥٠٠

روح المعانى ٧٤ / ٢٠ .

(٢) البخارى / بدء الخلق / باب ١٥ / خير مال المسلم غنم ٠٠ ج ٩٩/٤

ومسلم / كتاب قتل الحيات (شرح النووى على مسلم ج ٢٣٣/١٤)

(٣) روح المعانى ٧٤/٢٠ .

(٤) انظر : أمالى المرتضى ج ١ / ٢٦ .

أما وصف انقلاب العما الى ثعبان : وهى الحية العظيمة (وعن الغراء أنه الذكر العظيم من الحيات<sup>(١)</sup>) فلم يحصل الا فى حوار موسى مع فرعون والسحرة وذلك فى سورتى الأعراف والشعراء .

فإِذَا انقلب العما كان مرتين ، مرة وموسى فى الطور بعد أن كلمه الله تعالى وقال له : ( وماتلك بيمينك ياموسى ، قال هى عصاى . . )

فأراد الله سبحانه أن يريه آياته وعظيم قدرته ثم يرسله بهذه الآيات الى فرعون مما قصه الله علينا فانقلبت العما الى حية تسعى والسعى هو المشى بسرعة وخفة ، ففيها من سرعة الحركة ماتوصف بأنها كانت تهتز كأنها جان وان كانت كبيرة وضخمة ،

والانقلاب الثانى - وهو بحضرة فرعون - عندما طلب منه فرعون آية تدل على صدقه : " فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين " وهو الذكر الضخم من الحيات كما تقدم ،

كذلك فان الحية اسم جنس يطلق على الصغير والكبير والذكر والأنثى فلذلك فإن وصفها بالثعبان المبين لا ينافى كونها حية أيضا .

وهناك جواب ثانى بالنسبة لتفسير الجان ذكره الشريف المرتضى<sup>(٢)</sup> حيث قال : " والجواب الثانى أنه تعالى لم يُردِ بذكر الجان فى الآية الأخرى الحية وإنما أراد أحد الجن ، فكأنه تعالى خبر بأن العما صارت ثعبانا فى الخلقة وعظم الجسم ، وكانت مع ذلك كأحد الجن فى هول المنظر وافزاعها لمن شاهدها ولهذا قال تعالى :  
( فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ) . . ١٠ هـ .

---

(١) القرطبي ٢٥٦/٧ ، ١٦٠/١٣ ، روح المعانى ٢٠/٩ .

معانى القرآن للذراء ج / ٠٠٠ سورة الأعراف / ١٠٦ .

(٢) أمالى المرتضى ج ١ / ٢٦ .

١٧ - قوله تعالى :- فى سورة الأعراف .

( ودمّرنا ماكان يصنع فرعون وقومه وماكانوا يعرشون ) الآية / ١٣٧ .

مع قوله تعالى : فى الشعراء : فى حق آل فرعون :

( فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم، كذلك وأورثناها بنى اسرائيل )

الآية ٥٨ - ٥٩ .

قد يُتوهم من ظاهر الآيتين التعارض حيث إن الجنات والعيون والمقام الكريم وغير ذلك مما كان يصنع فرعون وقومه وماكانوا يعرشون<sup>(١)</sup> وهو مما نصت الآية الأولى على تدميره ونصت الآية الثانية على أنهم أُخرجوا منه وتركوه وأورثه الله بنى اسرائيل ، وعن ذلك جوابان :

الأول :- أن معنى " دمرنا "؛ أبطلنا ماكان يصنع فرعون وقومه من المكر والكيد بموسى عليه السلام وقومه ،

وماكانوا يعرشون :- يبنون من الصرح الذى أمر فرعون هامان ببناؤه ليصعد بواسطته الى السماء وهذا جواب زكريا الأمارى فى فتح الرحمن<sup>(٢)</sup> ،

وعلى ذلك فلا إشكال اذ الجنات والعيون والكنوز والمقام الكبير لم تدمر ، وانما الذى دمر مكائد فرعون وصرحه الذى بناه تجبرا ،

الجواب الثانى :- أن المُدمّر : هو القصور والعمارات وماكان من قبيل البناء وأورث الله بنى اسرائيل أماكنهم وجاتهم وأنهارهم وكنوزهم وغير ذلك فقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى :- ( وماكانوا يعرشون ) قال : يبنون .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وعبد بن حميد وغيرهم عن مجاهد فى قوله تعالى : ( وماكانوا يعرشون ) قال : يبنون : البيوت والمساكن مابلغت وكان عندهم غير معروش<sup>(٣)</sup> .

قال الواحدى : ان الله تعالى : رد بنى اسرائيل الى مصر بعد ما أغرق فرعون وقومه فأعطاهم جميع ماكان لقوم فرعون من الأموال والعقار ،

---

(١) راجع لمعرفة معنى يعرشون : مفردات الراغب الأصفهاني / ٣٢٩ .

(٢) فتح الرحمن ٢٠٥ - ٢٠٦

وتفسير وماكانوا يعرشون : يبنون، هو قول أبى عبيدة أنظر المفردات ٣٢٩ .

(٣) الدر المنثور للسيوطى ج ٢ / ٥٢٢ .

وروي عن الحسن أنه قال : كما عبروا البحر رجعوا وورثوا ديارهم وأموالهم ،  
وقيل انه رجع بعضهم بعد إغراق فرعون وهم الذين أورثوا أموال القبط  
ونهب الباقون مع موسى عليه السلام الى أرض الشام وقيل : إنهم بعد أن  
جازوا البحر ذهبوا الى الشام ولم يدخلوا مصر في حياة موسى عليه  
السلام وملكوها زمن سليمان عليه السلام (١) ،

وفي قوله تعالى : ( وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق  
الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ... )

ما يدل على ان بنى اسرائيل رجعوا الى مصر إما كلهم أو بعضهم  
فهم قد أورثوا مصر والشام أي مشارق الأرض ومغاربها (٢) .

وعلى القول بأن بنى اسرائيل لم يعودوا الى مصر بعد خروجهم  
الى الأرض المقدسة فهم قد ورثوا مثل ما كان لفرعون وملائته ، فهي وراثه لنوع  
ما كانوا فيه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم (٣) .

---

(١) روح المعاني ٨٣/١٩ - ٨٤ .

زاد المسير لابن الجوزي ج ٦ / ١٢٦ .

(٢) انظر تفسير أبو السعود ٢٦٦/٣ ، الكشاف ١٠٩/٤ .

(٣) في ظلال القرآن / ج ٣ / ٢٥٩٨ .

١٨ - قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام بعد أن صعق وأفلق :  
( فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال  
سبحانك تبتُّ إليك وأنا أول المؤمنين ) الاعراف / ١٤٣ .

وقال تعالى حكاية عن السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام لما  
رأوا الآيات : ( إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول  
المؤمنين ) الشعراء / ٥١ .

وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم :-  
( قل إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له  
وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ) الانعام / ١٦٣ .

فهذه الآيات يدل بعضها أن أول المؤمنين هو موسى عليه السلام  
وبعضها يدل أن سحرة فرعون هم أول المؤمنين  
والآية الثالثة تدل أن النبي محمد هو أول المسلمين .  
مع أن الآية الأولى تثبت أن أول المؤمنين هو موسى . إضافة الى أن كل  
نبي ومن آمن معه يعتبرون مسلمين كما قال تعالى :-  
( ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً .. )  
آل فرعون / ٦٧

وقال : ( واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا  
آمنا واشهد بأننا مسلمون ) المائدة / ١١١ .  
وقال حكاية عن سليمان عليه السلام : ( وأوتينا العلم من قبلها وكنا  
مسلمين ) النمل / ٤٢ .

وهذه الآيات ليس بينها تنافى أو اختلاف وإنما هي متفقة المعانى ،  
فقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ( وأنا أول المؤمنين )  
ليس المراد به أول المؤمنين اطلاقاً إذ من المعلوم أنه قد سبقه  
انبياء مؤمنون ولكن السياق يحدد المعنى : فالمراد أنا أول المصدقين  
بأنه لا يراك أحد في الدنيا ، وذلك أنه حين قال لربه :  
( أرني انظر اليك ، قال لن تراني ) يعني في الدنيا فأمره الله سبحانه  
أن ينظر الى الجبل ( فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى  
صعقاً ، فلما أفاق قال سبحانك تبتُّ إليك وأنا أول المؤمنين ) (١) ،

---

(١) الرد على الزنادقة للإمام أحمد / ١٤ ،  
التنبيه والرد لأبي الحسين الملقب بـ : ٦١ تفسير البيضاوى ٢٢١ ،  
روح المعاني ج ١ / ٤٦ .

أى أول المصدقين بأنك لا ترى في الدنيا فأراد عليه السلام أن يعبر  
عن مجرد التصديق بهذا الذى غاب عنه جواز تعجيله مع علمه بجوازه  
على الجملة (١) .

وأما قول السحرة : ( أَنْ كُنَّا أَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ) يعنى أول المصدقين  
من أهل مصر من القبط بموسى عليه السلام وذلك لما رأوا آيات موسى  
في تلك الحال وفي ذلك المشهد ،  
قال الألوسي (٢) : \* أول المؤمنين من اتباع فرعون أو أول المؤمنين  
من أهل زمانهم ، ولعل الإخبار بكونهم كذلك لعدم علمهم بمؤ من سبقهم  
بالإيمان فهو إخبار مبني على غالب الظن ولا محذور فيه \* ،  
وقيل : أرادوا أول من أظهر الإيمان بالله تعالى وبرسوله عند  
فرعون كفاحا بعد الدعوة وظهور الآية ، فلا يرد مؤ من آل فرعون  
وأمية ، وكذا لا يرد بنو إسرائيل لأنهم - كما في البحر - كانوا  
مؤمنين قبلهم أما لعدم علم السحرة بذلك أو لأن كلا من المذكورين  
لم يظهر الإيمان بالله تعالى ورسوله عند فرعون كفاحا بعد الدعوة  
وظهور الآية . \* ١٠٥ هـ

وأما قوله تعالى بحق الرسول - صلى الله عليه وسلم - :  
( وَأَنَا أَوْلَى الْمُسْلِمِينَ ) - فالمراد به أول المسلمين من أمته وذلك لأن  
اسلام (٣) كل نبي متقدم على اسلام أمته (٤) ،

فإبراهيم عليه السلام هو أول مسلمي أمته ، وكذلك موسى وعيسى  
عليهم السلام وأتباعهم كما قال تعالى حكاية عن الحواريين :  
( وَإِذْ أَوْحَيْتَ إِلَى الْخَوَارِجِيِّينَ أَنْ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا  
مسلمون . ) المائدة / ١١١

(١) ملاك التأويل / للفرناطي ج ١ / ٣٥٧ .

(٢) روح المعاني ١٩ / ٨٠ .

(٣) وليس المقصد أنه أسلم بعد أن كان كافرا وإنما المراد أنه أول  
من أظهر دين الله وأول من طبقه على نفسه .

(٤) انظر : الرد على الزنادقة / ١٤ . ، تفسير البيضاوى / ١٩٨

روح المعاني ٨ / ٧١ .

فكل نبي يؤمر بأن يكون أول من أسلم من أمته وذلك لأنه قدوتهم  
في الاعتقاد والعمل كما قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم  
( قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يُطعم ولا يُطعم  
قل إنني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين . )  
- الأنعام / ١٤ -

فعبارة عليه السلام منبئة عن الكمال في مسمى الايمان والاسلام  
على الحال التي درج عليها المصطفون الأخيار (١) .



١٩ - قوله تعالى :- حكاية عن سليمان عليه السلام  
( وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء )

النمل / ١٦ .

ثم قال تعالى في نفس السورة حكاية عن الهدد بشأن بلقيس ملكة سبأ  
( إنني وجدت امرأة تملكهم ، وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . . )

النمل / ٢٢ .

فأخبر في كلا الآيتين أن سليمان أوتي من كل شيء وكذلك بلقيس فقد يُتوهم  
أنه ساوى بينهما مع أن سليمان عليه السلام أوتي ملكا لا ينبغي لأحد غيره ،

والجواب عن ذلك : قال زكريا الأنصاري<sup>(١)</sup> : " الفرق بينهما أنها

أوتيت من كل شيء من أسباب الدنيا فقط لعطف ذلك على قوله : " تملكهم "

وسليمان أوتي من كل شيء من أسباب الدين والدنيا لعطف ذلك على المعجزة

وهي منطق الطير " ٥٠١ .

فقد أوتي نبي الله سليمان النبوة والملك وسخر له الجن والانس والشياطين

والريح والطير كما قال تعالى :- ( ولقد آتينا داود وسليمان علما ، وقالوا

الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ، وورث سليمان داود

وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو

الفضل المبين ، وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يُوزعون )

النمل / ١٥ - ١٧ .

وقال : ( فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين

كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد ، هذا عطاؤنا فامنن أو أمرك

بغير حساب ) ص / ٣٦ - ٣٩ .

فما يهمة عليه السلام من أمر الدنيا والآخرة قد أوتيه ، أما بلقيس

فقد كانت كافرة ، وسياق الآية يوضح لنا أنها أوتيت من كل شيء يحتاجه

الملوك لقوله تعالى : ( إنني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها

عرش عظيم ، ووجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان

أعمالهم فهم لا يهتدون ) النمل / ٢٣ ،

فهى قد أوتيت من كل شيء يحتاجه الملوك بقريئة قوله : " تملكهم " (٢) .

(١) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن / ٤٢١ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ١٦٠/٦ .

ولم توتّ من الملك مثل ما أوتى سليمان عليه السلام لقوله تعالى  
عنه ( قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت  
الوهاب ) ص / ٣٥ .

وقد يقال ليس الغرض إلا إفادة كثرة ما أوتيت (١) ،  
أو أنها أوتيت من كل شيء في أرضها وهي مملكة سبأ (٢)  
قال الفخر الرازي (٣) :- ( أما قوله : " وأوتينا من كل شيء " )  
فالمراد كثرة ما أوتى لأن الكل والبعض الكثير يشتركان في صفة الكثرة  
والمشاركة سبب لجواز الاستعارة فلا جرم يُطلق لفظ الكل على الكثير ومثله  
قوله : ( وأوتيت من كل شيء ) ١٠٥ .

قلت : وعلى هذا الوجه فإن المراد باليتين بيان كثرة ما أوتى  
سليمان وكثرة ما أوتيت بلقيس ،

والكثرة أمر نسبي فهناك أمور أوتيتها سليمان كالمعجزات وتسخير  
الانس والجن والريح ونحو ذلك ولم توتّها بلقيس .

والله الموفق

---

(١) روح المعاني ١٩٠/١٩ .

(٢) النكت والعيون للماوردي ١٩٤/٣ .

(٣) تفسير الرازي ١٨٦/٢٤ .

٢٠ - قوله تعالى فى سورة مريم حكاية عن مقالة بنى اسرائيل للسيدة مريم البتول عليها السلام :-

( يا أختَ هرون ما كان أبوك امرأً سوءً وما كانت أمك بغيا ) الآية/٢٨ .

ومن المعلوم أن أخا موسى اسمه هرون-عليهما السلام- حيث قال الله تعالى فى الاعراف :-

( وقال موسى لأخيه هرون ، اخفني فى قومي ... ) الآية / ١٤٢ .

وقال أيضا فى طه : ( واجعل لى وزيرا من أهل هرون أخى ) الآية/٣٠ .

وقد كان بين موسى وهارون عليهما السلام وبين مريم البتول التى هى أم عيسى عليهما السلام ما يقرب من ألف سنة فكيف يُقال لمريم :  
" يا أخت هارون " .

والجواب هو ما رواه أحمد (١) ومسلم (٢) عن المغيرة بن شعبة ، رضى الله عنه قال : " لما قدمتُ نجران سألونى فقالوا إنكم تقرأون :  
" يا أخت هرون " وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمتُ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سألته عن ذلك فقال : إنهم كانوا يُسمون بأنبيائهم والمالحين قبلهم " ٥٠١ .

وهذا يعنى أن مريم - عليها السلام - كان لها أخ اسمه هارون (٣) لأن بنى اسرائيل كانوا يُسمون أولادهم بأسماء الأنبياء والمالحين ولاشك أن هارون أخا موسى كان نبيا من الانبياء .

هذا وقد سمى النبى - صلى الله عليه وسلم - ابنه ابراهيم ، وندب الى التسمية بأسماء الأنبياء والمالحين ،  
فقد روى ابو داود (٤) والنسائى (٥) عن أبى وهب رضى الله عنه - مرفوعا -  
" تسموا بأسماء الانبياء ، وأحبُّ الاسماء الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن ... " .

(١) المسند ٢٥٢/٤ .

(٢) كتاب الآداب ، باب بيان ما يستحب من الأسماء ( شرح النووى ١١٧/١٤ )

والفظ لمسلم .

(٣) قال الزمخشرى (٥٠٨/٢) : " كان اخاها من أبيها من امثل بنى اسرائيل "

وانظر تفسير أبى حيان ج ١٨٦/٦ .

(٤) رقم ٤٩٥٠ فى الألب باب تغيير الأسماء .

(٥) ج ٢١٨/٦ فى كتاب الخيل / ما يستحب من شية الخيل .

فتشابه الاسم أو اللقب لا يدل على أن المُسمّى واحد كما توهم أهل نجران (١).

وهناك وجه آخر لقولهم : " يا أخت هرون " .  
وهو أن هارون كان اسم رجل صالح في بني اسرائيل فشبهوها به في الصلاح ، والاخت على هذا بمعنى المشابهة قالوه تهكما أو لما رأوا قبل من صلاحها تقريبا ، وتأنيبا ، وهو مروى عن قتادة وسعيد ابن جبير (٢).

والوجه الثالث الذى ذكره بعض المفسرين : أن المراد هارون أخو موسى عليهما السلام وكانت هى من أعقابيه ومن نسله فقيل هارون كما يقال هاشم وتميم ، والمراد بالأخت أنها واحدة منهم كما يقال يا أخا العرب وللرجل من قريش يا أخا قريش وللرجل من مُضَر يا أخا مُضَر وهذا قول على بن أبى طلحة والسدى (٣)

قلت : والجواب الأخير وإن كان صحيحا على العموم إلا أن ورود الحديث الصحيح الذى تقدم بأنهم كانوا يتسمون بأسماء الانبياء يدل أن هارون كان أخا لها ، أو من قومها وكان صالحا قالوه على وجه التهكم بها أو التقریح .

والله أعلم .

---

(١) ابن كثير ١٩٣/٣ ، تنزيه القرآن ٢٤٧/٢ ، زاد المسير ٢٢٧/٥ روح المعاني ١٦/٨٨ .

(٢) روح المعاني ٨٨/١٦ النكت والعيون ٥٢٤/٢ ابن كثير ١٩٢/٣ الزمخشري

٥٠٨/٢ فى ظلال القرآن ٢٣٠٧/٤ .

(٣) روح المعاني ٨٨/١٦ النكت والعيون ٥٢٤/٢ ، زاد المسير ٢٢٧/٥ ابن

كثير ١٩٢/٣ ، الزمخشري ٥٠٨/٢ .

٢١ - قوله تعالى بشأن عيسى عليه السلام :  
( اذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين  
كفروا ... ) آل عمران / ٥٥ .

هذه الآية الكريمة قد يتوهم من ظاهرها وفاة عيسى عليه السلام ،  
وقد جاءت آيات أخرى تدل على عدم وفاته ،

وهي قوله تعالى : ( وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ، وإنّ الذين اختلفوا  
فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن ، وماقتلوه يقيناً  
بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً ، وإنّ من أهل الكتاب إلا  
ليؤمننّ به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ) النساء/١٥٧-١٥٩ .

فقوله : ( وماقتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه ) ردّ وانكار لقتله ، وإثبات  
لرفعه عليه الصلاة والسلام :

وهذا النص قطعي الدلالة في رفع المسيح عليه السلام حيا الى السماء  
لايحتمل التأويل لأن كلمة " بل " بعد النفي يجب أن يكون ما بعدها اثباتاً  
لنفي المنفي المتقدم ،

ولو حمل الرفع على رفع الروح فقط فهذا لايضاد القتل والصلب  
المنفيين قبل " بل " لامكان اجتماع القتل مع رفع الروح كما أنه يلغى  
النفي السابق .

ولهذا فالآية صريحة في رفع عيسى عليه السلام حيا بروحه وجسده (١) .

ومعنى " قبل موته " : أي موت عيسى عليه السلام في آخر الزمان  
على الصحيح من القولين (٢) كما هو مروى عن ابن عباس والحسن وقتادة وعبد  
الرحمن بن زيد وأبى هريرة واختار ذلك ابن جرير (٣) واستظهره ابو حيان (٤)  
وقال ابن كثير (٥) : " وهذا القول هو الحق " وأفاد : بأنه المقصود  
من سياق الآي في تقرير بطلان مادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم  
من سلم لهم ذلك من النارى الجهلة ،

(١) انظر موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين للعلامة مصطفى  
صهري ج ٢٣٣/٤ فما بعدها ، وانظر تفسير أبى السعود ج ٢/٢٥٢ = أبى حيان ( البحر  
المحيط : ج ٢/٣٩١ ) .

(٢) القول الآخران المقصود بالضمير في قوله " قبل موته " أي قبل موت الكتابي وقد  
رجّحه الزمخشري في تفسيره (ج ١/٥٨٠) وأبو السعود (ج ٢/٢٥٢) وهو قول غير معقول في  
ناته لكون إيمان أهل الكتاب جميعاً بعيسى قبل موتهم خلاف الواقع والقائلون به  
يدعون وقوع هذا الايمان عند موتهم لكن نص القرآن " قبل موته " لايحتمل موته ( راجع  
موقف العقل .. ج ٢٤٧/٤ ) .

(٣) تفسير ابن جرير ج ٢٨٦/٩ . (٤) البحر المحيط : ج ٢/٣٩٢ .

(٥) تفسير ابن كثير ج ١/٨٧٧ سورة النساء آية ١٥٩ . وانظر: زاد المسير ج ٢/٢٤٧  
سورة النساء ١٥٩ ، روح المعاني ج ٥/١٢ .

فالمراد تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته في السماء وأنه سينزل الى الأرض قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء هؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتناقضت ففُـرط هؤلاء اليهود ، وأفرط هؤلاء النصارى " ١٠١ هـ (١)

روى البخاري ومسلم (٢) وأحمد (٤) وغيرهم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر المليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه : واقرأوا ان شئتم : " وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا " .

وهذا الحديث متواتر تواترا معنويا أن عيسى عليه السلام حي في السماء وأنه ينزل آخر الزمان وهذا اجماع من الأمة كما نص على ذلك العلماء (٥) .

وهو عند ما ينزل يحكم بشرع الاسلام كما روى البخاري (٦) عن ابي هريرة مرفوعا " كيف أنتم اذ انزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم " .

(١) ابن كثير ج ١ / ٨٧٧ ، النساء / ١٥٩ بتصرف قليل .

(٢) صحيح البخاري / كتاب الانبياء / باب نزول عيسى ج ٤ / ١٤٣ وفي كتاب ٣٤ / باب ١٠٢ ، ٣١/٤٦ ، ٢٤/٦٠ .

(٣) صحيح مسلم / كتاب الايمان / باب نزول عيسى ( شرح النووى ج ٢ / ١٨٩ ) .

(٤) مسند أحمد ج ٢ / ٢٦٠ .

(٥) نص على ذلك ابن جرير في تفسيره ج ٢ / ٢٠٣ سورة آل عمران / ٥٥ ، وابن عطية في تفسيره ، انظر البحر المحيط لأبي حيان ٤٧٣/٢ ، وابن كثير في تفسيره ج ١ / ٨٧٨ سورة النساء / ١٥٩ ، وابن حجر في فتح الباري ج ٦ / ٤٩٣ ، والعلامة السفاريني في لوامع الأنوار ٩٤/٢ ، والشوكاني : في فتح القدير ج ١ / ٥٣٥ ، والكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ١٤٧ . هذا وقد ألف العلامة الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ( ت : ١٣٥٢ هـ ) كتابا في ذلك سماه : التصريح بما تواتر في نزول المسيح ، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة فليراجع فانه نفيس .

(٦) صحيح البخاري / كتاب الانبياء / باب نزول عيسى ج ٤ / ١٤٣ .

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى : بشأن المسيح عليه السلام :

( وانه لعلمٌ للساعة ) - الزخرف / ٥٩ -

حيث أخرج الامام احمد<sup>(١)</sup> وابن حبان في صحيحه<sup>(٢)</sup> والحاكم في مستدركه<sup>(٣)</sup> وصححه حسن ابن عباس مرفوعا : في قوله تعالى : ( وانه لعلمٌ للساعة ) قال : نزول عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة .

قال ابن كثير<sup>(٤)</sup> : ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى ( وانه لعلمٌ للساعة )<sup>(٥)</sup> أى أمانة ودليل على وقوع الساعة ، قال مجاهد : " وانه لعلمٌ للساعة " أى آية للساعة خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة .

اذا كان الأمر كذلك : فهذه الآيات التي تدل على بقاء عيسى عليه السلام حيا وأنه علم من أعلام الساعة وأن أهل الكتاب سوف يؤمنون به على أنه عبد الله ورسوله ويدخلون في شرع الاسلام وكذلك الأحاديث المتواترة والتي تدل على ذلك أيضا .

اذا كان الأمر كذلك فان قوله تعالى : -

( ان قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ... ) الآية .

يوهم ظاهره مخالفة بقاء عيسى حيا وأنه سوف ينزل قبل يوم القيامة حيث قال فيها : ( إني متوفيك ورافعك الي ) .

والوهم انما يأتي من لفظة ( متوفيك ) على أن التوفي بمعنى الأمانة وأنه قد حصل قبل الرفع<sup>(٦)</sup> .

(١) في مسنده ج ١ / ٣١٧ .

(٢) موارد الظمان في زوائد ابن حبان / ٤٣٥ .

(٣) مستدرک الحاكم / كتاب التفسير ج ٢ / ٤٤٨ وصححه ووافقه الذهبي .

(٤) تفسير ابن كثير ج ٤ / ٢٠١ سورة الزخرف / آية ٥٩ .

(٥) قرأ بها ابن عباس وابو رزين وابو عبد الرحمن وقتادة وحמיד وابن محيصن انظر زاد المسير ٣٢٥/٧ والقراءة وان كانت غير متواترة الا انه يصح الاستشهاد بها كتفسير للقراءة المتواترة .

(٦) وقد حصل هذا الوهم فعلا : انظر كتاب : موقف العقل والعلم والعالم من رب - العالمين وعباده المرسلين للعلامة مصطفى صبري ج ٤ / ٢٢٨ ط ٢ حيث رد فيه على من توهم ذلك ، وانظر تفسير المراغي ج ٣ / ١٧٠ ، المنار : ٣١٧/٣ .

والجواب عن هذا من عدة أوجه :

الأول : أن قوله تعالى : ( متوفيك ) لا يدل على تعيين الوقت ولا يدل على كونه قد مضى ، وهو متوفيه قطعاً يوماً ما ولكن لا دليل على أن ذلك اليوم قد مضى ،

وأما عطفه ( ورافعك ) على قوله : ( متوفيك ) فلا دليل فيه لإطباق جمهور أهل اللسان العربي على أن الواو لا تقتضي الترتيب ولا الجمع ، وإنما تقتضي مطلق التشريك ويدل عليه قوله تعالى : حكاية عن الكفار : ( ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ) . فدللت الآية على أن الواو لا تدل على الترتيب ، لأن المعطوف وهو الحياة سابق في الوجود على المعطوف عليه وهو الموت ،

فالله تعالى يفعل به هذه الأفعال فأما كيف يفعل ومتى يفعل فالأمر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت الدليل أنه حي وأنه سيمنزل ويقتل الدجال ثم إنه تعالى يتوفاه بعد ذلك (١) .

قال زكريا الأنصاري (٢) لما هدده اليهود بالقتل بشره الله بأنه لا يقبض روحه الا بالوفاة لا بالقتل والواو لا تقتضي الترتيب . " ٥١ هـ فيكون معنى الآية على هذا : ( إني مستوفي أجلك ومميتك حتف أنفك لأسلط عليك من يقتلك ، فالكلام كناية عن عصمته من الأعداء وما هم بصدده من الفتك به عليه السلام لأنه يلزم من استيفاء الله تعالى أجله وموته حتف أنفه ذلك . (٣) والحاصل أن الآية لا تدل على وقت الوفاة بل دلت النصوص على رفعه حياً وأنه ينزل آخر الزمان ثم يتوفاه الله كما وعده

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٦٧/٨ ، زاد المسير ج١ / ٢٦٦ ، تفسير الزمخشري : ٤٣٢/١ . شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ج٢ / ٢٢٦ ط ١٢ ، تفسير البيضاوي / ٧٥ أضواء البيان ج ١٠ / ٥٠ - ٥٢ . وكون الواو لمطلق التشريك هو قول البصريين ،

(٢) فتح الرحمن : ٩٣ لشيخ الاسلام زكريا الأنصاري .

(٣) انظر : روح المعاني ج ٣ / ١٧٥ .



الوجه الثاني : أنها وفاة نوم للرفع الى السماء  
فمعنى متوفيك : أى مُنيمك ، ورافعك إلي : أى في تلك النوم ، وقد  
جاء في القرآن إطلاق الوفاة على النوم في قوله تعالى : ( وهو الذى  
يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ) - الأنعام / ٦٠ -  
وقوله تعالى : ( الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها )  
- الزمر / ٤٢ -

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول اذا قام من النوم :  
( الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور . ) (١)  
وقال بهذا الوجه الربيع والحسن وعزاه ابن كثير للاكثرين ورَّجَّحه (٢)  
واذا ثبت بالكتاب والسنة صحة إطلاق الوفاة على النوم فليس هناك  
إشكال فيكون رفعه عليه السلام وهو نائم رفقا به كما قال الحسن  
البصرى ،

الوجه الثالث : أنَّ ( متوفيك ) اسم فاعل من توفاه اذا قبضه  
وحازه اليه ومنه قولهم : ( توفى فلان دينه ) اذا قبضه اليه ،  
قال ابن قتيبة في غريب القرآن (٣) : " متوفيك : قابضك من الأرض ممن  
غير موت . "  
فيكون معنى متوفيك على هذا : قابضك منهم إلى حيا وهذا القول هو  
اختيار ابن جرير الطبرى قال (٤) : " ومعلوم أنه لو كان أماته الله  
عز وجل لم يكن بالذى يُميتُه ميتة أخرى فيجمع عليه ميتتين .....  
فتأويل الآية : يا عيسى اني قابضك من الأرض ورافعك إلي ومطهرك ممن  
الذين كفروا فجددوا نبوتك . "

هذا وقد أفاد الرازى (٥) " أن قوله ( ورافعك الي ) هو تعيين  
لنوع التوفي اذ أن التوفي جنس تحته انواع بعضها بالموت وبعضها بالاصعاد  
الى السماء . " ا هـ

- 
- (١) البخارى في صحيحه / كتاب الدعوات / باب ما يقول اذا نام ج ١٤٧/٧ .  
(٢) تفسير ابن كثير ٥٤٨/١ ، آل عمران / ٥٥ ، النكت والعيون / ج ٣٢٦/١ .  
روح المعاني ١٧٩ / ٢ .  
(٣) غريب القرآن ص ١٠٦ .  
(٤) تفسير ابن جرير ج ٦ / ٤٥٨ تحقيق احمد شاکر .  
(٥) تفسير الرازى ج ٨ / ٦٨ .

فعلى هذا الوجه يكون التوفي : هو الأخذ والقبض، والقرينة على تعيين هذا المعنى في الآية : الرفع المذكور بعده ، والتطهير المذكور بعد الرفع ، وكذلك النص على الرفع في آية النساء : ( وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه ) .

اذ هي صريحة في الدلالة على رفعه حيا كما تقدم ،  
فمعنى الآية حسب ما تقدم : - اني آخذك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا باعبادك عن عالم الكفرة والفجرة ،

الوجه الرابع : اخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال : هذا من المُقدم والمؤخر : أي رافعك الي ومتوفيك بعد ذلك في الأرض بعد أن تعود اليها قبل يوم القيامة ، لتكون علما من أعلام الساعة وهذا قول الغراء والزجاج في آخرين فتكون الفائدة في إعلانه بالتوفي تعريفه أن رفعه الى السماء لا يمنع من موته (١) ،

قلت : وكل الأوجه التي مرت يصح تفسير الآية بها الا أن الذي يترجح هو الوجه الثالث وهو أن المراد مستوفي شخصك من الأرض حيا من غير وفاة ولا نوم وأن قوله ورافعك الي " هو تعيين لنوع التوفي وهو كما تقدم اختيار الطبري ، والرواية الصحيحة عن ابن عباس كما قال الألوسي (٢) .

وعلى هذا فلا يمكن أن يكون المراد من قوله ( متوفيك ) مميتك ، ومن قوله ( رافعك ) : رافع روحك كما زعم البعض (٣) وذلك لما تقدم من أوجه في معنى التوفي .

وللدلالة قوله تعالى : ( وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه ) .  
فلو كان المراد رفع الروح لما تناسق الكلام كما تقدم ، ولأنه تعالى كلما ذكر رفع عيسى قرنه بالجار والمجرور : ( بل رفعه الله إليه ) ،

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١/٤٤٨ آل عمران / ٥٥ .

زاد المسير لابن الجوزي ج ١ / ٣٩٧ ، النكت والعيون للماوردي ج ١ / ٣٢٦ ،

روح المعاني للألوسي ج ٢ / ١٧٩ .

(٢) روح المعاني ج ٢ / ١٧٩ .

(٣) انظر : تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ج ٢ / ٣١٦ ، تفسير المراغي

ج ٣ / ١٧٠ ، الفتاوى / محمود شلتوت ص : ٦٠ - ٦١ ط : ٩ دار الشروق .

( ورافعك الي ) بخلاف الآيات التي فيها ذكر الرفع وأريد بها رفع المكانة والدرجة كقوله تعالى : ( ورفعناه مكانا عليا ) ، ( ورفعنا لك ذكرك ) ونحوها من الآيات ثم لو كان المراد من قوله تعالى ( متوفيك ) ( مميتك ) ومن قوله ( رافعك ) رافع روحك كما زعموا ( كان القول الثاني مستغنى عنه لأن رفع روح عيسى عليه السلام بعد موته الى ربه وهو نبي جليل من انبياء الله معلوم لاجابة الي ذكره<sup>(١)</sup> ،

وعلى جميع الأوجه المتقدمة فليس هناك تنافي بين قوله تعالى :

( اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ) .

وبين قوله تعالى : ( وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه ) .

وقوله تعالى : ( وان من اهل الكتاب الا ليؤمننَّ به قبل موته )

وقوله تعالى : ( وانه لعلم للساعة ) .

وما تواتر من الأحاديث التي تثبت حياة عيسى وأنه سوف ينزل قبل

يوم القيامة كعلم من أعلام الساعة عاملا بشريعة الاسلام كما تقدم .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ / ٥٤٨ ، آل عمران / ٥٥ .

زاد المسير لابن الجوزي ج ١ / ٣٩٧ ، النكت والعيون للماوردي ج ١ / ٢٢٦ ،

روح المعاني للألوسي ج ٣ / ١٧٩ .

(٢) روح المعاني ج ٣ / ١٧٩ .

(٣) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين

مصطفى صبري ج ٤ / ١٧٨ .

٢٢ - قوله تعالى بشأن الفتية أصحاب الكهف يوصون بعضهم بعدم الظهور والمبالغة في التخفي لئلا يطلع عليهم أهل الكفر فيفتنونهم عن دينهم : -

( إنهم إنْ يظهروا عليكم يجرمواكم أو يُعيدوكم في ملَّتكم ولن تُفْلِحوا إذا أبدا . ) - الكهف / ٢٠ -

فقوله : ( أو يُعيدوكم في ملَّتكم ) معناه : يردوكم الى دينهم وهو دين الكفر والشرك وهو موجب لعدم الفلاح في الدارين ، هذا مع أن الله سبحانه قد رخص للمُكْرَه على الكفر أن يتلفظ به مع بقائه مطمئنا بالايان هو قوله تعالى : -

( من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ... )  
النحل / ١٠٦

فالغضب من الله وعدم الفلاح هو على من رضي بالكفر وتابَعَ منشرح الصدر له ، فكيف يكون عدم الفلاح للفتية إذا أُرغموا على العود في الكفر ،

والجواب : أنه ليس بين الآيات اختلاف عند التدبير وفهم المراد من كلام الله سبحانه لذلك فإن اثبات عدم الفلاح في حال الإرغام على الكفر بالنسبة للفتية المؤمنين أصحاب الكهف له جوابه ، وهو من ثلاثة أوجه :-

الوجه الأول : - أن الإكراه على الكفر قد يكون سببا لاستدراج الشيطان الى استحسانه والاستمرار عليه (١) ،

قال الرازي (٢) " فان قيل أليس أنهم لو أكرهوا على الكفر حتى أنهم أظهروا الكفر لم يكن عليهم مضرة ، فكيف قالوا : ( ولن تُفْلِحوا إذا أبدا ) ،

(١) انظر روح المعاني للآلوسي ١٥ / ٢٢٢ .

(٢) في تفسيره ج ٢١ / ١٠٢ .

قلنا : يحتمل أن يكون المراد أنهم لو ردّوا هؤلاء المسلمين إلى الكفر على سبيل الإكراه وبقوا مظهرين لذلك الكفر مدة فإنسه يميل قلبهم إلى ذلك الكفر ويصيرون كافرين في الحقيقة ، فهذا الاحتمال قائم فكان خوفهم منه - والله أعلم // ٠ هـ

فالتلفظ بكلمة الكفر حالة الإكراه وان كان مرضطاً فيه (١) كما نصّت عليه الآية إلا أن ذلك التلفظ قد يجره إلى الكفر القلبي ويستدرجه الشيطان بذلك إلى الإجابة الحقيقية حسب المصالح والظروف ويوسوس له بعد التلفظ بكلمة الكفر أنه خرج من دائرة الإسلام فله أن يدخل في الكفر بكل حرية (٢)

ولذلك نصّ العلماء (٢) أن الأفضل والأولى للمسلم أن يثبت على دينه ولو أفضى إلى قتله أخذاً بالعزيمة لما في الصبر من إعلاء كلمة الله، ولما جاء في النصوص من تأييد الأخذ بالعزيمة كقوله - صلى الله عليه وسلم - لآل ياسر وقد رأهم يُفْتَنُونَ عن دينهم بالعذاب الشديد وهم صابرون يأبون الكفر : قال لهم : ( اصبروا آل ياسر فان موعدكم الجنة ) (٣) ،

وقد كان بلال رضي الله عنه يفعل به المشركون الأفاعيل حتى ليضعوا الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر ويأمرونه بالشرك بالله - فآبى عليهم وهو يقول : " أحد أحد ، ويقول : والله لو أعلم كلمة هي أغيب لكم منها لقلتها (٤) ، ذلك أن العقيدة أمر عظيم وثمان الاحتفاظ بها فادح ،

- 
- (١) وكما نصّ عليه الحديث الذي أخرجه البيهقي وابن جرير في تفسير : عن أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر قال : أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئناً بالإيمان ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - " ان عادوا فعد " البيهقي / في كتاب المرتد / باب المكره على الردة ج ٨ / ٢٠٨ ، وابن جرير ج ١٤ / ١٨١ طبعة الحلبي .
- (٢) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ / ٩١٢ ، سورة النحل آية ١٠٦ ، فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ١٢ / ٣١٦ .
- (٣) مجمع الزوائد للهيتمي ٢٩٣ / ٩ ، سيرة ابن هشام ٢٧٩ / ١ .
- (٤) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ / ٩١٢ .

الوجه الثاني : أن قولهم : ( ولن تغلحوا اذنا أبدا ) هو للتشديد والتحذير وأن المراد من الفلاح : الفلاح الكامل ، فالتلفظ بالكفر حالة الاكراه وان كان جائزا الا أن العزيمة تركه والأخذ بها هو الفلاح الكامل (١) .

الوجه الثالث : أن المؤاخذة على الاكراه كان جاريا في الأمم السابقة ورفع المؤاخذة على الاكراه من خصائص هذه الأمة ، قال ابو سليمان الجمل في حاشيته على الجلالين (٢) : - ( واستشكل الحكم عليهم بعدم الفلاح مع الاكراه المستفاد من : ( إن يظهروا ... )

اذ المُكْرَه لا يُؤاخذ بما أكره عليه لخبر : " رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . " (٣) .

وأجيب بأن المؤاخذة به كانت في غير هذه الشريعة بدليل : " وما أكرهتنا عليه من السر " ، وخبر ( رفع عن أمتي ... ) ١٠١ هـ

قلت : فأهل الأمم الماضية لا يحق لهم أن يتلفظوا بكلمة الكفر تقيّة ولا أن يعملوا ذنبا مع حصول الاكراه فخفف الله عن هذه الأمة ورخص لها فيما كان مشددا على غيرها من الأمم ، كما قال تعالى : ( ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ) - الأعراف / ١٥٧ -

فالمؤاخذة على الذنوب مع الاكراه كانت من الأصر الذي كان على من قبلنا ، ويدل على ذلك إثم النسيان والخطأ وهو مرفوع عن هذه الأمة وكانت الأمم السابقة تؤاخذ عليه كما قال تعالى : ( ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ) ثبت في مسلم (٤) عن ابن عباس أنها لما نزلت وأذعن الصحابة لها ودعوا بها قال الله : ( قد فعلت ) .

---

(١) تفسير ابي السعود ٢١٤/٥ ، وانظر تفسير سورة الكهف ، ابو الأجد شير على شاه .

(٢) حاشية الجمل ج ٣ / ١٥ .

(٣) الحديث موجود في كتب السنة بلفظ ( ان الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . " وسيأتي تخريجه قريبا .

(٤) صحيح مسلم / كتاب الايمان / باب تجاوز الله عن حديث النفس ( شرح النووى ج ٢ / ١٤٥ ) .

وقد جمع الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذه الرخص الثلاث في قوله :  
( ان الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ) (١) .  
فيدل هذا الحديث بمفهومه أن الأمم السابقة كانت تؤخذ على هذه الأمور  
كما يدل على ذلك ما أشار إليه الجمل في حاشيته : وهو قول السحرة :  
" انا آمننا برينا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ،  
والله خير وابقى " طه / ٧٣ .

فهذا فرعون قد أكرههم على تعلم السحر وأكرههم ايضاً على معارضة  
موسى به ، ولذلك فان السحرة بسبب علمهم أن الاكراه على الكفر مؤاخذ  
به آمنوا فوراً لما رأوا آية موسى عليه السلام حيث اطمأنت قلوبهم للحق  
الذي علموه ولكونهم كانوا مُكرهين على هذه المعارضة وهم لم يعرفوا أنهم  
أُكروهوا على السحر وارتكاب المعصية الا بعد أن خالط الايمان قلوبهم فعلموا  
به ماهو حلال وماهو حرام فلا يُنافى ذلك قولهم قبل اسلامهم " أئن لنا  
أجراً إن كنا نحن الغالبين " ولا قولهم " قالوا بعزة فرعون انا لنحن  
الغالبون "

لأنهم قالوه اثناء كفرهم وتسلط فرعون عليهم ، والكفر حجاب على القلب  
وعلى العقل يحول بين الكافر وبين معرفة ماهو حق وصواب ولذلك لما رأوا  
آية موسى عليه السلام وما فيها من إعجاز خروا سجداً لله كما قال تعالى :  
( فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون فألقى السحرة ساجدين  
قالوا آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون ، قال آمنتم له قبل أن آذن  
لكم ، إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلست تعلمون ، لأقطعن أيديكم وأرجلكم  
من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا نصبر إننا الى ربنا منقلبون ، إننا نطمع  
أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين ) الشعراء / ٤٥ - ٥١ .

فهذا الكلام الذي حكاه الله عنهم لايمدر الا عن تهيأ قلبه للايمان  
وكان عنده معرفة وعلم بالشرائع ومايوجب الرضا والسخط ولكن حجاب الكفر  
وظروف السيطرة الفرعونية وتعلم السحر منعتهم من الايمان قبل رؤية المعجزة

---

(١) أخرجه ابن ماجه ج١/٦٥٩ كتاب الطلاق / باب طلاق المكره عن ابي  
ذر الغفاري وابن عباس رض الله عنهم . والطبراني عن ابن عمر وغيره  
مجمع الزوائد ٢٥٠/٦ كتاب الحدود / باب الناسي والمُكره ، والحاكم عن ابن  
عباس رض الله عنهما كتاب الطلاق ج٢/١٩٨ وقال الحاكم صحيح على شرط  
الشيخين ووافقه الذهبي ، والحديث حسنه ابن حجر في تلخيص الحبير / ١٠٩  
والنووي في الأربعين وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير ج٢/١٠٢ رقم ٢٧٢٧ وفي  
ارواء الغليل ج١/١٢٣ رقم ٨٢ .

والذى يتلخص من حكاية السحرة أنهم كانوا مُكرهين على السحر  
ومؤاخذين عليه كما هو مفهوم السياق ، وهذا دليل على أن الأمم التى  
قبلنا كانت تؤاخذ على ما تُنكره عليه وذلك من الإصر والاضلال التى كانت  
عليهم ، وانا ثبت كل ما تقدم تبين لنا كيف أن أصحاب الكهف قالوا ما قالوه  
من أنهم لو رجعوا الى ملة أهل بلدهم وهى الوثنية ولو ظاهرا فإنهم  
لن يفلحوا أبدا وذلك لعلمهم أنهم مؤاخذون على ما يُكرهون عليه ولا يصح  
لهم بحال إظهار الكفر ولو تقية وهذا الوجه هو الظاهر عندى لما  
تقدم والله تعالى اعلم (١).

---

(١) انظر : زاد المسير لابن الجوزى ٢٠٨/٥

روح المعانى ٢٣٢/١٥

دفع ايها الاضطراب للشنقيطى / ١٨٩ - ١٩٠ .



٢٢- قوله تعالى: (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) التحريم / ١٠ -  
هذه الآية تدل على أن الانبياء والمؤمنين قد يقتربون بزوجات موصوفات بالخيانة ، وقد وردت آيات أخرى تدل على خلاف ذلك وهي قوله تعالى :

( الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات ، أولئك مبرأون مما يقولون ، لهم مغفرة ورزق كريم . ) - النور / ٢٦ -

والجواب : انه ليس بين مدلول هذه الآيات ما يوهم التعارض ، لأن لفظ الخيانة في قوله تعالى : ( فخانتاهما لم يُرد به خيانة الزوج بمعنى الفجور والزنا ، وإنما المراد به : خيانة الكفر وإباحة أسرار البيت ، حيث إنه من المعلوم أن الاقتران بالكافرة كان جائزا في الشرائع السابقة ، ويدل عليه امرأة نوح و لوط اللتان يقال لهما يوم القيامة : ( ادخلا النار مع الداخلين ) ،

ويدل عليه أيضا قوله تعالى: ( وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابني عندك بيتا في الجنة ٠٠٠ ) - التحريم / ١١ -  
فثبت الله تعالى انها امراته مع أنه كافر ، فدل ذلك على صحة ما قلنا ، واذنا علم ذلك فإن قوله تعالى : ( فخانتاهما ) المراد به خيانة الكفر لأنهما كانتا كافرتين تخفيان الكفر ، ولمظاهرتيهما قومهما على الرسولين ، قال حبر الأمة ابن عباس<sup>(١)</sup> رضي الله عنهما - :

( إن امرأة نوح كانت تقول لقومه إنه مجنون ، وامرأة لوط كانت تدل قومها على نزول ضيف إبراهيم )

ولا يجوز أن تكون خيانتهم بالفجور والزنا ، قال ابن عباس : ( ما بغت امرأة نبي قط إنما كانت خيانتهم في الدين )<sup>(٢)</sup>  
ومما يدل على أن الخيانة لا يلزم حملها على الزنا ما قال علماء اللغة ، فقد قال الراغب الاصفهاني<sup>(٣)</sup> : ( الخيانة والنفاق واحد إلا أن

(١) اخرج ذلك الحاكم في المستدرک ج٢ / ٤٩٦ ، وصححه ، ووافقه الذهبي

وانظر الدر المنثور للسيوطي : ج٨ / ٢٢٨

(٢) مستدرک الحاكم : ج٢ / ٤٩٦ كتاب التفسير ، الدر المنثور : ٢٢٨ / ٨

تفسير الماوردي : ٢٦٧ / ٤ ، تفسير الرازي : ٥٠ / ٣٠ ، تفسير ابن كثير : ٦١٤ / ٤  
روح المعاني : ١٣٢ / ٣٠ ، (٣) المفردات : ١٦٣ مادة خون

الخيانة تُقال اعتبارا بالعهد والأمانة ، والنفاق يُقال اعتبارا بالدين ، ثم يتداخلان ، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر ، ونقيض الخيانة : الأمانة ، وعلى ذلك قوله تعالى :

( يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا

أماناتكم وأنتم تعلمون ٠٠٠ ) - الانفال / ٢٧ -

وقوله تعالى : ( كانتا تحت عبيد من عبادنا حالين فخانتهما ٠ ) اهـ

أما قوله تعالى : ( الخبيثات للخبيثين ٠٠٠ ) فإنها نزلت

بشأن حادث الإفك في حق أم المومنين عائشة - رضي الله عنها - حين رماها عدو الله بالبهتان والغرية فبرأها الله من ذلك ،

(١)

أخرج الطبراني بسند رجاله ثقات عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

في قوله تعالى : ( الخبيثات للخبيثين ٠٠٠ ) الآية قال نزلت في عائشة

حين رماها المنافق بالبهتان والغرية فبرأها الله من ذلك ٠ )

والمنافق هو عبد الله بن أبي ، وهو الخبيث وكان أولى بشأن

تكون له الخبيثة ويكون لها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم —

طيبا فكان أولى أن تكون له الطيبة ، وكانت عائشة طيبة وكانت أولى

بأن يكون لها الطيب (٢)

فالخبيثات الواردة في الآية : المراد بها : الفاجرات الزواني

وقد ورد في الحديث : ( أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر

الخبيث ٠ ) (٣) أي الفجور والزنا ، وعلى هذا فإن الانبياء عليهم السلام

لا يمكن أن يقتربوا بالخبيثات وهن الفاجرات الزانيات لما في ذلك من

تنفير الناس عنهم وعن دعوتهم ، وحيث إنهم معاة الفضيلة ومكارم الاخلاق ،

بعكس الكفر ، فقد يقتربون بالكافرات كما حصل مع نوح ولوط عليهما

السلام ، وذلك أن الأيمان أمر باطني يمكن اخفاؤه ، إضافة الى أن الكفار

لا يرون الكفر قبيحا أو منكرا ، وذلك بخلاف الفجور والزنا الذي يمقته

كل ذي فطرة سليمة ، وكل ذي عقل متنور ،

ولذلك لما بايع النبي صلى الله عليه وسلم - نساء قريش على الاسلام

(١) لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي : ١٥٧ ، الدر المنثور : ١٦٨ / ٦

(٢) فتح البيان ، للعلامة صديق حسن خان : ج١ / ٣٤١

(٣) أخرجه البخاري : في الفتن ج٨ / ٨٨ باب رقم ٤ ، ومسلم في الفتن ايضا

(شرح النووي : ٣ / ٨ ) ونقل فيه تفسير الخبيث بالسوق والفجور والزنا

وانظر مسند احمد : ٦٩ / ٢ حيث ورد فيه معنى الديوث وهو الذي يقر الخبيث على اهله

الباب الثالث : ( موهم الاختلاف في مضمون القرآن )

وهو من عشرة فصول :

الفصل الاول : موهم آيات العقيدة

الفصل الثاني : موهم آيات النبوة والرسالة

الفصل الثالث : موهم آيات المؤمنين

الفصل الرابع : موهم آيات اهل الكتاب

الفصل الخامس : موهم آيات المشركين

الفصل السادس : موهم آيات المنافقين

الفصل السابع : موهم آيات الاحكام

الفصل الثامن : موهم الآيات الكونية

الفصل التاسع : موهم آيات الجهاد

الفصل العاشر : موهم آيات القيامة والحساب

الفصل الاول : موهم آيات العقيدة

هذا الفصل يبحث في الآيات المتعلقة بالعقيدة ، حيث وردت آيات قرانية تتحدث عن أمور تتعلق بالايمان بالله والرسول واليوم الآخر ونحو ذلك مما هو من الأمور الاعتقادية ، وبعض هذه الآيات قد يتوهم منها أن بينها اختلافا أو تعارضا سأذكرها بمشيئة الله وأدفع ما يتوهم من ذلك مع بيان توافقها وانسجامها

- ١- قوله تعالى : ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) بالاسراء /  
١٥ هذه الآية الكريمة تدل على أن الله تعالى لا يُعَذِّبُ أحدا حتى يبعث إليه رسولا يُنذره ويدعوه الى الله ، ونظير ذلك قوله تعالى : ( رسلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئلا يكون للناس على الله حُجَّةٌ بعد الرسل ) - النساء / ١٦٥ وقوله تعالى : كَلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجَ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا ٠٠٠٠ ) - الملوك / ٨ -  
وقد جاءت آيات أخرى قد يُفهم من ظاهرها أن أهل الفترة (١) وهم الذين لم تبلغهم دعوة الرسل - في النار ، كقوله تعالى : ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ) - التوبة / ١١٢ -  
فهذه الآية تدل بعمومها على دخول كل مشرك في النار ومنهم أهل الفترة وكذلك قوله تعالى : ( إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ) - البقرة / ١٦١ -  
وقوله تعالى : ( ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما ) - النساء / ١٨ -  
وقوله تعالى مخاطبا الانصار وعموم أهل الايمان : ( وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ) - آل عمران / ١٠٢ -  
والجواب أن أهل الفترة ومن في حكمهم معذورون فلا يحكم عليهم

---

(١) وكذلك من في حكمهم من الذين كانوا في عهد رسول ولم تبلغهم دعوته ومن هؤلاء مثل أهل القطبين وأهل الغابات الاستوائية النائية التي لا يصلها أحد ، وفي حكم هؤلاء أهل البلاد الشيوعية ونحوها الذين سمعوا بالاسلام على وجه يُنفرهم منه وليس عندهم ما يُرغبهم في الاسلام  
(٢) تفسير ابن كثير : ج١ / ٥٨٢ ، زاد المسير لابن الجوزي : ج١ / ٤٢٢

بأنهم من أهل النار لعديم مجيء رسول يُنذِرهم ويدلهم الى الحق وما فيه  
سعادة الدارين<sup>(١)</sup> ، وقد بين الله تعالى أنه لا يُعذب أحداً إلا بعد قيام  
الحُجة عليه كما قال : ( لئلا يكون للناس على الله حُجة بعد الرسل )  
وقد أخبر الله تعالى أن الرسول قد جاء لينذر قوماً ما أنذر آباؤهم  
( لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون ) - يس / ٦ -  
وما داموا لم يُنذروا فهم معذورون بعدم وجود النذير الذي يهديهم الى  
الحق ( أم يقولون افتروه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم  
من نذير من قبلك لعلمهم بهتدون ) - السجدة / ٣ -  
( يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يُبين لكم على فترة من الرسل  
أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير<sup>(٢)</sup> ) - المائدة / ١٩ -  
ويؤكد عذر أهل الفترة ومن في حكمهم أن جميع الذين يُلقون في  
النار يعترفون بمجيء الرسل اليهم وأنهم كذبوهم كما قال تعالى :  
( كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ قالوا بلى  
قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا فسي  
ضلال كبير ) - الملك / ٨ - ومعلوم أن كلمة كَلَّمَا من صيغ العموم ،  
فهذا تصريح بأن كل فوج من أهل النار قد جاءتهم الرسل في دار الدنيا  
وهذا بخلاف أهل الفترة ومن في حكمهم الذين لم تبلغهم دعوة رسول<sup>(٣)</sup>

(١) وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة ، وخالف في ذلك الماتريدية  
والمعتزلة ، فقالوا : إن العقل موصل لمعرفة الله ، فوجود الله عندهم  
وتوحيده واجبان بالعقل فلا عذر لمن اشرك بالله وكفر به حتى لو لم  
يأتهم رسول ، لأن الكفر معلوم قبحه بالضرورة كما هو قول المعتزلة ، أو  
لأن معرفة الله يستقل العقل بادراكها لوضوحها كما هو قول الماتريدية ما  
وَحَمَلُوا قَوْلَهُ تَعَالَى : ( وما كنا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ) على عذاب الاستئصال  
في الدنيا ، أو أن المراد بالرسول هو العقل ، وعلى قولهم هذا ليس  
هناك تناقض بين الإلهات كما هو ظاهر ، انظر :

تفسير الرازي : ج١ / ١٧٣-١٧٤ ، متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار : ج٢ / ٤٦٠

الكشاف للزمخشري : ج٢ / ٤٤١ ، تفسير التبيان للطوسي : ج١ / ٤٥٧

الارشاد للجويني : ٢٥٩ ، تفسير ابن كثير : ج٢ / ٥١ الاسراء / ١٥

مجموع الفتاوى لابن تيمية : ج١٧ / ٣٠٨ ، روح المعاني للالوسي : ج١٥ / ٣٩

التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ج١٥ / ٥٢

(٢) المراد بالاية بيان حكمة الله من بعثة الرسل وهي قطع معذرة أهل الكتاب عند  
مؤآخذتهم في الآخرة أو تقريحتهم في الدنيا على ما غيروا من شرائعهم ، لئلا

يكون من مجازيرهم أنهم اعتادوا تعاقب الانبياء لارشادهم وتجديد الايانية ، فلعلمهم أن  
يعتذروا بأنهم لما مضت عليهم فترة بدون إرسال رسول لم يتجه عليهم ملام فيما أهملوا  
من شرعهم فأنهم لو جاءهم رسول لاهتدوا ( التحرير والتنوير : ج١٥ / ١٥٩ )

(٣) تفسير ابن كثير : ج٣ / ٤٧ الاسراء / ١٥ ، أصواء البيان للشنقيطي : ج١٠ / ١٧٨-١٨٢

كما أن قوله تعالى : ( وما كنا مُعذِّبين حتى نبعث رسولا ) تدل بعمومها على أن الله تعالى لا يُعذب أحداً بنوع من العذاب دنيوياً كان أو آخروياً حتى يبعث إليه رسولا يهدي الى الحق ويردع عن الضلال ويقيم الحجج<sup>(١)</sup> وعلى تسليم أن المناسب لسياق الآية أن المراد هو العذاب الدنيوي<sup>(٢)</sup> فالجواب : أنه إذا دلَّت الآية على أن اللائق بالحكمة أن لا يُعذب أحدٌ في الدنيا على ترك واجب قبل بعثة الرسول فدلالتها على أن لا يُعذب أحدٌ العذاب الأكبر وهو عذاب الآخرة من باب أولى<sup>(٣)</sup> قال قتادة<sup>(٤)</sup> :

( إنَّ الله تعالى ليس يُعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبر أو

يأتيه من الله بينة ، وليس معذبا أحداً الا بذنبه )

قال الشوكاني<sup>(٥)</sup> - رحمه الله - ( والظاهر أنه لا يعذبهم لافئ الدنيا

ولا في الآخرة إلا بعد الإعذار اليهم بمرسال الرسل ) اهـ

قلت : لما دلت عليه الآيات من أن أهل النار يعترفون بإرسال الرسل اليهم وأنهم كذبوهم ، كما قال تعالى : ( وسيق الذين كفروا الى جهنم زُمرًا حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها : ألم يأتيكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ ، قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ) - الزمر/ ٧١ -

الى غير ذلك من الآيات الدالة على انه تعالى لا يعذب احدا الا بعد ارسال الرسل

(١) قال العلامة ابن عاشور : ( وهي دليل على انتفاء مؤآخذة أحد ما لم تبلغه دعوة رسول من الله الى قومه ، فهي حجة للاشعري ناهضة على الماتريدي والمعتزلة الذين اتفقوا على إيصال العقل الى معرفة الله ..... وتأويل المعتزلة أن يُراد بالرسول العقل تطوُّح عن استعمال اللغة وإغماض عن كونه مفعولا لفعل ينبعث ، ان لا يقال بعث عقلا بمعنى جعل )  
التحرير والتنوير : ج٥ / ٥٢ وانظر : الكشاف بحاشية ابن المنير ج١ / ٤٤١  
والفصل لابن حزم ج٤ / ١٠٥

(٢) وهو قول كثير من المفسرين انظر : تفسير الطبري ج٥ / ١٥٤ طبع الطب

تفسير ابن كثير : ج٣ / ٤٧ الاسراء / ١٥ ، القرطبي : ٢٣١ / ١٠ ، روح المعاني : ٣٧ / ١٥

(٣) انظر : روح المعاني : ج٥ / ٣٦ ، التحرير والتنوير لابن عاشور : ج٥ / ٥٢

(٤) تفسير الطبري : ج٥ / ٥٤ طبعة الطب

(٥) فتح القدير للشوكاني : ج٣ / ٢١٤ ، وانظر تفسير القرطبي ج١٠ / ٢٣١

الفصل لابن حزم : ج٤ / ١٠٥ ، محاسن التأويل للقاسمي : ج١٠ / ٣٩١٣

ومجيء النذير ، وأنه تعالى لا يُكلف نفساً إلاّ وسعها ، وليس في وسع أحد علم الغيب ، والقول بأن أهل الفترة عندهم بقية إنذار مما جاءت به الرسل الذين أرسلوا قبله - صلى الله عليه وسلم - تقوم عليهم بها الحجة (١) يردّه صريح القرآن بنفي أصل النذير عنهم قال تعالى : ( لَتُنذِر قوما ما أَنذُر آباؤهم فهم غافلون ) - يس/٦ - وقال تعالى : ( بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك ... ) - السجدة/٣ - كما أنّ المسألة أعمّ من كونها تخصّ أهل الفترة ، بل يدخل فيها كل مَنْ لم تبلغه الدعوة ولم يسمع بالاسلام ، وهذا أمر واقع فمثل هؤلاء لم يُبعث اليهم رسول وصريح الايات يدل على أنهم معذورون لأنهم لم يُنذروا ولم تقم عليهم الحجة فلا يكلفهم الله فوق وسعهم

وأما الايات التي تدل بعمومها على أنّ كل كافر مصيره النار ، كقوله تعالى : ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ) التوبة/١١٣ فإن مثل هذه الآية محمولة على معنك أنهم أُنذروا ودُعوا الى الاسلام وامتنعوا من الدخول فيه بعد أن عرفوا الحق ، وذلك مثل أبي طالب ونحوه ممن أدرك الاسلام ولم يؤمن ومات على كفره (٢)

فمثل هؤلاء هم الذين تبين لنا أنهم من أصحاب الجحيم بخلاف من مات ولم يُدرك الاسلام ، أو لم يطله خبر الاسلام حتى مات ، وقد أوضح لنا القرآن مَنْ هم أصحاب الجحيم في قوله تعالى : ( وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَ مَصِيرًا ) - النساء/ ١١٥ -

---

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (ج٣/٢٩٦) حيث قال : ( ان من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فهو من اهل النار ، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره من الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ) اهـ

(٢) اخرج البخاري ومسلم عن سعيد بن المسيب عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم - يعرض عليه كلمة التوحيد وحوله بحضوره ومن قريش يقولون له : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله يعرضها عليه حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال رسول الله : أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله تعالى فيه الآية . البخاري : كتاب الجنائز ، باب اذا قال المشرك عند الموت : لا إله إلا الله ج٢/٩٨ ، ومسلم : في كتاب الايمان ، باب الدليل على صحة اسلام من حضره الموت ( شرح النووي : ج١/ ٢١٤ )

وتبين الهدى ظهوره واتفاحه بالبرهان والدليل ، وسبيل المؤمنين هو ما بينه الله تعالى في آيات القرآن من معرفة الحق والعمل على مقتضاه وهو صراط الله المستقيم ، والآية صريحة في أن الوعيد بجهنم هو لمن يُشاقق الرسول وأهل الايمان ويعادي الحق بعد أن يتضح له ويظهر بدلائله فيعرض عنه عنادا واستكبارا ، أو اتباعا لشهوة أو جاه زائل ونحو ذلك من الموانع ، وهذا يقتضي أن تكون دعوة الحق قد بلغت على وجهها الصحيح دون تحريف أو تشويه ،

فمن لم تبلغه الدعوة أو بلغت مشوهة مُحَرَّفة وعلى وجه يُنفره منها فلم يتضح له الحق ولم يتبين له الهدى فكل هؤلاء لا ينالهم هذا الوعيد كما هو مفهوم الآية (١)

وقوله تعالى : ( إنَّ الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم

لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ) - البقرة / ١٦١ -

ونحو ذلك من الآيات محمول على من كفر بالرسول بعد أن جاءت البيئات ومات على ذلك ، ويدل لهذا قوله تعالى : ( ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ) - هود / ١٧ - أي من يكفر بالرسول أو القرآن الذي جاء به ، فبرسالة خاتم المرسلين - صلى الله عليه وسلم - لم يبق عذر لأحد، فكل من بلغته دعوة الاسلام وبان له الحق فلم يؤمن فليس له إلا النار التي أعدت للكافرين

وأما قوله تعالى : ( وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها )

فان المراد من ذلك أنهم كانوا على شفا حفرة من النار عندما دُعوا الى الاسلام بادء ذي بدء فأبى كثير منهم ثم وفقهم الله وهداهم للاسلام فأنقذهم بذلك من النار لأنهم لو أصروا على كفرهم ولم يؤمنوا برسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - لكانت النار مصيرهم ، فالآية جاءت في معرض الامتنان عليهم ببيان فضل الله عليهم ورحمته بهم أن هداهم للإيمان وكفر غيرهم ، فلو لم يؤمنوا بعد قيام الحجة عليهم لوقعوا في النار ، لأن من كفر بعد مجيء الرسالة فليس له عذر وانما مصيره النار كما قال تعالى : ( ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ) أي ومن كفر بالقرآن من الأحزاب وهم سائر أهل الارض ممن بلغه الاسلام (٢) ويدل على ان الوعيد

(١) انظر تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت : ٢٢٧ - ٢٣٠

طبعة دار الشروق

(٢) تفسير ابن كثير : ج٢/ ٦٨٢ هود / ١٧ ، وانظر أضواء البيان للشنقيطي ج١ / ٦٧



مشروط ببلوغ الدعوة قوله تعالى : ( لأنذركم به ومن بلغ ) بالانعام / ١٩ -  
وفي صحيح مسلم (١) عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله -  
صلى الله عليه وسلم - قال : ( والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحدٌ من  
هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار )

قال سعيد بن جبير (٢) أحد رواة الحديث : وقلما سمعت عن رسول  
الله - صلى الله عليه وسلم - إلا وجدت له تمديقا في القرآن ، حتى وجدت هذه  
الآية : ( ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ) قال الأحزاب : الملل كلها

قال الامام النووي (٣) : ( وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيها

على من سواهما ، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب فاذا كان هذا شأنهم  
مع أن لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى . ) اهـ

قلت : فالرسول - صلى الله عليه وسلم - جعل دخول النار لمن سمع به ولم  
يؤمن به ، وهذا يُخرج أهل الفترة ومن في حكمهم ممن جاء بعد الاسلام  
ولم يسمع بالاسلام أو سمع به لكن علي وجه ينفره منه لأنه لا بُدَّ  
للإيمان بالاسلام من وجود الحجة والدليل والمرغبات ،

وهذا واجب المسلمين اليوم أن ينهضوا ليبلغوا دين الله الى كل الناس  
حتى يسمعوا بالاسلام ديننا خاتما للأديان ، وأنه حق الله على العباد ولا  
يرضى بغيره ديننا ، وأنه طريق السعادة في الدنيا والاخرة ، ولا بد من  
إقامة الحجج والبيئات لكل أفراد البشر ( ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من  
حي عن بينة )

هذا وهناك وجه آخر في تفسير قوله تعالى : ( وكنتم على شفا  
حفرة من النار ) (٤) ذكره العلامة محمد الطاهر بن عاشور وهو : ( ان شفا  
حفرة النار هنا تمثيل لحالهم في الجاهلية حين كانوا على وشك الهلاك  
والتفاني الذي عبر عنه زهير بقوله :

" تفانوا ودقوا بينهم عطر منشَم " بحال قوم بلغ بهم المشي الى

شفا حفير من النار كالاخذود فليس بينهم وبين الهلاك السريع التام الا خطوة  
قصيرة ، واختيار الحالة المشبه بها هنا لأن النار من أشد المهلكات إهلاكا  
وأسرعا ، وهذا هو المناسب في حمل الآية ليكون الامتنان بنعمتين محسوستين  
هما : نعمة الأضوة بعد العداوة ونعمة السلامة بعد الخطر (٥٠٠) اهـ

(١) صحيح مسلم : كتاب الايمان ، باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد ( شرح النووي : ١٨٠٦/٢

والحاكم في المستدرک عن ابن عباس . وقال صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي

( المستدرک : كتاب التفسير ، سورة هود ، ج ٢ / ٢٤٢ )

(٢) انظر : الدر المنثور للسيوطي : ج ٤ / ٤١١ ، المستدرک : ج ٢ / ٣٤٢ كتاب التفسير ،

وقال صحيح ، وانظر تفسير ابن كثير : ج ٢ / ٦٨٢ هود / ١٧

(٣) شرح النووي على مسلم : ١٨٨/٢ (٤) التحرير والتنوير : ج ٤ / ٥٣

إذا تقرر ما تقدم فاننا نجد أنّ الآيات متوافقة في معانيها ولا مجال لتوهم الاختلاف بينها ، واذا كان أهل الفترة ومن في حكمهم معذورين ولا يحكم عليهم بالنار فما هو مصيرهم ؟  
الجواب : هو ما ثبت في الحديث (١) من امتحان أهل الفترة وكذا الأعمى والأحمق والمهرم ، يُمتحنون يوم القيامة بالأمر باقتحام النار ، فمن اقتحمها دخل الجنة وهو الذي كان يُصدّق الرسل لو جاءته في الدنيا لأن الله يعلم ما كانوا **عاجلين** لو جاءتهم الرسل (٢)  
أخرج الامام أحمد (٣) وابن حبان (٤) والبيهقي (٥) وابن جرير (٦) وغيرهم (٧) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( أربعة يحتجون يوم القيامة ، رجل أعمى لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ورجل مات في الفترة ، فأما الأعمى فيقول : رب جاء الاسلام وما أسمع شيئاً وأما الأحمق فيقول : رب قد جاء الاسلام والمبيان يحذفونني بالبعر ، وأما الهرم فيقول : رب لقد جاء الاسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ما أتاني لك رسول ، فيأخذ موثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم أن ادخلوا النار ، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن لم يدخلها يُسحب إليها ) وفي رواية ابن جرير : فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قبل ، قال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم : ( وما كنا مُعذّبين حتى نبعث رسولا )

قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كلامه عن أهل الجاهلية (٨) :  
(فهو لاء لا يهلكهم الله ويعذبهم حتى يبعث إليهم رسولا ، وقد رويت آثار متعددة في أن من لم تبلغه الرسالة في الدنيا فإنه يُبعث اليه رسول يوم القيامة في عرصات القيامة ، وقد زعم بعضهم (٩) أن هذا يخالف دين المسلمين ، فإن الآخرة لا

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ( ج٣ / ١٩٥ ) : وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة ١٠هـ وقال البيهقي في الاعتقاد : ( ص : ١١١ ) : وهذا اسناد صحيح وقال الهيثمي ( مجمع الزوائد : ج٢ / ٢١٦ ) : بعد ان ذكر من رواه : ورجاله في طريق الاسود بن سريع وأبني هريرة رجال الصحيح وكذلك رجال البزار فيهما وقد احتج به ابن حزم في الفصل : ج٤ / ١٠٥ على عذر من لم تبلغه الدعوة (٢) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٣٠٨ / ١٧٠ ، تفسير ابن كثير : ١٥٩ / ٣ الاسراء / ١٥ فتح الباري : ج٢ / ١٩٥ ، اضواء البيان للشنقيطي : ج١٠ / ١٨٥

(٣) في مسنده : ج٤ / ٢٤ من رواية الاود بن سريع  
(٤) في صحيحه : كتاب القدر ، باب فيمن لم تبلغهم الدعوة وغيره ( موارد الظمآن : ٤٥٢ )  
(٥) في كتاب الاعتقاد : ١١١ ، تحقيق كمال الحوت ، ط١ عالم الكتب ، بيروت  
(٦) تفسير ابن جرير : ج١٥ / ٥٤ طبعة الحلبي  
(٧) قال الهيثمي ( مجمع الزوائد : ج٢ / ٢١٦ ) رواه احمد والبزار ، هذا لفظ احمد .....  
(٨) مجموع الفتاوى : ج٣٠٨ / ١٧٠ (٩) نقل القرطبي ( ح٩ / ٢٣٢ ) عن ابن عطية قوله : ( وأما ما روي أن الله تعالى يبعث اليهم يوم القيامة والى المجانين والاطفال فحديث لا يصح ، ولا يقتضي ما تعطيه الشريعة من أن الآخرة ليست دار تكليف ) ١٠هـ

تكليف فيها ، وليس كما قال إنما ينقطع التكليف اذا دخلوا دار الجزاء الجنة أو النار ، ولأفهم في قبورهم ممتحنون ومفتونون ، يقال لأحدهم من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ وكذلك في عرصات القيامة يقال : ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ، فدل ذلك على أن المحنة إنما تنقطع اذا دخلوا دار الجزاء وأما قبل ذلك الجزاء امتحان وبلاء (٠) اهـ

(١) وقال ابن كثير رحمه الله - بعد أن ساق الاحاديث المختمة بأهل الفترة ونحوهم : ( ومنهم من ذهب الى أنهم يُمتحنون يوم القيامة في العرصات ، فمن أطاع دخل الجنة وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ، ومن عصى دخل النار داخرا وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة ، وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها ، وقد صرح به الاحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض ، وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة ، وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد ، وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ والنقاد (٠) اهـ

ثم أجاب رحمه الله على من ضعف أحاديث الباب وأن الآخرة دار جزاء وليست دار عمل وابتلاء فقال : ( والجواب عما قال : أن أحاديث الباب منها ما هو صحيح كما نص على ذلك كثير من أئمة العلماء ، ومنها ما هو حسن ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن ، واذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها وأما قوله : إن الآخرة دار جزاء فلا شك أنها دار جزاء ، ولا يُنافي التكليف في عرصاتهما قبل دخول الجنة والنار كما حكاه الشيخ أبو الحسن عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الاطفال ، وقد قال تعال : ( يوم يُكشف عن ساق ويدعون الى السجود ٠٠٠ ) الآية - القلم / ٤٢ - وقد ثبت في الصحاح<sup>(٤)</sup> وغيرها أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة ، وأن المنافق لا يستطيع ذلك ويعود ظهره كالصفيحة الواحدة طبقا واحدا كلما أراد السجود خرّ لقفاه ،

- (١) تفسير ابن كثير : ج٣ / ٥١ الاسراء / ١٥  
(٢) ص : ١١١ طبعة عالم الكتب ، تحقيق كمال الحوت  
(٣) هو الامام ابو عمر بن عبد البر النمري صاحب كتاب التمهيد ، احد اعلام المذهب المالكي ، من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخ اديب من مصنفاته : الاستيعاب ، جامع بيان العلم وفضله ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد انظر : وفيات الأعيان ج٢ / ٢٤٨ ، الاعلام للزركلي ج٨ / ٢٤١  
(٤) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب ٢٤ قول الله : وجوه يومئذ ناظرة ٠٠٠ ج٨ / ١٨٢ ومسلم ، كتاب الايمان ، باب اثبات رؤية الله سبحانه ( شرح النووي : ج٣ / ٢٣ عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا

وفي الصحيحين (١) في الرجل الذي يكون آخر أهل النار خروجا منها أن الله يأخذ عهوده ومواثيقه أن لا يسأل غير ما هو فيه ، ويتكرر ذلك مرارا ويقول الله تعالى : يا بن آدم ما اغدرك ، ثم يأذن له بدخول الجنة (٢) (٠٠٠) هـ (٢)

قلت : والحاصل أن السؤال في القبر والامر بالسجود في أرض المحشر والعهود والمواثيق التي تؤخذ على آخر من يدخل الجنة ، كل ذلك تكليف وابتلاء يسبق دخول الجنة والنار ، فدل ذلك على عدم صحة إطلاق القول أن الآخرة ليس فيها ابتلاء وامتحان ،

وعلى فرض التسليم أن دار الآخرة دار جزاء بجملتها ومنها عرصات المحشر ، فأحاديث امتحان أهل الفترة ونحوهم مخصص لهذا العموم (٣) لثبوت تلك الأحاديث كما تقدم والله ولي التوفيق

وأما الأحاديث التي وردت في عذاب بعض أهل الفترة فالجواب

عنها من وجهين :

الوجه الأول : أنها أحاديث آحاد لا تعارض القطع بعدم التعذيب قبل البعثة الوارد في قوله تعالى : ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) لأنه تعالى تمدح بكمال الإنصاف ، وصرح بأنه لا يُعذَّب حتى يقطع حُجبة المعدَّب بإنذار الرسل في دار الدنيا ، فلو عذَّب سبحانه إنسانا واحدا من غير إنذار لاختلت تلك الحكمة ، كما أن الآيات القرآنية صرحت بنفي أصل النذير عن أهل الفترة ولا عذاب إلاَّ بإنذار (٤)

الوجه الثاني : أن تُحمل الأخبار الواردة في عذاب بعض أهل الفترة على أنهم قد علم مصيرهم بعد الامتحان ، وأعلم الله نبيه بذلك والنبي - صلى الله عليه وسلم - إنما يُخبر عما يُوحى إليه ، وإخبار النبي عن بعض أهل الفترة أنهم في النار لا يعني الحكم على الجميع ،

وهذا الوجه موافق لما تقدم من وجه الجمع بين الآيات وبه تتفق الأدلة ، وهو أولى من إهمال الأخبار الصحيحة وإن كانت آحادية ظنية الثبوت

قال الألبوسي (٥) : ( يجوز أن يكون تعذيب من صح تعذيبه منهم لأمر مختص به يقتضي ذلك علمه الله تعالى وأعلمه لنبيه - صلى الله عليه وسلم - نظير

ما قيل في الحكم بكفر الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام مع أنه صبي ..... وقيل أن تعذيب هؤلاء المذكورين في الأحاديث مقصور على من غير وبدل من أهل الفترة بما لا يُعذر به كعبادة الأوثان وتغيير الشرائع كما فعل عمرو بن لحي )

(١) البخاري : كتاب التوحيد باب ٢٤ ، قول الله تعالى وحوه يومئذ ناضرة ٠٠٠ ج١/١٨٢

ومسلم في كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية الله تعالى : ( شرح النووي : ج٣ / ٢٣ )

(٢) يراجع بقية كلام ابن كثير حيث أحاب أيضا عن شبهة : كيف يكلفهم الله دخول النار

وليس ذلك في وسعهم

(٣) انظر : أضواء البيان للشنقيطي ج١٠ / ١٨٦

(٤) روح المعاني للألبوسي ج٤٠ / ٤٠ ، أضواء البيان ١٨٢ / ١٠ شرح جوهرة التوحيد : ٢٩

(٥) روح المعاني ج٥٠ / ٤٠ - ٤١

٢- قوله تعالى : ( إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ) - الرعد/٧ -  
هذه الآية تدل على أن لكل قوم هاديا ، وقد جاء في بعض الآيات  
ما قد يُفهم منه أن بعض الأقوام لم يكن له هادٍ وهي قوله تعالى :  
( لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون ) - يس/٦ -  
وقوله تعالى : ( لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ) - السجدة/٣  
وقوله تعالى : ( يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يُبين لكم على فترة من  
الرسول ) - المائدة / ١٩ -

فالقوم الذين لم يُنذر آباؤهم هم قريش وكفار أهل الكتاب  
حيث كانت هناك فترة من الرسل بين نبي الله عيسى عليه السلام وبين  
نبي الله محمد خاتم الانبياء - صلى الله عليه وسلم - ، وهذه الفترة خاصة  
بأهل الكتاب ، أما فترة العرب فهي ممتدة من مبعث اسماعيل عليه السلام  
الى مبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث إن عيسى عليه السلام لم  
يُبعث الا لبني اسرائيل كما هو معلوم لأن رسالته خاصة وليست عامة (١)  
وعلى هذا فكيف التوفيق بين الآية التي تثبت أن لكل قوم هاد  
وبين الآيات التي تدل على وجود فترة بين الرسل وأن الرسول بُعث الى قوم  
لم ينذر آباؤهم ؟

الجواب من وجهين : الوجه الاول : وهو مروى عن ابن عباس من  
طريق علي بن ابي طلحة (٢) أن معنى قوله تعالى ( ولكل قوم هاد ) اى لكل قوم  
داع يدعوهم اما الى الخير والهدى كالانبياء ، واما الى الشر والردى مثل  
الشياطين ودعاة الفجور والضلال ،

واستعمال الهدى في الارشاد الى الضلال والشر موجود في القرآن

كقوله تعالى : فاهدوهم الى صراط الجحيم ) - الصافات/ ٢٣ -  
وقوله تعالى : ( ولا يهديهم طريقا الا طريق جهنم ) - النساء/١٦٩ -  
وعلى هذا الوجه فإن قوله تعالى : ( ولكل قوم هاد ) لا يعني أن لكل  
قوم نبي ، بل المراد : لكل قوم داع للخير أو الشر كما هو واقع البشر (٣)  
ولأن هناك اقواما لم يأتهم نبي وهم أهل الفترة كما هو صريح قوله تعالى :  
( لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون ) - يس/٦ -

(١) تفسير القرطبي : ج٥/١٥ ، روح المعاني ج٢٢/٢١٢ ، ج٢٠/٨٧

(٢) تفسير ابن جرير ج١٢/١٠٨ طبعة الطلبي ، الدر المنثور : ج٤/٦٠٧

وانظر تفسير ابن كثير : ج١/٧٧٦ الرعد/٧ ، زاد المسير : ج٤/٢٠٧

(٣) انظر : اضواء البيان للشنقيطي : ج١٠/١٦٤

فهؤلاء لم يأتهم نذير يهديهم الى الحق والصراط المستقيم ،  
وأما الآية التي فيها أنّ كل أمة لا تظلوا من نذير وهي قوله تعالى  
: ( وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ) - فاطر / ٢٤ -  
وأيا قوله تعالى : ( وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ ) - يونس / ٤٧ -  
فإنّ هذا دليل على أنّ كل أمة من الأمم لم تخل من نبي ، بخلاف  
الأقوام ، لأن القوم جزء من الأمة ، فأمة العرب مثلا بُعث فيها اسماعيل  
عليه السلام (١) ثم تطاول العهد حتى أصبح بعض هذه الأمة أهل فترة  
ليس فيها نذير وهم قوم الرسول وآباؤهم ، لذا فإنّ نفي النذير عن  
القوم لا يعني نفيه عن الامة كما هو واضح ، ولذلك فان عموم قوله  
تعالى : ( لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم ) يدخل فيه اليهود والنصارى  
فان كلا منهم أمة لها رسول ، لكن لما تباعد العهد وفشا فيهم الكفر  
وظلوا ، أصبحوا كغيرهم من أهل الفترة بحاجة الى النذير ليهديهم الى الحق ،  
فالمعاصرين للنبي - صلى الله عليه وسلم - من اليهود والنصارى هم وآباؤهم  
الأذنون قوم لم يُنذروا ، وهذا لا يعني أنهم ليسوا بأمة ، بل اليهود  
أمة أرسل لها موسى وغيره من الانبياء عليهم السلام ، لكنّ المعاصرين  
للنبي - صلى الله عليه وسلم - لم يأتهم نذير ولا آباءهم الأذنون وكذا النصارى (٢)  
وعلى هذا فليس هناك ما يدعو لقوم التعارض أو الاختلاف بين قولنا :  
لم تظلو أمة اليهود وأمة النصارى من الانبياء والنذر ، وبين قولنا : اليهود  
والنصارى المعاصرين للنبي وآباؤهم الأذنون قوم لم ينذروا

#### الوجه الثاني :

وهو قول مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد (٣) أنّ معنى : ( ولكل قوم هاد )  
: لكل أمة نبي كقوله تعالى : ( وإن من أمة الا خلا فيها نذير ) وقوله :  
( ولكل أمة رسول ) فاستعمل القوم هنا وأراد الأمة ، وهذا موجود بكثرة في  
إطلاق القرآن : كما قال تعالى : ( ولقد أرسلنا نوحا الى قومه ) بالمؤمنون  
وقال : ( وانكر آخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف ) - الاحقاف / ٢١ -  
وقال ( قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ) - الاعراف / ١٢٨ -  
التي غير ذلك من الايات ، ومعلوم أن قوم نوح أمة وكذا قوم صالح وهود  
وغيرهم من الانبياء عليهم السلام ، فهذا دليل على أنه يطلق على الأمة قوم

(١) معلوم ان العرب كانوا على دين ابراهيم واسماعيل ولم يزالوا على ذلك الى ان  
فشت فيهم عبادة الاصنام وهم لم تشملهم دعوة عيسى وموسى عليهما السلام لان دعوتيهما

ليس لعموم الناس بل لخصوص بني اسرائيل

(٢) انظر تفسير الرازي : ج٦ / ٤٢

(٣) تفسير الطبري : ج١٢ / ١٠٨ طبعة الحطبي ، الدر المنثور : ج٤ / ٦٠٧

تفسير ابن كثير ج٢ / ٧٧٦ الرعد / ٧ ، زاد المسير لابن الجوزي : ج٤ / ٣٠٧

فكلُّ أُمَّةٍ قَوْمٌ وليس كلُّ قومٍ أُمَّةً ، وعلى هذا فإنَّ قوله تعالى :  
( ولكل قوم هاد ) لا يُنافي قوله تعالى : ( لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم )  
لأن القوم في الآية الاولى بمعنى الامة التي لاتخلو من نذير ، فالآية على  
على هذا كقوله تعالى ( وإن من أُمَّةٍ الا خلا فيها نذير ) ، وقوله :  
( ولكل أمة رسول ) ، وقد أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما رواه  
الترمذي وابن ماجة (١) واحمد (٢) وابن جرير (٣) والحاكم (٤) عن معاوية بن حيدة  
القشيري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :  
( أنتم تتسمون سبعين أُمَّة أنتم خيرها وأكرمها على الله ) ،  
فالأمم محصورة في سبعين أُمَّة لم تخل أمة منها من رسول ، فلذلك فإن  
من لم يُنذر كقوم الرسول وآبائهم الأذنون ونحوهم يُعتبروا قوم وليسوا أُمَّة  
مستقلة بل هم بعض من الأمة ، قال الالوسي رحمه الله بعد كلام :  
( أو تعتبر العرب أمة وبني اسرائيل أمة ونحو ذلك أمة دون أهل عصر  
واحد ، وتحمل من لم يأتيهم نذير على جماعة من أمة لم يأتيهم بخصوصهم  
نذير ومما يُستأنس به في ذلك أنه حين ينفى اتيان النذير ينفى عن  
قوم لا عن أمة فليتأمل . ) اهـ

(٦)

وقد أيد العلامة الشيخ الشنقيطي - رحمه الله - هذا الوجه فقال :  
( وأقرب الأوجه المذكورة عندنا هو ما يدل عليه القرآن العظيم ... وهو أن  
معنى الآية : ( ولكل قوم هاد ) أي لكل أمة نبي ، فليست يا نبي الله  
بدعا من الرسل ، ووجه دلالة القرآن على هذا كثرة إتيان مثله فسي  
الآيات كقوله : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا  
الطاغوت ) - النحل / ٣٦ - وقوله : ( ولكل أمة رسول ) - يونس / ٤٧ -  
وقوله : ( وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ) - فاطر / ٢٤ -

- (١) الترمذي : في التفسير ، باب ومن سورة آل عمران رقم : ٣٠١ ، ج٥ / ٢٢٦ وقال : حسن  
وابن ماجة : في الزهد رقم : ٤٢٨٨ ج٢ / ١٤٣٣ باب صفة أمة محمد  
(٢) في مسنده ج٥ / ٢٥٥  
(٣) في تفسيره : رقم : ٧٦٢٢ ج٧ / ١٠٤ ، تحقيق محمود شاکر  
(٤) في المستدرک کتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر فضائل هذه الامة ج٤ / ٨٤  
وقال صحيح الاسناد ووافقه الامام الذهبي  
قال الحافظ ابن حجر - في فتح الباري ج٨ / ١٦٩ طبعة دار المعرفة - : ( وهو حديث  
حسن صحيح اخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجة والحاكم وصححه ، وله شاهد مرسل  
عن قتادة عند الطبري رجاله ثقات ) اهـ

(٥) روح المعاني : ج٢١ / ١١٧

(٦) اضواء البيان ج١٠ / ١٦٧

وعليه فالحكمة من الإخبار بأن لكل أمة نبياً أن المشركين عجبوا من إرساله  
- صلى الله عليه وسلم - إليهم كما بيّنه قوله تعالى : ( أكان للناس عجباً أن  
أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ) - يونس / ٢ -  
وقوله : ( بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ) - ق / ٢ -  
وقوله تعالى : ( وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا  
أبعث الله بشراً رسولا ) - الاسراء / ٩٤ -  
فأخبرهم أن إنذاره لهم ليس بعجب ولا غريب لأن لكل أمة منذراً ،  
فلاية كقوله : ( قل ما كنتُ بدعاً من الرسل )  
وقوله : ( إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ) - النساء  
١٦٣  
والعلم عند الله تعالى . ) اهـ

قلت : وبهذا يتضح لنا أن قوله تعالى : ( ولكل قوم هاد ) على  
هذا الوجه بمعنى : ولكل أمة رسول ، وأن قوله تعالى : ( ولقد بعثنا في  
كل أمة رسولا : أن اعبدوا الله ... ) دلنا على أن المراد بالقوم في قوله  
تعالى : ( ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ... ) ونحو ذلك من الآيات : الأمة ،  
فنوح رسول أرسل إلى أمة وهو يخاطبها بقوله : يا قوم اعبدوا الله ،  
فهو هاد تلك الأمة أي نبيها ، وعلى هذا ينتفى توهم الاختلاف بين  
قوله تعالى : ( ولكل قوم هاد ) وبين قوله تعالى : ( لتنذر قوما ما أنذر  
آبائهم ... ) لأن القوم في الآية الأولى بمعنى الأمة والقوم في الثانية  
بمعنى الجزء من الأمة ، ونفي النذير عن جزء من الأمة لا يعني نفيه  
عن كل الأمة كما هو معلوم ، والله ولي التوفيق



٣ - قوله تعالى : ( ٠٠٠ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ) المائدة / ٤٨ -  
هذه الآية تدل على أن لكل أمة شريعة وطريقة تتبعها وتختلف عن الأخرى  
فكل أمة مكلّفة بشريعة رسولها التي جاء بها ،

وقد جاءت آيات أخرى قد يُتوهم من ظاهرها خلاف ذلك منها :  
قوله تعالى : ( أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ٠٠ ) - الانعام / ٩٠ -  
والمقصود بقوله " أولئك " : الانبياء المذكورين في سياق الآيات المتقدمة ،  
فهذه الآية فيها الأمر باتباع هدى الانبياء

ومنها قوله تعالى : ( هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة  
أبيكم إبراهيم ٠٠٠ ) - الحج / ٧٨ - ومعنى الآية : إن الله وسّع علينا  
في الدين ملة إبراهيم عليه السلام دين الحنيفية السمحة ،

ومنها قوله تعالى : ( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي  
أوحينا إليك ، وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا  
تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتب إليه من يشاء  
ويهدي إليه من ينيب ) - الشورى / ١٣

وفي هذه الآية أوضح سبحانه أن دين الله واحد ، وصى به جميع الانبياء  
وهذا في الظاهر قد يتوهم منه منافاة مدلول الآية الأولى والتي تدل  
على أن الله جعل لكل أمة شريعة كُلفت بها

والجواب : أن الآيات القرآنية التي تُثبت أن دين الانبياء واحد

وأن الله شرع لنا ما وصى به نوحا وغيره من المرسلين ، وأن الملة واحدة  
واننا مأمورون بالاعتداء بهداهم ونحو ذلك ، هذه الآيات المراد بها :

الأمور التي لا تختلف الشرائع فيها واتفقت عليها وصايا الانبياء ودعوتهم  
وذلك في أمر التوحيد ونبذ الشرك واليمان بالرسول واليوم الآخر والتقرب  
الى الله بأركان العبادات وهي الصلاة والزكاة والصيام والحج ، والالتزام بأصول  
الاخلاق والمعاملات كالاخلاص والصدق والامانة وصلة الرحم وتحريم الكذب والقتل  
والزنا والاعتداء ونحو ذلك مما شرعه الله سبحانه لكل أمة مما لا يُستغنى  
عنه في حياة البشر من الكليات والأمور الجامعة التي لا تختلف باختلاف

الأمة أو الزمان ، وعلى هذا فملة الانبياء واحدة كما قال البارئ :

( ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ٠٠ ) - البقرة / ١٣٦ -

ذلك أن ملة إبراهيم هي التوحيد ، ونبذ الشرك ، والحنيفية السمحة : ( وقالوا

كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين )

وقال الله تعالى : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا

الطاغوت ) - النحل / ٣٦ -

فعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت - وهو كل ما يُتبع ويُعبد من دون الله -

كل ذلك ملة الانبياء وهداهم الذي أمرنا باتباعه ،

وأما الآية التي تُثبت أن لكل أمة شريعة ومنهاجا فالمراد بذلك :  
الفروع الجزئية والاحكام التفصيلية في العبادات والمعاملات والجهاد ونحو  
ذلك من الأمور التي شرعها الله لكل أمة في كل زمن بما يتناسب مع  
مع مصالحها ويلائم زمانها ، أو بما تقتضيه الحكمة وإرادة الله في ابتلاء  
البشر ، وقد أخبر النبي بهذا المعنى حيث روى البخاري (١) عن أبي هريرة  
- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :  
( أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والاخرة ، والأنبياء  
إخوة لعلات (٢) أمهاتهم شتى ودينهم واحد . )

" فالشرائع مختلفة في الأوامر والنواهي ، فقد يكون الشيء في  
هذه الشريعة حراما ثم يُحل في الشريعة الأخرى وبالعكس ، وخفيفا فيزاد في  
الشدة في هذه دون هذه ، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة  
والحجة الدامغة . " (٣)

هذا وقد اتفقت كلمة العلماء على معنى ما تقدم في توجيه الآيات  
وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشرائع إجمالا (٤) وأسوق هنا بعض كلامهم  
للإيضاح وتأكيد المعنى ، قال الامام الشاطبي (رحمه الله - :  
( قال الأصوليون : إن الضروريات مُراعاة في كل ملة ، وهكذا يقتضي الامر  
في الحاجيات والتحسينيات ، وقد قال تعالى : ( شرع لكم من الدين ما وصى به  
نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا  
الدين ولا تتفرقوا فيه ٠٠٠ ) ، وقال : ( فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل )  
- الاحقاف / ٣٥ - وقال : ( وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ) بالمطبعة  
وقال : ( أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ) - الانعام / ٩٠ -  
وكثير من الآيات أخبر فيها بأحكام كُلية كانت في الشرائع المتقدمة وهي  
في شريعتنا ولا فرق بينها ، قال تعالى : ( ملة أبيكم ابراهيم ) ، وقال :  
إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ) - طه / ١٤ -  
وقال : ( كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ٠٠ ) -

(١) في صحيحه : كتاب الانبياء ، باب ٤٨ وانظر في الكتاب مريم ٠٠٠٠ ج ٤ / ١٤٢

(٢) اخوة لعلات : اخوة لأب ، يشير الى اتفاق الشرائع في التوحيد والاصول واختلاف  
شرائعهم المعبر عنه بقوله : " أمهاتهم شتى " ، واخوة لأُم هم الاخياف ، والاشقاء

هم الاعيان ،

(٣) تفسير ابن كثير : ج ٢ / ١٠٦ المائدة / ٤٨

(٤) انظر : احكام القرآن لابن العربي : ١٦٦٦ / ٤ ، زاد المسير : ٣٧٣ / ٢ ، الرازي : ١٢ / ٤

١٣٨ / ٢٠ ، ١٥٧ / ٢٧ ، مجموع الفتاوى لابن تيمية : ج ١٩ / ١٠٧ ، تفسير ابن كثير : ١٠٦ / ٢ ،  
الموافقات : ٧٩ / ٣ ، القرطبي : ٢١١ / ٦ ، ١٠ / ١٦ ، روح المعاني : ١٩٣ / ٦ ، ٢٠ / ٢٥ ، ٩٦ / ٣

(٥) الموافقات : ج ٣ / ٧٩ - ٨٠ (٦) المراد بالضروريات : هي حفظ الدين والنفس

والعقل والعرض والمال ، فحفظ هذه الامور وتشريع ما يؤدى الى حمايتها متفق عليه  
في كل الشرائع

وقال : ( وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ) - المائدة / ٤٥ -  
الى سائر ما في ذلك من معاني الضرورات وكذلك الحاجيات ، فإننا نعلم أنهم  
لم يُكلفوا بما لا يُطاق ، هذا وإن كانوا قد كُلفوا بأمر شاق ، فذلك لا يدفع أصل  
اعتبار الحاجيات ومثل ذلك التحسينيات ، فقد قال تعالى : ( أأنكم لتأتون الرجال  
وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر ) ، وقوله : ( فبهذا هم اقتده ) يقتضي  
بظاهرة دخول محاسن العادات من الصبر على الآتي والدفع بالتى هي أحسن  
وغير ذلك ، وأما قوله تعالى : ( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ) فإنه  
يصدق على الفروع الجزئية وبه تجتمع معاني الآيات والأخبار . اهـ

وقال الامام ابن العربي<sup>(١)</sup> - رحمه الله - عند قوله تعالى :

( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ... ) الآية قال :  
( ووصيناك يا محمد ونوحا دينا واحدا يعني في الأصول التي لا تختلف فيه  
الشرائع ، وهي : التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب الى الله  
تعالى بمباح الاعمال والتزلف إليه بما يرد القلب والجارحة اليه ، والصدق  
والوفاء بالعهد وأداء الامانة وطه الرحمة وتحريم الكفر والقتل والزنا والادايعة  
للخلق كيفما تصرفت ، والاعتداء على الحيوان كيفما كان ، واقتحام الدناءات ،  
فهذا كله شرع دينا واحدا وملة متحدة لم يختلف على السنة الانبياء وان  
وان اختلفت اعدادهم ، وذلك قوله تعالى : ( أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه )  
واختلفت الشرائع وراء هذا في معاني حسبما أراد الله واقتضته المصلحة ووجبت  
الحكمة وضعه فتي الازمنة على الامم والشعوب . ) اهـ

قلت : وبهذا يتبين لنا ما اتفقت فيه الشرائع وما اختلفت فيه وأن  
كل أمة لها شريعتها الخاصة بها كما قال تعالى : ( ولكل أمة جعلنا منسكا

هم ناسكوه .. ) - الحج / ٦٧ -

ونرى بذلك توافق الآيات في معانيها وانه لا تناقضي بينها ، وانها تثبت ان  
دين الانبياء واحد وهو التوحيد وعبادة الله ، وما يحفظ للناس ضروراتهم

(١) احكام القرآن : ج٢ / ١٦٦٦

(٢) وبهذا الجمع الذي تقدم احتج من قال : إننا غير ملزمين بشرائع من قبلنا  
اطلاقا ، وهم أكثر الحنفية وكثير من أصحاب الشافعي ومالك ، قالوا :  
ويؤكد ذلك ان قوله تعالى : ( اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده )  
والمراد بالهدى طريقهم في الايمان والتوحيد واصول الدين دون الشرائع  
القابلة للنسخ ، فانها بعد النسخ لا تبقى هدى ، وهم ايضا مختلفون في  
الشرائع فلا يمكن التأسى بهم جميعا ، وعلى ذلك فلا يمكن الاحتجاج بهذه الآية  
الآية على وجوب اتباع شرائع الانبياء فيما عدم فيه النص - كما هو مذهب  
معظم اصحاب مالك واصحاب الشافعي وجماعة من الحنفية - لأن لكل أمة شرعة =

وحاجاتهم ، والدعوة الى محاسن العادات ومكارم الاخلاق والاعمال ؛ كما  
أن كل دين جاء بأحكام جزئية وتفصيلية لبعض الاحكام تغاير الشريعة  
الاخرى بما يناسب الامة والزمان حسبما تقتضيه الحكمة الربانية المبنية  
على مُراعاة مصالح العباد ، رحمة من الله بخلقه وابتلاءً لهم ،  
فلهذا اختلفت الشرائع كما قال تعالى: ( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا )  
والله الموفق

---

== ومنهاجا يختلف عن الآخر ، وما أمرنا أن نقتدي به هو ما أجمعوا  
عليه من الايمان وأصول الدين ومكارم الاخلاق والاعمال مما هو ملة جميع  
الانبياء ، ولهذا قال الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: ( وكيف  
يُحكّمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ) - المائدة / ٤٣ -  
: ( احتج جماعة من الحنفية بهذه الآية على أن حكم التوراة وشرائع  
من قبلنا لازم علينا ما لم يُنسخ ، وهو ضعيف ولو كان كذلك لكان  
حكم التوراة حكم القرآن في وجوب طلب الحكم منه ، لكن الشارع نهى عن  
النظر فيها ، بل المراد هذا الأمر الخاص وهو الرجم ، لأنهم طلبوا  
الرخصة بالتحكيم . ) اهـ

انظر : احكام القرآن لابن العربي ١٦٦٦/٤ ، تفسير الرازي : ١٤٢/١١  
القرطبي : ٣٥/٧ ، ابن كثير: ١٠٦/٢ المائدة ٤٨٧ زاد المسير: ٣٧٣/٢  
روح المعاني: ج٧/ ٢١٦ ، الموافقات للشاطبي : ج٣/ ٧٩

٤ - قوله تعالى : ( ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما ) - النساء / ٩٣ -<sup>(١)</sup>

هذه الآية ظاهرها أنّ من يقتل مؤمنا متعمدا عدوانا فإن مصيره النار والغضب واللعنة وشدة العذاب ، والاية أطلقت هذا الوعيد ولم تقيده بشيء ، وقد جاءت آيات أخرى تدل على أنّ القاتل إذا تاب تاب الله عليه أو أنه تحت المشيئة ، قال الله تعالى :

( والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلقَ أثاما يُضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يُبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ) - الفرقان / ٦٨ - ٧٠ -

فهذه الاية استثنت التائب من الوعيد الشديد ، وكذلك عموم آيات التوبة مثل قوله تعالى : ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ) - الزمر / ٥٢ -

وهذا عام في جميع الذنوب ومنه القتل ، فالقاتل أسرف على نفسه وهو مطالب أن لا يقنط من رحمة الله ، وكذلك قوله تعالى : ( إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) - النساء / ٤٨ - ، وهذه الآية عامة في جميع الذنوب ما عدا الشرك ، فكل من أذنب ذنبا ولم يتب منه فهو تحت المشيئة إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ، إلا الشرك فلا بُدّ له من توبة ،

إذا تبين ذلك فإنّ هذه الآيات لاتنافي مدلول آية النساء والتي فيها الوعيد بدخول جهنم خالدا فيها لمن قتل مؤمنا متعمدا عدوانا ، وذلك من وجهين :

(١) نزلت هذه الاية في مقيس بن صُبابة ، اخرج ابن جرير الطبري ( ٦١ / ٩ ) من طريق ابن جريج عن عكرمة أنّ رجلا من الانصار قتل أبا مقيس بن صبابة ، فأعطاه النبي - صلى الله عليه وسلم - الدية فقبلها ثم وثب على قاتل أخيه فقتله ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لا أوّ منه في حل ولا حرم ، فقتل يوم فتح مكة ، قال ابن جريج : وفيه نزلت هذه الآية :

ومن يقتل مؤمنا متعمدا ( ٠٠٠٠ ) الاية

وذكر الواحدي في أسباب النزول أنها نزلت في مقيس هذا لكن بسياق آخر انظر : أسباب النزول للواحدي ص : ١٦٤ النساء / ٩٣

الا أن المفسرين مجمعون على أنها نزلت في كافر قتل مؤمنا ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ومن أجل هذا ذكرت هذه الاية مع ما يُتوهم انه ينافيها

### الوجه الاول :

أَنَّ آية النساء التي فيها التوعد بجهنم لقاتل العمد مطلقاً قيدها آيات التوبة ، فيحمل المطلق على المقيّد ، فيكون التقدير : " ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم إلا من تاب ١٠٠٠ " ، وقد علم من نصوص الشريعة أَنَّ الله سبحانه يقبل التوبة عن عباده ولا يرد تائباً ، وقد أخبر سبحانه في آية الفرقان أَنَّ عقوبة الشرك والقتل والزنا مضاعفة العذاب في جهنم ، ثم استثنى من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ، وهو خير لا يجوز نسخه وهو عام في حق المشركين والمؤمنين ، وعلى هذا فإن المراد بالآية : فجزاؤه جهنم إن لم يكن معه توبة ، بيّن ذلك قوله تعالى في الآية " وغضب الله عليه ولعنه " ومعلوم من حال التائب أَنّه حبيب الله وَأَنّه لا يُلعن ولا ينزل به الغضب من الله بل يناله الرضا والمغفرة كما دلت على ذلك النصوص منها قوله تعالى : ( وإنّي لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً اهتدى ) - طه / ٨٢ - ومنها قوله تعالى : ( فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ) - المائدة / ٣٩ - ونحوها من الآيات ،

ثم إنه تعالى أوعد في القرآن من ارتد بعد إيمانه بأشد من وعيد القاتل ، ومع ذلك استثنى من تاب وهو قوله تعالى : ( كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أَنّ الرسول حق وجاءتهم البينات ، والله لا يهدي القوم الظالمين ، أولئك جزاؤهم أَنّ عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، خالدين فيها لا يُخفف عنهم العذاب ولا هم يُنظرون ، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ) - آل عمران / ٨٦ - ٨٩ - فهذه دلت أن الوعيد الشديد لا يقتضي عدم قبول التوبة ، وأنّ

المراد بالوعيد هو من لم يتب

وأما الأحاديث : فثبت في الصحيحين (١) خبر الاسرائيلي الذي قتل مائة نفس ثم سأل عالماً هل لي من توبة فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ ثم أرشده الى بلد يُعبد الله فيه فهاجر اليه فمات في الطريق فقبضته ملائكة الرحمة فهذا الرجل ممن تاب وأصلح فتاب الله عليه ، وانا كان هذا في بني اسرائيل فلأن يكون في هذه الامة التوبة مقبولة أولى وأحرى ، لأن الله وضع عنا الإسر والأغلال التي كانت عليهم ، وقد بُعث نبينا بالحنيفية السمحة

(١) اخرج البخاري : كتاب الانبياء ، باب ٥٤ حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب ج٤/١٤٨

ومسلم : كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله : ( شرح النووي ١٧/٦٤ ) عن ابي سعيد الخدري مرفوعاً

وفي الصحيحين<sup>(١)</sup> أيضا عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاحَةٌ )

وإذا كان الشرك وهو أعظم الذنوب وأشدّها تمحوه التوبة الى الله فكيف بما هو دونه من المعاصي والتي من جملتها القتل عمدا ، ولذلك فإن كلّ وعيد في القرآن إذا أُطلق فهو مشروط بعدم التوبة باتفاق العلماء ،

كما في قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي بَطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ) - النساء / ١ -  
فهذا الوعيد هو في حق من لم يتب ويردّ الحق إلى أهله ، ومثله القاتل عمدا إذا تاب وأتاب<sup>(٢)</sup>

ومن الجدير بالذكر أنّ ابن عباس - رضي الله عنهما - يرى أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا ، أخرج البخاري ومسلم<sup>(٣)</sup> عن سعيد بن جبير قال : ( اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت الى ابن عباس فسألته عنها فقال : نزلت هذه الآية : ( ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم ٠٠٠ ) هي آخر ما نزل وما نسخها شيء ) ، وفي رواية : قلت لابن عباس : ألمن قتل مؤمنا متعمداً من توبة ؟ قال : لا ، فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان ( والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ٠٠ ) الآية ، قال هذه آية مكية ، نسختها آية مدنية : ( ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم ٠٠ ) اهـ

قلت : ومراده بقوله : نسختها آية مدنية : أي خصت عمومها بالنسبة للقتل ، ويدل على ذلك الرواية الأخرى<sup>(٤)</sup> عنه لما سئل عن قوله تعالى : ( والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ٠٠ ) قال نزلت في أهل الشرك ، يعني أنهم يعذرون بكفرهم وجهالتهم بحدود الله بخلاف من أسلم وعقل الاسلام وعرف الحلال والحرام فلا توبة له اذا قتل ،

(١) البخاري : في الدعوات ، باب التوبة ، ج ٧ / ١٤٦ واللفظ له

ومسلم في التوبة ، باب الحض على التوبة ( شرح النووي : ج ١٧ / ٦٤ )

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار : ١٠٤ ، زاد المسير : ١٦٨ / ٢

تفسير الرازي : ١٠ / ٢٤٥ - ٢٤٦ ، تفسير القرطبي : ج ٥ / ٢٢٢

مجموع الفتاوى لابن تيمية : ج ١٦ / ١٨ - ٢٢ ، تفسير ابن كثير : ج ١ / ٨١٤ النساء / ٩٣

فتح القدير للشوكاني : ج ١ / ٤٦١ ، لوامع الانوار للسفاريني : ج ١ / ٣٧٠

روح المعاني للالوسي : ج ٥ / ١١٥ - ١١٦

(٣) البخاري كتاب التفسير : سورة النساء ، باب من يقتل مؤمنا متعمدا ج ٥ / ١٨٢  
ومسلم : كتاب التفسير : ( شرح النووي ج ١٨ / ١٥٨ )

(٤) المصادر السابقة نفس الكتب والابواب

قال الامام النووي<sup>(١)</sup> - رحمه الله - : ( هذا هو المشهور عن ابن عباس ،  
وروى عنه : أن له توبة وجواز المغفرة له لقوله تعالى : ( وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا  
أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ) - النساء / ١١٠ -  
فهذه الرواية الثانية هي مذهب جميع أهل السنة والصحابة والتابعين ومن بعدهم  
وما روي عن بعض السلف مما يخالف هذا محمول على التغليظ والتحذير من  
القتل والتأكيد في المنع منه ) . اهـ

قلت : ذكر ابن كثير في تفسيره<sup>(٢)</sup> نقلا عن ابن أبي حاتم من ذهب من  
السلف أنه لا توبة للقاتل وهم : زيد بن ثابت وأبو هريرة وعبد الله بن  
عمر والحسن وقتادة والضحاك ، وما روي عنهم محمول على التغليظ كما قال  
الامام النووي ، وكذلك أن المقتول لا يسقط حقه بالقتل ،  
قال الامام ابن تيمية<sup>(٣)</sup> - رحمه الله - : ( ولكن يُقال لا تقبل توبة القاتل  
بمعنى أنه لا يسقط حق المظلوم بالقتل ، بل التوبة تُسقط حق الله  
والمقتول مطالبه بحقه ، وهذا صحيح في جميع حقوق الأدميين حتى الدين ،  
لكن حق الأدمي يُعطاه من حسنات القاتل ، فمن تمام التوبة أن يستكثر من  
الحسنات حتى يكون له ما يقابل حق المقتول ، ولعل ابن عباس رأى أن  
القتل أعظم الذنوب بعد الكفر فلا يكون لما حبه حسنات تقابل حق المقتول  
فلا بد أن يبقى له سيئات يُعذَّب بها ، وهذا الذي قاله قد يقع من بعض  
الناس ، فيبقى الكلام فيمن تاب وأخلص وعجز عن حسنات تعادل حق المظلوم  
هل يجعل عليه من سيئات المقتول ما يُعذَّب به ؟ وهذا موضع دقيق على  
مثله يحمل حديث ابن عباس ، لكن هذا لا يُنافي موجب الآية وهو أن الله  
يغفر كل ذنب الشرك والقتل والزنا وغير ذلك من حيث الجملة ) . اهـ

قلت : ويدل على مراد ابن عباس بعدم قبول توبة القاتل أنه لا يسقط  
حق المظلوم بالقتل ما رواه الامام أحمد<sup>(٤)</sup> والنسائي<sup>(٥)</sup> والترمذي<sup>(٦)</sup> وابن  
ماجة<sup>(٧)</sup> من طرق متعددة : أن ابن عباس سُئل عمّن قتل مؤمنا متعمدا ثم

(١) شرح النووي على صحيح مسلم : ج١٨ / ١٥٨

(٢) تفسير ابن كثير : ج١ / ٨١٣ النساء / ٩٣

(٣) مجموع الفتاوى : ج١٦ / ٢٥ (٤) المسند : ج٤ / ١٤ بسند صحيح ، تحقيق احمد

(٥) سنن النسائي : كتاب تعظيم الدم ، باب تعظيم الدم ج٧ / ٨٥ واللفظ له شاعر

(٦) سنن الترمذي : في التفسير : باب ومن سورة النساء ، وقال حسن غريب ج٥ / ٢٤٠

(٧) سنن ابن ماجه : كتاب الديات ، باب هل لقاتل المؤمن توبة رقم : ٢٦٢١ ج٢ / ٨٧٤

ورواه ايضا ابن جرير الطبري : رقم : ١٠١٨٨ تحقيق محمود شاعر

قال ابن كثير : وقد روى هذا عن ابن عباس من طرق كثيرة ( ج١ / ٨١٣ )



تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ، فقال ابن عباس : وأنسى له التوبة سمعت نبيكم - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( يجيء متعلقا بالقاتل تشخب اوداجه دما ، فيقول : اى رب سل هذا فيم قتلني )

وبهذا يتبين لنا معنى ما روى عن ابن عباس انه لا توبة له ، وأن مراده التغليظ والتحذير من القتل ، وكذلك إثبات حق المقتول وأن التوبة لا تُسقط حق من قتل ظلما ، بل لابد من المقاصصة يوم القيامة ، وهذا في الجملة لا ينفي صحة توبة القاتل فيما بينه وبين الله كما دلت عليه النصوص قال الالوسي (١) عند تفسير الآية : ( واستدلّ بالآية والأحاديث المتضمنة للوعيد المعزلة على خلود من قتل مؤمنا متعمدا في النار ، وأجاب أهل السنة : بأن ذلك خرج مخرج التغليظ في الزجر لا سيما الآية ، لاقتضاء النظم له فيها كقوله تعالى : ( ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ) آل عمران ٩٧ . . . وشاع القول بنفي التوبة عن ابن عباس ، وأخرجه غير واحد عنه وهو محمول على ما ذكرنا ، ويؤيد ذلك ما أخرجه ابن حميد والنحاس عن سعيد بن عبيدة ( أن ابن عباس كان يقول : لمن قتل مؤمنا توبة ، فجاء رجل فسأله ألمن قتل مؤمنا توبة ؟ قال لا ، الى النار ، فلما قام الرجل قال له جلساؤه : ما كنت هكذا تفتينا ، كنت تفتينا أن لمن قتل مؤمنا توبة مقبولة فما شأن هذا اليوم ؟ قال : أظنه رجلا مغضبا يريد أن يقتل مؤمنا ، فبعثوا نبي أثره فوجدوه كذلك . )

وكان هذا شأن غيره من الاكابر فقد قال سفيان : كان أهل العلم إذا سُئلوا قالوا لا توبة له ، فاذا ابتلي رجل قالوا له : تُب . ) اهـ

#### الوجه الثاني :

أنّ الوعيد في الآية إخبار من الله تعالى بأن ذلك جزاؤه ، لا بأنه يجزيه به ، كيف لا وقد قال تعالى : ( وجزاء سيئة سيئة مثلها ) - الشورى / ولو كان هذا إخبار بأنه سبحانه يجزي كل سيئة بمثلها لعارضة قوله تعالى : ( ويعفو عن كثير ) - المائدة / ١٥ . وقوله : ( وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ) - الشورى / ٢٥ -

والجزاء عبارة عن المُستحق سواء فعل أو لم يفعل ، ولهذا يقال جزاء المحسن الإحسان وجزاء المسيء الاساءة ، ويقال لمن يقتل : جزاء هذا أن يُقتل

وهو كلام صادق وإن لم يفعل القتل وعلى هذا فإن قاتل المؤمن عمدا جزاؤه ما توعدده الله به لكنه داخل تحت المشيئة لأن معصية القتل دون الشرك كما قال تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ) - النساء / ٤٨ (١) وعلى هذا فإن الآية مخصوصة فيما إذا حصل عفو من قبل الله لقوله : ( وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ) وهذه الآية في حق غير التائبين ، لأن التائب من الشرك يُغفر له الشرك أيضا بنصوص القرآن واتفق المسلمون ، فالقاتل ولو لم يتب فهو داخل تحت المشيئة إن شاء الله عاقبه وإن شاء غفر له ، فكيف به إذا تاب

أخرج الامام البيهقي في كتاب الاعتقاد<sup>(٢)</sup> عن هشام بن حسان قال : ( كنا عند محمد بن سيرين فقال له رجل : ( ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم ٠٠ ) حتى ختم الآية ، قال : فغضب محمد وقال : أين أنت عن هذه الآية : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ) قُمْ فَأَخْرِجْ عَنِّي ) اهـ

وأخرج البيهقي أيضا عن قريش بن أنس قال : ( كنتُ عند عمرو بن عبيد في بيته فانشأ يقول لي : يُؤْتَى بي يوم القيامة فأقام بين يدي الله تعالى ، فيقول لي : لم قلتُ إنَّ القاتل في النار ، فأقول : أنتَ قلتَهُ ثم تلا هذه الآية : ( ومن يقتل مؤمنا متعمدا ٠٠ ) الآية فقلت له - وما في البيت أصغر مني - : رأيت إنَّ قال لك : فلإني قد قلتُ : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ) فمن أين علمتَ أنني لا أشاء أن أغفر لهذا ، قال فما استطاع أن يرد عليَّ شيئا . ) اهـ

قال ابن كثير<sup>(٤)</sup> - رحمه الله - : ( وبتقدير دخول القاتل في النار أما على قول ابن عباس ومن وافقه أنه لا توبة له ، أو على قول الجمهور حيث لا عمل له صالحا ينجو به ، فليس بمخد فيها أبداً ، بل الظنون هو المكث الطويل ، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - ( أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال نرة من إيمان ) ) اهـ

(١) الاعتقاد للبيهقي : ١٠٢ - ١٠٣ طبعة دار الكتب العلمية / بيروت

تفسير الرازي : ١٠ / ٢٤٥ ، مجموع الفتاوى : ١٦ / ١٨ ، القرطبي : ٥ / ٢٣٤  
تفسير ابن كثير : ١ / ٨١٥ النساء / ٩٣ ، روح المعاني للأوسى : ج ٥ / ٥١

(٢) الاعتقاد : ١٠٣ ، (٣) نقلا عن الأوسى : ج ٥ / ١١٦

(٤) تفسير القرآن العظيم : ج ١ / ٨١٥ وانظر القرطبي : ج ٥ / ٢٣٥

(٥) أخرج ذلك البخاري ، كتاب الإيمان ، باب ٣٣ زيادة الإيمان ونقصانه ج ١ / ١٦  
ومسلم : في كتاب الإيمان ، باب اثبات الشفاعة ، ( شرح النووي : ج ٢ / ٣٥ )

قلت : وبهذا يتبين لنا توافق الآيات وعلاقتها ببعضها ، وكيف أن كلَّ وعيد في القرآن إنما هو في حق مَنْ لم يتب ، فكل آية أُطلقت الوعيد تُحمل على الآيات التي قيِّدت ذلك بعدم التوبة ( وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُم الظالمون ) ، إضافة الى أن كل ذنب دون الشرك القتل فما سواه هو تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه ، وإن عاقبه وأدخله النار خرج بالشفاعة حيث لا يبقى في النار مُوحَّد بإذن الله تعالى ، والله أعلم وهو ولي التوفيق

٥- قوله تعالى : ( حتى إذا جاء أحدكم الموتُ توفته رسلنا وهم لا يُفِرُّون ، ثم رُدُّوا الى الله مولاهم الحق ، ألا له الحكم وهو أَسْرَعُ الحاسبين ) - الانعام / ٦١ -

هذه الآية يُفهم من ظاهرها أن الله تعالى مولى جميع العباد ويدخل في ذلك الكفار ، وقد جاءت آية أخرى قد يُفهم منها خلاف ذلك وهي قوله تعالى : ( ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ) - محمد / ١١ -

فهذه الآية فيها أن الكافرين لا مولى لهم ، فكيف التوفيق بين اليتين ؟

والجواب : أنَّ الولاية المثبتة غير الولاية المنفية ، فالمولى في آية الانعام أراد به أنهم رُدُّوا الى الله مالكم وخالقهم المتصرف فيهم بما شاء ، وهو المولى الحق وما دونه فهي أرباب باطلة اتخذوها في الدنيا ولا تغني شيئا انما المولى الحق هو من له الخلق والأمر والحساب والعقاب ، وهذا كقوله تعالى : ( فاعلم أنه لا اله الا الله ) محمد/ ١٩ اي فاعلم انه لا معبود بحق الا الله ، ان هناك معبودات باطلة اتخذها كثير من الناس واعتقدوها الهة ، بينما الله هو الاله الحق والمولى الحق ، وما دونه فهو طاغوت لا يضر ولا ينفع ، والامر كله لله يفعل ما يشاء سبحانه وتعالى

وأما قوله تعالى : ( وأن الكافرين لا مولى لهم ) : فأراد به أنه لا ناصر لهم في الدنيا والاخرة ، فالولاية المنفية هنا هي ولاية النصره والتأييد ، فالكافرون مصيرهم الهلاك والدمار ، وانا تأملنا سياق الآية وتدبرنا المعنى تأكد لنا ذلك : ( أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف

كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها) وهذه عاقبة أهل الكفر في كل مكان وزمان في مواجهة أهل الإيمان، (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) ، فمن اتخذ من دون الله أولياء فلا يجلب لنفسه الا الضر والخذلان ، قال الله تعالى :  
(اللهم ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا اولياءهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) - البقرة / ٢٥٧ - فأولياء الكفار إنما هم شياطين الانس والجن ، وهؤلاء إنما يتولون بعضهم لأجل المصلحة ، فاذا انقطعت تلك المصلحة تخلوا عن بعضهم وتبرأوا من بعض : ( والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ) - الانفال / ٧٣ - ( إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ) - الاعراف ٣٠ وهؤلاء يتبرأون من بعض يوم القيامة كما قال الباري : ( إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ) - البقرة / ١٦٦ - وقال : ( يوم لا يخفي مولى عن مولى شيئاً ولا هم يُنصرون ) الدخان / ٤١ - وقال : ( ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ) - العنكبوت / ٢٥ من أجل ذلك نفى الله تعالى أن يكون للكافرين أولياء بمعنى ولاية النصرة والتوفيق ، وإن كان لهم من دون الله المولى الحق مولى كثيرون ، لأن موالاتهم لهم إنما هي (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) - النور / ٣٩ وبهذا يتبين لنا توافق الايتين وانسجامهما<sup>(١)</sup> .

هذا وقد قال ابن جرير الطبري<sup>(٢)</sup> - رحمه الله - : إن المعنى :  
" ثم رُدُّوا: أي الملائكة الى الله سيدهم الحق " ، وعلى هذا التفسير ليس هناك ما يوهم الاختلاف ، انما الذي يترجم هو ما قدمته من معنى الآية وعليه بقية المفسرين ، ويؤكد ذلك قوله تعالى في سورة يونس : ( ورددوا الى الله مولاهم الحق وظل عنهم ما كانوا يفترون ) - يونس / ٣٠ - فالضمير في ردوا وفي ظلوا عائد على الكافرين المتقدم ذكرهم في السياق

(١) الرد على الزنادقة للامام احمد : ١٥ - ١٦  
المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني : ٥٣٣ ، فتح الرحمن : ١٦٩  
روح المعاني للالوسي : ج٧ / ١٧٧

(٢) تفسير الطبري : ج٧ / ٢١٨ طبعة الطلبي ،

٦ - قوله تعالى : ( اللّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ۖ وَالَّذِينَ لَمْ يَرْجُوا رَبَّهُمْ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ فِي اللَّهِ كَانُوا مُعْتَقِدِينَ ) الزمر/٤٢-  
أى : يقبض الأرواح حين موت أجسادها ،

أخبر الله سبحانه في هذه الآية أنه يتوفى الانفس ، بينما أسند التوفي في آيات أخرى لملك الموت والملائكة ، قال تعالى :

( قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم ثم إلى ربكم ترجعون ) - السجدة/١١-

وقال تعالى : ( حتى إذا جاء أحدكم الموتُ توفته رسلنا وهم لا يُفِرّون )

- الانعام / ٦١ - وقال : ( ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ) - الانفال / ٥٠ -

والجواب أن الآيات لا تنافي بينها ، إذ أنه سبحانه أسند التوفي

مرة لنفسه ومرة لملك الموت ومرة أخرى للملائكة باعتبارات معينة :

ففي سورة الزمر قال : ( الله يتوفى الانفس حين موتها ) لأنه تعالى

المُتَوَفَّى الحقيقي ، وهو تعالى مُقَدِّرُ الموت والآجال وخالق الاعمال ، ولا

تقبض الأرواح إلا بمشيئته وأمره كما قال : ( وما كان لنفس أن تموت إلا

بإذن الله كتاباً مؤجلاً ) - آل عمران / ١٤٥ -

كما أنه سبحانه يخلق الموت عند قبض الأرواح ( الذي خلق الموت والحياة

ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ) - الملك / ٢ -

فبهذا الاعتبار أضاف الباري عزوجل التوفي الى نفسه لما سبق ذكره

أما قوله تعالى : ( قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم ۖ )

فهو سبحانه قد أضاف التوفي لملك الموت لما أنه المأمور بقبض الأرواح

عند طول الآجال ، فلما كان متولى ذلك بالوساطة والمباشرة أُضيف إليه

التوفي كما يشير إليه قوله تعالى : ( الذي وُكِّلَ بكم ۖ ) والذي وُكِّلَهُ

ليباشر ذلك هو الله تعالى

وأما قوله تعالى : ( ۞ توفته رسلنا ۖ ) وقوله : ( ولو ترى إذ

يتوفى الذين كفروا الملائكة ۖ ) ونحو ذلك من الآيات التي فيها اضافة

التوفي للملائكة ، فالمراد بذلك أعوان ملك الموت الذين يُعالجون الروح

وينتزعونها من سائر الجسد حتى إذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت ،

فبهذا الاعتبار أضاف سبحانه التوفي إليهم (١)

ومعالجة الملائكة للروح وانتزاعهم لها عند الموت هو ما عبر

عنه تعالى بقوله : ( وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ) ق/١٩

وقوله تعالى : ( ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم )

الانعام/٩٣ ، فالله تعالى يقدر ويأذن ويأمر ، والملائكة تنزع وتعالج وملك الموت يقبض ،

ولهذا فان كل اسناد بحسبه لما يقتضيه السياق والمعنى المراد ،

وبهذا نرى توافق الآيات وتعاضدها وعدم تنافيها وتوهم غير ذلك إنما سببه

الجهل بمعاني الكلام وأسلوب القرآن في التعبير ، والله الموفق

(١) زاد المسير: ٥٦٣ ، تفسير القرطبي: ٩٣/١٤ ، فتح الرحمن : ٤٥٣

تفسير ابن كثير: ج٢/ ٢٢١ ؛ ج٣/ ٧٣٩ ، البرهان للزركشي: ج٢/ ٦٤ ، روح المعاني: ٧٦٧

٧- وردت آيات في القرآن تنفي الشفاعة والشفيع يوم القيامة ،  
ووردت آيات أخرى تُثبت ذلك (١)

أما الآيات التي تنفي الشفاعة والشفيع فهي ما يلي :

( واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يُقبل منها شفاعة ولا  
يؤخذ منها عدل ولا هم يُنصرون ) - البقرة / ٤٨ -

( يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا

بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ) - البقرة / ٢٥٤ -

وقال تعالى حاكيا عن أهل النار : ( فما لنا من شافعين ولا صديق حميم

فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ) - الشعراء / ١٠٠ - ١٠٢

وقال تعالى : ( وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما

للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ) - غافر / ١٨ -

ونحو ذلك من الآيات التي تدل على نفي الشفاعة والشفعاء يوم القيامة

أما الآيات التي تُثبت الشفاعة والشفيع فهي ما يلي :

( من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه ) - البقرة / ٢٥٥ -

( يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ) - الانبياء / ٢٦

( يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا ) طه / ١٠٩

( ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم

يعلمون ) - الزخرف / ٨٦ -

فهذه الآيات أثبتت وجود الشفاعة والشفيع يوم القيامة بالشروط

المذكورة ، ومن خلال تدبر آيات القرآن نجد أنه تعالى عندما نفى

وجود الشفاعة يوم القيامة إنما نفاها نفي حق الكفار وأهل الشرك ،

الذين يُحرمون من شفاعة الرُّسل وعباد الله المؤمنين ، وهذا المراد في مثل

قوله تعالى : ( واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يُقبل منها

شفاعة ) لأن الخطاب فيها مع اليهود كما هو السياق ، حيث ذكَّرتهم

سبحانه بنعمة ثم حذَّرتهم من نقمته وعذابه ، وأن زعمهم أن آباءهم تشفع

فيهم زعم باطل (٢) ، ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى : ( ما للظالمين

من حميم ولا شفيع يطاع ) - غافر / ١٨ - ، والظالمون هم أهل الكفر

والشرك لقوله تعالى : ( والكافرون هم الظالمون ) - البقرة / ٢٥٤ -

(١) أوهم بعض المنصرين من أعداء الإسلام حصول تناقض بين آيات الشفاعة  
انظر : كتاب رد مفتريات على الإسلام للدكتور: عبد الجليل شلبي ص : ٢٠

(٢) انظر تفسير الرازي : ج٣/ ٥٦ ، ج٢ / ٦٥

وبدليل الأحاديث المتواترة في الشفاعة لأهل الإيمان (١) وحرمان أهل الكفر والشرك منها ، قال ابن كثير (٢) عند تفسير قوله تعالى : ( ولا يُقبل منها شفاعة ) يعني من الكافرين كما قال : فما تنفعهم شفاعة الشافعين ( وكما قال عن أهل النار : ( فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ) (٠) اهـ وقال القرطبي (٣) : ( فلن قالوا : وردت نصوص من الكتاب بما يوجب أنه ليس للعمامة شفاعة مثل قوله : ( ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ) ، ( ولا يقبل منها شفاعة ) قلنا : هذه الآيات ليست عامة في كل ظالم ، وإنما المراد بها الكافرون دون المؤمنين بدليل الأخبار الواردة في ذلك وأيضا فان الله تعالى أثبت الشفاعة لأقوام ونفاها عن أقوام فقال في صفة الكافرين : ( فما تنفعهم شفاعة الشافعين ) وقال : ( لا يشفعون الا لمن ارتضى ) وقد أجمع المفسرون على ان المراد بقوله تعالى : ( ولا يُقبل منها شفاعة ) : النفس الكافرة (٠) اهـ

كما أن الله سبحانه نفى أن يكون هناك شفاعة يملكها غيرها ، لقوله تعالى : ( قل لله الشفاعة جميعا ) - الزمر / ٤٤ -

فهذا المقصود بنفي الشفاعة في مثل قوله : ( يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ) فيوم القيامة لا بيع فيه انما هو الحسنات والسيئات ، ولا خلة هناك إلا الخلة التي يرضاها الله تعالى وهي خلة عباده المؤمنين كما قال : ( الأئلاء يؤمنئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ) - الزخرف / ٢٧ - ولا أحد يملك الشفاعة لأن الله تعالى له الشفاعة جميعا ، لا أحد يملكها سواه ، وهو سبحانه يمنحها لمن يشاء ويرضى ممن توفرت فيه الشروط التي تُستحقُّ بها الشفاعة ، ولذلك فإن الآيات التي اثبتت الشفاعة قد قرنت بشروط هي كما يلي :

١ - إيمان المشفوع له وإسلامه ، فهي لا تنفع من لم يشهد الشهادتين قال تعالى : ( ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ) والمراد بالظالمين هنا الكافرون كما تقدم ، قال الحافظ البيهقي في كتابه شعب الإيمان (٤) : ( فالظالمون ها هنا هم الكافرون ، ويشهد لذلك مفتتح الآية اذ هي في ذكر الكافرين ) اهـ

(١) سيأتي تفريغها بعد قليل

(٢) تفسير القرآن العظيم : ج١ / ١٣٥ البقرة / ٤٨

(٣) تفسير القرطبي : ج١ / ٣٧٩

(٤) شعب الإيمان : ج١ / ٢٠٥ ( نقلاً عن كتاب الشفاعة للشيخ مقبل بن هادي

وقال ابن كثير (١) : ( أى ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيح يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير ) اهـ وقال عند تفسير قوله تعالى : ( لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا ) - مريم / ٨٧ - : هذا استثناء منقطع بمعنى : لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، والقيام بحقها ، قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس : إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا ) قال : العهد شهادة أن لا إله إلا الله ، ويبرأ الى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله عز وجل ) اهـ

قلت : ويدل على ذلك ما رواه الشيخان (٢) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا ) اهـ

٢- إذن الله تعالى للشافع ، لقوله تعالى : ( من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ) - البقرة / ٢٥٥ - وقوله تعالى : ( ما من شفيح إلا من بعد إذنه ) - يونس / ٣ -

ومعلوم أن الله سبحانه هو الذى يمنح الشفاعة ويأذن فيها ، وفي حديث الشفاعة الذى أخرجه الشيخان (٣) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ساق أبو هريرة الحديث الى قوله : ( ... اذهبوا الى محمد - صلى الله عليه وسلم - فيأتوني فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الانبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ، فأنت تاتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله على ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي ثم قال : يا محمد ارفع رأسك سأل تعطه ، اشفع تُشفع ) الحديث

٣- الرضا عن المشفوع له ، كما قال تعالى : ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ) - الانبياء / ٢٦ - ومعلوم أن الله لا يرضى عن كافر او مشرك او ظالم ، وبهذا لا ينال الشفاعة إلا أهل الايمان المرغبي عنهم كما قال البارئ : ( يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا ) وبهذا يتبين لنا توافق الايات وعدم تنافياها ويندفع توهم الاختلاف بينها بما تقدم

(١) تفسير ابن كثير : ج٤ / ١١٤ غافر / ١٨

(٢) البخاري : كتاب التوحيد ، باب في المشيئة والارادة ج٨ / ١٩٢ ومسلم : في الايمان ، باب الشفاعة ، ( شرح النووى ج٣ / ٧٤ )

(٣) البخاري : كتاب الانبياء ، باب قول الله تعالى : انا ارسلنا نوحا الى قومه ج٤ / ١٠٤ ومسلم : كتاب الايمان ، باب الشفاعة ، ( شرح النووى ج٣ / ٦٧ - ٦٩ ) واللفظ لمسلم

(٤) انظر : كتاب الشفاعة للشيخ مقبل بن هادي الوادعي ص ٨ - ١٣ ، الناشر دار الارقم الكويت ، الطبعة الاولى



٨ قوله تعالى: ( .. ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى )  
- الانعام / ١٦٤ -

معنى الآية : لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى ، بل تحمل كل نفس وزرها  
فالمذنب لا يؤخذ بذنب غيره بل كل أحد مُختص بذنب نفسه لا يتحملة عنه أحد<sup>(١)</sup>  
وعلى هذا فإن ظاهر هذه الآية قد يُتوهم أنه يناهني مدلول آية أخرى  
وهي قوله تعالى : ( وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم  
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون ، وليحملن أثقالهم  
وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون )- العنكبوت/ ١٢  
فهذه الآية الكريمة دلت على أن الذين كفروا يحملون أثقالهم وهي  
ذنوبهم ، وأثقالا مع أثقالهم أى ذنوبا مع ذنوبهم ، مع أن الآية الأولى  
دلت على انه لا أحد يحمل ذنب أحد

والجواب : أن قوله تعالى : ( وليحملن أثقالا مع أثقالهم ) إذا فهم  
تفسيرها على الوجه الصحيح اندفع توهم التنافي ، فمعنى أنهم يحملون  
أثقالا مع أثقالهم : أنهم لما قاموا بإضلال غيرهم وتسبوا في ذنوبهم  
كان جزاؤهم أن يحملوا أثقال كفرهم وكفر من تبعهم ، فهي أثقال الاضلال  
الذى أشار اليه قوله تعالى : ( ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن  
أوزار الذين يضلونهم بغير علم ) ، ومعلوم أن أوزار الاضلال هي أوزارهم  
أنفسهم لتسببهم في ضلال الاتباع<sup>(٢)</sup>

وقوله تعالى : ( ولا تزر وازرة وزر أخرى ) معناها : انه لا أحد  
يتحمل ذنب أحد بحيث يتعرى المحمول عنه من الوزر ، فمن يذنب يكون  
مسوء ولا عن ذنبه ، لا أحد يُسأل عن ذنب أحد ، حتى الابن لا يحمل آثام  
أُمّه بل كل نفس بما كسبت رهينة ،

والآية لم تنف أن أحداً يتحمل مثل وزر غيره لسبب مُعَيَّن وهو سبب الاضلال  
قال مجاهد<sup>(٣)</sup> : ( يحملون وزر من أضلوه ولا ينقص من إثم المُضِل شيء )  
قال الفخر الرازي<sup>(٤)</sup> : ( ومن أوزار الذين يضلونهم ) : معناه يحط للروءساء  
مثل أوزار الاتباع ) اهـ

أخرج الامام مسلم والترمذى وابن ماجه<sup>(٥)</sup> عن أبي هريرة - رضي الله عنه -  
قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( من دعا الى هدى كان له  
من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا الى

(١) مفردات الراغب: ٥٢١ ، أحكام القرآن لابن العربي: ج٢ / ٧٧٤  
زاد المسير: ١٦٢/٣ ، فسير الرازي: ج٢٠ / ١٧٢ تفسير ابن كثير: ج٢ / ٣١٩

(٢) تفسير الرازي: ١٨ / ٢٠ ، ٤١ / ٢٥ ، القرطبي: ٢٣٠ / ١٠ ، فتح الرحمن: ١٨٢  
تفسير ابن كثير: ٤٧ / ٣ الاسراء / ١٥ ، روح المعاني: ج٢٢ / ١٨٤ ج٥ / ٣٥

وانظر القرطبي: ٩٦ / ١٠

(٣) تفسير ابن جرير :  
(٤) تفسير الرازي: ٤١ / ٢٥  
(٥) مسلم في كتاب العلم باب من سئ سنة حسنة أو سبقة / ١٦  
والترمذى في كتاب العلم ، باب ماجاء فيمن دعا الى هدى ... رقم ٢٦٧٤ ج٥ / ٤٣

الى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من  
أثامهم شيئاً )

وقد أفاد الواحدى<sup>(١)</sup> رحمه الله - أن: (لغظة من في قوله : (ومن أوزار  
الذين يُظلونهم بغير علم ) ليست للتبعيض لأنها لو كانت للتبعيض لخف  
عن الاتباع بعض أوزارهم وذلك غير جائز لقوله عليه السلام :  
( من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً ) ، ولكنها للجنس : أى  
ليحملوا من جنس أوزار الاتباع ) اهـ

وقال ابن الجوزى<sup>(٢)</sup> : ( وقد ذكر ابن الانبارى في " من " وجهين :  
أحدهما : انها للتبعيض ، فهم يحملون ما شركوهم فيه ، فاما ما ركبه  
أولئك باختيارهم من غير تزيين هؤلاء فلا يحملونه فيصح معنى التبعيض ،  
والثاني : أنها مؤكدة ، والمعنى : وأوزار الذين يُظلونهم ) اهـ  
قلت : وعلى اعتبار أن " من " تبعيضية فليس هناك إشكال ، لأنه  
يكون المعنى على تقدير ذلك : وليحملوا بعض أوزار من ضل بإغلالهم  
على معنى : ومثل بعض أوزارهم ، والمراد بهذا البعض حصة التسبب ، فالمظل  
والضال شريكان هذا يُضله وهذا يُطاعه فيتحملان الوزر ، وللضال أوزار  
غير ذلك لأنه يحملها المظل لأنه إنما يحمل ما تسبب به من غير أن  
ينقص من أوزار الضال شيئاً<sup>(٣)</sup>

وعلى هذا فان الذي يظهر هو كون " من " تبعيضية لما تقدم  
من أن للاتباع ذنوباً لم يتسبب فيها المظنون ، فلا جرم لا يتحملون  
كل ذنوب الاتباع ، بل يتحملون ما تسببوا به وهو ما أفاده الحديث :

( فعليه اثمها وإثم من عمل بها )

فاقتصر تحمل الإثم على ما تسبب به دون ما غيره ، أما اذا كان المتبوع  
متسبباً في أصل ضلال أتباعه ، كأن يصددهم عن الاسلام ، أو يحمل من أسلم  
على الردة ، فلا شك أنه يحمل مثل أوزار المتبوع كاملة لأنه المتسبب  
في كفره ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في رسالته لهرقل ملك الروم :

( أسلم تسلم يؤتتك الله أجرك مرتين ، فأنت توليت فان عليك

إثم الاريسيين )<sup>(٤)</sup> ، أى اثم الاتباع الذين تصدهم عن الاسلام ،

(١) انظر تفسير الرازى : ١٨ / ٢٠ ، روح المعانى للالوسى : ١٢٤ / ١٤

(٢) زاد المسير : ٤٣٩ / ٤٤ (٣) روح المعانى : ١٢٤ / ١٤

(٤) أخرجه البخارى : كتاب الجهاد ، باب ١٠٢ دعاء النبي الى الاسلام والنبوة : ٢ / ٤

ومسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب كتب النبي - صلى الله عليه وسلم -  
( شرح النووى : ١٠٩ / ١٢ ) واللفظ لمسلم

وفي رسالته - صلى الله عليه وسلم - لكسرى ملك الفرس قال :

(أَسْلِمْتُ تَسْلَمًا فَإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمَ الْمَجُوسِ) (١)

قال الرازي (٢) عند تفسير قوله تعالى : ( ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يخلونهم بغير علم ) : (ويحصل للروءاء مثل أوزار الاتباع وليس المراد منه أنه تعالى يوصل العقاب الذي يستحقه الاتباع للروءاء لبقوله تعالى : ( وأن ليس للانسان إلا ما سعى ) - النجم / ٣٩ -

وقوله : ( ولا تزر وازرة وزر أخرى ) - الاسراء / ١٥ -

بل المعنى أن الرئيس إذا وضع سنة قبيحة عظم عقابه حتى إن ذلك العقاب يكون مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع . اهـ

قلت : وبهذا يتبين لنا أن من يحمل إثما فهو مرهون به لا يتحمله عنه أحداً، وأن هذا لا يُنافي أن الانسان يتحمل مثل آثام غيره الذين أظلمهم، من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً كما تقدم ، وعلى هذا نرى توافق الآيات وتعاضدها ، ويندفع توهم الاختلاف بينها ، والله الموفق

٩ - قوله تعالى : ( لا تُدرکه الأَبصار وهو يُدرک الأَبصار وهو اللطيف الخبير )

الانعام / ١٠٣ -

ظاهر هذه الآية قد يُتوهم منه نفي إمكانية رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة ، بينما جاءت آية أخرى تُثبت رؤية المؤمنين لربهم

تبارك وتعالى في جنات النعيم وهي قوله تعالى :

( وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة ) - القيامة / ٢٢ -

والجواب عن ذلك تقدم في الباب الأول ، فصل أسباب إيهام الاختلاف ، السبب الرابع (٣)

١٠ - قوله تعالى : ( وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ) - المائدة / ٥ -

ظاهر هذه الآية أن من يرتد بعد إيمانه يحبط عمله الماضي ، سواء رجع إلى الإيمان أو لم يرجع ، وجاءت آية أخرى يُفهم منها خلاف ذلك وهي قوله تعالى : ( وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمتَ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ) - القرة / ٢١٧ -

فهذه الآية قيّدت حبوط الأعمال بالموت على الردة ، وليس بمطلق

الردة كما هو مفهوم الآية الأولى ،

والجواب عن ذلك تقدم في الباب الأول ، فصل أسباب إيهام الاختلاف

السبب الثالث (٤)

(١) صحيح البخارى : كتاب المغازى ، باب كتاب النبي الى كسرى وقيصر : ج ٥ / ١٢٦

(٢) تفسير الرازي : ج ٢ / ١٨ ص (٣) : ص (٤)

## الفصل الثاني

### موهم آيات النبوة والرسالة

وردت آيات في القرآن الكريم تتحدث عن النبي الأمي خاتم الأنبياء والمرسلين ، وهذه الآيات منها ما يتحدث عن أخلاقه العظيمة وصفاته الجليلة ، ومعاملته مع الكفار والمنافقين وموقفه منهم أو تتحدث عن معاملته للمؤمنين وغير ذلك ، وقد جاء في بعض هذه الآيات ما قد يُتوهم منه الاختلاف والتعارض بسبب عدم التدبر أو الفهم الصحيح لمقاصد الآيات ومعانيها المُساقاة لها ،

١ - قوله تعالى : ( فان جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين ) المائدة/٤٢  
هذه الآية الكريمة فيها أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - اذا جاءه أهل الكتاب ليحكم بينهم فيما شجر بينهم من الخصومات مُخَيَّرَ بين الحكم بينهم بما أراه الله وبين الإعراض عنهم وهذا في الظاهر معارض لقوله تعالى :

( وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ) - المائدة/٤٩  
والجواب من وجهين :

الوجه الاول : واليه ذهب ابن عباس وأكثر السلف أن الآية الثانية والتي فيها وجوب الحكم بينهم بما أنزل الله ناسخة للآية الاولى والتي فيها التخيير بين الحكم أو الاعراض عنهم ، وقالوا :  
إنَّ التخيير كان في أول الأمر وفي مرحلة مبكرة من المرحلة المدنية فلما نزل قوله تعالى : ( وأن احكم بينهم بما أنزل الله ) لزمه وزال التخيير

قال ابو جعفر النحاس<sup>(٢)</sup> : ( وهو الصحيح من قول الشافعي ، قال في كتاب الجزية<sup>(٣)</sup> : ( ولا خيار له اذا تحاكموا اليه لقوله عز وجل : ( حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ) - التوبة / ٢٩ -

(١) تفسير الطبري : تحقيق محمود شاكر ، تفسير الماوردي : ج١ / ٤٦٨

زاد المسير : ج٢ / ٣٦١ ، تفسير الرازي : ١١ / ٢٤٢ ، القرطبي : ج٦ / ١٨٦

تفسير ابن كثير : ج٢ / ٩٥ ، المائدة / ٤٢

(٢) الناسخ والمنسوخ : ١٦٠ ، وانظر : تفسير القرطبي : ج٦ / ١٨٦

احكام القرآن للشافعي جمع البيهقي : ج٢ / ٧٧ - ٧٩ ، شرح النووي : ج١١ / ٢٠٨

(٣) انظر الأم للامام الشافعي : ج٤ / ٢١٠

وهذا من أصلح الاحتجاجات ، لأنه إذا كان معنى " وهم صاغرون " :  
أن تجرى عليهم أحكام المسلمين ، وجب ألا يُردّوا الى أحكامهم ، فإذا  
وجب هذا فالآية منسوخة ، وهو أيضا قول الكوفيين: أبى حنيفة وزفر وأبي  
يوسف ومحمد، لا اختلاف بينهم ، إذا تحاكم أهل الكتاب الى الامام أنه ليس  
له أن يعرض عنهم . ( ١٠ ) اهـ

(١)  
ومذهب الشافعي : أنه يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بين أهل  
الذمة اذا تحاكموا اليه ، لأن في إمضاء حكم الاسلام عليهم صغار لهم ،  
فأما المعاهدون الذين ليس لهم منع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب  
على الحاكم أن يحكم بينهم بل يتخير في ذلك ، وهذا التخيير الذي  
في الآية مخصوص بالمعاهدين الذين ليس لهم ذمة

وعلى هذا فان الشافعي رحمه الله ومن وافقه يرون أن التخييرين  
الحكم بين أهل الذمة وبين الاعراض عنهم منسوخ بالآية الاخرى : ( وأن  
احكم بينهم بما أنزل الله . . . ) ، وأن الذي خص أهل الذمة بالنسخ  
دون غيرهم من أهل الكتاب المواعدين للمسلمين الذي خصهم بذلك هو مدلول  
قوله تعالى : ( حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون . . . ) - التوبة / ٢٩ -

وعلى هذا الوجه فليس هناك مجال لتوهم الاختلاف بين الايتين ، إذ  
انه لا تعارض بين الناسخ والمنسوخ

### الوجه الثاني

أن الآيّة محكمة ، وأن الامام ونوابه مخيرون في الحكم اذا ترفع  
اليهم أهل الكتاب ، إن شاءوا حكموا بينهم وإن شاءوا أعرضوا عنهم  
وهذا مروى عن الحسن وقتادة والشعبي والنخعي والزهري ، وبه قال الامام  
احمد بن حنبل والامام مالك بن أنس (٢) واختاره ابو جعفر الطبري (٣) لعدم  
التعارض بين الايتين ولأنه لم يصح به خبر عن رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - وليس فيه اجماع ، قال ابن الجوزي (٤) :

( وهو الصحيح لأنه لا تنافي بين الايتين ، لأن أحدهما خیرت بين  
الحكم وتركه ، والثانية بينت كيفية الحكم اذا كان . . . ) اهـ

---

(١) الأم : ج٤ / ٢١٠ طبعه ثانية ، دار المعرفة ، أحكام القرآن للشافعي ،  
جمع البيهقي : ج٢ / ٧٩ ، السنن الكبرى للبيهقي : ج٨ / ٢٤٨ ، الرازي : ٢٤٢ / ١١  
(٢) تفسير الطبري : ١٠ / ٣٣٠ ، الماوردي : ج١ / ٤٦٨ ، زاد المسير : ج٢ / ٣٦١  
القرطبي : ١٨٤ / ٦ ، الرازي : ١١ / ٢٤٢  
(٣) تفسير الطبري : ١٠ / ٣٣١ (٤) زاد المسير : ج٢ / ٣٦١

اي أن معنسى ( وأن احكم بينهم بما أنزل الله ) : اذا حكمت بينهم فاحكم بما أنزل الله لا بتباع الهوى ، فالاية الثانية متممة للاولى فالرسول - صلى الله عليه وسلم - مُخَيَّرَ بمقتضى الاية الاولى بين أن يحكم بينهم وأن يعرض عنهم ، واذا اختار أن يحكم بينهم وجب أن يحكم بما أنزل الله بمقتضى الاية الثانية ،

وعلتسى هذا الوجه لا مجال لتوهم الاختلاف بين الايتين ايضا لما تقدم من وجه الجمع بينهما ، والله ولي التوفيق

٢- قوله تعالى : ( يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ، وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك ... )  
الآية - الاحزاب / ٥٠ -

هذه الاية بينت ما أحله الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - من أصناف النساء ، وقد جاءت آية أخرى بعدها مباشرة تدل على خلاف ذلك وهي قوله تعالى :

( لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن ، إلا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شيء رقيبا )  
الاحزاب / ٥٢ -

والجواب عن ذلك من وجهين :

الوجه الاول : أن قوله تعالى : ( لا يحل لك النساء من بعد ... )

معناه : أي من بعد النساء التي أحلهن الله لك في قوله : ( ... إنا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك ... ) الاية

وما سوى المذكور في الآية من أصناف النساء فلا يحل له ، وهو قول أبي بن كعب ومجاهد في رواية وعكرمة والسدي وغيرهم ، واختار ذلك ابن جرير الطبري وأبو حيان في تفسيريهما (١)

قلت : وظاهر أن أصحاب هذا القول يرون أن الآيتين متممتان لبعضهما وأنه يستفاد من مجموعهما بيان ما أحله الله تعالى لرسوله ، وهو ما ورد في نص الاية الاولى ، وأن الاية الثانية جاءت لبيان عدم إحلال سوى ما نصت عليه الاية الاولى ، وأنه لا نسخ بينهما

(١) تفسير ابن جرير الطبري : ج ٢٢ / ٣٠ طبعة الحلبي  
تفسير أبي حيان : ج ٧ / ٢٢٤ ، تفسير ابن كثير : ج ٢ / ١٧٩٨ الاحزاب / ٥٢

الوجه الثاني :

(١) وهو قول أكثر السلف وجمهور المفسرين أن الآية الأولى ناسخة  
للآية الثانية ، وبيان ذلك هو ما قاله الامام القرطبي<sup>(٢)</sup> - رحمه الله :  
( لما خير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساءه فاخترنه حرم عليه  
التزوج بغيرهن والاستبدال بهن مكافأة لهن على فعلهن ، والدليل على ذلك  
قوله تعالى : ( لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو  
أعجبك حسنهن ... ) الآية ثم نسخ هذا التحريم فأباح له أن يتزوج بمن  
شاء عليهم من النساء ، والدليل عليه قوله تعالى : ( إنا أظننا لك  
أزواجك ... ) والاحلال يقتضي تقدم الحظر ، وزوجاته اللاتي في  
حياته لم يكن محرماً عليه ، وإنما كان حرم عليه التزوج بالاجنبيات  
فانصرف الاحلال اليهن - اي الاجنبيات - ، ولأنه قال في سياق الآية :  
( وبنات عمك وبنات عماتك ، وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن  
معك ... ) الآية ومعلوم أنه لم يكن تحته أحد من بنات عمه ولا من  
بنات عماته ، ولا من بنات خاله ولا من بنات خالاته ، فثبت أنه أحل  
له التزوج بهذا ابتداء ، وهذه الآية وان كانت مقدمة في التلاوة فهي  
متأخرة النزول على الآية المنسوخة بها ( ... ) اهـ

قلت : ومما يؤكد ان آية الاحلال ناسخة لآية الحظر هو  
ما ثبت عن اعلم الناس بالمسألة وهن أزواجه - صلى الله عليه وسلم -  
لأن احلال غيرهن من الضرات أو عدمه يستحوذ على اهتمامهن ، فهن  
صاحبات القصة وقولهن في هذه المسألة مقدم على كل قول ، ومعلوم  
انه اذا ثبت النسخ فانه يقدم على الجمع بين النصين ، لأنه يتبين  
به مراد الشارع ،

اخرج الامام احمد<sup>(٣)</sup> والترمذي<sup>(٤)</sup> والنسائي<sup>(٥)</sup> والحاكم<sup>(٦)</sup>  
عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت :  
( ما مات - صلى الله عليه وسلم - حتى أحل الله له النساء )  
وفي رواية للنسائي : ( حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء )  
واخرج ابن ابي حاتم في تفسيره عن ام سلمة - رضي الله عنها انها قالت :  
( لم يمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء  
ما شاء الا ذات محرم ، وذلك قوله تعالى : ( ترجي من تشاء منهم ... ) الآية  
قلت : فبان بذلك ثبوت النسخ وان التحليل جاء بعد الحظر ، ولذلك فان  
هذا الوجه هو الذي يترجح لما تقدم من الأدلة والله ولي التوفيق

(١) تفسير الطبري : ٢٩ / ٢٢ فما بعدها ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٩٨ الاحزاب / ٥٢  
زاد المسير : ٤١١ / ٦ ، القرطبي : ٢٠٦ / ١٤ ، روح المعاني : ٦٦ / ٢٢  
(٢) في تفسيره : ٢٠٦ / ١٤ (٣) مسند احمد : (٤) الترمذي في التفسير : ج٤ / ٣٥٦ وحده  
(٥) كتاب النكاح ج٦ / ٥٦ رقم ٢٣٠٥ بسند صحيح (٦) المستدرک : ج٢ / ٤٣٦ كتاب التفسير وقال : صحيح  
(٧) نقلاً عن ابيه كثير : ج٣ / ٧٩٨  
على شرط الشيخين ، رواه في الاصحاح

٣ - قوله تعالى : ( ووجدك ضالاً فهدى ٠٠٠ ) - الضحى / ٧ -

هذه الآية قد يُتوهم من ظاهرها أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - جاءه وقت من الأوقات كان فيه ضالاً (١) ، مع أنه جاءت آيات أخرى تدل على خلاف هذا التوهم وهي قوله تعالى :

( ما ضلّ صاحبكم وما غوى ٠٠٠ ) - النجم / ٢ -

وقوله تعالى : ( فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ) - الروم / ٣٠ -  
فهاتان الايتان تدلان على أنه - صلى الله عليه وسلم - قد فُطر على هذا الدين الحنيف ، وقد ثبت أنه - صلى الله عليه وسلم - كان قبل نزول الوحي عليه يتعبد في غار حراء ، ويكره ما عليه قومه من الشرك والضلال ، ولم يسجد لصنم قط ، وكل ذلك دليل على بقاءه على الفطرة ، بعيداً عن كل ضلال أو اعتقاد فاسد ، وهو صريح قوله تعالى :

( ما ضلّ صاحبكم وما غوى )

لذلك فان قوله تعالى: ( ووجدك ضالاً فهدى ) لا ينافي

مدلول ذلك لأن المراد بالضلال هنا هو الغفلة وذهاب العلم ، كقوله تعالى : ( أن تضلّ إحداهما فتذكرّ إحداهما الأخرى ) - البقرة / ٢٨٢ فيكون المعنى : ووجدك غافلاً عن معالم النعمة وأحكام الشريعة وأسرار علوم الدين التي لا تُعلم بالفطرة والعقل وإنما تُعلم بالوحي ، فهذا الى ذلك بما أوحى إليك كما في قوله تعالى :

( ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ) - الشورى / ٥٢ -

وقوله : ( وإن كنت من قبله لمن الغافلين )

وقوله : ( وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ) - النساء / ١١٣

قال الشوكاني<sup>(٣)</sup> - رحمه الله - : ( والضلال هنا بمعنى الغفلة كما

في قوله تعالى : ( لا يضلّ ربي ولا ينسى ) - طه / ٥٢ -

وكما في قوله : ( وإن كنت من قبله لمن الغافلين ) - يوسف / ٣ -

والمعنى : أنه وجدك غافلاً عما يُراد بك من أمر النبوة ، وقيل : معنى

ضالاً : لم تكن تدري القرآن ولا الشرائع فهذاك لذلك ) - اهـ

(١) انظر كتاب : رد مفتريات عبد الاسلام ، د . عبد الجليل شلبي ص : ٢٨

حيث ذكر فيه ما أوهمه بعض المنصرين حول هذه الآية

(٢) زاد المسير : ١٥٨ / ٩ ، تفسير الرازي : ج١ / ٢١٦ ، القرطبي : ٩٦ / ٢٠

تفسير ابن كثير : ج٤ / ٨٢٨ ، روح المعاني : ٣٠ / ٣٠٧ ، أضواء البيان : ٣٣٤ / ١٠

(٣) فتح القدير : ج٥ / ٤٤٥ ، وانظر تفسير القرطبي : ٢١٦ / ٢٠



(١) وقال الفخر الرازي بعد أن نقل عن بعضهم أن المراد بالضلال في الآية هو الكفر، قال راداً على ذلك : ( ... ثالثها كنت ضالاً عن النبوة ) ما كنت تطمع في ذلك ولا خطر شيء من ذلك في قلبك ، فان اليهود والنصارى كانوا يزعمون أن النبوة في بني اسرائيل ، فهديتك الى النبوة التي ما كنت تطمع فيها البتة . اهـ

قلت : ومما يدل على ما تقدم إضافة الى تعبده - عليه الصلاة والسلام - في غار حراء قبل نزول الوحي عليه ، ما كان من إرهابات النبوة له - عليه الصلاة والسلام -

(٢) فمنها ما رآته حليمة السعدية من بركته - صلى الله عليه وسلم -

ومنها حادثة شق الصدر وهو يلعب مع الغلمان في بني سعد ، وإخراج حظ الشيطان منه ، روى الامام مسلم (٣) عن أنس رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل - صلى الله عليه وسلم - وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون الى أمه يعني ظئره ، فقالوا : إن محمداً قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون ، قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره . (٤)

ومنها : لما بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة وارتحل به عمه أبيو طالب تاجراً الى الشام حتى وصل الى بصرى من بلاد الشام ، ولقيهم راهب يدعى بحيرى خرج اليهم وأكرمهم بالضيافة ، وكان لا يخرج اليهم قبل ذلك وعرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصفته فقال وهو آخذ بيده : هذا سيد العالمين ، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين ،

فقال أبو طالب : وما علمك بذلك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا وخر ساجداً ولا تسجد الا لنبى ، وإنى أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غزوفه كتفه مثل التفاحة ، وإننا نجد في كتبنا ، وسأل أبا طالب أن يرده ولا يقدم به الى الشام ، خوفاً عليه من اليهود ، فبعثه عمه مع بعض غلمانة الى مكة (٥)

(١) تفسير الرازي : ٢١٦ / ٣١

(٢) انظر تفصيل قصة رضاعه عليه الصلاة والسلام في كتب السيرة والحديث :

سيرة ابن هشام : ج١ / ١٦٢ - ١٦٣ ، صحيح ابن حبان : ( موارد الظمآن : ٢٠٩٤ )

الرحيق المختوم : ٦٣ - ٦٤ للشيخ صفي الرحمن المباركفوري

(٣) في صحيحه : كتاب الايمان ، باب الاسراء ( شرح النووي : ج٢ / ٢١٦ )

(٤) المخيط : بكسر الميم واسكان الخاء المعجمة وفتح الياء : وهي الابرة

(٥) سيرة ابن هشام ، ج١ / ١٨٠ ، واخرجه الترمذي ( ج٥ / ٥٩٠ كتاب المناقب باب ٣ ) وحسنه وهو حديث صحيح رجاله ثقات ، انظر : مشكاة المصابيح تحقيق الشيخ الالباني : ١٦٦٤ / ٣

والصحيح المند من دلائل النبوة للشيخ ، قبل ابن هادي الوادعي ص : ٦١

ومنها : سيرته - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة وما امتاز به من أخلاق  
وابتعاد عن أسباب الرذيلة والمنكرات ، فكان لا يشرب الخمر ولا يأكل مما  
نُبح على النصب ، ولا يحضر للأوثان عيدا ولا احتفالا ، وكان لا يصبر  
على سماع الحلف بغير الله (١) ، حتى ان نفسه كانت مجبولة على  
الخير معصومة من الدنس والتقاليد غير المحمودة ،

روى الحاكم (٢) عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال :  
( سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( ما هممت بما كان أهل  
الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر ، كلاهما يعصمني الله تعالى  
منهما ، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش في أغنام لأهلها ترعى :  
ابصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الفتيان  
.... الحديث وفيه أن الله تعالى أنامه فلم يسمع شيئا من ذلك السمر  
الى أن قال : فوالله ما هممت بعدها أبدا بسوء مما يعمل أهل الجاهلية  
حتى أكرمني الله بنبوته . ) اهـ

فإذا كان قد عُصم من سماع اللغو والسمر ، فلأن يكون معصوما من  
الضلال والكفر أحرى وأولى  
قال الامام القرطبي (٣) ( غير جائز أن يكون لله تعالى رسول يأتي  
عليه وقت من الاوقات الا وهو لله موحد وبه عارف ومن كل معبود سواه  
بريء . ) اهـ

هذا وقد استدل بالحديث المتقدم الائمة العلماء على عصمة الله تعالى  
لنبيه - صلى الله عليه وسلم - قبل النبوة وحفظه إياه من جميع أعمال الجاهلية  
وقد أجمعت الامة على عصمتهم من وقوع الكفر منهم قبل البعثة ، وحكى  
هذا الاجماع صاحب المواقف ، وقال شارحه : بلا خلاف لأحد منهم في ذلك (٥)  
قلت : وهذه الارهاصات المتقدمة وغيرها انما تدل على صفاء فطرته وعدم  
تلوثها بشيء من شرك او معتقد فاسد ، والله تعالى اعلم وهو ولي التوفيق

(١) سيرة ابن هشام : ج١ / ١٢٨ : ، الرحيق المختوم : ٧٢

(٢) المستدرک : ج٤ / ٢٤٥ ، وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي

وابن حبان في صحيحه ( موارد الظمآن : ص ٥١٥ رقم : ٢١٠٠ )

وقال السيوطي في الخصائص الكبرى ( ج١ / ٢١٩ ) تحقيق الدكتور محمد خليل هراس  
قال : اخرج ابن راهويه في مسنده وابن اسحق والبزار والبيهقي وابو نعيم في  
الدلائل وابن عساکر عن علي بن ابي طالب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم -  
فذكر الحديث ثم قال : قال ابن حجر : اسناده حسن ورجاله ثقات

(٣) في تفسيره : ج٧ / ٢٥

(٤) شرح الشفا لعلي القارى ج١ / ٤٨٣ بها مش نسيم الرياض لشهاب الدين الخفاجي

ايات عتاب المصطفى ، د . عويد المطرفى : ٢٨

(٥) شرح المواقف : ج١ / ٢٦٤

٤ - قوله تعالى : ( قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى  
إلا على الله وهو على كل شيء شهيد ) - ص ٤٧ / -

وقوله تعالى : ( قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين )  
- ص ٨٦ / -

وقوله تعالى : ( قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلاّ زكري للعالمين )  
- الأنعام / ٩٠ -

هذه الآيات تفيد أنّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يطلب على

تبليغه رسالة ربه أجراً لأن أجره إنما هو على الله تعالى، والدعوة

والتبليغ إنما هي وظيفته التي كُلف بها من قبل الله تعالى ،

كما أن عدم طلب الأجر على التبليغ هو شأن جميع الرسل - صلوات

الله وسلامه عليهم - كما جاء على لسان نوح وهود وصالح عليهم السلام -

في قول كل نبي لقومه : ( وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلاّ على

الله ربّ العالمين ) - الشعراء / ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠ -

وقد جاء في آية أخرى ما قد يُتوهم منه مخالفة مضمون هذه

الآيات ، وهو قوله تعالى :

( قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى ) - الشورى ٢٣ -

والجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه :

الوجه الاول : أنّ الاستثناء في قوله تعالى : ( قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ

المودة في القربى ) ليس متصلاً ، بمعنى : أن المودة في القربى ليست

أجراً حتى تُستثنى من الأجر ، وعلى هذا فإن الاستثناء منقطع ، والتقدير

لا أسألكم على التبليغ أجراً لكن أسألكم مودتي في قرابتي ،

قال ابن جرير (١) : ( وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بظاهر

التنزيل قول من قال : معناه قل لا أسألكم عليه أجراً يا معشر قريش

إلاّ أن تودوني في قرابتي منكم وتملوا الرحم التي بيني وبينكم ) اهـ

(٢) أخرج البخاري عن ابن عباس أنه سُئل عن قوله تعالى : ( إلا المودة

في القربى ) ، فقال سعيد بن جبير : قُربى آل محمد ، فقال ابن عباس :

عجبت ، إنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم

قرابة ، فقال : الا أن تملوا ما بيني وبينكم من القرابة )

والمعنى إنكم قومي وأحق من أجنبي وأطاعني فاذا أبيتم ذلك فاحفظوا

حق قرابتي ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي ، وهذا التفسير من ابن عباس يدل

على ان الاستثناء منقطع (٣)

(١) تفسير ابن جرير : ج ٢٥ / ١٧ طبعة دار المعرفة

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير ، سورة الشورى ، ج ٦ / ٣٧

(٣) انظر : تفسير الرازي : ج ٢٧ / ١٦٥

قال الالوسي (١) رحمه الله - : ( وعلك اعتبار أن الاستثناء منقطع تنتفي  
المُنافاة المتوهمة بين هذه الآية والآيات المتضمنة لنفي سؤال الأجر  
مطلقاً . ) اهـ

وقال القرطبي (٢) : ( قال الزجاج : إلا المودة : استثناء ليس من الاول  
اي إلا أن تودوني لقرايتي فتحفظوني ، والخطاب لقريش خاصة . ) اهـ

الوجه الثاني :

أن الاستثناء منقطع أيضا ، لكن تقدير المعنى : قل لا أسألكم  
عليه أجرا لكن أذكركم قرايتي وعترتي فاحفظوني فيهم ولا تؤذوهم (٣)  
فالقربى على هذا الوجه بمعنى الأقارب ، والخطاب لجميع الأمة  
أخرج الامام مسلم (٤) عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله  
- صلى الله عليه وسلم - : ( ... أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم  
الله في أهل بيتي . )  
والمودة بين المسلمين واجبة فيما بينهم ، وقراءة النبي - صلى الله  
عليه وسلم - أولى وأحرى بذلك

الوجه الثالث :

أن المعنى : إلا أن تتودبوا إلى الله تعالى فيما يقربكم  
إليه من العمل الصالح ، والتقرب إلى الله ليس أجرا على  
التبليغ ، وهذا مروى عن ابن عباس والحسن وقتادة (٥)  
وعلى هذا فالقربى هي فعلى من القرب والتقرب ، فيصبح تقدير الآية :  
لا أسألكم عليه أجراً لكن أطلب منكم التودد إلى الله بالعمل  
الصالح والتقرب إليه ، فتبليغي لكم لمنفعتكم أنتم لتقريبكم إلى الله  
على حد قوله تعالى : ( قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء  
أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ) - الفرقان / ٥٥ -

أى إلا من شاء أن يتخذ إلى ثواب ربه سبيلاً ، فأنا أدله على ذلك  
وعلى هذا فإن الاستثناء في الآية منقطع أيضا ،

وعلى جميع هذه الأوجه ينتفي توهم الاختلاف بين الآيات ، حيث  
إن الاستثناء منقطع في جميع هذه الأوجه ، وعلى هذا فليس هناك سؤال  
للأجر حتى يُتوهم الاختلاف بين الآيات ، وكل هذه الأوجه حسنة إلا أن  
الوجه الاول في معنى القربى عليه جمهور المفسرين وهو الأرجح حسب ما يظهر والله أعلم

(١) روح المعاني : ٣٠/٢٥ ، وانظر: زاد المسير : ٢٨٤/٧ ، الرازي : ١٦٥ / ٢٧  
(٢) تفسير القرطبي ٢١/١٦ (٣) تفسير ابن كثير : ١٦٨/٤ ، الرازي : ١٦٥ / ٢٧  
زاد المسير : ٢٨٤/٧ ، القرطبي : ٢١/١٦ ، روح المعاني : ٣٠ / ٢٥  
(٤) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن ابي طالب ، ( شرح النووى : ١٨٠/١٥  
والحمد في منده ج ١١٩/٢ ) ، ج ٢٦٧/٤  
(٥) تفسير ابن جرير : ١٧ / ٢٥ ، ابن كثير : ١٩٦/٤ الشورى ٢٢ ، زاد المسير : ٢٨٥/٧  
القرطبي : ٢١ / ١٦

٥٠ - قوله تعالى : ( انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ) - القصص / ٥٦ -

هذه الآية نزلت في عم الرسول أبي طالب لما حضرته الوفاة ، وأبى أن يقول كلمة التوحيد ، أخرج مسلم<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : ( قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمة : قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة ، قال : لولا ان تعيرني قريش يقولون انما حمله الجزع لأقررت بها عينك ، فأنزل الله : ( انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ) (١٠) اهـ

وهناك آية أخرى تثبت للنبي الهداية ، وهي قوله تعالى :

( وانك لاتهدى الى صراط مستقيم . . . ) - الشورى / ٥٢ -

فظاهر هذه الآية قد يتوهم منه منافاة ما دلت عليه الآية الاولى من عدم قدرة الرسول على هداية من أحب ،

والجواب عن ذلك : أن الهداية المنفية عن الرسول غير

الهداية المثبتة ، لأن الهداية المنفية هي هداية التوفيق ، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يقدر ان يدخل الايمان في قلب أحد وان بذل فيه غاية المجهود ، لأن تمكين الهداية في القلوب هو من فعله سبحانه فمن شاء هدايته شرح صدره للاسلام ووفقه للدخول فيه ، فهو يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين المتصفين بصفات الهداية المرادين لها والمستعدين لها والباحثين عن الحق ، وهذه الآية كقوله تعالى : ( ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء ) - البقرة / ٢٧٢ -

والاية جاءت لتسلية الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث لم ينجح انذاره وما جاء به من الحق في كثير من قومه الذين يحبهم ويحرص على هداهم أشد الحرص ، بل أصروا على ما هم عليه وحاربوه<sup>(٢)</sup>

أما الهداية المثبتة له - صلى الله عليه وسلم - فهي : هداية البيان والدعوة والدلالة ، فهو صلى الله عليه وسلم - يدعو الى صراط مستقيم ويبين للناس ويدلهم على خير الدنيا والآخرة ، وليس عليه الا البلاغ

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الايمان ، باب الدليل على صحة اسلام من حضره الموت ما لم يغرغر ( شرح النووي : ج١ / ٢١٤ ) ، قال النووي : وقد اجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب ( المصدر السابق : ١ / ٢١٥ ) وانظر زاد المسير : ٦ / ٢٣١

(٢) تفسير ابن كثير : ٢ / ٦٢٨ ، الرازي : ٢ / ٢٥ ، روح المعاني : ٢٠ / ٩٦

فهذا عمه أبو طالب أقربُ الناس إليه وكافله وحاميه والذائد عنه ، لا يملك الرسول سوى أن يدعو ويُبين له ويدله على طريق الحق والخير، ولكن أبا طالب لم يُكتب له الايمان على شدة حبه لرسول الله - صلى الله عليه وسلم وشدة حُبِّ الرسول له أن يؤمن ( ذلك أن أبا طالب إنما قصد الى عصبية القرابة وحُبِّ الأبوة ) ولم يقصد الى العقيدة ، وقد علم الله هذا منه ، والهدى والضلال وفق ما يعلمه سبحانه من قلوب العباد واستعدادهم للهدى والضلال ( ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ) ( ١ )

قال الراغب الاصفهاني ( ٢ ) : ( الهداية : دلالة بلطف ، ومنه الهدية ، وهوادي الوحش : أى متقدماتها الهادية لغيرها ، وهداية الله تعالى للانسان على أربعة أوجه :

الأول : الهداية التى عمَّ بجنسها كل مكلف من العقل والغبطة والمعارف الضرورية التى عمَّ منها كل شيء بقدر فيه حسب احتماله ، كما قال : ( ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ) - طه / ٥٠ -

الثاني : التوفيق الذى يختص به من اهتدى ، وهو المعنى بقوله تعالى : ( والذين اهتدوا زادهم هدى ) - محمد / ١٧ -

وقوله : ( ومن يؤمن بالله يهد قلبه ) - التغابن / ١١ -

وقوله : ( والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ) - النور / ٤٦ -

الثالث : الهداية التى جعل للناس بدعائه إياهم على السنة الانبياء وإنزال القرآن ونحو ذلك ، وهو المقصود بقوله تعالى : ( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا ) - السجدة / ٢٤ -

الرابع : الهداية فى الآخرة الى الجنة ، المعنى بقوله : ( سيهديهم ويصلح بالهم ) -

وقوله : ( ونزعنا ما فى صدورهم من غلٍ ) - الى قوله : الحمد لله الذى هدانا لهذا ) - الاعراف / ٤٣ - ،

وهذه الهدايات الاربع مترتبة فإن من لم يحصل له الاولى لا تحصل له الثانية ، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة ... والانسان لا يقدر أن يهدى أحدا الا بالدعاء وتعريف الطرق دون أنواع سائر الهدايات ، والى الاول أشار بقوله : ( وانك لتهدى الى صراط مستقيم ) ( يهدون بأمرنا ) ( ولكل قوم هاد ) أى داع ،

(١) فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب : ج ٥ / ٢٧٠٢

(٢) المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهاني : ٥٢٨ كتاب الهاء ، ونقلت كلامه بطوله مع بعض الحذف لعظم فائدته وحسن مسلكه ودقة فهمه

والى سائر الهدايات أشار بقوله : ( إنك لا تهدي من أحببت )  
وكل هداية ذكر الله عز وجل أنه منع الظالمين والكافرين فهي الهداية  
الثانية ، وهي التوفيق الذى يختص به المهتدون ، والرابعة التي هي الثواب  
في الآخرة وإدخال الجنة نحو قوله تعالى : ( كيف يهدي الله قوماً ٠٠٠ الى قوله  
والله لا يهدي القوم الظالمين ) - آل عمران / ٨٦ -  
وكقوله : ( ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا  
يهدي القوم الكافرين ) - النحل / ١٠٧ -

وكل هداية نفاها الله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن البشر  
وذكر أنهم غير قادرين عليها فهي ما عدا المختص من الدعاء وتعريف الطريق  
وذلك كاعطاء العقل وإدخال الجنة ، كقوله عز ذكره : ( ليس عليك هداهم  
ولكن الله يهدي من يشاء ) - البقرة / ٢٧٢ - ( ولو شاء الله لجمعهم على  
الهدى ) - الانعام / ٣٥ - ( وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ) - الروم / ٥٣ -  
( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ) ، والى هذا المعنى  
أشار بقوله تعالى : ( أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ) - يونس / ٩٩ -  
أي طالب الهدى ومُتحرره هو الذى يوفقه ويهديه الى طريق الجنة ، لا  
من ضاده فيتحرى طريق الضلال والكفر ، كقوله : ( والله لا يهدي القوم الكافرين  
- البقرة / ٢٦٤ - وفي أخرى : ( والله لا يهدي القوم الظالمين ) - البقرة / ٢٥٨ -  
وقوله : ( إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ) - الزمر / ٣ -  
والكاذب الكفار هو الذى لا يقبل هدايته ٠٠٠٠ ومن لم يقبل هدايته لم  
يهده ) انتهى المراد

قلت : نلاحظ كيف فصل لنا هذا الامام معاني الهداية والتي جاءت  
في القرآن ، وأن الذى يحدد كل معنى هو سياق الآية ولغظها ، وهذا الفهم  
لا يحصل الا بتدبر كتاب الله ، وتوهم الاختلاف انما يأتي من قلة التدبر  
والجهل باللغة وأساليب استعمالها ، ولهذا قال الله تعالى :  
( أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا  
كثيراً ) - النساء / ٨٢ -

---

(١) تمام الآية : ( كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن  
الرسول حق وجاءهم البينات ، والله لا يهدي القوم الظالمين )

٦ - قوله تعالى : في حق الرسول - صلى الله عليه وسلم - :  
( وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ) - النجم/٤٢ -  
هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يجتهد  
في شيء لأن كل ما ينطق به إنما هو وحي يوحى ،  
وهذا في الظاهر قد يُتوهم منه مخالفة ما جاء في آيات أخرى أن النبي  
صلى الله عليه وسلم - قد اجتهد<sup>(١)</sup> في بعض المسائل قبل نزول الوحي في  
تلك المسائل كما في آيات العتاب<sup>(٢)</sup>

(١) جواز اجتهاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعمله بالاجتهاد في الاحكام  
الشرعية والامور الدينية والحروب هو قول الجمهور من العلماء، ومن أصرح  
أدلتهم في ذلك ما جاء في آيات العتاب والتي تدل على أن الرسول قد اجتهد  
في تلك الوقائع فجاء الوحي بعد ذلك ببيان ان الاولى خلاف ذلك ، من ذلك مثلاً  
ما حصل بعد غزوة بدر بشأن الأسرى حيث شاور الرسول أصحابه في شأن الأسرى ،  
والشاور لا تكون الا فيما لم ينزل فيه وحي ، وكذلك حكمه - صلى الله عليه وسلم -  
بعد استطلاع آراء أصحابه بأخذ الغداء ، والذي يدل على أن هذا الحكم باجتهاد منه  
نزول الوحي بقوله تعالى : ( لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم )  
ولو كان ما أخذه من الفداء بوحى من الله ما نزل ذلك ،  
كما استدلل القائلون بجواز الاجتهاد للرسول وعمله بذلك استدلوا بنصوص كثيرة من  
السنة منها : ما رواه البخارى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال :  
( بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - في بعث فقال : إن وجدتم فلانا وفلانا  
فأحرقوهما بالنار ، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أردنا الخروج  
: إني أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا وإن النار لا يُعذب بها الا الله ، فان  
وجدتموهما فاقتلوهما ) البخاري : الجهاد ، باب ١٤٩ لا يعذب بعذاب الله ج ٤ / ٢١  
ولو كان ما أمر به أولاً عن وحي لما رجع عنه ، وقد استدلل بهذا الحديث الحافظ ابن  
حجر على : جواز الحكم بالشيء اجتهاداً ثم الرجوع عنه ، فتح الباري : ١٥٠ / ٦  
وراجع للتوسع في الموضوع ومعرفة أدلة الجمهور ومخالفهم : كتاب : آيات عتاب  
المصطفى في فوء العصمة والاجتهاد ، د . عويد بن عياد المطرفي من : ٦٨ - ٩٥  
وانظر : المستصفى : ٣٥٦ / ٢ ، الاحكام للآمدي : ١٤٣ / ٤ ، تفسير الزمخشري : ٢٨ / ٤ ، تفسير  
الرازي : ٢٢٢ / ٢٨ ، ٥٦ / ١٧ ، شرح النووى : ١٤١ / ١ ، ارشاد الفحول للشوكاني : ٢٥٦  
(٢) العتاب في اللغة : يستعمل ليعان منها أن العتاب مخاطبة الادلال والاشفاق ،  
وعتاب الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - تذكيره في تلذذ واشفاق بما يقع من الخطأ  
في اجتهاده توعداً الى تصحيح هذا الخطأ الذي يعود بالرسول - صلى الله عليه وسلم -  
الى موافقة مراد الله تعالى ، وتحقيق المطلوب منه عليه الصلاة والسلام فينال  
كامل الرضا -، آيات عتاب المصطفى : ١٠٤  
فاجتهاد الرسول إما أن يكون عوابة فيقره الله عليه ولما أن يكون خلاف مراد  
الله فيصوب ، فيرجع الأمر الى الوحي



وذلك مثل قوله تعالى: (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) - براءة / ٤٣ -

هذه الآية جاءت عندما أذن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لجماعة من المنافقين بالتخلف عن الغزو، حيث أذن لهم قبل أن ينكشف حالهم، فجاء العتاب على المسارعة بالاذن لهم بالعودة دون أن يتلبث بهم حتى ينكشف سرهم، ويظهر الصادق من الكاذب، لذا فإن العتاب قد جاء على مخالفة ما هو أولى بالحزم في حق هؤلاء المنافقين (١)

وكما في قوله تعالى: ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ) - براءة / ١١٣ -

(٢)

ومعنى الآية حسب ما سقت له: النهي عن الاستغفار للمشركين: أى لا تستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لكم أنهم ماتوا على كفرهم وأنهم من أهل النار، وقد نزلت الآية لما عرض الرسول - صلى الله عليه وسلم - الإيمان على عمه أبي طالب فأبى ومات على الكفر، فقال الرسول: ( والله لأستغفرنّ لك ما لم أُنّه عن ذلك ) (٣)، مع أنه تبين له أنه مات على كفره لقوله تعالى: ( من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ) ، فالعتاب في الآية وارد على ما أتاه اجتهاد الرسول من جواز الاستغفار للمشرك الذي تبين أنه من أصحاب الجحيم، وهذا لا يجوز في في مراد الله، لأن من مات على الكفر لا يُستغفر له ولا يوعده بالاستغفار له (٤)

(١) تفسير الكشاف للزمخشري: ١٩٢/٢، تفسير أبي السعود: ٢٧٢ / ٢  
روح المعاني للإلوسي: ١٠٧/١٠، آيات عتاب المصطفى: ١٥٨ - ١٦١  
والذى يدل على أن الآية جاءت عتاباً على خطأ في الاجتهاد - وهو الإسراع بالاذن قبل تبين الصادق من الكاذب منهم - هو تعقيب الدعاء بالعتاب استغها ما انكاريا ومن الجدير بالذكر أن نفس الاذن لهم بالعودة كان صواباً لأنهم مشبطين مغلذين لا فائدة من خروجهم، لكن العتاب جاء على الإسراع بالاذن لهم دون التلبث الذى يكشف عن حقيقة المنافقين ليعرفهم الناس ويفضحهم الله على رؤوس الأشهاد

(٢) الوجه الاول والاصلي في استعمال هذا الاسلوب: هو النفي للفعل، وكذلك نفي التهيء له، ونفي ارادته والصلاحية له كما قال العلماء، وعلى هذا الوجه يكون معنى الآية: ما كان من شأن النبي وما كان شأن المؤمنين أن يدعوا للمشركين بالمغفرة... لكن الذى يجعل الآية للنهي هو سبب نزولها كما تقدم، انظر:

البحر المحيط لأبي حيان: ٤٢٦/١، تفسير القرطبي: ٢٧٤ / ٨، فتح القدير: ٤١٠/٢  
شرح النووي: ج١/ ٢١٥، وانظر: آيات عتاب المصطفى: ١٨٠ - ١٨١

(٣) سبق تخريج الحديث قريباً، ولا ينافي كون السورة من آخر ما نزل أن أبا طالب توفي قبل الهجرة بثلاث سنين لأنه قد تكون السورة مدنية وفيها آيات مكية والعكس صحيح، لأن ترتيب الآيات والصور توقيفي وليس حسب ترتيب النزول، واحكم على السورة بأنها مدنية أو مكية هو باعتبار الغالب

(٤) آيات عتاب المصطفى: ١٨٥

ومن آيات العتاب أيضا قوله تعالى :  
( يا أيها النبي لِمَ تَحْرِمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ ) - التحريم / ١ -  
والمراد بالتحريم في هذه الآية: هو المعنى اللغوي وهو الامتناع ، كما  
قال تعالى في موضع آخر : ( وحرّمنا عليه المراضع من قبل ) - القصص / ١٢ -  
أي منعنا موسى المراضع أن يرتضع منهن من قبل أمّه (١)  
وتفسير الآية بذلك لأنه هو الاصل أولا ، ولامتناع صدور المعنى الشرعي  
منه - صلى الله عليه وسلم - ثانيا (٢) ، والعتاب في الآية جاء على ما أداه  
اجتهاده اليه من منع نفسه - صلى الله عليه وسلم - عمّن أحل الله له وهو  
سريته مارية القبطية أمّ ولده ابراهيم ، أو العسل على خلاف في ذلك (٣) تقدّما  
لرضى أزواجه على ما يختص براحته النفسية ومتعته الجسدية ، كما قال تعالى :  
( تبتغي مرضاة أزواجك )

فهذه ثلاث آيات من الآيات التي جاء الوحي فيها بتصويب ما أداه  
اجتهاد الرسول اليه مما هو خلاف الاولى ،  
وهذه الآيات وما شاكلها والتي ظاهرها أن فعل الرسول أو قوله في هذه  
الوقائع جاء على خلاف الوحي قد يُتوهم أنها تنافي مدلول قوله تعالى :  
( وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ) - النجم / ٣ -  
والجواب عن ذلك انه اذا فهم معنى قوله تعالى : ( وما ينطق  
عن الهوى ) الآية زال هذا التوهم وعلم توافق الآيات وانسجامها ،  
فمعنى الآية أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا ينطق بالقرآن عن هواه انما هو  
وحي من عند الله ، وهذا ما يفيد دلالة السياق ، ولأن كلام المنكرين كان  
في شأنه ، وذلك انهم قالوا : إنه يقول القرآن من تلقاء نفسه (٤)  
قال ابن كثير : ( ان هو الا وحي يوحى ) : أي إنما يقول ما أمر به  
يُبلغه الى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان ) اهـ

- 
- (١) تفسير الطبري : ٤٠ / ٢٠ ، زاد المسير : ٢٠٦ / ٦ ، لسان العرب : ١٢٥ / ١٢ مادة حرم  
(٢) تفسير الرازي : ٤٢ / ٢٠ ، البحر المحيط : ٢٨٩ / ٨ ، روح المعاني : ١٤٧ / ٢٨  
(٣) بسبب اختلاف الروايات في ذلك ، وكونه العسل هو الذي في الصحيحين والمهم هو  
ان التحريم قد وقع منه - صلى الله عليه وسلم - انظر لذلك : احكام القرآن  
لابن العربي : ١٨٤٤ / ٤ ، شرح النووي على مسلم ٧٦ / ٩ ، زاد المسير : ٣٠٢ / ٨ - ٣٠٦  
تفسير ابن كثير : ج٤ / ٦٠٣ ، فتح الباري طبعة الطبى : ١١ / ١٩٩ - ٢٠٠  
وقد استوعب الدكتور عويد المطرفي في كتابه : آيات عتاب المصطفى المبحث ورجح ان  
التحريم كان لسريته مارية القبطية ام ولده ابراهيم ، فليراجع  
(٤) زاد المسير : ٦٣ / ٨ ، (٥) تفسير ابن كثير : ٢٨٣ / ٤ النجم / ٣

وقال الفخر الرازي<sup>(١)</sup>: (الظاهر خلاف ما هو المشهور عند بعض المفسرين وهو أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ما كان ينطق إلا عن وحي ، ولا حجة لمن توهم هذا في الآية ، لأن قوله تعالى: (إن هو إلا وحي يوحى) إن كان ضمير القرآن فظاهر ، وإن كان ضميرا عائدا الى قوله فالمراد من قوله هو القول الذي كانوا يقولونه فيه إنه قول شاعر ، ورد الله عليهم فقال : (وما هو بقول شاعر) وذلك القول هو القرآن ) ، ثم رد الرازي على من قال: إن معنى الآية أن كل ما ينطق به الرسول إنما هو وحي يوحى، فقال : ( وهذا يدل على أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يجتهد وهو خلاف الظاهر ، فانه في الحروب اجتهد وأذن لمن قال الله : (عفا الله عنك لم أذنت لهم) نقول على ما ثبت : لا تدل الآية عليه فلا تعارض ) اهـ  
أى إن الآية وهي قوله تعالى : ( .. إن هو إلا وحي يوحى ) لا تدل على أن النبي لم يجتهد لأن المراد بها هو القرآن ، وليس كل ما ينطق به النبي - صلى الله عليه وسلم -

قال القرطبي<sup>(٢)</sup>: ( قال قتادة : وما ينطق بالقرآن عن هواه إن هو الا وحي يوحى اليه ) اهـ  
وقال أبو حيان<sup>(٣)</sup> : ( ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهر لأنه قال : ( أم يقولون ثقوله ) أى اختلف القرآن ، ونسبوه الى الشعر ، وقالوا هو كاهن ومجنون ، فأقسم تعالى أنه - صلى الله عليه وسلم - ما ضل ، وأن ما يأتي به هو وحي من الله ) اهـ

قلت : فقوله تعالى : ( وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ) ليس فيه نفي لأن يكون للرسول اجتهاد فيما لم ينزل فيه وحي ، لأن الآية جاءت ردا وابطالا لما كان يزعمه الكفار من أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يفتري القرآن من عند نفسه ، وقد حكى الله تعالى قولهم ذلك بقوله : ( وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ) - الفرقان / ٤ -

فالاية ليست عامة في كل ما ينطق به الرسول ، والتخصيص واقع قطعا بما ينطق به النبي في غير الاحكام الشرعية ، فالعموم ليس بصحيح ، وعلى فرض أنه عام في جميع ما ينطق به النبي - صلى الله عليه وسلم - فليس فيه اثبات أن النبي ليس له ان يجتهد ، لأن اجتهاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وما يستند اليه كله وحي وليس نطقا عن الهوى وانما اتباع للوحي المأذون له فيسببه

(١) في تفسيره : ج ٢٨٢ / ٢٨٢ (٢) الجامع لاحكام القرآن : ج ١٧ / ٨٤

(٣) البحر المحيط : ج ٨ / ١٥٧

بالاجتهاد ، واذ كان مؤتدى الاجتهاد على خلاف مراد الله يأتي التصويب من الله تعالى لأن النبي لا يُقرُّ على خطأ ، فيرجع الأمر كله الى الوحي (١) ، فلذلك فإن آيات العتاب والتي فيها تنبيه أو توجيه للرسول - صلى الله عليه وسلم - لاتباع ما هو أولى وأعوب بسبب اجتهاده الذي لم يوافق الوحي، لا يعارض قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) لأن المراد بها: هو القرآن الذي لا ينطق به الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن هواه إنما هو كلام رب العالمين نزل به الروح الامين على قلب سيد المرسلين ، فبلغه كما أنزل : ( يا أيها النبي بلِّغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ) - المائدة / ٦٧

فليس كل ما ينطق به الرسول وحي من عند الله اذ انه بشر ينطق بما ينطق به البشر في شئون حياته وخاصة أمره ،

وأستطيع حصر ما هو وحي أمر الرسول بتبليغه بالاتي :

#### ١- القرآن الكريم

٢- الاحاديث القدسية ، وهي ما ثبت عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - من قوله قال الله تعالى ، أو ما يُعبر عنه بعض الرواة بقولهم : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه

٣- الاحاديث النبوية التي صدرت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - على سبيل تبليغها عن الله عز وجل ، والأصل في كل حديث أن يكون تبليغاً عن الله إلا ما دلت القرائن على خلافه (٢)

- 
- (١) تفسير الزمخشري : ٢٨/٤ ، مجموع الفتاوى لابن تيمية : ١٨٩ / ١٥ ، وانظر : ايات عتاب المصطفى : ٧٨ ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ( والذي عليه جمهور اهل الحديث والفقهاء أنه يجوز عليهم الخطأ في الاجتهاد لكن لا يقرون عليه ) اهـ
- (٢) ومما دلت القرائن على أنه من اجتهاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وليس وحياً من عند الله الامثلة التالية : ١- حديث الامر بالتحريق بالنار والرجوع عنه ، والذي تقدم في هامش ص : ٤٢٣ من هذا الفصل
- ٢- الحديث الذي رواه البخارى ومسلم\* عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : ( لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت الهدى ولحللت مع الناس حين حلوا ) الحديث ، فلو كان قوله في هذه الواقعة وحياً لما تأسف
- ٣- ومن ذلك ايضاً قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - في قصة ذى اليمين لما سلم من ركعتين في صلاة رابعة ، فسأله ذو اليمين : أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال النبي : " كل ذلك لم يكن " وفي رواية : " لم أنس ولم تُقصِرْ ... " \*
- وهذا القسم ليس بكثير في السنة ، بل أغلب السنة من قسم ما أمر بتبليغه

---

\* البخارى : في التمني ، باب قول النبي : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت : ج١٨/١٢٨ ومسلم : في الحج ، باب بيان وجوه الاحرام ( شرح النووى : ١٥٥/٨ ) واللفظ للبخارى

\*\* البخارى في السهو ، باب يكبر في سجدي السهو ، ج٢٦/٢٦٦ ( شرح النووى : ج٥/ ٦٨ - ٦٩ ) ومسلم : في كتاب المساجد ، باب السهو في الصلاة ، ( شرح النووى : ج٥/ ٦٨ - ٦٩ )

٧- قوله تعالى : ( فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم )  
- النور / ٦٢ -

هذه الآية الكريمة تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم - له الأذن لمن

شاء لقوله تعالى: ( فأذن لمن شئت منهم ٠٠ )

وقد جاءت آية أخرى قد يُتوهم منها خلاف ذلك وهي قوله تعالى

( عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا

وتعلم الكاذبين ) - التوبة / ٤٣ -

والجواب : أن الآيتين لا تنافي بينهما ، والرسول - صلى الله عليه وسلم -

كان له حق الأذن لمن شاء لمن يستأذن من أصحابه عندما يكونون في أمر

جامع يقتضي اشتراك الجماعة فيه لرأى أو حرب أو عمل هام ، أو بعد

صلاة جامعة كصلاة عيد أو جمعة ، فلا يذهب المؤمنون حتى يستأذنوا إمامهم

كي لا يُصبح الأمر فوضى بلا وقار ولا نظام ،

وكان تخير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عامًّا في الأوقات والأشخاص

بما يحقق المصلحة لأمر الدين والجماعة ، ولما كان إذنه - صلى الله

عليه وسلم - في غزوة تبوك لبعض المستترين بالإنفاق قبل أن يتبين المنافق

من الكاذب ، وكان استئذانهم لمجرد التظلف وليس لعذر لاجرم عاتبه الله

تعالى على ترك الأولى وهو التوقف عن الأذن الى انجلاء الأمر وانكشاف الحال

المشار اليه بقوله سبحانه : ( حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين )

أى فيما أخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة ، كأنه قيل :

لِمَ سارعت الى الأذن لهم ، ولم تتوقف حتى ينجلي الأمر كما هو قضية الحزم

اللائق بشأنك الرفيع ، ولهذا فإنَّ العتاب لم يأت على مطلق الأذن

انما جاء للمسارعة في الأذن قبل انجلاء الامر في مثل تلك الظروف ، وهي

ظروف الجهاد والتجهز للقتال والتي ينكشف فيها هؤلاء المنافقون ،

ولا يخفى أنه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين أو منفعة للمسلمين

بل كان فيه فساد وخبال حسبما قال الباري : ( لو خرجوا فيكم ما زادوكم

إلا خبالا ٠٠٠ ) - وقد كره الله خروجهم كما قال : ( ولكن كره الله

انبعاثهم ) - ، والآية دلت أن الأولى تأخير الأذن حتى يظهر كذبهم ويفتضحوا

على رؤوس الأشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الأمن والدعة ، ولا يتسنى

لهم ابتهاج فيما بينهم بأنهم غرّوه - صلى الله عليه وسلم - وأرضوه بالأكاذيب

ولكن الله كشف أمرهم وهتك سترهم (١)

(١) تفسير الرازي : ٧٥ / ١٦ ، تفسير القرطبي : ١٥٤ / ٨ ،  
تفسير ابن كثير : ٢٢ / ٥٦٢ النور / ٤٣ - ، روح المعاني : ١٠ / ١٠٧ ،  
أضواء البيان : ١٠ / ٢٢٠ ، في ظلال القرآن ج٤ / ٢٥٣٥

قال ابن الجوزي (١) : ( وروى عن ابن عباس أنه قال : نُسخت هذه الآية بقوله تعالى : ( فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ) - النور / ٦٢ -  
قال أبو سليمان الدمشقي : وليس للنسخ هاهنا مدخل لامكان العمل باليتين وذلك أنه عاب على المنافقين أن يستأذنه في القعود عن الجهاد من غير عذر ، وأجاز للمؤمنين الاستئذان لما يعرض لهم من حاجة ؛ وكان المنافقون إذا كانوا معه فعرضت لهم حاجة ذهبوا من غير استئذانه (٠) اهـ

---

(١) زاد المسير : ج٣ / ٤٤٦

## الفصل الثالث

### موهم آيات المؤمنين

١- قوله تعالى بشأن نصرته لعباده المؤمنين :  
( وإن جنودنا لهم الغالبون ) - الصافات / ١٧٢ -  
وقال : ( إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم  
يقوم الاشهاد ) - غافر / ٥١ -

هذه الايات تثبت أنّ الغلبة والنصر لعباد الله المؤمنين ، وقد  
وردت آيات أخرى تحدثت عن تعذيب المؤمنين وقتلهم ، كقوله تعالى :  
( إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون  
الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم ) - آل عمران / ٢١  
وقوله تعالى في حق أصحاب الأخدود :  
( قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود وهم  
على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله  
العزیز الحميد ) - البروج / ٤ - ٨ -

فهذه الايات وغيرها تثبت أنّ من عباد الله المؤمنين من قُتل  
وعُذب على أيدي الطغاة والجابرة ، وهذا قد يُتوهم من ظاهره أنه ينافي  
ما وعد الله به عباده المؤمنين من النصر والغلبة كما تقدم في الايات  
والجواب : ان عباد الله المؤمنين منصورون دائما وأبدا ، كما وعد  
الله سبحانه ، وهم لا يخرجون عن إحدى حالتين :  
الاولى : أن يكونوا قد أمروا بقتال وجهاد وهم في هذه الحالة لهم الغلبة  
دائما ما داموا متمسكين بأوامر الله وسائرين على نهجه ، مقتدين بأنبيائه  
لقوله تعالى : ( إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ) - محمد / ٧ -  
وقوله : ( والله ولي المؤمنين ) - آل عمران / ٦٨ - أي الذين التزموا بالايان  
الحق وما يستلزمه من سلوك قويم على صراط الله المستقيم ، ووعد المؤمنين  
بالنصر والغلبة يستلزم الأمر بالجهاد حتى يُعذب الله الكفار بأيدي المؤمنين  
ويشفي صدورهم كما قال : ( قاتلوهم يُعذبهم الله بأيديكم ويُخزهم وينصركم  
عليهم ويشفي صدور قوم مؤمنين ) - التوبة / ١٤ -  
وقوله أيضا : ( وإن يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير  
ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر  
الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ) - الانفال / ٨٦ -

وذات الشوكة يُقصد بها الجهاد والقتال الذي به يُحقُّ اللهُ الحقَّ ويُبطل به الباطل على أيدي عباد الله المؤمنين المجاهدين ، ويُذل به أعداء الدين كما حصل في بدر وغيرها من معارك المسلمين ، فنصرة الله وتأيدته متحققة في كل زمان ومكان يكون فيه جنود الله مخلصين مجاهدين مهما وُضعت في طريقهم العوائق والعراقيل ، ومهما رُصد لهم من حديد ونار ودعاية واغتراء ، وتبقى الحرب سجال ثم تنتهي الى الوعد الرباني بالتمكين في الارض ،

قال الله تعالى : ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ) - النور / ٥٤ - ٥٥ -

فنحن نلاحظ كيف كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشتد عليهم البلاء في مكة حتى يشتكوا من ذلك الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبأمرهم بالصبر وكف الايدي حتى أذن الله لهم بالهجرة ثم الجهاد فمكّن الله لهم وأبدل خوفهم أمنا ، واستخلفهم في الارض ففتحوا مشارق الارض ومغاربها ، ونشروا دين الله وحطموا طواغيت الارض ، إنه وعد الله الذي لا يتخلف لجنده المؤمنين الذين يصدقون في إيمانهم وجهادهم ،

أمّا إن كان هناك ثغرات في الايمان والسلوك فان النصر لا بد وأن يتخلف ولذلك قال تعالى : ( ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ) - النساء / ١٤١ -

أى المؤمنين الملتزمين المتجردين لله وإقامة دينه ، يقول الشهيد سيد قطب (١) - رحمه الله - : ( وأنا أقرر في ثقة بوعد الله لا يخالفها شك أن الهزيمة لا تلحق بالمؤمنين ولم تلحق بهم في تاريخهم كله إلا وهناك ثغرة في حقيقة الايمان ، إما في الشعور وإما في العمل - ومن الايمان أخذ العدة واعداد القوة في كل حين بنية الجهاد في سبيل الله ، وتحت هذه الراية وحدها مجردة من كل إضافة ومن كل شائبة - وبقدر هذه الثغرة تكون الهزيمة الوقتية ثم يعود النصر للمؤمنين حين يوجدون ، ففي أحد مثلا كانت الثغرة في ترك طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفي الطمع في الغنيمة ، وفي حين كانت الثغرة في الاعتزاز بالكثرة والاعجاب بها ونسيان السند الاصيل ، ولو ذهبنا نتتبع كل مرة تخلف فيها

(١) في ظلال القرآن : ج٢ / ٧٨٢ النساء / ١٤١



النصر عن المسلمين في تاريخهم لوجدنا شيئا من هذا نعرفه أو لانعرفه  
أما وعد الله فهو حق في كل حين ، على انني إنما أعني بالهزيمة  
معني أشمل من نتيجة معركة من المعارك ، إنما أعني بالهزيمة هزيمة الروح  
وكلال العزيمة ، فالهزيمة في معركة لا تكون هزيمة إلا اذا تركت آثارها في  
النفوس همودا وكلا لا وقنوطا ، فأما اذا بعثت الهمة وأذكت الشعلة، وبصّرت  
بالمزالق ، وكشفت عن طبيعة العقيدة وطبيعة المعركة وطبيعة الطريق ،  
فهي المقدمة الاكيدة للنصر الاكيد ولو طال الطريق ،

وكذلك حين يقرر النص القرآني : أن الله لن يجعل للكافرين على  
المؤمنين سبيلا ٠٠٠ فإنما يُشير الى أن الروح المؤمنة هي التي تنتصر ،  
والفكرة المؤمنة هي التي تسود ، وإنما يدعوا الجماعة المؤمنة التي  
استكمال حقيقة الايمان في قلوبها تصورا وشعورا ، وفي حياتها واقعا وعملا  
وآلا يكون اعتمادها كله على عنوانها ، فالنصر ليس للعنوانات انما هو  
للحقيقة التي وراءها ٠٠٠ إن قاعدة المعركة لقهر الباطل هي إنشاء الحق  
وحين يوجد الحق بكل حقيقته وبكل قوته يتقرر مصير المعركة بينه وبين  
الباطل مهما يكن هذا الباطل من الضخامة الظاهرية الخادعة للعيون ،  
( بل نقذف بالحق على الباطل فيدمنه فإذا هو زاهق )  
( ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ) (٠) اهـ

قلت: هذه الحالة الاولى وهي التي يكون فيها عباد الله مأمورين  
بالتقال والجهاد

والحالة الثانية : هو أن يكون عباد الله المؤمنين غير مأمورين بقتال  
كما حصل مع أصحاب الاخدود ، والذين أمروا بالقسط في بني اسرائيل ، وسحرة  
فرعون ، وحبيب النجار وغيرهم ، فهو لاء أثبت الله لهم النصر في الدنيا  
والآخرة ، أما نصره الدنيا فهي بشيئين اثنين : أولهما النصر بالحجة  
والبرهان وظهور الحق ، فما زال اتباع الانبياء الملتزمين بشرع الله  
ظاهرين على عدوهم بما يؤيدهم الله من حجة وبرهان وأدلة ساطعة ، فسما  
يملك الطغاة بعد ذلك الا العناد والمكابرة ثم إنزال العذاب بأولياء الله  
وفي هذه الحال فإن الله ينصر عباده المقتولين أو المعذبين بأن ينتقم  
لهم من أعدائهم بإهلاكهم في الدنيا قبل الآخرة ، ويأخذ لهم بثأرهم ،  
والانتقام لهم في الدنيا هو نصر وأي نصر ، كما سماه الله في كتابه  
في قوله تعالى : ( ومن قُتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يُسرف  
في القتل إنه كان منصورا ) - الاسراء / ٣٣ - أي منصورا بما شرع  
الله من المقاصمة وقتل القاتل ، وقد انتصر لعباده المومنين كما قال في  
حق فرعون الذي نكّل باتباع موسى عليه السلام وقتل السحرة الذين آمنوا :

قال في حقه : ( فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ، إنَّ في ذلك لعبرة

لمن يخشى ) - النازعات / ٢٥-٢٦ -

وبني اسرائيل الذين قتلوا الانبياء والذين يأمرون بالقسط منهم ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ) وبعث اليهم من يجوس خلال ديارهم يقتلهم ويحببهم ، والذين بطشوا بحبيب النجار ذلك المؤمن الذي دعا قومه للايمان بالرسول أنزل الله بهم عذابه كما قال الباري :

( وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين

إنَّ كانت الاصححة واحدة فإذا هم خامدون ) يس / ٢٨-٢٩ -

وهذا العذاب لهم خزي في الحياة الدنيا ولهم في الآخرة عذاب الحريق وكل ذلك نصر من الله لعباده في الحياة الدنيا بالانتقام لهم ، وفي الآخرة بإدخالهم أشد العذاب ، وصدق الله ان يقول :

( انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد )

كما أن ثبات المؤمنين علي دينهم وصبرهم على الابتلاء واستشهادهم في سبيل عقيدتهم هو في حد ذاته نصر وأي نصر ، ان ثبات المؤمن أمام التحديات أكبر من كل نصر ، لأن ذلك يسقي نفوس الطغاة والظالمين كؤوس المرارة والحنق لما يرونه من ثبات وتصميم على الحق والمبادئ أمام كل الفتن والمغريات ، فهذا كله من نصر الدنيا الذي يوفق الله المؤمنين من عباده اليه ،

ويتبين لنا مما تقدم أنَّ المؤمنين منصورون في كل أحوالهم ، فمن أمر منهم بقتال وجهاد فان الله ناصره على عدوه ومظهره عليه وذلك متى كان متمسكا بدينه مظلما لربه ، ومن لم يؤصر بجهاد فان الله ناصره بالحجة والبرهان وبثبتيته على دينه واذا تعرض لأذى فان الله ينتقم له في الدنيا والآخرة وبهذا يتبين لنا توافق الايات واتسجامها والله الموفق

١٢- قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم  
عدوا لكم فاحذروهم ، وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فلن الله غفور رحيم  
انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ) التغابن / ١٥ -

هذه الايات تثبت أن من الزوجات والاولاد ما هو عدو للانسان يجب  
الحذر منهم ، وأن المال والولد فتنة ، قد تفتن المرء عن دينه  
وهناك آيات أخرى تثبت أن المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، قال تعالى :

( المال والبنون زينة الحياة الدنيا ) الكهف / ٤٦ -

وقال : ( زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة  
من الذهب والفضة ) آل عمران / ١٤ -

وقال في حق الأزواج : ( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا  
اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) الروم / ٢١ -  
أثبت هنا المودة والرحمة والسكن بينما قال في الآية المتقدمة ان

من الأزواج عدو للانسان المؤمن

والجواب عن ذلك : أن عداوة الاولاد والأزواج من حيث إنهم يحاولون  
بين المؤمن وبين الطاعات والامور النافعة لهم في آخرتهم ، وقد يحملونه  
على السعي في اكتساب الحرام وارتكاب الاثام لتأمين راحتهم ، ومن الناس  
من يحملهم حبهم والشفقة عليهم على أن يكونوا في عيش رغد في حياته وبعد  
ماتهم فيرتكب المحظورات لتحصيل ما يكون سببا لذلك فيهلك

ويدل على ذلك سبب النزول حيث أخرج الترمذی (١) والحاكم (٢) وابن  
جرير (٣) عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (( يا أيها الذين آمنوا إن من  
أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ..... ) في قوم من أهل مكة أسلموا وارانوا  
أن يأتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فأبى أزواجهم أن يدعوهم ، فلما أتوا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم - ورأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن  
يعاقبوهم ، فأنزل الله تعالى الآية (

فالإخبار عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو للزوج والوالد بمعنى  
أنه يلتهب بهم عن ذكر الله والعمل الصالح كقوله تعالى :  
( يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم وأولادكم عن ذكر الله ومن يفعل  
فأولئك هم الخاسرون ) المنافقون / ٩ -

(١) الترمذی : كتاب التفسير ، باب ومن سورة التغابن ، ج ٥ / ٤١٩ وقال : حسن صحيح  
المستدرک : كتاب التفسير ، ج ٢ / ٤٩١ ، وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي  
تفسير ابن جرير : ج ٢٤ / ٢٤٤ التغابن / ١٥ طبعة الحلبي

والانسان قد يتحمل العنت في نفسه ولا يحتمله في زوجه وولده، فيبخل  
ويجن ليوفر لهم الأمن والقرار والمتاع والمال ، فبسبب ذلك حيث إنهم  
صدوه عن الخير وعوقوه عن تحقيق غاية وجوده ، بسبب ذلك فعلوا به فعل  
العدو ، فكم من الناس أشغلهم حب الأولاد والأزواج وكثرة الأموال عن  
الالتزام بشرع الله ، فمن هذا الباب كان بعض الاولاد والازواج والاموال  
فتنة للانسان لما يترتب عليهم من الوقوع في المأثم والتقصير في  
الواجبات ، وحصول الشدائد الدنيوية وغير ذلك (١)

ومن الفتنة بهم أن الانسان يبقى دائم التفكير بهم وفي  
مصالحتهم والحنو عليهم ، حتى انه قد يعرض له حبهم والتفكير بهم  
أثناء العبادة والطاعة فيشوشوا عليه ،

اخرج الامام أحمد والنسائي وأبو داود والحاكم (٢) عن بُريدة  
- رضي الله عنه قال : ( كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب فأقبل  
الحسن والحسين عليهما قميضان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل النبي  
- صلى الله عليه وسلم - من المنبر فحمل واحدا من نا الشق وواحدا من  
نا الشق ، ثم صعد المنبر فقال : صدق الله ( إنما أموالكم وأولادكم  
فتنة ) إنني لَمَّا نظرت الى هذين الغلامين يمشيان ويعثران لم أصبر  
أن قطع كلامي ونزلت اليهما )

أمّا قوله تعالى : ( المال والبنون زينة الحياة الدنيا ..... )  
ونحو ذلك من الايات ، فإنه لَمَّا كان المال قوام الانسان كما قال تعالى  
( ولا تؤثتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ) - النساء/٥ -  
وبالمال يحصل البيع والشراء وتظهر به آثار نعمة الله على عبده في  
ملبسه ومأكله ومسكنه وعونه للفقراء ، فكان المال من هذا الباب زينة  
الحياة الدنيا لما فيه من النفع والجمال ،  
وكذلك الاولاد فان الناس يعتزون بكثرة الاولاد لأنهم عون على الحياة  
ونصرة لأهلهم خاصة إذا كانوا صالحين ، فلإن خير ما يترك المرء المسلم  
في هذه الحياة ولد صالح يدعو له ، وتشتد الاهمية للولد في كبر الوالدين

(١) زاد المسير : ٢٨٤/٨ ، تفسير الرازي : ٢٦/٣٠

تفسير ابن كثير : ٥٨٨/٤ التغابن/١٥ ، روح المعاني : ١٢٦/٢٨

في ظلال القرآن لسيد قطب : ج٦ / ٣٥٩٠

(٢) مسند الامام أحمد : ج٥ / ٣٥٤ ، ابو داود في الصلاة ، باب ٢٣٣ ، ج١ / ٦٦٣

النسائي : كتاب الجمعة ، باب نزول الامام عن المنبر ، ج٢ / ١٠٨

المستدرک للحاكم : كتاب الجمعة ، ج١ / ٢٨٧ ، وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه  
الذهبي

(١)

لحاجتهما للرعاية والعناية من قبل الاولاد ، قال الماوردي :

( لأنَّ في المال جمالا ونفعا وفي الأولاد قوة ودفعاً عارا زينة للحياة الدنيا . ) اهـ ، فكان الأولاد من هذا الباب زينة بشرط أن لا يُتَبَطَّوا آباءهم عن طاعة الله ورسوله ، فإن المال والاولاد ابتلاء ومحنة ليرى الله تعالى كيف صنع بهم ، فان ربنا الاولاد التربية السالحة وعلمناهم العلم النافع كانوا زينة الحياة الدنيا بالتكثير والعبون والرعاية ، وكانوا زينة الحياة الاخرة أيضا لأن الاولاد المؤمنين تمل دعواتهم وصدقاتهم الى آباءهم بعد وفاتهم ،

كما انهم يلتحقون ببعضهم في درجات الاخرة كما قال تعالى :

( والذين آمنوا واتبعتم نُرَبِّتْهُمْ بِإِيمَانٍ آَلْحَقْنَا بِهِمْ نُرَبِّتْهُمْ ۝۰ ) (الطور/ ٢١)

أما إن كان الهم الوحيد هو المكاثرة في الاولاد والتفاخر بهم فان زينتهم تقتصر على الحياة الدنيا ، وهي زينة ناقصة حيث إن الاولاد غير الصالحين لا يبد وأن يكونوا في الغالب عاقين لآبائهم ، مشبهين لهم عن الطاعات واتباع أوامر الله ، فمن هذا الباب يكونون لهم أعداءً وفتنة وابتلاءً ،

وكذلك الأمر بالنسبة للزوجة التي جعلها الله سكنا لزوجها وجعل بينهما مودة ورحمة إنما هي الزوجة السالحة العاقلة ،

عن أبي هريرة - رضي الله عن قال : ( قيل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي النساء خير؟ قال : التي تسره إذا أبصر ، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره ) (٢)

فهذه المرأة هي زينة الحياة الدنيا وكنزها الثمين لأنها تُعين زوجها على دينه وتربي أبنائه التربية السليمة السالحة ، وتضفي على حياته المودة السعادة والوفاق

أما التي عناها الله تعالى بقوله : ( يا أيها الذين إن مسن أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ۝۰ ) فهي الزوجة غير السالحة والتي لا دين لها ، والتي لا تُؤتمن على أولاد أو مال أو عرض ، فهذه الزوجة تهدد الاسرة من داخلها فأمر الله تعالى بالحذر منها ، وقد أمر الاسلام الأزواج أن يُحسنوا الاختيار من البداية ، وأن يتفحصوا بذات الدين صيانة للزواج والأولاد والبيوت ،

(١) تفسير الماوردي ( النكت والعيون ) ج٤ / ٤٨٤

(٢) اخرجه الامام احمد : ج٢ / ٢٥١

والنسائي : في النكاح باب : أي النساء خير ج٦ / ٦٨ رقم : ٢٢٢١  
والحاكم في المستدرک : كتاب النكاح ج٢ / ٢٦١ ، وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي

قال ابن الجوزي (!) قال الفراء : ( قال أهل المعاني : إنما دخل " مِنْ " في قوله تعالى : ( إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ .. ) لأنه ليس كل الأزواج والأولاد أعداءً ولم يذكر " مِنْ " في قوله تعالى : ( إنما أموالكم وأولادكم فتنة ) لأنها لا تخلو من الفتنة واشتغال القلب بها ) اهـ

قلت : ومما تقدم يتبين لنا توافق الآيات وانسجامها ، وأن الأولاد والأزواج لهم حالات يكونون فيها أعداءً وحالات يكونون فيها أولياءً وأنصاراً وأن المال قد يكون نعمة للإنسان إذا عرف حق الله فيه وأظهر فيه آثار نعمة الله ، وقد يكون نقمة وفتنة إذا لم يؤد حق الله فيه ولم يُظهر آثار نعمة الله ، واستغله في معصية الله ، وجعله همّه هذه الحياة الزائلة ، والله ولي التوفيق

٣- قوله تعالى : ( ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ) إنك أنت العزيز الحكيم ، وقهم السيئات ومن تقى السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ) - غافر/٩٨-  
وقوله تعالى : ( جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ) - الرعد / ٢٣ -

وقوله تعالى : ( والذين آمنوا واتبعهم نريتهم بإيمان ألحقنا بهم نريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين ) الطور/ ٢١ -  
هذه الايات الكريمة تثبت أن الأزواج والذرية المؤمنة يلحقون بدرجة أزواجهم وآبائهم ، وهذا في الظاهر قد يُتوهم منه منافاة ما جاء في آيات أخرى تدل أن الانسان لا ينتفع بعمل غيره ، وأن الوالد لا يجزى عن ولده شيئا كما قال تعالى :

( يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق ٠٠ ) - لقمان / ٢٣ -

والجواب : ان الايات متوافقة في معانيها ، فالآيات الاولى والتي تُفيد إلحاق الأبناء بدرجة الآباء وكذلك من صلح من الآباء والأزواج يلحقون بأبنائهم وأزواجهم ، فهذه الايات إنما تدل على فضل الله وكرمه ومزيد إحسانه لعباده المؤمنين الذين يدخلون الجنة بأن يجمعهم مع بعضهم في جنات الخلد وإن لم يكونوا في درجاتهم في الصلاح والتقوى ، وذلك لتقرر أعينهم وتزيد فرحتهم ويجمعهم شملهم تفضلا من الله تعالى كما قال :

( ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ٠٠ ) - النور/ ٣٨  
وقد أخرج ابن جرير والحاكم والبيهقي في سننه<sup>(١)</sup> عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : ( ان الله تعالى ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ، ثم قرأ الآية :  
( والذين آمنوا واتبعهم نريتهم بإيمان ألحقنا بهم نريتهم ٠٠ )

قال القرطبي<sup>(٢)</sup> : قال النحاس ما حاصله : ( إن هذا مما لا يُقال بالرأى فحكمه حكم المرفوع ٠ ) اهـ

(١) تفسير ابن جرير : ج ٢ / ٢٦ ، المستدرک : ج ٢ / ٤٦٨ ، الطور / ٢١ كتاب التفسير

سنن البيهقي : ج / ، الدر المنثور : ج ٧ / ٦٣٢

(٢) الجامع لاحكام القرآن : ج ١٧ / ٦٦

واخرج الامام أحمد<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول  
الله - صلى الله عليه وسلم - :

(إنَّ الله ليرفع الدرجة للعبد المالح في الجنة ، فيقول :

يا رب آنسى لي هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك - )

فهذا أيضا من فضل الله على عباده وهو إكرام الآباء بأعمال الأبناء ،  
كما أن من فضل الله مضاعفة الحسنات بعشر أمثالها أو أكثر، وانتفاع

المؤمن بدعاء أخيه المؤمن ، وانتفاع الميت بصلاة المسلمين عليه (٢) ،  
والصدقة عنه<sup>(٣)</sup> وصيامهم عنه<sup>(٤)</sup> ، وكذلك الحج عنه بعد موته<sup>(٥)</sup> ، وثواب كل

ذلك يصل اليه وهو لم يعمله ، فهذا من فضل الله تعالى

وهو تعالى لما ذكر مقام الفضل في قوله تعالى : ( والذين

آمَنوا واتَّبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم )

أعقبه بذكر مقام العدل وهو أنه تعالى لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره فقال  
: ( كل امرئ بما كسب رهين ) أى مرتبه بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من

الناس ، قال الألوسي<sup>(٦)</sup> :

( فلما ذكر سبحانه حال المتقين وأنه عز وجل وقر عليهم ما أعده

لهم من الثواب والتفضل ، عقب بقوله ( كل امرئ بما كسب رهين ) ليدل على  
أنهم فكوا رقابهم وخلصوها وغيرهم بقي معذبا لأنه لم يفك رقبته ، وإنما جعل  
متظلا بين أجزية المتقين عقيب ذكر توفير ما أعد لهم ليدل على أن الخلاص من بعض  
أجزيتهم ) اهـ

(١) مسند أحمد : ج١/٥٠٩ بسند صحيح ، انظر تفسير ابن كثير : ج٤/٣٧٢ الطور / ٢١

(٢) كما روى مسلم وغيره عن عائشة مرفوعا : ( ما من ميت تطلي عليه أمة من الناس

يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه ) وفي رواية : ( أربعون لا يشركون

بالله شيئا ) - ( شرح النووى على مسلم : ج٧/ ١٧ ، كتاب الخناز )

(٣) اخرج البخارى ومسلم عن عائشة : ( أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم -

إن أمتي افتلتت نفسها ولم توحي ، وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر

ان تصدقت عنها ؟ قال نعم ) البخارى : في الجناز باب موت الفجأة ج١٠٦/٢

ومسلم : في الزكاة واللفظ له : ( شرح النووى : ج٧/ ٩٩ )

(٤) روى البخارى ومسلم وغيرهم عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعا : ( من مات

وعليه صيام تام عنه وليه ) البخارى : في الصوم باب من مات وعليه صوم ٢٣٩/٢

ومسلم في الصوم ( شرح النووى : ج٨ / ٢٣ )

(٥) روى البخارى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : ( أن امرأة من جهينة

جاءت الي النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت : إن أمتي نذرت أن تحج فلم

تحج أفأحج عنها ؟ قال نعم حجي عنها ، رأييت لو كان على أمك دين أكنت

قاضيته ؟ أقضوا الله فالله أحق بالوفاء ) البخارى ، في الحج باب الحج والنذر

عن الميت ج٢١٦/٢

(٦) روح المعاني : ج٢٧/ ٣٣



(١)

وقال الرازي عند تفسير قوله تعالى: (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم...): فيها قولان ، الأول : قال ابن عباس : يريد من صدق بما صدقوا به وإن لم يعمل مثل أعمالهم ، وقال الزجاج : بين تعالى أن الأنساب لا تنفع اذا لم يحصل معها أعمال سالحة ، بل الآباء والازواج والذريات لا يدخلون الجنة إلا بالأعمال السالحة ، والصحيح ما قال ابن عباس لأن الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره بحضور أهله معه في الجنة ، وذلك يدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع الآتي بالأعمال السالحة ، ولو دخلوها بأعمالهم السالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ، ولا فائدة في الوعد به إذ كل من كان مطلحا في عمله فهو يدخل الجنة ، والمقصود بشارة المطيع بكل ما يزيده سرورا وبهجة فإذا بشر الله المكلف بأنه إذا دخل الجنة فإنه يحضر معه آباؤه وأزواجه وأولاده فلا شك أنه يعظم سرور المكلف بذلك وتقوى بهجته.

قلت : فهذا كله يبين لنا ما أنعم الله به من فضله ومزيد إحسانه ، أمّا قوله تعالى : ( واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده... فإن المراد بذلك هو الكافر ، والمراد باليوم يوم الجزاء والحساب قبل انصراف الناس الى الجنة أو النار ، فاذا كان الولد غير مؤمن فإن والده المؤمن لا يجزي عنه شيئا ، وكذلك الوالد إن كان غير مؤمن فإن ولده المؤمن لا يجزي عنه شيئا ، لأن الانساب في ذلك اليوم لا تنفع إن لم يكن هناك إيمان وعمل صالح ، فعلى هذا فإن المقصود بقوله تعالى :

(٢)

( واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده... ) هم الكفار كما قال المفسرون فلو أراد الولد المؤمن أن يفدى أباه الكافر لما قبل منه ،

وقد خاطب الله سبحانه بني اسرائيل في سورة البقرة بقوله :

( واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ

منها عدل ولا هم ينصرون ) - البقرة / ٤٨ -

قال الزجاج (٣) : ( كانت اليهود تزعم أن آباءها الانبياء تشفع

لهم يوم القيامة ، فأيسهم الله بهذه الاية من ذلك ) اهـ

قلت : وكثير من الآيات في القرآن جاءت لتكذيب أطماع المشركين الباطلة ، وأن ما تعلقوا به من دون الله من قرابة أو صهر أو نكاح

(١) في تفسيره : ج١٨ / ١٦

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري : ج٣ / ٧٢١ ، ج٤ / ٢٤ ، زاد المسير : ج٦ / ٣٢٩ ،

ج١ / ٧٦ ، البحر المحيط : ج٧ / ١٩٤ ، تفسير ابن كثير : ج٣ / ٧٢١ لقمان / ٣٣

روح المعاني للالوسي : ج٢٤ / ١٠٧ - ١٠٨

(٣) زاد المسير : ج١ / ٧٦

أو صحبة) ينفعمهم يوم القيامة أو يُجيرهم من عذاب الله أو يشفع لهم عند الله ، حيث إن هذه الأطماع أصل ضلال بني آدم وشركهم ، حيث قالوا : ( هولا شفاعونا عند الله ) - يونس / ١٨ -  
فبيّن القرآن الكريم أنّ اتصال البُتوة والأبوة والزوجية والذي ليس فوقه اتصال لم ينفع أقرب الناس للانبيا فلم يُغن نوح عن ابنه شيئا ، ولا ابراهيم عن أبيه ، ولا نوح ولا لوط عن امرأتيهما من الله شيئا  
قال الله تعالى : ( لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ) يوم القيامة يفصل بينكم ) - الممتحنة / ٣ -

وقال : ( واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا )  
وقال : ( واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ٠٠٠ )

وهذا كله كما تقدم تكذيب لأطماع المشركين الباطلة بالتعلق بالانساب والأحساب والخلان من دون الله تعالى ، وكل ذلك يُبين لنا أنّ الايات التي تدلّ أنه لا يجزي أحد عن أحد إنما هو في حق الكفار وذلك في موقف الحساب ، لأن الله تعالى قد نفى أن يكون للكافر شقاعة أو فداء أو نصرة ، لأن النصرة يومئذ تكون لعباد الله المؤمنين كما قال تعالى :

( إنّنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم

الاشهاد ٠٠ ) - غافر / ٥١ -

هذا وقد أثبت الله تعالى الشقاعة لعباده المؤمنين وأعظمها الشقاعة الكبرى للرسول صلى الله عليه وسلم - والتي يشفع فيها لأهل الموقف حتى يُقضى بينهم بعد أن يتدافعها الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، وهي المقام المحمود الذي وُعد به - صلى الله عليه وسلم - وهي

(١) حديث الشقاعة متواتر نعمّ على ذلك علماء الاسلام ، انظر :

قطف الأزهار المتناثرة في الاحاديث المتواترة للحافظ السيوطي : ص : ٣٠٣

نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني : ص ١٤٩ رقم : ٣٠١

لوامع الانوار للسفاري : ج ٢ / ٢٠٤ - ٢٠٨

هذا وقد بلغت رواية حديث الشقاعة اكثر من عشرين صحابيا ، وأخرجه أصحاب

الحديث ، فرواه البخارى : في التوحيد باب ٣٤ ، ج ٨ / ١٨٤ ، وباب ٣٦ ج ٨ / ٢٠٠

وفي الانبياء باب ٣ ج ٤ / ١٠٤ ، ومسلم في الايمان (شرح النووي : ٣ / ٥٥ - ٥٨ )

احمد في مسنده في عدة مواضع : ج ١ / ٥ ، ٢٨٢ ، ٢٩٥ ، ج ٢ / ٤٣٦ ، ج ٢ / ١١٦

الترمذى : في صفة القيامة ، باب ما جاء في الشقاعة ، ج ٤ / ٦٦٢

الحاكم في المستدرک : كتاب الاهوال ج ٤ / ٥٨٨ وانظر مجمع الزوائد للمهيّمي :

ج ١٠ / ٣٦٧

وهي المرادة بقوله - على الله عليه وسلم - : ( لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ، وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة )<sup>(١)</sup>

وكذلك ثبتت شفاعة الانبياء والملائكة والمؤمنين ، فقد أخرج الشيخان<sup>(٢)</sup> عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه - : قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ٠٠٠ وساق الحديث الى قوله : فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ، قال أبو سعيد : فإن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا وإن شئتم : ( إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ) فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط ٠٠٠ الحديث )

فثبت الشارع بهذه الأدلة وغيرها انتفاع الموحدين بشفاعة الانبياء والملائكة والمؤمنين ، كما أثبت انتفاعهم بالخلة والنصرة كما تقدم ، فلذلك فان قوله تعالى : ( واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ٠٠٠ ) لا تعارض ما ثبت من تفضل الله على الآباء والابناء والأزواج برفع درجاتهم بشفاعة بعضهم لتتم لهم النعمة والسرور ، لأن نفي انتفاع الولد بوالده أو الوالد بولده أو زوجه إنما هو في حق الكفار كما تقدم ، ويدل على ذلك أن الله تعالى قد نفى عن أهل الشرك والكفر كل شفاعة أو خلة أو نصرة يوم القيامة كما قال تعالى في حقهم : فما تنفعهم شفاعة الشافعين ) - المدثر / ٤٨

وقال : ( فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ) - الشعراء / ١٠٠ -

وقال : ( الاخلاء يومئذ بعضهم ابغض عدو إلا المتقين ) - الزخرف / ٦٧ -

أما قوله تعالى : ( وأن ليس للانسان الا ما سعى ) فانها أيضا لا تعارض ما تقدم من انتفاع الآباء والابناء والأزواج بأعمال بعضهم ، وذلك من عدة أوجه :

الوجه الأول : أن الآية إنما دلت على نفي ملك الانسان لغير سعيه ولم

---

(١) أخرجه الامام البخاري : كتاب الدعوات ، باب ١ ج ١ / ١٤٥  
ومسلم : كتاب الايمان ، باب الشفاعة ( شرح النووي : ج ٣ / ٧٤ ) واللفظ له

(٢) البخاري : كتاب التوحيد ، باب ٢٤ وجوه يومئذ ناضرة ج ٨ / ١٨٢  
ومسلم : في كتاب الايمان ، ( شرح النووي : ج ٣٠ / ٣٢ ، ٦٠ - ٦٣ )

تدل على نفي انتفاعه بسعي غيره ، لأنه لم يقل : " وأن لن ينتفع  
الانسان إلا بما سعى " ، وإنما قال : ( وأن ليس للانسان إلا ما سعى )  
وبين الأمرين فرق ظاهر لأن سعي الغير ملك لساعيه إن شاء بذلك  
لغيره فانتفع به ذلك الغير وإن شاء أبقاه لنفسه (١)  
فسعي الغير هو حق وملك لذلك الغير لكن هذا لا يمنع أن ينتفع  
الانسان بسعي غيره تفضلا من الله ، فمن طوى على جنازة يُثاب على سعيه  
الذي هو صلاته ، والميت أيضا يُرحم بصلاة الحي عليه وسعيه لدعائه له  
ومدقته عنه وصيامه عنه ووجهه عنه ، ودعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب من  
السعي الذي يفتخر به المؤمن أخاه ، يُثيب الله هذا ويرحم هذا  
وليس كل ما ينتفع به الميت أو الحي أو يرحم به يكون من سعيه  
بل أطفال المؤمنين يدخلون الجنة مع آبائهم بلا سعي (٢)  
قال ابن عطية (٣) : والتحرير عندي في هذه الآية أن ملاء المعنى هو  
اللام من قوله سبحانه : ( للانسان ) فإذا حققت الشيء الذي حق الانسان  
ان يقول فيه لي كذا ، لم تجده إلا سعيه ، وما يكون من رحمة بشفاعته  
أو رعاية أب صالح أو ابن صالح أو تضعيف حسنة أو نحو ذلك فليس  
هو للانسان ، ولا يسعه أن يقول لي كذا وكذا إلا على تجوز وإلحاق  
بما هو حقيقة . اهـ

#### الوجه الثاني :

أن إيمان الذرية هو السبب الأكبر في رفع درجاتهم ، إذ لو كانوا  
كفاراً لما حصل لهم ذلك ، وإيمان العبد وطاقته سعي منه في انتفاعه  
بعمل غيره من المسلمين ، كما وقع في صلاة الجماعة فإن صلواتهم مع بعض  
يتضاعف بها الأجر زيادة على صلاة أحدهم منفردة ، وتلك المضاعفة انتفاع  
بعمل الغير سعى فيه المصلي بإيمانه وصلاته في الجماعة ، وهذا الوجه  
يشير إليه قوله تعالى : ( واتبعتم ذريتهم بإيمان ) (٤)

فانتفاع الانسان بسعي غيره مبني على سعي نفسه للإيمان والطاعة ،  
نقل الالوسي (٥) ( أن والى خراسان سأل الحسين بن فضل عن هذه  
الآية مع قوله تعالى : ( والله يُضاعف لمن يشاء ) - البقرة / ٢٦١ -  
فقال : ليس له بالعدل إلا ما سعى له بالفضل ما شاء الله تعالى  
فقبل الوالي رأس الحسين ) اهـ

(١) أضواء البيان للشيخ الشنقيطي : ج ١٠ / ٢٧٨

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية : ج ٢٤ / ٣١٢ - ٣١٣

(٣) روح المعاني : ج ٢٧ / ٦٧ (٤) زاد المسير : ٨١ / ٨ ، القرطبي : ١١٤ / ١٧

روح المعاني : ٢٧ / ٦٦ ، أضواء البيان : ١٠ / ٢٧٢ ، (٥) روح المعاني : ٢٧ / ٦٦

وهذا الفضل إنما يُعطيه الله لأهل التوحيد ، فكل من دخل في التوحيد فقد سعى للانتفاع بدعاء المسلمين وشفاعتهم وصدقاتهم ونحو ذلك ، أخرج الامام أحمد (١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص : ( أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن يذبح مائة بدنة ، وأن هشام بن العاص نحر حصته خمسين ) ، وأن عمراً سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك فقال : : أما أبوك فلو أقرّ بالتوحيد فصمت عنه أو تصدقت عنه نفعه ذلك . )

قلت : والعبد لما دخل في التوحيد والعمل الصالح فقد سعى لما وعده الله من رفع الذرية الى درجة الآباء وإن لم يبلغ درجة صلاحهم وهذا مثل وعد المحسن بالأعمال والأضغاف المماعة ، فإذا أتى بحسنة راجيا أن يؤتية الله ما يتفضل به فقد سعى في الامثال ، كما أنه لما دخل في التوحيد يكون قد سعى للانتفاع بشفاعدة النبي العظمى يوم القيامة لأهل التوحيد ؛

الوجه الثالث : أن السعي الذي حصل به رفع درجات الاولاد ليس للاولاد كما هو نص قوله تعالى : ( وأن ليس للانسان الا ما سعى ) ولكنه من سعي الآباء ، فهو سعي للآباء أقر الله به عيونهم بسببه بأن رفع اليهم اولادهم ليتمتعوا في الجنة برويتهم ، فالاية على هذا لاتنافى الآية الأخرى لأن المقصود بالرفع إكرام الآباء لا الاولاد ، فاننتفاع الاولاد تبع ، فهو بالنسبة لهم تفضل من الله عليهم بما ليس لهم كما تفضل بذلك على الولدان والصور العين والخلق الذين يُنشئهم للجنة (٣)

هذا وقد ورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه الامام مسلم (٤) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : ( اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له . )

(١) مسند أحمد : ج ٢ / ١٨٢

(٢) تفسير الفخر الرازي : ج ٢٥ / ١٥ ، ٢٩ / ١٦

(٣) أضواء البيان ، للشيخ الشنقيطي : ج ١٠ / ٢٧٨

(٤) صحيح مسلم : كتاب الوصية ، باب ما يلحق من الثواب بعد وفاته ( شرح النووي : ١٣ / ٨٥ )  
ورواه ابو داود : كتاب الوصايا ، باب ما جاء في الصدقة عن الميت : ج ٣ / ٣٠٠  
والنسائي : في كتاب الوصايا ، فضل الصدقة عن الميت : ج ٦ / ٢٥١

فهذا الحديث قد يتوهم منه عدم انتفاع الميت المسلم من غير سعيه ، والحديث لا يدل على ذلك ، فقول الرسول : اذا مات الانسان انقطع عمله : أى انقطع ثواب عمله الصالح الذى كان يعمله في الدنيا الا هذه الثلاثة فان ثوابها لا ينقطع لأنها من كسبه وعمله ويمتد اثرها بعد موته وليس في الحديث ما يمنع انتفاع الميت بسعي غيره كما وردت به النصوص مثل الصدقة ودعاء المسلمين والحج عنه والصوم عنه ، وكذلك لا يمنع الحديث ان المؤمن ينتفع بشفاعة الاباء أو الاولاد تفضلا من الله تعالى وغير ذلك مما يلحق المؤمن من غير سعيه ،

وهذه الثلاثة الواردة في الحديث انما هي من سعيه وكسبه ، فالولد من سعيه وكسبه لكونه كان سببه ، كما ورد في الحديث : ( ان أطيّب ما أكل الرجل من كسبه وان ولد الرجل من كسبه (١) )  
وقد قال تعالى : (( ما أغنى عنه ماله وما كسبه ) - المسد / ٢ -  
قال المفسرون : ان المراد بقوله وما كسب : اولاده

والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي آثار عمله ووقفه ، وقد  
وقد قال تعالى ( ٥٠ ونكتب ما قدموا وآثارهم ٥٠ ) - يس / ١٢ -  
والعلم الذى نشره بين الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضا  
من سعيه وعمله ، وثبت في الحديث :

( من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه من غير أن ينقص من أجرهم شيئا . ) (٢)  
فالحديث يدلنا على أن اعمال الانسان نفسه ينقطع ثوابها بعد موته الا هذه الثلاثة التي تقدم شرحها ، وليس فيه نفي للانتفاع بعمل الغير تفضلا من الله تعالى (٣)

---

(١) اخرجہ النسائي : في كتاب البيوع ، باب الحث على الكسب ، ج٧ / ٢٤٠  
وأحمد في مسنده ج١ / ٢١

(٢) اخرجہ احمد : ج٢ / ٢٨٠

ابو داود في سننه ج٥ / ١٦ ، كتاب السنة ، باب لزوم السنة  
وابن ماجة في المقدمة : باب من سن سنة حسنة أو سيئة ج١ / ٧٤

(٣) تفسير ابن كثير : ج٤ / ٤٠١ ، مجموع الفتاوى : ج٢٤٦ / ٢٠٦

شرح النووي على مسلم : ( ج١١ / ٨٥ )

٤- قوله تعالى في حق عباده المؤمنين :

( والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون ) - الشورى / ٣٩ -

هذه الآية يُفهم منها أنّ من صفة عباد الله المومنين الانتصار ممن يظلمهم أو يبغى عليهم ، وهذا في الظاهر قد يُتوهم منه منافاة الآيات الأخرى والتي جاء فيها الأمر بالصبر والحلم على الجاهليين ومن هذه الآيات قوله تعالى :

( وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ) - الفرقان / ٣٧ -

وقوله تعالى : ( واذا ما غضبوا هم يغفرون ) - الشورى / ٦٣ -

وقوله تعالى : ( وأن تعفوا أقرب للتقوى ) - البقرة / ٢٣٧ -

وقوله تعالى : ( واذا مروا باللغو مروا كراما ) - الفرقان / ٧٢ -

والجواب : ان هذه الآيات ترجع الى الحكمة في المعاملة وهو وضع الشيء في محله ، فالله سبحانه قد حدد للمؤمنين صفتين كل صفة ترجع الى حالة معينة ،

فالحالة الاولى : وهي الانتصار عندما يصيب المؤمن بغي أو إساءة فهي عندما يكون الباغى معلنا بالفجور متماذيا في غيه مؤذيا للضعيف والكبير ، مصر على عدوانه ، فهذا يكون الانتصار منه أفضل ، وفي مثل هؤلاء قال ابراهيم النخعي ومجاهد - رحمهم الله - : ( كانوا يكرهون أن يُستذلوا فيجترؤ عليهم الفساق ، فإننا قدرنا عفو )

فالله تعالى : مدح عباده المومنين بأن فيهم همة الانتصار للحق ، والحمية له ، ليسوا بمنزلة الذين يعفون عجزا وذلا لأن ذلك مما يُذم ، والممدوح هو العفو مع المقدرة والقيام لما يجب من نصر الحق وعدم إهمال حق الله وحق العباد ،

والمؤمن إذا قدر عفا ، فالانتصار ليس منافيا للعفو لأنه يكون باظهار القدرة على الانتقام ثم يقع العفو بعد ذلك فيكون أتمّ وأكمل ، لأن العفو هنا ابتداءً بدون إظهار القدرة على الانتقام يمسر سببا لمزيد جرأة الجاني ولقوة غيظه وغضبه ، والعفو عن المصّر على الاعتداء والسفاهة يكون كالإغراء له ولغيره (١)

(١) زاد المسير لابن الجوزي : ٧ / ٢٩٢ ، تفسير الرازي : ٢٧ / ١٧٨

مجموع الفتاوى : ج ١٥ / ١٧٤ ، تفسير ابن كثير : ج ٤ / ١٧٨ الشورى / ٣٩

روح المعاني للالوسي : ج ٢٥ / ٧٦ ، لوامع الانوار للسفارينبي : ج ١ / ٣٨١

روى النسائي وابن ماجة (١) عن عائشة - رضي الله عنها - : أن زينب بنت جحش - وكان فيها سورة من جدّة - أقبلت على عائشة وهي غضبي فوقعت بها ، فلم تبرح زينب حتى عرفت عائشة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يكره أن تنتصر ، فأقبلت عليها عائشة حتى أحضمتها وأسكتتها

وهو سبحانه قد بيّن في الآية مشروعية الانتصار ، ثم بين بعده أن هذه المشروعية مشروطة برعاية المماثلة ، ثم بين أن العفو أولى بقوله تعالى : ( فمن عفا وأصلح فأجره على الله )

ويرى القرطبي (٢) في قوله تعالى : ( وإذا أصابهم البغي هم ينتصرون ) أي أصابهم بغي المشركين ، قال ابن عباس : وذلك أن المشركين بغوا على رسول الله وأصحابه وأنوهم وأخرجوهم من مكة فأذن الله لهم بالخروج ومكّن لهم في الأرض ونصرهم على من بغى عليهم ، وذلك قوله تعالى في سورة الحج :

( أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأنّ الله على نصرهم لقدير . )

الآيات ٣٩/٤١ - ٤١

وقيل هو عام في بغي كل باغ من كافر وغيره ، إذا نالهم ظلم ظالم لم يستلموا لظلمه ، وهذه إشارة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود . ( ٥ ) اهـ

قال ابن كثير (٣) : ( أي فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم )

واعتدى عليهم ، ليسوا بالجاجزين ولا الأذلين بل يقدرّون على الانتقام ممن بغى عليهم وان كانوا مع هذا اذا قدرّوا عفو ، كما قال يوسف عليه السلام لأخوته : ( لا تشرىب عليك اليوم يغفر الله لكم ) مع قدرته على مؤآخذتهم ومقابلتهم على منيعهم إليه ، وكما عفا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أولئك النفر الثمانية الذين قصدوه عام الحديبية ونزلوا من جبل التنعيم فلما قدر عليهم من عليهم مع قدرته على الانتقام . ( ٥ ) اهـ

فالعفو لا يكون إلا مع المقدرة على جزاء السيئة بالسيئة ، - فهنا يكون للعفو وزنه ووقعه في اصلاح المعتدى والمسامح سواء ، فالمعتدي حينما يشعر أن العفو جاء سماحة ولم يجيء ضعفا يخجل

(١) سنن النسائي : في النكاح ، باب حب الرجل بعض نساءه أكثر من بعض ج ٧ / ٦٨

سنن ابن ماجة : في النكاح ، ج ١ / ٦٣٧ ، رقم : ١٩٨١ وهو حديث صحيح

(٢) تفسير القرطبي : ٢٨ / ١٦

(٣) تفسير القرآن العظيم : ج ٤ / ١٧٨ الشورى ٢٧



ويستحي ويحس بأن خصمه الذي عفا هو الأعلى ، والقوى الذي يعفو تصفوا نفسه وتعلو ، فالعفو عندئذ خير لهذا وهذا ، أما العفو عند الضعف والعجز فليس له ثَمَّة وجود وهو شر يُطمع المعتدى ويُذل نش المعتدى عليه وينشر في الأرض الفساد (١)

والحالة الثانية :

أن تقع الاساءة أو التعدى من السفهاء والجهلة وفاقدى الادب ، وهو ما أشار اليه قوله تعالى : ( واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ) فهذه الاية جاءت لمدح المؤمنين في معاملتهم ، ووصفهم بالافضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام ، بل يعفون ويصفحون ولا يقولون الا خيرا ، كما كان رسول الله - صلوات الله عليه وسلم - لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حِلْمًا ، قال مجاهد (٢) رحمه الله :

( معنى سلاما : سدادا ، أى يقولون للجاهل كلاما يُدفع به برفق ولين )

ونظير ذلك قوله تعالى :

( واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم

سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ) - القصص / ٥٥ -

أى لا نُجازيهم بالباطل على باطلهم ، فعباد الرحمن من صفاتهم الحِلم والعفو لما يصدر من إساءة أو فُحش من السفهاء ، لا يغضبون لأنفسهم وهذا من محاسن الاخلاق ، حيث يشفقون على من ظلمهم ، ويصفحون عن من جهل عليهم يطلبون بذلك ثواب الله تعالى وعفوه لقوله تعالى :

( والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين )

آل عمران / ١٣٤ -

فالافضاء عن السفهاء وترك المقابلة مُستحسن في الشرع والعقل وسبباً لسلامة العرض وصيانة الوقت ( وهم - أى عباد الرحمن - في جدهم ووقارهم وقصدتهم الى ما يُشغل نفوسهم من اهتمامات كبيرة لا يتلفتون الى حماقة الحمقى وسفه السفهاء ، ولا يشغلون بالهم ووقتهم وجهدهم بالاشتباك مع السفهاء والحمقى في جدل أو عراك ، ويرفعون عن المهاترة مع المهاترين الطائشين ، ( واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ) لا عن ضعف ولكن عن ترفع ، ولا عن عجز وإنما عن استعلاء وعن عيانة الوقت والجهد أن ينفقا فيما لا يليق بالرجل الكريم المشغول عن المهاترة بما هو أهم وأكرم وأرفع ) (٣)

(١) في ظلال القرآن : ج٥ / ٣١٢٧

(٢) تفسير ابن كثير : ج٣ / ٥١٩ ، تفسير القرطبي : ٦٩ / ١٣

زاد المسير : ج٦ / ١٠١ ، تفسير الرازي : ج٢٣ / ١٠

(٣) في ظلال القرآن : ج٥ / ٢٥٧٨

والعفو والمغفرة من عباد الله المؤمنين إنما هي لمن تآون منه الغلظة والزلة ، أو يقع ذلك ممن يعترف ويسأل المغفرة ، وكفلك إذا كان العفو سببا لتسكين الفتنة وجناية الجاني ورجوعه عن جانيته ، فالعفو هنا أفضل ، وآيات العفو والصفح محمولة عليه ، قال القرطبي (١) - رحمه الله - : والموضع المأمور فيه بالعفو إذا كان الجاني نادما مقلعا ، وقد قال عقيب هذه الآية : ( ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ) ، ويقتضي ذلك إباحة الانتصار لا الأمر به ، وقد عقبه بقوله : ( ولمن عبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ) وهو محمول على الغفران عن غير المصر ، فأما المصر على البغي والظلم فالأفضل الانتصار بدلالة الآية التي قبلها .

قلت : وبهذا يتبين لنا كيف مدح الله عباده المؤمنين بالانتصار من الباغي المصّر المعتدى المّجاهر الذي لا يردعه سوى إظهار القدرة على الانتصار ، وأن عباد الرحمن يُفرّقون بين هذا الباغي وبين السفيه الجاهل الذي لا نفع معه سوى المشاركة والاضغاء عن جهله وحماقته صيانة للعرض وحفاظا على الوقت وترفعا عن المباشرة ،

وكذلك عفوهم عن تقع منه الزلة والغلظة ويطلب المغفرة ، فالناس في معاملتهم متفاوتون وأساليبهم تختلف ، فمن الحكمة معاملة الناس بحسب حالهم ، وهذا ما يتميز به عباد الرحمن

(٢)

واختم هنا بقول الألويسي رحمه الله : حيث قال :

(فالعفو عن العاجز المعترف بجرمه محمود ولفظ المغفرة مُشعر به ، - والانتصار من المّخاض المصر محمود ولفظ الانتصار مشعر به ، ولو أوقعا على عكس ذلك كانا مذمومين ، وعلى هذا جاء قول الشاعر :

إذا أنت أكرمتَ الكريمَ ملكته  
وإنْ أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمردا

فوضع الندي في موضع السيف بالعل

مُضْرُ كوضع السيف في موضع الندي ، أو

(١) تفسير القرطبي : ج ١٦ / ٣٨

(٢) روح المعاني : ج ٢٥ / ٤٧

٥ - قوله تعالى في حق عباده المؤمنين :

(والذين آمنوا ولم يُهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يُهاجروا) - الانفال / ٧٢ -

تدل هذه الآية أن مَنْ لم يهاجر لا ولاية بينه وبين المؤمنين حتى يهاجر ، وهناك آية أُخرى لكم تُقيّد الولاية بالهجرة بل جعلتها بين جميع المؤمنين وهي قوله تعالى :

( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ) - التوبة / ٧١ -

والجواب أن الآية الأولى إنما نعت ولاية الميراث ، وكان ذلك في بدء الإسلام لما هاجر المؤمنون إلى المدينة المنورة ديار الإسلام وبقي في مكة وغيرها مؤمنون لم يهاجروا فرغبهم الله تعالى بالهجرة ، قال ابن عباس وغيره : ( جعل الله الميراث للمهاجرين والانصار دون نوى الارحام للاخوة التي آخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بينهم ) .

فيكون معنى الآية وهو قوله تعالى : ( ما لكم من ولايتهم شيء ) . أي : ما لكم من شيء من ميراثهم حتى يهاجروا ، لأن المهاجرين والانصار كانوا يتوارثون بالمؤاخاة التي جعلها النبي - صلى الله عليه وسلم - بينهم فمن مات من المهاجرين ورثه أخوه الانصاري دون أخيه المؤمن الذي لم يهاجر حتى نسخ ذلك بقوله تعالى : ( وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ) - الاحزاب / ٦ -

(١)

أخرج الحاكم والطيالسي والطبراني عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : ( آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه وورث بعضهم من بعض حتى نزلت : ( وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض ) فتركوا ذلك وتوارثوا بالنسب ) .

وروى مثل ذلك عن مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي ومقاتل بن سليمان (٢) ،

قال الالوسي : ( ويدل على ان المقصود ولاية الميراث قولنـه تعالى بعدها : ( وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر ) أي فوجب عليكم أن تنصروهم على المشركين أعداء الله وأعدائكم ) .

(١) مسند الطيالسي : ج٢ / ١٩ ، مجمع الزوائد : ج٧ / ٢٨

المستدرک : ج٤٥ / ٢٤٥ من حديث الزبير بن العوام ، وقال : صحيح الاسناد ووافقه

الذهبي ، وانظر : الصحيح المسند من أسباب النزول : ٧٥

(٢) تفسير ابن كثير : ج٢ / ٥١٦ ، تفسير الماوردي : ج٢ / ١١٤ ، زاد المسير : ٣ / ٣٨٥

احكام القرآن للشافعي : ج١ / ١٤٦ ، الرد على الزنادقة للامام احمد : ١٦ - ١٧

التنبيه والرد للملطي : ٦٤ ، روح المعاني : ١٠ / ٣٨ ، اضواء البيان : ١٠ / ١٤٢

قلت: فهذا يدل على أن الولاية المنفية وهى ولاية الميراث غير ولاية  
النصرة المثبتة في قوله تعالى: ( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء  
بعض ) فالولاية هنا هى ولاية النصرة والمؤازرة والتعاون بين المؤمنين  
وعلى هذا فتوهم الاختلاف مدفوع بما تقدم

وهناك وجه آخر في تفسير قوله تعالى: ( والذين آمنوا ولم  
يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء ) : وهو أن المؤمنين للذين  
لم يهاجروا ليس لهم في المغانم نصيب ولا في خمسها إلا ما حضروا  
فيه القتال ، قال بذلك ابن كثير<sup>(١)</sup> واستشهد بحديث رواه الإمام أحمد  
ومسلم<sup>(٢)</sup> عن يزيد بن الخصيب الأسلمي - رضي الله عنه - قال : ( كان رسول  
الله - صلى الله عليه وسلم - إذا بعث أميرا على سرية أو جيش أو ما فى  
خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرا وقال : ( أغزوا باسم  
الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، اذا لقيت عدوك من  
المشركين فادعهم الى ثلاث خصال - أو ثلاث - فأيتهن ما أجابوك إليها  
فاقبل منهم وكف عنهم ، ادعهم الى الاسلام فإن أجابوك فاقبل منهم  
وكف عنهم ، ثم ادعهم للتحويل من دارهم الى دار المهاجرين ، وأعلمهم  
إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين وأن عليهم ما على المهاجرين ،  
فان أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى  
عليهم حكم الله الذي يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الفداء -  
والغنيمة نصيب ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فان هم أبوا فادعهم  
الى إعطاء الجزية فان أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم ، فان أبوا فاستعن  
بالله وقاتلهم . ) اهـ

وعلى هذا الوجه الذى ذكره ابن كثير في تفسيره فليس هناك  
إشكال لأن المنفي هو نصيب من لم يهاجر من المغانم والفداء ،  
والمثبت هو ولاية النصرة والمؤازرة والتعاون ،  
وليس هناك مانع من تناول الآية للجميع ، فيكون المراد بها : نفي  
الميراث بينهم ونفي القسم لهم في الثنائم والخمس<sup>(٣)</sup> والله أعلم

(١) تفسير القرآن العظيم : ج٢ / ٥١٦ ، الانفال / ٧٢

(٢) مسند أحمد : ج٥ / ٣٥٢ ، عن يزيد بن الخصيب الأسلمي  
ومسلم في صحيحه : كتاب الجهاد ، باب تأمير الامراء على البعوث ، عن بريدة

( شرح النووي : ج١٢ / ٣٧ )

(٣) أنظر : أضواء البيان للشيخ الشنقيطي : ١٤٣ / ١٠

٦ - قوله تعالى:

( انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم  
وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون... )  
الأنفال / ٢ -

وصف الله تعالى حال عباده المؤمنين حق الإيمان بأن قلوبهم توجل  
لذكر الله أي تخاف وتفرع ،

بينما وصفهم في آية أخرى بقوله : ( الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم  
بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ) - الرعد / ٢٨ -  
فقد يُتوهم أن بين الخوف والطمأنينة تنافي أو تعارض

والجواب : أن عباد الله المؤمنين لهم صفات وحالات يتنقلون  
فيها بين الخوف والرجاء والرغبة والرهبة ، كذلك بين الطمأنينة  
والتي هي كمال المعرفة وثقة القلب وسكون النفس وثلج اليقين  
وشرح الصدر بمعرفة التوحيد ،

وبين الوجيل وهو : الخوف من الله وتعظيمه والهيبة منه ،  
ولا منافاة بينهما ، لأن المؤمن من المطمئن قلبه بمعرفة الله وتوحيده  
وتوفيقه هو مع ذلك دائم الخوف من الله يراقبه في كل أحواله  
يخشى من التقصير ومن عقاب الله ،

وهذان الوصفان قد اجتمعا في قوله تعالى : ( الله نزل أحسن  
الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعراً منه جلود الذين يخشون ربهم  
ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله... ) الزمر / ٢٣ -

أي تسكن نفوسهم مذ حيث اليقين على الله ، وإن كانوا يخافون الله ،  
ولذلك وصف الله أحوال المؤمنين عند سماع ذكره وتلاوة كتابه فقال :

( واذ سمعوا ما أنزل على الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع

مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فما كتبتنا مع المشركين ) المائدة / ٨٣

والاية وإن كانت في وصف من آمن من اهل الكتاب ، إلا أن بعض

أوصافهم هذه هي خلائق لعامة المؤمنين ،

كما أن المؤمن من حق الإيمان وإن كان مطمئن القلب بوعده الله منشرح

الصدر بمعرفة توحيده وآياته ، متيقن بشوابه وإحسانه ، إلا أنه دائم

(١) الخوف أيضا من زيغ القلب ، والذهاب عن الهدى ، فتوجل القلوب لذلك

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن : ٢٠٣ ، زاد المسير : ج٢ / ٢٢٠

تفسير الرازي : ج١٨ / ٥٠ ، تفسير القرطبي : ج٧ / ٢٦٥

تفسير ابن كثير : ج١ / ٤٥٢ الأنفال / ٢ ، البرهان للزركشي : ج٢ / ٦٢

روح المعاني للالوسي : ج٩ / ١٦٥ ، أضواء البيان : ١٣٥ / ١٠

ولهذا كان من دعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي يُكثر منه : ( يا مُقلِّبِ القلوب ثبِّت قلبي على دينك ) ، فقال الصحابة يا رسول الله آمنا بك وما جئت به فهل تخافُ علينا ؟

قال : نعم ، إنَّ القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يُقلِّبها ( ١ )

فهكذا حال المؤمنين المتعلقين بربهم الراغبين في مرضاته ، والطامعين في جناته ، والهاربين من سخطه وعقابه هم بين الطمانينة والوجل ، ذلك أنهم يتدبرون آيات الله حق التدبير فيفهمون ما فيها وإذا ذُكروا بها لم يخروا عليها عمًا وعميانا ، بل فرحوا بها واستبشروا لما فيها من وعد وبشرى ورحمة وتذكير بنعم الله تعالى ، وإذا مرت بهم الآيات التي فيها ذكر جلال الله وعظمته وقدرته ووعيده لأهل الباطل بالعقاب والانتقام وما فعله سبحانه بالأمم الماضية من هلاك وعقاب انتابتهم هبة الله والخوف منه ، لشعورهم بالتقصير وخوفهم على أنفسهم من ذنوبهم مهما صغرت ، فيفعلوا أوامره ويتركوا زواجره ، كقوله تعالى :

( والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يُصروا على ما فعلوا وهم يعلمون )

وقوله تعالى : ( وإيمان خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ) - النازعات /

ولهذا قال سفيان الثوري<sup>(٢)</sup> : ( سمعت السدي يقول في قوله تعالى ( انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ) قال : هو الرجل يريد أن يظلم أو يهمل بمعصية فيقال له اتق الله فيجل قلبه ) ولنا في أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خير أسوة فقد روى الامام الترمذي وصحة<sup>(٣)</sup> عن العراب بن سارية - رضي الله عنه - قال : ( وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موعظة بليغة ذرعت منها العيون ووجلّت منها القلوب ... ) الحديث

وبهذا يتبين لنا أن طمأنينة القلب بذكر الله ومعرفته وانسراح الصدر بتوحيده عندما يكون العبد مستغرقا في الطاعة ، لا ينافي حصول الخوف والهيبة من عظمة الله وعقابه عند الشعور بالتقصير أو الهمل بمعصية أو - لخوف زيفان القلب ، والله تعالى ولي التوفيق

(١) رواه احمد : ج٣ / ١١٢ والترمذي : في الدعوات رقم : ٣٥٠٧ وحسنه

ابن ماجه : في الدعاء ، باب دعاء رسول الله ج٢ / ١٢٦٠ رقم : ٣٨٣٤ عن انس بن مالك

(٢) الدر المنثور : ٤ / ١٢٠١ ، (٣) سنن الترمذي : كتاب العلم ، باب ١٦ ح ٤٣ / ٥٣

١٧- قوله تعالى : ( وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ) إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ، قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ، وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا ، وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ) - المائدة / ١١٢ - ١١٣

الآية الأولى تغيد إيمانهم وإسلامهم ، والثانية قد يتوهم منها أنهم كانوا شاكين في قدرة الله تعالى (١) مع أن الله سبحانه قد وصفهم بالحواريين ، وهذا ينافي أن يكونوا على الباطل وكذلك فإن الله تعالى أمر المؤمنين بالتشبه بهم والافتداء بسنتهم في قوله تعالى :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لَلْخَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ (٠٠٠) - الصف / ١٤ -

والجواب : أنه لا تعارض بين مدلول هذه الآيات وأنَّ الخواريين لم يشكوا في قدرة الله تعالى ، وهناك عدة توجيهات لقول الخواريين : ( هل يستطيع ربك؟ ) ،

الوجه الأول : أن قولهم : هل يستطيع ربك ؟ ( بمعنى : هل يفعل كما تقول للقادر على القيام : هل تستطيع أن تقوم ؟ مبالغة ،

قال ابن الأنباري : ( ولا يجوز لأحد أن يتوهم أنَّ الخواريين شكوا في قدرة الله وإنما هذا كما يقول الإنسان لصاحبه : هل تستطيع أن تقوم معي ؟ وهو يعلم أنه مستطيع ولكنه يريد : هل يسهل عليك ) اهـ ولهذا فإن التعبير عن الفعل بالاستطاعة من التعبير عن المسبب بالسبب إذ هي من أسباب الإيجاد (٢) ، وهذا كما قال بعض التابعين لبعض الصحابة هل تستطيع أن تُريني كيف كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتوضأ؟ وهو يعلم أنه يستطيع ذلك ، فالمعنى هل تفعل ذلك وتحقق رغبتك فيكون حاصل معنى الآية على هذا : هل يُنزل الله مائدة من السماء بسؤالك إياه ؟ فإن كان كذلك فاسأله لنا أن يُنزلها (٤)

الوجه الثاني : أن المعنى : هل يطيع ربك ، ويطيع بمعنى يجب مجازاً ، فالسين والتاء في قوله : (هل يستطيع ربك) زائدتان ،

(١) ادعى بعض أعداء الإسلام أن هذا السؤال لا يمكن أن يكون قد صدر على

لسان الخواريين ، مثل جولد زيهر المستشرق في : مذاهب التفسير : ٣٦ وانظر : تفسير القرآن للشيخ محمود شلتوت حيث ذكر توهم الاختلاف وأجاب عنه : ٢٦٣

(٢) زاد المسير : ٢ / ٤٥٦ ، (٣) روح المعاني : ٧ / ٥٨ تفسير الماوردي : ١ / ٤٩٩

زاد المسير : ٢ / ٤٥٦ (٤) القراءات في نظر المستشرقين : ١٣٦ عبد الفتاح

وكثيرا ما تُزاد السين والتاء في ألفاظ العرب وأساليبهم ، في نثرهم ونظمهم من ذلك قولهم : استجاب بمعنى أجاب ،

قال الامام ابن جرير (١) - رحمه الله - : ( إِنْ يُطِيعَ بِمَعْنَى يُجِيبُ ، والمعنى هل يستجيب إِنْ سألته ذلك ويطيعك فيه ) اهـ وهذا قول السدي (٢)

الوجه الثالث : أنهم كانوا عالمين باستطاعة الله وقدرته إما سألوه ولغيره علم دلالة وخبر ونظر ، فأرادوا علم معاينة كذلك ، كما قال ابراهيم عليه السلام : ( رب أرني كيف تحيي الموتى ) ولذلك قال الحواريون : ( وتطمئن قلوبنا ) كما قال ابراهيم : ( ولكن ليطمئن قلبي ) ، فسؤالهم كان ليحصل لهم مزيد الطمأنينة ، لأن مشاهدة مثل تلك الآية لا شك انها تورث الطمأنينة ،

وعلى هذه الأوجه الثلاثة يظهر لنا أن الحواريين لم يشكوا في قدرة الله تعالى ولذلك فإن هذه الآية لا تعارض ما جاء في آيات أخرى من إيمان الحواريين ونصرتهم لنبيهم حتى أن الله سبحانه أمرنا أن نقتدى بهم في نصرتهم وإيمانهم وتخضعاتهم ،

أمّا قوله تعالى حكاية عن عيسى - عليه السلام - مخاطبا الحواريين : ( اتقوا الله إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) فمعناه : إِنْ كُنْتُمْ كَامِلِينَ فَنَسِي الْإِيمَانَ وَالْإِخْلَاصَ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْكَامِلِينَ لَا يَطْلُبُونَ الْخَوَارِقَ وَلَا يَقْتَرِحُونَ الْآيَاتَ وَلَكِنْ حَالَهُمْ هَذَا يَشْبَهُ حَالَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا طَلَبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَقَالَ : ( أَوْلَمْ تَوَدَّ أَنْ يَبْلُغَ وَلَكِنْ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي ) ، ولذلك لمّا قال لهم عيسى : ( اتقوا الله إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) كرّروا له الطلب معلنين عن أسبابه وما يرجونه من ورائه ، وأن طلبهم لم يكن شكاً أو جهلاً منهم بل قالوا : ( نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ) ، فهم يريدون أن يأكلوا من هذا الطعام الغريد الذي لا نظير له عند أهل الأرض ، وتطمئن قلوبهم برؤية هذه الخارقة وهي تتحقق أمام أعينهم ، ويعلموا علم يقين ومشاهدة أن عيسى عليه السلام قد صدقهم حتى لا يبقى لمعانده أو جاحد أو شك حجة بعدها ، ثم ليكونوا شهداء

(١) تفسير ابن جرير : ج ١١ / ٢٢٠ ، تحقيق محمود شاكر

(٢) المصدر السابق ج ١١ / ٢٢٠ ، تفسير الماوردي : ١ / ٤٩٩ ، زاد المسير : ٢ / ٤٥٦



لدى بقية قومهم على وقوع هذه المعجزة ، ولذلك فإن قولهم :  
( ونكونَ عليها من الشاهدين ) دليلاً على نبل مقصدهم وبعدهم همّتهم حيث  
إنهم أرادوا بها يُدعّم دعوتهم بعد نبينهم ويستشهدون به لدعوة الناس<sup>(١)</sup>  
هذا وقد قرأ الامام الكسائي وهو من السبعة : ( هل تستطيع  
ربّك ) بالتاء خطاباً لعيسى عليه السلام ، وربّك بالنصب<sup>(٢)</sup>  
والمعنى : هل تستطيع سؤال ربك فينزل بدعاك مائدة من السماء  
أى : هل تسأله ذلك من غير طرف يصرّفك عن سؤاله ،

فمن القرائتين نستنتج أنهم سألوه عن ثنتين : أولهما : هو  
استعداده لسؤال الله لإنزال مائدة من السماء ، وعدم وجود عوارف عن ذلك  
وهو ما أفاده قراءة الكسائي  
والشيء الثاني : هو استفهامهم عن إجابة الله لمثل هذا الطلب ،  
وهل أن الله يحققه لنا ويكرمنا به ، أم أن مثل هذا الطلب لا يجيبه  
الله لحكمة يعلمها الله ولا نعلمها

ولذلك فإن ما دلت عليه قراءة الكسائي كان منهم تمهيدا للطلب إجابة  
الله لإنزال مائدة من السماء ، فدل أن المراد طلب الدعاء منه فلذا  
استجاب لهم وعدا الله تعالى بذلك بعد أن حذّرهم وخوفهم من أن  
يحدث منهم أو من غيرهم إنحراف وتبديل بعد نزول هذه الخارقة ،  
فيؤذي إلى نزول العذاب بهم كما هي سنة الله في المكذبين السابقين  
في معاقبتهم على كفرهم بعد نزول الخوارق التي طلبوها ،  
فقالوا تمهيدا لعذرهم : ( نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم

أن قد صدقتنا وتكون عليها من الشاهدين )

فلما دعا عيسى بنزول المائدة : ( قال الله إنني منزلها عليكم فمن  
يكفر بعد منك فاني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين )

أما قول ابن جرير<sup>(٣)</sup> والزمخشري<sup>(٤)</sup> : إن هذا السؤال كان في ابتداء  
أمرهم قبل استحكام معرفتهم بالله عز وجل ، وأن قول عيسى عليه السلام  
( اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ) أى لا تشكوا في قدرة الله يدل على ذلك

(١) انظر : تفسير القرطبي : ٣٦٦ / ٦ ، تفسير الرازي : ١٢ / ١٣٦

روح المعاني : ٥٩ / ٧ ، في ظلال القرآن : ج٢ / ١٠٠٠ المائدة / ١١٢

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري : ٢٥٦ / ٢ ، الاقناع لابن الباذر : ٢٣٦ / ٢

تفسير الماوردي : ٤٩٩ / ١ ، القرطبي : ٣٦٦ / ٦

(٣) تفسير ابن جرير : ٢٢٢ / ١١ تحقيق محمد شاكر (٤) الكشاف : ج١ / ٦٥٤

ونقله الماوردي في تفسيره : ١ / ١٤٩

فقد ردّ عليه الامام القرطبي<sup>(١)</sup> بقوله : فيه نظر من حيث إن الحواريين أنصار الأنبياء وصفوة المؤمنين وخصائهم كما قال : ( من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ) ، الا أنه يجوز أن يُقال : إنّ ذلك صدر ممّن كان معهم كما قال ذلك الصحابي الحديث عهد بالكفر للنبي - صلى الله عليه وسلم - : ( اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ) (٢) ، ثم صحح القرطبي القول بأن مرادهم الطمأنينة بعد العلم كما حصل مع إبراهيم عليه السلام ، هذا وقد أيد الشيخ شلتوت - رحمه الله - إمكانية كون أصحاب عيسى كانوا شاكين في أول الامر حيث قال (٣) : ( وليكن كل هذا فإنّ من المعلوم أنّ الدعوات تبتدئ دائماً بمرحلة من التردد في نفوس المدعويين ، تختلف باختلاف الامراد في الاستعداد لإدراك الحق وقبوله ، فمنهم من يُبادر بالايان ، ومنهم من يمتد به التردد حتى يرى ما يُطمئننه فيطمئن ، وليست أمة عيسى في هذا بدعا من الأمم فقد رأينا مثل ذلك في أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ان سارع منهم من سارع ، وتأخر منهم من تأخر ، وصدق منهم من صدق ، وما كان تأخر مثل عمرو وخالد بالذي يُبعدهم عن مرتبة النعمة للحق والصدق في الايمان بمحمد ودعوته ، وعلى هذا فمن الجائز القريب أن يكون الحواريون ممّن تريثوا في بادئ الدعوة وناقشوا فيها وطلبوا الآيات عليها مرة بعد مرة حتى يطمئنوا ويصلوا الي الايمان بعد الشك ، إن دل كلامهم في آية السؤال على شيء من الشك فانما كان ذلك في مرحلة النظر والاستدلال ، واذا نلت الآيات الأخرى على إيمانهم فانما كان ذلك بعد انتهاء هذه المرحلة وتقرر الايمان في نفوسهم ) (٤) . ثم أفاد<sup>(٤)</sup> رحمه الله بعد ذلك أنه اذا فرض إيمانهم من أول الأمر فإنه ليس في آية السؤال ما يترجح به شكهم على إيمانهم ، ثم وجه ذلك بنحو ما ذكرته في المُلب ، والله تعالى أعلم وهو ولي التوفيق

(١) تفسير القرطبي : ج١ / ٣٦٦

(٢) اخرج الحديث : الترمذي في سننه ، كتاب الغتن باب ١٨ رقم ٢١٨٠ ج٤ / ٤٧٥

وقال : حسن صحيح ، واحمد في مسنده : ج٥ / ٢١٨

وابن حبان في صحيحه : ( موارد الظمآن : ٤٥٤ ) ، وابن جرير : ج١٣ / ٨١ محمود

شاكراً

وانظر الدر المنثور : ج٣ / ٥٣٢

ومعنى ذات أنواط : أى يعلق بها السلاح ، وكانت شجرة تميد من دون الله

(٣) في تفسيره : ٢٦٥ فما بعدها ، (٤) نفس المصدر : ٢٦٦

٨ - قوله تعالى في حق عباده التائبين :

(الامن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم

حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) - الفرقان / ٢٠ -

هذه الآية من سورة الفرقان تدل على أن سيئات التائب تُبدل حسنات  
بفضل الله ورحمته إكراماً لتوبته وإنباته لإيمان الحق والعمل  
الصالح ، وهناك آيات أخرى يدل ظاهرها على خلاف ذلك وهي  
قوله تعالى :

( يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت

من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ) - آل عمران / ٣٠ -

فهذه الآية تدل على أن كل نفس ترى يوم القيامة ما عملت من

خير أو شر حسناتها وسيئاتها ، ويؤيد ذلك قوله تعالى :

( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ) -

الزلزلة / ٦ - ٨ -

وهذا في الظاهر قد يُتوهم منه منافية ما دلت عليه الآية الأولى من أن  
الحسنات تُبدل سيئات ، لأنها إذا بُدلت فكيف تُرى في الآخرة

والجواب : ان توهم الاختلاف بين هذه الآيات مدفوع من وجهين :

الوجه الأول : أن قوله تعالى : ( وما عملت من سوء تود لو أن بينها  
وبينه أمداً بعيداً ) مختص بخير التائب ، وهو الذي خرج من  
الدنيا مُسرفاً على نفسه في الذنوب ، ولقي الله بلا توبة ، فهناك  
يعض على يديه ولات حين مندم ، ويتمنى لو أن بينه وبين سيئاته الكثيرة  
أمداً بعيداً ، وهذا بعكس المؤمن التائب الذي خرج من الدنيا نقياً  
من الذنوب فان سيئاته تُبدل حسنات ، ويلقى الله مبيناً وجهه لا يحزنه  
الغزع الأكبر ، فيوم القيامة وإن وجد سيئاته مكتوبة ورآها فانها لا  
تضره وتنقلب حسنات في صحيفته كما ثبت ذلك في السنة وآثار السلف  
كما سيأتي تفصيله ،

الوجه الثاني : أن تمنى الامد البعيد ورؤية السيئات إنما  
هي قبل الوقوف على التبديل ، فهو أولاً يرى ما عمل من خير وشر  
فيشفق من ذنوبه ويخاف على نفسه ، ثم يمحو الله سيئاته ويقلبها حسنات  
بفضله ورحمته ، وهذا أيضاً في حق التائب التوبة النصوح ومن شاء  
الله تعالى من خلقه

(١)

وهناك وجه ثالث مروى عن بعض السلف وهو أنّ الحسنات والسيئات في الآية معناها : أنّ الله يُبدل لهؤلاء التائبين شركهم إيماننا وشكهم إخلاصا وقتلهم إمساکا وزناهم إحصانا ونسيانهم لله ذكرا وعصيانهم طاعة ، قال ابن كثير (٢) : قال سعيد بن جبیر : أبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الرحمن ، وأبدلهم بقتال المسلمين قتال المشركين وأبدلهم بنكاح المشرکات نكاح المؤمنات ( اهـ )  
فمساویء أعمالهم في الشرك يُبدلها الله بمحاسن أعمالهم في الإسلام فكأنه تعالى يُبشرهم بأن يوفقهم لهذه الاعمال المألحة فيستوجبون بها الثواب ،

وبعضهم قال إن المراد هو تبديل العقاب بالثواب ، فعقاب السيئات يُبدل بثواب الحسنات المكتسبة بعد التوبة ، فذكر في الآية الحسنات والسيئات وأراد ما يُستحق بهما (٣)  
قال الآنوسي (٤) : ( وقيل هذا التبديل في الآخرة والمساراة بالسيئات والحسنات العقاب والثواب مجازا ، من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب ، والمعنى يعفو جل وعلا عن عقابهم ويتفضل سبحانه عليهم بدله بالثواب . ) اهـ

وعلى هذا التفسير لمعنى السيئات والحسنات في الآية ينتفي توهم الاختلاف مع الآيات التي تثبت أن كل إنسان سوف يرى ما عمل من خير أو شر، وأن من عمل سوءا في حياته يود لو أن بينه وبين هذا السوء أمدا بعيدا ، لأنه على هذا الوجه فإن الآية لم تدل على أن السيئات تُمحى من صحائف الإنسان اذا تاب وأتاب ،

ولكن الذي يترجح هو أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات ، قال ابن كثير (٥) : ( وما ذاك إلا لأنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار فيوم القيامة وإن وجدته مكتوبا عليه فإنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته ، كما ثبتت السنة بذلك ومحتبه الآثار المروية عن السلف - رضي الله عنهم . ) اهـ

(١) تفسير ابن جرير ج ١٩ / تفسير ابن كثير : ج ٣ / ٥٢٣

النكت والعيون للماوردي : ج ٣ / ١٦٦ ، زاد المسير : ج ٦ / ١٠٧ ، القرطبي : ٧٨ / ١٣ ،

(٢) تفسير القرآن العظيم : ج ٣ / ٥٢٢ ، الفرقان / ٧١

(٣) تفسير الماوردي : ج ٣ / ١٦٦ ونقل هذا الوجه عن ابن بحر تفسير الرازي : ونسبه للقفال الشاشي

(٤) روح المعاني : ٤٩ / ١٩ ، (٥) تفسير ابن كثير : ج ٣ / ٥٢٣

وقال القرطبي<sup>(١)</sup> : ( فلا يبعد في كرم الله تعالى إذا دعت توبة العبد  
أن يضع مكان كل سيئة حسنة ) اهـ

فهذا فيؤمن عطاء الله لا مقابل له من عمل العبد إلا أنسه  
تاب وأتاب ورجع عن الضلال  
أخرج الامام مسلم<sup>(٢)</sup> في كتاب الإيمان عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال :  
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( إنِّي لأعلم آخر أهل الجنة  
دخولا الجنة ، وآخر أهل النار خروجاً منها رجل يُؤتى به يوم  
القيامة فيقال : أعرضوا عليه صغار ذنوبه ، وارفعوا عنه كبارها ،  
فتعرض عليه صغار ذنوبه ، فيقال : عملت يوم كذا وكذا وكذا ،  
وعملت يوم كذا وكذا وكذا ، فيقول نعم ، لا يستطيع أن ينكسر  
وهو مُشفق من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه ، فيقال له : فإن لك مكان  
كل سيئة حسنة ٠٠٠ الحديث )

ونقل ابن كثير<sup>(٣)</sup> عن ابن أبي حاتم بإسناده عن سلمان - رضي الله عنه  
قال : يُعطى الرجل يوم القيامة صحيفته ، فيقرأ أعلاها فإذا سيئاته ،  
فإذا كان يسوء ظنه نظر في أسفلها فإذا حسناته ، ثم ينظر في  
أعلاها فإذا هي قد بُدلت حسنات )

وعنه بإسناد آخر عن أبي هريرة - رضي الله عنه قال : ( ليأتين الله  
عز وجل بأناس يوم القيامة رأوا أنهم قد استكثروا من السيئات ،  
قيل من هم يا أبا هريرة ؟ قال : الذين يُبدل الله سيئاتهم حسنات )

ونقل عن الطبراني بإسناده (عن أبي فروة أنه أتى رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - فقال : أ رأيت رجلا عمل الذنوب كلها ولم يترك حاجة ولا -  
داجة فهل له من توبة ؟ فقال : أسلمت ؟ فقال : نعم ، قال : فافعل  
الخيرات واترك السيئات فيجعلها الله لك خيرات كلها ، قال وغدراتي  
وفجراتي ؟ قال : نعم ، قال فما زال يُكبر حتى توارى )

ونقل ابن كثير عن علي بن الحسين ومكحول وسعيد بن المسيب نحو ذلك

قلت : فهذا الحديث الذي رواه الامام مسلم وهذه الآثار الصحيحة عن

السلف تدل على أن تبديل السيئات الوارد في الآية هو على ظاهره ،  
وأنه يكون في الآخرة عند إعطاء الصحف ،

(١) تفسير القرطبي : ج١٣ / ٧٨

(٢) كتاب الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجاً ، ( شرح النووى : ج٣ / ٤٧ )

(٣) تفسير القرآن العظيم : ج٣ / ٥٢٣ سورة الفرقان / ٧١

وأن هذا لا ينافي قوله تعالى : ( يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ) .  
وقوله : ( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره )  
لأن المؤمن يوم القيامة يُعطي صحيفته فيها حسناته وسيئاته كما  
قال تعالى : ( ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً إقرأ كتابك  
كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ) - الاسراء / ١٣ - ١٤ -

فيقرأ حسناته وسيئاته حتى يعلم أن الله لم يظلمه شيئاً .  
كما قال تعالى : ( ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم  
نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين )  
الانباء / ٤٧ -

فاذا نُصبت الموازين فهناك يتمنى المرء لو أن بينه وبين سيئاته أمداً  
بعيداً خشية أن توبقه ، فاذا كان ممن قال الله فيهم :  
( إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم  
حسنات وكان الله غفوراً رحيماً )

إذا كان منهم يبدل الله سيئاته حسنات كما وعده سبحانه فتعظم هناك  
فرحته وسروره ،

نقل الالوسي (١) : أن عبد بن حميد أخرج عن أبي العالية أنه  
قيل له إن أناساً يزعمون أنهم يتمنون أن يستكثروا من الذنوب ، فقال :  
ولم ذلك ؟ فقيل له : يتأولون هذه الآية : ( فأولئك يبدل الله سيئاتهم  
حسنات ) فقال أبو العالية : آمنت بما أنزل الله تعالى في كتابه  
ثم تلا : ( يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء  
تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ) .

قال الالوسي تعقيباً على هذا الاثر : ( وكأنه ظن أن ما تلاه مناف  
لما زعموه ، ويمكن أن يُقال : إن ما دلت عليه الآية يكون قبل الوقوف  
على التبديل والله اعلم - ) اهـ

قلت وهو الظاهر لأنه لما قرأ العبد كتابه وما فيه ممن  
من سيئات وحسنات ، ولما نُصبت الموازين ورأى ما فيها من ذرات الخير  
والشر ، علم أن الله لم يظلمه شيئاً وبأن له قدرة الله واحاطته  
بأعمال العباد ، هنالك يتفضل الله برحمته ومنه على عبده الذي تاب -

توبة نصوحا فيبدل سيئاته حسنات ويُعطيه كتابه بيمينه ، وكذلك يُبدل الله سيئات من شاء من خلقه الموحدين كالذي تقدم في الذي يخرج من النار ،

وأما ما جاء من النصوص في أن الحسنات يُذهبن السيئات ، كقوله تعالى : ( أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إنَّ الحسنات يُذهبن السيئات ) - هود / ١١٤ -

وقوله صلى الله عليه وسلم - لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - :  
(١) ( اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّبًا ... )

فهذه النصوص لم تنفِرْ أن العبد يوقف على ما اكتسبه من السيئات يوم القيامة ، إنما تدل على أن فعل الخيرات يُكفِّرُ فعل السيئات - والذنوب التي هي من قبيل الصنائر ، وتكفيرها هو محو عقوبتها ، لكن العبد يوقف عليها يوم القيامة ويرى ما فعله من خير أو شر عندما توضع موازين القسط وتُنشر الصحف وما فيها من مثاقيل الذر :

( وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفأ بنا حاسبين )  
قال العلامة السفاريني<sup>(٢)</sup> : ( والصحيح كتبهم - أي الحفظة - الصنائر المغفورة وإن غفرت باجتناب الكبائر ) ١٥

ونقل الحافظ بن رجب عن طائفة من العلماء<sup>(٣)</sup> : أنَّ الذنوب لا تُمحي

من صحائف الأعمال بتوبة ولا غيرها ، بل لا بُدَّ أن يوقف عليها صاحبها ويقرأها يوم القيامة ، واستدل بقوله تعالى : ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) ، وقال : وقد ذكر بعض المفسرين أن هذا القول هو الصحيح عند المحققين ، وقد روى هذا القول عن الحسن البصري ، وبلال بن سعيد الدمشقي<sup>(٤)</sup>

قال الحسن : في العبد يُذنب ثم يتوب ويستغفر الله يُغفر له ، ولكن لا يمحوه من كتابه دون أن يقف عليه ثم يُسأل عنه ،

وقال بلال بن سعد : إنَّ الله يغفر الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقفه عليها يوم القيامة وإن تاب<sup>(٥)</sup> ١٥

قال السفاريني<sup>(٥)</sup> : أخرج بن المبارك عن أبي عثمان النهدي قال :  
( إنَّ المؤمن ليُعطى كتابه في ستر من الله فيقرأ سيئاته فيتغير لونه

(١) أخرجه أحمد في المسند : ج٥ / ٢٢٨ عن معاذ ، ج٥ / ١٥٢ عن أبي ذر

والترمذي : في الجبر ، باب ما جاء في معاشره الناس ، وقال : حسن ج٤ / ٣٥٥

(٢) لوامع الانوار : ج٢ / ١٨٢ ، (٣) جامع العلوم والحكم : ١٥٨

(٤) من كبار التابعين ، ثقة عابد فاضل مات في خلافة هشام بن عبد الملك

انظر : تقريب التهذيب للحافظ بن حجر ، ١٢٩ تحقيق : الشيخ محمد عوامة

(٥) لوامع الانوار : ج٢ / ١٨٢

ثم يقرأ حسناته فيرجع اليه لونه ، ثم ينظر فإذا سيئاته قد  
بُدلت حسنات ، فعند ذلك يقول : ( هاؤم اقرأوا كتابي )

(١) ونقل السيوطي عن ابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث  
عن ابن عباس - رضي الله عنه - في قوله تعالى : ( فمن يعمل مثقال ذرة  
خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) أنه قال :  
( ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا وشرا في الدنيا إلا أراه الله تعالى  
إياه ، فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر له من سيئاته ،  
ويثيبه بحسناته ، وأما الكافر فيرى حسناته وسيئاته ، فيرد حسناته  
ويُعذبه بسيئاته . ) اهـ

هذا وما ورد من النصوص من أن الحسنات يُذهبن السيئات إنما  
هو في حق المغائر ، أما الكبائر فإنه لا بُدَّ من التوبة حتى  
تُكفَّرَ ، لأن الله تعالى أمر العباد بالتوبة وجعل من لم يتب ظالما  
واتفقت الأمة على أن التوبة فرض ، والفرائض لا تؤدى إلا بنية وقصد  
ولو كانت الكبائر تقع مُكفَّرة بالوضوء والصلاة وأداء بقية أركان الاسلام  
لما يُحتج الى التوبة وهذا باطل بالإجماع (٢)

ويدل على ذلك ما أخرجه الامام مسلم (٣) عن أبي هريرة - رضي الله عنه  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : ( الطلوات الخمس والجمعة  
والجمعة ورمضان الى رمضان مُكفَّرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر )  
وفي صحيح مسلم أيضا (٤) عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال :

سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :  
( ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها  
وخشوعها وركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تُؤتَ  
كبيرة ، وذلك الدهر كله )

وهذا يدل على أن الكبائر لا تكفرها الفرائض والحسنات بل لا بد  
من التوبة النصوح ، قال الامام النووي (٥) : ( هذا المذكور في  
الحديث من غفران الذنوب ما لم تُؤتَ كبيرة هو مذهب أهل السنة ، وأن  
الكبائر انما تكفرها التوبة أو رحمة الله تعالى وفضله . ) اهـ

(١) الدر المنثور : ج٥ / ٥٩٥ ، (٢) جامع العلوم والحكم : ١٥٥ ابن رجب

(٣) صحيح مسلم : كتاب الوضوء ، باب فضل الوضوء ، ( شرح النووي : ٣ / ١١٢ )

(٤) صحيح مسلم : كتاب الوضوء ، فضل الوضوء ، ( شرح النووي : ٣ / ١١٢ )

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم : ج٣ / ١١٢



( الفصل الرابع )

موه آيات أهل الكتاب :

والمراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى ، وقد يراد بذلك أحدهما حسب دلالة السياق القرآني ، وظاهر أن تسميتهم بذلك بسبب ما في أيديهم مما يدعون أنه التوراة والانجيل على ما فيهما من تبديل وتحريف ومعلوم أن موقف الاسلام من أهل الكتاب واضح وصريح ، وقد جاءت - الآيات القرآنية لبيان ذلك وهو أن كل دين غير دين الاسلام منسوخ ببعثة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - حيث إنه خاتم المرسلين ومبعوث الى كافة الناس بشيرا ونذيرا ، كما قال تعالى : -

( ومن يبتغي غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة

من الخاسرين ) آل عمران / ٨٥ .

وقال : وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ( سبأ / ٢٨ ) ولذلك فان المطلوب من أهل الأديان غير الاسلام هو ترك دينهم والتحول الى الاسلام واتباع الرسول محمد الذي بشرت به الكتب السابقة . وقد بيّنت الآيات القرآنية ابتعاد أهل الكتاب عن حقيقة دينهم واشترائهم بآيات الله ثمنا قليلا وأنهم حرّفوا الكتاب المنزل وبدلوا فيه وأنهم أشركوا بالله وادعوا الألوهية لغيره ، وقالوا انه ثالث ثلاثة الى غير ذلك من الافتراءات والأباطيل التي لا يُجوزها عقل ولا منطق فضلا عن دين صحيح وكتاب منزل من عند الواحد الأحد .

هذا وقد جاءت بعض الآيات قد يتوهم من ظاهرها وبسبب الجهل بالمراد منها وبسبب نزولها قد يتوهم أن فيها مدحا لأهل الكتاب وهذا في الظاهر يخالف ما جاء في آيات أخرى تبين كفرهم وضلالهم وانهم على باطل .

أما الآيات التي جاءت لبيان كفرهم وسوء اعتقادهم فهي كالتالي:

قال تعالى : ( لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ) لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ) .

وقال تعالى : ( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون ، وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يظاهرون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ) التوبة / ٢٩ - ٣١ .

وقال تعالى : ( ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ٠٠٠ ) البينة / ٦ .  
فهذه الآيات وغيرها تثبت كفر أهل الكتاب وشركهم واتخاذهم آلهة من دون الله وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر الايمان الصحيح المطلوب ، وأنهم لا يدينون دين الحق ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، وأنهم لكل ذلك فى نار جهنم ان ماتوا على ما هم عليه ولم يدخلوا فى دين الاسلام .  
أما الآيات التى يوم ظاهرها مدح أهل الكتاب فهى ما يلى ، وسوف أعقب عليها بما يوضح معناها والمراد منها :-

(١) قوله تعالى : ( وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب ) آل عمران / ١٩٩ .

هذه الآية فيها مدح لمن آمن من أهل الكتاب ودخل فى الاسلام ومنهم النجاشى وأصحابه<sup>(١)</sup> وكونهم من أهل الكتاب هو باعتبار ما كانوا عليه ،

وقد وصفهم الله تعالى بصفات تدل على المراد بهم ، وأول هذه الصفات أنهم يؤمنون بالله الايمان الصحيح الخالى من الشرك بعكس أهل الكتاب الذين بقوا على دينهم المبدل والذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .

وثانى هذه الصفات : الايمان بما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم وثالثها : الايمان بما أنزل على الانبياء الذين كانوا قبل الاسلام . ورابعها : كونهم خاشعين لله .  
وخامسها : أنهم لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا بعكس أهل الكتاب ممن كان يكتم أمر الرسول وصحة نبوته .

(١) تفسير الطبرى ١٩٩/٧ ، ٤٩٧ ، زاد المسير ١/٥٣٢ .

مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وهذه الآية فيها تعريض بأهل الكتاب الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، والذين تقدم ذكرهم قريبا في نفس السورة في قوله تعالى :

( وان أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبدوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ) آل عمران / ١٨٧ .

وعلى هذا فان المراد بالآية مَنْ آمن من أهل الكتاب ودخل في الاسلام وتحلى بتلك الصفات الحميدة ، وتسميتهم بأهل الكتاب باعتبار ما كانوا عليه من قبل ولذلك قال تعالى في حقهم : ( الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، واذا يُتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتتون أجرهم مرتين بما صبروا ) (الآيات من سورة القصص ٥٢-٥٤).

٢- وقوله تعالى : ( ليسوا سواء ) من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ) آل عمران / ١١٣-١١٤.

هذه الآية جاءت بعد آيات ذكر الله فيها مخازي اليهود ومساويهم وانه ضرب عليهم الذلة والمسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق فجاءت هذه الآية في هذا السياق لبيان أنه لا يستوى من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا ولهذا قال تعالى : ( ليسوا سواء ) وهذا تمام كلام لما تقدم .

ثم ابتداء الكلام بوصف المؤمنين بالايمان والقرآن والصلاة ، وهذه الذمات من شعائر الاسلام ، وعلى هذا فان الآية نزلت بشأن من أسلم من أهل الكتاب وعلى هذا جمهور المفسرين<sup>(١)</sup>.

اخرج ابن اسحق والطبراني وابن جرير والبيهقي<sup>(٢)</sup> وغيرهم عن ابن عباس قال: لما اسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد ، ومن اسلم من اليهود معهم فأمنوا وصدقوا ورجعوا في الاسلام ،

---

(١) احكام القرآن لابن العربي ٢٩٥/١ زاد المسير ، الرازي ١٨٧/٨ القرطبي

١٧٥/٤ ابن كثير ٥٩٤/١ آل عمران / ١١٣ ، روح المعاني ٣٣/٤ .

(٢) الدر المنثور ٦٤/٢ ، مجمع الزوائد ٧٣٢/٦ وقال : رواه الطبراني

ورجاله ثقات ، اسباب النزول للواحدى ص ١١٤ ، سيرة ابن هشام ٥٥٧، ٢١٢/١

سنن البيهقي ، ج ، تفسير الطبري ٥٢/٤ طبع الحلبي .

قالت أجبارة اليهود ما آمن بمحمد وتبعه إلا شرارنا ولو كانوا من خيارنا  
ما تركوا دين آبائهم ، فأنزل الله تعالى :  
( ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ... ) الى قوله ( اولئك  
من الصالحين ) .

قال ابن كثير (١) : ( وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة : ) وان  
من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله واليوم الآخر وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم  
خاشعين لله ... ) الآية  
وهناك وجه آخر اختاره الامام ابن جرير  
ورواه عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا (٢) ، أن المراد بأهل الكتاب في الآية  
المسلمون الذين كانوا يطلون صلاة العشاء التي لا يظلمها أحد من أهل الكتاب .  
أخرج احمد (٣) وابن حبان في صحيحه (٤) وابن جرير في تفسيره (٥) عن  
ابن مسعود ، قال : أخر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة  
العشاء ، ثم خرج الى المسجد ، فاذا الناس ينتظرون الصلاة ، فقال :  
أما انه ليس من أهل هذه الاديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم  
قال : فنزلت هذه الآيات : ( ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ) الآيات  
وعلى هذا يكون المراد بأهل الكتاب في الآية المسلمين لقوله تعالى :  
( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ... ) فاطر / ٢٢ .  
ويكون الغرض من هذه الآية تقرير فضيلة أهل الاسلام وذكر حالهم مقابل  
صفات أهل الكتاب الذميمة ، وتأكيذا لما تقدم من قوله : ( كنتم خير  
أمة أخرجت للناس ... ) آل عمران / ١١٠ .

ولامانع من صحة هذين الوجهين لجواز نزول الآية في الجميع أو أنه تعدد  
سبب نزولها بمعنى أنها نزلت مرتين مرة في أهل الكتاب الذين أسلموا ومرة  
في المسلمين الذين يطلون صلاة العشاء من دون الأم والله أعلم .

- 
- (١) تفسير القرآن العظيم : ٥٩٥ / آل عمران / ١١٣ .  
(٢) تفسير ابن جرير الطبري ج ٤ / ٥٥ - ٥٦ طبع الحلبي .  
(٣) المسند ٣٩٦ / ١ واسناده حسن ( من طريق عاصم عن زر عن ابن مسعود ) .  
(٤) موارد الظمآن ص ( ٩١ ) .  
(٥) تفسير ابن جرير ٥٥ / ٤ طبع الحلبي ، رواه من عدة طرق وانظر  
مجمع الزوائد ٢٧٥ / ١ ، فتح القدير للشوكاني ٢٧٥ / ١ .

٣ - لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والهُوتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما ) النساء / ١٦٢ .

ذكر الله هذه الآية فى سياق ذم أهل الكتاب من اليهود ثم استثنى هؤلاء وهم من أسلم منهم وقد وصفهم سبحانه بالرسوخ فى العلم ذلك لأنهم استخدموا علمهم وعقلهم لمعرفة الحق من الباطل واتبعوا بشارات التوراة والانجيل بمبعث الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - وما فيهما من أوصافه .

كما قال تعالى : ( ورحمتى وسعت كل شىء فصأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا مؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ) الاعراف / ١٥٦ - ١٥٧ .

٤- قوله تعالى :-

( لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، واذنا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمننا فآتتنا مع الشاهدين ، وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يُدخِلنا ربنا مع القوم الصالحين ، فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ) المائدة/٨٢-٨٦.

هذه الآية الكريمة فيها مدح للقسيسين والرهبان من الذين قالوا إنا نصارى ، والمراد بهم علماء النصارى الذين أسلموا وسماهم قسيسين ورهبانا باعتبار ما كانوا عليه والمقصود بهم النجاشى وأصحابه الذين أسلموا على يد الصحابى الجليل جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه عندما هاجر الى الحبشه .

روى النسائى وابن أبى حاتم والجزار وابن جرير<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن الزبير قال:

نزلت هذه الآية فى النجاشى وفى أصحابه : ( واذنا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق .. ) هذا وقد جاء مع جعفر الى المدينة ثلاثون رجلا من الذين كانوا رهبانا وعبادا من أهل الحبشه فلما قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليهم القرآن آمنوا وفاضت أعينهم<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر : مجمع الزوائد للهيثمى ج ٩/٤١٩ .  
تفسير ابن جرير ج ٧/٥ طبع الحلبي .  
تفسير ابن كثير ٢/١٣٩ حيث عزاه للنسائى .  
المحيح المسند من اسباب النزول للشيخ مقبل بن هادى  
السوادى ص ٦٢ .

(٢) تفسير القرطبي ٦/٢٥٥ ابن كثير ٢/١٣٨ المائدة / ٨٢ .  
روح المعانى ٧/٢٧ الرازى ١٢/٧٠ اسباب النزول للواحدى / ١٩٦ .

والآيات توضح أن المدوحين هم من اسلم من النصارى لقولسه :  
( واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا  
من الحق ) فهؤلاء لما اسلموا وسمعوا القرآن عرفوا الحق وأن هذا  
صدق لما بين يديه ، وأن هذا النبي هو النبي الموعود الذي بشر به  
عيسى عليه السلام ، لذلك قال الله تعالى بعدها حكاية عنهم :  
( ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا  
مع القوم الصالحين ) .

قال القاضي أبو يعلى<sup>(١)</sup> رحمه الله : " وربما ظن جاهل أن في هذه  
الآية مدح للنصارى وليس كذلك ، لأنه انما مدح من آمن منهم ويدل عليه  
ما بعد ذلك ، ولا شك أن مقالة النصارى أقبح<sup>(٢)</sup> من مقالة اليهود . " اهـ  
وقال ابن كثير<sup>(٣)</sup> : " وهذا الصنف من النصارى هم المذكورون في قوله :  
( وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل إليهم  
خاشعين لله ... ) الآية .

وهم الذين قال الله فيهم : ( الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به  
يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من  
قبله مسلمين ) ٥٠١ هـ .

---

(١) زاد المسير لابن الجوزى ج٢/٤٠٩ وانظر الرازى ٧/١٢٧ والقاضى ابو يعلى :  
هو محمد بن الحسين بن خلف بن الفراء ، عالم عصره فى الاصول والفروع  
وانواع الفنون ، وكان شيخ الحنابلة ، له الاحكام السلطانية والعهده فى  
أصول الفقه ، طبقات الحنابلة ٢/١٩٣ لابن ابى يعلى ، تاريخ بغداد  
٢/٢٥٦ الاعلام للرزعلى ٦/١٠٠ .

(٢) قلت : يقصد أن اعتقاد النصارى فى ذات الله عز وجل ، أقبح  
وأشنع من اعتقاد اليهود لأن النصارى قالوا بالتثليث وإلهية عيسى  
ومريم وهذا لم يقله اليهود وعلى هذا فكفر النصارى أقبح وأعظم  
والآية الكريمة وصفت السيرة والأخلاق وأن اليهود أشد عداوة وبغضا  
والنصارى أقرب مودة ، لما فيهم من ترهب وزهد إجمالا ، ولذلك فهم  
أقرب الى الاسلام من اليهود ، انظر الرازى ١٢/٧٠ .

(٣) فى تفسيره ج٢/١٣٩ المائدة / ٨٢ .

قوله تعالى :-

٥ - ( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامعُ وبيعُ وصلواتُ ومساجدُ يُذكر فيها اسم الله كثيرا ... ) الحج / ٤٠ .  
هذه الآية قد يتوهم من ظاهرها أن الصوامع والبيع والصلوات وهي أماكن عبادة النصارى واليهود كالمساجد في الفضل والتقديس لأن الآية بدأت بها أولا ثم عطف عليها المساجد، وقوله : يذكر فيها اسم الله كثيرا يوم أنها مدحت بذلك وهذا يعارض ما جاء في القرآن من أنهم يشركون بالله ولا ينزهونه تعالى عما لا يليق بجلاله ،

والجواب من وجهين :-

الأول : أن الضمير في قوله تعالى ( يذكر فيها ... ) عائد إلى أقرب المذكورات وهي المساجد ولأن جميع المواضع الأخرى يغلب فيها الشرك فعلى هذا يكون قوله ، "يذكر فيها اسم الله كثيرا" في موضع صفة لمساجد (١) .

قال ابن جرير (٢) : الصواب : لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى وصلوات اليهود وهي كنائسهم ، ومساجد المسلمين التي يُذكر فيها اسم الله كثيرا لأن هذا هو المعروف من كلام العرب المستفيض فيهم " ٥٠١ هـ .  
قال القرطبي (٣) قال النحاس : " يُذكر فيها اسم الله " الذي يجب في كلام العرب على حقيقة النظر أن يكون ( يذكر فيها اسم الله ) عائدا على المساجد لا على غيرها لأن الضمير يليها . وعلى هذا الوجه فليس في الآية بيان أن كنائس النصارى واليهود يُذكر فيها اسم الله على وجه مرضى ممدوح لأن ذكركم لله فيها لا يعدو عن الشرك والتثليث وسوء المعتقد بسبب ما عثرنا كتابهم من التحريف والتبديل على مر العصور وما عملته أيدي الأجرار والرهبان في تغيير الدين .

قال أبو السعود (٤) : " يُذكر فيها اسم الله كثيرا " صفة مادة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل أهلها ، وقيل صفة للأربع وليس كذلك فإن بيان ذكر الله عز وجل في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساق شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الإقحام " ٥٠١ هـ .

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٤٣٧/٥ الرازي ٤٢/٢٣ ، تفسير ابن كثير ٣٦٢/٣

الحج / ٤٠ ، روح المعاني ١٦٤/١٧ .

(٢) تفسير الطبري ١٧٨/١٧ / الحلبي .

(٣) القرطبي ٧٢/١٢ .

(٤) تفسير أبي السعود : ٢٢/٤ .



الوجه الآخر : وقال به الضحاك ومقاتل<sup>(١)</sup> : أن قوله تعالى : ( يذكر فيها اسم الله كثيرا ) : فى موضع صفه لجميع المذكورات .  
واستظهر ذلك ابوحيان<sup>(٢)</sup>

وعلى هذا الوجه يكون المعنى ما قاله الزجاج<sup>(٣)</sup> : ( لولا دفع بعض الناس ببعض لهدمت فى زمن موسى الكنائس وفى زمن عيسى الصوامع والبيع ، وفى زمن الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - المساجد ) .

قال القرطبي<sup>(٤)</sup> : ويجوز أن يعود - يعنى الضير - على " صوامع " وما بعدها ، ويكون المعنى : وقت شرائعهم واقامتهم الحق ،

وعلى هذا الوجه فان المراد بالآية أنه فى كل عصر يهيب الله من الاسباب بحيث يدفع شر الناس بما شرع من الجهاد والقتال وتسليط المؤمنين على الكافرين ولولا ذلك لهدمت متعبدات يذكر فيها اسم الله كثيرا فى أزمنة الانبياء حيث الدين الحق ، وليس المراد بذلك الكنائس والاديره التى يذكر فيها الله على وجه نيه الشرك وعدم التنزيه فهذه لا يُتأسف على هدمها انا هدمت ولا على تعطيلها اذا عطلت مع التنبيه على أنه لايجوز اذا فتح المسلمون بلدا أن يهدموا كنائسها ونحو ذلك بل يقرون على ما هم عليه اذا دفعوا الجزية ويصبحون أهل نمة .

وعلى غرار ذلك جميع الآيات التى فيها مدح لأهل الكتاب ، فانما أريد بها من آمن منهم ودخل فى الاسلام الدين الذى ارتضاه الله للبشرية بعدما جاء عليها فترة من الرسل وانحرف الناس عن الحنيفية وغير أهل الكتاب فى دينهم وبدلوا وحرفوا التوراة والانجيل ليوافق ذلك اغراضهم وأهواءهم .

ولذلك أوضح القرآن أن الاسلام هو الدين المقبول عند الله وأنه هو الذى فيه الهداية كما قال تعالى :

( وقل للذين أتوا الكتاب والأميين أسلمتم ، فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد . ) آل عمران / ٢٠ .

- 
- (١) تفسير الطبرى ١١٧/١٧ الطبى ، الدر المنثور ٦٠/٦  
زاد المسير ٤٣٧/٥ ، روح المعانى ١٦٤/١٧ .  
(٢) البحر المحيط / ج١/ ٢٧٢ الحج / ٤٠ ( والظاهر عودة الضمير فى قوله يذكر فيها على المواضع جميعا فيكون يذكر فى موضع الصفة .  
(٣) تفسير الماوردى ( النكت والعيون ) ج١/ ٨٤ لها ، زاد المسير ٤٣٧/٥ .  
(٤) القرطبي ٧٢/١٢ .

فدلت هذه الآية أن الهداية منوطه بالاسلام فمن أسلم فقد اهتدى  
ومن تولى وأعرض فليس على الرسول سوى ابلاغه واقامة الحجّة عليه  
بالتى هي أحسن ، كما قال تعالى :-  
( ولاتجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هي أحسن الا الذين ظلموا منهم )  
وقد رد الله تعالى فى كتابه على اليهود والنصارى جميعا عندما ادعى كل  
منهم أن دينه هو دين الحق : فقال :  
( وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما  
كان من المشركين )  
فاليهود والنصارى لما أشركوا بالله وبدلوا وغيروا انحرفوا عن ملة  
ابراهيم الحنيفية التى جاء بها نبينا محمد لحياتها واظهارها ونشرها  
وقد أوضح الله سبحانه فى كتابه صفة المؤمن من أهل الكتاب الذين  
دخلوا فى الاسلام بعدما عرفوا وانساقوا للحجة وما عرفوه من صفات النبى  
فى كتبهم وهو قوله تعالى :  
( الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى  
التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات  
ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم<sup>(١)</sup> ) ، فالذين  
آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم  
المفلحون . )

فهذه الآية أناطت الفلاح بالايمان بالنبى الأمى وهو محمد - صلى  
الله عليه وسلم - واتّباعه ونصرته كما قال تعالى :  
( وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم  
عن سبيله ) - الانعام / ١٥٢ -

---

(١) قال الرازى : ٢٥/١٥ : " ويضع عنهم اصرهم . . ) المراد منه أن شريعة  
موسى عليه السلام كانت شديدة ، وقوله والأغلال التى كانت عليهم  
الشدائد التى كانت فى عباداتهم : كقطع أثر البول ، وقتل النفس  
فى التوبة ، وقطع الأعضاء الخاطئة ، وتتبع العروق من اللحم ، وجعلها  
الله اغلالا لأن التحريم يمنع<sup>من</sup> الفعل . . هـ .

وقد جعل الله الاسلام خاتم الأديان فجاء مهيمنا عليها ومصدقها لها ومبيننا لما حصل فيها من التغيير والتبديل فكان ناسخا لها واراد الله سبحانه ان يكون الاسلام ظاهرا على كل الاديان ( كما قال : ( هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ) .

فكل من يكره ظهور هذا الدين أو يتمسك بملة غير الاسلام فهو كافر .

ولذلك قال الله تعالى :-

( قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ركم ) المائدة / ٦٨ .

واقامة التوراة والانجيل : انما تكون باتباع ما فيها من أحكام ومنها ما بشرنا به ودلتا عليه من نبوة الرسول ووجوب اتباعه عند ظهوره .

وقوله :

( وما أنزل اليكم من ركم ) أى القرآن واقامته بالايان به ،

ثم قال بعدهم :-

( وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ريك طغيانا وكفرا ) بياننا لشدة شكيמתهم وغلوهم فى المكابرة والعناد ، ثم قال : ( فلا تأس على القوم الكافرين ) أى لا تأسف على زيادة طغيانهم وكفرهم ولا تحزن على هلاكهم وعذابهم (١) .

---

(١) ابن كثير ١٢٨/٢ المائدة ٦٨

٦- : قوله تعالى :-

( وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ) الانبياء / ٠٧ .  
هذه الآية فيها طلب سؤال اهل الذكر ، والمراد بهم أهل الكتاب ( وسموا أهل الذكر : لأنهم كانوا يذكرون خبر الانبياء مما لم تعرفه العرب ) (١) . وقد يتوهم من الآية أنهم على حق والا لما طلب سؤالهم وهذا فى الظاهر يناهى ماتقدم من الآيات الدالة على كفر أهل الكتاب وكونهم على الباطل والضلال وأنهم بدلوا وحرفوا وكتبوا كثيرا مما أنزل الله اليهم .

والجواب ظاهر :- وهو أن هذه الآية خطاب للمشركين الذين انكروا أن يكون الرسول من البشر، أمرهم الله أن يسألوا أهل الكتاب الذين يقرون ببعثة الرسل من البشر وأنهم رجال يوحى اليهم ، وإن كان أهل الكتاب لا يقرون فى الظاهر بنبوة الرسول الا أنهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقد حكى الله شبهة المشركين قبل هذه الآية فقال :-

( وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم ... ) الانبياء / ٣٠٠ .  
وكما قال عنهم فى سورة أخرى :  
( وما منع الناس أن يؤمنوا اذا جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا . ) الاسراء / ٩٤ .

وأهل الكتاب مع ضلالهم وتحريفهم وسوء معتقدهم يعترفون أن رسل الله بشر وكان مشركوا مكة يقدرون أهل الكتاب ويعترفون بعلمهم وأنهم أهل كتب يذكر فيها الانبياء .

لأجل ذلك لاجرم أحيل المشركين على سؤال أهل الكتاب ، خاصة وأنهم من جنسهم فى الضلال كما أنهم يشايعون بعضهم فى معاداة الاسلام وأهله وقد نص الله على هذه المشايعة فى قوله :

( ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد لهم نصيرا ) النساء / ٥٢ .  
لذلك فقد حملت الثقة بينهم .

فالآية جاءت لبيان أنه اذا كنتم ايها المشركون تستبعدون وتستغربون أن يبعث الله بشرا رسولا كما تدعون فاسألوا اهل الكتاب الذين تثقون بهم وتعتبرونهم اهل علم وتراجعونهم في أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتشايعونهم في معاداته ، لأنهم مع كونهم لايقرون بنبوته الرسول الا انهم معترفون بأن الرسل كانوا من البشر (١) " قال الرازي (٢) : " الظاهر أن هذه الشبهة وهي قولهم الله أعلى وأجل من أن يكون رسوله واحدا من البشر انما تمسك بها كفار مكة ثم انهم كانوا مقرين بأن اليهود والنصارى اصحاب العلوم والكتب ، فأمرهم الله بأن يرجعوا في هذه المسألة الى اليهود والنصارى ليبينوا لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها . "

قلت : وهذه الآية نظيرها قوله تعالى ( وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى .. ) يوسف / ١٠٩ .

وقوله : ( قل ما كنت بدعا من الرسل ... ) الاحقاف / ٩ فمن تمام نعمة الله تعالى على البشر أنه جعل الرسل من أنفسهم وليس من غير جنسهم كالملائكة والجن ليتمكن الناس من تناول التبليغ منهم والفهم عنهم .

ولذلك عقب الله تعالى على قوله : ( فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون ) فقال : ( وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام ) أى بل قد كانوا اجسادا يأكلون الطعام ، كما قال في آية أخرى : ( وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ) الفرقان / ٢٠

وهذا ادعي لاقتداء الناس بهم لأن المجانسة تستدعي المؤانسة وليس في كونهم بشرا نقيصة أو قدحا في النبوة كما ادعاه المشركون في قولهم : ( مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ... ) الآية .

(١) ابن كثير ٢٧٨/٣ ، الرازي ٢٠ / ٣٧ ، ١٤٤/٢٢ .

القرطبي ٢٧٢/١١ ، روح المعاني ١٧ / ١٣ .

(٢) الرازي ٢٠ / ٣٧ .

فلاحظ أن هذه الآيات وما أشبهها جاءت للرد على شبهة المشركين وابطالها فكان من رد شبهتهم احالتهم على سؤال اهل الكتاب الذين حصل بينهم وبين المشركين نوع من الثقة بسبب التجانس في الضلال ومعاداة الاسلام والتناصر على ذلك ، واعتقاد المشركين ان اهل الكتاب اهل علم وذكر . لذلك فان احالتهم على سؤال اهل الكتاب لا يُنافي كونهم على ضلال وباطل لأن مقصد الاحالة هو أمر متفق عليه بين أهل الحق والباطل من اهل الأديان وهو كون الرسل بشرا وليسوا ملائكة .

✓ - قوله تعالى : ( فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ) يونس / ٩٤

هذه الآية قد يتوهم من ظاهرها أنه طلب من الرسول أن يسأل أهل الكتاب عما جاءه من الحق . وهذا في الظاهر ينافي ماتقدم من أن أهل الكتاب أصحاب كفر وضلال وأن ما بأيديهم من الكتاب باطله اضعاف حقه ، وحقه منسوخ بدين الاسلام فكيف يُحال الرسول على سؤالهم .

والجواب : أن قوله : ( فان كنت في شك مما أنزلنا اليك ) مخاطبه المشرك الشاك في القرآن وأمر الرسول ، لاستحالة حصول الشك من الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي قال الله فيه : ( آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ... ) البقرة / ٢٨٢

ولأنه عقب الآية بقوله : ( ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين ) وهذه صفة الكفار المتنقلين بين الشك والتكذيب ولأنه قال بعدها بآيات مخاطبا الكفار بصيغة الجمع فقال : ( قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دین الله ... ) يونس / ١٠٤

فالشك في أمر الرسول ورسالته انما هو صفة الكفار والمنافقين ، كما قال البخاري عز وجل : ( .. انهم كانوا في شك مريب ) سبأ / ٥٤ وقال : ( أنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب ) ص / ٨

هذا اضافة الى أن اهل الكتاب أنفسهم في شك من عقائدهم وما بأيديهم من الكتاب كما قال البارى عز وجل : ( ٠٠٠ وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب ، فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ٠٠٠ )  
الآيات من الشورى / ١٤ - ١٥

وانا كان الأمر كذلك فان معنى الآية يكون كالتالي :-

ان كنت أيها المشرك شاكا في نبوة الرسول محمد وصدقته وما أنزل اليه فاسأل أهل الكتاب الذين يعرفون الرسول أنه نبي حق المعرفة لكنهم يكتُمون ذلك بغيا وحسدا .. كما قال تعالى : ( الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من رسك فلا تكونن من الممترين ٠٠٠ )  
البقرة / ١٥٦

فعلماء اليهود والنصارى يعرفون أن الرسول محمد هو نبي الله المبشر به في كتبهم كما يعرف أحداهم ابنه ثم أخبر الله أنهم مع هذه المعرفة والتحقق ( ليكتمون الحق وهم يعلمون ) أى ما جاء في كتبهم من صفة الرسول ونعته ولذلك مدح الله من آمن من أهل الكتاب ممن اتبع الحق والهدى ( قال عذابي أصيب به من اشاء ورحمتى وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يُحلُّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ٠٠٠ )  
الأعراف / ١٥٧

ومعلوم أن التوراة والانجيل قد بشرتا بمبعث رسول الله ومهاجره وصفاته الخلقية والخلقية وقد حرّفوا كثيرا منها أو أخفوها أو أولوها لكن بقيت بعض النصوص أعمى الله أبصارهم وأيديهم عنها (١) .

---

(١) وقد اسهب علماء الاسلام في استخراجها وبيانها وشرحها وانطباقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، وتلميذه ابن القيم في كتابه هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى، وحديثا العلامة رحمة الله الهندي في كتابه ( إظهار الحق ) . فمن أراد التوسع في ذلك فليرجع لها ، وأسوق هنا بعضا منها مع شرح موجز :-  
أولا : قوله في التوراة ( سفر التثنوية ١٥/١٨ - ٢٢ ) : ( سأقيم لبني اسرائيل نبيا من إخوتهم مثلك اجعل كلامي في فيه ٠٠٠ ) وهي بشارة صريحة لأن اخوة بني اسرائيل هم بنو اسماعيل أى العرب فلا تذر هذه البشارة الى نبي من بني اسرائيل لأنه يكون حينئذ من أنفسهم وليس من إخوتهم ، كما أنه لم يأت نبي مثل موسى جاء بشريعة وفتوحات وانتصارات الا الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - .  
ثانيا : قوله في التوراة ( في سفر التثنوية ١/٢٣ - ٢ ) أن موسى قال قبل موته

فمن كان منهم ذا عقل وقلب مفتوح اتبع الحق وما بشرت به الكتب  
ومن هؤلاء عبد الله بن سلام وكعب الأحمري وعبد الله بن صوريا وكلهم  
من علماء اليهود الذين أسلموا واتبعوا الحق والذي بشرت به الأنبياء  
قال الرازي<sup>(١)</sup> عند تفسير قوله تعالى : ( فان كنت في شك مما أنزلنا  
اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك .. )

" قال المحققون : هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله  
بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الداري وكعب الأحمري لأنهم هم  
الذين يوثق بخبرهم ، ومنهم من قال : الكل سواء كانوا من المسلمين  
أو الكفار لأنهم اذا بلغوا عدد التواتر ثم قرأوا آية من التوراة ،

---

— " جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلاًلاً من جبل فاران<sup>(٢)</sup> " .  
وهذه البشارة متضمنة للنبوءات الثلاث : " نبوة موسى الذي نُبئ من جبل الطور  
الكائن في سيناء . ونبوة عيسى عليه السلام الذي ظهر من بيت المقدس ،  
وساعير قرية هناك ، وفاران هي مكة التي خرجت منها رسالة الاسلام وظهرت  
للعالم ، فهذه الاماكن الثلاثة ظهرت منها رسالات الله الثلاث وشعت منها أنوارها  
فكانت فاران خاتمة الاماكن التي ظهرت منها الرسائل لكن أهل الكتاب كتموا وأولوا  
وقالوا فاران هي أرض الشام ، وهذا من بهتهم وتحريفهم ، ومما يُرد عليهم أن عندهم في  
التوراة : " ان اسماعيل لما فارق أياه سكن في بيرة فاران ولفظه : ( وأقام  
اسماعيل في بيرة فاران أنكحته أمه امرأة من " جرم " ) هذا نقل ابن القيم  
عن التوراة سفر التكوين ٢١ / ١٧ - ٢١ وهو يختلف في ألفاظه عن نسخ اليوم .

ثالثاً : في انجيل يوحنا ( الاصحاح الخامس عشر / ٢٦ - ٢٧ ، السادس عشر / ٧ - ١٥ )  
وفي ١٤ - ١٥ . " وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه  
لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأموراً آتية وذلك يمجديني ... " .  
وفي فقرة ٨ : " إن لم انطلق لا يأتيكم المعزى ، ولكن إن ذهبت أرسله اليكم وصوتي  
جاء ذلك يُبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة ... " .  
وفي هداية الحيارى نقلنا عن انجيل يوحنا الذي نقلنا عنه الفقرات السابقة : " ان  
المسيح قال للحواريين : " اني ذاهب وسأتيكم الفارقليط روح الحق لا يتكلم من قبل  
نفسه انما هو كما يقال له وهو يشهد لي ... " وهذه العبارة بنفسها لا توجد في

---

(١) تفسير الرازي ج ١٧ / ١٦٩ .

(٢) قارن هذا النص بالنص الذي نقله ابن القيم عن التوراة في هداية الحيارى



والانجيل وتلك الآية دالة على البشارة بمقدم محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد وصل الغرض ، أما تحريفهم للكتب وتغييرهم فيها فانما كان بسبب اخفاء الآيات الدالة على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - فان بقيت فيها آيات دالة على نبوته كان ذلك من اقوى الدلائل على صحة نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنها لما بقيت مع توفر دواعيهم على إزالته دل ذلك على أنها في غاية الظهور . " ٥١هـ

---

— انجيل يوحنا أو غيره انما هي بمعناها في انجيل يوحنا كما ذكرت أولا وبإبدال "الفارقليط" " بالمعزى" واختلاف الألفاظ مما يدل على توالي التحريف واختلاف الترجمات في كل عصر، وللمقارنة انظر: هداية الحيارى ٥٥ - ٥٦ وقارنه بما في يوحنا اصحاح خامس عشر / ٢٦ - ٢٧ / سادس عشر ٧ - ١٥ يوحنا الاصحاح الحادى والعشرون / ٤٢ وانظر: القرآن والمبشرون ص ٥٠ حيث ذكر هذه الفروق والاختلافات .

وعلى أية حال :

فان هذه الصفة التي ذكرناها صفة رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم اذ أنه يشهد لعيسى ولا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى " كما انه هو وحده الذى مجد عيسى عليه السلام وبرأه مما ادعته النصارى واليهود فيه من غلو أو شتيمة .  
والفارقليط : - كلمة سريانية تدل على معنى الحمد اما أحمد أو محمد كما قال الله في القرآن عن المسيح ( ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه احمد ... )

انظر للتوسع في البشارات ومعناها هداية الحيارى لابن القيم ٥١ - ٦٤ ، ٨٨ مطابع المجد التجارية - الجواب الصحيح لابن تيمية ج ٢ / ٣٠٠ ، إظهار الحق / رحمة الله الهندي ج ٢ / ٢٣٦ فما بعدها .

٨- قوله تعالى : في حق المسيح عليه السلام :

( وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ٠٠٠٠ )

آل عمران / ٥٥

هذه الآية قد يتوهم منها أن النصارى غير كفار لأنه وعد بأن يجعلهم فوق الكفار وقد يتوهم منها أن من يدّعي تبعية عيسى في كل زمان على حق ونور

مع أن آيات القرآن صريحة بكفر النصارى وشركهم وسوء مقصدهم وأنهم ليسوا على شيء .

كما قال الله فيهم : - ( لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ٠٠٠٠ ) المائدة / ٧٢

وقال : ( ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير ٠٠ ) البقرة / ١٢٠

وقال : ( ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ٠٠٠ ) آل عمران / ٨٥ .

والجواب : - أن الذين يصدق عليهم انهم اتباع عيسى عليه السلام انما هم أمة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنهم تمسكوا بدين الله الصحيح القائم على التوحيد الذى جاء به كل الأنبياء ، ولأنهم آمنوا بنبي الله عيسى حق الايمان ولم يدعوا له الألوهية أو البنوة كما هو حال النصارى لذلك فان المسلمين هم اتباعه في الحقيقة أما النصارى الذين جاءوا بعد عصر التبديل والتحريف فان عيسى عليه السلام يتبرأ منهم وليسوا بأتباعه .

فالذين اتبعوا عيسى عليه السلام هم الذين يؤمنون بدين الله الصحيح الاسلام ، الذى عرف حقيقته كل نبي ، وجاء به كل رسول وآمن به كل من آمن حقاً بدين الله ، وهؤلاء فوق الذين كفروا الى يوم القيامة في ميزان الله كما أنهم كذلك في واقع الحياة كلما واجهوا معسكر الكفر بحقيقة الايمان وحقيقة الاتباع .

ودين الله واحد وقد جاء به عيسى بن مريم كما جاء به من قبله ومن بعده .

والذين يتبعون محمداً - صلى الله عليه وسلم - هم الذين اتبعوا موكب الرسل كلهم من لدن آدم - عليه السلام - الى آخر الرسل .

فمن يتبع رسولا واحدا ويؤمن بما جاء به انما يؤمن بجميع  
الرسل لأن دينهم واحد كما قال تعالى : -  
( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما  
وَصَّينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه  
كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ) الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه  
من يُنِيب ) الشورى / ١٣

ومطلوب من المسلم أن يؤمن بجميع الرسل لا يفرق بين أحد  
منهم كما قال الله تعالى : ( آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه  
والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد  
من رسله ... ) البقرة / ٢٨٤

فالذي شرعه الله للأنبياء جميعا واتفقوا عليه هو عقيدة  
التوحيد وتنزيه الرب من كل شريك أو نقص أو اعتقاد باطل في الله  
أو ملائكته أو رسله أو اليوم الآخر وكذلك ما شرعه الله لكل من  
أصول الاخلاق والمعاملة وممالح الدنيا .

والذي يكذب بنبي واحد أو رسول واحد انما يكذب بكل الرسل  
كما قال الله : ( كذبت قوم نوح المرسلين ) .  
لأن التكذيب بنبي واحد تكذيب بكل الرسل واتباعه اتباع لكل الرسل  
ومنهم خاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي أخذ الله على كل  
الامم الايمان به وتمديقه كما قال : -

( واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم  
جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننَّ به ولتنصرُنَّه ، قال أقررتم وأخذتم  
على ذلك إصري ، قالوا : أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين )  
آل عمران / ٨١

وفي الحديث : " أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا  
والآخرة والأنبياء إخوة لعملات أمهاتهم شتى ودينهم واحد " (١).

(١) أخرجه البخارى / كتاب الانبياء باب ٤٨ واذكر في الكتاب مريم اذا انتبذت

من أهلها مكانا شرقيا ج ٤ / ١٤٢ .

ومعنى إخوة لعملات : إخوة لأب .

يشير الى اتفاق الشرائع في التوحيد والأصول والضروريات -  
واختلاف الشرائع فيما دون ذلك من التفاصيل المُعبَّر عنه بقوله ( أمهاتهم  
شتى ) .

لذلك فان اتباع عيسى في الحقيقة هم المسلمون ،  
فعبد الله بن سلام وعبد الله بن سوريا وتميم الدارى والنجاشي  
وكل من أسلم من أهل الكتاب هم الذين اتبعوا عيسى باتباعهم للاسلام  
وايمانهم بخاتم المرسلين الذى بشرت به الأنبياء وأرشدت الى الايمان  
به عند مجيئه .

وهؤلاء المتبعون لرسول الاسلام وجميع الانبياء قبله هم  
الموعودون بالنصر في الدنيا والآخرة كما قال الله عز وجل :-  
( انا لننصر رسلانا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم  
يقوم الأشهاد ... ) ظفر / ٥١ .  
وقال : ( كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوى عزيز ..... )  
المجادلة / ٢١

أما قوله " فوق الذين كفروا " ...

سبق أن ذكرنا أن نصر المؤمنين يكون بالظفر والغلبة واستخلافهم  
في الأرض كما استخلف الله المسلمين ففتحوا مشارق الأرض ومغاربها  
وقضوا على أكبر دولتين للكفر في زمانهم فارس والروم ،  
ونشروا دين الله والنور الذى أنزله لعباده وكانوا فوق الذين كفروا  
ماداموا متمسكين بحقيقة الايمان والاتباع .

كما أن نصر المؤمنين يكون بالحجة والدليل وهذه صفة دائمة  
لهم الى قيام الساعة حيث إن الكفر والإلحاد انما ينتشر بقوة  
السلطان لا بقوة الحجة والبرهان وذلك في حين غفلة أهل الحق  
عن دينهم (١) .

والذى يتلخص أن النصارى الذين لم يؤمنوا برسالة الاسلام ليسوا  
أتباعا لعيسى عليه السلام وإن أظهروا وأدعوا أنهم يحبونه ويتبعونه  
وذلك لأنهم يخالفونه أشد المخالفة من حيث إن صريح العقل والنقل  
يشهد أن عيسى عليه السلام ماكان يرضى بشيء مما يقوله هؤلاء الكفار  
الجهال في حقه وحق أمه وما افتروه عليه من تأليهه أو القول بالتثليث  
( وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين  
من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس بحق ، إن كنتُ قلتُه  
فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ،  
ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا  
مادمتُ فيهم فلما توفيتني كنتُ أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد . )

المائد / ١١٦ - ١١٧

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١/٥٤٩ آل عمران / ٥٥ ، ابن جرير ٦ / ٤٦٢  
رازي ٨ / ٦٩ ، روح المعاني ج ٣ / ١٨٣ ، الظلال ج ١ / ٤٠٢

4- قوله تعالى في حق بني اسرائيل :-

( يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وأني فضلتكم على

العالمين . ) البقرة / ٤٧

وقوله في حقهم أيضا : ( ولقد اخترناهم على علم على العالمين )

الدخان / ٣٢

هاتان الآيتان ونحوهما قد يتوهم منهما تفضيل بني اسرائيل على جميع  
الأمم ومنها أمة الاسلام :- التي قال الله فيها :-

( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن

المنكر وتؤمنون بالله . ) آل عمران / ١١٠

والجواب :- أن المراد بقوله : ( وأني فضلتكم على العالمين )

وما شاكلها المراد عالمي زمانهم الذي كانوا فيه في وقت التفضيل<sup>(١)</sup>

وتفضيلهم بما منحهم من النعم المشار اليها بقوله تعالى : ( واذ قال

موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء

وجعلكم ملوكا " - المائدة / ٢٠ -

قال الرازي<sup>(٢)</sup> : ( المراد : فضلتكم على عالمي زمانكم وذلك لأن -

الشخص الذي سيوجد بعد ذلك وهو الآن ليس بموجود لم يكن ذلك

الشخص من جملة العالمين حال عدمه . ، ووجه آخر أن قوله :

( وأني فضلتكم على العالمين ) عام في العالمين لكنه مطلق في

الفضل والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة ، فالآية تدل على أن بني

اسرائيل فضلوا على العالمين في أمر ما - أي كثرة الأنبياء فيهم

وجعلهم ملوكا - وهذا لا يقتضي أن يكونوا أفضل من كل العالمين في كل

الأمور. ) اهـ أي انهم ليسوا بأفضل من عالمي زمانهم في كل الأمور

---

(١) ابن كثير / ١ / ١٣٤ البقرة / ١٣٤ ، وانظر روح المعاني ١ / ٢٥

والقرطبي ٢ / ٣٧٦ ، زاد المسير ١ / ٧٦

(٢) الرازي ٢ / ٥٢

بل في أمر ما يصدق عليه التفضيل  
فالآيات جاءت لمخاطبة بني اسرائيل الموجودين في عصر النبي  
وما بعده وتذكيرهم بنعم الله على أجدادهم زمان موسى عليه السلام ،  
ولتخويفهم يوم الحساب وأن مجرد الأمانى لا تنفع عند الله وكذلك  
الاعتزاز بالماضي اذا لم يقترن بايمان وعمل صحيحين .  
فتفضيل بني اسرائيل على العالمين موقوف بزمان استخلافهم واختيارهم  
فأما بعد ما عتوا عن أمر ربهم وعصوا انبياءهم وجحدوا نعمة الله  
عليهم وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم فقد اعلن الله حكمه عليهم باللعنة  
والغضب والذلة والمسكنة وقضى عليهم بالتشريد وحق عليهم الوعيد ،  
كما قال الباري :

( لُعُنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ  
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مَنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ  
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ) المائدة / ٧٨

وقال : ( ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، ذَلِكَ  
بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا  
عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ) البقرة / ٦١

ثم انهم بعد زمان التفضيل حَرَّفُوا كتاب الله وهو التوراة الذي عُهِدَ  
اليهم بحفظه ، وافتروا فيه على الله وأنبيائه ما لا يقبله عقل  
ولانقل .

ولما جاء الاسلام وكفروا بالدين الجديد الخاتم والمهيمن  
الا من رِحم الله منهم نزلت كثير من الآيات لمحاورتهم ودعوتهم  
ومنها الآيات التي تذكركم بنعمة الله عليهم بتفضيلهم على عالمي  
زمانهم وما جعل فيهم من الأنبياء والملوك وكيف انجاهم من اعدائهم  
وكل ذلك لإطاع لهم لينتهزوا الفرصة المتاحة على يدي الدعوة  
الاسلامية فيعودوا الى موكب الايمان وإلى عهد الله شكرا على تفضيله  
لآبائهم ورغبة في العودة الى مقام التكريم الذي يناله المؤمنون  
من هذه الأمة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس تأمراً  
بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله الايمان الصحيح المطلوب وفيها  
كل خير ومعروف .

ألا ترى أن الله جعل المقصد من بني اسرائيل وغيرهم هو  
أعلام منزلة حيث قال : ( منهم أمة مقصدة وكثير منهم ساء  
ما يعملون ) المائدة / ٦٦ .

وجعل في هذه الأمة درجة أعلى من درجة المقتصد وهي درجة السابق بالخيرات<sup>(١)</sup> حيث قال تعالى : ( ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير . ) فاطر / ٣٢

فكان من فضل الله على البشرية أن قيَّض لها هذه الأمة أمة القرآن فنشرت فيها الحق والعدل والرحمة ورفعت الظلم عن العباد لما فتحت بلاد الكفر والشرك في الشرق والغرب ونشرت التوحيد وأبطلت معاول الكفر وذلك لما كان المسلمون متمسكين بحقيقة الايمان والاتباع وكانوا جسدا واحدا .

وان البشرية اليوم لتحتاج لذلك اليوم الذي تستعيد فيه هذه الأمة أمجادها برجوعها لكتاب ربها وتحكيم شريعة الاسلام واحياء الجهاد والدعوة الى الله على نحو يكفل للبشرية فلاحها من براثن الكفر والالحاد والاباحية والفساد وما هم فيه من ظلم واستعباد وحروب وأحقاد<sup>(٢)</sup> . ( يريدون ليظفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . ) الصف / ٨ - ٩

---

(١) اضواء البيان ١٠ / ٢٠

(٢) في ظلال ٦٩ / ١

١٠- قوله تعالى :

( إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون )

المائدة / ١٦٩

هذه الآية قد يتوهم منافاتها للآيات التي تثبت كفر اليهود والنصارى وكونهم مشركين لا يقبل الله منهم ايمانا ولا عملا .

والجواب : أن هذه الآية تتحدث عن المؤمنين من أهل الأديان في زمانهم فكل من بُعث اليه نبي وآمن به الايمان الصحيح وعمل صالحا كان من أهل السعادة ، فالآية تصف أهل السعادة من الأولين والآخرين فمن آمن بنوح عليه السلام وعمل صالحا كان من أهل السعادة . ومن آمن بشعيب عليه السلام وعمل صالحا كان من أهل السعادة . وكذلك جميع من آمن بنبي زمانه وعمل صالحا ، ومنهم الذين هادوا وهم من آمن بموسى عليه السلام وعملوا صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ومنهم النصارى : وهم من آمن بعيسى وعملوا صالحا ، ومنهم من آمن بالرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم الرسل

(١) تقدم تفسير معنى : ( الصابئون )

ولا بأس بتوضيحه هنا : والذي يتلخص من أقوال العلماء أن الصابيء قد لا يكون مشركا بسل مؤمنا بالله واليوم الآخر كما هو نص الآية ، وأنهم في الأصل موحدون طرأ عليهم الشرك كحال اليهود والنصارى ويعتقدون تأثير النجوم ، واختار الرازي أنهم قوم يعبدون الكواكب بمعنى أن الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء ،

قال ابن كثير ج ١ / ١٥٧ البقرة / ٦٢ ، وأظهر الأقوال والله أعلم أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين ، وإنما هم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه ولهذا كان المشركون ينجزون من أسلم : بالصابي ، أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك وقال بعض العلماء : الصابئون : الذين لم تبلغهم دعوة نبي والله أعلم .

فتاوى ٥ / ٢١ ، رازي ٢ / ١٠٤ ، روح ١ / ٢٧٨ ، ابن كثير ١ / ١٥٧ المعاني

البقرة / ٦٢ .



فالأية تشمل كل من آمن بدين زمانه قبل أن يُنسخ وعمل بمقتضى شرعه  
فيعم الحكم : المخلصين من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -  
والمنافقين الذين تابوا واليهود والنصارى الذين ماتوا قبل التحريف  
والنسخ والصابئين الذين ماتوا زمن استقامة أمرهم .

ويدل على ذلك سبب نزول الآية :-

حيث أخرج ابن أبي حاتم بسند في غاية الصحة (١) عن مجاهد قال :  
قال سلمان رضى الله عنه : سألت النبي صلى الله عليه وسلم - عن أهل  
دين كنت معهم فذكرت من صلاتهم وعبادتهم ، فنزلت :- ( ان الذين آمنوا  
والذين هادوا والنصارى والصابئين ... ) الآية .

فكل من آمن بنبي زمانه ولم يغير ولم يبدل وعمل صالحا كان من أهل  
السعادة والفوز، وقد كان قبل مبعث النبي بقايا من أهل الكتاب لم يغيروا  
ولم يُبدلوا ولم يشركوا بالله تعالى وكانوا مجتهدين في العبادة والصلاة  
أخرج الامام مسلم (٢) :- عن عياض بن حمار ان رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - قال في حديثه عن قبل البعثة :- " وأن الله نظر الى  
أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب " .  
أى ليس كل أهل الكتاب بل من ثبت على ما كان عليه الرسل - عليهم  
السلام .

ففى مثلهم نزل قوله تعالى : ( ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى  
والصابئين ... ) .

فالمؤمن من الكمل مخلص وناج  
فلما بُعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وجب على كل مؤمن من أهل  
الكتاب أن يؤمن به ويتبعه ويطيعه فيما أمر لقوله تعالى : ( ومن  
يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ) .  
ولقوله تعالى : ( ان الدين عند الله الاسلام ) .

---

(١) قال ابن أبي حاتم كما فى تفسير ابن كثير ج١/١٥٦ البقرة / ٦٢ :-  
حدثنا عمر بن أبى عمر العدنى حدثنا سفيان عن ابن أبى نجیح عن  
مجاهد قال قال سلمان .....  
وأبو حاتم حافظ كبير ثقة ثبت تقريب ١٤٣/٢ " ، وعمر بن أبى عمر:  
صدوق روى له مسلم ولازم ابن عينية (تقريب ٢١٨/٢) وسفيان بن  
عينية : حافظ كبير ثقة ثبت : (تقريب ٣١٢/١)  
وابن أبى نجیح : هو عبد الله بن يسار وهو ثقة روى عنه السنن

تقريب ( ٤٥٦/١ ) ومجاهد : ثقة امام فى التفسير والعلم، تقريب (٢٢٩/٢) .  
انظر الدر المنثور ج١/٧٣ ، تفسير ابن جرير ١٥٠/٢ البقرة / ٦٢ .  
(٢) صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب الصفات التي يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة  
و أهل النار (شرح المنورى ج ١٧/١٩٧)

قال الآلوسي<sup>(١)</sup> : ( وعموم الآية يشمل اليهود والصائبين الذين آمنوا بعباسي عليه السلام وماتوا في زمنه ، وكذا من آمن من هؤلاء الفرق بمحمد - صلى الله عليه وسلم ) - فأهل الكتاب الذين حرفوا وغيروا وأشركوا وغيرهم من الكفار فكل هؤلاء من أحدث منهم الايمان الصحيح ودخل في الاسلام وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون<sup>(٢)</sup> .  
فقوله تعالى : " من آمن منهم باللّه واليوم الآخر ( ... ) الآية ،  
أى آمن الايمان المطلوب والصحيح وهو الايمان الذى جاء به الاسلام والخالي عن كل شائبة شرك أو وثنية ، قال الرازى<sup>(٣)</sup> : ( فبين سبحانه في هذه الفرق الأربعة أنهم اذا آمنوا باللّه فلهم الثواب فسي الآخرة ، ليعرف أن جميع أرباب الضلال اذا رجعوا عن ضلالهم وآمنوا بالدين الحق فان الله سبحانه وتعالى يقبل ايمانهم وطاعتهم ولا يردهم عن حضرته البتة وأعلم أنه قد دخل في الايمان باللّه الايمان بما أوجبه أئمة الايمان برسله ودخل في الايمان باليوم الآخر جميع أحكام الآخرة ) ويدل على عدم اعتبار ايمان أهل الكتاب قوله تعالى :  
( ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون )  
فمن دخل منهم في الاسلام فهو المؤمن ومن أصر على دينه فهو الفاسق ، ولهذا قال تعالى : ( يا أيها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أديبارها أو نلعنهم .. ) فالايان المعتبر هو الايمان بما نزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - ، لأن ما عند أهل الأديان أكثره باطل بسبب التبديل والتغيير وحقه منسوخ بالاسلام ،  
وقد قال الله تعالى في ذلك ( فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ) ( البقرة / ١٣٧ )

وقد نص الله تعالى أن اليهود والنصارى لا يؤمنون باللّه الايمان الصحيح المطلوب الذى يُنجي وهو قوله تعالى : ( قاتلوا الذين لا يؤمنون باللّه واليوم<sup>الأخر</sup> ولا يُحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون )

التوبة / ٢٨

- 
- (١) روح المعاني ١/ ٢٧٨ .  
(٢) ابن كثير ١/ ١٥٧ ، البقرة / ٦٢ ، القرظي ١/ ٤٢٣ ، الرازى ٢/ ١٠٤ .  
مجموع الفتاوى ١٤/ ٦٨ ، روح المعاني ٦/ ٢٠١ ، ١/ ٢٧٨ .  
(٣) تفسير الرازى ٢/ ١٠٤ .

فايمانهم الذى يزعمون ليس له قيمة أو اعتبار عند الله ، فنفسى  
الله عنهم الايمان بالله واليوم الآخر لما يشوبه من الشرك والكفر  
وسوء الاعتقاد<sup>(١)</sup> ونفى عنهم الدين الحق لأن الدين عند الله الاسلام .  
الله قوله تعالى : ( ولا تبدل لكلمات الله ) الانعام / ٢٤ .  
وقوله : ( وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته ) الانعام / ١١٥ .  
هذه الآيات لاشنافى الآيات التى تدل على تحريف أهل الكتاب وتبديلهم لكلام  
الله الذى أنزله على موسى وعيسى عليهما السلام<sup>(٢)</sup> .  
كقوله تعالى : ( فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من  
عند الله ) البقرة / ٧٨ .

لأن المراد بالكلمات فى هذه الآيات : هو تقدير الله وحكمه  
وقضاؤه فلا مبدل لذلك وهو كقوله تعالى :  
( ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ) الزمر / ٧١ .  
أى ما قضاه الله وقدره على الكافرين من العذاب .  
وكقوله : ( قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل  
أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ) الكهف / ١٠٩ .  
فمعناها معلومات الله وحكمته وتقديره فهى غير متناهية<sup>(٣)</sup> .

---

(١) قال الرازى ( ج ١٦ / ٢٩ ) : ( كونهم لا يؤمنون باليوم الآخر : لأن المنقول  
عن اليهود والنصارى انكار البعث الجسمانى ، فمن انكر الحشر والبعث  
الجسمانى فقد أنكر صريح القرآن ، ولما كان اليهود والنصارى منكرين  
لهذا المعنى ثبت كونهم منكرين لليوم الآخر .

(٢) أستدل بعض أعداء الاسلام من المنصرين وغيرهم بأن هاتين الآيتين تدلان  
على استحالة وقوع التحريف فى التوراة والأنجيل ، لأنه لا مبدل لكلمات  
الله ، أنظر : القرآن والمبشرون : ص ( ٤٦ ) .

(٣) يوضح ذلك سبب النزول حيث روى الترمذى فى كتاب التفسير عن ابن  
عباس أن حبيبي بن أخطب اليهودى قال : فى كتابكم " ومن يؤت الحكمة  
فقد أوتى خيرا كثيرا " ثم تقرأون " وما أوتيتم من العلم الا  
قليلا " .

ومراده الاعتراض بأنه وقع فى كتابكم تناقض بناء على أن الحكمة  
هى العلم وأن الخير الكثير هو عين الحكمة لآثارها وما يترتب عليها  
لأن الشيء الواحد لا يكون قليلا وكثيرا فى حالة واحدة ، فالآية  
جواب عن ذلك بالارشاد الى ان القلة والكثرة من الأمور الاضافية  
فيجوز أن يكون الشيء كثيرا فى نفسه وهو قليل بالنسبة الى  
شيء آخر فان البحر مع عظمتيه وكثرته خصوصا اذا ضم  
اليه أمثاله قليل بالنسبة الى كلمات الله عز وجل .

روح المعانى ( ج ١٦ / ٥٢ ) .

وإذا لاحظنا سياق قوله تعالى : ( ولا تبدل لكلمات الله ... )

فهمنا معناها ،

يقول تعالى : ( ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا تبدل لكلمات الله . )  
فالآية تتكلم عما قضاه الله وقدره في علمه من نصر عباده المرسلين الصابرين فلابدل لذلك وهو كما قال في موضع آخر : ( ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ) - الصافات / ١٧٣

فهذا قضاء الله وحكمه في نصر المرسلين والمؤمنين لا يتغير ولا يتبدل لأنها من سُنن الله فقوله في الآية ( ولا تبدل لكلمات الله ) .

مقرر لمضمون ما قبله من إتيان نصره سبحانه للرسول وحكمه بذلك ،

أما قوله : ( وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا تبدل لكلماته .. )

فقد قال قتادة : صدقا فيما قال وعدلا فيما حكم .

ثم قال : لا تبدل لكلماته : أي لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه الذي قاله

وحكم به ومن ضمن ما قضاه وحكم به حفظ القرآن من التغيير والتبديل

والزيادة والنقص : كما قال : ( أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون )

وهذا بخلاف التوراة والانجيل ، فإن الله لم يتكفل بحفظهما (١) بل وكَّل

حفظهما للأخبار والرهبان كما قال :-

( إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين

هَادُوا والرهبانيون والأخبار بما أَسْتَحْفَظُوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء

..... ) المائدة / ٤٤ .

فهذا مدح للتوراة التي أنزلها الله على عبده ورسوله موسى بن عمران عليه

السلام ويبيِّن فيه أن العلماء والأخبار يحكمون بالتوراة والانجيل كالأنبياء وأنهم

أُمرُوا بحفظ التوراة والانجيل وأن يكونوا عليها شهداء (٢) ، فحفظ الكتاب

موكل لهم ولكن هل راعوا ما أوْتَمَنُوا عليه ؟ إنهم قد فرطوا وضيعوا الأمانة

وحرفوا كتاب الله وبدلوا فيه ثم كتموا وجهدوا إلا من رحم الله ممن اتبع

الحق منهم وأسلم لله وانساق للهدى بمتابعة سيد المرسلين - صلى الله

عليه وسلم - .

(١) ابن كثير (٢/٢٦٩) ، طبري (١٢/٦٣) ، زاد المسير (٣/٣١) ، روح المعاني (٧/١٣٦) .

(٢) ابن كثير (٢/٩٥) المائدة / ٤٤ روح المعاني ج ٦ / ١٤٢ - ١٤٤ .

زاد المسير (٢/٣٦٣)

القرآن والمبشرون / ٤٦ .

موهم آيات المشركين

جاءت آيات في القرآن الكريم تتحدث عن الكفار وبيان ضلالهم وخسارتهم في الدنيا والآخرة ، وتحدد علاقة المؤمنين بهم ، وبعض هذه الآيات قد يتوهم منها الاختلاف والتعارض اسوقها في هذا الفصل مبيئاتوافقها وانسجامها ودافعا لتوهم اختلافها .

١- قوله تعالى ( وما دعاء الكافرين الا في ضلال ) ( الرعد / ١٤ ) .  
اي في ضياع وخسارة وباطل ،

وهذه الآية الكريمة يدل ظاهرها على ان دعاء الكافر غير مستجاب بل هو في ضلال ، وقد دلت آيات اخرى ان الله تعالى يستجيب دعاء الكافر في بعض الاحوال ، كحال المضطر وهو قوله تعالى :

( امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض اله مع الله ، قليلا ماتذكرون ) ( النمل / ٦٢ ) .

فهذه الآية تبين لنا ان الله تعالى يستجيب دعاء الكافر المضطر الذي يلجأ اليه حين الشدة . وعندما يفقد وسائل النصره واسباب الخلاص فتستيقظ فطرته فتلجأ الى القوة الوحيدة التي تملك الغوث والنجدة .

وهذه الآية كقوله تعالى في موضع آخر:

( واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا إياه فلما نجاكم الي

البر أعرضتم وكان الانسان كفوراً ) ( الاسراء / ٦٧ ) .

وهذه الآيات لاتنافى بينها بحمد الله حيث إن قوله تعالى :

" وما دعاء الكافرين الا في ضلال ) ( يحتمل وجهين : (١)

- الوجه الاول : ان معنى الآية : وما عبادة الكافرين ودعاؤهم للاصنام

الا في خسرا وباطل لانها لاتضر ولاتنفع ولاتستطيع اجابتهم لافى الدنيا ولافي

الآخرة كما قال تعالى ( اين ماكنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم

نكن ندعو من قبل شيئا ) ( غافر / ٧٤ ) .

(١) زاد المسمير لابن الجوزي ٣١٨/٤ / تفسير الرازي ٣٠/١٨ ،

تفسير القرطبي ٣٠١/٩ ، تفسير ابن كثير ٧٨٥/٢ - الرعد / ١٤ ،

روح المعاني للالوسي : ١٢٦/١٣ ، الدر المنثور للسيوطي ٠٦٢٨/٤

وعلى هذا الوجه يندفع توهم التعارض والاختلاف مع الايات الاخرى لان الدعاء المردود والخاسر هو دعاء الاصنام والدعاء المستجاب هو دعاء الله تعالى ، ويؤيد هذا الوجه سياق الآية حيث جاء قبلها : ( له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال ) .

والوجه الآخر : هو ما رواه الضحاك عن ابن عباس :  
( وما دعاء الكافرين ربهم الا في ضلال لان اصواتهم محجوبة عن الله فلا يستجيب لدعائهم ) .

وعلى هذا الوجه يكون دعاء الكافر المضطر مخصص بالاجابة ، فدعاء الكافرين عموماً في ضلال لا يستجاب لان من شروط الاستجابة ان يكون الداعي موحداً لله عابداً له لا يشرك به شيئاً ، ولكن الله سبحانه استثنى من ذلك الكافر المضطر الذي يلجأ الى الله ساعة كربته وشدته وانقطاع اسباب نجاته فتستيقظ فطرته وتلجأ الى الباري ، دون الشركاء والاصنام لانهم يعلمون ان النافع والضار هو الله وحده .

قال القرطبي (١) : ضمن الله تعالى اجابة المضطر اذا دعاه واخبر بذلك عن نفسه والسبب في ذلك أن الضرورة اليه باللجاء ينشأ عن الاخلاص وقطع القلب عما سواه والاخلاص عنده سبحانه موقع وذمة وجد من مؤمن او كافر طائع او فاجر . كما قال تعالى :

" حتى اذا كنتم في الفلك وجريين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتهم ارياح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن اُنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين " .  
وقوله ( فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ) .

---

(١) تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) ج١٣/٢٢٣ .

فاجابهم عند ضرورتهم ووقوع اخلاصهم مع علمه انهم يعودون الى شركهم  
وكفرهم ( اهـ .

وقال الماوردي (١) عند تفسير الآية ( امن يجيب المضطر ) : وانما  
خصّ إجابة المضطر لأمرين : أحدهما : لان رغبته اقوى وسؤاله اخضع ،  
الثانى : لان اجابته أعم وأعظم لانها تتضمن كشف بلوى وإسداء نعممة ( اهـ  
(والناس يغفلون عن هذه الحقيقة فى ساعات الرخاء وفترات الغفلة )  
يغفلون عنها فيلتمسون القوة والنصرة والحماية فى قوة من قوى الارض الهزيلة  
فاما حين تلجئهم الشدة ويضطرم الكرب فتزول عن فطرتهم غشاوة الغفلة  
ويرجعون الى ربهم منيبين مهما يكونوا من قبل غافلين او مكابرين) (٢)

والقرآن عندما نبّه الى انه تعالى يجيب دعوة الكافر المضطر  
دون غيره من الكفار غير المضطربين انما يريد أن يرد المكابرين الجاحدين  
الى الحقيقة الكامنة فى فطرتهم وهى حقيقة التوحيد ، فاذا كان الله وحده  
هو القادر على كشف الضر فى وقت الاضطرار وان الكافر المضطر لا يلجأ الا اليه  
ولا يعول فى وقت الاضطرار على سواه وانه سبحانه هو المتصرف والنافع والضرار  
وبيده كل شئ اذا كان الله كذلك فانه وحده هو المستحق للعبادة والطاعة  
والدعاء فى اوقات الرخاء والشدة فالذى يلزم الكافر هو ان لا يحدد  
التوحيد والطاعة لله فى وقت الرخاء والامن .

ولا بد من التنبيه ان استجابة الله لدعاء المضطر مقيد بالمشيئة  
وهو تعالى لا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة قال تعالى : ( بل إياه تدعون فيكشف  
ماتدعون اليه ان شاء ) ( الانعام : ٤١ ) .

(١) تفسير الماوردي " النكت والعيون " ج٣/٢٠٨ .

(٢) فى ظلال القرآن ج٥/٢٦٥٨ .

٢- قوله تعالى : " من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليه — أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون • أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار • وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون " ( هود / ١٥ ) •

قوله تعالى : " من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها •••• " المراد به كل من ينوى بعمله غير الله تعالى سواء كان معه أصل ايمان أو لم يكن (١) وهم الكفار الذين ليس لهم سوى الدنيا فهى أكبر همهم ويبلغ علمهم وكذلك المرءون الذين يعملون الاعمال الصالحة طلبا للدنيا •

وادخال " كان " للدلالة على الاستمرار اى من يريد ذلك بحيث لا يكاد يريد الآخرة اصلا وعلى ذلك فان هذه الاية لاتتناول المؤمن الذى يريد الحياة الدنيا ولا يدخل فى هذا الوعيد الشديد •

حيث إن المؤمنين فريقان: فريق يريد الحياة مقتصرين عليها — واتخذوها غاية لا وسيلة لنيل درجات الآخرة وانغروا بزخارفها ولذاتها — العاجلة فنسوا يوم الحساب •

وكذلك المرءون الذين يعملون الاعمال الصالحة لا لوجه الله بل طلبا للسمعة والرياء فهذا الفريق بنوعيه هم الداخلون فى عموم الاية مع الكفار وهم الذين ينالهم هذا الوعيد الشديد • أما الفريق الآخر فهم المؤمنون الذين يريدون الحياة الدنيا ليس لذاتها وانما من أجل الآخرة •

وعلى هذا فان الاية المتقدمة لاتعارض ما جاء فى آيات اخرى — ان المؤمنين قد يريدون الحياة الدنيا وزينتها •

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٦٨١ ، هود / ١٥ •



وهو قوله تعالى : " قل من حَرَمَ زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة " ( الأعراف / ٣٢ ) .

وقوله تعالى : " ولاتنس نصيبك من الدنيا " ( القصص / ٧٧ )  
وذلك ان المؤمن لاتنحصر همته ورغبته في زينة الحياة الدنيا بل انه يعتقد انها وسيلة ومطية للاخرة ويعلم انها زينة مؤقتة وزائلة ينبغي ان لاتلهي عن طاعة الله وذكره وأن الآخرة خير وأبقى .  
وهو مهما أوتى منها إنما هي في يده وليس في قلبه ، يؤدى حق الله فيها وينفق مما جعله الله مستخلفا فيه لمنفعة عباده لان المال مال الله والعباد عيال الله .

" فالسعى للاخرة لا يحرم المرء من لذائذ الدنيا الطيبة انما يمد بالبصر الى آفاق أعلى فلا يكون المتاع في الارض هو الهدف والغاية ، ولا ضير بعد ذلك من المتاع حين يملك الانسان نفسه فلا يكون عبدا لهذا المتاع " (١)

ومما يدل على ان المراد بقوله تعالى : " من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها ..... " الاية .

الكفار والمراؤون الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا دون الاخرة قوله تعالى في نفس الاية : " اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون " .

وكذلك انه تعالى جعل هذه الارادة مقابل ارادة الاخرة في عدة آيات اخرى كقوله تعالى : " من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا .

ومن أراد الاخرة وسعي لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا .. " الايات / الاسراء ١٨ / ١٩ .

(١) في ظلال القرآن : ٤ / ٢٢١٨ .

وقوله تعالى ايضا : من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه وممن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب " ( الشورى/٢٠) .  
فمقابلة يريد الآخرة بالذى يريد الحياة الدنيا تدل على ان المراد بمريد الحياة الدنيا من تنحصر همته فيها بحيث لا يريد الآخرة اصلا .  
وهذه صفة الكافر وحاله وكذلك من اراد بعمله وطاعته الحياة الدنيا وهم المراءون .

قال ابن كثير : " قال قتادة : من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفيض الى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء واما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة " اهـ .  
ولذلك اخرج مسلم (١) عن ابي هريرة رضى الله عنه : ان اول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال قتلت فيك حتى استشهدت ، قال كذبت ولكنك قاتلت لان يقال فلان جرى فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت لي قال (عالم ) وقرأت القرآن لي قال ( قارىء ) فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا انفقت فيها لك قال : كذبت ، ولكنك فعلت لي قال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار " .

وفي رواية الترمذى (٢) وابن حبان (٣) ان رجلا دخل على معاوية بن ابي سفيان فحدثه بهذا الحديث فبكى معاوية بكاء شديدا ثم افاق وقال :

- 
- (١) مسلم/ في الامارة باب قاتل للرياء ( شرح النووى ج١٣/٥٠ ) والنسائي  
١٣/٦ فى الجهاد باب من قاتل لي قال فلان جرى .  
(٢) فى الزهد رقم ٢٣٨٢ باب ماجاء فى الرياء والسمعة ج٤/٥٩١  
(٣) موارد الظمآن /٦١٨ الزهد، باب ماجاء فى الرياء .

صدق الله ورسوله : ( من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار ..  
الاية .

وأخرج الامام احمد وابن حبان والحاكم<sup>(١)</sup> عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بشر هذه الامة بالسنة والرفعة والنصر والتمكين فى الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدين لم يكن له فى الآخرة من نصيب " .

قال العز بن عبد السلام<sup>(٢)</sup> : ان هذه الارادة العامة المراد بها ارادة خاصة لان الاية نزلت فى المرأئين ، وقيل فى الكفار والتقدير: من كان يريد ذلك بطاعة الله ، فعبر بالعام عن الخاص " اهـ .

اذا علم ذلك من ان المراد بالاية هم الكفار والمرءون الذين تنحصر همتهم فى الحياة الدنيا وزينتها وان الاية لاتعارض ان كل احد يريد الحياة الدنيا وزينتها حيث انها مطية للاخرة عندما تكون فى يد المؤمن ،

اذا علم ذلك فان قوله تعالى فى الاية : " نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون " .

فيها التصريح بان الكافر يجازى بحسناته وطاعاته التى يصح صدورها منه مثل البر وملة الرحم والصدقة وبناء الجسور وقرى الضيف ودفع الشرور والتنفيس عن المكروب وصدق المعاملة وما الى ذلك ،

لانه تعالى قال: " نوف اليهم أعمالهم فيها " يعنى الحياة الدنيا

---

(١) مسند احمد ١٣٤/٥ ، موارد الظمآن : ٦١٨ فى الزهد، والحاكم فى

الرقائق ٣١٨/٤ وقال صحيح الاسناد وتعقبه الذهبى وذكره الالبانى فى صحيح الترغيب ج١/١٥ .

(٢) فوائد فى مشكل القران/١٣٨ وانظر اباكثير ٦٨٠/٢ - هود/١٥

روح المعانى ٢٣/١٢ .

وتوفية أعمالهم في الدنيا هو ان الكافر يعجل له ثواب اعماله  
في الدنيا بتوسعة الرزق له وصحة البدن وكثرة الولد ونحو ذلك وليس له في  
الآخرة من نصيب كما قال تعالى مخاطبا الكفار :

" اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم  
تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم  
تفسقون ... " ( الاحقاف / ٢٠ ) .

ومجازاة الكافر بحسناته في الدنيا يوهم ظاهره معارضته قوله تعالى:  
(والذين كفروا أعمالهم كسراب<sup>بقية</sup> يذهب الظمآن ماء... ) ( النور / )  
وقوله تعالى : " مثل الذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم  
عاصف " ( ابراهيم / ١٨ ) .

فهاتان الايتان تدلان على ان اعمال الكافر محبطة من أصلها ،  
وهناك ايات ايضا تدل على بطلان عملهم في الدنيا والآخرة  
كقوله تعالى : في حق المرتد : ( فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا  
والآخرة ) ( البقرة : ٢١٧ ) .

وقوله تعالى في الكفار : ( إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون  
النبیین بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب  
اليم . اولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين " .  
( آل عمران - ٢١ - ٢٢ ) .

فحبوطها من أصلها وكونها كالسراب وكذلك الاخبار أنها محبطة في  
الدنيا والآخرة قد يوهم ظاهره معارضة ما دللت عليه الآية الاولى من ان الله  
يوف الكافر أعماله الحسنة في الدنيا ويجازيه عليها .

(١) والجواب : أن الايات التي تدل على ان الله تعالى يوفى الكفار  
أعمالهم في الدنيا ويجازيهم عليها وامن اراد منهم الدنيا اتاه الله  
منها ليس على إطلاقها لأنه قد جاءت اية أخرى تخصمها وهو قوله تعالى

(١) زاد المسير ٨٤/٤ ، الرازي ٢٠٧/١٧ ، ابن كثير ٥٦/٣ ، ٦٨٠/٢ ، احكام القران  
لابن العربي ١٠٥٦/٣ ، البرهان للزركشي ١٦/٢ ، روح المعاني ٢٣/١٢ ، في ظلال  
القران ٢٠١٨/٤ ، ١٨٦٢/٤ ، اضواء لبيان ١٠١/١٠

فى الاسراء : " من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد . . " فبين سبحانه أن تعجيل ثواب الدنيا ليس لكل من أرادها انما ذلك مربوط بحكم المشيئة والارادة . .

فالكفار منهم من يشيبه الله بعمله فى الدنيا كما دلت عليه الايات وصحت به الاثار ومنهم من لا يشيبه فى الدنيا كما دلت عليه ايات اخر . فمنهم من هو فى عيش رغد ومنهم من هو فى بؤس وضيق مع طلبه للدنيا طلبا حثيثا . فقوله تعالى عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد مخصص لعموم قوله تعالى " نوف إليهم أعمالهم فيها " وعموم قوله : " من كان يريد حرث الدنيا نواته منها " .  
ومخصص لعموم قوله تعالى :

( مثل الذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح (٠٠٠٠) )

وقوله : ( والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة (٠٠٠٠) الآية .  
واما على ان هاتين الايتين فى الآخرة فلا اشكال فيهما .

ويدل لهذا التخصيص قوله تعالى فى بعض الكفار: " ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين " ( الحج/١١) .

نقل الرازى عن القفال فى تفسير قوله تعالى : ( عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ) قال: يدل على انه لا يحصل الفوز بالدنيا لكل أحد بل كثير من الكفار والضالين يعرضون عن الدين فى طلب الدنيا ثم يبقيون محرومين من الدنيا ومن الدين ،

وهذا ايضا فيه زجر عظيم لهؤلاء الكفار الضالين الذين يتركون الدين لطلب الدنيا فانه ربما فاتتهم الدنيا فهم الاخسرون اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ويحسبون انهم يحسنون صنعا " اهـ .

وعلى ذلك فان الايات التى تدل على بطلان عمل الكافر فى الدنيا والآخرة ، انما هو فى حق بعضهم وليس كلهم اما بطلانها فى الآخرة فهو فى حق الجميع كما قال تعالى : " وقد مننا الى ما عملوا من عمل فجعلنا هباء منثورا " ( الفرقان/٢٣) .

وهناك وجه آخر هو ان مطلق الانتفاع الدنيوي لا ينافى بطلان اعمالهم  
شرعا في الدنيا لان منافع الدنيا لاتساوى شيئا عند الله " وما الحيااة  
الدنيا الا متاع الغرور .

والمراد ببطلانها : ان اعمالهم في الدنيا لايعتد بها شرعا في عصمة  
دم ولا ميراث ولا نكاح ولا غير ذلك ولا تفتح لهم ابواب السماء ولا تصعد الى الله  
تعالى بدليل قوله تعالى : " اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح  
يرفعه " فاطر / ١٠ -

ولاتدخر لهم في الاعمال النافعة ولا تكون في كتاب الابرار في اعليين  
وكفى بذلك بطلانا (١) .

اضافة الى ان تمتع الكافر بحياته الدنيا وزينتها لا يخلو من تشويش  
وضنك وتنغيص كما قال تعالى : " ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره  
يوم القيامة اعمى . . . " فهو وان كان ظاهراً متنعماً وله من الدنيا مال  
فلاطمأنينة لقلبه ولا انشراح لصدره فهو في حيرة وقلق وهم واضطراب .

كذلك فان الله يعطيهم في الدنيا ويمد لهم استدراجا كقوله تعالى :  
" سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدى متين " . القلم / ٤٤  
وكقوله : " ولا يحسب الذين كفروا انما نملي لهم خيرا لانفسهم  
انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين " ال عمران / ١٧٨

ومما يوضح هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم :  
" لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة  
ماء " (٢) .

---

(١) اضواء البيان للشنقيط ج١٠ / ١٥٤ .  
(٢) اخرجه الترمذى رقم ٢٣٢١ وقال حديث صحيح ج٤ / ٥٦١ كتاب للزهد / ١٣ ،  
وابن ماجه / ٤١١٠ في الزهد ج٢ / ١٣٧٧ عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله  
عنه .

٣- قوله تعالى في حق الوالدين : " واخفض لهما جناح الذل من الرحمة  
وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا " ( الاسراء / ٢٤ )

وظاهر الآية العموم في جميع الوالدين مؤمنهم وكافرهم .  
وقال في حق الوالدين الكافرين " وصاحبهما في الدنيا معروفا " وهذا  
أمر ببر الوالدين الكافرين كما هو سياق الآية .  
هذا وقد وردت آيات تنهى عن الدعاء للوالدين المشركين كقوله  
تعالى: ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا  
أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ) وما كان استغفار  
ابراهيم لابيه إلا عن موعدة وعده إياها فلما تبين أنه عدو لله تبرأ منه . . . .  
( التوبة / ١١٣ ) .

وجاءت آية أخرى قد يفهم منها النهي عن بر الوالدين الكافرين  
او مصاحبتهما في الدنيا معروفا وهي قوله تعالى: " لاتجد قوما يؤمنون  
بالله يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم " .  
واليوم الآخر  
فهذه الآيات قد يتوهم انها تنافي بعضها . .

والجواب : أن قولوتعالى / ( وقل رب ارحمهما كما ربياني  
صغيرا ) لا يعارض النهي عن الاستغفار للمشركين .

وذلك من وجهين: الاول : ان قوله ( وقع رب ارحمهما . . . ) مخصص  
بغير المشرك . فلا يجوز للمسلم ان يدعو لوالديه المشركين بالرحمة للنهي  
الوارد عن الدعاء والاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى (١) . قال  
الالوسي (٢) " فهذه الرحمة التي في الدعاء قيل انها مخصوصة بالابويين  
المسلمين وقيل انها عامة منسوخة باية النهي عن الاستغفار .  
قال ابن الجوزي (٣) بعد أن نقل القول بالنسخ : ولا أرى هذا نسخا  
عند الفقهاء لانه عام دخله التخصيص " .

(١) الرازي : ١٩٣/٢٠

(٢) روح المعاني ٥٧/١٥

(٣) زاد المسير ٢٩/٥

الوجه الثانى: قال العز بن عبدالسلام رحمه الله (١):

" الاية يتعين حملها على رحمة الدنيا لوجهين :

الاول : لان الوالد الكافر لا يرحم فى الآخرة فلا يؤمر بالدعاء بالرحمة له فيها . وقوله : " وبالوالدين " يقتضى العموم . واذ حملناه على رحمة الدنيا بقى على عمومه لان الكل مرحومون فى الدنيا .

الثانى : ان المشبه لابد ان يكون اقل رتبة من المشبه به ، فلو حملناه على رحمة الآخرة او عليها وعلى رحمة الدنيا وقد شبهت بالتربية وهى اخفض رتبة من كليهما فيلزم خلاؤ القاعدة فى التشبيه " اه .  
ويقصد رحمه الله انه حتى تصح القاعدة فى التشبيه لابد ان يكون المراد " وقل رب ارحمهما فى الدنيا كما ربيانى صغيرا فيها " .

ونقل الالوسى هذا الوجه فقال (٢) " وقيل لاعامة ولانسخ لان تلك الاية - أى النهى عن الاستغفار - بعد الموت وهذه قبله . ومن رحمة الله تعالى لهما أن يهديهما للايمان بالدعاء بهما مستلزم للدعاء به ولا ضير فيه " .  
قلت : أى إن قول المسلم رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا " فى حال حياتهما لامحذور فيه لان رحمة الله بهما أن يمن عليهما بالهداية والاسلام فالرحمة عامة يحتاجها المسلم والكافر ولولا رحمة الله لهلك الناس ورحمته تعالى تسبق غضبه . نسأل الله ان يرحمنا فى الدنيا والآخرة .  
اما المحذور فهو الدعاء لهما بالمغفرة سواء كان فى الدنيا او الآخرة . لان الله تعالى لا يغفر للمشرك مادام على شركه لقوله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به . . . .) . ولقوله تعالى : " ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا . . . . " .  
لذلك فانه اذا كان الوالدان مشركين فان المطلوب هو الدعاء لهما بالرحمة اذا كانا أحياءً وأن يمن الله عليهما بالهداية .

(١) فوائد فى مشكل القرآن / ١٦٤ .

(٢) روح المعانى ج ١٥ / ٥٧ .



اما قوله تعالى : " وصاحبهما في الدنيا معروفا ... " فانه ايضا لا ينافي النهى عن موادة المشركين والكفار الواردة في قوله تعالى : " لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم (١) " .

وذلك لان المصاحبة بالمعروف اعم من الموادة لان الانسان يمكنه اسداء المعروف لمن يوده ومن لا يوده والنهى عن الاخص لا يستلزم النهى عن الاعم ، فالله تعالى حذر من الموادة المشعرة بالمحبة والموالاة بالباطن لجميع الكفار يدخل في ذلك الاباء وغيرهم .

وفعل المعروف للوالدين لا يستلزم الموادة والموالاة لان ذلك ممن افعال القلوب والمعروف من افعال الجوارح (١) .

ويدل على ذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم اذن لاسماء بنت ابى بكر الصديق ان تصل امها وهى كافرة .

لذلك فالولاء لله ودينه والمد ومينين شيء .. لاطاعة لمخلوق في مخالفته وبر القريب المشرك شيء آخر قد يكون من باب تاليه وترغيبه في الاسلام .

وقد فرق الله سبحانه في كتابه بين الولاء والموالاة . وبين المعاملة بالحسن والاصل في هذا قوله تعالى : ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان توليهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون ) .

(الممتحنة / ٨-٩) .

قال ابن جرير (٢) ان اولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك: لا ينهاكم عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع اصناف الملل والاديان ان تبروهم وتصلوهم وتقسطوا اليهم لان الله عز وجل عمم

(١) اضواء البيان للشنقيطى ج١/٢٣٤ (٢) سيأتي تخريجه قريبا

(٣) تفسير الطبرى ٦٦/٢٨ .

بقوله " الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم " جميع من كان ذلك صفته فلم يخصص به بعضا دون بعض ولا معنى لقول من قال ذلك منسوخ لان بر المؤمن احدا من اهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب او ممن لا قرابة بينهما ولا نسب غير محرم ولا منهى عنه اذا لم يكن فى ذلك دلالة لهداؤ لاهل الحرب على عورة اهل الاسلام او تقوية لهم بكراع او سلاح ويبين ذلك الخبر المروى عن ابن الزبير فى قصة اسماء مع أمها " .

قلت : روى البخارى ومسلم (١) عن أسماء رضى الله عنها قالت: قدمت عليّ أمي وهي مشركة فى عهد (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: ان أمي قدمت على وهي راغبة أفأصل أمي؟ قال نعم صلى أمك .

قال ابن حجر (٣) العسقلانى قال الخطابى : " فيه - اى الحديث - ان الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة . ويستنبط منه وجوب نفقة الاب الكافر والام الكافرة وإن كان الولد مسلما " اهـ .

وقال ابن حجر (٤) : البر والصلة والاحسان لا يستلزم التحاب والتواد المنهى منه فى قوله تعالى :

" لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله " ( المجادلة : ٢٢ )

فانها عامة فى حق من قاتل ومن لم يقاتل .

---

(١) صحيح البخارى كتاب الهبة باب الهدية للمشركين ج ١٣/١٤٢ واللفظ له وفى الادب باب صلة الوالد المشرك ج ٧٧/٧٧ بلفظ : " فى عهد قريش ومدتهم " ، وصحيح مسلم كتاب الزكاة / باب الصدقة على الاقربين ولو كانوا مشركين ولفظه : " فى عهد قريش " .

(٢) المراد بالعهد هنا مدة صلح الحديبية حيث عاهدهم الرسول عن الهدنة ووضع الحرب . شرح النووى ج ٧٩/٨٩ ، جامع الاصول ج ١/٤٠٦ ويدل عليه الرواية الاخرى : " فى عهد قريش ومدتهم اذا عاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم " .

(٣) فتح البارى ج ٥/٢٣٤ .

(٤) فتح البارى ج ٥/٢٣٣ .

وقال ابن القيم رحمه الله (١) : " وليس من الاحسان ولا من المعروف ترك أبيه وأمه فى غاية الضرورة والفاقة وهو فى غاية الغنى وقد ذم الله قاطعى الرحم وعظم قطيعتها ووجب حقها وان كانت كافرة لقوله تعالى :  
" واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام " - النساء / ١ -  
وفى الحديث : " لا يدخل الجنة قاطع رحم " (٢) .

وصلة الرحم واجبة وان كانت لكافر فله دينه وللواصل دينه وقياس النفقة على الميراث قياس فاسد فان الميراث مبناه على النصرة والموالة بخلاف النفقة فإنها صلة ومواساة من حقوق القرابة " اهـ . يعنى ان صلة الرحم وبرها لا تستلزم الموالة والنصرة والموادة .

قلت: والذى يتلخص من مفهوم الايات واقوال العلماء ان صلة الوالدين المشركين والاقارب المشركين عموما مشروعة لان البر الاحسان لا يستلزم الموادة والموالة المنهي عنها . كما أن صلة الرحم الكافرة بالمعروف قد تكون سببا فى هدايتها ودخولها الاسلام وهذا هو المطلوب .

ولابد أن نفرق بين الرحم المحاربة والمعادية فهذه التى لاتجوز صلتها حتى لا يتقوى بذلك العدو وبين الرحم غير المحاربة كما اذا كان هناك هدنة او ذمة كما فى حديث اسماء السابق وكذلك من ليست من اهل الحرب كالنساء والضعفة فهذه تشرع صلتها وبرها على كل حال . والله اعلم

...

---

(١) أحكام أهل الذمة ج٢ / ٤١٧ ، وانظر : الولاء والبراء د . محمد القحطاني

(٢) صحيح البخارى كتاب الادب / باب ١١ اثم القاطع ج٧ / ٧٢ عن جبير بن مطعم رضى الله عنه ومسلم فى كتاب البر والصلة / صلة الرحم وتحريم قطيعتها (شرح النووى ١٦ / ١١٣) .

٤ - قوله تعالى :

" ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون "

( المؤمنون / ٧٦ ) .

وقوله تعالى : " ولقد أرسلنا الى امم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ، فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيين لهم الشيطان ما كانوا يعملون " ( الانعام / ٤٣ ) .

هذه الايات جاءت فى معرض ذم الكفار والمشركين الذين أعرضوا عن هدى الانبياء وكذبوا وركنوا للحياة الدنيا يبين الله كيف انهم عند حلول المصائب بهم والشدائد تقسوا قلوبهم ويزين لهم الشيطان ضلالتهم فيصرون عليها ولا يرجعون الى الله ولا يتوبون اليه مع وجود مقتضيات ذلك وانتفاء الموانع ،

وقد جاءت آيات أخرى فيها التصريح بأن الكفار عند حلول الشدائد والكروب يتضرعون الى الله ،

وهو قوله تعالى : " واذا مسَّ الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعاً أو قاعدا فلما كشفنا عنه ضره مرَّ كأن لم يدعنا الى ضره كذلك زيِّن للمسرفين ما كانوا يعملون " ( يونس / ١٢ ) .

وقوله تعالى : " قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون " ( الأنعام / ٦٢ ) .

والجواب :

ان الكفار والمشركين الذين لم يذوقوا حلاوة الايمان متفاوتون فى تعاملهم مع المصائب والشدائد والكروب التى تحل بهم ، فذكر القران منهم قسمين كليهما مذموم ، القسم الاول : وهم الأمم الذين اذا حلت بهم الشدائد والكروب تقسوا قلوبهم ويزين لهم الشيطان ضلالهم ويتمادوا فى غيهم وهم الذين قال الله فيهم :



وبعد ذلك ينجيهم الله ثم يقدمون على الشرك وينسون فضل الله وعنايته . قال الرازي (١) ( وبالجملة فعادة اكثر الخلق ذلك اذا شاهدوا الامر الهائل اخلصوا واذا انتقلوا الى الامن والرفاهية اشركوا به " .

وهناك وجه آخر وهو ان التضرع والدعاء والاخلاص والانابة من الكافر هو عندما يجد نفسه قد اشرف على الهلاك وراى الموت بعينه فصالك يعلم بحكم فطرته التى فطر عليها انه ليس هناك من ينجي الا الله .

وهو قوله تعالى : " قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونهم تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين " .

فقولهم لئن انجانا من هذه يدل على انهم شعروا بقرب النهاية والهلاك المحقق فلذلك وعدوا بالتوبة والشكر فى حال النجاة .

وقد وصف الله لهم مشهدا اخر يتضرعون فيه عند رؤية اسباب الموت والهلاك وهو قوله تعالى :

" حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتهم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ، فلما انجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق ..... " الاية ( يونس / ٢٢ ) .

أما الآيات الاخرى والتى فيها أنهم عندما ياتيهم العذاب لا يستكينون ولا يتضرعون فتحمل على حال ما اذا لم يكن العذاب يحيث يؤدى للهلاك والاستئصال لقوله تعالى : " ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون " فالعذاب هنا محمول على المصائب والشدائد التى تحل بهم ولا يرونها مهلكة والدليل عليه انهم بعد هذا العذاب لم يتوبوا ولم يتضرعوا

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ج٤ / ٣٧٠ ، تفسير الرازي ٢٢ / ١٣ .

(٢) راجع ابن كثير ٤٠٣ / ٣ ، المؤمنون / ٧٦ ، روح المعانى ٥٠٤ / ٢٥ ، ٥٥ / ١٨ ، الرازي ٢٣٥ / ١٢ ، القرطبي ٤٢٥ / ٦ ، فى ظلال القرآن ج٢ / ١٠٨٨ الانعام / ٤٣ .

وقد ذكر القرآن نموذجا من الذين أُصيبوا بذلك فلم يستكينوا ولم يتضرعوا وهم فرعون وملئه : " ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ٠٠٠٠ الى قوله فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم آيات مفصلات فباستكبروا وكانوا قوما مجرمين " - الأعراف / ١٣٣ -  
فهم مع هذه الايات التى يشيب لها الصغير استكبروا وتجبروا بـدل أن يستكينوا ويرجعوا عن عنادهم وكفرهم ولم ترد الشدة إليهم وعيهم ولم تفتح بصيرتهم ولم تليّن قلوبهم وكان الشيطان من ورائهم يزين لهم ما هم فيهِ من الضلال والفساد

" ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون " .

وهم وإن طلبوا من موسى عليه السلام - أن يدعو لهم برفع الضر إلا أنهم لم يثوبوا الى الله ولم يتضرعوا اليه فحالهم كحال قريش لما أصابهم الضر والجوع فطلبوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يدعو لهم برفع ذلك وهم مصرون على كفرهم وضلالتهم .

...

٥ - قوله تعالى : " قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون  
ما أعبد ....." سورة الكافرون ١-٢ .

هذه الآية تدل بظاهرها ان الكفار المخاطبين بها لا يعبدون الله ابدا  
حيث قال " ولا أنتم عابدون ما أعبد " .  
وقد جاءت آيات أخرى تدل على أن من الكفار من يُسلم ويَعبد الله  
كما قال تعالى :

" ومن هؤلاء من يُؤمن به " ( العنكبوت /٤٧ ) .

اي : العرب من قريش وغيرهم الذين اسلموا بعد كتابي سفيان  
وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهم (١) .

والجواب : ان قوله تعالى : " قل يا أيها الكافرون " خطاب لجنس  
الكفار ماداموا على كفرهم فاذا اسلموا لم يتناولهم ذلك لانهم حينئذ  
مؤمنون لا كافرون (٢) .

فقوله : " ولا أنتم عابدون ما أعبد " لا يراد به أنهم لن يعبدوا الله  
لأن المقصود هو الرد على كفار قريش الذين قالوا : يا محمد هلم فاتبع ديننا  
ونتبع دينك تعبد آلِهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم معاذ الله أن أشرك به غيره فأنزل الله تعالى : " قل يا أيها  
الكافرون لا أعبد ما تعبدون " الى آخر السورة (٣) فجاءت هذه السورة لإعلان  
البراءة من دينهم الباطل بالكلية وأنه لا مجال للمساومة على عقيدة التوحيد  
فأكد لهم الأمر وحسم أطماعهم فيه .

---

(١) ابن كثير ٢٦٤/٣ ، العنكبوت /٤٧ زاد المسير ٢٧٧/٦ البيضاوي /٥٣١

روح المعاني ٣/٢١ .

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ج ١٠/٣٤٩

(٣) اسباب النزول للواقدي /٥٠٥ لباب السقول للسيوطي /٢٢٦ زاد المسير،



قال الرازي (١) عند تفسير هذه الآية : قوله هنا : " قل يا أيها الكافرون " خطاب مع الكل او مع البعض ؟ الجواب : لا يجوز ان يكون قوله : " لا أعبد ماتعبدون " خطابا مع الكل لأن في الكفار من يعبد الله كاليهود والنصارى فلا يجوز ان يقول لهم : لا أعبد ماتعبدون " .

ولايجوز ايضا ان يكون قوله : " ولا انتم عابدون ما اعبد " خطابا مع الكل ، لان في الكفار من آمن وصار بحيث يعبد الله فاذنوجب ان يقال : ان قوله : " قل يا ايها الكافرون " خطاب مشافهة مع اقوام مخصوصين وهم الذين قالوا : " نعبد الهك سنة وتعبد آلهتنا سنة " .

وهناكوجه اخر (٢) : هو ان الآية من العام المخصوص وعليه فهي في خصوص الاشقياء المشار اليهم بقوله تعالى : " ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم " . ( يونس : ٩٦-٩٧ ) .

وكما قال تعالى : " ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ماكانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون " - الأنعام / ١١١ -

ولذلك فان كثيرا من الكفار بسبب سوء استعدادهم وخبث نفوسهم وانغلاق عقولهم وماهم فيه من العتو والتكبر وحب الدنيا بسبب ذلك فان صدورهم ضيقة حرجة لاتنشرح لدعوة الحق ( فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ) والله لا يهدي القوم الفاسقين ( فهو لاء لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية فهو لاء هم الاشقياء الذين حقت عليهم كلمة الله وختم على قلوبهم وعلى سمعهم )

---

(١) تفسير الرازي ج٣٢/١٤٤

(٢) تفسير الطبري ٣٠/٣٣١ طبعة الحلبي .

اضواء البيان ١٠/٣٤٩ .

وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة . فهو<sup>٤٦</sup> الاشقياء الذين يموتون على الكفر والضلال<sup>٤٧</sup> نزل في حقهم قوله تعالى : " ولا أنتم عابدون ما أعبـد " حيث علم الله انهم لن يؤمنوا ومن هو<sup>٤٨</sup> ابولهب عم الرسول صلى الله عليه وسلم الذى نزل في حقه سورة تبين مخازيه وخسارته وانه سيصلى نـارا ذات لهب وفعلا فقد مات كافرا كما اخبر الله ومثله كثير من الذين قتلوا في بدر وغيرها من عتاة قريش .  
فهو<sup>٤٩</sup> الذين عناهم الله تعالى بقوله تعالى : " ولا انتم عابدون ما أعبـد " على هذا الوجه .

٦ - قوله تعالى فرحق كفار مكة :

" وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (٦) ومالهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لايعلمون " ( الانفال - ٣٣-٣٤ ) .

الاية الاولى تثبت ان الله لايعذبهم ورسول الله بين أظهرهم حيث ان الله تعالى لا يعذب أمة ونبيها بين أظهرها (٦)

وكذلك لايعذبهم ماداموا يستغفرون (٦) اي يسلمون ويتوبون فيستغفرون . وهذا قد يتوهم مخالفته للآية التي بعدها : " وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام....." الآية .

لان معناها : أنهم أهل لأن يعذبهم فأى شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم فلاحظ لهم في ذلك وهم معذبون لامحالة .

وكيف لايعذبون " وهم يصدون عن المسجد الحرام " كما فعلوا قبل الهجرة باضطهاد المسلمين ونهيهم عن الصلاة في المسجد واذا اذاعهم عندما يصلون فيه وبعد الهجرة بالصد عنه وكما فعلوا لما صدوا المسلمين عام الحديبية .

والجواب : ان الايتين لاتنافى بينهما (٦) لان العذاب المنفي في قوله تعالى : " وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم " غير العذاب المثبت في قوله تعالى " وما لهم الا يعذبهم الله ..... " .

فالعذاب المنفي هو عذاب الاستئصال والهلاك التام وهذا هو الظاهر من الايات والسياق حيث ان الاية جاءت جواب لقولهم : " واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم " والقائل هو ابو جهل بن هشام فنزل قول الله تعالى " وما كان الله ليعذبهم .. " اي هذا العقاب الذي طلبوه كما عذب الامم السابقة روى ذلك البخارى ومسلم (١) عن انس بن مالك رضي الله عنه .

(١) البخارى ج٥/١٥٩ ، كتاب التفسير/ الانفال . ومسلم في صفات المنافقين

باب قوله تعالى : ان الانسان ليطغى . شرح النووى ج١٧/١٣٩ .

قال ابن كثير (١) وقال على بن ابي طلحة عن ابن عباس : " وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم " يقول ما كان الله ليعذب قوما وانبياءهم بين اظهرهم حتى يخرجهم ثم قال: وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون " يقول وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الايمان وهو الاستغفار، ويستغفرون يعني يصلون يعني بهذا اهل مكة . وروى عن مجاهد وعكرمة وعطية العوفى وسعيد بن جبير والسدى نحو ذلك " اهد . فلم يقع الاستئصال لما قد علم من ايمان بعضهم واسلام بعض ذراريهم (٢) .

ومما يدل ان المراد بالعذاب المنفى عذاب الاستئصال ان الله قد عذب بعض الامم العذاب الذى هو دون الاستئصال وانبياءها بين اظهرها، من ذلك قوم فرعون الذين ارسل لهم موسى عليه السلام فكذبوا وعصوا فارسل الله عليهم انواعاً من العذاب : (الطوفان والجراد والقمل والضفادع والسدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) . ( الاعراف/ ٣٣ ) وهذه سنة الله في كل من أعرض عن دعوة الانبياء وطفى واستكبر يذيقه الله من العذاب لعله يستكين او يرجع كما قال تعالى :

" وما أرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون " ( الاعراف/ ٩٤ ) .

ولذلك فان من الواضح ان المراد بالعذاب المنفى هو عذاب الاستئصال اما العذاب المثبت في قوله : " وما لهم الا يعذبهم الله . . . " فهو عذاب الدنيا بالقتل بالسيف كما قال تعالى " قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم " والاخذ بالبأساء والضراء كما هي سنة الله في الامم المكذبة حتى ترجع وتتضرع لله بالتوبة (٣) .

وهذا نوح عليه السلام يقول لقومه : " فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال الوبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا . . . " ( نوح / ١٠-١٢ ) .

(١) ج ٤٧٩/٢ الانفال/ ٣٣ ، زاد المسير ٣/ ٣٥٠ .

(٢) زاد المسير ٣/ ٣٥٢ ، روح المعاني للقرطبي ٧/ ٣٩٩ .

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٤١/١٥

- وتفسير الرازي ١٥/ ١٦٣ ، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة / ٧٣ .

فهذا نوح عليه السلام يدعوهم للإستغفار أى التوبة والرجوع الى الله  
بترك الكفر والضلال والتضرع الى الله حتى يرفع البساء والضراء عنكم  
ولكنهم طفوا وابوا فاستاصلهم الله كما أخبر عنهم .

أما هذه الامة فان الله قد رفع عنها عذاب الاستئصال لما علمه الله  
فيها من الخير ولانها اخر الامم واشرفها وأعظم مسئولية .  
فما زال فى هذه الامة من يتوب الى الله ويتضرع وهو أمان الاستغفار  
الباقي الى يوم القيامة .

أما قريشا فانهم لما لم يتوبوا ولم يتضرعوا فإن الله أصابهم  
بالبساء والضراء فما استكانوا .

وأصابهم العذاب والقتل والأسر فى بدر كما قال " ولنذيقنهم من العذاب  
الأدنى دون العذاب الاكبر لعلمهم يرجعون " ( السجدة / ٢١ ) .  
فهذا العذاب الادنى هم اهل له وليس هناك شيء يدفعه او يمنع  
" فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون " .

وهناك وجه اخر :

وهو ان المقصود بقوله : " وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم " .  
عذاب القتل بالسيف وبالبيساء والضراء ولكن لما لم يتوفر الامان  
وهو وجود الرسول فيهم واستغفارهم الذى هو توبتهم وتضرعهم لما لم يتوفر  
احدهما لاجرم استحقوا العذاب بالقتل والاسر كما حصل يوم بدر وما اصابهم من  
الضر والجوع .

وهذا العذاب هو المثبت فى قوله تعالى : " وما لهم الا يعذبهم الله " .  
وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبرى (١) .

قلت : وهذا القول وان كان يرتفع به التنافى بين الايتين الا أن الذى  
يتجه أنه لامانع من عذاب القوم عذابا ليس فيه استئصال كعقاب لهم والنبي  
بين اظهرهم كما حصل مع قوم موسى لما عرضوا واستكبروا أرسل الله عليهم

---

(١) تفسير ابن جرير ج ٢٣٨/٩ طبعة الحلبي ، تفسير ابن كثير ج ٢ / ٤٨٠ ،  
زاد المسير ٣ / ٣٥١ .

انواعا من العذاب كالجراد والضفادع والقمل والدم حتى انهم اضطروا الي  
سؤال موسى ان يدعوا لهم برفع الرجز عنهم " ولما وقع عليهم الرجز قالوا  
يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما  
كشفتنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه إذا هم ينجثون " الأعراف / ١٣٥ .

وسنة الله انما هي مطرنة. في جميع الامم (١) وقد اختص الله هـ  
الامة بان رفع عنها عذاب الاستئصال لما علم الله فيها من الخير  
ودوام وجود من يتوب إليه تعالى ويتضرع : " وما كان الله مُعذبهم وهم  
يستغفرون " .

.....

---

(١) وهناك أوجه أخرى أعرضت عن ذكرها لظهور ضعفها وكذلك من أجل  
بيان عدم التنافي من أقصر الطرق .

٧ - قوله تعالى مخاطبا مشركي مكة وغيرهم ممن انكر ان يكون رسل الله  
بشرا :

" وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم  
لاتعلمون . وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين " .  
( الانبياء / ٧-٨ ) .

هذه الايات جاء للرد على المشركين الذين استبعدوا ان يكون رسل الله  
بشرا فى قولهم : " هل هذا الا بشر مثلكم " ( الانبياء / ٣ ) .  
وقولهم فى سورة اخرى " ابعث الله بشرا رسولا ؟ " ( الاسراء / ٩٤ - )  
يحاكون فى ذلك قول الذين كفروا من قبل حين قالوا لانبيائهم  
" قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء " ( يس / ١٥ )

وقولهم : " أبشر يهودونا " . ( التغابن / ٦ ) الى غير ذلك من  
الايات فارشدهم الله الى سؤال اهل الكتاب حيث قال : ( فاسألوا اهل الذكر  
ان كنتم لاتعلمون ) اى اسالوا اهل العلم من الامم كاليهود والنصارى وسائر  
الطوائف هل كان الرسل الذين اتوا بشرا او ملائكة .  
فان انتم لاتعلمون ما ذكر فاسألوا اهل الكتاب الواقفين على أحوال الرسل  
السالفة عليهم الصلاة والسلام - لتزول شبهتكم ،

لكن هذه الآية قد يتوهم معارضتها لآية أخرى وهي قوله تعالى في  
حق الكفار : " وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بيِّن  
يديه " . ( سبا / ٣١ ) .

والمراد بالذى بين يديه وجهان :

الاول : انه امر البعث والنشور حسب ما يقتضيه السياق لانه قال  
قبلها : " ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ، قل لكم ميعاد يوم  
لا تستأخرون عنه ساعة ولاتستقدمون " .  
قال ابن كثير (١) عند تفسير الآية : يخبر تعالى عن تمادى الكفار

(١) الرازى ٢١٥/١٢ ، القرطبي ٤١٦/٦ .

في طفولتهم وعنادهم واصرارهم على عدم الايمان بالقران الكريم وبما اخبر به  
من أمر المعاد " اه .

وقال البيضاوى (١) : " قيل الذى بين يديه : يوم القيامة " .

كما أن التعبير بالذى بين يديه قد يراد به ماضى وقد يراد به  
مآسياتي (٢) :

وعلى هذا الوجه فليس هناك إشكال لانه ليس فيه ان المشركين يكفرون  
بالتوراة والانجيل .

والوجه الاخر: ان المراد بالذى بين يديه هو التوراة والانجيل كما  
قال الحسن وقتادة والسدى وابن جريج وغيرهم (٣) .

وعلى هذا الوجه قد يقال: كيف امر المشركون بسؤال أهل الكتاب  
بشان طبيعة الرسل مع انهم قالوا: " لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين  
يديه " يعنى التوراة والانجيل (٤) .

والجواب: ان ارشاد المشركين الى سؤال أهل الكتاب عن طبيعة  
الرسل لا ينافى كون المشركين يكفرون بالكتب السابقة .  
وذلك من أوجه :

أولا : ان المشركين كانوا يعتقدون أن أهل الكتاب أهل علم وذكر  
وكانوا يثقون بهم ولذلك كانوا يشايعون بعضهم على عداوة النبي صلى الله  
عليه وسلم - وكان اهل الكتاب يؤمنون بالرسل فى الجملة وانهم بشر  
وليسوا ملائكة فنقل الجم الغفير من أهل الكتاب والذى يصل الى حد التواتر  
فى هذا الامر يفيد العلم لم يؤمن بكتابهم ولمن لا يؤمنون به (٥) وخاصة

(١) تفسير البيضاوى ص ٥٧٠ والزمخشري ٢٩٠/٣ ، ابوالسعود ١٣٤/٧ .

(٢) روح المعانى ١٤٤/١٧ .

(٣) تفسير الطبرى ج ٩٧/٢٢ ط الحلبي ، تفسير الماوردى ٣٨/٣ ، روح المعانى

١٤٤/١٧ الدر المنثور ج ٧٠٣/٦ زاد المسير ٤٥٧/٦ .

(٤) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القران ص ٣٧٣ الشيخ زكريا الأنصارى .

(٥) فتح الرحمن : ٣٧٣ ، روح المعانى ١٤٤/١٧ ،



المشركين لان اهل الكتاب كانوا عندهم محل الثقة اضافة الى تناصرهم وتعاونهم في معاداة الاسلام واهله . قال الزمخشري (١) (وإنما أحالهم على أولئك لانهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ( ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا ) فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ) ١٠٠ اه .

وكفر المشركين بالتوراة والانجيل انما كان لاجل كفرهم بالقران ومن جاء به وذلك لان المشركين علموا ان التوراة والانجيل فيهما صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به وهم قد علموا ذلك من اهل الكتاب (٢) ، فلذلك قالوا : " لن نؤمن بهذا القران ولا بالذى بين يديه " لان الايمان بالتوراة والانجيل ملزم لهم بالايمان بالقران حيث انهما يدلان على صدقه وبعثته وانه النبي الموعود . فلو امنوا بهما للزمهم الايمان بالقران وهذا ما لا يريدونه .

ثانيا : ان كفر المشركين بالتوراة والانجيل وما جاء فيهما ليس عن دليل أو برهان وانما لتأكيد كفرهم بالقران ومن جاء به ولذلك فانهم يعلمون في قرارة أنفسهم أن القرآن حق وأنه مصدق لما بين يديه من التوراة والانجيل ولذلك قال الله تعالى فيهم : " فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون " ( الانعام / ٣٣ ) .

نعم انه الجحود والعناد والمكابرة كما قال الله تعالى : " وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا " ( النمل / ١٤ ) .

ولذلك فان قولهم : " لن نؤمن بهذا القران ولا بالذى بين يديه " ليس عن اعتقاد وبرهان وانما هو جحود ومكابرة لان القران و الكتاب السابقة تضمنت ما كفروا به من البعث وقيام الساعة وهم لا يريدون ذلك حفاظا على مكتسباتهم من المال والجاه والسلطان .

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٤٥٧/٦ .

ولذلك نجدهم قد اضطربوا غاية الاضطراب فى موقفهم امام الرسول ودعوته فمرة يقولون انه كاهن ومرة هو شاعر ومرة هو ساحر .

ومرة يعلمه بشر ، ومرة انه يفتقر الى الخوارق ومرة انما هو بشر ورسل الله انما هم ملائكة .

كما اخبر الله عنهم : " بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر " ( الانبياء / ٥ ) .

" وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون " ( الحاقة / ٤١ ) .

" وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون " ( الحجر / ٨ ) .

" ان هذا الاسحر بيؤثر ان هذا الا قول البشر " ( المدثر / ٢٥ ) .

" وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم "

( الزخرف / ٣١ ) .

" وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا " ( الاسراء / ٩٤ ) .

الذي غير ذلك مما يدل على حيرتهم واضطرابهم وتخبطهم فى القاء الشبهات والشكوك مما يدل على انهم مكابرون جاحدون تصدر عنهم هذه الافتراءات ظلما وعلوا وحسدا لصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام .

ولذلك فان عدم ايمانهم بالتوراة والانجيل انما هو كذلك ظلمنا وعلوا وحسدا لصاحب الرسالة لان فيهما ما يفيد صدق نبوته والبشارة به وان رسل الله انما هم بشر وليسوا ملائكة ولذلك ارشدهم الله الى سؤال اهل الكتاب لانه تعالى يعلم انهم يؤمنون بكتبهم فى قرارة انفسهم ولثقة المشركين باهل الكتاب وموالاتهم لهم . والله اعلم .

٨ - قوله تعالى : " فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات اللـه  
يجحدون " ( الأنعام / ٣٣ ) .

هذا الآية يدل ظاهرها ان الكفار في عهد الرسول لا يكذبونه بينما  
جاءت آيات اخرى تثبت تكذيبهم له كقوله تعالى :

" فإن كذبوك فقد كُذِّبَ رسل من قبلك " ( ال عمران / ١٨٤ ) .  
"وقال الكافرون هذا ساحر كذاب " ( ص / ٤ )

" وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل " ( الانعام / ٦٦ )  
الغير ذلك من الآيات التي تدل على تكذيب الكفار برسالة الرسول واطهارهم  
عدم التصديق له .

والجواب من اوجه :

الاول (١) : ان القوم ما كانوا يكذبونه بقلوبهم وسراخريهم  
لعلمهم انه صادق ولوجود المعجزة القاطعة والتي تشهد بصدقه وهي  
القران الذي عجزوا عن الاتيان بمثل اقصر سورة منه .

وهذا معنى قوله تعالى : " فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين  
بآيات الله يجحدون " اي إن حقيقة حالهم هو مجرد الجحود والمكابرة  
والعناد فلذلك اظهروا تكذيبك وحاربوك وصدوا عن دعوتك لماربهم وللمحافظة  
على مكتسباتهم فقوله تعالى : " وقال الكافرون هذا ساحر كذاب " .  
وقوله : " وكذب به قومك وهو الحق " .

انما اريد ما اظهره من التكذيب بالقول والفعل وان كانوا في  
قرارة انفسهم يعلمون أنه نبي صادق .

---

(١) الرازي ٢١٥/١٢ ، القرطبي ٤١٦/٦ ، روح المعاني ١٧٥/٧  
ابن كثير ٢٠٩/٢ ، الأنعام / ٣٣ آمال المرتضى ٢٦٥/٢



فانهم فى تكذيبهم لا يكذبون الرسل فى الحقيقة ولكن الظالمين بآيات الله  
يجحدون، ولكنهم بآياته تعالى يكذبون .

وإيراد الجحود فى مورد التكذيب للإيدان بان آياته سبحانه من الوضوح بحيث  
يشاهد صدقها كل أحياناً وأن من ينكرها فلنما ينكرها بطريق الجحود فكأنه تعالى  
قال : إن القوم ما كذبوك وإنما كذبونى .

ونظيره قوله تعالى : " ان الذين يبائعونك انما يبائعون الله "   
وعلى هذه فان الآية جاءت على سبيل التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم  
والتعظيم والتغليظ لتكذيبه .

الوجه الثالث : انهم لا يقولون انك كذاب لأنهم جربوك الدهر  
الطويل وملوجدوا منك كذبا البتة وسموك الامين ولكن جحدوا صحة نبوتك  
ورسالتك اما لانهم اعتقدوا ان محمدا عرض له نوع خيل ونقصان فلأجله تخيل من  
نفسه كونه رسولا من عند الله وبهذا التقدير لا ينسبونه الى الكذب (١) ولهذا  
قال تعالى: " وكذب به قومك وهو الحق " ( الانعام / ٦٦ ) ولم يقل  
كذبك قومك .

أو لأنهم قالوا : ما كذب فى سائر الامور بل هو امين فى كلها الا فى  
هذا الامر .

ويتأيد ذلك بما اخرج الترمذى (٢) والحاكم (٣) وصحاه عن على رضى  
الله عنه قال : قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم قد نعلم يا محمد

---

(١) الرازى ٢١٥/١٢ ، روح المعانى ١٣٥/٧ ، القرطبى ٤١٦/٦ امال المرتضى ٢٦٧/٢ .

(٢) الترمذى فى التفسير / باب من سورة الانعام جد/ ٢٦١ رقم ٣٦٠٤ و صحح  
ارساله .

(٣) الحاكم فى التفسير ٣١٥/٢ ( وقال صحيح على شرط الشيخين ) واللفظ له  
قال الذهبى : ناجية بن كعب الداودى عن على ليس من رجال الشيخين .  
قلت : وهو ثقة روى له ابوداود والترمذى والنسائى ( تقريب التهذيب ٥٥٧ )

تحقيق : الشيخ محمد عوامه ط : اولى

انك تصل الرحم وتصدق الحديث ولانكذبك ولكن نكذب الذى جئت به ، فأنزل  
الله عز وجل الآية •

الوجه الرابع : ان معنى قوله تعالى : " فانهم لا يكذبونك " اى لا يفعلون  
ذلك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ماجئت به ببرهان وانما يقتضون على الدعوى  
الباطلة وهذا فى الاستعمال معروف ، لان القائل يقول : " فلان لا يستطيع  
أن يكذبنى ولا يدفع قولى وانما يريد انه لا يتمكن من اقامة دليل على كذبه  
وحجته فى دفع قوله وان كان يتمكن من التكذيب بلسانه وقلبه فيصير مايقع  
من التكذيب من غير حجة ولا برهان غير معتد به (١) •

وعلى جميع هذه الواجه ينتفى توهم الاختلاف بين الايات ونرى كيف أن التوهم  
انما يأتى عند الجهل بمعانى الايات واسباب نزولها وعدم تدبر سياقها (٢) •

•••

---

(١) امال المرتضى ج٢/٢٦٥ •

(٢) سبق فى فصل القراءات الحديث عن قوله " فانهم لا يكذبونك " من جهة  
القراءات فليراجع

٩ - قوله تعالى :

" ان الانسان لربه لكنود . وانه على ذلك لشهيد " (العاديات / ٦٥ )  
فى هذه الاية اثبات من الكافر يشهد بانه كفور وجود لنعم ربه وهذا قد  
يتوهم منه منافاة قوله تعالى في حق الكفار : ( وهم يحسبون أنهم يحسنون  
منعا ) - الكهف / ١٠٤ - ، وقوله : ( ويحسبون أنهم مهتدون ) - الاعراف / ٣٠ -  
والجواب : ان المراد بالانسان فى قوله تعالى : " ان الانسان لربه  
لكنود " هو جنس الانسان .

وكنود : اى كفور وجود من كند النعمة اذا كفرها ولم يشكرها ، والحكم  
على الانسان بذلك باعتبار بعض الافراد وهم الكفار ،  
وقيل المراد به كل الناس على معنى ان طبع الانسان يحمله على ذلك  
الا اذا عصمه الله تعالى بلطفه وتوفيقه من ذلك ، وفى هذا مدح للغزاة  
لسعيهم على خلاف طبيعتهم (١)

وقوله : " وانه على ذلك لشهيد "

اى الانسان (٢) على كفرانه وجوده لشهيد .

لانه قال بعدها : " وانه لحب الخير لشديد " وكذلك لما يقتضيه  
اتساق الضمائر وعدم تفكيكها لان الضمير السابق واللاحق يعود للانسان كما هو  
ظاهر .

وإثبات ان الانسان الكفور لشهيد على كفرانه وجوده لا يتنافى مع ما ثبت  
فى الايات الاخرى من ان الانسان الكافر يظن . أنه على صواب وأنه يحسن صنعا  
وانه مهتد .

لانه ليس المراد بالاية اثبات شهادة الكافر على نفسه بالكفر  
بلسان المقال اذ انه من المعلوم ان الكفر انما هو مجرد وجود واستكبار  
كما قال تعالى : " وجدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا " .

(١) روح المعانى ٢٢٩/٣ ، تفسير ابن كثير ٨٦/٤ ، العاديات

تفسير الماوردى ٥٠١/٤

(٢) كما قال ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب القرظى . انظر المراجع السابقة

وفتح القدير للشوكاني ٤٧٠/٥ ، الرازى ٦٧/٣٢

ولذلك فان شهادة الكافر على نفسه المثبتة فى الاية فيها وجهان  
الوجه الاول : ان شهادة الانسان بانه كنود هى شهادة حاله بظهور  
كفره وجوده ولسان الحال يغنى عن لسان المقال بل هو أفصح فشهادته على  
حاله لظهور آثار كفران النعمة فى أعماله وسلوكه كما قال تعالى : " ما كان  
للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر "  
(التوبة/١٧) .

فالانسان بجوده لنعم ربه وانكاره لجزيل فضله يتمثل كنوده ووجه  
فى مظاهر شتى تبدو منه افعالاً واولاً فتقوم عليه مقام الشاهد الذى  
يقرر هذه الحقيقة وكانه يشهد على نفسه بذلك . فمثلاً نرى قريشا تحارب  
الله ورسوله وتصد عن دينه وتكفر باياته ومع ذلك يدعون انهم سداة البيت  
واهل الله فى حرمة وانهم عمار البيت بالسقاية والرفادة وخدمة الحجيج  
وغى ذلك .

وهاهم يخرجون فى بدر بطرا وغرورا ليحاربوا العصبة المؤمنة ومع ذلك  
يقولون: " اللهم انصر اأعلى الجندين وأكرم الحزبين وخير الفئتين "  
يظنون انفسهم انهم يحسنون صنعا مع أن أعمالهم وصددهم عن دين الله شاهدة  
عليهم بالكفر والعناد والغرور والمكابرة . قال الله " شاهدين على انفسهم  
بالكفر "

وهذه سيرة أعداء الله والحق فى كل زمان ومكان يحاربون الاسلام وأهله  
ويكيدون للمؤمنين وكل من يصبو لاعلاء كلمة الله وابطال الباطل ويواولون  
اعداء الدين ويوادوهم .

ومع ذلك يدعون انهم يحسنون صنعا وانهم مهتدون وعلى طريق الحق  
والعدالة سائرون ولسعادة الشعوب عاملون ،

مع أن أعمالهم شاهدة عليهم بالكفر والضلال والفساد والإفساد .  
والوجه الآخر : ان شهادة الكافر على نفسه انما هى يوم القيامة يوم  
تُبلى السرائر وتوضع موازين القسط ويُنبأ كل انسان بما قدم وأخسر  
فهناك يظهر زيف أعمالهم وضلالهم ويبدو لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ،



فيشهد الكفار والجاحدين هنالك على انفسهم في عدة مواقف، منها  
شهادة أعضائهم عليهم عندما ينكرون ويقولون : " والله ربنا ما كنا مشركين  
( الانعام : ٢٣ ) • فهنالك يختم الله على أفواههم كما قال تعالى :  
" اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا  
يكسبون " ( يس / ٦٥ ) •

وفي موقف آخر لما يتيقنوا أنّ الله لم تخف عليه خافية وأنّ الكتاب  
لم يفادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ،  
هنالك بهتزون ويقرّون ويندمون ولات حين مندم ، قال الله تعالى حكاية  
عن الكفار في موقف القيامة : " وقالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم  
الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين " ( الانعام / ١١٠ ) •  
وقال : " كلما أُلقي فيهما فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ، قالوا  
بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم الا في ضلال  
كبير ، وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ، فاعترفوا  
بذنوبهم فسحقا لأصحاب السعير " ( الملك ٨-١١ ) •

١. - قوله تعالى :

"ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا" ( الانعام / ٩٣ )  
" ومن أظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها " ( السجدة / ٢٢ )  
" ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعى لخرابها .."  
( البقرة / ١١٤ ) .

والاستفهام في هذه الآيات بمعنى النفي فيؤول الى الخبر والمعنى:

لا أحد اظلم ممن افترى على الله .....

ولا أحد اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم أعرض عنها .....

ولا أحد اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه .....

قال أبوحيان (١) : " فتوهم بعض الناس انه اذا اخذت هذه الايات على ظواهرها سبق ذهنه الى التناقض فيها لانه قال المتأول في هذا : لا أحد اظلم ممن منع مساجد الله . وقال في اخرى : لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا وقال في اخرى : لا احد اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها . ثم نقل أبوحيان (٢) اوجه الاجابة عن هذا السؤال :

الوجه الأول: تخصيص كل واحد في هذه المواضع بمعنى صلته ، فكانه قال : لا احد من المانعين اظلم ممن منع مساجد الله ، ولا أحد من المفترين اظلم ممن افترى على الله كذبا ، وكذلك باقيها .. فاذا تخصصت بالصلاات زال عنه التناقض .

الثاني : وقال غيره التخصيص يكون بالنسبة الى السبق ، لما لم يسبق أحد الى مثله ، حكم عليهم بأنهم أظلم ممن جاء بعدهم سالكا طريقهم وهذا يعول معناه الى السبق في المانعية والافتراضية .

(١) في تفسيره البحر المحيط ج١/٣٥٧ .

(٢) المصدر السابق ج١/٣٥٧ ، وعنه نقل صاحب البرهان ج٤/٧٤ وصاحب

الاتقان ج٢/٣٠ والالوسي في تفسيره ج١/٣٦٣ ، والقرطبي ج٢/٧٦ والشنقيطي

في أضواء البيان ج١/٢٥ وغيرهم من المفسرين .

ثم قال أبو حيان (١) بعد ان نقل هذين الوجهين : " وهذا كله بعد  
عن مدلول الكلام ووضعه العربى ..... " .

ثم ذكر الوجه الثالث بان هذه الايات لاتدل على نفي التسوية فـي  
الاظلمية وقصارى ما يفهم منها اظلمية اولئك المذكورين فيها ممن عداهم .

" قال : " . في اثبات التسوية فى الاظلمية واذا ثبتت التسوية  
فى الاظلمية لم يكن احد ممن وصف بذلك يزيد على الاخر لانهم يتساوون فـي  
الاظلمية وصار المعنى لا احد اظلم ممن منع وممن افترى وممن ذكر و لا اشكال  
فى تساوى هؤلاء فى الاظلمية ولا يدل على ان احد هؤلاء اظلم من الاخر . كما  
انك اذا قلت : لا احد افقه من زيد وعمر وخالد ، لا يدل على أن أحدهم افقه  
من الاخر بل نفي أن يكون احدهم افقه منهم . . وهذه الايات كلها إنما هي  
فى الكفار فهم متساوون فى الاظلمية وان اختلفت طرق الاظلمية فهي كلها صائرة  
الى الكفر ، وهو شئ واحد ولا يمكن فيه الزيادة بالنسبة لافراد من اتصف به  
وانما تكمن الزيادة فى الظلم بالنسبة لهم وللعصاة المؤمنين بجامع ما  
اشركوا فيه من المخالفة فتقول : الكافر اظلم من المؤمن ونقول : لا أحد  
اظلم من الكافر ، ومعناه أن ظلم الكافر يزيد على ظلم غيره " اه .

قلت : وحاصل هذا الوجه أن الآيات المتضمنة اثبات الاظلمية لقسم من  
الناس فى حكم اية واحدة اى لا احد اظلم ممن اتصف بهذه الاوصاف وليس فيها  
ان اصحاب هذه الاوصاف اظلم من بعضهم حتى يتوهم التناقض .

كما ان فى قول أبي حيان " وهذه الايات كلها إنما هي فى الكفار فهم  
متساوون فى الاظلمية وان اختلفت طرق الاظلمية فهي كلها صائرة الى الكفر وهو  
شئ واحد " إنما ينبه على قوله تعالى : " ان الشرك لظلم عظيم " لقمان / ١٣

وقوله تعالى : " ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق " - الحج / ٣١ -

فلا شيء أعظم من الشرك وعنه تصدر كل الخطايا والمظالم فمنع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه والسعى في خرابها والافتراء على الله وتكذيب الرسل والاعراض عن آيات الله انما هي افرازات للشرك والكفر الذى هو راس كل خطيئة فلا جرم لم يكن هناك اظلم من المشرك والكافر . وانما ذكر الله بعض صفات الكفار والمشركين كما قال : " ومن اظلم ممن منع مساجد الله ونحوها ولم يرد حصر الاظلمية فى صفة معينة انما اراد حصر هذه الصفة فى هؤلاء المشركين الذين لا احد اظلم منهم ، والذين تصدر عنهم مثل هذه المساوىء والمخازى .

هذا ومع وجهة هذا المسلك الا ان صاحب البرهان الامام الزركشى سلك طريق التخصيص ان الايات مخصصة لبعضها\* حيث قال (١) : " وقول الشيخ : ان المعنى " لا احد اظلم ممن منع ومن ذكر ... " صحيح ولكن لم يستفد ذلك الا من جهة التخصيص ، لأن الافراد المنفي عنها الاظلمية فى آية اثبتت لبعضها الاظلمية فى آية اخرى وهكذا بالنسبة الى بقية الايات الواردة فيها ذلك .

قلت : ومن المعلوم ان التخصيص هو قصر العام على بعض افراده (٢) . فلما قال : " ومن اظلم ممن افترى على الله " فهذه من صيغ العموم ففى ذلك نفى الاظلمية عن كل من لم يفترى على الله .

لكنه لما قال فى آية اخرى : " ومن اظلم ممن منع مساجد الله " .. وكان المعنى : " لا احد اظلم ممن منع مساجد الله " وهو نفى للاظلمية

x

(١) البرهان ج٢/٧٦ .

(٢) راجع مبحث العام والخاص فى الباب الاول فصل اسباب موهم الاختلاف ومبحث

تعارض العموميين فى نفس الفصل .

\* وقال بالتخصيص كثير من المفسرين : الرازى ج٢/٨ ، فوائد فى مشكل القرآن العز

ابن عبد السلام / ١٢٠ ، صفوة الاثار والمفاهيم للدوسرى ٢/٣١٤ .

عن كلمن لم يمنح مساجد الله ان يذكر فيها ، فهذا العموم مخصوص بمن افتري على الكذب ومخصوص بمن ذكر بايات ربه فاعرض عنها اى لايتناول هؤلاء عموم نفي الاظلمية فلا تعارض بين الايات لما تقدم فى اسباب موهم الاختلاف ان العام لا يتعارض مع مخصصه لانه بوجود المخصص يتبين لنا ان اللفظ لم يرد عمومه .

الوجه الرابع : ما ذكره صاحب البرهان (١) :

قال : وهناك معنى ثالث وهو امكن فى المعنى وسالم عن الاعتراض وهو الوقوف مع مدلول اللفظ من الاستفهام ، والمقصود به : ان هذا الامر عظيم فظييع قصدنا بالاستفهام عنه تخييل انه لاشيء فوقه لامتلاء قلب المستفهم عنه بعظمته امتلاء يمنعه من ترجيح غيره فكانه مضطر الى ان يقول : لا احد اظلم وتكون دلالة على ذلك استعارة لا حقيقة ، فلا يرد كون غيره اظلم منه إِنْ فُـرِضَ ، وكثيرا ما يستعمل هذا فى الكلام اذا قصد به التهويل ، فيقال : اى شىء اعظم من هذا ؟ إذا قصد افراط عظمته ، ولو قيل للمتكلم بذلك انت قلت انه اعظم الاشياء ، لأبى ذلك ، فليفهم هذا المعنى ، فان الكلام ينتظم معه والمعنى عليه " اهـ .

...

---

(١) ج٤/٧٦ ، ونقله صاحب الاتقان ج٢/٣٠ ،

وقد ضعفه الشيخ الشنقيطى فى اضاوا البيان ٢٦/١٠٥ بانه خلاف ظاهر القران ، وليس كما قال فانه وجه قوى كما قرره الزركشى .

١١- قوله تعالى مخاطبا الكفار : " امن يبدأ الخلق ثم يعيده وممن يرزقكم من السماء والارض آله مع الله قلها تورا برهانكم ان كنتم صادقين " ( النمل / ٦٤ )

والمراد بقوله : " ثم يُعِيدُهُ " ما يكون من الاعادة بالبعث بعد الموت والكلام مع المشركين ، والاية تخاطبهم بذلك خطاب المعترف بالبعث ، فالآية فيها ثناء من الله على نفسه بأمر نازع فيه الكفار أشد النزاع مع أن ظاهر هذه الآية كأنه يفيد تسليمهم بالإعادة ، فكيف نوفق بين ظاهر ما احتمله هذا النص وما ورد من آيات أخرى تدل على انكار الكفار للبعث والحساب كقوله تعالى : " وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم ..... " ( يس / ٧٨ )

وقوله : " قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا أو بدله " ( يونس / ١٥ )  
وقوله : " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ..... " ( النحل / ٣٨ )  
وقوله : " زعم الذين كفروا أن لن يُبعثوا ..... " ( التغابن / ٧ )  
وقوله : " وقالوا إن هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين " ( الانعام / ٢٩ )  
الذي غير ذلك من الايات التي تدل على إنكار الكفار للبعث والنشور .

والجواب : ان الاعادة والبعث لوضوح براهينها وأدلتها التي ساقها القرآن جعلوا كأنهم معترفون بها لتمكنهم من معرفتها فلم يبق لهم عذر في الانكار فهم كانوا يقرون ان الله هو الخالق الرازق وانه هو الذى بدأ الخلق فالزمهم الاعادة اى اذا قدر على الابتداء فمن ضرورته القدرة على الاعادة وهو أهون عليه (١) .

قال الرازى (٢) : كانوا معترفين بالابتداء ودلالة الابتداء على الاعادة دلالة ظاهرة قوية ، فلما كان الكلام مقرونا بالدلالة الظاهرة صاروا كأنهم لم يبق لهم عذر في الانكار " اهـ .

(١) القرطبي ٢٢٥/١٣ ، روح المعاني ج٧/٨ ، فتح الرحمن ٢٤٧ .

(٢) تفسير الرازى ج٢٤٤/٢١١ ، النمل : ٦٤ .

وقال محي الدين شيخ زاده (١) :

" ولمّا ورد أنّ يقال كيف يمكن إلزام الكفرة بذكر نعمة الإعادة وما يترتب عليها وهم منكرون للإعادة أجاب عنه بانهم وان انكروا الا انهم للمّالم يكن لهم عذر في إنكارها من حيث قيام الأدلة القاطعة الدالة على إمكانها وكونها مقدورة لله تعالى واقتضت الحكمة وقوعها ، نزلوا منزلة من أقرّ بها فتوجه إليهم الإلزام والتجهيل بذلك " اه .

قلت : ومن امثلة ما ساقه القرآن للدلالة بالابتداء على الاعادة قوله تعالى : " وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم . " ( الايات ( يس ٧٧-٧٨ ) .

وقوله : " كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين " ( الانبياء ١٠٤/٦ )

وقوله : " فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة . . . . " ( الاسراء ٥١ / ٥١ )

فهذه الايات وأمثالها ساقها الله تعالى لبيان ان الذي خلق الانسان اول مرة من العدم كما قال تعالى : " هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا " قادر على اعادته بعد موته بل هو اهون في نظر الانسان كما قال تعالى : " وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه " ( الروم ٢٧ ) .

فالخلق والاعادة كلاهما سواء بالنسبة الى قدرة الله وليس شئ اهون على الله ولا أصعب انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ولكنه انما يخاطب الناس بحسب إدراكهم ففرتقدير الناس أن بدء الخلق أصعب من إعادته فمابالهم يرون الاعادة عسيرة على الله وهي في طبيعتها أهون وأيسر (٢) .

(١) في حاشيته على تفسير البيضاوي ج٣/٤٩٤ .

(٢) في ظلال القرآن ج٥/٢٧٦٦ .

واما قوله تعالى فيحق الكفار :

" ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ..... " ( يونس / ١٨ )

فلا يدل على ايمان الكفار بالبعث لانه ليس المقصود منها انهم يرجون شفاعه اصنامهم يوم القيامة .

بل المراد ان الاصنام شفعا لهم عند الله اى للتقرب الى الله كما قال فى حقهم : " وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى .. " - الزمر / ٣ - كما انهم كانوا يرجون شفاعه الاصنام لاصلاح معاشهم فى الدنيا كما قال الحسن البصرى رحمه الله (١) .

الا ان الكفار كانوا قوما خصمين يجادلون فى كل شئ ، فلذلك عندما كان الرسول يحذرهم من البعث والحساب كانوا يجيبون على سبيل الجدال والعناد بانسه لو كانت هناك بعثونشور لشفعت لنا اصنامنا التى تقربنا الى الله . " اخرج ابن ابي حاتم عن عكرمة (٢) قال: كان النضر بن الحارث يقول اذا كان يوم القيامة شفعت لى اللات والعزى وفيه نزلت الاية " .

قال الالوسى (٣) : ولعل ذلك منهم على سبيل الخرض والتقدير ، ابي ان كان بعث كما تزعمون فهؤلاء يشفعون لنا .

ويدل على ان ذلك لمجرد الجدال والعناد قول ذلك الكافر وهو يحاور صاحبه : " وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها " منقلبا " - المؤمن / ٣٦ -

...

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٥٢ ، الانعام / ٩٤ ، زاد المسير ٤/١٦ ، روح المعاني

٠ ٨٨/١١

(٢) الدر المنثور : ٤/٣٤٩

(٣) روح المعاني ١١/٨٨ .



١٢- قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله  
ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام  
يبتغون فضلا من الله ورضوانا ٠٠٠ " ( المائدة / ٢ ) .

قوله : " ولا آمين البيت الحرام " يعنى القاصدين له ، والمعنى :  
لا تمنعوا الكفار القاصدين البيت الحرام على جهة التعبد والقربة حيث كان  
المشركون يعظمون البيت ويحجون له وقد ورثوا هذا عن دين ابراهيم عليه السلام .  
فأمر الله تعالى بعدم التعرض لهم اذا هم قصدوا البيت لهذا الغرض .

والآية نزلت لما قدم كفار اليمامة قاصدين البيت معتمرين وقد كان  
الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه فى الحديبية عندما صدهم المشركون عن  
البيت فمر بهم الحطم بن هند البكري واصحابه من أهل اليمامة قاصدين البيت  
فهمَّ الصحابة أن يطلبوه حيث إنه كان قد ارتد واستاق سرح المدينة وهرب  
فلما توجهوا فى طلبه أنزل الله الآية فانتهوا عن ذلك (١) .

فكيف نوفق بين هذه الآية التى تنهى عن التعرض لمن قصد البيت الحرام  
من المشركين وبين قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا انما المشركون  
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا " - التوبة / ٢٨ -

والجواب :

ان قوله تعالى : " ولا آمين البيت الحرام ٠٠٠ " كان قبل نزول الآية  
التى تحرم قربان المشركين للبيت الحرام وهى قوله تعالى : " انما المشركون  
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا " .

---

(١) اسباب النزول للواهدى : ص ١٨١ ، لباب النقول فى اسباب النزول  
للسيوطى ٨٦/ الدر المنثور ٢٥٤/٢ ، تفسير ابن كثير ٨/٢ ، المائدة / ٢  
وانظر: القرطبي ٤٢/٦ ، روح المعانى ٥٣/٦ ، زاد المسير ٢٧٧/٢ ، تفسير أبي السعود ٤/٣

فهذه الآية جاءت ناسخة للنهي عن التعرض لمن يقصد البيت من المشركين—  
ومعلوم ان تحريم المسجد الحرام على المشركين جاء بعد ان عم الاسلام الجزيرة  
وعلا سلطان المسلمين واستحكمت شوكتهم وبانت البراهين والحجج لكل احد فلم يعد  
هناك عذر لاحد من المشركين في بقاءه على شركه . لذلك جاء الحكم في اخر  
الامر بمنع المشركين من الاقتراب من المسجد الحرام ماداموا على شركهم .  
وقد نقل ابن جرير (١) الاجماع على هذا وهو قول الاكثرية من المفسرين (٢) .  
قال ابن كثير (٣) قال ابن عباس : في قوله " ولا آمين البيت الحرام " ،  
يعنى من توجه قبل البيت الحرام ، فكان المؤمنون والمشركون يحجون فنهى  
الله المؤمنين ان يمنعوا احدا من مؤمن او كافر ثم انزل الله بعدها " انما  
المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا " الآية .  
وقال تعالى : " ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله ..."  
وقال : " انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر " فنفس  
المشركين من المسجد الحرام ) ونقل عن قتادة نحوه (٤) او  
قلت : ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر في السنة  
التي كان فيها اميرا على الحج ان يؤذن في الناس يوم النحر : لا يحج بعد العام  
مشرك ولا يطوف بالبيت عريان " (٤) وكان ذلك في السنة التي قبل حجة الوداع ،  
ولذلك فلم يحج مشرك عام حجة الوداع الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم ،  
قال النووي رحمه الله (٥) " قوله صلى الله عليه وسلم : لا يحج بعد العام مشرك"  
موافق لقوله تعالى : انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم  
هذا " والمراد بالمسجد الحرام هنا الحرم كله فلا يمكن مشرك من دخول الحرم  
بحال " اهـ .

- 
- (١) تفسير ابن جرير ج٥/٦٠ ، ٦١ ، طبعة الحلبي .  
(٢) انظر ابن كثير ٨/٢ ، القرطبي ٤٢/٦ ، الرازي ١٣٠/١١ ابن كثير ٨/٢ ،  
المائدة / ٢ .  
(٣) ج٨/٢ المائدة / ٢ وانظر تفسير الطبري ٦١/٥ ط٠ الحلبي .  
(٤) البخاري ، كتاب الحج باب ٦٥ ، ج٢/١٦٤ ، ومسلم في كتاب الحج باب لا يحج  
البيت بمشرك ( شرح النووي ١١٦/٩ ) .  
(٥) شرح النووي ١١٦/٩ .

١٣- قوله تعالى :

( وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى  
ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب  
قبلا ) - الكهف / ٥٥ -

قوله : سنة الأولين : هو عذاب الامم السابقة  
وقوله : أو يأتيهم العذاب قبلا : أى عيانا قتلا بالسيف كما وقع في يوم بدر  
هذه الآية ظاهرها يدل على حصر المانع للكفار من الايمان في  
هذين السببين وهو طلب اتيان عذاب الامم السالفة من الخسف وغيره أو  
القتل بالسيف<sup>(١)</sup>، حيث إن الآية جاءت ردا على قولهم :  
( وان قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا  
حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ) الانفال / ٣٢ -

وقد جاءت آية أخرى يدل ظاهرها أن المانع لهم من الايمان  
خلاف ذلك وهو قوله تعالى :  
( وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى الا أن قالوا  
أبعث الله بشرا رسولا ) - الاسراء / ٩٤ -

فهذا حصر للمانع في أمر ثالث وهو استغراب بعثة رسول من البشر  
حيث أظهروا أن الله تعالى لو أرسل رسولا الى الخلق لوجب ان يكون  
ذلك الرسول من الملائكة<sup>(٢)</sup>  
والجواب على ذلك من أوجه :

الوجه الاول : أن المانع الحقيقي لدخول الكفار في الايمان ليس هو  
ما نطقت به أفواههم ، لأن كل ذلك إنما هو ادعاء وتعنت وتحكم

---

(١) زاد المسير : ج٥ / ١٥٨ تفسير ابن كثير : ج٢ / ١٤٨ الكهف / ٥٥  
(٢) فوائد في مشكل القرآن للعز بن عبد السلام : ١٧٤ ، تفسير الرازي : ٥٩ / ٢١  
قال الرازي : هذه الآية فيها اجابة على شبهة الكفار في استبعادهم  
أن يبعث الله الى الخلق رسولا من البشر بل اعتقدوا ان الله تعالى  
لو أرسل رسولا الى الخلق لوجب ان يكون ذلك الرسول من الملائكة ،  
وحاصل الاجابة : بتقدير ان يبعث الله ملكا رسولا الى الخلق انما يؤمنون  
بكونه رسولا من عند الله لاجل قيام المعجز الدال على صدقه وذلك المعجز  
هو الذى يهديهم الى معرفة ذلك الملك في ادعاء الرسالة عن الله تعالى  
فالمراد من قوله : ( ان جاءهم الهدى ) هو المعجز فقط فهذا المعجز  
سواء ظهر على يد الملك او على يد البشر وجب الاقرار برسالته ،  
فثبت ان يكون قولهم بان الرسول لابد ان يكون ملكا تحكما فاسدا وتعنتا  
باطلا (٠) ١٥ تفسير الرازي : ٥٩ / ٢١

وتحكم فاسد ، انما المانع الحقيقي هو الجحود والعناد والمكابرة والامرار على الباطل منه وضوح الحق وسطوح البراهين وقيام المعجز فالحسد وحب الرياسة والعلو في الارض والاحتفاظ بزخارف الدنيا انما هو السبب الوحيد للإعراض عن الحق والشرع والخضوع لطاعة الله ،

أما تعلمهم بطلب إتيان العذاب ، أو استحالة بعث رسول من البشر أو غير ذلك من الموانع التي أظهرها وتعللوا بها انما هو لمجرد الجدل والخصام بالباطل فطلبهم اتيان عذاب الامم السالفة من الخسف وغيره هو كما قال الاولون من الكفار لأبيائهم :

( فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين )

- الشعراء / ١٨٢ -

وقولهم : ( اثنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ) العنكبوت / ٢٩ -  
بدل أن يقولوا : ادع الله أن يهدنا إن كنت من الصادقين

فدل ذلك على مجرد الغرور والعناد وإظهار الشبهات مع انهم في قرارة أنفسهم يعلمون أنه الحق كما قال تعالى :

( وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ) - النمل / ١٤ -

وكما قال : ( فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون )

- الانعام / ٢٢ -

ولذلك فان ادعاءهم استحالة بعث رسول من البشر هو ايضا مجرد قول يقولونه بأفواههم من غير أن يكون له مفهوم ومصدق كما قال عنهم

( وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث

الله بشراً رسولا ) فهذا مجرد شبهة كبقية الشبهات وغرضهم من ذلك

الصد عن سبيل الله عنادا وحسدا وعلوا في الارض

فذكر الله سبحانه شبهاتهم هذه في عدة مواطن من القرآن ، وكيف

أنهم يدعون في كل مرة مانعا ثم ينتقلون الى غيره مما يدل على

اضطرابهم وحيرتهم وتخطبهم في القاء الشبهات التي ليس لها أساس من الصحة

لذلك فان حصر المانع لهم من الايمان في موطن في سبب معين انما هو حصر

اذا في وليس حقيقي وهو بيان المانع حسب ادعائهم وليس كما هو حقيقة

الامر ، لأن المانع الحقيقي هو الجحود والكبر والعناد كما تقدم .

الوجه الثاني :

ما أجاب به الامام العز بن عبد السلام - رحمه الله - من أن الحصر الاول في المانع الحقيقي ، فان إرادة الله تعالى هي المانعة على الحقيقة والثاني في المانع العادي وهو استبعاد بعث رسول من البشر قال رحمه الله - (١) : ( وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى - ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين أو يأتيهم العذاب قبلا )

هذه الآية تدل على حصر المانع من الايمان في أحد هذين السببين لكن هذا يشكل بقوله عز وجل : ( وما منع الناس ان يؤمنوا ان جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا ) فهذا حصر ثالث في غيرهما وهو ينافي الحصر فيهما

والجواب : ان معنى الآية الاولى : وما منع الناس ان يؤمنوا إلا بإرادة أن تأتيهم سنة الاولين من الخسف وغيره أو يأتيهم العذاب قبلا في الآخرة ، والدليل على هذا الإضمار أن المانع لا بُدَّ أن يكون موجودا حالة منعه ، وسنة الاولين معدومة ، وكذلك عذاب الآخرة ، فلا بد من تقدير أمر موجود يمنع فأخبر عز وجل أنه اراد أن يصيبهم احد الامرين ، ولا شك أن إرادة الله عز وجل مانعة من وقوع ما ينافي المراد فهذا حصر في السبب الحقيقي ، لأن الله عز وجل هو المانع في الحقيقة ،

ومعنى الآية الثانية : وما منع الناس ان يؤمنوا إلا باستغراب بعث بشر رسول ، لأن قولهم ليس مانعا من الايمان لأنه لا يلحق لذلك ، وهو يدل على استغراب بالالتزام وهو الذي يناسب المانعة ، واستغرابهم ليس مانعا حقيقيا بل عاديا ، لجواز خلق الايمان معه ، بخلاف ارادة الله عز وجل ، فهذا حصر في المانع العادي ، ولا تنافي بين قولنا : ما منعهم حقيقة إلا كذا ، وما منعهم عادة إلا كذا ، فزال التناقض . اهـ

قلت : وحاصل هذا الوجه : ما منعهم من الايمان الا أني قدرت عليهم العذاب ، وهذه الآية نزلت فيمن قتل ببدر من المشركين كما قال الواحدى (٢) ، وتقدير الله العذاب عليهم انما هو لظلالهم وخبثهم وسوء استعدادهم وعلم الله في بعضهم انهم لن يؤمنوا ، ولذلك فان ابا لهب نزلت في حقه سورة تبشره بالنار وهو مازال حيا ، ومع ذلك فانه لم يدع الاسلام ولو ظاهرا ومات على كفره تصديقا لكلام الله تعالى ٦

(١) فوائد في مشكل القرآن : : ١٧٤ ، وانظر : البرهان للزركشي : ٢٦ / ٢  
واقترع على هذا الوجه الشيخ محمد الامين الشنقيطي ، أضواء البيان : ١٨٧ / ١٠

(٢) زاد المسير : ج٥ / ١٥٨

فالذين قتلوا بيدر أو ماتوا على كفرهم انما جاءهم العذاب الذي استحقوه ، ولهذا فان قوله : ( وما منع الناس ... ) المراد به بعض الناس

الوجه الثالث : ما قاله العلامة ابو السعود<sup>(١)</sup> : ( ... وحصر المانع فيما ذكر - أي استغراب بعث رسول من البشر - مع أن لهم موانع شتى لما أنه معظمها ، أو لأنه هو المانع بحسب الحال ، أعني عند سماع الجواب بقوله : ( هل كنت الا بشر رسولا ) ان هو الذي يتشبهون به حينئذ من غير أن يخطر ببالهم شبهة أخرى من شبه الواهية ، وفيه إيدان بكمال عنادهم ، حيث يشير الى أن الجواب المذكور مع كونه حاسما لمواد شبهتهم مُلجئا الى الايمان ، يعكسون الأمر ويجعلونه مانعا منه . ) اهـ

قلت : وعلى هذه الوجه المتقدمة يتبين أن الايتين لا إشكال فيهما وليس بينهما تنافي ،  
والله ولي التوفيق

---

(١) تفسير ابي السعود المُسمى : ارشاد العقل السليم ... ج٥ / ١٩٥

موهم آيات المنافقين

من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه أوصاف المنافقين  
ومكايدهم وبيّن منكراتهم ودسائسهم وأوضح خطرهم على المجتمع وماهم فيه من  
شبهات وشهوات ، واساليبهم في المكر والإرجاف كما أوضح مصيرهم المحتوم وانهم  
من اشد الناس عذابا يوم القيامة كما قال تعالى : " ان المنافقين في الدرك  
الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا " - النساء / ١٤٥ - .  
ذلك أنهم يُظهرون الايمان والعمل الصالح ويبيطنون الكفر والعداء للاسلام  
وأهله ويحيكون المؤامرات للايقاع بالاسلام وأهله فهم أشد خطرا من الكفار الظاهر  
كفرهم ،

وقد وردت آيات في حق المنافقين قد يُتوهم من ظاهرها أنها متنافية  
أو متخالفة والأمر ليس كذلك ،

فمن هذه الآيات :

١- قوله تعالى : " وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة ،  
مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يُردون إلى  
عذاب عظيم " - التوبة ١٠١ - .

الخطاب في هذه الآية موجه للرسول صلى الله عليه وسلم ،

وقد نفى الله فيه أن يكون الرسول يعلم المنافقين الذين عتوا في نفاقهم  
وأقاموا عليه وأمعنوا فيه ولم يتوبوا منه حيث قال : " لاتعلمهم  
نحن نعلمهم " .

فهم قد بلغوا من المهارة في النفاق والتحامي عن مواقع التهم بحيث  
يخفى على الرسول حالهم مع كمال فطنته وصدق فراسته (١) .

وهذه الآية قد يُتوهم منافاتها لآية أخرى قوله تعالى في حق المنافقين  
" ولو نشاء لأريناكمهم فلعرفتمهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله  
يعلم أعمالكم " - سورة محمد - ٣٠ - .

(١) تفسير البيضاوى / ٢٢٦ ، زاد المسير ٤٩٢/٣ ، روح المعاني ١٠/١١ ،  
تفسير الرازي ١٧٣/١٦ ، تفسير الماوردي ١٦١/٢ .

ولحن القول : هو فحوى الكلام ومعناه ومقصده والوجه الخفي منه فمعرفته للمنافقين في لحن القول يخالف في الظاهر ما أثبتته تعالى من عدم علمه بهم وهو ما دلت عليه الآية الأولى ، وكان المنافقون يمتلحون على ألفاظ يخاطبون بها الرسول صلى الله عليه وسلم مما ظاهره حسن ويعنون به القبيح وكانوا أيضا يتكلمون بما يشعر بالاتباع وهم بخلاف ذلك كقولهم إذا دعاهم المؤمنون إلى نصرهم: إنا معكم وبالجملة فقد كانوا يتكلمون بكلام ذي دسائس وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرفهم بذلك ويفهم الخفي من قولهم ولا يفهمه غيره (١) ، والجواب ان الآيات لاتنافي بينها حيث إن الآية الأولى والتي اثبتت عدم معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض المنافقين كانت في أول الأمر ، والآية الأخرى التي فيها معرفة الرسول للمنافقين في لحن القول انما نزلت بعدها ،

قال زكريا الانصارى (٢) ! آية النفي نزلت قبل آية الاثبات فلا تنافى . وقال الماوردى (٣) : قال الكلبي : فلم يتكلم بعد نزولها منافق عنده النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه " اهـ . وقال ابن جرير (٤) عند تفسير قوله تعالى " فلتعرفنهم بسيماهم " يقول: فلتعرفنهم بعلامات النفاق الظاهرة في فحوى كلامهم وظاهر أفعالهم ، ثم ان الله تعالى ذكره عرفه إياهم " اهـ . وقال القرطبي (٥) قال أنس : ( فلم يخف منافق بعد هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم - عرفه الله ذلك بوحى أو علامة عرفها بتعريف الله إياه ) .

- 
- (١) روح المعانى ٧٧/٢٦ ، زاد المسير ٤١١/٧ ، تفسير الرازى ٧٠/٢٨ .  
(٢) فتح الرحمن / ٢٤٠ ، وكذا قال الجمل في حاشيته على الجلالين نقل عن الكرخي ج ٣١٣/٢ .  
(٣) تفسير الماوردى: ج ٥٣/٤ ، ونقله القرطبي عن الكلبي ايضا ج ٦٠٧٣/٧ .  
(٤) تفسير ابن جرير : ج ٣٩/٢٦ .  
(٥) القرطبي : ١٥٤/٨ .



وقال ايضاً عند تفسير قوله تعالى : " عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين  
لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين " اى يتبين لك من صدق ممن نافق . قال  
ابن عباس : وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يومئذ يعرف  
المنافقين وانما عرفهم بعد سورة التوبة " اهـ .  
ولقد كان المنافقون يعتمدون على اتقانهم فن النفاق وعلى خفاء امرهم  
فى الغالب على المسلمين . فالقران يسفه ظنهم ان هذا الامر سيظل  
خافياً ويهددهم بكشف حالهم وإظهار أضعافهم وأحقادهم على المسلمين . ويبشر  
الرسول بانه سوف يعرفهم من لحن القول (١) ۞

وهنا توجه آخر : وهو أن الآية الاولى : ( لاتعلمهم نحن نعلمهم ) لاتدل  
على نفي معرفة الرسول بالمنافقين لان المنفى هو عدم الرسول بهم من تلقاء  
نفسه لكن الآية لم تنف ان الله يعلمه بهم وبحالهم ،  
(٢)  
فيكون تقدير الآية " لاتعلمهم انت حتى نعلمك بهم " قال ابن الجوزى :  
وهذا كسائر الامور المغيبة والتي يُطلع عليها رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - كما قالتعالى : " عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً الا من  
ارتضى من رسول ۞ " . الجن / ٢٦-٢٧ .

فهو سبحانه وحده الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور  
ويعلم السر وأخفى ويعلم ما توسوس به الصدور وهو تعالى يطلع رسوله  
على ما شاء من ذلك ،  
وعلى هذا فان الايتين لاتنافي بينهما : لأن الاولى تنفى علم الرسول بالمنافقين  
من تلقاء نفسه حيث إن الله هو الذى يعلمه بذلك كيف يشاء ،  
والأخرى دلت أن الله سبحانه وتعالى يطلع نبيه على فحوى كلامهم ومقاصده  
من خلال أسلوبهم فى الكلام وطريقة حديثهم ،  
فهى بيان للكيفية التى يُطلع الله بها رسوله على معرفة المنافقين .

(١) انظر فى ظلال القرآن ٦/ ٣٢٩٨ .

(٢) زاد المسير ٣/ ٤٩٢ التوبة ١٠١ .

هذا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اطلع على كثير من المنافقين باعيانهم واسمائهم .  
(١)  
روى مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: " قال النبي صلى الله عليه وسلم ( في اصحابي اثنا عشر منافقا لا يدخلون الجنة حتي يلج الجمل في سم الخياط ... ) الحديث .

وروى مسلم (٢) عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال : عدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا موعوكا قال فوضعت يدي عليه فقلت والله مارايت اليوم اشد حرا فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم الاخبركم باشد حرا منه يوم القيامة هذينك الرجلين الراكبين المقفيين لرجلين حينئذ من أصحابه " ،  
واخرج الامام احمد في مسنده (٣) عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه قال: خطننا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة فحمد الله واثنى عليه ثم قال " ان منكم منافقين فمن سميت فليقم ثم قال قم يا فلان ، قم يا فلان حتى سمي ستة وثلاثين رجلا ثم قال ان فيكم او منكم منافقين فاتقوا الله " ٤

قال ابن كثير ج٢/٥٩٨ ( التوبة/١٠١ ) ( لا ينافي قوله تعالى: (لاتعلمهم نحن نعلمهم ) قوله تعالى ( ولو نشاء لاريناكم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفهم في لحن القول ) ٤

لان هذا من باب التوسم فيهم بصفات يُعرفون بها لا انه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعيين . وقد كان يعلم ان في بعض من يخالطه من أهل المدينة نفاقا وإن كان يراه صباحا ومساء .

- 
- (١) في كتاب صفات المنافقين ( شرح النووي ١٢١/١٧ ) .
  - (٢) في كتاب صفات المنافقين ( شرح النووي ج١٧/١٢٧-١٢٨ ) .
  - (٣) مسند احمد ج٥/٢٧٣ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٧٤/٤ الى ابن مردويه بنحوه .

وشاهد هذا بالصحة مارواه الامام احمد (١) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: ( قلت يا رسول الله : إنهم يزعمون أنه ليس لنا أجر بمكة فقال لتأتينكم أجوركم ولو كنتم في حجر ثعلب ، وأصغى إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم برأسه فقال : إن في أصحابي (٢) منافقين ) ومعناه أنه قد يبوح بعض المنافقين والمرجفين من الكلام بما لاصحة له ومن مثلهم صدر هذا الكلام )

وروى الحاكم وابن عساكر ان رجلا يقال له حرملة اتى النبي صلى الله عليه عليه وسلم فقال: يا رسول الله : انه كان لي أصحاب من المنافقين وكنت رأسا فيهم أفلا آتيتك بهم قال : من أتانا استغفرنا له ومن أصر على دينه فالله أولى به ولا تخرقن على أحد سترا ) اه .

٢ - قوله تعالى : ( ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان عفورا رحيفا ) - / الاحزاب ٢٤ - .  
هذه الآية فيها أن الله خلق عذاب المنافقين بالمشيئة أو انه تعالى يتوب عليهم ،

وكذلك قوله تعالى في حق المنافقين : " لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعت عن طائفة نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين " .  
( التوبة / ٦٦ )

فهذه الآية ايضا فيها أن الله يعفو عن بعض المنافقين الذين كفروا بعد إيمانهم الذي أظهروه أو ظهر كفرهم بعد ان كانوا في الظاهر مسلمين ، وهاتان الايتان قد يتوهم مخالفتهما للآيات التي جاءت توضح ان المنافقين الذين يموتون على نفاقهم إنما هم في النار (٣) .  
وهي قوله تعالى : " وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم .. " ( التوبة / ٦٨ ) .

(١) مسند الامام احمد ج٤/٨٢ .  
(٢) والصحة باعتبار الظاهر وادعائهم انهم اصحابه فتسميتهم اصحاب من باب

المشكلة

(٣) روح المعاني للالوسي ١٧٢/٢١-١٧٣ ، فتح الرحمن / ٤٥٩

وقوله تعالى : " ان الله جامع لمنافقين والكافرين في جهنم جميعا ... " ( النساء / ١٤٠ ) .

ونرى أن هذه الآيات تدل على أن عذاب المنافق أشد من عذاب الكافر وذلك لغلظ كفره وكثرة غوائله وتمكنه من أذى المؤمنين حيث لا يمكن التحرز منه وقد قدم المنافقون في الذكر في كثير من المواضع لهذه الأسباب وللتنبية على خطرهم وسوء عاقبتهم .

والجواب أن الآيات لاتنافى بينهما ، فالمنافقون الذين يموتون على كفرهم ونفاقهم مصيرهم المحتوم هو النار بل الدرك الأسفل منها لأن الله تعالى قد حكم بأنه لا يغفر لكافر أو مشرك لعظم جنايته قال تعالى : ( ان الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " ( النساء / ٤٨ ) .

وقوله تعالى : ( ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ) معناه أنهم في الدنيا تحت المشيئة فمن مات على كفره ونفاقه فقد شاء الله ان يعذبه ، ومن تاب ورجع عن كفره ونفاقه فهو الذي يتوب الله عليه ولا يشاء تعذيبه ،

وكذلك قوله تعالى : " إن نعت عن طائفة منكم نعت طائفة .. " أي ان نعت عن طائفة منكم : وهم الذين تابوا وأخلصوا .. نعت طائفة وهم الذين أصروا على كفرهم وداموا على نفاقهم وماتوا على ذلك .

فالعفو عن المنافق والتوبة عليه كما هو ظاهر هو توفيقه للتوبة وتمحيح الايمان وإخلاص العمل ، وعندها يدخل في معية المؤمنين كما قال الله تعالى " فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والاخرة ومالهم في الارض من ولي ولا نصير " ( التوبة / ٧٤ ) .

وكما قال تعالى : ( ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله

فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ( النساء/١٤٥) .

قال الالوسي (١) : " المتحقق انه تبارك وتعالى شاء تعذيب المنافقين ولم يشأ رحمتهم فكانه قيل: ان شاء يعذب المنافقين في الآخرة لكنه سبحانه شاء تعذيبهم فيها او يتوب عليهم ان شاء لكنه جل وعلا لم يشأ . وقال بعض الاجلة : ان التوبة عليهم مشروطة بتوبتهم ومعنى توبته تعالى على العباد قبول توبتهم فكانه قيل :

" أو يقبل توبتهم إن تابوا وحذف الشرط لظهور استلزامه المذكور له ويجوز ان تفسر توبته تعالى عليهم بتوفيقه تعالى اياهم للتوبة اليه سبحانه ، والمراد من تعليق تعذيب المنافقين بالمشيئة انه تعالى ان شاء عذبهم بابقائهم منافقين وان شاء سبحانه لم يعذبهم بان يسلب عنهم وصف النفاق بالتوفيق الى الاخلاص في الايمان " اهـ .

قال الرازي : (٢) وقال القاضي : انه تعالى حكم على الطائفتين بالكفر وهو تعالى لا يعفو عن الكافر الا بعد التوبة ، والرجوع الى الاسلام ولا يعذب الكافر الا بعد إصراره على الكفر فلما ذكر الله تعالى انه يعفو عن طائفة ويعذب طائفة أخرى كان فيه إضرار أن الطائفة التي اخبر انه يعفو عنهم تابوا عن الكفر ورجعوا الى الاسلام وان الطائفة التي اخبر انه يعذبهم اصروا على الكفر ولم يرجعوا الى الاسلام " اهـ .

اخرج ابن اسحق وابن أبي حاتم (٣) عن كعب بن مالك من خبر فيه طول :

(١) روح المعاني ج١٦/٢١٢ .

(٢) تفسر الرازي ١٦/١٢٧ .

(٣) الدر المنثور / تفسير ابن كثير ٢/٥٧٢ ، التوبة / ٦٦ .

وانظر: القرطبي ٥/٤٢٤/١٤/١٥٩

روح المعاني ٥/١٧٨ ج٤/١٣١ . ، فتح الرحمن / ٤٥٩ ،

تفسير الرازي ٢٨/٨٣ .

كان الذى عُفي عنه فى هذه الآية فُخشي بن حمير الاشجعى فتسمى عبدالرحمن  
وسأل الله تعالى أن يُقتل شهيدا لا يُعلم مقتله، فقتل يوم اليمامة فلم يُعلم  
مقتله ولا قاتله ولم يُر له عين ولا أثر .

٣ - قوله تعالى فى حق المنافقين :

( صم بكم عمي فهم لا يرجعون ) ( البقرة / ١٨ ) .

هذه الآية يدل ظاهرها على أن المنافقين لا يسمعون ولا يتكلمون  
ولا يبصرون .

وجاءت آيات اخرى فى حقهم توضح أن لهم سمعا وابصارا وكلاما فصيحاً  
يستهو السامع ، وهو قوله تعالى : ( وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ..... )  
( المنافقون / ٤ ) .

وقوله تعالى : ( فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير  
أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم ) ( الاحزاب / ١٩ ) .  
وقوله تعالى ( ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ) ( البقرة / ٢٠ ) .  
فدلتهذه الايات أن لهم سمعا وأبصارا وألسنة .

والجواب : ان وجه الجمع بين هذه الايات ظاهر ، وهو ان الله سبحانه  
أطلق على المنافقين هذه الصفات لأنهم فى الحقيقة صم عن سماع الحق بكم عن التكلم  
به وعمي عن الإبصار له قال الله تعالى : " إنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى  
القلوب التى فى الصدور " .

وقال : ( انك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ) .  
فهؤلاء الكفار والمنافقين حالهم فى عدم انتفاعهم بما يسمعون من آيات وبراهين  
كحال الموتى الذين لا ينتفعون بما يسمعون لان مقصد السمع هو الانتفاع  
بالمسموع وهم قد عدموا ذلك ، قال تعالى ( وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة .  
فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات  
الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون " ( الاحقاف / ٢٨ ) .

فالمنافقون وغيرهم من الكفار وإن كانوا مرهفي السمع أهداء البصر حداد الألسنة إلا أنهم في الحقيقة صم بكم عمي حيث إنهم لم ينتفعوا بها ولم يستعملوها فيما خلقت له من استماع الحق وتدبره والتكلم به ولم يتلمسوا أدلة الهدى المنصوبة في الافاق والانفس ، قال الآلوسی : (١) ( وقد وصفهم الله سبحانه بقوفه ( لايشعرون ) و ( لايبصرون ) فعلم من ذلك أنهم صم وعمي ووصفهم بانهم كاذبون لا ينطقون فعلم من ذلك أنهم كالكم ) .

وليس الغرض نفي الادراكات عن حواسهم جملة وإنما الغرض نفيها من جهة عدم الانتفاع بها فلذلك هم بمنزلة الاعمى والاصم والابكم وقد اشار الى جزائهم الذي هو من جنس عملهم والذي يلقونه في الآخرة كما قال تعالى : ( ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكا وصما ما وهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ) .

فقد رتهم في الدنيا على بهرجة الكلام وزخرفته والخداع به لن تنفعهم يوم القيامة (٢) ،

فالمنافقون لهم أجسام ومناظر تعجب الناظرين لحسنها وجمالها وهذا عبدالله بن أبي رأس المنافقين كان جسيما صبيحا فصيحا وإذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله " وإذا رأيتمتعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون " (المنافقون /٤) .

قال ابن الجوزي (٣) " والعرب تسمى المعرض عن الشيء : اعمى والملتفت عن سماعه أصم ، قال مسكين الدارمي :

(١) روح المعاني ١٦٨/١ .

(٢) انظر القرطبي ٢١١/١ ، الرازي ٧٦/٢ ، ١٤/٣٠ .

روح المعاني ١٦٨/١ .

اضواء البيان للشنقيطي ١٢/١٠ ،

(٣) زاد المسير ٤١/١ .

ماضٍ جاراً لى أُجاروه  
أعمى اذا ما جارتى خرجت  
وتصم عما بينهم أذني  
ألا يكون لبيابه ستـر  
حتى يوارى جارتى الخـدر  
حتى يكون كأنه وقـر

ومن الشواهد ايضاً على ذلك قول الشاعر :

صم اذا سمعوا خيراً ذُكرتُ به  
وإن ذُكرتُ بسوءٍ عندهم أذنوا (١)

وقول الآخر :

أصم عن الأمر الذى لا أريده  
وأسمع خلق الله حين أريد (٢)

...

/

---

(١) الشاعر قعنب بن أمّ صاحب (اضواء البيان ١٠/١٢) .

(٢) نفس المصدر السابق .



فصل

موهم الاختلاف فى آيات الأحكام

والمراد بآيات الأحكام : هي الآيات التى تتضمن أحكاما شرعية من حلال أو حرمة أو وجوب أو ندى أو كراهة أو صحة أو فساد فى الامور العملية كاحكام العبادات والنكاح والمعاملات والأطعمة ونحو ذلك .

وقد جاء فى بعض هذه الآيات ما قد يتوهم انه من الاختلاف وحقيقة الأمر ان مرد ذلك هو وجود نسخ أو تخصيص أو تقييد أو تغاير فى موضوع الحكم ونحو ذلك من أسباب إيهام الاختلاف والتى تقدمت فى الباب الاول من هذا البحث .

١- قوله تعالى : " اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم " ( المائدة / ٥ ) .

والمراد بطعام أهل الكتاب / ذبائهم وعليه أكثر المفسرين<sup>(١)</sup> والعلماء لان الذبائح هي التى تصير طعاما بفعل الذابح وما سوى الذبائح محللة قبل أن تكون لأهل الكتاب وبعدان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها بأهل الكتاب فائدة كما ان ما قبل هذه الآية فى بيان الصيد والذبائح فحمل هذه الآية على الذبائح اولى<sup>(٢)</sup> .

فهذه الآية الكريمة تدل بعمومها على اباحة ما ذبحه أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولو أهلوا بها لغير الله او لم يذكر اسم الله عليها

---

(١) تفسير الطبرى ج٩/٥٦٣ ، ٥٧٧ ، تحقيق محمود شاكى ، تفسير ابن كثير

٣١/٣ ، المائدة: ٥ ، احكام القران لابن العربى ٥٥٣/٢ ، روح المعانى

٦٤/٦ ، القرطبى ٧٩/٦ ، الرازى ١٤٩/١١ ، زاد المسير ٢٩٥/٢ ، المغنى

لابن قدامة ٦٥٧/٨ ، الام للشافعى ج٢/٢٣١ .

(٢) تفسير الرازى ١٤٩/١١ ، زاد المسير ٢٩٥/٢ .

وقد جاءت آيات اخرى تدل على منع أكل الذبيحة التي أهلَّ بها لغير الله  
اي ذكر اسم غير الله عند ذبحها (١) .

وهي قوله تعالى في سياق ذكر المحرمات : " وما أهل لغير الله به "  
(المائدة / ٣ ) .

وفي البقرة : " وما أهل به لغير الله " (١٧٣) .  
واما الآية التي تدل على منع اكل مال من يذكر اسم الله عليه فهي قوله تعالى :  
" ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق " . الانعام / ١٢١ .

والجواب :

ان عموم قوله تعالى : " وطعام الذين اوتوا الكتاب لكم " مخصص  
بالاية الاخيرة وهي قوله تعالى : " وما أهل لغير الله به " .  
فدباح اهل الكتاب مباحة لنا لان الاصل انهم يذكرون الله فيحتمل  
امرهم على هذا فان تيقنا انهم ذكروا غير الله عند الذبح فلناكل لقوله  
تعالى : " وما أهل لغير الله به " .

فاذا كان المسلم أهل لغير الله بذبيحته بأن ذبحها لوثن او شخص  
او قبر لا توكل ذبيحته فذبيحة الكتابي من باب اولى اذا كان ذبحها لوثن  
او صليب او نحو ذلك (٢) .  
وكذلك الميتة فقد حرمها الله على المسلمين بقوله : " حرمت عليكم  
الميتة " .

فهي تشمل ميتة المسلم وميتة الكتابي .

---

(١) كان يقول " باسم المسيح او الصليب " ولذبح للوثان او القبور

يدخل في عموم الاهلال لغير الله وهو معنى قوله تعالى " وما ذبح علي  
المنصب " المائدة / ٣ .

(٢) انظر : القرطبي ٧٩/٦ ، روح المعاني ٦٥/٦ ، زاد المسير ٢٩٦/٢ ، المغني

لابن قدامة ج٨/٥٦٩ ، الام للشافعي ٢٣١/٢ ، المجموع للنووي مع التكملة

ج ٨/٣٠٩ ، بداية المجتهد لابن رشد ج١/٤٥١ .

وهو قول علي وعائشة وابن عمر وعبادة وابي الدرداء والحسن وطاووس وربيعة

وهو مذهب الجمهور منهم الشافعي واحمد ورواية عن مالك .

فاذا كانت ذبيحة الكتابي ميتة ولم يذكرها فهي حرام علينا بنص

الكتاب .

(١)

قال ابن العربي

فان قيل فما أكلوه على غير وجه الزكاة كالخق وحطم الراس فالجواب

ان هذه ميتة وهي حرام بالنص وان أكلوها فلا نأكلها نحن كالخنزير فانه

حلال لهم ومن طعامهم وهو حرام علينا " .

وقال الشنقيطي<sup>(٢)</sup> ( فكما ان نساءهم يجوز نكاحهن ولا تجوز مجامعتهم

في الحيض فكذلك طعامهم يجوز لنا من غير إباحة الميتة ) .

فلما قال الله : " وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم " .

دل ان عموم هذه الآية مخصوص بغير الميتة وكذلك مخصوص بغير ما اهلوا

به لغير الله كما تقدم .

قال الامام الشافعي رحمه الله (٣) : " فان كانت ذبائحهم يسمونها

لله تعالى فهي حلال وان كان لهم ذبح آخر يسمون عليه غير اسم الله تعالى

مثل اسم المسيح او يذبحونه باسم دون الله تعالى لم يحل هذا من ذبائحهم

ولا اثبت ان ذبائحهم هكذا ، فان قال قائل وكيف زعمت ان ذبائحهم صنفان

وقد أبيحت مطلقا ؟ قيل قد يباح الشيء مطلقا وانما يراد بعضه دون بعض

فاذا زعم زاعم ان المسلم إن نسي اسم الله تعالى أكلت ذبيحته وإن تركه

استخفافا لم تؤكل ذبيحته وهو لا يدعه للشرك كان من يدعه على الشرك أو ليس

ان ترك ذبيحته " . اهـ .

ومما يدل على تقديم الايات التي فيها حظر اكل ما أهل به لغير الله

او ما كان ميتة على عموم قوله تعالى : " وطعام الذين اوتوا الكتاب حل

لكم " .

---

(١) احكام القرآن : ج٢ / ٥٥٥

(٢) اضواء البيان : ١٠ / ١٠١

(٣) الام : ج٢ / ٢٣١

ما ثبت في اصول الفقه من تقديم الحاضر على المبيح عند وجود التعارض  
الظاهري (١) ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " دع ما يريبك الـي  
مالا يريبك " (٢) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينـــــــــــــــــه  
وعرضه " (٣) ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام (٤) .

ومنها ان درء المفساد مقدم على جلب المصالح كما تقرر في الاصول  
وينبني على ذلك ان النهي اذا تعارض مع الاباحة كما هنا فالنهي اولي  
بالتقديم والاعتبار لان ترك مباح اهن من ارتكاب حرام (٤) .

وذهب قوم الى ان قوله : " وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم " .  
ناسخ للآيات التي فيها تحريم ما أهل لغير الله او لم يذكر اسم الله عليها .  
لان الله تعالى قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون (٥) .

قلت وليس هناك دليل على النسخ والجمع بين الآيات ممكن بالقول  
بالتخصيص كما تقدم وللادلة التي ذكرتها والتي ترجح تقديم آيات الحظر .

---

(١) انظر : ص ١٤٣

(٢) سبق تخريجه ص : ١٤٣

(٣) البخاري كتاب الايمان باب فضل من استبرأ لدينه ج ١٩/١٠ .  
واخرجه مسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه في كتاب  
المساقاة والمزارعة باب اخذ الحلال وترك الشبهات ( شرح النووي  
ج ٢٧/١١ ) واللفظ لمسلم .

(٤) أضواء البيان للشنقيطي ج ١٠/٩٤ .

(٥) تفسير ابن كثير : ٢/٣٠ ، زاد المير : ٢/٢٩٦

الدر المنثور : ج ٣/٣٥١ ، روح المعاني : ج ٦/٧٩  
والقول بالنسخ مروى عن مكحول رحمه الله

قال ابن الجوزي (١) : " وقد زعم قوم ان هذه الآية اقتضت إباحت ذبائح  
اهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله عليها فكان هذا ناسخا لقوله تعالى :  
" ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه " (٢) والصحيح انها أطلقت إباحت ذبائحهم  
لان الاصل أنهم يذكرون الله فيحمل أمرهم على هذا فان تيقنا أنهم زكروا غيره  
فلا تأكل ولا وجه للنسخ وإلى هذا الذي قلته ذهب علي وابن عمر وعبادة وابوالدرداء  
والحسن في جماعة " اهـ .

وقال ابن كثير (٣) بعد أن ذكر قول مكحول بالنسخ .

وفى هذا الذي قاله مكحول نظر : فانه لا يلزم من اباحته طعام أهل الكتاب  
إباحت اكل ما لم يذكر اسم الله عليه ، لانهم يذكرون اسم الله على ذبائحهم  
وقرابينهم وهم متعبدون بذلك ولهذا لم يباح ذبائح من عداهم من اهل الشرك ومن  
شابههم لانهم لم يذكروا اسم الله على ذبائحهم بل ولا يتوقفون فيما يأكلون من  
اللحم على ذكاة بل يأكلون الميتة بخلاف أهل الكتابيين . اهـ .

واما قوله تعالى : " ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق "   
فلها وجهان من التفسير :

الوجه الاول: ان المراد بما لم يذكر اسم الله عليه : الميتة او ما ذبح  
لغير الله كقوله تعالى " او فسقا اهل لغير الله به " وهو مروى عن ابن عباس  
وقتادة وعطاء وهو قول الشافعي (٤) ، قال ابن كثير (٥) وقال ابن جريج  
عطاء " ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه " قال ينهاى عن ذبائح كانت تذبحها  
قريش للأوثان وينهى عن ذبائح المجوس " .

- 
- (١) زاد المسير ٢/٢٩٦ .  
(٢) على اعتبار ان المراد بالآية هو ما اهل به لغير الله وهو مذهب الشافعي  
وقواه ابن كثير فى تفسيره . انظر: تفسير ابن كثير ج٢/٢٧١ ، الانعام/٢١ ،  
المجموع للنووى ج٨/٣١٣ ، وسوف يأتى مزيد شرح للآية قريبا .  
(٣) تفسير ابن كثير ج٢/٣٠ ، المائدة / ٥  
(٤) انظر : الام للشافعي ٢/٢٢٧ ، المجموع للنووى ج٨/٣١٣ .  
(٥) ابن كثير ج٢/٢٧١ ، الانعام/١٢١ ، الدر المنثور ٣/٣٤٩ ، ابن جرير ٢/٨٣ ،  
محمود شاکر .

ثم قال : وهذا المسلك الذى طرقه الامام الشافعى قولى " اهـ .

قلت : وهذا ما رجحه ابن جرير حيث قال: (١) " والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله عنى بذلك ما ذبح للانعام والالهة وما مات او ذبحه من لاتحــــل ذبيحته " .

وعلى هذا التفسير للاية يكون الكلام عليها مثلما تقدم فى المبحث الأول لأن المعنى واحد .

وعلى هذا الوجه فان التسمية عند الذبح ليست شرطا بل هي مستحبة فان تركت عمدا أو نسيانا لا يضر سواء من مسلم أو كتابى .

الوجه الثانى فى تفسير الاية : انها على ظاهرها : اى النهى عن أكــــل الذبيحة التى لم يُذكر عليها اسم الله .

وهنا يأتى توهم التعارض مع قوله تعالى : " وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم " اذا لم يذكر الكتابى اسم الله عند ذبحه ، فعموم قوله تعالى: " وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم " ظاهره يُبيح ذلك وعموم قوله تعالى : " ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه " ينهى عن ذلك (٢) .

وهنا رجح جمهور العلماء عموم قوله تعالى : " وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم " .

قال النووى فى المجموع : (٣) ذبيحة أهل الكتاب حلال سواء ذكروا اسم الله تعالى عليها ام لا لظاهر القران العزيز هذا مذهبا ومذهب الجمهور ، وحكاه ابن المنذر عن علي والنخعي وحماد بن سليمان وابى حنيفة واحمد واسحــــق وغيرهم ، فان ذبحوا على صنم او غيره لم يحل " اهـ .

(١) ابن جرير ٨٥/١٢ ، محمود شاکر .

(٢) اضواء البيان ، ج١٠/٩٨ .

(٣) المجموع للنووى ج٦٨/٩٦ وانظر المغنى لابن قدامة ج٥٦٥/٨ .

وعلى هذا فان الجمهور اعتبروا أنّ عموم آية إباحة طعام أهل الكتاب مُخصّص للنهي عن اكل ما لم يذكر اسم الله عليه فقالوا : ان ذبيحة الكتابي المذكاة والتي لم تهل لغير الله حلال سواء ذكر اسم الله عليها أم لا .  
قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : (١)

" اما آية التحليل فيرجح عمومها بأمرين :

الاول : انها اقل تخصيصا وآية التحريم اكثر تخصيصا لان الشافعي ومن وافقه خصموا بما ذبح لغير الله ، وخصمها الجمهور بما تركت فيه التسمية عمدا . قائلين إن تركها نسيانا لا أثر له ، وآية التحليل<sup>ليس</sup> فيها من التخصيص غير صورة النزاع الا تخصيص واحد وهو ما قدمنا من انها مخصصة بما لم يذكر عليه اسم غير الله على القول الصحيح .

وقد تقرر في الاصول ان الاقل تخصيصا مقدم على الاكثر تخصيصا كما ان ما لم يدخله التخصيص اصلا مقدم على ما دخله وعلى هذا جمهور<sup>اور</sup> الاصوليين " اهـ .

وهو قول الجمهور مالك و احمد و ابو حنيفة و اسحق بن راهويه و الحسن البصري و ابن مالك و ابن ابي ليلى و ربيع بن ابي عبد الرحمن وهو محكى عن علي و ابن عباس و سعيد بن المسيب و عطاء و طاووس و صوبه ابن جرير رحمه الله .  
قال ابن كثير (٢) تعليقا على قول ابن جرير انه لا تعارض بين حل طعام أهل الكتاب وبين تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه : { وهذا الذي قاله صحيح ٦

ومن أطلق من السلف النسخ هاهنا فانما أراد التخصيص [ اهـ .  
قلت : وهو الذي يظهر لأن قوله تعالى : " ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه " تعم ذبيحة المسلم والكتابي فلا يتصور نسخها فحق الكتابي من دون المسلم الا ان يكون تخصيصا كما تقدم (٣) .

(١) أضواء البيان ج ١٠ / ٩٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ / ٢٧٣ الانعام / ١٢١ وانظر ابن جرير ٨٨ / ١٢ محمود

شاكر .

(٣) وان كان الاحناف يسمون التخصيص نسخا .

والحاصل أنه على الراى الراجح من عدم جواز اكل متروك التسمية عمدا (١) فان ذبيحة الكتابى مخصوصة بالجواز ولو تركها عمدا لعموم قول الله تعالى : " وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم " وانها مخصصة لعموم النهى فى قوله تعالى : " ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه "

...

---

(١) هناك فريق من العلماء قالوا لاتحل الذبيحة التى لم يسم الله عليها وان كان الذابح مسلما سواء سها او عمدا وهو مروى عن ابن عمير ونافع وعامر الشعبى ومحمد بن سيرين وهو رواية عن الامام مالك ورواية عن احمد بن حنبل نصرها طائفة من اصحابه المتقدمين والمتأخرين وهو اختيار ابى شور وداود الظاهري .  
انظر تفسير ابن كثير ج٢/ ٢٧٠ ، الانعام / ١٢١  
المغنى لابن قدامة ٥٦٥/٨  
بداية المجتهد ج ١/ ٤٨٨ .  
أحكا القران لابن العربى ج٢/ ٧٤٩-٧٥٠ .  
تفسير ابن جرير ج١٢/ ٨٥ ، محمود شاكر .



٢ - قوله تعالى : " ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمنن ولأمة مؤمنة خير من  
من مُشركة ولو أعجبتكم ... " البقرة / ٢٢١ .

هذه الآية تفيد النهي عن تزوج المشركات وظهارها العموم في جميع

المشركات سواء كن وثنيات أو مجوسيات أو كتابيات .

ويدل لذلك قوله تعالى: " ولاتمسكوا بعصم الكوافر " الممتحنة/١٠ .

وقد جاءت آية أخرى تدل على إباحة نكاح بعض الكافرات وهن

العفائف (١) من اهل الكتاب .

وهي قوله تعالى في سياق ما أحله لنا : " والمحصنات من المؤمنات

والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ... " المائدة / ٥ .

والجواب من وجهين :

الوجه الاول : ان آية " والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب "

مُخصّصة لقوله تعالى : " ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمنن " .

وقوله : " ولاتمسكوا بعصم الكوافر " لان آية " والمحصنات

من الذين أوتوا الكتاب " من سورة المائدة وهي من آخر ما نزل بخلاف الآيات

الآخري فان آية البقرة من أول ما نزل بالمدينة .

وآية الممتحنة نزلت عام الحديبية (٢) كما ان آية المائدة اخص مطلقا

فلذلك فانه يجوز نكاح الكتابيات العفائف لان النص خصهن بذلك ممن دون

سائر المشركات وهذا قول عامة العلماء (٣) .

---

(١) تفسير المحصنات بالعفائف : هو الظاهر من الآية كما قال ابن كثير .  
ويدل عليه قوله تعالى في الآية الأخرى: " محصنات غير مسافحات ولا متخذى

أخدان " (النساء / ٢٥) .

وقيل المحصنات : الحرائر دون الاماء . انظر تفسير ابن كثير ٣٢/٢ ،

المائدة / ٥ . وهو قول الامام مالك (الموطأ ج ٢/ ٥٤٠ تحقيق عبد الباقي) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج ٤/ ٥٤٨ الممتحنة / ١١

قال الرازي (٥٤/٦) وسورة المائدة ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهي

متأخرة بالاجماع .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٩١/١٤ ، ٢١٣/٣٥ ، تفسير ابن كثير ٣٢/٢ ،

المائدة / ٥ ، تفسير القرطبي ٦٧/٣ ، ابن جرير ٥٨١/٩ ، ٣٦٢/٤ محمود

شاکر ، روح المعاني ٦٦/٦ ، الرازي ٥٤/٥ ، ١٥١/١١ ، زاد المسير

٢٩٦/٢ ، احكام القرآن لابن العربي ٥٥٧/٢ ، ج ١٥٧/١ ، الدر المنثور

ونقل ابن كثير (١) عن ابن ابي حاتم بسنده عن ابن عباس قال :  
نزلت هذه الآية : " ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن " قال فحجز الناس  
عنهن حتى نزلت الآية التي بعدها " ولمحصات من الذين اوتوا الكتاب ممن  
قبلكم فنكح الناس نساء أهل الكتاب " .

قال ابن تيمية (٢) : " اذا قُدِّرَ أَنْ لفظ المشركات و " الكوافر "  
يعم الكتابيات فآية المائدة خاصة ، وهي متأخرة نزلت بعد سورة البقرة  
والممتحنة باتفاق العلماء كما في الحديث : " المائدة من اخر القران  
نزولا فاحلوا حلالها وحرّموا حرامها \* " والخاص المتأخر يقضي على العام  
المتقدم باتفاق علماء المسلمين ، لكن الجمهور يقولون : انه مفسر له فتبين  
ان صورة التخصيص لم تُرد باللفظ العام ، وطائفة يقولون إن ذلك نُسخ  
بعد أن سُرع (٣) .

قال ابن كثير : وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى ولم يروا  
بذلك بأسا أخذوا بهذه الآية الكريمة " والمحصات من الذين أوتوا  
الكتاب من قبلكم " فجعلوا هذه مخصصة للتي في سورة البقرة " ولاتنكحوا  
المشركات حتى يؤمن " ان قيل بدخول الكتابيات في عمومها " (٤) . . " اهـ .  
قال السيوطي في الاتقان (٥) : " ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن " قيل  
إنه نسخ بقوله تعالى : " والمحصات من الذين أوتوا الكتاب . . . " وانما  
هو مخصوص به (٦) .

- 
- (١) ج ٣٢/٢ المائدة/٥ وعزاه السيوطي للطبراني ايضا ، الدر المنثور ١/٦١٤ .
  - (٢) مجموع الفتاوى ٣٥/٢١٥ .
  - (٣) قلت : والذي يقول ان الخاص بعد العام نسخ هم الحنفية كما تقدم .  
وانظر روح المعاني للالوسي ج ٢/١١٨ .
  - (٤) قلت : يشير الى الوجه الاخر في تفسير الآية وسوف يأتي قريبا .
  - (٥) الاتقان في علوم القرآن ج ٢/٢٢ .
  - (\*) اخرجہ الحاكم في المستدرک ، کتاب التفسیر ، سورة المائدة  
ج ٢ / ٣١١ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي  
والحديث موقوف على ابن عمر وعائشة - رضي الله عنهم -

الوجه الثانى :

ان قوله تعالى : " ولاتنكحوا المشركات "

المقصود به اهل الاوثان والمجوس وغيرهم من المشركين ولا يدخل فيهم  
اهل الكتاب لانه اذا اطلق لفظ المشركين والمشركات فى القرآن لا يدخل  
فيه اهل الكتاب فعلى هذا يجوز نكاح الكتابيات لعدم دخولهن فى مطلق  
اللفظ . لان اللفظ عام اريد به الخصوص . فلا يدخل فيه نساء اهل الكتاب .

ورجح ذلك ابن جرير (١) واخرج (٢) عن قتادة : ان المراد بالمشركات  
مشركات العرب اللاتي ليس لهن كتاب يقرانه " وعن سعيد بن جبير قال:  
مشركات اهل الاوثان .

وعن حماد (٣) قال: سألت ابراهيم - النخعي - عن تزوج النصرانية  
واليهودية فقال لا بأس به فقلت أليس قد قال الله تعالى : " ولاتنكحوا  
المشركات " فقال : انما ذلك المجوسيات وأهل الاوثان "

قلت : وسبب عدم دخول الكتابيات فى قوله : " ولاتنكحوا المشركات "  
على هذا الوجه هو أن أهل الكتاب لا يدخلون فى الشرك المطلق فى القرآن،  
وانما يدخلون فى الشرك المقيد ، قال تعالى : " لم يكن الذين كفروا من  
اهل الكتاب والمشركين . . . الاية " فجعل المشركين قسما غير اهل الكتاب .  
وقال تعالى : " ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والمجوس  
والذين اشركوا " فجعلهم قسما غيرهم .

فأما دخولهم فى الشرك المقيد ففى قوله تعالى : " اتخذوا آحبارهم  
ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا

---

(١) تفسير ابن جرير ج٤/٣٦٤ ، الدر المنثور ١/٦١٥ .

(٢) ابن جرير ٤/٣٦٣ محمود شاكراً .

(٣) الدر المنثور ١/٦١٥ .

روح المعانى ٢/١١٧ .

الهاواحد لا اله الا هو سبحانه عما يشركون " فوصفهم بانهم مشركون وشركهم هذا باعتبار ما بدلوا وابتدعوا لا باعتبار اصل دينهم فلا يدخلون فى مطلق لفظ المشركين . " ، قال ابن العربي (١) :  
ان حملنا اللفظ على الحقيقة فهو عام خصته سورة النساء ولم تنسخه ، وان حملناه على العرف فالعرف انما ينطلق فيه لفظ المشركين على من ليس له كتاب من المجوس والوثنيين من العرب وقد قال الله تعالى " ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن يُنزل عليكم من خير من ربكم " وقال " لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين " فلفظ الكفر يعمهم ويخصهم ذلك التقسيم . (٥) اهـ

قال ابن تيمية (٢) رحمه الله: (وسبب هذا اى عدم دخول اهل الكتاب فى مطلق لفظ الشرك - ان اصل دينهم الذى انزل الله به الكتاب وارسل به الرسل ليس فيه شرك كما قال تعالى : " وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون " .

وقال تعالى : " واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا ممن دون الرحمن الهة يعبدون ، ، ولكنهم بدلوا وغيروا فابتدعوا ممن الشرك ما لم ينزل به الله سلطانا فصار فيهم شرك باعتبار ما ابتدعوا لا باعتبار أصل الدين . (٥)

وقال فى موضع آخر (٣) : وحين ميزهم عن المشركين فلأن أصل دينهم اتباع الكتب المنزلة التى جاءت بالتوحيد فاذا قيل اهل الكتاب لم يكونوا من هذه الجهة مشركين ، فان الكتاب الذى أضيفوا اليه لا شرك فيه كما اذا قيل

(١) احكام القرآن : ج١ / ١٥٢

(٢) الفتاوى ج٣ / ٢١٣ - ٢١٤ ، وانظر: القرطبي : ج٣ / ٦٧ ، روح المعاني : ١١٢ / ٣

(٣) نفس المصدر ج١٤ / ٩١

المسلمون وايدة محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن فيهم من هذه الجهــــــــــــــــة  
لا اتحاد ولا رفض ولا تكذيب . بالقدر ولا غير ذلك من البدع وان كان بعض  
الداخلين فى الامة قد ابتدع هذه البدع لكن امة محمد صلى الله عليه وسلم  
لا تتجمع على ضلال فلا يزال فيها من هو متبع لشريعة التوحيد بخلاف أهل  
الكتاب ، ولم يخبر الله عز وجل عن اهل الكتاب انهم مشركون بالاســــــــــــــــم  
بل قال " عما يشركون " بالفعل .

وآية البقرة قال فيها " المشركين والمشركات بالاســــــــــــــــم " والاســــــــــــــــم اوكد  
من الفعل (٠) اهـ

قلت : وقوله تعالى : " ولا تمسكوا بعصم الكوافر "

فان المراد به الكوافر اللاتى كن فى عصم المسلمين وهن الكافرات  
الوثنيات من اهل مكة ونحوها كما يشير اليه سبب النزول (١)  
فلا يدخل فيها الكتابيات وعلى فرض عمومه فانه مخصوص بآية المائدة  
كما تقدم فى الوجه الأول .

واتماما للفائدة فى حكم تزوج الكتابيات فان ابرعيا رضي الله  
عنه قد استثنى الحربيات منهن اى الكتابيات اللواتى لسن من اهل الذمة  
فقال انه يحرم التزوج بهن لقوله تعالى :  
" لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله  
... " المجادلة / ٢٢ . والنكاح يوجب الود .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج٤/٥٤٨ - ٥٤٩ - الممتحنة / ١٠ - الدر المنثور  
١٣٢/٨ حيث اخرج البخارى فى صحيحه كتاب التفسير - سورة الممتحنة  
ج٦/٦١ عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية - جاء نساء  
مؤمنات فأنزل الله : " يا أيها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات  
مهاجرات " حتى بلغ " ولا تمسكوا بعصم الكوافر " فطلق عمر يومئذ  
امراتين كانتا له فى الشرك .

\* ( ) ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم  
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ( من ٠٠٠٠ ) - البقرة / ٢٢١ -

ولقوله تعالى : "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" -  
فمن اعطى الجزية حل ومن لم يعط لم يحل . (١)

قلت: والذي يظهر لى وجاهة قول ابن عباس لما استدل به من آيات فالذى يظهر انه لا يجوز نكاح الحربية من اهل الكتاب مادام قومها فى حالة حرب مع المسلمين حتى لا تحصل المودة المنهى عنها فى نص الكتاب . كما ان مثل هذا الزواج قد يكون نفذا لاهل الحرب للتعسس على المسلمين ومعرفة اسرارهم ونحو ذلك . والله أعلم .

وأخرج البخارى عن نافع مولى ابن عمر ان ابن عمر رضى الله عنهما (٢) كان اذا سئل عن نكاح الرجل النصرانية او اليهودية قال ان الله حرم المشركات على المؤمنين ولا اعلم من الاشرار شيئا اكثر من ان تقول المرأة ربها عيسو هو عبد من عباد الله .

قلت: ومعلوم حسب ما تقدم ان قول عامة العلماء على خلاف قول ابن عمر رضى الله عنهما (٣) .

...

- 
- (١) ابن جرير ج٩/٥٨٨ تحقيق محمود شاکر . زاد المسير ج٢/٢٩٧ ، تفسير  
الماوردى ٤٤٩/١ الرازى ١٥١/١١ ، روح المعانى ٦٦/٦ ، احكام  
القران لابن العربى ٥٥٦/٢ .  
(٢) صحيح البخارى فى الطلاق باب قول الله تعالى : " ولاتنكحوا المشركات  
حتى يؤمنن " ج٦/١٧٢ .  
(٣) انظر ما نقله الحافظ ابن حجر من اقوال العلماء حول هذا الموضوع  
فى فتح البارى ج٩/٣٦٧-٣٦٨ .  
وانظر : تفسير الرازى ٥٨/٦ .

(٣) قوله تعالى : " فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث وربوا  
فان خفتن الا تعدلوا فواحدة . . . . . " الآية ( النساء / ٣ ) .

هذه الآية تدل على امكانية العدل من الرجل تجاه زوجته اذا كان  
عنده اكثر من زوجة لقوله في الآية : " فان خفتن الا تعدلوا . . . . . " مما يدل  
ان العدل هو الاصل فاذا ظن الرجل عدم القدرة على ذلك لسبب من الاسباب  
فالواجب عليه ان يقتصر على واحدة .

وقد جاءت آية اخرى يفهم من ظاهرها عدم امكانية العدل وهي قوله  
تعالى : " ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا  
كل الميل فتذروها كالمعلقة " ( النساء / ١٢٩ ) .  
فقد يتوهم ان بينهما اختلافا . . . . .

والحواب: ان ما أثبتته الآية الأولى من إمكان العدل هو العدل  
المادى فرتوفية الحقوق الشرعية من القسّم والنفقة والمعاملة لان ذلك  
بامكان كل احد ولايجوز فيه الا ظالم او جاهل .

وما نفته الآية الثانية هو العدل القلبي أى المساواة فى المحبة والجماع  
والميل الطبيعى حيث ان مشاعر القلوب وأحاسيس النفوس خارج عن ارادة الانسان  
فلا يطالب بالعدل به احد من بنى الانسان .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة الانام وسيد الاتقياء كان  
يعدل بين نساءه فى القسّم والنفقة وحسن العشرة لكنه كان يجد نفسه تميل  
الى عائشة ويحبها اكثر من غيرها ويقول: " اللهم هذا قسّمى فيما أملك  
فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك " (١) . يعنى القلب ذلك ان القلوب ليست

---

(١) اخرجه احمد ج ٢/ ٣٤٧٠ والترمذى / فى النكاح باب ما جاء فى التسوية  
بين الضرائر رقم ٤٤٦/٣ و١١٤٠ والنسائى فى عشرة النساء باب ميل الرجل  
الى بعض نساءه ٦٤/٧ وابوداود رقم ٢١٣٤ فى النكاح باب فى القسّم بين  
النساء واللفظ له قال ابن كثير : واسناده صحيح . وابن ماجه  
فى النكاح باب القسمة بين النساء ج ١/ ٦٣٣ تحقيق عبد الباقي -  
النساء (٢٩) .

ملكا لاصحابها انما هي بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء (١)

هذا وان العدل بين الزوجتين في المبيت والنفقة وحسن العشرة ونحو ذلك واجب باتفاق المسلمين . وقد أخرج أصحاب السنن (٢) عن ابي هريرة مرفوعا : " من كان له امرأتان يميل لاحدهما على الاخرى جاء يوم القيامة أحد شقيه مائل " (٣) اي يجيء يوم القيامة غير مستوي الطرفين بالنظر الى المرأتين اللتين كان يرجح إحداهن كـ فالجزء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحدا .

٤ - قوله تعالى : " ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ..... " الآية البقرة / ٢٢٩ .

وقوله تعالى : " وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا كـ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا " ( النساء / ٢٠-٢١ ) .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج١/٥٨٧ ، النساء / ٢٩ ، البرهان للزركشي ٥٨/٢ ، القرطبي ٤٠٧/٥ ، مجموع الفتاوى ٢٦٩/٣٢ ، احكام القران لابن العربي ٥٠٤/١ روح المعاني ١٦٢/٥ ، في ظلال القران ج١/٥٨٢ ، ابن جريـر ٢٨٥/٩ ، الدر المنثور ٧١٢/٢ .

(٢) أبوداود رقم ٢١٣٣ في النكاح باب التسويبين بين النساء ، والترمذي ١١٤١/١ في النكاح باب ما جاء في التسوية بين الضرائر ، والنسائي في عشرة النساء باب ميل الرجل الى بعض نساائه ج٧/٦٣ ، والفظ له . وهو حديث صحيح . انظر جامع الاصول ج١١/٥١٣ تحقيق الارناؤوط .



هاتان الايتان قد يُتوهم أن بينهما تعارضاً (١) لانه فى الآية الأولى  
أباح للزوج أن يياخذ من مهر الزوجة التى تريد الخلع لسبب من الاسباب  
كخوفها ان لا تستطيع اقامة حدود الله فى البيت بطاعة زوجها ورعايته  
لقوله فى الآية " فان خفتم الا يقيموا حدود الله فلا جناح عليهما فيما  
افتدت به ..... الآية " .

وأما الآية الثانية فظاهرها تحريم أخذ شيء من المهر المقدم للزوجة  
عند إرادته طلاقها المعبر عنه فى الآية بالاستبدال .

والجواب ظاهر : وهو أن آية البقرة تتحدث عن الخلع الناشئ بسبب  
رغبة الزوجة التى تخاف عدم القدرة على اقامة حدود الله بطاعة زوجها  
وإدائه حقوقه بسبب بغضها له فهنا أباح لها الشارع ان تفتدى ببعض المهر  
أو كله حتى يطلقها الزوج .

كما يدل على ذلك سبب نزول الآية : حيث روى البخارى (٢) وغيره  
عن ابن عباس رضي الله عنهما : " ان امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى  
الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ، ثابت بن قيسما أعيب عليه فـي  
خلقه ولادينه ولكنى أكره الكفر فى الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم - أتردين عليه حديقته ؟ قالت: نعم ، فقال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة " .

---

(١) ومما يدل على حصول هذا التوهم انه قد روى عن بكر بن عبد الله المزني  
ان آية النساء ناسخة لآية البقرة . وقال ابن زيد وغيره آية البقرة  
ناسخة لآية النساء . تفسير الطبرى ج٤/٣١٦ ، ٣١٧ ،  
ابن كثير ٤٠٩/١ ، بقرة ٢٢٩/ ، القرطبي ١٠١/٥ ، اللوسى ٢٤٣/٤ .  
(٢) صحيح البخارى كتاب الطلاق باب الخلع وكيف الطلاق فيه ج١٧٠/٦ والنسائي  
ج١٦٨/٦ فى الطلاق: باب ما جاء فى الخلع رقم ٣٤٦١ .

قال الحافظ ابن حجر (١) : " وفي الحديث من الفوائد - غير ماتقدم - ان الشقاق اذا حصل من قبل المرأة فقط جاز الخلع والفدية ولا يتقيى ذلك بوجوده منهما جميعا وان ذلك يشرع اذا كرهت المرأة عشرة الرجل ولم يكرهها ولم ير منها ما يقتضى فراقها ٠٠٠٠ " اهـ .

قلت : فظاهر من ذلك ان اخذ الرجل شيئا من المهر او كله كفدية من المرأة حتى يخلعها امر جائز لانه عن طيب نفس من المرأة وهذا يشمل عموم قوله تعالى :

"وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ، فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ٠٠ النساء / ٤ .

وهناك حالة اخرى يحل فيها للزوج اخذ شيء من المهر وهي فيمما اذا كانت المرأة ناشزا أو أتت بفاحشة وأراد الزوج فراقها فهنا يشرع له ان يعقلها بمعنى ان يُضاجرها ويُضيق عليها حتى تطلب منه الطلاق او المخالعة مقابل أن تسامحه ببعض ما فرض لها من المهر وهو معنى قوله تعالى (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة ) - النساء / ١٩ -

أما الآية الثانية فانها حرمت أخذ شيء من المهر المدفوع للزوجة عندما يكون هناك طلاق من قبل الزوج لاي سبب من الاسباب حيث قال: " وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج " يعني أردتم الطلاق واستبدالها بغيرها فلا تأخذوا من صدق المطلقة شيئا ولو كان قنطارا من مال اي مهما بلغت كثرة الصداق ، فهنا حرمت الشارع أخذ شيء من المهر لانه من حق الزوجة فيكون أخذه بدون حق ظلما وبهتاناً .

(١) فتح الباري ج٩/٣٩٢ .

(٢) انظر : ابن كثير ٤٠٨/١-٤٠٩ ، البقرة / ٢٢٩ ، زاد المسير ٢٦٤/١ ،

الرازي ١٤/١ ، روح المعاني ج٤ / ٦١٩

ولهذا قال في الآية منكرًا: " وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض " والافضاء كناية عن الجماع أو الخلوة (١)  
أي كيف تأخذون من صداقهن وقد استبتحتن فروجهن واستمتعتم بهن (٢) .

والحاصل : أن آية البقرة تتحدث عن اخذ الرجل شيئًا من المهر أو كله عند ارادة الزوجة الخلع فهذا حلال .

وآية النساء تتحدث عن اخذ الرجل شيئًا من المهر أو كله عن اراد الزوج الطلاق بدون ان يكون هناك سبب من المرأة كنشوز ونحوه فلاتعارض بين الآيتين . والله الموفق .

...

- 
- (١) تفسير الافضاء : بالخلوة الصحيحة وان لم يجامع هو اختيار الفراء ( معانى القران ٢٥٩/١ ) وبه قال ابوحنيفة ( روح المعانى ٢٤٣/٤ ) والجمهور على انه الجماع .
- (٢) ابن كثير ٧٠٤/١ ، النساء : ٢٠ ، الرازى ١٤/١٠ ، روح المعانى ٢٤٣/٤ ، القرطبي ١٠١/٥ .

٥ - قوله تعالى :

" الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله وممن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون " ( البقرة / ٢٧٥ ) .

وقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلکم رؤوس اموالکم لاتظلمون ولاتظلمون " ( البقرة ٢٧٨-٢٧٩ ) .

هاتان الايتين تدلان على ان الله قد حرم الربا تحريما قاطعا قليله وكثيره لقوله : " واحل الله البيع وحرم الربا " .  
وقوله " وذروا ما بقى من الربا " .  
فلم يستثن شيئا من الربا ويؤكد ذلك قوله بعدها " وان تبتم فلکم رؤوس اموالکم " ( البقرة ٢٧٥ ) .

فأخذ الزيادة على رأس المال ولو كان درهما واحدا يعتبر من الربا المحرم .

وقد جاءت آية اخرى قد يتوهم منها عدم تحريم القدر الضئيل من الربا وهي قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلکم تفلحون " ( العمران - ١٣٠ ) .

فقوله أضعافا مضاعفة " قد يتوهم منه جواز أكل الربا اذا لم يكن أضعافا مضاعفة وهو ما كان مقدارا قليلا فوق رأس المال .

والجواب :

ان قوله تعالى : " لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ..... " نهى لما كان أهل الجاهلية يفعلونه فهو وصف لواقع وليس شرطا يتعلق به الحكم ، فجاء النهى لنوع من أنواع الربا وهو أسوأها وأفحشها توبيخا لهم

على ما كانوا يفعلون وإبرازا لفعلم السوء وتشهيراً به ٤

روى الامام مالك فى الموطأ (١) عن زيد بن اسلم (٢) انه قال :

" كان الربا فى الجاهلية ان يكون للرجل على الرجل الحق الى أجل فاذا حلّ الأجل قال: أتقضي أم تُربى ؟ فان قضا اخذه والا زاده فى حقه واخـر عنه الاجل " اهـ .

فهذا الأثر يبين معنى الآية وأن قوله " اضعافاً مضاعفة "

حال لمراعاة الواقع وليس لتقييد المنهى عنه ليكون اصل الربا غير منهى عنه (٣) .

أخرج مسلم (٤) عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس فى عرفات وقال: "ربا الجاهلية موزونٌ وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله .

وزاد ابوداود (٥) فى روايته : " لكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون " .

فهذا الرسول صلى الله عليه وسلم يبين ان الربا كله موضوع قليله وكثيره وان للناس رؤوس اموالها فقط .

- 
- (١) موطأ مالك - تحقيق عبد الباقي - ج٢/٦٧٢ كتاب البيوع ، باب ما جاء فى الربا فى الدين ونقله السيوطى عن مجاهد وعطاء وعزاه للفريابي ( لباب النقول فى اسباب النزول ص ٥٨ ) وانظر جامع الاصول لابن الاثير ج١/٥٧٣ تحقيق الارناؤوط .
- (٢) زيد بن اسلم تابعي جليل مدنى ثقة عالم ، وكان يرسل ، من الثالثة ، ت ٣٦ هـ روى لسالسة ، ويروي عن أبيه أسلم العدوي مولى عمر بن الخطاب ، تقريب التهذيب ص ٢٢٢ ، تحقيق الشيخ محمد عوامة .
- (٣) تفسير ابن كثير ج١/٦٠٤ ، زاد المسير ٤٥٨/١ ، الرازى ٢/٩ ، روح المعانى ٥٥/٤ ، فى ظلال القرآن ج١/٤٧٣ .
- (٤) مسلم فى كتاب الحج باب حجة النبى صلى الله عليه وسلم ( شرح النووى ١٧٢/٨ ) .
- (٥) ابوداود فى سننه ج٢/٦٦٨ كتاب البيوع باب فى وضع الربا .

قال الشيخ احمد شاکر رحمه الله (١) تعليقا على هذه الاية :

" والمتلاعبون بالدين اهل عصرنا ، وأولياؤهم من عابدى التشريع  
الوشى الاجنبى بل التشريع اليهودى فى الربا يلعبون بالقران ويزعمون  
ان هذه الاية تدل على أن الربا المحرم هو الاضعاف المضاعفة ليجزوا ما بقى  
من أنواع الربا على ماترضى اهوأؤهم واهوآء سادتهم ويتركوا الاية الصريحة :  
" وإن تبتم فلکم رؤوس أموالکم لاتظلمون ولا تظلمون " فكانوا فى تلاعبهم  
بتأول هذه الاية اسوأ حالا ممن يتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء  
تاويله " .

وقال الشيخ محمود شلتون رحمه الله (٢) : " بقى علينا أن ننبه فى  
هذا الشأن لامر خطير ، هو أن بعض الباحثين المولعين بتصحيح التصرفات  
الحديثة وتخريجها على أساس فقهى اسلامى ، ليعرفوا بالتجديد ، وعمق التفكير ،  
يحاولون أن يجدوا تخريجا للمعاملات الربوية التى يقع التعامل بها فى  
المصارف او صناديق التوفير او السندات الحكومية او نحوها ويلتمسون  
السبل الى ذلك ، فمنهم من يزعم أن القرآن انما حرم الربا الفاحش بدليل  
قوله : " اضعافا مضاعفة فهذا قيد فى التحريم لابد ان يكون له فائدة  
والا كان الاتيان به عبثا تعالى الله عن ذلك ، وما فائدته فى زعمهم  
الا أن يؤخذ بمفهومه وهو اباحة ما لم يكن اضعافا مضاعفة من الربا .

وهذا قول باطل ، فان الله سبحانه وتعالى اتى بقوله : ( اضعافا  
مضاعفة ) توبيخا لهم على ما كانوا يفعلون وابرزا لفعالهم السئ وتشهيرا  
به وقد جاء مثل هذا الاسلوب فى قوله تعالى : " ولاتكروها فتياتکم على البغاء  
إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا " (النور/٣٣) فليس الغرض

(١) عمدة التفسير ج٣/٣٨ ، نقلا عن حاشية زاد السير ج١/٤٥٨ .

(٢) فى كتاب تفسير القرآن الكريم ص ١٥٠ .

أن يحرم عليهم اكره الفتيات على البغاء فى حالة ارادتهن التحصن وان يبيحه  
لهن اذا لم يردن التحصن ولكنه يبشع مايفعلونه ويشهره ، ويقول لهم :  
لقد بلغ بكم الامر انكم تكرهون فتياتكم على البغاء وهن يردن التحصن  
وهذا افظع ما يصل اليه مولى مع مولاته فكذلك الأمر فى آية الربا يقول لهم  
الله : لقد بلغ بكم الأمر فى استحلال أكل الربا أنكم تأكلونه أضعافاً مضاعفة فلا  
تفعلوا ذلك . وقد جاء النهي فى غير هذه المواضع مطلقاً صريحاً ووعد الله  
بمحق الربا قُلَّ او كثر ولعن آكله وموكله وكاتبه وشاهديه كما جاء  
فى الآشار (١) .

وآذن من لم يدعه بحرب الله وحرب رسوله واعتبره من الظلم الممقوت  
وكل ذلك ذكر فى الربا على الاطلاق دون تقييد بقليل او كثير . . . وخلصت  
القول ان كل محاولة يراد بها اباحة ما حرم الله ، او تبرير ارتكابه  
باى نوع من أنواع التبرير بدافع المجازاة للاوضاع الحديثة او الغربية  
والانخلاع عن الشخصية الاسلامية انما هى جرأة على الله تعالى وقول عليه بغير  
علم وضعف الدين وتزلزل فى اليقين " اه .

قلت : ومقاله الشيخان فى غاية الوضوح لمن تدبره واضيف :

ان اكل الربا اضعافاً مضاعفة هو واقع المعاملات المصرفية وغيره  
والتي تتعامل بالربا حيث انهم يزيدون المقترضين فى الاجل مقابل الزيادة  
فى الربا وهكذا حتى يستوفون منهم اضعاف راس المال وهذا امر مشاهد  
لملموس ويسمونه الربح المركب واغلب المعاملات قائمة عليه . وقد اشار الى ذلك

---

(١) حديث : " لعن الله اكل الربا موكله وكاتبه وشاهديه وقالهم سوا " .  
اخرجه مسلم فى المساقاة باب الربا واللفظ له ( شرح النووى ج ١١ / ٢٦ )  
واحمد ٣٠٤ / ٣ والبيهقى ٢٧٥ / ٥ عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه مرفوعاً  
وابوداود فى كتاب البيوع / باب فى وضع الربا ج ٣ / ٦٦٨ والترمذى ٥١٢ / ٣  
فى البيوع / باب ما جاء فى اكل الربا وقال حسن صحيح عن عبد الله بن  
مسعود رضى الله عنه مرفوعاً .

الشهيد سيد قطب رحمه الله فقال (١) بعد كلام : " انه فى الحقيقة ليس وصفا تاريخيا فقط للعمليات الربوية التى كانت واقعة فى الجزيرة والتى قصد اليها النهى هنا بالذات ، انما هو وصف ملازم للنظام الربوى المقيت ايا كان سعر الفائدة .

ان النظام الربوى معناه اقامة دورة المال كلها على هذه القاعة ومعنى هذا ان العمليات الربوية ليست عمليات مفردة ولا بسيطة ، فهى عمليات متكررة من ناحية ومركبة من ناحية اخرى ، فهى تنشأ من الرضى والتكرار والتركيب اضعافا مضاعفة بلا جدال ..... " اه .

قلت: والحاصل ان قوله تعالى : " واحل الله البيع وحرم الربا " .

وقوله تعالى : " وذروا ما بقى من الربا " .

وقوله " فان تبتم فلکم رؤوس اموالکم " .

والتي فيها تحريم كل زيادة على راس المال المستقرض مهما كانت بسيطة وان التوبة لا تحصل الا بالاكْتفاء براس المال لا يتنافى مع قوله تعالى : " لاتاكلوا الربا اضعافا مضاعفة " لانها جاءت لبيان واقع الجاهلية وحالهم فى التعامل بالربا من أجل التشنيع عليهم وإبراز سوء فعلهم القائم على الجشع والاثرة وان هذا الوصف وان كان المراد به ماتقدم الا انه وصف ملازم للنظام الربوى لانه نظام قائم على الجشع والاستغلال وتكديس رؤوس الأموال .

وسبق أن مر بنا فى امثلة اسباب ايها الاختلاف فى الباب الاول بعض

ما يختص بهذا الفصل مما يغنى عن اعادة ذكره هنا واكتفى بذكر الآيات مع

الإحالة على . أمكنه وجودها .

---

(١) فى ظلال القرآن ج١/٤٧٣ .



٦- قوله تعالى : " وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف " ( النساء/٢٣ )  
مع قوله تعالى : " والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم  
او ما ملكت ايماهم فانهم غير ملومين..... " المؤمنون / ٦ .

تقدم هذا المثال فى السبب الثامن من اسباب ايهام الاختلاف وهو  
تعارض العموميين ومحل توهم التعارض كما تقدم هو : فى الجمع بين  
الاختين فى ملك اليمين (١) .

٧- قوله تعالى : " والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ..... "  
( البقرة / ٢٢٨ ) وهذا فى عموم المطلقات .

مع قوله تعالى : " واللائى يئسن من نساكنم ان ارتبتم فعدتهن  
ثلاثة اشهر واللائى لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ..... "  
( البلاق / ٤ ) فهذه الاية اثبتا حكما مغايرا لحكم الاية الاولى بالنسبة  
لبعض المطلقات .

وتقدم هذا المثال فى للسبب الثانى من اسباب ايهام الاختلاف وهو العموم  
والتخصيص (٢) .

٨- قوله تعالى : " كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا  
الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين " ( البقرة / ١٨٠ ) مع  
ايات المواريث التي اعطت كل ذى حقه ومنهم الوالدين .

كما قال تعالى : " يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين  
فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك وان كانت واحدة فلها النصف  
ولا بويه لكلواحدة منهما السدس مما ترك ان كان له ولد..... الايات  
( من ١٠-١٤ سورة النساء ) .

(١) راجع ص ١٤٢

(٢) راجع ص ١١٦

وتقدم هذا المثال في السبب الاول من اسباب الاختلاف وهو النسخ (١) .

٤ - قوله تعالى : " الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف " ( البقرة / ٢٣٤ ) .

مع قوله تعالى : " والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف " ( البقرة / ٢٤٠ ) .

الاية الاولى اوجبت على المتوفى عنها زوجها ان تعتد اربعة اشهر وعشرا .

والاية الثانية اوجبت عليها ان تعتد حولا كاملا .

وقد تقدم هذا المثال في الباب الاول في فصل موقف الباحث عن التعارض والاختلاف الظاهري في النصوص (٢) .

...

---

(١) راجع ص ١٤٩

(٢) راجع ص : ١٤٧

## الفصل الثامن :

### موهم الاختلاف فى الآيات الكونية

والمراد بالآيات الكونية ما جاء فى القرآن الكريم من آيات تدل على قدرة الله وابداعه فى خلق السموات والارض والنجوم والمشارق والمغارب وخلق الانسان وما اودعه الله تعالى من اسرار ومظاهر اتقان وصنع تدل على العليم الخبير "الذى احسن كل شئ خلقه وبدا خلق الانسان من طين"

وقد سبق فى الباب الاول عند تفسير قوله تعالى : " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " ( النساء / ٨٢ ) .

فى الوجه الرابع من اوجه سلامة القرآن من الاختلاف (١) سبق بيان ان كل ما اخبر الله عنه من مظاهر هذا الكون ومشاهده وتفصيلاته نجده كما اخبر الله عنه بدون اختلاف وان الآيات القرآنية والآيات الكونية فى غاية الانسجام وذلك لان الكون هو آيات الله المنظورة والقرآن هو آياته المسطورة فالقرآن كلام الله العليم الحكيم والكون خلق الله الخبير .

فلا جرم ارشدنا الله الى النظر فى مظاهر هذا الكون فى قوله

" قل انظروا ماذا فى السموات والارض " ( يونس / ١٠١ ) .

وقال : " سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق " ( فصلت / ٥٣ ) .

وسبق ان ذكرنا مثلا لبيان عدم الاختلاف بين قوله تعالى : " يكور الليل على النهار ويكور النهار رعلى الليل " ( الزمر / ٥ ) . والتي تشيى الى كروية الارض صراحة .

وبين قوله تعالى : " وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وانهارا " ( الرعد / ٤٨ ) .

وقوله تعالى : " والارض فرشناها فنعم الماهدون " ( الذاريات / ٤٨ ) .

وقد بسط القول فى ذلك فى موضعه فليراجع (٢) .

واذكر هنا بقية الآيات الكونية التى قد يتوهم فيها الاختلاف .

(١) انظر ص ٦٩

(٢) فى الباب الاول : ص ٧١

اولا: قوله تعالى: " رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا "

( المزمّل / ٩ )

وقوله : " رب المشرقين ورب المغربين ، فبأى آلاء ربكما تكذبان "

( الرحمن / ١٧ )

وقوله : " فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون " .

( المعارج / ٤٠ ) .

أفرد مرة ذكر المشرق والمغرب وشناهما مرة ثانية ، وجمع مرة ثالثة ،  
وبما أن المعروف ان هناك شرق واحد وغرب واحد فقد يتوهم الاختلاف بين هذه  
الآيات لمن لا يعرف المراد بلفظ المشرقين أو المشارق .

ولدفع ما قد يتوهم من ذلك نقول :

إنّ القرآن نزل على المعهود من أساليب كلام العرب وفنونه ومنهـ  
الاجمال والتفصيل ، والذكر والحثق ، والجمع والتثنية ، والافراد باعتبارات  
مختلفة تناسب المعنى والسياق والغرض .

فأفرد واجمل فى المزمّل فى قوله : " رب المشرق والمغرب " .

وأراد مشرق الشمس ومغربها بشكل عام على الكرة الأرضية ، فهناك جهة  
تشرق منها الشمس وجهة مقابلة تغيب منها سواء كان صيفا او شتاء ، وقال  
الامام احمد ابن حنبل (١) :

( اما قوله : " رب المشرق والمغرب " ، فهذا اليوم الذى يستوى فيه  
الليل والنهار ، اقسم الله بمشرقه ومغربه ، اهـ .  
قلت: وعند استواء الليل والنهار (٢) تخرج الشمس من منتصف جهـ  
الشرق وتغرب فى منتصف جهة الغرب فهذه اشارة الى الجهة اجمالا .

---

(١) الرد على الزنادقة : ١٠ .

(٢) يستوى الليل والنهار فى ١٢ اذار و ٢١ ايلول

كل ستة اشهر .

وثنى وفصل فى سورة الرحمن بقوله : " رب المشرقين ورب المغربين "   
لانه اراد فيه مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما .   
اذ انه من المعلوم ان جهة الشرق لاتخرج منها الشمس من مكان واحد   
بل تخرج كل يوم من نقطة وتنتقل كل يوم فى شروقها حتى تبلغ اقصى جهة   
الشرق فادنى الشرق واقصاه سماه مشرقين .   
ويقابلهما كذلك المغربين .   
فالشمس تشرق من نقطتين نقطة نلاحظها فى الصيف ونقطة نلاحظها بعيـداً   
عنها فى الشتاء وكذلك الغروب .   
حيث إن الشمس تتعامد على مدار السرطان (١) فى نصف الكرة الشمالى صيفا   
وتتعامد على مدار الجدى (٢) فى نصف الكرة جنوباً فى الشتاء فالشمس تنتقل   
بين المدارين صيفا وشتاء فى شروقها وغروبها فأصبح لها مشرقين متباعدين   
فى جهة واحدة ،   
وكذلك مغربين متباعدين فى جهة واحدة من الارض ،   
هما أقصى مطلع تطلع منه الشمس فى الايام الطوال وأقصر يوم فى الايام   
القصار .   
أما المشارق والمغارب فهو مشارق السنة ومغاربها ،   
فالشمس اثناء تنقلها بين المدارين تمر بنقاط متسلسلة عديدة . ولاتمـر   
قفزا فكل نقطة اثناء التنقل بين المدارين فى الذهاب والاياب تعتبر مشرقا   
يقابلها مغرب وبذلك تكون مشارق يقابلها مغارب .   
ومشارق الشمس بعدد ايام السنة اذ انها تشرق كل يوم من مكان من جهة   
الشرق وتغرب فى مكان من جهة الغرب (٣)

- 
- (١) يقع فى نصف الكرة الشمالى على بعد ٢٣ درجة عرض شمالا .   
(٢) يقع فى منتصف الكرة الجنوبى على بعد ٢٣ درجة عرض جنوبا .   
(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٤٥/٤٢٣ ، الرحمن/١٧ ، الرازى ٢٦/١٠٠ ، روح المعانى   
٢٧/١٠٥/٢٣/٦٧ ، فتح الرحمن ٤٧٦ ، تنزيه القران عن المطاعن /٤٣٥ ، الرد   
على الزنادقة / ص ١٠ ، الاسلام فى قفص الاتهام / شوقى ضيف / ص ٤٥ .

قال القرطبي (١) : قال ابن عباس : للشمس كل يوم مشرق ومغرب وذلك أن الله تعالى خلق للشمس ثلاثمائة وخمسة وستين كوة في مطلعها ومثلها في مغربها على عدد أيام السنة الشمسية ، تطلع كل يوم في كوة منها ، وتغيب في كوة لا تطلع في تلك الكوة إلا في ذلك اليوم من العام المقبل ، " اهـ .

ونختم بكلام زكريا الانصاري عن سبب مجيء كل آية في موضعها حيث قال (٢) :  
" ... ومافى الرحمن بالتثنية موافقة للتثنية في " يسجدان " وفي " فبأي آلاء ربكما تكذبان " وبذكر المتقابلين موافقة لبسط انعاماته وصفاته ، ثم ، ومافى المعارج بالجمع موافقة للجمع قبله وبعده ، وبذكر المتقابلين موافقة لما قبله من أفراد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم - وما بعده من أفراد ذكر الله تعالى وبذكر المتقابلين موافقة للحصر في قوله " لا اله الا هو " ولبسط أوامر الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - " اهـ .

...

---

(١) القرطبي ١٥/٦٣

(٢) فتح الرحمن / ٤٧٦ .

٢ - قوله تعالى : " فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون  
عظيم " ( الواقعة / ٧٥-٧٦ )

هذه الآية تبين لنا عظمة مواقع النجوم وذلك يدل على عظم النجوم  
نفسها وكبر حجمها .

ويقول علماء الفلك : إن أصغر نجم في الكون هو أكبر من حجم الأرض التي  
نعيش عليها وانما نراها صغيرة للمسافات الشاسعة التي تفصلنا عنها (١) .

وقد جاء في آية أخرى ما قد يتوهم ان النجوم والكواكب صغيرة وهو قوله  
تعالى : " ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين " .  
( الملك / ٤ ) .

والضمير في قوله " وجعلناها ... " عائد على المصابيح التي هي النجوم  
وجعلها رجوما للشياطين قد يتوهم أنها بحجم الحجارة او الشهب (٢) .

والجواب ان الضمير في قوله : " وجعلناها " عائد على جنس المصابيح  
لا على عينها لانه لا يرمى بالكواكب التي في السماء والتي هي زينة للناظرين  
بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها (٣)

---

(١) وجوه من الاعجاز القرآني / مصطفى الدباغ / ص ١٤٤ ، المسلمون وعلم  
الفلك ٨٣ - ٨٧ ، ٩٧ ، وانظر اسرار الكون / النهاينك ٢١-٢٢ ، ٩٤-٩٥ ،  
والانسان في الكون بين القران والعلم د. عبد العليم خضر ص ١٤١-١٤٥ .

(٢) وقد توهم ذلك جهلا أو أوهم بعض النصارى الذين يبشون المطاعن ضد  
القران الكريم للصد عن الاسلام والقرآن لاتاحة المجال للتنصير . انظر  
كتاب رد مفتريات على الاسلام د. عبد الجليل شلبي . طبع دار القلم -  
الكويت / ط ١ ، ص ١٣١ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ / ٦١٩ / الملك / ٥٠ .

وقد ذكر القرآن طبيعة هذه الشهب فرعدة آيات من القرآن منها قوله تعالى " ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين ، وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين " (الحجر/١٨) .

وقال : " فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا " ( الجن/٩) .

وقال: " الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب " ( الصافات/١٠) .

فنلاحظ من خلال هذه الايات ان الذى يتبع الشيطان انما هو الشهاب (١) وليس النجم او الكوكب والايات انما تفسر بعضها . فالنجوم والكواكب انما هي مصدر لهذه الشهب والنيازك التي ترمى بها الشياطين ، وليس بالضرورة ان يكون كل شهاب مرسل لرمي الشياطين والسبب فرمي الشياطين ببعض هذه الشهب ان الشياطين مخلوقات نارية متمردة وهم كفار الجن ولهم قدرات فائقة في الحركة والعودة كما قال تعالى عنهم : " وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا " ( الجن / ٩) .

وكان الجن يسترقون السمع اى يحاولون استماع ما تتكلم به الملائكة في السماء الدنيا من الامور التي تقضى ليخبروا بها الكهان ويزيدوا فيهم فلما بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم منعوا من ذلك وكل من يحاول استراق السمع يرمي بشهاب من هذه الشهب فيحرقه كما قال تعالى : " الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب (الصافات / ١٠) .

واستراقهم السمع انما هو في غير الوحي . اما الوحي فهم معزولون عنه نهائيا (٢) كما قال الباري " انهم عن السمع لمعزولون " (الشعراة/٢١٢) .

والذى يتلخص ان هذه الشهب النارية التي ترى في السماء انما مصدرها الكواكب وهي من آيات الله الكونية وان النجوم والكواكب انما هي زينة للسماء

---

(١) شهاب يطلق عليه نيزك جمعها نيازك وهي اجسام مادية مختلفة الحجم والصفات يصل بعضها الى احجام هائلة وكثير منها يصل الى الارض .

انظر : المسلمون وعلم الفلك : ص ٨٢ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج ٣ / ٥٥٨ ، الشعراة / ٢١٢ .



الدنية وهى معالم للهداية كما قال البارى :

" وهو الذى جعل لكم النجوم لتبهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر " ( الانعام / ٩٧ )

وقال : " وعلامات وبالنجم هم يبهتدون " ( النحل / ١٦ ) .  
وهي من آيات الله التى جعلها للتفكر والنظر فى خالقها ومدبرها  
ومنظمها كما قال البارى :

" ان فى خلق السموات والارض واختلف الليل والنهار آيات لاولى الالباب ،  
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات  
والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار " ( ال عمران / ١٩١ ) .

وتتلخص اهميتها فيما يلى :

- ١- زينة للسماء .
- ٢- معالم للاهتداء ومعرفة الجهات .
- ٣- للنظر والتفكر .
- ٤- مصدر لرجم الشياطين بالشهب والنيازك .

٣ - قوله تعالى :

" هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعها ثم استوى الى السماء فسواها سبعا سموات وهو بكل شىء عليم " ( البقرة / ٢٩ ) .

هذه الآية تدل على ان خلق الارض متقدم على خلق للسموات بدليل لفظه ثُمَّ

التي هي للترتيب والتراخي .

وهناك آية أخرى تدل على ذلك أيضا وهي قوله تعالى : " قل إنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة ايام سواء للسائلين ، ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات فى يومين ..... " ( فصلت / ٩-١٢ ) .

وهذا فى الظاهر قد يتوهم منه مخالفته لاية النازعات التى قال فيها :  
" أنتم اشد خلقا ام السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ، واغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها . " ( النازعات ٢٧ - ٣٣ ) .

فذكر فيها دحو الارض بعد خلق السماء فتوهم المنافاة سبباً :

انه قد يظن ان الدحو بمعنى الخلق

- والجواب ان خلق الارض متقدم على خلق السماء وليس هناك ما يعارض ذلك لان قوله تعالى فى النازعات : " والارض بعد ذلك دحاها " منصوص على تفسيره فى نفس الآية وهو قوله بعدها : " اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها " .

فهو سبحانه قد خلق الارض أولاً بدون نبات او جبال فى يومين ثم خلق السموات فى يومين ثم دحا الارض بمعنى انه اخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال فى يومين فتلك ستة ايام .

(١)  
وهذا التفسير منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه عنه البخاري  
عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس رضي الله عنه اني لاجد في القرآن  
اشياء تختلف علي ... الى قوله "وقال تعالى: " أنتم اشد خلقا ام السماء  
بناها... والارض بعد ذلك دحاها " فذكر خلق السماء قبل خلق الارض ثم قال  
تعالى " قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله طائعيين "   
فذكر في هذه خلق الارض قبل السماء... فقال ابن عباس .. وخلق الارض في يومين  
ثم خلق السماء ثم استوى الى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحى الارض ودحوها أن  
اخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والاكام وما بينهما  
في يومين آخرين فذلك قوله تعالى " دحاها " وقوله خلق الارض في يومين  
فجعلت الارض وما فيها من شيء في أربعة ايام وخلق السموات في يومين " اهـ .

قال ابن حجر (٢) رحمه الله : فهذا الذي جمع به ابن عباس بين قول  
تعالى في هذه الآية وبين قوله " والارض بعد ذلك دحاها " هو المعتمد " اهـ .

قال الخفاجي (٣): (يعنى ان قوله " اخرج منها ماءها ومرعاها بـدل  
او عطف بيان لدحاها بمعنى بسطها مبين للمراد منه ، فيكون تاخرها في  
هذه الآية ليس بمعنى تاخر ذاتها بل بمعنى تاخر خلق ما فيها وتكميله وترتيبها )  
وقال العز بن عبد السلام (٤): ان معنى دحاها انها كانت في أول خلقها كثيرة  
التفريس فأزال تفريسها بعد بناء السماء وأما خلقها فكان قبل خلق  
السماء " اهـ .

قلت : وهذا كما قيل في قوله تعالى : " ثم استوى الى السماء وهي دخان  
... الى قوله فقضاهن سبع سموات في يومين " (فصلت/١٢) ان السماء خلقت  
مادتها اولا ثم سويت وأظهرت على صورتها اليوم سبع سموات (٥) .

- 
- (١) في كتاب التفسير / سورة حم السجدة ج٦/٣٥  
وانظر الدر المنثور ٤١٢/٨ ، تفسير الطبري ج٢٨/٣٠ طبعة دار المعرفة  
(٢) فتح الباري ج٨/٥٥٨ طبعة دار المعرفة .  
(٣) حاشية الشهاب علي البيضاوي ج٢/١١٥ .  
(٤) فوائد في مشكل القرآن/٢٢٧  
(٥) انظر روح المعاني ج٣٠/٤١

وقوله تعالى : " هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا . . . الاية " يفيد ظاهر الاية ان خلق مافى الارض قبل خلق السماء . ومن المعلوم حسب ماتقدم ان خلق مافى الارض انما هو بعد خلق الارض فكيف يكون الدحس و بعد خلق السموات ؟

والجواب: ان المراد بخلق مافى الارض جميعا قبل خلق السماء الخلق اللغوى الذى هو التقدير لا الخلق بالفعل الذى هو الابران من العدم الى الوجود ولا يمكن ان يراد به فى الاية ضرورة ان جميع المنافع الارضية يتجدد ايجادها اولا فاولا .

ومما يدل على ذلك انه فى فصلت ذكر خلق الارض فى يومين ثم ذكر انه جعل فيها الرواسى وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى تنمة اربعة ايام اى فى يومين آخرين ثم ذكر الاستواء الى السماء وتسويتها سبع سموات .

فالاية وضحت انه قبل خلق السموات لم تخلق الاقوات وانما قدر فيها ذلك واية النازعات وضحت انه بعد خلق السماء دحا الارض بمعنى بسطها واوجد فيها اقواتها التى كان قدرها قبل خلق السماء من اخراج ماءها ومرعاها (١) وتسويتها .

ومعلوم ان العرب تسمى التقدير خلقا ومنه قول زهير :

ولانك تغرى ما خلقت  
وبعض القوم يخلق ثم لا يغري (٢)

قال فى اللسان (٣) والخلق التقدير وخلق الاديم يخلق خلقا قدره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة أو قربة أو خفا " اهـ .

(١) تفسير ابن كثير ج٤/١٤٠ ، فصلت ٩-١٢

روح المعانى ٣٠/٤٠-٤٢

تاويل مشكل القران : ٦٧-٦٨ ، ٥٠٦-٥٠٧

اضواء البيان ج١٠/١٤-١٥

(٢) ديوان زهير / ٩٤

(٣) اللسان ١١/٣٧٥ مادة خلق .

وكذلك فانه لما خلق الارض غير مدحوقوهى أصل لكل مافيها كان كل مافيها  
كانه خلق بالفعل لوجود اصله فعلا .

وهذا كقوله تعالى : " ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة

اسجدوا لآدم ( ٠٠٠ ) - الاعراف / ١١ -

فقوله خلقناكم ثم صورناكم اى بخلقنا وتصويرنا لابيكم ادم الذى هو  
أصلكم (١) .

وهناك وجه آخر لتفسير قوله تعالى " والارض بعد ذلك دحاها " ان يكون  
معنى قوله " والارض بعد ذلك دحاها " اى مع ذلك دحاها كقوله : " عتــــل  
بعد ذلك زنيم " اى مع ذلك . وقولك للرجل : انت كذا وكذا ثم انت بعدها  
كذا لاتريد به الترتيب .

وقال تعالى : فك رقبة او اطعام في يوم ذى مسغبة ٠٠٠ الى قولــــه  
ثم كان من الذين امنوا ٠٠٠٠٠

والمعنى : وكان مع هذا من اهل الايمان بالله وهو قول مجاهد (٢)

الا ان الوجه الاول هو الصحيح والظاهر لما تقدم شرحه .

فال ابن جرير رحمه الله (٣) :

والقول الذى ذكرناه عن ابرهاس ٠٠٠ اشبه بما لله عليه ظاهر التنزيل  
لانه جل ثناؤه قال والارض بعد ذلك دحاها . والمعروف من معنى بعد أنه خلاف معنى  
قبل وليس فى دحو الارض بعد تسويته السموات السبع واغطاشه ليلها واخراجــــه  
ضحاها ما يوجب ان تكون الارض خلقت بعد خلق لسموات لان الدعو انما هو البســــط  
فى كلام العرب والمد ٠٠ " اهـ .

---

(١) تفسير الطبرى ٢٩/٣ طبعة دار المعرفة ، تفسير الرازى ٤٩/٣١

اضواء البيان للشيخ الشنقيطى ١٦/١٠

(٢) تفسير الطبرى ٢٩/٣٠

تأويل مشكل القرآن ٦٨/

اضواء البيان ١٦/١٠

(٣) تفسير الطبرى : ٣٠/٣ .

سادسا :

قوله تعالى : " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام " ( الاعراف / ٧ )

وقوله : " ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام " ( ق : ٢٨ )

الى غير ذلك من الايات التى تدل على ان خلق السموات والارض كان فى ستة ايام . وقد جاءت اية اخرى قد يتوهم منها منافاة مدلول الايات السابقة من ان الخلق كان فى ستة ايام .  
وهى قوله تعالى :

" قل انكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم " ( فصلت ٩-١٢ ) .

فمدلول هذه الاية فى الظاهر ان السموات والارض وما بينهما خلقت فى ثمانية ايام : خلق الارض فى يومين وجعل الرواسى وتقدير الاقوات فى اربعة ايام فهذه ستة وقوله فقضاهن سبع سموات فى يومين فهذه ثمانية .

والجواب : الذى اجمع عليه المفسرون : ان قوله بالنسبة لجمال الرواسى وتقدير الاقوات : " فى اربعة ايام : اى تنمة اربعة ايام ويكون لخلق الارض يومان و لخلق ما فيها من الجبال وتقدير الاقوات والمباركة فيها يومان فتكون الايام الأربعة المذكورة معها يوما خلق الارض .

قالوا : وهذا كما يقال : سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة ايام وسرت الى الكوفة فى خمسة عشر يوما ، وهو يعنى خمسة عشر مع العشرة التى سار فيها من البصرة الى بغداد فيخبر عن جملة الايام التى وقع فيها السير .

وقد يقول المرء لولده أليس علمتك القرآن في سنة وفقهتك الدين  
في سنتين ، يعنى مع السنة التى تقدمت .  
فتقدير الآية كل ذلك من خلق الارض وما بعده كائن فى أربعة أيام  
فقوله : " وجعل فيها رواسى من فوقها ... الخ " كلام مستانفصم فيه تعالى  
بيومي خلق<sup>الأرض</sup> الى اليومين الذين بعدهما فاخبر تعالى عن جملة خلق الارض وخلق  
ما فيها لاتصال خلق الأرض بخلق ما فيها (١) والله أعلم .

...

---

(١) درة التنزيل للخطيب الاسكاني/٤١٥ ، بصائر ذوى التمييز ١/٤١٤ ، فتح  
الرحمن /٥٠٤ ، تنزيه القرآن عن المطاعن/٣٧٠ ، البرهان للزركشي  
٢/٦٣ ، تفسير الرازى ٢٧/١٠٤

٧ - قوله تعالى : يصف خلق الانسان :

(١) " وُخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا " (النساء/٢٨)

(٢) وقال / " نحن خلقناهم وشددنا أسرهم ٠٠٠ " (الانسان /٢٨)

هذه الآيات يجمعها انها تصف خلق الانسان وجبلته وما يعتريه في حياته ، وقد يتوهم ان بينها اختلافاً وليس الأمر كذلك لانه اراد بكل صفة وصف الانسان بها وصف طور من أطواره أو وصف حالة تعتريه في وقت من الأوقات أو تلازمه دائماً وكلها موجودة فيه ، فذكر في كل موضع صفة وحالة يمتاز الانسان بها اقتضاها سياق الآية .

فقوله تعالى : " وُخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا "

جاءت هذه الآية في سياق آيات بينت ما أحلّه الله من النكاح وما حرّمه وواجب المسلم في تحصين نفسه واختيار العفائف المحصنات والابتعاد عن المسافحات الفاجرات والصبر عند عدم امكان الزواج ،

ثم قال : " والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ، يريد الله أن يخفف عنكم وُخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا " .

فالانسان بحكم فطرته وغرائزه ضعيف أمام الشهوات خاصة شهوة

النساء ،

فمن أجل ذلك وللتخفيف عنه شرع الله ما شرعه من الزواج واحتكامه وضوابطه لتصريف طاقة الانسان في المجال الطيب المأمون المثمر وفي الجو الطاهر النظيف الرفيع ، دون أن يكلف الله عباده عناء في كبتها حتى المشقة والفتنة ودون أن يُطلقهم كذلك ينحدرون في الاستجابة لها بغير حدود ولا قيود كما هو واقع المجتمعات المتحررة من قيود الدين والاخلاق والحياء وما دب فيها من فوضى العلاقات الجنسية التي ادت وتؤدي الى تفكك الروابط الاجتماعية وانتشار الشذوذ والأمراض الفتاكة ، وكل ذلك بسبب أن ضعف الانسان أمام شهوته وعدم التزامه بالتشريعات الربانية يؤدي الى الحاق العنت والمشقة والفساد بالافراد والمجتمعات<sup>(١)</sup> وهذا ما يريد

(١) انظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج٢/٦٣٢ ، تفسير ابن كثير ٧٢٢/١ ، النساء /٢٨ ، وراجع كتاب الحجاب للسيد ابي الاعلى المودودي ص ١١٣-١١٤ ، لمعرفة نتائج الاباحية وخطورها على المجتمعات الغربية الكافرة .



الذين يتبعون الشهوات من أهل الباطل أن يميل الناس عن الحق والظهور والفضيلة باستغلال فتنة النساء ونشر الاباحية اعتمادا على ضعف البشر من هذه الجهة من أجل تحطيم المجتمعات والقضاء على الرجولة والشرف وبالتالي السيطرة على الامم .

في هذا إجمالا بيان وجه خلق الانسان ضعيف حسب سياق الآية . ويشبه هذا قوله تعالى : " خلق الانسان من عجل ..... " . الانبياء / ٣٧

اراد تعالى المبالغة في وصف الانسان بكثرة العجلة وأنه شديدا الاستعجال لما يحب من الامور، قليل الصبر كأنه خلق من نفس العجل تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان إيذانا بغاية لزومه لــــه وعدم انفكاكه عنه .

واما قوله تعالى : " نحن خلقناهم وشددنا أسرهم " ( الانسان / ٢٨ )

فهى لاتنافى خلق الانسان ضعيفا ، لانها جاءت لبيان قدرة الله في خلق الانسان وما أعطاه من قوة وبأس في جسده وعقله فالكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية وجاءت تذكروا من يحب العاجلة وينسى اليوم الآخر ويعتز بقوته ، جاءت تذكروا بمصدر هذه القوة بل مصدر وجودهم ابتداءً وانه قادر على الذهاب بهم وخلق غيرهم ،

( إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ، نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا ) . وقد ضرب الله لنا في القران أمثلة لاقوام أوتوا من القوة وضخامة الجسد مالم يوت أحد فاغثروا بقوتهم وتجبروا في الارض وكفروا فانقم الله منهم (١) كما قال الله " أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسالهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون " ( الروم / ٩ ) .

(١) القرطبي ١٥٢/١٩ ، ابن كثير ٧١٨/٤ ، فتح الرحمن / ١٩٣ .

وكما قال تعالى : " فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحسنى وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون ، فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة ، أخزى وهم لا ينصرون " (فصلت/١٦) ومن أجل ذلك فان الانسان يجتمع فيه قوة السجد وإحكامه التى عبَّر الله عنها بقوله : " نحن خلقناهم وشددنا أسرهم " .

ويجتمع فيه ضعف النفس وميلها للشهوات وعدم قدرتها على الصمود أمام الفتن أو المغريات .

وجاءت آيات أخرى تصف خلق الانسان يحسن ذكرها هنا

منها قوله تعالى : " لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم " (التين/٤) فالمراد به بيان كمال قدرة الله ونعمته على الانسان بشكل عام فى أنه خلقه فى أحسن صورة وشكل ، منتصب القامة سوي الاعضاء صاحب عقل وتمييز وكلام وسمع وبصر وتدبير وحكمة ، وهو تعالى قد أحسن كل شئ خلقه ،

وتخصيص الانسان هنا وفى مواضع أخرى بحسن التركيب وحسن التقويم والتعديل كما قال فى موضع آخر : " يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة ما شاء ركبك " - الانفطار / ٨ -

تخصيص الانسان بذلك فيه بيان عناية الله بهذا المخلوق وماله من شأن عند الله ، وتتجلى هذه العناية فى خلقه وتركيبه على هذا النحو الفائق سواء فى تكوينه الجسمانى البالغ الدقة والتعقيد ام فى تكوينه العقلى الفريد ام فى تكوينه الروحى العجيب (١) وذلك لانه خلق لمهمة عظيمة وهى الاستخلاف فى الارض وعبادة الله فجعل الله فى هذا الانسان دليلا على ان الله الذى خلقه كما قال تعالى : " وفى الارض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون " - الذاريات / ٢٠ - ٢١ -

---

(١) القرطبي ١١٤/٢٠ ، ابن كثير ٨٢٥/٤ ، التين / ٤ ، روح المعانى ٢٢٤/٣٠ فى ظلال القرآن ج٦/ ٣٩٣٣ .

ومنها قوله تعالى :

" لقد خلقنا الانسان فى كبد "

فمعناه أنّ الانسان فى هذه الحياة فى تعب وكفاح ومشقة . كما قال فى سورة أخرى : " يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاً قيسه " (الانشقاق / ٦ )

فالانسان منذ ولادته مرورا برضاعه وفضامه وحبوه ومشيه وخروج أسنانه وتعلمه وتفكره وتجاربه وسعيه لرزقه فى مكابدة ومشقة وجهد وكد ، ثم إنه يُكابد الشكر على السراء والصبر على الضراء وهذا يكدح للقيمة العيش وذاك يكدح لملك أو جاه وهذا يكدح فى سبيل الله وهذا يكدح لشهوة أو نزوة . . وهذا يكدح لعقيدة ودعوة ، وهذا يكدح الى النار وهذا يكدح الى الجنة فالكل يكدح والفوز والفلاح لمن يكدح ويكابد لأجل مرضاة ربه والخسارة والهلاك لمن كدح لاجل هواه . وكانت النار مثواه ، والحاصل أن معنى خلق الانسان فى كبد هو ما يمر بالانسان من معاناة ومشقة لاجل بلوغ أهدافه ايا كان نوعها (١) .

والذى يتلخص ان الانسان خلق وفيه صفات وأحوال متميزة تدل على الذى خلقه وصوره فقد اجتمع فى لانسان أنه خلق متكامل الجسد أعطاه الله قوة وعقلاً وهذا القوة والعقل يستخدمهما الانسان فى اطوار حياته لانه يكابد مشاق الحياة ،

وهذا الانسان تتجلى فيه عناية الله بان خلقه فى أحسن تقويم —————  
سوي الخلقة جميل المنظر .

(١) القرطبي ٦٢/٢٠ ، ابن كثير ٨٠٨/٤ ، البلد/٤ ، زاد المسر ١٢٩/٩ ، المفردات للراغب /٤٢٠ ، فى ظلال القرآن ٣٩٠٩/٦ .

وهو مع ذلك كله ضعيفاً أمام الشهوات ومغريات الحياة ومن أجل ذلك شرع الله له منهجا ليسير عليه وليضبط شهواته وينظم سلوكه وأفعاله حتى لا يكون فريسة لضعفه ،

إضافة الى ما رُكِّب فيه من طبع العجلة وقلة الصبر كأنه خلق من عجل ، فكل هذه الامور اجتمعت في الانسان ذلك المخلوق الذي سُخِّرَ له جميع السموات والارض حتى يتعرف على ربه ويعبده حق عبادته .

- قوله تعالى في شان خلق لانسان :

( وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا )

(الفرقان / ٥٤)

وقال تعالى : " ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر — تنتشرون " ( الروم / ٢٠ ) .

وقال: ( هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون ) ( الانعام / ٢ )

وقال: " فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب " ( الصافات / ١١ )

وقال: " خلق الانسان من صلصال كالفخار " ( الرحمن / ١٤ )

وقال: " ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون " ( الحجر / ٢٦ ) .

هذه الآيات المتقدمة بعضها تُثبت أن الانسان خلق من ماء وبعضها — تثبت أنه خلق من تراب والبعض انه خلق من طين والبعض الاخر انه خلق من صلصال كالفخار ،

وقد يتوهم أن بينها اختلافاً او تناقضاً . . .

والجواب: أن الآيات التى تثبت خلق الانسان من ماء تشير الى خلق ذريسة آدم من الماء المهيمن الذى يتدفق من الرجل الى رحم المرأة فيخلق الله منه البشر بقدرته ،

كما قال : " فليُنظر الانسان مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ من ماء دافق يخرج من بين الصُّلب والترائب " ( الطارق / )

وهذا لا يعارض أن أصله وهو آدم أبو البشر مخلوق من التراب ، فنسبته خلقه الى التراب باعتبار الاصل الذى هو آدم ، ونسبته خلقه الى الماء باعتبار الفرع وهو ذرية آدم ،

وقد جمع الله فى عدة آيات بيان خلق الأصل والفرع قال تعالى : " الذى احسن كل شئ خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين . " ( السجدة ٨ / )

وقال : " يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مُخَلَّقة وغير مُخَلَّقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مُسمًى " ( الحج / ٥ ) .

فلاحظ انه سبحانه أضاف الخلق الى آدم أبو البشر الذى خُلق من تراب باعتباره أصلهم وأضافه الى النطفة المائية التى يدفقها الرجل لانها بداية تكون الجنين فى بطن أمه ، ثم أضاف الخلق الى العلقه والمضغة لانها مراحل تكوينه فى بطن أمه وهو تعالى الذى يُحوّل النطفة الى المضغة الى آخر الخلق ،

كما قال فى آية اخرى : " ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين " ( المؤمنون : ١٢-١٤ ) .

أما بالنسبة للآيات التى تنسب خلق آدم للتراب وبعضها للطين وبعضها للصلصال الذى هو الفخار اليابس

فهو إشارة للمراحل التى مرّ بها خلق آدم عليه السلام ،

فنسبه الى التراب لأنه أول مرحلة فى تكوينه ،

ثم خلط التراب بالماء فصار طينا فذلك قوله: " من طين ..... " فجعل الطين على صورة الانسان فجف فكانت الريح اذا مرت به سُمع له صلصلة فلذلك سمّاه الله صلصلا .

وقوله من صلصال من حمأ مسنون : أن الصلصال من حمأ وهو الطين والمسنون : الرطب الاملس (١) ،

فكل الاطوار متصلة اتصلا وثيقا بالتراب وهي اطوار له ، وإنما أراد الله سبحانه أن يُذكر هذا الانسان الحي المتحرك الذى هو آية من آيات الله باصله الذى خلق منه ، وكل لفظ إنما جاء ليناسب السياق والغرض ،

انظر مثلا الى قوله تعالى :

"ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون " (الروم/٢٠)

( والتراب هيت ساكن ومنه نشأ الانسان .. ويعقبه مباشرة بصورة البشر منتشرين متحركين للمقابلة فى المشهد والمعنى بين التراب الميت الساكن والبشر الحي المتحرك وذلك بعد قوله : يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي " تنسيقا للعرض على طريقة القران ،

وهذه المعجزة الخارقة آية من آيات القدرة ، وإيحاء كذلك بالصلصة الوثيقة بين البشر وهذه الارض التى يعيشون عليها والتى يلتقون بها فى أصل تكوينهم ، وفى النواميس التى تحكمها وتحكمهم فى نطاق الوجود الكبير والنقلة الضخمة من صورة التراب الساكن الزهيد الى صورة الانسان المتحرك الجليل القدر .. نقلة تشير التأمل فى صنع الله وتستحث الضمير للحمد والتسبيح لله .. (٢) .

---

(١) تفسير اب ركن ج ٢/١٩٨ ، الانعام/٢ ، ج ١/٨٥٢ ، الحجر/٢٦ ، ج ٣/٢٨٥ ، المؤمنون /١٢ ، الرازى ١٩/١٨٣ ، ج ٢٩/٩٨ ، القرطبي ١٧/١٦١ ، فتح الرحمن /٥٤٥ ، البرهان ٢/٥٤ ، زاد المسير ٤/٣٩٧ ، القصص القرآني ٣٧٥ عبد الكريم الخطيب .

(٢) فى ظلال القرآن ، ج ٥/٢٧٦٣ .

يقول الامام احمد فى الرد على الزنادقة (١) : "نقول: هذا بَدْءُ خَلْقِ  
آدم خلقه الله أول بدء من تراب ثم بلَّ ذلك التراب فصار طينا فذلِكَ  
قوله ( من طين ) فلما لصق الطين بعضه ببعض فصار طينا لازبا بمعنًى  
لاصقا ، ثم قال " من سلاله من طين " يقول مثل الطين اذا عُصر انسلَّ من بين  
الاصابع ثم نتنفصار حمًا مسنون فخلق من الحمًا ، فلما جفَّ صار صلصالا كالفخار  
يقول: صار له صلصلة كصلصلة الفخار ، له دوى كدوى الفخار فهذا بيان خِلْقَةِ  
آدم ، وأما قوله من سلاله من ماء مهين " (السجدة / ٨ ) فهذا بدءُ خَلْقِ  
ذريته من سلاله يعنى النطفة اذا انسلت من الرجل فذلِكَ قوله " من ماء " يعنى  
النطفة " مهين " يعنى ضعيف ، فهذا ما شكت فيه الزنادقة " اهـ .

وللرازى نظر دقيق في تفسير هذه الايات حيث ذكر وجهها آخر فى التوفيق  
بينها فقال (٢) :

" ويمكن أن يقال بأن الطين: ماء وتراب مجتمعان والآدمى أصله منى،  
والمنى أصله غذاء ، والأغذية إما حيوانية وإما نباتية ، والحيوانية  
بالاخرة ترجع الى النباتية ، والنبات وجوده بالماء والتراب الذى هو  
الطين " اهـ .

قلت: وهو يريد أن قوله تعالى : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من  
تراب " . " ومن آياته أن خلقكم من تراب " .

كما أنها تدل على أصل الانسان وهو آدم الذى خلق من تراب فإنها  
تدل بعموم لفظها أن تكوين البشر يرجع الى التراب حيث إنَّ غذاء الانسان يرجع  
الى عناصر التراب وذلك ان النطفة هي خلاصة الاغذية المأخوذة من الماء والتراب ،  
ومما يدل على ذلك أن الانسان عندما يموت ويمضى عليه زمن يتحلل التراب كما  
قال تعالى على لسان الكفار : إذا متنا وكنا ترابا ذلك رجوع بعيد " ( ق / ٣ ) .

---

(١) الرد على الزنادقة ٩-١٠ ، وانظر : التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع  
لأبي الحسين الططبي ص ٦٨ ففيه نفس معنى كلام الامام احمد .

(٢) تفسير الرازى ج ٢٦ / ص ١٧٣ عند آية " وبدأ خلق الانسان من طين " .

مفهوم الاختلاف في آيات الجهاد والدعوة (١)

وأعني بآيات الجهاد : الآيات التي تتناول موقف المسلمين جماعة وأفراداً من أهل الملل الأخرى سواء المشركين أو المنافين أو أهل الكتاب في الحرب والسلام وظروفهم وامكانياتهم والواقع الذي يعيشونه كما سيأتي توضيحه ومعلوم أن الجهاد فرض لغايات سامية فيها سعادة البشر في الدارين

ذلك أن الدين الاسلامي خاتم الاديان، وهو الدين الذي ارتضاه الله للبشرية وعليه يدور الحساب (( ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ))

ولذلك جاء فرض الجهاد من أجل حماية الدعوة الى الله ونشر الاسلام لإخراج الناس من عبادة الالوثان والطواغيت الى عبادة الله الواحد القهار حيث إنه من المعلوم أن الوقوف أمام الدعوة ونشر الاسلام هو ظلم في حق البشرية لما فيه من منع الخير عنهم فكان الجهاد لازالة العوائق القائمة والمحتملة في طريق الدعوة وفرض سلطان الاسلام في العالم ورفع الظلم عن عباد الله في الارض

كما قال تعالى : (( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير )) الانفال / ٣٩ وقال : (( هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون )) الصف / ٩

---

(١) الجهاد في اللغة :- مصدر من الجهد - بفتح الجيم - وهو التعب والمشقة أو من الجهد - بضم الجيم - وهو الطاقه لان المجاهد يبذل طاقته في دفع عدوة أو تحقيق مقصوده ، ومنه (( وأقسموا بالله جهد أيمانهم )) لسان العرب ج ٣ / ١٣٣ مادة جهد مفردات الراغب / ١٠١ واصطلاحاً :- استفراغ الوسع في نشر الدين و قتال العدو مفردات الراغب ص / ١٠١

وسميته آيات الجهاد والدعوة مع أن الجهاد يشمل الدعوه لظن الكثير أن كلمة الجهاد تعني فقط القتال

مع أنه لا يتمور جهاد للمسلمين لا يسبقه دعوة للاسلام .  
كما أن الله سمى الدعوة الى دينه وقرانه جهادا في قوله تعالى :-  
(( وجاهدوهم به جهادا كبيرا )) أي بالقران والآية مكية من سورة الفرقان قبل نزول فرض القتال كما سيأتي تفصيله بمشيئة الله  
(٢) الفتنة :- الشرك والكفر بالله وهو مصدر لكل فتنة وفساد وظلم



وبما أن هذه الشريعة هي الهدى وهي دين الحق الذي اراد الله ظهوره وهي المصلح الوحيد لحياة البشر والطريق الوحيد الى الله لأجل ذلك كان الوقوف في وجه هذه الدعوة صد عن سبيل الله وصد عن الحق والهدى واسباب الفلاح والسعادة في الدارين ((ومن ثم كان من حق البشرية أن تبلغ اليها الدعوة التي هذا المنهج الالهي الشامل ، وألا تقف عقبة أو سُلمة في وجه التبليغ بأي حال من الاحوال، ثم كان من حق البشرية كذلك أن يترك الناس بعد وصول الدعوة اليهم أحرارا في اعتناق هذا الدين لا تصدمهم عن اعتناقه عقبة أو سلطة ، فاذا أبى فريق منهم أن يعتنق بعد البيان ، لم يكن له أن يصدَّ الدعوة عن المُضي في طريقها ، ..... وانا اعتنقها من هداهم الله اليها كان من حقهم ألا يُفتنوا عنها بأي وسيلة من وسائل الفتنة ، لا بأذى ولا باغراء ولا باقامة أوضاع من شأنها صد الناس عن الهدى وتعويقهم عن الاستجابة، وكان من واجب الجماعة المسلمة أن تدفع عنهم بالقوة من يتعرض لهم بالأذى والفتنة ضمانا لحرية العقيدة وكفالة لأمن الذين هداهم الله .

وينشأ عن تلك الحقوق واجب الجماعة المسلمة وهو مقاتلة كل قوة تعترض طريق الدعوة وابلاغها للناس في حرية ، أو تهدد حرية اعتناق العقيدة وتفتن الناس عنها ، وأن تظل تجاهد حتي يصبح الدين كله لله ، لا بمعنى اكرام الناس على الايمان ولكن بمعنى استعلاء دين الله في الأرض بحيث لا يخشى أن يدخل فيه من يريد الدخول و بحيث لا يكون في الأرض وضع أو نظام يحجب النور والهدى عن أهله ويضلهم عن سبيل الله . ))<sup>(١)</sup> ٠١ هـ

هذا وقد جاءت آيات قرآنيه تأمر بالعفو والمفح والاعراض عن المشركين ونحو ذلك وهي قوله تعالى :-

(١) (( فاعفوا وامفحوا حتى يأتي الله بأمره )) البقرة / ١٠٩

(٢) وقوله : (( ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا

الصلاة ..... )) الآية - النساء / ٧٧ -

(٣) وقوله : (( فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين )) - الحجر / ٩٤

(٤) وقوله : (( فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون )) الزخرف / ٨٩

---

(١) في ظلال القرآن ، بتصريف قليل ج ١ / ١٨٦ - ٧٨٧

(٥) وقوله : (( وأصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا )) المزمّل/١٠  
هذه الآيات وما مثلها تتضمن اجمالا الأمر بالعفو والصفح  
والصبر على أذى المشركين وكف الأيدي عنهم وعدم مصادمتهم

وقد جاءت آيات أخرى تأمر المؤمنين بقتال الكفار اما مطلقا  
واما في حالات معينة كمقاتله من يقاتلهم وهي :-

(١) قوله تعالى : (( وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا  
تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين )) - البقرة / ١٩٠ -

(٢) وقوله تعالى : (( كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن  
تكرهوا شيئا وهو خير لكم )) - البقرة / ٢٨٦ -

(٣) وقوله : (( فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم  
واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد )) - التوبة / ٥ -

الى غير ذلك من الآيات التي تتضمن الأمر بقتال الكفار فقد  
يتوهم أن بين هذه الآيات اختلافا أو تعارضا لأن بعضها يأمر  
بالعفو والاعراض عن المشركين ، وبعضها يأمر بقتال من قاتلهم  
والبعض الآخر يأمر بقتال المشركين مطلقا

والجواب :- أن الجهاد في الاسلام قد فرض بالتدرج بما يتلائم  
مع واقع المسلمين وحالهم من الضعف أو القوة تمشيا مع استعدادهم  
وظروفهم وواقعهم، وتمشيا مع مصلحة الدعوة وانتشار الدين من  
أجل ذلك كانت المرحلة المكية وبداية العهد المدني مرحلة الجهاد  
بالقلب واللسان والكف عن المشركين والصبر على أذاهم ودعوتهم  
الى الاسلام وتحمل ما يقع من أذاهم والعفو عنهم وهذا ما توضحه  
الآيات التي تقدم ذكرها من قوله (( فاصدع بما تؤمر وأعرض عن  
المشركين ))

وقوله : (( ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ... ))

وقوله : (( فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ... ))

وقد نهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصحابه عن قتال أهل  
مكة في هذه الفترة وأمرهم بالصبر والثبات وقوة اليقين حتى  
يأتي أمر الله

روى النسائي<sup>(١)</sup> والبيهقي<sup>(٢)</sup> والحاكم<sup>(٣)</sup> عن ابن عباس رضي الله  
عنهما مرفوعاً : (( اني أمرت بالعتو فلا تقاتلوا القوم ))  
ومن المعلوم أن الرسول نفسه - صلى الله عليه وسلم - لقي من  
أذى المشركين واستهزائهم الشيء الكثير .  
وكذلك أصحابه وقد مرّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - على  
آل ياسر وهم يُعذبون فقال لهم : (( اصبروا آل ياسر فان موعدكم  
الجنة ))<sup>(٤)</sup>  
وما هم الصحابة يأتونه يشكون اليه من أذى المشركين فقد روى  
البخاري<sup>(٥)</sup> رحمه الله عن خباب بن الأرت قال :  
(( شكونا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو متوسد  
بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعوا الله لنا ))  
، فذكرهم بما كان يلقي السابقون من الأذى والعذاب من أجل  
دينهم وهم صابرون ثم قال لهم : (( والله ليتمن هذا الامر حتي  
يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على  
غنمه ، ولكنكم تستعجلون )) هذا وقد قال صلى الله عليه وسلم  
لما استأذنه أهل يثرب ليلة العقبة أن يميلوا على أهل منى فيقتلهم  
قال : (( إنني لم أوامر بهذا ))<sup>(٦)</sup>  
والملاحظ أن آيات الأمر بالعتو والصفح وكف الأيدي منها ما  
هو مكّي، ومنها ما هو مدني جاء في بداية العهد المدني حيث  
إن الصحابة رضي الله عنهم - لما استقر بهم الحال في المدينة  
وتشوقوا لنصرة الاسلام ورد كيد المعتدين وخاصة اليهود الذين كانوا  
يتربصون بهم الدوائر ويكيدون للمسلمين ، فأمرهم الله بالعتو والصفح  
حتي يأتي الله بأمره وهو فرض الجهاد عليهم والجلاء والنفي أو

(١) النسائي في سننه / كتاب الجهاد ، باب وجوب الجهاد ج ٦ / ٢ - ٣

(٢) سنن البيهقي / كتاب السير / باب مبتدأ الأذن بالقتال ج ٩ / ١١

(٣) المستدرک ج ٢ / ٦٧ كتاب الجهاد و قال صحيح على شرط البخاري ووافقته  
الذهبي

(٤) مجمع الزوائد للهيتمي ٢٩٢ / ٩ سيرة ابن هشام ج ١ / ٢٧٩ عن عثمان بن  
عفان مرفوعاً ، قال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله الصحيح غير ابراهيم  
ابن عبد العزيز المقوم وهو ثقة

(٥) البخاري / كتاب الاكراه / باب ١ من اختار الغرب والقتل والهوان علي الكفر  
ج ٨ / ٥٦ والثاني ٢٠٤ / ٨ في الزينة ، باب لبس البرود ج ٨ / ٢٠٤

(٦) مسند أحمد ٤٦٢ / ٣ سيرة ابن هشام ج ٢ / ٦٨ وهو بعض حديث طويل رواه ابن اسحق  
بسندّه عن كعب بن مالك رضي الله عنه .

القتل والسبي لأهل الكتاب  
أخرج البخاري\* ومسلم وغيرهم عن أسامة بن زيد قال (( كان رسول  
الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل  
الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله عز وجل (ولتسمعن  
من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا )

آل عمران / ١٨٦

وقال ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا  
حدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا  
حتى يأتي الله بأمره )) وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
يتأول في العفو عنهم ما أمره الله به حتى أذن له فيهم (٠٠٠))  
وعلى هذا فان الأمر بالعفو والصفح وتحمل الأذى في هذه المرحلة  
انما أمر به الى غاية لقوله : حتى يأتي الله بأمره (٠٠٠)) وما  
هذا سبيله لا يكون من باب المنسوخ انما هو من التدرج في التشريع  
فلكل ظرف حكمه الخاص به (١)

والآيات والأحاديث السالفة الذكر تدلنا على طبيعة تلك  
المرحلة الاولى والتي كان المسلمون فيها في وضع لا يؤهلهم لمنازلة  
المشركين ويعود ذلك لأمر منها :-

١ - ان الاسلام دين دعوة والدعوة السلمية أشد أثرا و أنفذ  
في مثل بيئة قريش ذات العنجهية و الشرف و التي لا يزيدها  
القتال الا عنادا فلذلك نجد أن الله تعالى قد أمر رسوله  
- صلى الله عليه وسلم - بجهادهم بالقران  
كما قال تعالى :

(( وجاهدوهم به جهادا كبيرا )) الفرقان / ٥٢

فجهاد الدعوة باللسان ، و السلوك ، و المجادلة بالتي هي  
أحسن ، و بيان بطلان معتقداتهم هو جهاد كبير كما قال الله  
تعالى، كما أن المطلوب هو الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة  
الحسنة فلا بد من اعطاء المشركين فرصة كافية للتفكير والتأمل وسماع  
القران الذي تحداهم الله بأقصر سورة منه فجزوا مع توفر الهمة  
والدواعي على معارضته .

(١) روح المعاني للالوسي ج ١ / ٣٥٧ زاد المسير ١ / ١٣٢ القرطبي ج ٢ / ٧٠-٧١

الرازي ج ٤ / ٢٤٤ - ٢٤٥

و أنظر الدر المنثور ج ١ / ٢٦٠ - ٢٦١

حيث نقل عن قتادة والسدي أن الآية منسوخة بآيات القتال .

(\* البخاري في التفسير ج ٥ / ١٧٢

٢ - ومن الامور المانعة من الأمر بالقتال في تلك الفترة :- أنها كانت فترة تربية وإعداد، وتحمل الصبر وضبط الاعصاب، وعسكسدم الالندفاع لأول مؤثر، والتعود على اتباع الجماعة وقيادتها والرجوع اليها في كل أمر، وترك ما ألفوه من العصبية القلبية ونحوها

٣ - ومن الاسباب قلة المسلمين في تلك الفترة وضعف قوتهم بالنسبة الى قريش ومن شايعها

٤ - ومن الاسباب أن أذى المؤمنين وفتنتهم كانت موكولة الى أولياء كل فرد ولم يكن الأمر موكولا الى سلطة نظامية عامة

فمعنى الأذن بالقتال في مثل هذه الحال أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت وبالتالي يكون ذلك من أسباب الصد عن دين الله

٥ - ومن الاسباب ما كان يعلمه الله عز وجل من أن كثيرا من المعاندين الذين يفتنون المسلمين عن دينهم ويعذبونهم بأنفسهم سيكونون من جند الاسلام بل من قاداته : ومن هؤلاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١)

هذا وقد انتهت هذه المرحلة من مراحل الدعوة والجهاد باذن الله تعالى لرسوله - صلي الله عليه وسلم - وأصحابه رضوان الله عليهم بالهجرة للمدينة بعد أن بلغ أذى المشركين وصددهم عن دين الله مبلغا عظيما حتى أنهم تأمروا على قتل صاحب الدعوة وأعدوا لذلك مؤامرة تولى كبيرها أبو جهل - أخزاه الله - وفي هذا نزل قوله تعالى ( وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ) - الانفال / ٣٠ -

هذا بالنسبة لآيات الجهاد في المرحلة المكية أى ما قبل الهجرة  
٢ - فلما أذن الله بالهجرة وأصبح المؤمنون على درجة من القوة تسمح لهم برد الظلم والاعتداء والدفاع عن أنفسهم أباح الله القتال من غير فرض وهو ما يدل عليه قوله تعالى :

---

(١) أنظر : سيرة ابن هشام ج ١ / ٢٩٤ - ٢٩٩  
البرهان للزركشي ج ٢ / ٤٢ تفسير الرازي / ج ٤ / ٢٤٤ - ٢٤٥  
في ظلال القرآن ج ١ / ١٨٥ - ١٨٦ .

قوله تعالى :

(( أُنذِرُ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ، وَإِنِ اللّٰهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ  
الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللّٰهُ ، وَلَوْلَا  
دَفَعَ اللّٰهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ السَّوَامِعُ ، وَبُيعَ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ  
يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللّٰهِ كَثِيرًا ، وَلِيَنْصُرَنَّ اللّٰهُ مَن يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللّٰهَ لَقَوِيٌّ  
عَزِيزٌ )) الحج / ٢٨ - ٤٠

قال ابن كثير (١) : فلما بغى المشركون وأخرجوا النبي - صلى الله عليه وسلم - من بين أظهرهم وهمّوا بقتله وشرّدوا أصحابه شنّذروا فذهب منهم طائفة إلى الجبّة وآخرون إلى المدينة ، فلما استقروا بالمدينة ووافاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واجتمعوا عليه وقاموا بنصره وصارت لهم دار إسلام ومقلاًّ يلجئون إليه ، شرع الله جهاد الأعداء فكانت هذه أول ما نزل في ذلك\* (١٠) هـ

فقد حكم الله لهم بأحقية دفاعهم وسلامة موقفهم فهم مظلومون غير معتدين وأخرجوا من ديارهم بغير حق ، وصدّوا عن الدعوة إلى الله ومن ذلك الوقت شرع القتال للتهيأ للدفاع والتمكّن من وسائل الجهاد لحماية الحق والخير ودعوة الله لأنه لا بد للحق من قوة تحميه والقوة المادية التي يملكها أهل الباطل قد تزلزل القلوب وتفتن النفوس وللصبر حد وللاحتمال أمد (٢)

٣ - وبعد هذا الاذن بالقتال من غير فرض ، فرض القتال على المسلمين لمن يقاتلهم فقط ويدل على ذلك قوله تعالى :

(( وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين )) البقرة / ١٩٠

قال أبو العالية والربيع وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد (٣) في تفسير الآية : هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة فلما

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٣ / ٣٦٢ الحج / ٤٠ وأنظر زاد المسير ج ١ / ١٩٨

(٢) أنظر في ظلال القرآن ج ٤ / ٢٤٢٤ نقض كتاب في الشعر الجاهل للعلامة محمد

الخضر حسين ص ١٤٤ - ١٤٥

\* واخرج الحاكم بسند على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : هي أول آية نزلت في القتال المستدرك ج ٢ / ٣١ كتاب التفسير سورة الحج وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣) تفسير الطبري ج ٣ / ٥٦٢ تحقيق محمود شاكر

تفسير ابن كثير ج ١ / ٣٣٩ ، البقرة / ١٩٠

زاد المسير ج ١ / ١٩٧ ، القرطبي ج ٢ / ٣٤٧

روح المعاني ج ٢ / ٧٤

فلما نزلت كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقاتل من قاتله ويكف عن كفاً عنه حتى نزلت سورة براءة ،

قلت : وعلى هذا فان هذه الآية توضح طبيعة مرحلة من مراحل الجهاد وهي قتال من قاتل من المشركين دون من سواهم ملائمة مع ظروف المسلمين في ذلك الوقت وامكانياتهم وبذلك فان هذه الآية لا تعارض الآيات التي تأمر بمطلق مقاتلة المشركين اينما كانوا

وهناك وجه آخر في تفسير الآية قاله ابن عباس ومجاهد وعمر ابن عبدالعزيز وهو أن معنى الآية : قاتلوا الذين هم في حالة قتال لكم وهم الرجال المقاتلون من أهل الشرك دون النساء والصبيان والرهبان في الصوامع ونحو ذلك فان هؤلاء لا يُقاتلون (١)

كما جاء في صحيح مسلم (٢) عن بريده رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول (( اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً . ))

روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم (( نهى عن قتل النساء والصبيان )) (٣) وقد أيد ابن كثير هذا الوجه . فقال (٤) : ان معنى قوله (( وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم )) انما هو تهيج واغراء بالأعداء الذين همتم قتال الاسلام وأهله أى كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم ، كما قال : (( وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ))

ولهذا قال في هذه الآية : (( واقتلوهم حيث ثقتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم . )) أى لتكون همتمكم منبعثة على قتالهم كما همتم منبعثة على قتالكم . (( وعلي هذا الوجه وعلى هذا الوجه الثاني فالآيات متوافقة أيضا لأن المعنى حينئذ هو قتال عموم أهل

(١) تفسير الطبرى ٣ / ٥٦٢

ابن كثير ١ / ٣٤٠ روح المعاني ٢ / ٧٤ زاد المسير ١ / ١٩٧ / ١٩٨

(٢) مسلم في الجهاد والسير / باب تأمير الامام الأمراء علي البعوث ( شرح النووى ١٢ / ٣٧ ) .

(٣) أخرجه البخارى في الجهاد باب قتل النساء في الحرب ج ٤ / ٢١ ومسلم في الجهاد / باب تحريم قتل النساء والصبيان ( شرح النووى ١٢ / ٤٨ )

(٤) تفسير ابن كثير ج ١ / ٣٤٠ البقرة / ١٩٠ .

الشرك الذين همتهم قتال المسلمين دون النساء والذرية ونحوهم ممن لا همة له في القتال وهذا موافق للآيات التي عممت قتال المشركين في المرحلة الأخيرة من مراحل فرض الجهاد ، وهذا التوجيه للآية وان كان محتملا الا أن الوجه الأول هو الظاهر لما تقدم من أنها أول آية نزلت في القتال وأنها تمثل مرحلة من مراحل تشريع الجهاد بما يتلائم وظروف المسلمين وامكانياتهم فهذه الآية تبين لنا مرحله من مراحل الجهاد وهي قتال من قاتل المسلمين لكن لما كان أهل الشرك والكفر مجتمعين على معاداة المسلمين والصد عن دين الله جاءت الآية لحفز الهم والاستعداد لمقاتلة من يقاتلهم وهم أهل الكفر والشرك المحيطين بالمدينة بحسب القدرة والاستعداد وظروف المرحلة مبتدئين بمن يليهم من الكفار ،

كما قال تعالى : (( يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ٠٠ )) التوبة / ١٢٣

فالامر بقتال من يليهم لا ينافي الأمر بقتال كافة المشركين المستحقين للقتال لأنه لا بد أن يبتدئوا بالاقرب ثم الأبعد حيث أنه لا يمكن قتال جميع الكفار وغزو جميع البلاد في زمان واحد فكان من قُرب أولى ممن بَعُد، ولأن ترك الاقرب والاشتغال بالأبعد لا يؤمن معه من الهجوم على الذراري والضعفاء، والآية ليست واردة في بيان سبب القتال وانما جاءت ارشادا لخطة حربية يجب أن يترسها المسلمون عند نشوب القتال المشروع فهي ترشدكم الي وجوب البدء عند تعدد الأعداء بقتال الأقرب فالأقرب عملا على اخلاء الطريق من الأعداء المناوئين وتسيلا لسبل الانتصار (١) .

ولهذا أمر الرسول بتطهير الجزيرة من المشركين (٢) لأنها قاعدة الاسلام ومن هنا قاتل الرسول - صلى الله عليه وسلم - قومه ثم انتقل الي قتال سائر العرب ثم الي قتال قريضة والنضير وخيبر ثم الي قتال الروم ، وجرى أصحابه علي سنته حتى وصلوا السبي مشارق الأرض ومغاربها (٣)

(١) تفسير شلتوت : ٥٣١

(٢) سيأتي قريبا تخريجه

(٣) تفسير الطبري ١٤ / ٥٧٤ تحقيق محمود شاكر

الرازي ١٦ / ٢٣٤ ، القرطبي ٨ / ٢٩٧ في روح المعاني ٤٩ / ١١

أحكام القرآن لابن العربي ج ١ / ١٠٢

أحكام القرآن للشافعي جمع البيهقي ج ٢ / ٢٩ - ٣٠ ج ٤ / ١٨١



وهذه المرحلة تهيئه للمرحلة التي بعدها

٤ - وهي مرحلة انتشار الدعوة ومقاتلة كل من يقف في طريقها من أهل الكفر والشرك داخل الجزيرة وخارجها وجاءت هذه المرحلة بعد أن استقر حال المسلمين وقويت شوكتهم ودانت أكثر العرب للإسلام .

وموقف المسلمين من الكفار والمشركين عامة في هذه المرحلة وما بعدها له ثلاثة أقسام :

القسم الأول : موقفهم من مشركي العرب أهل الأوثان داخل الجزيرة فهؤلاء كان حكمهم اما الاسلام واما القتال لقوله تعالى : (( قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون ..... )) الفتح / ١٦ والمراد بهم أهل الأوثان من العرب هوازن وثقيف وغطفان وبنو حنيفة ، وقد قاتلهم أبو بكر حتى خضعت الجزيرة للإسلام ، قال ذلك مجاهد وسعيد بن جبير وقتاده والزهرى ومقاتل وغيرهم (١) قال ابن الجوزى (٢) : وقال بعض أهل العلم :- لا يجوز أن تكون هذه الآية الا في العرب لقوله : (( تقاتلونهم أو يسلمون ))

وفارس والروم انما يقاتلون حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية (( ١٠١ هـ

قلت : وفي مشركي الجزيرة الذين بلغتهم الدعوة وعرفوا الاسلام فلم يؤمنوا بل حاربوا الاسلام وقاتلوا أهله ويطربصون بالمسلمين الدوائر في هؤلاء نزل قوله تعالى :-

(( فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم )) التوبة / ٥

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ / ٢٩٢ الفتح / ١٦ ، تفسير ابن جرير ٥٢ / ٢٦ طبعة دار المعرف  
زاد المسير / ج ٧ / ٤٣٠ - ٤٣٢ ، النكت والعيون : ٦١ / ٤ ، الدر المنثور : ٧٢٠ / ٧  
روح المعاني ج ٢٦ / ١٠٤ - ١٠٥ ، ج ٢ / ٧٦  
روى أن المراد فارس والروم وهو غير صحيح لأنهم ان دفعوا الجزية فلا يقاتلون  
(٢) زاد المسير ج ٧ / ٤٣٢  
وأنظر روح المعاني للالوس ج ٢٦ / ١٠٥

لأن الذين أمهلوا هذه الأشهر الحرم إنما هم عرب الجزيرة .  
وسبب تعيين الاسلام أو القتال بالنسبة لهؤلاء أمور منها :-  
أن الله اختار العرب لحمل هذا الاسلام ونشره في ربوع الأرض  
وليكونوا قادة الاسلام الأولي وخير أمة أخرجت للناس ، ومنها :  
لتخلى الجزيرة للاسلام فلا يدع المسلمون وراءهم أعداء وهم  
يواجهون الروم و الفرس خارج الجزيرة .  
فكان تطهير الجزيرة من الشرك و المشركين ضرورة لتأمين  
القاعدة الاسلاميه من المتربصين بالمسلمين من أعدائهم المعاشين  
لهم من المشركين وأهل الكتاب الذين تكررت غدراتهم ونقضهم  
للعهود فكانوا في حالة اعتداء دائم للمسلمين .  
فكان لابد من تطهير القاعدة قبل الانطلاق للمعارك الخارجية المتوقعة  
ومنها ، أن العرب كانوا على دين ابراهيم دين الحنيفية فأنحرفوا  
وبدلوا فكان الاسلام قريبا من نفوسهم لولا العناد والعنجهية  
والعصبية اضافة الى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نشأ بين  
أطهرهم وهو من أنفسهم ونزل القران بلغتهم وذلك من أقوى البواعث  
على ايمانهم ومن أجل ما تقدم أوصى الرسول - صلى الله عليه وسلم  
عند موته (( باخراج المشركين من جزيرة العرب <sup>(١)</sup> )) ، وأخرج  
مسلم <sup>(٢)</sup> عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول : لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة  
العرب حتي لا أدع الا مسلما .  
وفعلا فقد أجلى عمر بن الخطاب في امارته اليهود والنصارى من  
أرض الحجاز كما روى ذلك البخارى وغيره <sup>(٣)</sup> .

---

(١) البخارى: كتاب الجهاد والسير، باب ١٧٦ هل يستشفع الى أهل الذمة ج ٤ / ٢١  
وفي كتاب الجزية والموادعة باب ٦ اخراج اليهود من جزيرة العرب ج ٤ / ٦٥  
(٢) صحيح مسلم كتاب الجهاد، باب اجلاء اليهود من الحجاز ، ( شرح النووى : ١٢ / ٩١ )  
(٣) البخارى : كتاب الحرث والمزارعة باب ١٧ ، ج ٣ / ٧١  
وانظر: موطأ مالك ج ٢ / ٨٩٣ تحقيق عبد الباقي ، كتاب الجامع ، باب في اجلاء  
اليهود من المدينة

\* في ظلال القرآن : ج ٦ / ٣٥٤٥ بتصرف

(١) وما يشهد لما تقدم ما رواه أحمد عن ابن عباس ان النبي - صلى الله  
وسلم - قال لعنه أبي طالب : ( يا عم اني انما أريدكم على كلمة  
واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية ، قالوا وما  
هي ؟ نعم وأبيك عشرا ، فقال : لا إله الا الله ... الحديث )  
(٢) فخص العجم بالجزية من دون العرب ، وأخرج ابو عبيد في كتاب الاموال  
عن الحسن البصرى قال :

( أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يُقاتل  
العرب على الاسلام ولا يقبل منهم غيره ، وأمر أن يُقاتل  
أهل الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ) اهـ

القسم الثاني : موقف المسلمين من أهل الكتاب وهم اليهود  
والنصارى ويلحق بهم المجوس (٣) وهؤلاء نزل في حقهم قوله تعالى  
( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا  
يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين  
أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ) (( التوبة / ٢٩  
فيُدعون أولا للاسلام فان أبو تُطلب منهم الجزية ،  
فان أبوا يُقاتلوا )

أخرج مسلم (٤) عن بُريدة رضي الله عنه قال : كان رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - انا أمّر أميرا على جيش أو سرية أو صاه في  
خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ،

ثم قال : اغزوا باسم الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا  
ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تُمثلوا ولا تقتلوا وليدا وانا لقيت عدوك

(١) مسند أحمد : ج ٥ / ١٤١ رقم ٢٤١٩ تحقيق احمد شاکر ، (٢) الاموال لابى عبيد : ٣٤

(٣) لأنه ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم - (( أخذ الجزية من مجوس هجر ))  
رواه البخارى في كتاب الجزية والمودعة مع أهل الذمة باب / ١ ج ٤ / ٦٢  
و أبو داود في الخراج والامارة / باب في أخذ الجزية من المجوس ج  
والترمذى في السير / باب ما جاء في أخذ الجزية من المجوس ج ٤ / ١٤٦  
كلهم عن بجالة بن عبده قال : لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس  
حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
أخذها من مجوس هجر ))

قلت : (( هجر )) اسم بلد معروف في ( البحرين )  
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير / باب تأبير الامام الامراء على  
البعوث شرح النووى ١٢ / ٣٧ .

من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال أو ( خلال ) فأيتها  
ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى الاسلام  
فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فان هم أبوا فسدلهم  
الجزية فان هم أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم .....  
فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم (١)

والمراد بالمشركين في الحديث ، أهل الكتاب و المجوس  
وهم نصارى العرب و الروم و فارس .

---

(١) قال النووي في شرح مسلم ( ١٢ / ٣٩ ) هذا ما يستدل به مالك والأوزاعي  
و موافقهما في جواز أخذ الجزية من كل كافر عربيا كان أو عجميا كتابيا  
أو مجوسيا أو غيرهما ، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه تأخذ الجزية  
من جميع الكفار الا مشركي العرب و مجوسهم ،  
وقال الشافعي : لا يقبل الا من أهل الكتاب و المجوس عربا كانوا  
أو عجميا و يحتج بمفهوم آية الجزية و حديث :  
( سنوابهم سنة أهل الكتاب ) (\*)

ويتأول هذا الحديث على أن المراد بأخذ الجزية أهل الكتاب لأن اسم  
المشرك يطلق على أهل الكتاب و غيرهم ، و كان تخصيصهم معلوما عند  
الصحابة ..... )) ٥٠١ هـ

أنظر : المغني لابن قدامة : ٤٩٦ / ٨ ، الأم للشافعي : ١٧٤ / ٤

٢٤٠ - ٢٤١ الأموال لأبي عبيد ٣٤ - ٤٥

تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٤٢ التوبة / ٢٩ ،

روح المعاني للألوسي ٧٩ / ١٠

\* قلت : وهو ضعيف بهذا اللفظ ، و صح بلفظ آخر :

(( أن الرسول أخذ الجزية من مجوس هجر )) و تقدم قريبا

وأنظر : إرواء الغليل : ٨٨ / ٥

القسم الثالث : وهم الكفار من غير أهل الجزيرة وغير أهل الكتاب والمجوس فهؤلاء لا ينطبق عليهم حكم مشركي الجزيرة أو حكم أهل الكتاب

لذا فانهم يُدعون للاسلام ويُرغبون فيه وتقام الحجة عليهم فإنا آمنوا واهتدوا وخضعوا للاسلام كان به ، وإلا فانهم يغيرون بين الاسلام أو القتال<sup>(١)</sup> لقوله تعالى : (( هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون )) المفا/١

وقوله تعالى : (( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير )) الأنفال / ٣٩

ولا ينافي ذلك قوله تعالى : (( لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ٠٠٠ )) الآية البقرة / ٢٥٦

لأن القتال ليس موجهاً ضد الأفراد وإنما هو ضد الحكومات والعقبات المادية التي تقف في طريق الدعوة الي الاسلام

حيث أن الاسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه<sup>(٢)</sup> كما هو نص الآية لذا فان الغاية من القتال في الاسلام كما تقدم هو اخضاع الناس لسلطان الدولة المسلمة حتى لا تكون فتنة ويكون الحكم لله وحتى يتاح للأفراد حرية اختيار الدين الحق

يقول ابن كثير<sup>(٣)</sup> عند تفسير قوله تعالى : (( لا اكراه في الدين ٠٠٠ )) أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في الاسلام فانه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج الى أن يكره أحد على الدخول فيه بل من هداه الله للاسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ومن أعمى الله قلبه وختم سمعه وبصره فانه لا يفيد

الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً (٠) ١٠

---

(١) ذهب الامام مالك والارزاعي وأبو حنيفة رحمهم الله قال أن جميع الكفار سواء كانوا أهل كتاب أو مجوس أو عباد أوثان و نحو ذلك جميعهم تؤخذ منهم الجزية واستثنى أبو حنيفة مشركي العرب و مجوسهم و يرى الشافعي أن غير أهل الكتاب المجوس ليس لهم الاسلام أو المقاتلة حتى يسلموا فان ضعفنا عن ذلك فلا يسقط هذا الحكم و لكن نقوم به عند المقدرة  
أنظر : المغني ج ٨ / ٤٩٦ تفسير ابن كثير ٢ / ٥٤٢ التوبة / ٢  
روح المعاني ١٠ / ٧٩

(٢) يستثنى من ذلك مشركي الجزيرة لما تقدم من اسباب تخصمهم

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ / ٤٦٤ البقرة / ٢٥٦

قلت :- والآية أيضا يعم حكمها أهل الكتاب لأنهم لا يجبرون على الدخول في الاسلام بحال من الاحوال وانما يقاتلون على دفع الجزية عند رفضهم الدخول في الاسلام فان دفعوا الجزية تركوا دينهم<sup>(١)</sup> وما يدل على عدم جواز اكراه أهل الكفر عموما على الايمان أن الايمان المبني على الاكراه لا عبرة به كما أن الكفر المبني على الاكراه لا عبرة به أيضا ، لأن الايمان والكفر من اختصاص القلوب قال الله تعالى : (( من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ، ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ) ، فالاسلام لا يعترف بمظهر الايمان الناشئ عن القهر والالغاء كما لا يعبأ بمظهر الكفر تحت الضغط والاكراه مع اطمئنان القلب بالايمان ، إضافة الى أن الدنيا دار ابتلاء ، ولا ابتلاء مع الاكراه قال تعالى : (( الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا )) الملك / ٢

فاكراه الكفار على الاسلام بالقوة يتناقض تماما مع هذا التصور<sup>(٢)</sup> يقول الرازي<sup>(٣)</sup> عند تفسير قوله : (( لا إكراه في الدين ... )) نقلا عن أبي مسلم والقفال : (( انه تعالى ما بني أمر الايمان على الاجبار والقسر وانما بناه على التمكن والاختيار ، حيث أنه تعالى لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للعذر فلم يبق بعد إضاحها للكافر عذري في الاقامة على الكفر ، الا أن يُجبر على الايمان ويقسر عليه وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار ابتلاء)) وفي القهر والاكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان ، ونظير هذا قوله تعالى : (( فمن شاء فليؤمّن ومن شاء فليكفر )) وما يؤكد هذا القول أنه تعالى قال بعد هذه الآية : (( قد تبين الرشد من الغي )) يعني ظهرت الدلائل ولم يبق الا طريق القسر والاكراه وذلك غير جائز ينافي التكليف )) او

---

(١) الجزية في الاسلام لها أسباب و غايات ، فمن أسبابها أنها بدل الاحمايية والمنع لأهل الذمة حيث إنهم يتمتعون بحماية دولة الاسلام وخدماتها وفيها دفع الاحراج عنهم حتى لا يلتزموا في معارك المسلمين مع غيرهم التي غير ذلك من الاسباب

أنظر : تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٣ / ٢٦٧

وراجع كتاب : افتراءات حول غايات الجهاد للدكتور محمد نعيم ياسين ، ١٠٥-١٠٩

(٢) تفسير الشيخ محمود شلتوت ٥٢٣ - ٥٣١ ، كتاب الجهاد المشروع في الاسلام : الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود ط ٢ ص / ٩ ، افتراءات حول غايات الجهاد ٢٤-٢٥

(٣) تفسير الرازي ج ٧ / ١٤ ، وأنظر روح المعاني ٣ / ١٢ القرطبي ٣ / ٢٣٠

قلت : لا ينافي قوله تعالى (( لا اكره في الدين ٠٠٠ )) الآية ، ما جاء من آيات فيها اطلاق مقاتلة المشركين ووجوب ظهور الدين على كل الأديان ، كقوله تعالى :

(( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله )) الانفال، وقوله تعالى : (( هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون )) التوبة / ٢٣

فقد فسرت الفتنة في الآية الأولى بفتنة المسلمين عن دينهم وصد الناس عن الدخول في الاسلام فانها أعظم فتنة وهذا مما يوجب مقاتلة المشركين لدفع فتنهم للعباد باغوائهم وايقاعهم في الشرك والفساد كما قال تعالى : (( وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون

ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها . )) النساء / ٧٥ ولا شك أن استضعاف هؤلاء المسلمين من الفتنة ومعنى الآية : أنه لا عذر لكم في ترك المقاتلة وقد بلغ حال المستضعفين من الرجال والنساء والولدان من المسلمين الى ما بلغ في الضعف والقهر فهذا حث شديد على القتال وبيان العلة التي لها صار القتال واجبا وهو ما في القتال من تخليص هؤلاء المؤمنين من أيدي الكفرة لأن هذا الجمع الي الجهاد يجرى مجرى فكك الأسير<sup>(١)</sup> ونحن نرى اليوم كثيرا من الأقليات المسلمة في دول الكفر وقد استضعفوا وفتنوا عن دينهم حتى أنهم ليجبرون على تغيير اسمائهم الاسلامية ويجبرون على الانخراط في حياة الكفرة من الفساد والاختلاط وأكل المحرمات الى غير ذلك .

فهؤلاء لهم على المسلمين واجب تخليصهم من الاستضعاف والفتنة ولا سبيل الي ذلك الا باحياء الجهاد في سبيل الله الذى يخاف منه أعداء الاسلام لما يعلمون من نتائجه وقوته في رفع الظلم عن عباد الله وتحريرهم من هيمنة أنظمة الكفر

وكما سبق فان قتال المشركين في الاسلام ليس موجبه ضد الافراد بأعينهم ولا لإجبار أحد على اعتناق الاسلام، وانما هو قتال للأنظمة السياسية والاجتماعية القائمة على الباطل والكفر والظلم والتي تصد عن سبيل الله وتحول بين الاسلام وبين شعوبها قولا وعملا

وهكذا كانت سيرة المسلمين في فتوحاتهم فانهم لم يقاتلوا الشعوب والأفراد بل الأنظمة وحكائهم عندما يصدون عن سبيل الله ويمنعون الشعوب من حرية اختيار الدين الذي يريدونه (١) .  
ولهذا فان معنى قوله تعالى : (( هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ))  
هو ظهور الدين بالحجج والبراهين على كل الأديان و  
المعتقدات الباطلة وانتشار حكم الاسلام في بقاع الأرض لتمكين  
الناس من معرفة الدين الحق ودفع الظلم والاستضعاف عنهم، وهذا  
بالطبع يكرهه المشركون لأنهم يريدون ظهور معتقداتهم والله  
غالب على أمره .  
أخرج الامام أحمد (٢) عن تميم الزاري رضي الله عنه قال : سمعت رسول  
الله - صلى الله عليه وسلم - يقول ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل  
والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يعز  
عزيزا ويذل ذليلا عزا يعز الله به الاسلام و ذلا يذل به الكفر ))

---

(١) راجع للتوسع : السياسة الشرعية لابن تيمية - ١٣٩ فما بعدها طبع دار ~~ال~~  
الشعب القايرة - تحقيق محمد البنا، محمد عاشور  
في ظلال القرآن ج ٣ / ١٥٠٥ ، افتراءات حول غايات الجهاد ص ٢٩ - ٣٠  
(٢) مسند أحمد ١٠٣ / ٤



وبهذا يتبين لنا أن كل أمر ورد في الشارع يجب امتثاله في وقته عند حصول علقته ، ثم يُنتقل إلى حكم آخر بانتقال تلك العلة كما تقدم في الآيات التي تأمر بالصبر والعفو والصفح والاعراض عن المشركين وكف الأيدي عنهم ، فإنها كانت في مرحلة معينة كان وضع المسلمين فيها لا يسمح بالقتال ومصادمة المشركين للأسباب التي ذكرتها ،

فلما قويت شوكة المسلمين قليلا وأصبحوا قادرين على القتال وزالت علة النهي عن مصادمة المشركين أنن لهم بالقتال من دون فرض ثم فُرض عليهم قتال من قاتلهم ، وأخيرا أمروا بمقاتلة المشركين مطلقا حسب ما فصلناه آنفا ،

وهذه الأحكام تنطبق على المسلمين في كل آن حسب وضعهم من ضعف أو قوة ، فليس بين الآيات ناسخ ومنسوخ إنما هو تدرج في التشريع بما يلائم ظروف المسلمين ، قال الزركشي<sup>(١)</sup> يرحمه الله :-

(ويعود هذان الحكمان : أي المسالمة عند الضعف والمسايفة عند القوة يعود سببهما ، وليس حكم المسايفة ناسخا لحكم المسالمة بل كل منهما يجب امتثاله في وقته ) ٥٠١ هـ

قلت : كما أن العفو والصفح والاعراض عن الجاهلين ، وما شابه ذلك أخلاق إسلامية ينبغي التحلي بها حتى في مرحلة جهاد الكفار ومقاتلتهم ، لأنه لا يمنع أن يؤمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالاعراض مع الأمر بقتال المشركين ، فإنه ليس من المتناقض أن يقول الشارع : لا تقابل السفاهة بمثلها ولكن قاتلهم ، كما أن الاضواء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في العقل والشرع وسبب لسلامة العرض والورع<sup>(٢)</sup> .

(١) البرهان : ج ٢ / ٤٢

(٢) أنظر : تفسير الرازي ١٥ / ١٠٠ ، ٢٣ / ١٠

روح المعاني : ١٤ / ٧٧

(٢) قوله تعالى :-

(( وان جنجوا للسلام فاجنح لها وتوكل علي الله انه هو

السميع العليم . )) الانفال / ٦١

هذه الآية فيها أنه اذا مال الكفار<sup>(١)</sup> للملح والمهادنة وطلبوا ذلك فعلى المسلمين أن يجيبوهم الي ذلك ويسالموهم

وجاءت آيات أخرى قد يتوهم أنها تنافي هذه الآية

وهو قوله تعالى :-

(( فلا تهنوا وتدعوا الي السلم وأنتم الأعلون والله معكم

ولن يترككم أعمالكم )) محمد / ٢٥

فهذه الآية تنهى عن الدعوة الي السلم والملح وذلك بخلاف الآية

الأولى

ويؤيد هذه الآية : الآيات التي تأمر بقتال المشركين عموماً

كقوله تعالى :

(( فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ..... )) - التوبة / ٥ -

وقوله : (( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ولا يحرمون

ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى

يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون )) - التوبة / ٢٩ -

والجواب :- أن معنى قوله تعالى «وإن جنحوا للسلام فاجنح لها» :-

هو جواز مصالحه الكفار ومهادنتهم في حالة كون الملح فيه

مصلحة للمسلمين لجلب منفعة أو دفع مضرة وعندما يكون المسلمون

في ظروف لا تسمح لهم برفض السلم والملح، أما إذا كان المسلمون

على عزة وقي قوة ومنعة فليس لهم أن يهنوا ويدعوا للملح

والمهادنة مع الكفار الذين يصدون عن سبيل الله ويقفون في

وجه انتشار الاسلام

(١) ذكر بعض المفسرين أن المراد بالآية قبول الجزية من أهل الجزية وهو قول

مجاهد والسدي وعلي هذا فالآية خاصة بأهل الكتاب والآيات الأخرى

لبقية الكفار فلا اختلاف بين الآيات ولكن الظاهر هو عموم الآية

وعلى هذا الأساس تكلم العلماء في وجه الجمع بينها وبين الآيات

الأخرى .

أنظر : القرطبي ٨ / ٣٩ - ٤٠

روح المعاني : ١٠ / ٢٧ ، الدر المنثور : ٤ / ٩٨

وهذا ما يفيدُه قوله تعالى :

(( فلا تهنوا وتدعوا الي السلم وأنتم الأعلون والله معكم ))

فان كون المسلمين هم الأعلون والله معهم و ناصرهم من أقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة لأن دعوة الاسلام ما وُجِدَتْ لتقف بل لتمتد وتنتشر في ربوع الأرض لتبلغ دين الله ونشر أحكامه وإزالة حكم الطاغوت وإنما ابيح للمسلمين مهاده المشركين للضرورة في حالة عجز المسلمين عن استمرار الاندفاع في أرض الله لنشر دينه، وكذلك اذا فتح الكفار ديارهم لدعوة الاسلام ولم يصدوا عن سبيل الله وسالموا المسلمين فالاسلام يأمر هنا بمسالمتهم وبرهم والاقساط اليهم وعموم آيات قتال المشركين انما يراد به من كان منهم في حالة اعتداء علي المسلمين أو صد عن سبيل الله أو فتنة عن دينه، والرسول - صلي الله عليه وسلم - صالح قریشا في الحديبية لما رأى المصلحة في هذا الملح وجعله محدودا بمدة وليس مطلقا لعلمه أن الملح مع الشرك وأهله مؤقت والملاح مع أهل الكتاب انما يكون بقبولهم الجزية ودخولهم في نمة المسلمين

وما زالت الخلفاء والمحاباة علي هذا السبيل لذلك فان النصوص التي تأمر بالجنوح للسلم في حالة احتياج المسلمين له ، والتي تأمر بعدم الدعوة للسلم : ما دام المسلمون في عزة ومنعمة هذه النصوص فيها متسع لمواجهة الظروف المشابهة تتصرف من خلالها القيادة المسلمة تلبية لحاجات الواقع و ضروراته (١)

قال ابن كثير رحمه الله (٢) بعد أن نقل القول أن آية

(( وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ))

منسوخة بآية السيف في براءة

(( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر )) الآية

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٢ / ٨٧٦

تفسير ابن كثير ٢ / ٥٠٦

القرطبي ٨ / ٣٩ الرازي ١٥ / ١٩٣ زاد المسير ج ٣ / ٣٧٦

روح المعاني ١٠ / ٢٧ في ظلال القرآن ٣ / ١٥٤٦

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٢ / ٥٠٦ الأنفال / ٦١

وأنظر ج ٤ / ٢٧٨ سورة محمد / ٣٥ من نفس المصدر

قال : (( وفيه نظر لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم اذا أمكن ذلك ، فأما إن كان العدو كثيفا فانه يجوز مهادنته كما دلت عليه هذه الآية الكريمة وكما فعل النبي - صلي الله عليه وسلم - يوم الحديبية فضلا منافاه ولا نسخ ولا تخصيص )) ٠١ هـ

قوله تعالى :-

٣- (( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا علي إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون )) الممتحنة / ٨ - ٩

هذه الآية فيها بيان جواز بر الكفار غير المحاربين والاقساط اليهم من المال علي وجه الصلة (١)

مع أنه جاءت آيات أخرى يتوهم منها خلاف ذلك وهي قوله تعالى :-

(( لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم )) الآية المجادلة (٢)

وهذه عامة في كل كافر سواء كان محاربا أو غير محارب لأن الكفر بحد ذاته هو محادة لله ورسوله ،

وقوله : (( فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ..... )) الآية المائدة (٣)

وهي أيضا عامة في كل مشرك سواء كان محاربا أو غير محارب فهاتان الآيتان نهتا النبي عن موادة الكفار عموما ووجوب قتلهم حيثما وجدوا فكيف التوفيق بين هذه الآيات ؟

الجواب : ان هناك فرق بين البر والصلة وبين المودة والموالة فالبر والصلة أعم من المودة والموالة ، فالانسان يمكنه اسداء المعروف لمن يواليه ولمن لا يواليه فالنهي عن المودة والموالة للكفار عموما لا يستلزم النهي عن برهم وصلتهم لأن البر والصلة من أفعال الجوارح والمودة والموالة من أفعال القلوب

---

(١) نبه ابن العربي في أحكام القرآن ( ج ٤ / ١٧٨٥ ) أن معنى وتقسطوا اليهم : أي تعطوهم قسطا من أموالكم علي وجه الصلة وليس يريد به من العدل فان العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل كما قال تعالى : (( ولا يجرمنكم شنآن قوم علي ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ))

وير الكفار وملتهم انما شرعت لتأليفهم و ترغيبهم في الاسلام  
حيث إن قوله تعالى :

(( عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة

والله قدير والله غفور رحيم )) الممتحنة / ٧

فيه دلالة على أن العدو قد يميز حبيبا بفضل الله و توفيقه وما  
جُعل البر والملة الا لتحقيق ذلك  
ولقد وقع بعد هذا بوقت قصير أن فُتحت مكة وأسلمت قريش  
وعاد الجميع أخوة متحابين ،

ولذلك قال المفسرون : ان قوله تعالى :

(( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم

من دياركم أن تبروهم )) الآية

رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين أو كانوا معهم  
في هدنة، وجواز برهم وإن كانت الموالاتة منقطعة منهم (١)

ولهذا قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> رحمه الله : ولا معني لقول من قال ذلك  
منسوخ - يعني بر الكفار وملتهم - لأن برّ المؤمن أحدا من أهل  
الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب أو ممن لا قرابة بينهما ولا  
نسب : غير مُحَرَّمٍ ولا منهيّ عنه اذا لم يكن في ذلك دلالة له أو  
لأهل الحرب على عورة أهل الاسلام أو تقوية لهم بآراج أو سلاح  
ويبين ذلك الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء مع  
أهلها ((

قلت : روى البخارى و مسلم<sup>(٣)</sup> عن أسماء رضي الله عنها قالت :-  
قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم -

- وفي رواية أخرى للبخارى في عهد قريش ومدتهم ان عاهدوا النبي  
صلى الله عليه وسلم - فاستفتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
قلت : إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصل أمي ؟

(١) أحكام القرآن لأبن العربي ٤ / ١٧٨٥

رازي ٢٩ / ٣٠٤ زاد المسير ٨ / ٢٣٧ روح المعاني ٢٨ / ٧٤

(٢) تفسير الطبري ٢٨ / ٤٣ طبعة دار المعرفة

(٣) البخارى كتاب الهبة / على باب الهدية للمشركين ج ٣ / ١٤٢ و اللفظه وفي الأدب

وفي الأدب / باب صلة الوالد المشرك ج ٧ / ٧١ و مسلم في كتاب الزكاة / باب فضل

الصدقة على الأقربين ولو كانوا مشركين ( شرح النووي ج ٧ / ٨٩ )

قال : نعم صلي أمك .)

قلت : وهذا الحديث يدل على أنه تجوز صلة المشركين كالنساء والصبيان وان كانوا تبعاً لأهل الحرب لعدم وجود محذور من ذلك .

وهذا يوضح لنا أن قوله تعالى "فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم"

لا ينافي الأمر بصلة المشركين غير المحاربين

لأن المقصود بالأمر بقتل المشركين هم الذين في حالة حرب واعتداء أو إعاقة لنشر الدين

بخلاف المسالمين والنساء والصبيان الذين هم ليسوا من أهل الحرب فهؤلاء يجوز برهم وصلتهم على كل حال

أما المحاربين فلا تجوز صلتهم وبرهم لما فيه من تقوية العدو ويحسن أن نختم بقول الشهيد سيد قطب (١) حيث قال عند تفسير آية

المتحنة

(( وتلك القاعدة في معاملة غير المسلمين هي أعدل القواعد التي

تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظرته الى الحياة الانسانية . وهي أساس شريعته الدولية ، التي تجعل حالة السلم بينه وبين

الناس جميعاً هي الحالة الثابتة لا يغيرها الا وقوع الاعتداء الحربي وضرورة رده ، أو خوف خيانة بعد المعاهدة وهي تهديد بالاعتداء

أو الوقوف بالقوة في وجه حرية الدعوة وحرية الاعتقاد وهو كذلك اعتداء ، وفيما عدا هذا فهي السلم والمودة والبر والعدل للناس

أجمعين )) ١٠ هـ

(٤) قوله تعالى :

(( يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبير )) البقرة/٢١٧

وقوله تعالى :

(( إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم

خلق السموات والأرض منها أربعة حرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم )) التوبة/٣٦

هاتان الآيتان فيهما النهي عن القتال في الأشهر الحرم والتي هي :

ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب فلا يجوز فيها ابتداء القتال

إلا على سبيل القصاص ورد الاعتداء ودفع الضرر بالمثل

وهذه الآيات يوهم ظاهرها منافاة قوله تعالى :  
(( فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ..... )) - التوبة ٢٤  
لأنه طلب قتلهم حيث وجدوا ولم يستثن زما دون زمان  
وكذلك قوله :

(( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر )) الآية،  
التوبة ٢٩

والجواب : أن توهم التنافي بين الآيات مدفوع وذلك من وجهين :-  
الوجه الأول : القول بالنسخ

وهو أن تحريم الأشهر الحرم منسوخ بعموم آيات السيف التي  
تأمر بقتال المشركين مطلقا وهو قول ابن جرير (١) و مروى عن سعيد بن  
المسيب وسليمان بن يسار وابن زيد وعطاء بن فيسرة والزهرى

قال الرازى (٢) : قال أبو عبيد : والناس بالثغور اليوم جميعا على  
هذا القول يرون الغزو مباحا في الشهور كلها ولم أر أحدا أعلماء  
الشام والعراق ينكره عليهم، كذلك أحسب قول أهل الحجاز هـ

قلت : ونسب أكثر المفسرين القول بالنسخ للجمهور وفقهاء الأمصار  
وصحح القرطبي وغيره (٣) هذا الوجه لأن النبي - صلى الله عليه وسلم -  
غزا هوزان في شوال وثقيفا بالطائف وحاصرهم في شوال وبعض  
ذى القعدة ومعلوم أن ذى القعدة من الأشهر الحرم .  
وعلى هذا الوجه وهو القول بالنسخ ينتفي توهم الاختلاف بين  
الآيات لأن الناسخ والمنسوخ لا يتعارضان كما تقدم في فصل أسباب  
موهم الاختلاف

---

(١) تفسير الطبرى ٣ / ٥٧٨ - ٥٨١ / ٤ ج ٢١٢ - ٤١٥ تحقيق محمود شاكر  
تفسير ابن كثير ج ٢ / ٥٥٤ التوبة / ٣٦  
زاد المسير ج ١ / ٢١٧  
أحكام القرآن لابن العربي ١ / ١٤٧ القرطبي ٨ / ١٣٥ ٣ / ٤٣  
الرازى ٦ / ٣٠ روح المعاني ٢ / ١٠٨  
(٢) الرازى ٦ / ٣٠  
(٣) تفسير القرطبي ٨ / ١٣٥ روح المعاني ج ١٠ / ٩٢

الوجه الثاني :-

ان حرمة القتال في الأشهر الحرم محكمة وليست منسوخة فلا يجوز الابتداء فيها بقتال أو غزو الا على سبيل المقاصعة ورد الاعتداء وذلك لقوله تعالى : (( يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ... )) المائدة / ٢

وقوله ايضاً (( جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ... )) المائدة / ٩٧

وهاتان الآيتان من سورة المائدة وهي من آخر ما نزل من القرآن وفيهما النهى عن احلال الشهر الحرام بقتال ونحوه فلا يمكن أن يتوجه النسخ

وكذلك لما روى الامام أحمد\* باسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وابن جرير ايضاً :

قال : لم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام ألا أن يُغزى ، فاذا حضره أقام حتى ينسلخ ((

قال ابن كثير<sup>(١)</sup> : هذا إسناد صحيح

وروى الامام ومسلم<sup>(٢)</sup> عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه :

أن الرسول خطب الناس يوم عرفه عام حجة الوداع وقال :

(( ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فني شهركم هذا في بلدكم هذا ... )) الحديث

فهذان الحديثان يدلان على استمرار حرمة الأشهر الحرم ولا

معارض لهما

وروى ابن جرير<sup>(٣)</sup> أن عطاء بن رباح كان يحلف بالله : (( ما يحل للناس

الآن ان يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يُقاتلوا فيه

أو يُغزوا ، وما نُسخت ))

أما قوله تعالى : (( فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ... ))

وقوله : (( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا اليوم الآخر ... ))

ونحوها من الآيات التي فيها مطلق الأمر بقتال المشركين دون

(١) تفسير القرآن العظيم ج ١ / ٢٤٢ البقرة / ١٩٤

(٢) مسلم في الحج باب حجة النبي - صلى الله عليه وسلم - شرح النووي ج ٨ / ١٨٢ / و ابو داود في المناسك / باب صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - رقم ١٩٠٥ ج ٢ / ٢٥٥

(٣) زاد المسير ج ١ / ٢٢٧ ، القرطبي ٨ / ١٣٥ ، الرازي ٦ / ٢٨

\* مسند أحمد ٢ / ٣٣٤ ، ٣٤٥ تفسير ابن جرير ج ٤ / ٣٠٠ تحقيق محمود شاكر



استثناء زمان معين

فانها آيات عامة في الأشخاص والأماكن وهذا لا يستلزم العموم

في الأزمان، واذن فلا تعارض ولا نسخ

فالآيات التي تأمر بقتل المشركين كافة وحيثما وجدوا لا تنافي حرمة

القتال في الشهر الحرام لأن عموم الأشخاص والأمكنة يتحققان في

بعض الأزمان الصادق بما عدا الأشهر الحرم<sup>(١)</sup>

كما أنه على فرض استلزام عموم الأشخاص والأماكن لعموم الأزمان

فهذا العموم مخصوص بآيات تحريم القتال في الأشهر الحرم ولا تعارض

بين العام والخاص<sup>(٢)</sup>

كما أن الذي يظهر أن الآيات التي فيها الحظ على مقاتلة عموم

المشركين وحيثما وجدوا هي من باب التهيج والتحفيز أي كما

يجتمعون لحربكم انا حاربوكم فاجتمعوا انتم ايضاً لهم انا حاربتموهم

وقاتلوهم بنظير ما يفعلون<sup>(٣)</sup> وكما يترصدون لحربكم ويدأبون على

الصد عن سبيل الله في كل مكان فكذلك أنتم قاتلوهم حيث ثقتموهم

ويدخل في ذلك ما لو اعتدوا على المسلمين في الشهر الحرام فلا

حرج من قتالهم حينئذ

وأما حصار الرسول - صلى الله عليه وسلم - لشقيف في الطائف

في ذى القعدة فان هذا الحصار كان من تنمة<sup>تقتال</sup> هوازن وأحلافهم من

شقيف فإنهم هم الذين ابتدأوا القتال وجمعوا الرجال ودعوا

الى الحرب والنزال فعندها قصدهم رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - في شوال وهو ليس من الأشهر الحرم فلما هُزم المشركون

تحصنوا بالطائف فحاصرهم المسلمون وكان ابتداء الحصار في

شوال ودخل الشهر الحرام فاستمر الرسول فيه أياماً ثم قفل

عنهم لأنه يغتفر في الدوام ما لا يغتفر في الابتداء<sup>(٤)</sup>

(١) مناهل العرفان / الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ج ٢ / ١٥٦

والقول بعدم النسخ هو ما استقر عليه الشيخ الشنقيطي صاحب أضواء البيان

مستدلاً بآيات المائة السالفة الذكر أنظر أضواء البيان ج ١٠ / ١٤٥ الهامش

(٢) القرطبي ٤٣ / ٣

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ / ٥٥٥ التوبة / ٣٦

(٤) نفس المصدر ج ٢ / ٥٥٥

وأنظر سيرة ابن كثير ج ٣ / ص ٦٥٢ ، ٦٥٦ ( غزوة الطائف ) حيث ذكر

أن الرسول حاصر الطائف في شوال سنة ثمان وأن الحصار استمر

بضعة وعشرين ليلة .

وهذا مثل أن يكون المسلمون في حرب مع أهل الكفر ويدخل الشهر الحرام والمسلمون على وشك الانتصار فلهم حينئذ استدامة القتال حتى لا يفوتهم النصر وهذا بخلاف الابتداء في الشهر الحرام قلت: وعلى ما تقدم في هذا الوجه فإن القول بعدم النسخ هو الصحيح وهو الذي تؤيده الأدلة وإمكان الجمع بين الآيات كما تقدم إضافة إلى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أثبت حرمة الأشهر الحرم في حجة الوداع في قوله (١) :-

(( ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا )) وفي رواية (( إلى يوم تلقون ربكم ))

ويضاف إلى ذلك أن الله سبحانه جعلها فترة يستريح فيها الناس ويراجعون أنفسهم ففيها مجال لأن يتفكر الكافر ويرى الصواب ودين الحق ولو كانت أشهر العام كلها قتال لما كان هناك مجال للتفكير ومراجعة النفس والنظر في الأدلة

فأيام السلم والهدنة ادعى لتقبل الدعوة والنظر في الأدلة بعكس أيام القتال التي تهيج النفوس، وكل ذلك ما لم يُقاتل في الأشهر الحرم

فإن قوتلنا فلا خلاف عند أحد في جواز القتال وأنه لا يعتبر انتهاكا لحرمتها لأنه حينئذ دفاع عن النفس

(٥)

قوله تعالى : (( ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم

فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين )) البقرة / ١٩١

هذه الآية فيها النهي عن القتال عند المسجد الحرام إلا إذا

ابتدأ ذلك المشركون فيقاتلون مقامة ودفاعاً للأعتداء، وهذه الآية تخالف في الظاهر الآيات التي تأمر بقتال المشركين كافة وحيثما وجدوا .

---

(١) أخرجه :- البخاري في كتاب الحج باب / ١٣٢ الخطبة أيام منى ج ١٩١/٢ من حديث ابن عباس وأبي بكره رضي الله عنهم / واللفظه و مسلم في كتاب الحج / حجة النبي - صلى الله عليه وسلم - ( شرح النووي ج ٨ / ١٨٢ ) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

وهو قوله تعالى :

(( وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة )) - التوبة / ٣٦

وقوله تعالى :

(( فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ..... )) التوبة / ٥

ولم تستثنِ هذه الآيات ونحوها أى مكان بل هي عامة في كل المواضع

والجواب : أنه لا تعارض بين الآيات وذلك من وجهين

الوجه الأول :

أن النهى عن القتال عند المسجد الحرام منسوخ بالآيات الأخرى

التي تأمر بقتال كافة المشركين وحيثما وجدوا

وهو قول :- قتادة والربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد ومقاتل<sup>(١)</sup>

فقال قتادة انه منسوخ بقوله تعالى :

(( فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم )) التوبة / ٥

فأمر بقتالهم في الحل والحرم وعلى كل حال ، ونهب الآخرون

من القائلين بالنسخ الى أنه منسوخ بقوله تعالى :

(( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة . ))

قلت : وعلى هذا الوجه فليس هناك تعارض بين الآيات

الوجه الثاني :

وهو قول مجاهد رحمه الله وإليه ذهب جمهور العلماء<sup>(٢)</sup> أن

النهي عن القتال عند المسجد الحرام مُعكَم غير منسوخ وانه لا

يجوز القتال عنده إلا على وجه قتال مَنْ قاتل واعتدى، ولذلك فان

تحريم القتال عند المسجد الحرام تخصيص للآيات التي فيها مقاتلة

المشركين كافة وأينما وجدوا

ولا تعارض بين العام والخاص

---

(١) تفسير الطبري ج ٣ / ٥٦٧ ، ٥٦٩ تحقيق محمود شاكر

زاد المسير ج ١ / ١٩٩ ، النكت والعيون للماوردي ج ١ / ٢١٠

(٢) تفسير ابن جرير ج ٣ / ٥٦٧ تحقيق محمود شاكر

تفسير ابن كثير ١ / ٢٤١ البقرة / ١٩١ القرطبي ٣ / ٣٥١

الرازي ٥ / ١٣١ زاد المسير ١ / ١٩٩

شرح النووي على مسلم ٩ / ١٢٤

قلت : ويدل على ذلك سياق الآية التي فيها عدم المقاتلة عند المسجد الحرام وهي كالتالي :

(( واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتي يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ، فان انتهوا فان الله غفور رحيم )) البقرة ١٩١ - ١٩٢

فهو سبحانه أمر بقتلهم حيثما ثقتوا ثم استثنى قتالهم عند المسجد الحرام الا اذا قاتلوا فيه وهذا التعميم والتخصيص في نفس الآية يدلنا على مراد الله في هذا الحكم ويؤيد ذلك ما ثبت عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - من تحريم مكة فقد روى مسلم والبخاري<sup>(١)</sup> عن جابر بن عبد الله وابن عباس رضي الله عنهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خطب عام حجة الوداع في عرفات ومنى وقال :- (( إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا فسي بلدكم هذا الى أن تلقوا ربكم )) .

وأخرج مسلم<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح فتح مكة : لا هجرة ولكن جهاد ونية وقال يوم الفتح فتح مكة ان هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة (( الحديث وفي رواية أخرى لمسلم<sup>(٣)</sup> عن أبي شريح العدوي مرفوعا :- (( إن مكة حرّمها الله ولم يُحرّمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة فان أحد ترخص بقتال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها فقولوا له ان الله أنزله لرسوله ولم يأذن لكم فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب ))

(١) سبق تخريجه قريبا في المبحث السابق

(٢) كتاب الحج / باب تحريم مكة ( شرح النووي ج ٩ / ١٢٣ )

(٣) كتاب الحج / باب تحريم مكة ( شرح النووي ج ٩ / ١٢٧ )

فهذه الاحاديث ظاهرة في تحريم القتال في الحرم ويُستثنى من ذلك ما اذا ابتدأ المشركون القتال فيه فيقاتلو كما نصت الآية  
أما حكم البغاة في الحرم فانهم يقاتلون على بغيتهم اذا لم يمكن  
يمكن ردهم عن البغي الا بالقتال نقل ذلك الماوردي عن جمهور الفقهاء  
الفقهاء (١) لأن قتال البغاة من حقوق الله التي لا يجوز اضعافها  
فحفظها أولى في الحرم من اضعافها وإخبار الرسول بتحريم القتال  
في الحرم الي يوم القيامة يدل علي عدم إمكانية تطرق النسخ  
اليه لأنه خبر عن التحريم والخبر لا ينسخ

( ٦

قوله تعالى :-

(( وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة  
منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم  
لعلهم يحذرون )) التوبة / ١٢٢  
هذه الآية فيها نهي للمؤمنين أن ينفروا كافة عندما يكون  
هناك نفر و جهاد

بينما جاءت آيات أخرى تدل على أن النفر واجب على الجميع  
وهو قوله تعالى :-

(( انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في  
سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون / التوبة / ٤١  
وقوله تعالى :-

(( وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ..... )) التوبة/٣٦  
وقبل الجواب لابد من بيان معنى قوله تعالى :-  
(( وما كان المؤمنون لينفروا كافة ))

ففي تفسير هذه الآية قولان اجمالا

القول الأول :- أن المؤمنيين لا ينفرون كافة ولكن ينفر من كل فرقة  
منهم بطائفة - على التناوب بين من ينفرون ومن يبقون - ليتفقهوا  
الخارجون مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - بما ينزل من الوحي  
عليه وما يروونه في الجهاد من أسرار ومعاني وآيات يستفيدونها من  
حركتهم في الجهاد، وبعد الرجوع يُنذرون أقوامهم بما رأوا وما شاهدوا  
وما تعلموا فالخروج بصفة عامة من أجل الجهاد أدنى الى الفهم والتفقه

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ( ج ٩ / ١٢٤ ) وقال النووي هو الصواب

وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس :- في الآية  
( ( ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا النبي - صلى الله  
عليه وسلم - وحده ( ( فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني  
عصبة يعني السرايا ولا يتسروا إلا بأذنه فإنا رجعت السرايا وقد  
وقد نزل بعدهم قرانا تعلمه القاعدون من النبي - صلى الله عليه وسلم -  
فيمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم ويبعث  
سرايا أخرى ..... )) (١)

والقول الثاني :- أن المراد : النفير الى رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - لاقتباس العلم والتفقه وهذا الخطاب متوجه لأهل  
القبائل، فما يصح ولا يستقيم أن يأتوا كلهم الى المدينة للتفقه بل  
الواجب أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا عند رسول  
الله ويرجعوا الى قومهم يعلمونهم ما سمعوه ورأوه (٢)  
وعلى القول الثاني ليس هناك توهم تعارض في الآيات الأخرى أما  
على القول الاول وهو الراجع حسب ما يظهر فالجواب ما يلي، من  
وجهين :-

الوجه الأول :- أن قوله تعالى : انفروا خفافا وثقالا ... ))

وما شابها من الآيات التي تأمر بنفير الجميع  
منسوخه وهو قول مجاهد وابن زيد لأن وجوب النفير على الجميع  
انما كان في مرحلة زمنية معينة استدعى الامر فيها نفير الجميع  
لقلة المسلمين وتكالب الأعداء عليهم فلما تغير الحال وكثر المسلمون  
وأصبح فيهم كفاية أمروا بأن ينفر منهم ما يكفي للجهاد والغزو  
وهو ما يدل عليه قوله تعالى :-

(( وما كان المؤمنون لينفروا كافة ... ))

ولهذا فان النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يغزو في فُتُحَمٍ من  
الناس ولم يستوفِ قط جميع الناس إلا في غزوة العسرة (٣)

(١) الطبري ١٤ / ٥٦٦ محمود شاكر

تفسير ابن كثير ج ٢ / ٦٢٠ التوبة / ١٢٢

زاد المسير ٣ / ٥١٧ الرازي ١٦ / ٢٣٠ البرهان للزركشي ج ٢ / ٢٠٣ - ٢٠٤

في ظلال القرآن ٣ / ١٧٣٤

(٢) المراجع السابقة

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ / ٦٢١ التوبة / ١٢٢ قرطبي ٨ / ٢٩٣ رازي ١٦ / ٧٢

أحكام القرآن لابن العربي ٢ / ١٠٣٢

في ظلال القرآن ٣ / ١٧٣٤

الوجه الثاني :- أن الآيات محكمة وليس فيها ناسخ ولا منسوخ

وقوله تعالى :- (( وما كان المؤمنون لينفروا كافة ))

جاء لبيان المراد من قوله تعالى (( انفروا خفافا وثقالا ))

وقوله: (( وقاتلوا المشركين كافة ))

وهو التهيج والالهاب وجمع الكلمة وعدم التخلف لمن يتعين عليه  
ومن يستنفره الامام

فكما أن الكفار يقاتلونكم كافة ويعدون لكم ما استطاعوا من  
قوه فكذلك أنتم، وليس معنا هذا أن تنفر كل الأمة لأنه معلوم  
من أنه لابد من وجود فرقة لحراسة المدينة وما فيها من نساء  
وصبيان وقد يكون العدو قليلا فلا حاجة لنفر الجميع ،

وقد ذكر المفسرون أنه لما شدد سبحانه النكير على المتخلفين  
قالوا : لا يتخلف منا أحد عن جيش أو سرية أبدا ففعلوا ذلك  
فنزل (( وما كان المؤمنون لينفروا كافة ..... ))

أى ما صح وما استقام ذلك لما فيه من الاخلال بتوازن تواجد  
المسلمين في ديارهم وفي الثغور ولما فيه من الاخلال بالتعليم  
والتفقه<sup>(١)</sup> فالآيات علي هذا محكمة ففي الوقت الذى يحتاج فيه  
المسلمون إلى تعين الجهاد والنفير على الجميع كأن يداهمم العدو  
في بلادهم أو لأى سبب آخر

يجب النفير على كل قادر على حمل السلاح وهو معنى قوله تعالى

(( انفروا خفافا وثقالا ..... ))

وعند الاكتفاء بطائفة من المجاهدين يتحقق بها غرض الجهاد  
لا يصح نفير الجميع ولا يستقيم ذلك وهو معنى قوله تعالى :

(( وما كان المؤمنون لينفروا كافة ..... ))

فلكل آية لها موضعها وظروفها حسب حاجة المسلمين فليس بين

الآيات تنافي أو تعارض

قال القرطبي<sup>(٢)</sup> : عند تفسير قوله تعالى :

(( وقاتلوا المشركين كافة )) التوبة / ٣٦

قال ابن عطية :- لم يُعلم قط من شرع النبي - صلى الله عليه وسلم -

أنه ألزم الأمة جميعا النفير ، وإنما معنى هذه الآية - وقاتلوا

(١) الطبرى ١٤ / ٥٧٢ قرطبي ٨ / ٢٩٣ روح المعاني ١١ / ٤٨

رازى ١٦ / ٧٢ أحكام القرآن / ٢ / ١٥٤ البرهان للزركشي ج ٢ / ٢٠٤

(٢) قرطبي ٨ / ١٣٦ وأنظر : ج ٥ / ٢٧٣

«وقاتلوا المشركين كافة...» الحظ على قتالهم والتحزب عليهم  
وجمع الكلمة ، ثم قيدها بقوله : كما يقاتلوكم كافة )) فبحسب  
قتالهم واجتماعهم لنا يكون فرض اجتماعنا لهم . (( ٠١ هـ  
وقال الرازي : (( اتفقوا على أن هذه الآية - أنفروا خفافا وثقالا -  
نزلت في غزوة تبوك واتفقوا على أنه عليه السلام خلف النساء  
وخلف من الرجال أقواما وذلك يدل على أن هذا الوجوب ليس على  
الأعيان لكنه من فروض الكفايات فمن أمره الرسول بأن يخرج لزمه  
ذلك خفافا وثقالا ومن أمره بأن يبقى هناك لزمه أن يبقى ويترك  
النفرة، وعلى هذا التقدير فلا حاجة الى التزام النسخ )) ٠١ هـ

قلت : وبهذا يتبين لنا توافق الآيات وانجامها وعدم تنافيها  
بل كل آية لها مقصدها وغرضها بما يناسب واقع المسلمين وظروفهم  
وحاجاتهم وما تقتضيه المصلحة فسبحان الذي أنزل الكتاب فيه  
الهدى والنور وفيه الشفاء والصالح لمن اتبعه وتدبره حق تدبره .



مبحث في الأمر بالمعروف

( ٧ )

قوله تعالى :- يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون (( المائدة / ١٠٥

ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد عموما غير واجب لأنها تتضمن الكف عن الضالين

وهذا في الظاهر ينافي ما ثبت في الآيات الأخرى من وجوب جهاد الضالين ودعوتهم ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - كقوله تعالى : (( كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف

وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله )) - آل عمران / ١١٠ -

- وقوله : (( قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة أنا

ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين )) يوسف / ١٠٨ -

- وقوله : (( ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون )) - آل عمران / ١٠٤ -

- وقوله تعالى : (( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله

لله )) الأنفال / ٣٩

وغير ذلك من الآيات التي تأمر بدعوة الكفار والضالين وجهادهم

وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

والجواب :- أنه ليس هناك اختلاف أو تنافي ويتضح ذلك من

الأوجه التالية

الوجه الاول : أن الآية لا تدل على أن الامر بالمعروف والنهي عن

المنكر والدعوة غير واجبه اذا كان ذلك ممكنا بل تدل على أن المطيع لربه

لا يكون مؤاخذا بذنوب العصاة والضالين، فذنوبهم انما تضرهم أنفسهم

لأنه لا تزر وازره وزر أخرى وكل انسان يُجازى بعمله ان خيرا فخير

وان شرا فشر (١)

قال ابن الجوزي (٢) : قال الزجاج : ومعنى الآية : إنما ألزمكم الله

أمر انفسكم ولا يؤخذكم بذنوب غيركم وهذه الآية لا توجب ترك

(١) الرازي ١٢ / ١١٩ فتح الرحمن / ١٥١ تنزيه القران عن المطاعن / ١٢٤

ابن كثير ج ٢ / ١٧٦ المائدة / ١٠٥

(٢) زاد المسير / ٤٤١ ، نواسخ القران لابن الجوزي ص / ٣١٦

الامر بالمعروف لأن المؤمن اذا تركه وهو مستطيع له فهو ضال  
وليس بمهتد ((

الوجه الثاني :- ما ذهب اليه عبد الله بن المبارك : فقال : هذه  
أوكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه قال :  
((عليكم أنفسكم )) يعني أهل دينكم ولا يضركم من ضل من الكفار ،  
فقوله عليكم أنفسكم ، أى ليأمر بعضكم بعضا ولينه بعضكم بعضا  
عن القبائح والسيئات ولا يضركم فلال المشركين الذين لم يستجيبوا  
للدعوة

فقوله : عليكم أنفسكم ، معناه احفظوا أنفسكم فكان ذلك أمرا  
بأن تحفظ فان لم يكن ذلك الحفظ الا بالأمر بالمعروف والنهي عن  
المنكر كان ذلك واجبا وانما يكون الانسان مهتديا اذا امتثل أمر  
الشرع<sup>رسد الله</sup> الأمر بالمعروف<sup>(١)</sup> ولهذا فان الصديق رضي الله عنه-فيما رواه  
أحمد<sup>(٢)</sup> وأصحاب السنن<sup>(٣)</sup> عن قيس ابن أبي حازم-حمد الله وأثنى  
عليه ثم قال : أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية :

(( يا أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل انا اهتديتم ))

وانكم تضعونها على غير موضعها وإنني سمعت رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - يقول (( ان الناس انا رأوا المنكر ولا يغيرونه ،  
أوشك أن يعمهم الله بعقابه ))

قال ابن تيمية<sup>(٤)</sup> : وما ذكره الصديق ظاهر : فان الله قال عليكم  
أنفسكم (( أى الزموها وأقبلوا عليها ومن مصالح النفس فعل ما  
أمرت به من الأمر والنهي ، وقال : (( لا يضركم من ضل انا اهتديتم ))  
وانما يتم الاهتداء انا أطيع الله وأدبى الواجب من الأمر  
والنهي )) ٥٠١ هـ

(١) الرازى ١٢ / ١٢٩

قرطبي ٦ / ٣٤٣

سواسخ القرآن لابن الجوزى / ٣١٧

(٢) أحمد ج ١ / ٢ ، ١٧ ، ٥٢١٣٣

(٣) سند ابي داود في الملاحم / باب الأمر والنهي ج ٤ / ٥١٠

الترمذى / في تفسير القرآن / من سورة المائدة ج ٥ / ٢٥٧

ابن ماجة / في الفتن / باب الأمر بالمعروف وهو حديث صحيح

انظر جامع الأصول ١ / ٢٣١ تهذيب التهذيب ١ / ٢٦٧

(٤) الفتاوى ١٤ / ٤٧٩

وقد اختار ابن جرير (\*) هذا الوجه وقال انه أولى الأقوال بالمواجب (( لأن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بأن يقوموا بالقسط ويتعاونوا على البر والتقوى ومن القيام بالقسط الأخذ على يدي الظالم ومن التعاون على البر والتقوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولو كان للناس ترك ذلك لم يكن للأمر به معنى إلا في الحال التي رخص فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ترك ذلك ، وهي حال العجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة فيكون مرخما له تركه اذا قام حينئذ بأداء فرض الله عليه في ذلك بقلبه ..... ) او

(١)

الوجه الثالث : ان الآية مخصوصة بما اذا خاف الانسان على نفسه أو عرضه أو ماله عند الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر فهنا عليه نفسه ولا يضره ضلالة من ضل ولا جهالة من جهل فتكون الآية على هذا رخصة من الله للمؤمنين عند عدم القدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال القرطبي (٢) :- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعين متى رجي القبول أو رجي رد الظالم ولو بعنف ، ما لم يخف الامر ضررا يلحق في خاصته أو فتنة يدخلها على المسلمين اما بشق عما واما بضرر يلحق طائفة من الناس فانما خيف هذا "فعليكم أنفسكم" مُحكم واجب أن يُوقف عنده . (( ٥٠١ هـ

قلت : ويعضد ذلك الحديث الصحيح (٣)

(( من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه

فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان . ))

فانما قوى أهل الفجور حتى لا يبقى لهم اصفاء الى البر والمعروف بل يؤنون الداعي لغلبة الشح والهوى والاعجاب بالرأى سقط التغيير باللسان في هذه الحال وبقي انكار القلب، ولذلك أخرج

(١) الرازي ١٢ / ١١٩ روح المعاني ٧ / ٤٥ فتح الرحمن / ١٥١

أحكام القرآن لأبن العربي ٢ / ٧٠٦ مجموع الفتاوى ١٤ / ٤٧٩

(٢) قرطبي ٦ / ٣٤٣

(٣) أخرجه :- مسلم في كتاب الايمان / باب كون النهي عن المنكر من الايمان

(شرح النووي ٢ / ٢١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

\* تفسير ابن جرير : ١١٢ / ١٥٢

عبد الرزاق وابن جرير<sup>(١)</sup> عن الحسن أن ابن مسعود رضى الله عنه سأله رجل عن هذه الآية فقال : يا أيها الناس انه ليس بزمانها ولكنه قد أوشك أن يأتي زمان . تأمرون بالمعروف فيضع بكم كذا وكذا أو قال فلا يقبل منكم ، فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم . ))

وأخرج الترمذى<sup>(٢)</sup> وغيره عن أبي ثعلبة الخشني أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الآية فقال : بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخاصه نفسك ودع العوام فان من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون كعملكم . ))

الوجه الرابع : أن الآية مخصوصة بالكفار وأهل الضلال الذين علم أنه لا ينفعهم التذكير والدعوة والأمر بالمعروف بعد أن دعوا وأمروا وأمهروا علي الكفر وعاندوا فهنا لا يجب على الانسان مواصلة أمرهم ونهيهم وتذكيرهم لأنه تضييع لوقت المسلم والمطلوب الدعوة والتذكير حيث تنفع الذكرى فعلى هذا تكون الآية تسلية لمن يأمر وينهى ويدعوا الى الله ولا يقبل منه عند غلبة الفسق وبعد الناس عن الشرع ، كما فيها المنع عن إهلاك النفس حسرة وأسفا على ما فيه الكفار و الفساق من الضلال والفجور لأن المؤمن عادة يتمنى الهداية للناس ويتحسر على بعدهم عن الدين الحق فأخبر الله أن فجورهم ومعاصيهم لا تضر المؤمن والحزن على ما لا يضر عبث وهذا ما يدل عليه قوله تعالى :-

---

(١) ابن جرير ١١ / ١٤١ تحقيق محمود شاكر الدر المنثور :- ج ٢ / ٢١٦ مجمع الزوائد للهيثي ٧ / ١٩ وقال ابن كثير ج ٢ / ١٧٦ المائدة / ١٠٥ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح الا أن الحسن البصرى لم يسمع من ابن مسعود .  
(٢) الترمذى / في كتاب تفسير القران / باب ومن سورة المائدة ج ٥ / ٢٥٧ وقال حسن غريب و أبو داود في / الملاحم / باب الأمر بالمعروف ج ٤ / ٥١٢ والحاكم في المستدرک بمصححه وابن جرير ج ١١ / ١٤٢ رقم ١٢٨٥٨ تحقيق محمود شاكر أنظر الدر المنثور ج ٣ / ٢١٥

قوله تعالى :

(( واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في

ضيق مما يمكرون ))

ولهذا أخرج ابن جرير<sup>(١)</sup> عن حذيفة بن اليمان وسعيد بن المسيب :  
اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فلا يضرك من ضل انا اهتديت

والأوجه الأربعة كلها يحتملها لفظ الآية وعلي هذه الأوجه  
فالآية محكمة ولا يصح القول أنها منسوخة أو الاحتجاج بها لترك  
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الاستطاعة  
فهذه الآية لا تنافي ما يثبت من وجوب الدعوة والأمر بالمعروف  
بل أنها تدل علي ذلك وتوجهه كما تقدم في الأوجه السابقة .

كما أن الآية فيها دعوة للمؤمنين بأن يكونوا أمة متميزة  
متضامنة متكافلة وملتزمة بأوامر الله ولا عليها انا ضل غيرها  
من الأمم ما نامت هي قائمة على الهدى ولا بد أن يكون ولاء  
المؤمنين لأنفسهم لا الى غيرهم لأنهم حزب الله، ومن عداهم من  
الأمم حزب الشيطان، فلا ولاء ولا تضامن مع غيرهم من أهل الضلال  
لأنه لا اشتراك في عقيدة ومن ثم لا اشتراك في هدف أو وسيلة  
ولا اشتراك في تبعة أو جزاء

وليس معنى هذا أن تتخلي الأمة المسلمة عن تكاليفها في  
دعوة الناس كلهم الى الهدى وأن تعمل على مباشرة القوامة على  
الناس لاقامة العدل بينهم وانقاذهم من كل أشكال الوثنية والطاغوت  
فالامة المسلمة محاسبة على تقصيرها في الأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر فيما بينها وفي الأرض كلها لأن الأمة لاتحافظ على نفسها  
ولا تكون مهتدية حق الهدى الا بأن تكون كما قال الله :

(( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن

المنكر وتؤمنون بالله . ))

ومن أولى المعروف إقامة شرع الله وتطبيق حدوده .

---

(١) في تفسيره ١١ / ١٤٨ تحقيق محمود شاكر

وأنظر الدر المنثور للسيوطي ج ٢ / ٢١٩

وأنظر زاد المسير لابن الجوزي ج ٢ / ٤٤٣

وأشد المنكر اقصاء شرع الله وسلطانه واستبداله بحكم  
الجاهلية والظافوت فواجب الأمة اليوم كبير، فهذا الدين لا  
يقوم الا بجهد و جهاد وعمل وكفاح حتى يصلح أهله وبالتالي  
نشر الدين كله في العالم كله لتقرير ألوهية الله في الارض  
والله غالب على أمره و متم نوره ولو كره الكافرون (١)

## الفصل العاشر

=====

موهم آيات البعث والحساب :

هذا الفصل يشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول - : الآيات المتعلقة بالصعق والبعث

ويشمل هذا المبحث عدة أمثلة :-

١ - قوله تعالى : (( ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات

ومن في الأرض الا من شاء الله وكل " أتوه داخرين )) النمل / ٨٧

وقوله تعالى : (( ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن

في الأرض الا من شاء الله ..... )) الزمر / ٦٨

هاتان الآيتان تدلان على أنه عند النفخ في الصور يصعق

جميع أهل السموات والأرض أى يموتون ، الا من شاء الله ،

وذلك يقتضي أن الداخلين في هذا الاستثناء لا يموتون عند النفخ

في الصور ،

وهم الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون (١)

وقيل : والصور والولدان غير داخلين أيضا في من يصعق

لأن الجنة فوق السموات وسقفها عرش الرحمن (٢) فلا

يتناول أهلها الصعق، وكذلك الملائكة الذين هم خارج السموات

كحملة العرش ونحوهم لأن العرش فوق السموات والآية دللت على

أن الصعق يتناول من في السموات والأرض وليس من

---

(١) وهو قول أبو هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير

أخرج أبو يعلى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ( ابن كثير ٩٧ / ٤ )

عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (( سألت جبريل عليه الصلاة

والسلام عن هذه الآية : (( ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن

في الأرض الا من شاء الله . )) من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم ؟

قال هم الشهداء ..... ))

قال القرطبي ( ١٣ / ٢٤١ ) حديث أبي هريرة صححه القاضي أبو بكر بن

العربي فليعلم عليه وأنظر : ابن جرير ٢٤ / ٣٠ الطبي ، زاد المسير ١٩٥ / ٦

روح المعاني ٢٠ / ٣٣ الدر المنثور ٧ / ٢٠٥

(٢) أخرج الترمذي ( في صفة الجنة / باب ما جاء في صفة درجات الجنة ج ٤ / ٢٧٥ )

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم

قال : في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض و

الفردوس أعلاها درجة منها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا

سألت الله فاسأله الفردوس ) وهو حديث صحيح أنظر : جامع الأصول ١٠ / ٥٠٠

مشكاة المصابيح ٢ / ١٥٦٣ .

هو في خارجها (١)

وهناك آية أخرى دلت على أن كل شيء هالك وهو قوله تعالى :  
( ( كل شيء هالك إلاّ وجهه له الحكم واليه ترجعون ٠ ) ) القصص/ ٨٨  
وهذا يشمل كل من سبق ذكره من الشهداء والحوار وملائكة العرش  
فكيف التوفيق بين مدلول هذه الآيات

والجواب من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن يحمل قوله (( كل شيء هالك الا وجهه ))  
على الأكثر كقوله تعالى : (( وأوتيت من كل شيء )) - آل عمران / ٢٣ -  
وهذا في حق بلقيس ملكة سبأ وهي في الحقيقة لم تُوتَ من  
كل شيء بل أريد بيان كثرة ما أُوتيت مما يؤتاه الملوك (٢)  
ودل على ذلك أنها كانت في زمان سليمان عليه السلام ولم تُوتَ  
ما أُوتى سليمان من النعم والآيات فهذه القرينة فسرنا (( وأوتيت  
من كل شيء )) على ما تقدم

وكذلك قوله : (( كل شيء هالك الا وجهه ٠ ))

بقرينة ما ثبت من حياة الشهداء وعدم صعقهم وكذلك بقاء  
الجنة التي أعدت للمؤمنين وما فيها من حور وولدان ونحو ذلك  
بهذه القرائن عرفنا أن هذه الآية مخصوصة بغير الشهداء  
وأهل الجنان وملائكة العرش ونحوهم .  
فمعنى الآية على هذا أن المراد كل شيء مما كتب الله عليه  
الفناء والهلاك : هالك .  
والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء وكذلك العرش (٣)

(١) زاد المسير ٦ / ١٩٥ ، ابن كثير ٣ / ٦٠٢ ، الرازي ٢٤ / ٢٢٠

روح المعاني ٢٠ / ٣٣ - ٣٤ ، القرطبي ١٣ / ٢٤٠

(٢) روح المعاني ج ٢٠ / ١٣١ ، الرازي ٢٥ / ٢٥

(٣) أنظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٤٢٠  
طبعة دار الفكر العربي



الوجه الثاني :-

أن المراد بالهلاك الموت

وأريد بعموم كلمة "شيء" في الآية الأحياء الموجودون في الدنيا وأيضاً ذلك بما روى عن ابن عباس (١) أنه قال في تفسير الآية :  
« كل حيٍّ ميّت إلا وجهه » .

وتخصيص : كل شيء هالك ... )) بالحي الموجود في الدنيا قرينته  
أن كل حيٍّ في الدنيا محكوم عليه بالهلاك حيث شاع استعمال  
الهلاك في الموت : فيقال : هلك يعني مات (٢)

قلت : ويدل لهذا الوجه ما رواه النسائي (٣) عن عائشة رضي  
الله عنها قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
(( لَقَنَّوْا هَلَاكَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ))

فقوله هلكاكم : يعني موتاكم كما دلت عليه الروايات الأخرى

فعلى هذا فإن المراد بالمحكوم عليهم بالهلاك هم المكلفون  
الحاضرون في دار التكليف وهذا نظير قوله تعالى :  
(( كل نفس ذائقة الموت ..... )) آل عمران / ١٨٥  
حيث أريد بهذه الآية المكلفون في الدنيا بدليل أنه تعالى  
قال بعد هذه الآية :

(( فمن زُحِرْ حِن النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ))  
فإن هذا المعنى لا يتأتى إلا في المكلفين وهم الأنس والجن (٤)

(١) الدر المنثور ج ٦ / ٤٤٧

(٢) روح المعاني ٢٠ / ١٣١

(٣) في سننه ج ٤ / ٥ كتاب الجنائز باب تلقين الميت واسناده

حسن

(٤) أنظر : تفسير الرازي ج ٩ / ١٢٤

الوجه الثالث :-

ما رواه عطاء عن ابن عباس وبه قال سفيان الثوري ومجاهد  
رحمهم الله وحكاه البخارى (١) في صحيحه كالمقرر له :  
أن معنى ((كل شيء هالك الا وجهه ))  
أى كل شيء من أعمال العباد هالك وباطل الا ما أُريد به  
وجهه تعالى ( أى مرضاة الله  
قال ابن جرير (٢) ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر  
استغفرُ اللهَ ذنباً لستُ مُحصيه رَّبَّ العبادِ إليه الوجهُ والعملُ  
ووجه ذلك أن العمل الذى ابتغى به وجه الله وكان صواباً حسب  
ما أمر الله عز وجل أبقاه جل شأنه له الى أن يجازيه  
عليه، أو أنه بقبوله تعالى لعمله فإن الجزاء عليه قام مقامه  
وهو باق (٣)

وعلى هذه الأوجه ينتفى توهم التعارض بين مدلول هذه  
الآيات لما تقدم من تفسير معنى (( كل شيء هالك الا وجهه ))

---

(١) البخارى كتاب التفسير / سورة القصص / ٨٨ ج ١٧ / ٦  
وأنظر : فتح البارى ج ٨ / ٥٠٥ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي طبع  
دار المعرفة - بيروت - الدر المنثور ج ٦ / ٤٤٧ وأُفاد أن رواية ابن  
عباس أخرجها عبد بن حميد

ورواية مجاهد أخرجها ابن أبي حاتم  
ورواية سفيان أخرجها البيهقي في شعب الایمان .

(٢) تفسير ابن جرير ج ٢٠ / ١٢٧ طبعة الحلبي

(٣) زاد المسير ٢٥٢ / ٦

روح المعاني ١٣٢ / ٢٠

قوله تعالى :

(( ثُمَّ نُفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ )) - الزمر/٦٨ -

هذه الآية ظاهرها أن الناس إذا بعثوا من قبورهم فإنهم يُبعثون قِيَامًا وقد جاء آيات أخرى قد يتوهم منها منافاة ذلك وهي

قوله تعالى :

١ - (( وَنُفَخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاتِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ))

يس / ٥١

والنسل : الإسراع في المشي (١)

٢ - وكذلك قوله تعالى :

( يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاتِ سَرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ )\*

- معارج / ٤٣

فهاتان الآيتان تدلان على أن الناس يخرجون من القبور مسرعين

منتشرين وليسوا قِيَامًا كما هو ظاهر الآية الأولى فكيف التوفيق

بين الآيات ؟

والجواب :- من وجهين :-

الوجه الأول : أنه لم يُردِ بقوله : (( فإذا هم قيام ينظرون ))

ما يتبادر من القيام وهو الوقوف، بل أراد بالقيام الإحياء والإخراج

بعد أن كانوا عظاما ورفاتا صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال

يوم القيامة (٢) كما قال تعالى :

(٣)

(( فانما هي زجيرة واحدة فإذا هم بالساهرة )) النازعات/١٤

وكما قال :

(( ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون )) - الروم/٢٥

وعلى هذا فليس هناك ما يوهم التنافي لأن الآية دلت على

قيامهم من قبورهم عند النفخة الثانية وعبرت الآية الأخرى عن

(١) المفردات تفسير ابن كثير ٣ / ٩١٥ يس / ٥١

المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٩١

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٩٦ الزمر / ٦٨ ،

روح المعاني ٢٤ / ٢٨ القرطبي ١٥ / ٢٨١

\* الأجداث : القبور ، يوفضون : يصرعون

والنصب : الالهة التي كانوا يعبدونها ، زاد المسير ٨ / ٣٦٦

(٣) الساهرة : وجه الأرض

كيفية هذا القيام وهو أنهم ينسلون أى يسرعون المشي  
وكما قال :  
( ( يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم الى نصب يُوفضون . ) )

الوجه الثاني : أن معنى قوله تعالى :  
( ( فاذا هم قيام ينظرون ) ) : أنهم يخرجون واقفين فهذا  
يكون عند خروجهم ، ثم يمشون مسرعين فيكون ذلك لتقارب زمان  
القيام والاسراع في المشي  
فعبر مرة عن القيام ومرة عن الاسراع في المشي ،  
ولا تنافي أيضا بين قولك فلان قائم ، و ماشي  
لأن الماشي هو في الحقيقة قائم (١)  
٣- قوله تعالى :

( ( يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون  
بينهم إن لبثتم إلاّ عشرا ، نحن أعلم بما يقولون ان يقول  
أمثلهم طريقة إن لبثتم إلاّ يوما ) ) طه ١٠٣ - ١٠٤

وقوله :  
( ( قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين ، قالوا لبثنا يوما  
أو بعض يوم فاسأل العادين ) ) المؤمنون / ١١٣  
وقوله :  
( ( ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة  
كذلك كانوا يُؤفكون ) ) الروم / ٥٥

(١) الرازي ٢٦ / ٢٨  
روح المعاني ٢٣ / ٢٢

(٢) زرقا : يعني :- زرق العيون من شدة العطش ، قاله الزهري :  
والمراد أنهم يحشرون بأشع صورة حيث تسود وجوههم وتزرق عيونهم  
وقيل معنى زرقا : عميا عيونهم لانور لها قاله ابن قتيبة ، والراغب  
أنظر : زاد المسير لابن الجوزي ٥ / ٣٢١  
غريب القران لابن قتيبة / ٢٨٢  
المفردات للراغب الأصفهاني ص / ١١٢

وقوله :

(( ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا

الا ساعة من نهار ..... )) الاحقاف / ٣٥

وقوله :

(( كأنهم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها )) النازعات/٤٦

هذه الآيات فيها أن الكفار يوم القيامة يزعمون أنهم لم يلبثوا

الا عشرة أيام وبعضها أنهم زعموا أنهم لبثوا يوماً أو

ساعة أو عشية أو ضحاها

فكيف التوفيق بين هذه الآيات

والجواب :

أن الكفار يوم القيامة من هول الموقف وشدة الحساب و

ما يرونه من أمور تشيب لها الولدان ينسون مدة بقائهم في

الدنيا ويذهلون غاية الذهول فيرون مدة الحياة الدنيا التي

فانيت أنها كانت قليلة جداً، ولما كان نهمهم وادراكهم متفاوت

لا جرم أن كل فرقة منهم قالت غير ما قالت الأخرى وكلهم

يريد بيان قصر مدة الحياة الدنيا كما قال تعالى :

(( يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا

قليلاً )) الاسراء / ٥٣

فالمراد من أقوالهم عموماً تقليل المدة وليس تحديدها

ولهذا اختلفت أقوالهم وقد بين القرآن سبب اختلافهم في تقدير

مدة الحياة الدنيا في قوله تعالى :

(( ان يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم الا يوماً ))

فأرشدهم وأصوبهم وأقواهم ادراكاً هو من يقول ان مدة لبثهم

يوماً فهذه الآية دلت على اختلاف أقوالهم وأن كل قول

هو قول مجموعة منهم بحسب ادراكهم ونهمهم

وانا كان الأمر كذلك فليس هناك ما يوهم التنافي بين

الآيات

ومعلوم أن الله قد أخبر عن يوم الحساب أنه يوم كان مقداره

خمسین ألف سنة وأنه يوم عسير على الكافرين غير يسير ، وأنه

يجعل الولدان شيباً وأنه يوم الفزع الأكبر وانما كان الأمر كذلك

لا جرم أنهم استقصروا واستحقروا مدة لبثهم في الدنيا بالنسبة لطول

الحساب والعذاب وشدته لأنهم لم ينتفعوا بعمرهم  
وغرهم بالله الغرور فكان وجود ذلك العمر كالعدم وكذلك لمشاهدتهم  
أهوال الآخرة فلخوفهم نسوا مدة دنياهم ولات حين مندم (١)

٤

قوله تعالى :

(( وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْثَا )) الواقعة / ٦

وَبُسَّتْ : يعني فتت

وهباءً مبثا : يعني غبارا متطايرا

هذه الآية تبين ما تصير اليه الجبال يوم القيامة وأنها تتفتت  
وتصير غبارا مبثوثا كالذى تذروه الرياح

وقد جاءت آيات أخرى في وصف حال الجبال يوم القيامة قد

يتوهم منافاتها لهذه الآية وهي قوله تعالى :-

(( يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ) المزمّل / ١٤

وكثيبا مهيلا : يعني تصير ككثبان الرمل بعدما كانت حجارة

صماء والكثيب : الشيء المجتمع اذا وطئته القدم زلّ من تحتها

وانا أخذت أسفلها انهال

وقوله تعالى :

(( وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سُرَابًا )) النبأ / ٢٠

أى سُيرت عن أماكنها فكانت كالسرّاب لأنها تصير هباءً مبثا

فيراهها الناظر كالسرّاب\* بعد شدتها وصلابتها

وقوله : (( وتكون الجبال كالعن المنفوش ))

أى كالصوف المندوف الذى قد شرع في الذهاب والتمزق (٢)

فهذه الآيات ذكرت أوصافا مختلفة لموصوف واحد وهو حالة

الجبال يوم القيامة فكيف التوفيق بينها ؟

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ / ٢٦٤ طه / ١٠٣ - ١٠٤ زاد المسير ٥ / ٢٢١

رازي ٢٣ / ١٢٧ ، ١٧ / ١٠٩ قرطبي ١٢ / ١٥٥ ١٩ / ٢٠٨

روح المعاني ١٨ / ٧٠ ، ٢١ / ٥٩

الرد على الزنادقة للامام أحمد / ١٢ أضواء البيان للشنقيطي ١٠ / ٢١٥

(٢) زاد المسير ٩ / ٧ ، ٢١٤ ابن كثير ٤ / ٨٦٢ القارة ٥ / ٤ ، ٤٤١ الواقعة / ٦

رازي ٣٠ / ١٨١ ، ١٢٤ روح المعاني ٢٩ / ١٣٥ ، ٢٩ / ٧٣ ، قرطبي ١٩ / ٤٦

\* السراب : هو ما يخيل للناظر أنه ماء يجرى بسبب انعكاس أشعة الشمس

على الأرض المنبسطة فاذا جاءه لم يجده شيئا

والجواب :

أن الله تعالى وصف الجبال بصفات مختلفة وذلك أن نسف الجبال يوم القيامة يمر بمراحل وأطوار ترجع كلها الى تفريغ الأرض منها وإبراز ما كانت تواريه كما قال تعالى :

(( ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمثا )) (\*) / طه / ١٠٥ -

وقد رتب القرطبي وغيره أحوال الجبال كما ذكرت الآيات كالتالى قال (١) (( فأول الصفات الاندكاك (٢) وذلك قبل الزلزلة ثم تصير كالعين المنفوش وذلك انا صارت السماء كالمهل (٣) ، وقد جمع الله بينهما فقال : يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعين ))

المعارج / ٩

وفي الحالة الثالثة : أن تصير كالهباء وذلك أن تتقطع بعد أن كانت كالعين

والحالة الرابعة :- أن تنسف لأنها مع الأحوال المتقدمة قارة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزه فتسف عنها لتبرز (٤) ((

والحالة الخامسة :- (( أن الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتظهرها شعاعا في الهواء كأنها غبار ، فمن نظر اليها من بعد حسابها لتكاثفها أجساما جامدة (٥)

والحالة السادسة :- ان تكون سرايا فمن نظر الى مواضعها لم يجد فيها شيئا منها كالسراب )) ا٠ ا هـ

قلت وهو كما قال تعالى : (( وسُيِّرَت الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا )) النبأ / ٢٠

---

(\*) القاع من الأرض : المستوى الذى يعلوه الماء ، والصفصف : المستوى أيضا ، يريد أنه لانبات فيها ، (( لا ترى فيها عوجا ولا أمثا )) لا ترى فيها اودية ولا روابي ولا ميلا ولا أثرا ( زاد المسير / ٥ / ٣٢٢ )

(١) القرطبي ٢ / ٢٤٢ ، الرازى ٣٠ / ١٨١ ، زاد المسير ٥ / ٣٢٢

(٢) يشير الى قوله تعالى (( وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحد )) الحاقة / ١٤

(٣) المهل : هو الزيت الغليظ أو الفضة والرصاص الذائبان وقيل غير ذلك ، زاد

المسير ٥ / ١٣٤ مفردات / ٤٧٦

(٤) يشير الى قوله تعالى : (( يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها

قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمثا )) طه / ١٠٥

(٥) يشير الى قوله تعالى : (( وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر السحاب ،

صنع الله الذى اتقن كل شيء ٠٠٠ )) النمل / ٨٨

وبهذا يتبين لنا أن الآيات التي ذكرت أحوال الجبال يوم  
القيامة لا تنافي بينها لأن الله سبحانه ذكر في كل موضع  
حالة من حالات الجبال كما تقدم بما يناسب السياق والغرض



المبحث الثاني : الآيات المتعلقة بيوم الحساب والجزاء  
وفيه عدة أمثلة

١- قوله تعالى :

(( فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ))

المؤمنون / ١٠١

هذه الآية يدل ظاهرها على انقطاع الانساب يوم القيامة  
مطلقا وكذلك انتفاء التساؤل بين الناس

وقد جاءت آيات أخرى تدل على ثبوت الأنساب بينهم ((

كقوله تعالى :

(( والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم

..... )) الآيات الطور / ٢١ -

وجاءت آيات أخرى تدل على أنهم يتساءلون كقوله تعالى :-

(( وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قالوا إنكم كنتم تأتوننا

عن اليمين ، قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ... )) الصافات/ ٢٧-٢٩

وهذا المثال تقدم الجواب عليه في الباب الأول / فصل اسباب

موهم الاختلاف السبب السادس ( ص ١٣٥ )

-٢-

قوله تعالى :

(( فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين )) الأعراف / ٦

وقوله : (( فوريك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون )) الحجر / ٩٢

وقوله : (( وقفوهم إنهم مسئولون )) الصافات / ٢٤

هذه الآيات من كتاب الله تدل على أن العباد يوم القيامة يُسألون

عن أعمالهم وأقوالهم من قبل الله تعالى وأن الكل مسئول بحسبه

حتى المرسلين

وقد جاءت آيات أخرى من كتاب الله تنفي مساءلة العباد عموما

والكفار خصوصا

وهو قوله تعالى : (( ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون )) القصص / ٧٨

وقوله : (( فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان ))

الرحمن / ٣٩

فقد يتوهم أن بين هذه الآيات اختلاف أو تناقض وليس كذلك

والجواب عن هذا التوهم كالتالي وهو من ثلاثة أوجه :-

الوجه الأول :-

أن القيامة مواطن وهو يوم طويل على الكافرين غير يسير  
وأخبر الله أن طوله «خمسين ألف سنة»  
والكفار في هذا اليوم يتنقلون من شقاء الى شقاء ومن خزي  
الى خزي

ففي بعض مواطن القيامة يُسألون عن أعمالهم وذنوبهم

كما قال : (( وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون ))

فيسأل الجميع في ذلك الموطن حتى الرسل يُسألون عن تبليغ ما  
أمروا به، توبيخا لأقوامهم الذين كذبوهم

كما قال : (( فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين ))

وتُسأل المؤودة وهي التي دُفنت صغيره توبيخا لمن قتلها

كما قال تعالى : (( وانا المؤودة سُئلت بأى ذنب قُلت )) التكوير / ٨

ومن مسألة الانبياء قوله تعالى مخاطبا نبيه عيسى عليه السلام  
توبيخا للنصارى:

(( اذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي

إلهين من دون الله ، قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس

لي بحق إن كنتُ قلتُه فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما

في نفسك أنك أنتَ علام الغيوب )) - آل عمران / ١١٦ -

ومن مسألة الكفار قوله تعالى :

(( ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاءكم

الذين كنتم تزعمون )) الانعام / ٢٢

وقد أخبر الله في كتابه أنه سوف يحاسب الجميع مؤمنهم

وكافرهم كما قال :

(( إنَّ إيلنا إياهم ثم إن علينا حسابهم )) الغاشية / ٢٥

وقال :

( فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ) الانشقاق

وقد أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يسر الحساب على

المؤمن هو العرَض (١)

أما المناقشة فهي للكفار والعصاة لأن من نوقش الحساب عُدب  
وهناك مواطن لا يُسأل الناس فيها

وهو ما أفاده قوله تعالى : (( فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنسى

ولا جان )) ونحوه من الآيات

لأن في هذا المواطن يكون الناس في أمر آخر غير السؤال كوزن  
الصحف أو تطاير الكتب أو طلب الشفاعة ونحو ذلك من أمور يوم  
القيامة التي تشيب لها الولدان (٢) ولهذا قال قتادة (٣) رحمه الله

في قوله : (( فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنسى ولا جان ))

قال : قد كانت مسألة ثم خُتم على ألسنة القوم وتكلمت أيديهم  
وأرجلهم بما كانوا يعملون .

وقال ابن قتيبة (٤) رحمه الله : (( فالجواب في ذلك أن يوم القيامة  
يكون كما قال الله تعالى : (( مقداره خمسين ألف سنة )) ففي مثل  
هذا اليوم يسألون وفيه لا يسألون ، لأنهم حين يعرضون يوقفون على  
الذنوب ويحاسبون ، فإذا انتهت المسألة وجبت الحجة وانقطع الكلام  
وزهب الخصام واسودت وجوه قوم وابيضت وجوه آخرين ، وعُرف الفريقان  
بسيماهم ، وتطايرت الصحف من الأيدي فأخذت ذات اليمين الى الجنة  
وأخذت ذات الشمال الى النار )) ٥٠

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير / سورة اذا السماء انشقت ج ٦ / ٨١  
وفي السرقاه / باب من نوقش الحساب عُدب ج ٧ / ١٩٧ عن عائشة : أن الرسول  
صلى الله عليه وسلم - قال (( من نُوقش الحساب عُدب فقلت أليس يقول الله  
تعالى (( فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا )) الأنشاق  
٧ - ٩ فقال : انما ذلك العرض ومن نوقش الحساب لك  
(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٤٢٩ (الرحمن / ٣٩) البرهان للزركشي ٢ / ٥٥  
وانظر : - القرطبي ١٧ / ١٧٤ فتح الرحمن / ٥١ تفسير الرازي ٢٥ / ١٧  
١٠ / ٦٠

روح المعاني ٢٠ / ١٢١

(٣) تفسير ابن جرير طبعة الحلبي ٢٧ / ١٤٣ ابن كثير ٤ / ٤٢٩

(٤) تأويل مشكل القرآن ص ٦٥

الوجه الثاني :

هو أن السؤال قسمان

سؤال توبيخ وتقرير ، وسؤال استخبار واستعلام

فالآيات التي فيها اثبات السؤال كقوله :

(( وقفوهم انهم مسئولون ))

يراد بهذا سؤال التوبيخ والتقرير لأنه قال بعدها :

(( ما لكم لا تناصرون ))

وكقوله لهم : (( أفسحروا هذا أم أنتم لا تبصرون ))

وكقوله لهم : (( كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم

نذير )) الملك / ٨

وكقوله : (( حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم

يأتكم برسول منكم يتلون عليكم آيات ربكم... )) - الزمر / ٢١ -

ومن ذلك أيضا سؤال الرسل من أجل توبيخ أقوامهم وتقريرهم

ومن ذلك سؤال المؤونة بأى ذنب قتلت لتوبيخ من قتلها وتقريره

وبيان فظاعة فعلته ، وفضيحته على رؤوس الأشهاد

أما السؤال المنفي فهو سؤال الاستعلام والاستخبار فان الله

سبحانه يعلم ما اقترف كل عبد وقد سجل عليه كل صغيرة وكبيرة

كما قال تعالى :

(( ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا

أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضرا )) - الكهف / ٤٩ -

فمن هنا الباب لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم سؤال استعلام واستخبار

لأنها محصاة عليهم بل يوبخون عليها ويسألون عن الداعي والباعث

لهم على فعلها توبيخا وتقريرا (١)

وقريب من هذا الوجه ما نقله الرازى (٢) عن أبي مسلم الأصفهاني

وهو أن السؤال قد يكون للمحاسبة وقد يكون للتقرير والتبكيك

وقد يكون للاستعتاب

وأن المراد بنفي سؤال المجرمين عن ذنوبهم هو سؤال الاستعتاب

لأن الكافر لا يُعاتب على ذنبه كما قال تعالى :

١٧ / ٢٥

(١) ابن كثير ١٨٦٦ / ٢ الحجر / ٩٤ و ٨ / ٤ المافات / ٢٤ رازى ٢٩ / ١١٨

٦٠ / ١٠

القرطبي ١٧٤ / ١٧

روح المعاني ٢٧ / ١١٤ ، ٢٠ / ١٢١

٣١٦ / ١٣

أضواء البيان للشنقيطي ج ١٠ / ١٣١

(٢) تفسير الرازى ج ٢٥ / ١٧ وأنظر القرطبي ١٣ / ٣١٦

(( ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون )) - النحل / ٨٤ -  
وقوله (( هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون )) - المرسلات / ٣٦ -  
وعلى هذا الوجه فليس بين الآيات تنافي لأن السؤال المثبت غير  
السؤال المنفي

الوجه الثالث :

أن معنى قوله تعالى :

(( فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ))

وقوله : (( ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون ))

معنى ذلك أنه لا يسأل يوم القيامة أحد عن ذنب غيره بل

كل انسان مسئول عن ذنبه<sup>(١)</sup> كما قال تعالى :

(( ولا تنزروا زرة وزر أخرى )) وهذا المعنى مروى عن أبي

العالية<sup>(٢)</sup> فيكون معنى الآية : - لا يُسأل إنس ولا جان عن ذنب

المذنب بل هو المسئول عن ذنب نفسه

وكذلك قوله تعالى : (( ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون ))

يعني : لا يُسأل أحد عن ذنوب المجرمين بل هم المسئولون عنها

ولذلك فائدة وهي أن كون الانسان قد فسق أو أجرم بإضلال غيره

لا يعني أنه لا يُحاسب على ما اقترفه وأما الذى أضله وزين له

الفسق والاجرام فانه يحمل وزره ووزر الذى ضلّ باغوائه لأن السبب

في ذلك كما قال تعالى : (( وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ))

وعلى هذا الوجه فليس هناك ما يوهم التنافي أو الاختلاف لأنه

تعالى لم ينفر أن أحدا يُسأل عن ذنب نفسه، بل نفسى أن يُسأل

إنس أو جان عن ذنب المذنب، لأن الله تعالى لا يظلم أحدا شيئا

وكل أحد مسئول عن أعماله (( كل نفس بما كسبت رهينة ))

والذى يتضح أن هذه الأوجه الثلاثة متفقة في معانيها اجمالاً  
ويُجمع بينها كالتالي :- يوم القيامة مواطن يُسألون في  
بعض هذه المواطن ولا يسألون في بعضها الآخر  
وفى المواطن الذى يُسألون فيه يُسأل المجرمون والكفار سؤالاً  
توبيخاً وتقريراً على ما بدر منهم والباعث لهم على جنائياتهم  
ولا يُسألون سؤال استعلام واستخبار لأنّ ذنوبهم وأعمالهم  
محصاة مكتوبة وسيماهم في وجوههم  
وأما المؤمنون فيُسألون أيضاً إجمالاً عن أعمالهم سؤال عرض  
وليس سؤال مناقشة وعذاب وأما العصاة منهم فيسألون أيضاً  
توبيخاً وتقريراً فمنهم من شمله رحمة الله أو شفاعته نبيه أو  
المؤمنين  
ومنهم من توبقه ذنوبه لكثرتها فيدخل النار ليتطهر منها  
لكنه لا يخلد فيها كما ثبت بذلك الأخبار، بعكس الكافر والمشرك  
الذى يخلد فيها، وفي ذلك اليوم انا سُئل أحد يُسأل عن نفسه  
ولا يُسأل أحد عن ذنب غيره  
( كل نفس بما كسبت رهينة )  
وعلى هذا فالأوجه مؤتلفة منسجمة مؤداها واحد  
والله ولي التوفيق

قوله تعالى :-

(( ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يُزيهم ولهم عذاب أليم )) البقرة / ١٧٤

وقوله :-

(( ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزيهم ولهم عذاب أليم )) آل عمران / ٧٧

هاتان الايتان تدلان على أن الله لا يكلم الكفار والعصاة ممن

يشترون بأيات الله وعهده ثمنا قليلا

وقد جاءت آيات أخرى تدل على كلام الله لهم اجمالا كقوله تعالى

(( ولو ترى إذ وَقَفُوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا

بلى وربنا ، قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ))- الانعام / ٣٠ -

وقوله :-

(( قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ))- المؤمنون / ١٠٨ -

وقوله :-

(( ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاءكم

الذين كنتم تزعمون . )) الانعام / ٢٢

فهذه الآيات تثبت كلام الله لهؤلاء الكفرة أصحاب الضلال إجمالا

فكيف التوفيق بين هذه الآيات وبين الآيات المتقدمة والتي ظاهرها

نفي كلام الله لهم .

والجواب :- انه لما كان الكلام ثابتا إجمالا في مناقشة الكفار

ومساءلتهم وتوبيخهم وإهانتهم ، وكان التكليم المنفي في معرض الوعيد

دل ذلك على ان المراد بنفي تكليم الكفار نفي الكلام الطيب النافع

كلام التحية والسلام واللفظ والاكرام

وانما يكلمهم بما ينمهم ويعظم حسرتهم من المناقشة والمساءلة

والتوبيخ والاهانة من مثل قوله: (( قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ))

وقوله : (( ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ))

وقال الرازي<sup>(١)</sup> قال القفال : المقصود من كل هذه الكلمات بيان شدة

سخط الله تعالى عليهم لأن من منع غيره كلامه في الدنيا فانما ذلك

بسخطه عليه وانا سخط انسان على آخر قال له لا أكلمك ، وقد

يأمر بحجبه عنه ويقول لا أرى وجه فلان ، واذ جرى ذكره لم يذكره بالجميل فثبت ان هذه الكلمات كنايات عن شدة الغضب نعوذ بالله منه .))

وعلى هذا الوجه فليس المراد نفي كلامهم أصلا وإنما هو كناية عن غضبه تعالى عليهم لعظيم جرمهم حيث اشتروا بآيات الله وعهده ثمنا قليلا .

وكذلك جاء نفي تكليمهم يوم القيامة في معرض التهديد والوعيد حيث ان يوم القيامة هو اليوم الذي يكلم الله تعالى فيه الخلائق فيظهر السرور في أولياء الله وضده في اعدائه، ويتميز أهل الجنة بذلك من أهل النار

فمن اجل ذلك كان نفي كلامهم بلطف واکرام من أعظم الوعيد فجرى ذلك مجرى العقوبة لهم (١)

وفي صحيح مسلم (٢) عن أبي هريره رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر ))

فهؤلاء لما قبحت منهم هذه الجرائم قبطا مضاعفا لاجرم توعدوا بأن الله لا يكلمهم ولا ينظر اليهم، ولما كان هؤلاء كغيرهم لابد أن يسألوا ويُناقشوا دل ذلك على أن المراد نفي الكلام الطيب النافع كلام التحية والاکرام زيادة في عقوبتهم وتشديدا في وعيدهم .

---

(١) فتح الرحمن ٥١ ، الرازي ٢٥ / ٥ ، ١٠٥ / ٨ ، ٢٠٦ / ١٢ ،

ابن كثير ٥٦١ / ١ آل عمران / ٧٧ آلوسي ٤٤ / ٢ قرطبي ٢٣٥ / ٢

(٢) صحيح مسلم / كتاب الايمان / باب بيان غلظ تحريم اسبال الازار... وبيان

الثلاثة الذين لا يكلمهم الله ، ج١ / ١٠٢ رقم : ١٠٧ تحقيق عبد الباقي ط الحطبي



قوله تعالى :-

(( يومئذ يودّ الذين كفروا وعصّوا الرسولَ لو تسوّى

بهم الأرضُ ولا يكتُمون الله حديثاً )) النساء / ٤٢

هذه الآية تدل على أن أهل القيامة من الكفار لا يكتُمون

شيئاً ) أى يعترفون بذنوبهم

وهو كقوله تعالى :

(( ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ))

وكقوله : (( فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير. )) - الملل / ١١

بينما جاءت آية أخرى تدل على جحود الكفار وكتمانهم وهي

قوله تعالى :

(( ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤهم

الذين كنتم تزعمون ، ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله

ربنا ما كنا مشركين ، أنظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل

عنهم ما كانوا يفترون . )) الأنعام / ٢٢ - ٢٤

ومعنى فتنتهم : شركهم وتقدير الآية :- ثم لم تكن عاقبة

شركهم إلا أن قالوا (( والله ربنا ..... )) فان الله تعالى بين

كون المشركين مفتونين بشركهم متهاككين على حبه ، فاعلم في

هذه الآية أنه لم يكن افتتانهم بشركهم وإقامتهم عليه إلا أن

تبرأوا منه وتباعدوا عنه فحلفوا أنهم ما كانوا مشركين (١)

والجواب :-

هو ما أخرجه بن جرير<sup>(٢)</sup> عن الضحاک : أن نافع بن الأزرق أتى

ابن عباس فقال : يا ابن عباس ، قول الله تعالى : يومئذ يود الذين

كفروا وعصوا الرسولَ لو تسوّى بهم الأرضُ ولا يكتُمون الله حديثاً))

وقوله : (والله ربنا ما كنا مشركين )

(١) رازى ١٢ / ١٩٢ .

(٢) تفسير ابن جرير ج ٥ / ٩٤ طبعة الحلبي الدر المنثور ٢ / ٥٤٤

وأخرج البخارى عن سعيد بن جبیر قال قال : رجل لابن عباس و ذكر نحوه

ضمن كلام طويل في كتاب التفسير / تفسير سورة حم السجدة ج ٦ / ص ٣٥

وأنظر فتح البارى ج ٨ / ٥٥٥

وأشرت رواية ابن جرير للزيادة التي فيها

فقال ابن عباس اني أحسبك قمتَ من عند أصحابك فقلتَ :  
ألقى على ابن عباس متشابه القرآن فاذا رجعت إليهم فأخبرهم أن  
الله تعالى جامع الناس يوم القيامة في بقيع واحد فيقولون  
المشركون : ان الله لا يقبل من أحد شيئاً إلا ممن وحده  
فيقولون : تعالوا نجحد ، فيسألهم فيقولون : (( والله ربنا  
ما كنا مشركين ))

قال : فيختم على أفواههم ويستنطق جوارحهم ، فتشهد عليهم  
جوارحهم أنهم كانوا مشركين ، فعند ذلك تمنوا لو أن الأرض  
سوَّيت بهم (( ولا يكتُمون الله حديثاً . ))  
ونقل أبوالحسين الملقب (١) عن مقاتل بالسند الثابت أنه  
قال : فأما تفسير قول المشركين حيث قالوا : (( والله  
ربنا ما كنا مشركين .....  
.....

ونذكر نحو قول ابن عباس

قلت : فهذه الأسانيد الصحيحة الى ابن عباس ومقاتل فسرت لنا  
الآيات وجمعت بينها بما فيه الشفاء ،  
فالذي يتبين أن المشركين في أول الأمر يُنكرون ويجدون لسخف  
عقولهم، فهم في ضلال وعمى في الدنيا والآخرة فيكذبون على أنفسهم  
كما قال الله (( أنظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا  
يفترون )) كما أنهم يحلفون على الكذب كما قال الله: (يوم يبعثهم

الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء الا أنهم هم الكاذبون)، وما يقسمون عليه أنهم لم يكونوا مشركين وذلك لجهلهم بالله تعالى (( ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ))

وبعد أن يُختم على أفواههم وتشهد عليهم الجوارح ويروا أن الله لا يكتب شيئا وأن كل صغيرة وكبيرة مسجلة عليهم هنالك يعترفون بذنوبهم ويتمنون الرجوع للدنيا، ويتمنون لو تُسوى بهم الأرض ويتمنون أن يفتدوا أنفسهم بملء الأرض ذهبا ولات حين مندم، فيعترفون على أنفسهم بالكفر ويسألون الرجعة وهو قولهم :

(( ياليتنا نُرد ولا نُكذبُ بآيات ربنا ))

فحلفوا كذبا أنهم لم يُشركوا ثم طلبوا الرجعة حتى يؤمنوا ومع ذلك هم كاذبون أيضا حيث قال تعالى :

(( بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو رُتوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون )) الأنعام / ٢٨

---

(١) أنظر : الرد على الزنادقة للإمام أحمد / ١١ - ١٢

التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي / ٥٧ - ٥٨

ابن كثير / ١ / ٧٥٥ النساء / ٤٢

الرازي / ٢٩ / ٢٧٥ قرطبي / ٦ / ٤١٠ روح المعاني / ٥ / ٣٥

٢٣ / ٤١ - ٤٢

١٢ / ١٩٢

قوله تعالى :-

(( هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون )) المرسلات/ ٣٥

(( ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ))

الاسراء / ٩٧

هاتان الآيتان يدل ظاهرهما على أن أهل الموقف لا ينطقون يوم

القيامة وأنهم يكونون بكما، وجاءت آيات أخرى تدل على خلاف

ذلك : وهو أن الكفار يتكلمون يوم القيامة و يجادلون عن أنفسهم

ويطلبون الرجعة للدنيا قال تعالى :

(( ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا

وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون )) السجدة / ١٢

(( ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون )) الزمر / ٣١

(( ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين ))

(( يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها )) النحل / ١٨٨

(( ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء

الاعراف/ ٥٠)) يوم ينظر المرء ما قدمت يدها ويقول الكافر يا ليتني كنت

ترايبا ))-النبأ / ٤٠ -

كفكيف التوفيق بين هذه الآيات

والجواب :-

ان المتدبر الكتاب الله يجد أن مواقف يوم القيامة كثيرة و مواظنه

متعددة كما تقدم، والقران يذكر في كل موضع من المواضع حالة من

حالات الكفار ليبدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذ .

وفي ذلك اليوم يكون حال الكفار اجمالا الخصام فيما بينهم

وكل واحد يجادل عن نفسه ويحلفون أنهم لم يكونوا مشركين ، ثم

عندما يوقنون بسوء العاقبة و المصير و يرون أهوال القيامة

و يسمعون ما يغيظهم و يُقرِّعهم و يُبطل حججهم الداخضة يقولون :

(( ربنا أبصرنا و سمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون )) و هنالك

يقول كل واحد منهم (( يا ليتني كنت ترايبا ))

ثم يعاود الكفار الخصام و التجادل و القاء اللوم على بعضهم

البعض

(( و أقبل بعضهم على بعض يتلومون ))

ومن تلاومهم ما حثاه الله عنهم :

( وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم  
تبعاً فهل أنتم مُغنون عنا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا لو  
هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيين)  
ابراهيم / ٢١ -

وقوله تعالى :

( ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض  
القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين)  
سبأ / ٢١ -  
ثم يقال لهم بعد ذلك : ( لا تختموا لديّ وقد قدمت إليكم بالوعيد)  
وفي نهاية المطاف وبعد تلك الأهوال يُعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ  
بالنواصي والأقدام ويلقون في جهنم وبئس المصير ، فيعاودون فيها الخصام  
كما حكى الله عنهم :

( قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ -  
نسويكم برب العالمين ، وما أضلنا إلا المجرمون ، فما لنا من شافعين  
ولا صديق حميم ) - الشعراء / ٩٦ - ١٠١ -

وهناك في النار يقال لهم : ( ألم تكن آياتي تتلى عليكم  
فكنتم بها تكذبون ، قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين  
ربنا أخرجنا منها فإنّ عدنا فإنا ظالمون ، قال : اخسئوا فيها ولا  
تكلمون ٠٠٠ ) - المؤمنون / ١٠٥ - ١٠٨ -

فهذا الكلام منهم هو آخر ما ينطقون ويعتذرون ، فيقال لهم :  
اخسئوا فيها ولا تكلمون ) وعند ذلك يُحشرون في النار عمياً وبكماً  
وصماً كما قال تعالى : ( ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً  
وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ) - الاسراء / ٩٧ -

فهذه الحالة الاخيرة لهم، وهي حالة عدم النطق ، ولا يتكلمون بعدها  
أبداً ، بل يبقون بكماً همياً صماً كما أخبر الله عنهم ، ومما يدل على  
أن مرحلة عدم النطق تكون بعد دخولهم النار أن آية المرسلات وهي:  
( هذا يوم لا ينطقون ٠٠٠ ) جاءت بعد قوله تعالى مخاطباً الكفار :

( انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلاث  
شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ، انها ترمي بشرر كالقصر  
كأنه جمالت صُفّر ، ويل يومئذ للمكذبين ، هذا يوم لا ينطقون  
ولا يؤذن لهم فيعتذرون ٠٠٠ )

و هناك موطن آخر في عروض القيامة لا ينطقون فيه وهو موطن مؤقت وهو عندما يحلفون أنهم لم يكونوا شركيين ، فعند ذلك يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون فلما تمت عليهم الحجة وظهرت مخازيهم وأكاذيبهم علموا أن الله لا تخفى عليه خافية فيعاودون الاعتذار وطلب الرجعة الى الدنيا حتي ينتهي بهم المطاف الى جهنم وبالتالي البكم النهائي كما تقدم (١)

و هناك وجه آخر :

وهو أن المراد بقوله تعالى : (( هذا يوم لا ينطقون )) أي لا ينطقون بحجة مسموعة مقبولة ، قال الشريف المرتضى (٢) ويجرى هذا مجرى قولهم : "خرس فلان عن حجته" ، وحضرنا فلانا يناظر فلانا فلم يقل شيئا وان كان الذي وُصف بالخرس عن الحجة والذي نُفي عنه القول قد تكلم بكلام كثير غزير الا أنه من حيث لم يكن فيه حجة ولا به منفعة جاز إطلاق القول الذي حكيناه عليه ومثل هذا قول الشاعر :

أعمى انا ما جرتي خرجت حتى يُوارى جرتي الخِدرُ  
ريصمُ عما كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر\*  
وعلى هذا التأويل قد زال الاختلاف لأن التساؤل و التلاوم لا حجة فيه .... )))

---

(١) الرد على الذنادقة ٧ - ٨ التنبيه والرد للملطي / ٥٦  
تأويل مشكل القرآن / ٦٦ رازي / ٣٠ / ٢٧٩  
ابن كثير ٤ / ٧٢٢ مراسلات / ٣٥ روح المعاني ٢٩ / ٢٢٤ قرطبي ١٩ / ١٦٤  
٩٧ / ٩ ١٣٩ / ١٣

(٢) أمالي المرتضى ١ / ٤٣

\* البيتان لمسكين الدارمي ربيعة بن عامر  
( معجم الأدباء ١١ / ١٣٢ ) : ٥٠١ هـ

قوله تعالى :

(( يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أُجبتُم ؟ قالوا : لا علم لنا إنك أنتَ علام الغيوب )) المائدة / ١٠٩

هذه الآية يدل ظاهرها أن الرسل لا يجيبون عند سؤالهم ولا يشهدون على أممهم هل أجابوا دعوتهم أم لا .  
وذلك أنهم قالوا (( لا علم لنا ..... ))

وجاءت آيات أخرى تدل على اجابة الرسل وشهادتهم على أقوامهم وهي قوله تعالى :-

(( فكيف انا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهدا . )) النساء / ٤١

وقوله :

(( ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم . ))

القصص / ٧٥

والشهيد : الرسول (١)

(( ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة

الله على الظالمين . )) هود / ١٨

و الجواب من وجهين :

الوجه الأول : أن معنى قول الرسل :

(( لا علم لنا انك أنت علام الغيوب ))

أنهم انما قالوا لا علم لنا ، لأنك تعلم ما اظهروا وما أضمروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا فعلمك فيهم أنفذ من علمنا ، فلهذا المعنى نفوا العلم عن أنفسهم لأن علمهم عند الله كلا علم فكلامهم تضمن اظهار التشكي والاتجاه<sup>إلى</sup> الله تعالى بتفويض الأمر اليه وهذا قول ابن عباس رواه عنه ابن جرير وصوّبه (٢)

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ / ٦٣٥ القصص / ٧٥

(٢) تفسير ابن جرير ج ٧ / ١٢٦ طبعة الحلبي

الدر المنثور ٢ / ٢٢٧

وصححه الرازي (١)

وقال ابن كثير (٢) : (( ولا شك أنه قول حسن ، وهو من باب التأدب مع الرب جلّ جلاله ، أي لا علم لنا بالنسبة الى علمك المحيط بكل شيء فنحن وان كنا أجيبنا وعرفنا من أجابنا ولكن منهم من كنا انما نطلع على ظاهره لا علم لنا بباطنه وأنت العليم بكل شيء المطلع على كل شيء فعلمنا بالنسبة الى علمك كلا علم فانك (( انت علام الغيوب ))

الوجه الثاني :

أنهم قالوا " لا علم لنا " أي لم نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا وانما نعلم جوابهم لنا وقت حياتنا والجزاء والثواب انما يحصلان على الخاتمة وذلك غير معلوم لنا (٣) ومن ذلك ما قاله تعالى حكاية عن سؤاله ليعسى عليه السلام يوم القيامة :

(( واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، إن كنت قلت له فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد )) المائدة ١٠٦ - ١٢٧

فهذا عيسى عليه السلام يشهد على قومه حينما كان فيهم ويحيل علم ما بعد رفعه الى علام الغيوب ، وهذا نبينا محمد عليه الصلاة والسلام يقول مخبرا عن يوم القيامة :

(( ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال

(١) تفسير الرازي ١٢ / ١٢٩

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٢ / ١٨٥ المائدة / ١٠٩

(٣) ابن جرير ٧ / ١٢٦ حيث روى معنى هذا الوجه عن ابن جرير واستبعده

زاد المسير لابن الجوزي ٢ / ٤٥٤

الرازي ١٢ / ١٢٩

ابن كثير ج ٢ / ١٨٥ المائدة / ١٠٩



فأقول يارب أصحابي ، فيقول : انك لا تدري ما أحدثوا  
بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح :  
( ( كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، الى قوله العزيز  
الحكيم ... )) ( المائدة ١١٧ - ١١٨ )  
قال فيقال لى انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ  
فارقتهم (( (١)  
فلكل نبي انما يشهد على قومه الذين عاصروهم وعاشروهم أما من  
جاءوا بعده فان علمهم موكول الى علام الغيوب ،

والحاصل من هذه الأوجه أن الأنبياء عليهم السلام يشهدون  
يوم القيامة على أمتهم في موطن دون موطن و عندما يشهدون فهم  
يشهدون على ظاهر ما كان الناس عليه أما علم باطنهم وسرائرهم  
فهم يُحيلونّه الى علام الغيوب، وكذلك حال أممهم بعد وفاتهم  
فهم شهداء على الناس ماداموا فيهم فلما توفاهم الله كان هو  
الرقيبَ عليهم وهو على كل شيء شهيد  
والله ولي التوفيق .

---

(١) أخرج الحديث البخارى في كتاب التفسير / سورة المائدة باب ( و كنت عليهم  
شهيدا ما دمت فيهم ) ١٩١ / ٥  
و في تفسير سورة الأنبياء ج ٢ / ٢٤٠  
و مسلم في كتاب الجنة / باب فناء الدنيا و بيان الحشر يوم القيامة  
( شرح النووي ١٧ / ١٩٤ ) و النسائي ٤ / ١١٧ في الجنائز / باب البعث  
ذكر أول من يُكسى ،

و المراد بهؤلاء المرتدين من ارتد بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم  
من أصحاب مسيلمة الكذاب و نحوه،  
و كذلك من حاد عن طريق الاسلام و أخذ لنفسه منهجا و ضعيا من مناهج  
البشر و لم يرتضِ شرع الله

٧ - قوله تعالى إخبارا عن أهل الكفر والضلال وحالهم في المحشر :

( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا )  
الاسراء / ٢٢ -

وقوله : ( وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ) - طه / ١٢٥ -

وقوله : ( وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ) - الاسراء / ٩٧ -

هذه الايات تدل على أن أهل الضلال يُحشرون يوم القيامة عميا بينما جاءت آيات أخرى تدل على خلاف ذلك في الظاهر وهي قوله تعالى : ( إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخِصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ، مُهْطِعِينَ مَقْنَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَنْثَدْتُمْ هَوَاءً ) - ابراهيم / ٤٢-٤٣

وقوله تعالى: ( وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ) - الكهف / ٥٣ -

وقوله تعالى: ( وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارِ الَّذِينَ كَفَرُوا ) - الانبياء / ٩٧

وقوله تعالى: ( وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ) - الشورى / ٤٥ -

وقوله تعالى ( فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ) - ق / ٢٢ -

وقوله تعالى: ( وَنُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ) - الزمر / ٦٨

وقوله تعالى: ( اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ) - الاسراء - ١٤

هذه الايات تدل على اثبات الرؤية لأهل المحشر إضافة الى ما دلت عليه بعض الايات من أن الله تعالى يحشر الناس كما خلقهم ، وهذا يقتضي أن يُحشروا بدون آفة العمى ، كما قال تعالى :

( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ) الانبياء

١٠٤

والجواب : ان الذى يتدبر كتاب الله يجد أن عامة مواقف

القيامة منذ بعث الناس من قبورهم وحتى دخول الكفار النار يجد

(١) معنى مهطعين : مسرعين ، كقوله تعالى : ( مهطعين الى الداع )

ومعنى مقنعي رؤؤوسهم : رافعى رؤؤوسهم ، ( مفردات الراغب: ٤١٣ )

أنها تُثبت الرؤية والابصار للكفار ما عدا نهاية المطاف في جهنم  
وذلك على النحو التالي :

عندما يُبعث الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية يُبعثون قياما  
ينظرون ، ومنهم الكفار كما قال تعالى : ( ونفخ فيه أخرى فإذا هم  
قيام ينظرون ) ، وقوله : ( واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار  
الذين كفروا ) ، وقوله : ( إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار  
مبهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأئذنتهم هواء ٠٠٠ )

وهذا الموقف هو الذي ينكشف فيه الغطاء عن أعين الكفرة الذين  
جحدوا آيات الله وكفروا بلقاءه ، فيُصبح بصرهم حديدا ، بمعنى أنهم  
يعرفون هنالك أن الله حق ، وأن البعث حق ، وأن الحساب حق ،  
معرفة ضرورية لاشبهة فيها (١) حيث يقولون كما حكى الله عنهم :

( مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَاْفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ) - القمر / ٨ -  
لأنهم رأوا ما كذَّبوا به رؤية لا غباش عليها وأيقنوا بسوء المصير  
هذا بالإضافة إلى حِدَّةِ بصرهم حتى يروا ما كذَّبوا به ويعلموا أنهم  
كانوا في ضلال فيزدادو غمًّا وعذابا ، كما قال البارئ :  
( أَبْصِرْ بِهِمْ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ نَسِي  
ضلال مبین ) - مريم / ٢٨ -

ثم يُحشر أعداء الله في أرض الموقوف ويعاينون أهوال  
القيامة وشدة الحساب ، وهنالك (ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر  
يا ليتني كنت ترابا ) ، وكل إنسان يُقرأ كتابه بنفسه كما قال تعالى :  
( ونُخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى  
بنفسك اليوم عليك حسيبا )

والقراءة تدل على الرؤية وسلامة البصر في ذلك الموقف ، وعندما يُقرأ  
كتابه ويعلم أنّ الله لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها ، هنالك يقول :  
( ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ) - السجدة / ١٢  
وهو ما عناه تعالى بقوله : ( أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ  
اليوم في ضلال مبین )

---

(١) البرهان المزركشي : ٦١ / ٢ ، تنزيه القرآن عن المطاعن ٣٩٨ ، القاضي عبدالجبار  
التنبيه والرد للمطبي : ٦٧ ، الرد على الزنادقة للإمام احمد : ١٨  
تفسير القرطبي : ١٧ / ١٥ ، روح المعاني : ١٨٥ / ٢٦

وبعد أن يلاقوا أهوال القيامة ، ويُوقفوا على عظيم جنائياتهم  
ومخازيهم ، أصغرها وكبيرها ، بعد ذلك يُؤتسى بجهنم كما أخبر الصادق  
المصدوق فيما رواه الامام مسلم والترمذى<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن مسعود صرفوعا :  
( يُؤتسى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف  
ملك يجرونها . ) ، وهناك يراها أهل الكفر والضلال كما حكى  
الله تعالى عنهم :

( ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها  
مصرفا ) ، وعندما يرونها وهي تكاد تتميز من الغيظ يُعرضون  
عليها ناكسي رؤؤ وسهم خاشعةً أبطارهم ذلاً ومهانة وحسرة يُسارقون النظر  
من هول ما يرون ، كما حكى الله عنهم :

( وتراهم يُعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي )  
وقال عنهم : ( ولو ترى إنا المجرمون ناكسوا رؤؤ وسهم عند ربهم ربنا  
أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ) - السجدة / ١٢ -

قال القرطبي<sup>(٢)</sup> : ( ينظرون من طرف خفي : أي لا يرفعون أبطارهم  
للنظر رغما تاما لأنهم ناكسوا الرؤؤ وس ، والعرب تصف الذليل بغض الطرف  
كما يستعملون في ضده حديد البصر . ) اهـ

وبعد ذلك ( يُعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام )  
وتأخذ الملائكة بالقائم في جهنم جزاء وفاقا :

( كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ قالوا  
بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا  
في ضلال كبير ، وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير )

وبعد أن يُلقوا في جهنم ويمطرخوا فيها ويطلبوا الخروج ويأخذوا  
بالتلاوم والتحسر ويدعوا عند أنفسهم بالهلاك ، ويأتيهم الموت من كل مكان  
وما هم بميتين ، بعد كل ذلك يُقال لهم :

( اخسأوا فيها ولا تكلمون ) وهناك يُحشرون عميا وصما وبكما  
خالدين مخلدين كما قال تعالى :

( ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ماؤاهم جهنم  
كلما خبت زنادهم سعيرا )

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب جهنم أعاننا الله منها ،

( شرح النووي : ١٧ / ١٧٨ ) والترمذى في صفة جهنم ، ج٤ / ٧٠١ رقم : ٢٥٧٣

(٢) تفسير القرطبي : ج٦ / ٤٥ ، وانظر ابن كثير : ٣ / ١٤٧ روح المعاني : ٥١ / ٢٥

فهذا هو آخر موطن لهم بعد تلك المواطن التي تشيب لها رؤوس  
الولدان ، وهو الموطن الذي يستقرون فيه على صفة العمى الحقيقي  
وهو عمى البصر ، قال مقاتل بن سليمان<sup>(١)</sup> : ( ثم يقول عز وجل  
في آخر ذلك : ( اخشوا فيها ولا تكلمون ) فعند ذلك ماروا عميا  
وبكما وصمما لا يستطيعون الكلام ، ولا يسمعون ولا يبصرون - ) اه  
قلت : ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى في حق أهل النار من الكفار  
: ( لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ) - الانبياء / ١٠٠ -  
فهذه الآية تدل أنهم في النار لا يسمعون ، وهذا يؤيد كون الصم  
والبكم يكون عند استقرارهم في النار، والعياذ بالله تعالى

أما الآيات الأخرى والتي فيها إثبات أنهم يحشرون عميا ،  
كقوله تعالى : ( ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال ربّ لم حشرتني أعمى  
وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى)  
فإنما يراد بها أنه أعمى عن حجته لما ينزل به من الحيرة والاهوال  
فهو أعمى عما يُنجّيه من تلك الأهوال ، كما قال مجاهد والضحاك وابو  
صالح ومقاتل ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>

وقوله : وقد كنت بصيرا ، أي وقد كنت عالما بحجتي بصيراً بها  
أحاجج عن نفسي في الدنيا ، وحاصل الجواب عليه : اني حشرتك أعمى  
الذليل لا تهتدي الى ما يُنجيك من الحجة لانك تركت في الدنيا آياتي  
وحجتي ، وكما تركت ذلك تُترك على هذا العمى أبدا<sup>(٣)</sup> ،  
قال الامام أحمد - رحمه الله - : ( أما قوله ( ونحشره يوم القيامة  
أعمى ) : عن حجته ، وقال : ( ربّ لما حشرتني أعمى ) : عن حجتي ، وقد كنت  
بصيرا بها مُخاعما بها ، فذلك قوله : ( فعَميت عليهم الأنباء يومئذ ) القمص  
٦٦  
يقول : الحجج . ) اه

وكذلك قوله تعالى : ( ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة  
أعمى وأضل سبيلا ) ، فمعناه : أعمى عن الحجة ، ويدل عليه  
أنه قال : ( وأضل سبيلا ) أي أضل عن الحجة وأشد عمى ، ومن شدة  
عماهم في الآخرة أنهم لما يروا أنه لا ينجو إلا أهل التوحيد والايامن  
يخطفون كذبا أنهم ما كانوا مشركين مع أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية

(١) التنبيه والرد : للمطبي : ٥٦ ، وانظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٢٢ الرازی : ٦١ / ٢١

(٢) تفسير ابن جرير : الدر المنثور : ٥ / ٦٠٩ ، الرازی : ٢٢ / ١٣١

أمالى المرتضى : ج١ / ٨٨ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٧٨

(٣) روح المعاني : ١٦ / ٢٧٨ (٤) الرد على الزنادقة : ١٨

فذلك من شدة عماهم ، فمن ذهبل عن تمييز الخير والشر ففي الدنيا فهو بأن يذهل عن ذلك في الآخرة أولى وأحرى (١)

قال القرطبي (٢) : ( قال عكرمة : جاء نفر من أهل اليمن الى ابن عباس - رضي الله عنهما - : فسألوه عن هذه الآية ، فقال : اقرأوا ما قبلها : ( ربكم الذي يُمزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيمًا ٠٠٠ الى قوله : تفضيلاً - الايات من ٦٦ - ٧٠ - قال ابن عباس : من كان في هذه النعم والآيات التي رأى أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلُّ سبيلاً ) ١٥

قلت : تفسير العمى بمعنى الحُجة هو قول مجاهد وقتادة وابن زيد والحسن إضافة الى ابن عباس كما تقدم (٣)

وقد جاء في القرآن إطلاق العمى على عمى البصيرة وعدم الاهتداء - للحجة ، كما قال تعالى :

( قد جاءكم بصائرٌ من ربكم فمن أبصرَ فلنفسه ومن عميَ فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ) - الانعام / ١٠٤ -  
فقوله : فمن أبصرَ فلنفسه : أي فمن استدل وتعرف وبغى الحق نفع نفسه ، ومن عمي : أي لم يستدل ولم يقصد الحق ومار بمنزلة الأعمى فعلى نفسه يعود ضرر عماه ،

القصص / ٦٦

وكما قال تعالى : ( فعميت عليهم الأنبياء يومئذٍ فهم لا يتساءلون )  
أي خفيت عليهم الحجج ، لأن الله أعذر إليهم في الدنيا فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة ، إضافة الى ما هم فيه من شدة الهبول يومئذ (٤) ، ولهذا قال تعالى حكاية عن الكفار :  
( ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله ، قالوا ظلوا عننا بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً كذلك يضل الله الكافرين ) - غافر / ٧٤  
فهم في ضلال في الدنيا والآخرة (٥)

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن : ٢٣٠

(٢) تفسير القرطبي : ٢٩٨ / ١٠

(٣) تفسير الطبري : ابن كثير : ٨٧ / ٣ - الرازي : ١٨ / ٢١

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة : ٣٣٤ زاد المسير : ٢٣٨ / ٦ - القرطبي : ٣٠٤ / ١٣ ، ٥٧ / ٧

الرازي : ٢٩ / ٢٦ ، تفسير ابن كثير : ٢٦٠ / ٢ - الانعام / ١٠٤ ، ٢٣٣ / ٣ - القصص / ٦٦

وقد علق الفخر الرازي<sup>(١)</sup> عند قوله تعالى : ( وهم يصرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ) - فاطر / ٢٧ -  
علق بقوله : ( واعلم أنّ الله تعالى قد بين أن من يكون في الدنيا ضالّا فهو في الآخرة ضالّ ، كما قال تعالى : ( ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلا ) ثم إنهم لم يعلموا أنّ العود الى الدنيا بعيدٌ محال بحكم الأخبار ، وعلى هذا قالوا : ( نعمل صالحا ) جازمين من غير استعانة بالله ولم يقولوا إنّ الأمر بيد الله ، وقولهم : ( غير الذي كنا نعمل ) إشارة الى ظهور فساد عملهم لهم ، وكأنّ الله تعالى كما لم يهدم في الدنيا لم يهدم في الآخرة فما قالوا : ربنا زدنا للمحسنين حسنات بفضلك لا بعملهم ، ونحن أحوج الى تخفيف العذاب منهم الى تخفيف الثواب ، فافعل بنا ما أنت أهله نظرا الى فضلك ولا تفعل بنا ما نحن أهله نظرا الى عدلك ، وانظر الى مغفرتك الهائلة ولا تنظر الى معذرتنا الباطلة ، وكما هدى الله المؤمن في الدنيا هداهم في العقبى حتى دعاه بأقرب دعاء الى الاجابة ، وانشى عليه بأطيب ثناء عند الانابة ، فقالوا :

( الحمد لله ) وقالوا : ( ربنا غفور ) اعترافا بتقصيرهم ، ( شكور ) إقرارا بوصول ما لم يخطر ببالهم إليهم ، وقالوا : ( أُلحنا دار المقامة من فضله ) أى لا عمل لنا بالنسبة الى نعم الله ، وهم قالوا : ( أخرجنا نعمل صالحا ) إغماضا في حق تعظيمه وإعراضا عن الاعتراف بعجزهم عن الاتيان بما يناسب عظمتهم . ( ٥ ) هـ

وبهذا الترتيب المتقدم يتبين لنا تألف الايات وتوافقها وترابطها وكيف أن لكداية موضع تختص به يدل عليه معناها وسياقها ، ويتبين لنا أن الله تعالى يذكر في كل موضع من القرآن موقفا من مواقف القيامة يناسب الخرض الذي سيق له ، ومن ذلك آيات الرؤية والبصر والتي استعرضتها منذ بداية البعث وخروج الناس من قبورهم وحتى استقرار الكفار في جهنم أعاننا الله منها ، ويتبين لنا أنّه ليس بينها اختلاف أو تناقض حسب ما يتوهم غير المتدبر في كتاب الله أو الطاعن الجاهل ، والله الموفق

١- قوله تعالى : ( ويستعجلونك بالعذاب ولن يُخلف الله وعده وإنَّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ) - الحج / ٤٧ -

وقوله تعالى : ( يُدبر الأمر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره أَلْف سنة مما تعدون ) - السجدة / ٥ -

وقوله تعالى : ( تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ) - المعارج / ٤ -

هذه الايات الثلاث من كتاب الله بعضها أثبت أن اليوم عند الله بألف سنة ، وبعضها أثبت أنه بخمسين ألف سنة ، وظاهر ذلك قد يكون محلاً لتوهم الاختلاف والتناقض بين هذه الايات بسبب الظن أنها تتحدث عن يوم واحد وهو يوم القيامة

والجواب : أن آية المعارج والتي فيها : ( في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ) ، المراد بها يوم القيامة لدلالة السياق القرآني لهذه الآية ، وكذلك لدلالة الأحاديث الصحيحة المرفوعة والموقوفة

أما دلالة السياق القرآني : فهو أنه تعالى قال بعد الآية : ( ٣٠٠ فاصبر عبرا جميلا إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسئل حميم حميماً ٠٠ ) الآيات من سورة المعارج

أي ذلك اليوم يراه الكفار بعيد الوقوع مع أن كل آتٍ قريب ، فالآيات تشير الى ذلك اليوم الممتد من النفخ في الصور ثم البعث ثم مواطن الجزاء التي لا يسئل فيها حميم حميماً لهول الموقف وشدته حتى أن المجرم يود لو يفتدي من العذاب ببنيه وماحبته وأخيه وفصيلته التي تؤيه وذلك اليوم يمتد حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار<sup>(١)</sup>

أما الأحاديث : فقد روى الامام مسلم - رحمه الله - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - :

( ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم ، فيكوى

(١) انظر ملك التأويل : لابن الزبير الغرناطي ، ج٢ / ٢٢١ - ٢٢٢

(٢) صحيح مسلم : كتاب الزكاة ، باب ثم مانع الزكاة ( شرح النووي : ج٧ / ٦٤ )

ورواه الامام أحمد في مسنده : ج٢ / ٢٦٢ بنحوه



بها جنبه وظهره ، كَلِّمًا بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله ، إِمَّا إلى الجنة وإِمَّا إلى النار . . . . . الحديث )

وقد استدلَّ بهذا الحديث على أَنَّ المراد بالآية يوم القيامة كلٌّ من القرطبي والنحاس<sup>(١)</sup> واستدلا به على صحة هذا القول وأنه أحسن ما قيل في الآية

ومن الأحاديث أيضًا : ما رواه الامام أحمد<sup>(٢)</sup> وابن جرير<sup>(٣)</sup> وابن حبان<sup>(٤)</sup> عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : ( قيل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ) ما أطول هذا اليوم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخفَّ عليه من صلاة مكتوبة يُصلِّيها في الدنيا )

واخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما - بسند صحيح : ( في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ) قال يوم القيامة ) وكذلك اخرج ابن جرير<sup>(٦)</sup> من طريق علي بن ابي طلحة عن ابن عباس - وكذا قال الحسن وقتادة والضحاك وابن زيد<sup>(٧)</sup>

هذا بالنسبة للآية التي تدل على أن اليوم مقداره خمسين الف سنة  
أما قوله تعالى :

( ويستعجلونك بالعذاب ولن يُخلف الله وعده وإنَّ يوماً عند ربك كألف سنة ممَّا تعدون )

فقد أُريد بذلك أنَّ اليوم في حساب الله وتقديره كألف سنة من سني الدنيا التي يعد بها البشر ، فالسنة من هذه السنين هي يوم واحد في حساب الله ، فهذه الآية لم يرد بها يوم القيامة كما هو الحال في الآية الأولى ، ولهذا قال هنا : ( وإنَّ يوماً عند ربك . . . . . )

(١) تفسير القرطبي : ج١٨ / ٢٨١

(٢) المسند : ج٢ ٧٥ (٣) تفسير ابن جرير : ٢٩ / ٧٢

(٤) صحيح ابن حبان ، كتاب البعث ، باب في مقدار يوم القيامة ( موارد الظمآن :

إلى زوائد ابن حبان رقم : ٢٥٧٧ ، ص : ٦٣٨ )

وعزاه في مجمع الزوائد ج١٠ / ٢٤٠ لابي يعلى أيضا وقال : اسناده حسن على ضعف في راويه

(٥) تفسير ابن كثير : ج٤ / ٦٥٦ ، الدر المنثور : ج٨ / ٢٧٩

(٦) تفسير ابن جرير : ج٢٩ / ٧١ ، (٧) ابن جرير : ٢٩ / ٧١ ، الدر المنثور : ٨ / ٢٧٩ ، زاد المسير : ٨ / ٣٥٩ تفسير ابن كثير : ٤ / ٦٥٦ ، زاد المسير : ٨ / ٣٥٩

ثم إنَّ المقصود ببيان أن اليوم عند الله بألف سنة هو : أن الله تعالدا إذا أراد شيئاً وقدّر إنفاذه كان وتحصل في الوقت الوجيز مع انكم تُقدّرون حصوله في ألف سنة من سني الدنيا التي تعدونها ، فأفعاله سبحانه لا تكلف فيها ولا معالجة (إنما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) - يس / ٨٢ -

فاذا شاء الله عذابكم كان ووقع ، لأن أفعاله ليست كأعمال خلقه ، فلماذا تستعجلون ما لا تكلف في وقوعه وحلوله ، فانما يمنع استعجاله ربطه بأجل ، وذلك الأجل إنما هو يوم القيامة أو الأجل المسمّى (١) ولهذا قال بعد الآية : ( . . . وكأين من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير ) - الحج / ٤٨ -

وقال في موضع آخر : ( فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) - الاعراف / ٣٤ -

وانما يُعجّل بالعذاب من يخاف الفوت ، أمّا اذا كان مرجع الكل ومصيرهم إليه سبحانه ، فيأخذ المكذّب متى شاء وإن أخره ، كما قال الباري : ( فأملت للذين كفروا ثم أخذتهم ) - الرعد / ٣٢ -

وهناك وجه آخر : هو أنهم استعجلوا العذاب جهلاً ، والعاقل لا ينبغي أن يستعجل عذاب الآخرة ، فما ينالهم من عذاب النار وشدتها اليوم منه بألف سنة مما يعدون ، فلو عرفوا حال عذاب الآخرة وأنه بهذا الوصف لما استعجلوه (٢)

قال الغراء (٣) : ( تضمنت الآية عذاب الدنيا والآخرة ، وأريد بالعذاب المستعجل به عذاب الدنيا ، أي لن يظف الله تعالى وعده في انزال العذاب بكم في الدنيا ، وإنّ يوماً من أيام عذابكم في الآخرة كالف سنة من سني الدنيا . ) اهـ

وعلى هذا فان الله أعلمهم أنهم اذا استعجلوا العذاب في أيام قصيرة ، فانه سيأتيهم في أيام طويلة مقدار اليوم منها ألف سنة مما يعدون ، والى هذا المعنى ذهب ابن جرير (٤) حيث قال :

( إنَّ الله تعالى ذكره أخبر عن استعجال المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم - بالعذاب ثم أخبر عن قدر اليوم عنده ، ثم اتبع ذلك

(١) ملاك التأويل : ٢ / ٧٢٠ ، الرازي : ٤٧ / ٢٣ ، ابن كثير : ٣ / ٣٦٥ الحج / ٤٧

(٢) تفسير ابن جرير : ١٧ / ١٨٤ ، زاد المسير : ٥ / ٤٣٩ ، درة التنزيل : ٣٨٨

الرازي : ٢٣ / ٤٧ ، روح المعاني : ١٧ / ١٧٠

(٣) معاني القرآن : ج / وانظر تفسير القرطبي : ١٢ / ٧٧

(٤) تفسير الطبري : ج ١٧٤ / ١٨٤

قوله : ( وكأين من قرية أُمليت لها وهي ظالمة ٠٠٠ ) ، فأخبر عن إملائه أهل القرية الظالمة وتركه معاجلتهم بالعذاب ، فبيّن أنه عنى بقوله ( وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ) نفي العجلة عن نفسه ووصفها بالأناة والانتظار ، وإذا كان كذلك كان تأويل الكلام : وإن يوما من الأيام التي عند الله يوم القيامة يوم واحد كألف سنة من عددكم ، وليس ذلك عنده ببيد ، وهو عندكم بعيد ، فلذلك لا يعجل بعقوبة من أراد عقوبته حتى يبلغ غاية مدته ٠ ) هـ

هذا وقد نحا الخطيب الاسكافي منحا آخر في تفسير الآية (١) فقال : ( وأما قوله في سورة الحج ) ( وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ) أي يقع في يوم من تنعيم المطيعين وتعذيب العاصين قدر ما يناله المنعم في ألف سنة من أيام الدنيا ، ويعذب العصاة في يوم مقدار ما يعذب به الانسان في ألف سنة لو بقي فيها ، فعذابه في يوم واحد عذاب الف سنة ، وذلك لما يتضاعف عليهم من الآلام والملاذ ٠ ) هـ

قلت : وهذا التفسير وإن كان وجيها ، إلا أن ما تقدم في معنى الآية من أن المراد أن اليوم عند الله بألف سنة مما نعد حقيقة هو الظاهر ، ويدل على ذلك ما ثبت في الحديث الذي رواه الترمذي (٢) - وابن ماجه (٣) واحمد (٤) عن ابي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله على الله عليه وسلم - : ( يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام )

وقوله في الحديث : بنصف يوم أي من أيام القيامة التي هي خمسين يوما كل يوم منها بألف سنة مما نعد وقد روى ابن جرير (٥) عن ابي هريرة قال : ( يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بمقدار نصف يوم ، قلت : وما مقدار نصف يوم ؟ قال أوما - تقرؤون القرآن ؟ قلت بلى ، قال : ( وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون )

---

(١) نرة التنزيل : ٣٨٧ ، وانظر : النكت والعيون للماوردي : ج٣ / ٨٥ حيث ذكر ذلك وجها من الوجوه  
(٢) سنن الترمذي : كتاب الزهد ، باب ٣٧ ، وقم : ٢٣٥١ / ج٤ / ٥٧٨ وقال : حسن صحيح  
(٣) سنن ابن ماجه : في الزهد باب منزلة الفقراء رقم : ٤١٢٢ ، ج٢ / ١٣٨١  
(٤) مسند أحمد : ٣٠٤ / ١ ، ١٦٩ / ٢  
(٥) تفسير ابن جرير : ١٧٣ / ١٧ طبعة الطبي

وأما قوله تعالى في سورة السجدة :  
( يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان  
مقداره ألف سنة مما تعدون )

فإن المراد بذلك أنّ بُعد ما بين السماء والأرض لا يحول  
دون استعجال نفوذ تدبيره ، وإمضاء تقديره ، وأنه سبحانه ليديرها ثم  
يرجع إليه في وقت لو وُكِّلَ ذلك إليكم وكان في مقدوركم لفعلتموه في  
ألف سنة مما تعدون (١)

فالمراد بهذه الآية بيان قدرته تعالى وإحاطة علمه ورجوع الأمر  
إليه ، وأنه مع استوائه على عرشه فوق سمواته فإنه يدبر أمرا الأرض  
وغيرها في فترة وجيزة ، وتعرج إليه أعمال العباد وأمورهم بأسرع مدة  
ولو كان ذلك في مقدوركم ووُكِّلَ إليكم لاحتجم الى ألف سنة ، وهذا كله  
للدلالة على عظمة القدرة الإلهية وبيان عجز البشر وضعف إمكانياتهم  
وأنه سبحانه هو المتصرف القادر الذي لا يُعجزه شيء (٢)

وعلى هذا فإنّ المراد بالألف في هذه الآية : البرهة المتطاولة  
من الزمان ، فليس المراد حقيقة العدد ، وعبر عن المدة المتطاولة بالالف  
لأنها مُنتهى المراتب وأقصى الغايات ، وليس مرتبة فوقها إلا ما يتفرع  
منها من أعداد مراتبها (٣)

أمّا ما قيل من أن المراد أن الملك يسير مسافة ما بين السماء  
والأرض في خمسمائة عام ويصعد في نفس المدة فهذه ألف عام (٤) ، فإن ذلك  
لم يرد فيه عن النبي المعصوم - صلى الله عليه وسلم - ما يُركن إليه في هذا  
وكذلك ما قيل إن المراد : يدبر أمر الدنيا من السماء الى الأرض  
الأن تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الأمر كله ليحكم فيه في يوم كان  
مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة (٥) ، فهذا أيضا لا يصح لما تقدم أولا  
من أن يوم القيامة خمسين ألف سنة ، وكذلك لأن أعمال العباد تصعد في  
كل وقت الى البارئ وتُسجل في المحف ، فلامعنى للقول بصعودها يوم -  
القيامة

(١) ملاك التأويل : لابن الزبير الغرناطي : ج٢ / ٧٦٦

(٢) زاد المسير : ٦ / ٣٣٣ ، ابن كثير : ج٢ / ٧٢٨ روح المعاني : ج١٠ / ٢١٠

(٣) روح المعاني : ج١٠ / ٢١٠ السجدة / ٥

(٤) تأويل مشكل القرآن : ٣٥٣ ، درة التنزيل : ٢٨٧ ، تفسير الماوردي : ٣ / ٢٩٢

زاد المسير : ٦ / ٣٣٣ ، ابن كثير : ج٢ / ٧٢٨

(٥) زاد المسير : ٦ / ٣٣٣

والذى يتحصل بعد هذا كله : أنّ الآيات الثلاث تتحدث

كل واحدة عن أمر غير الأخرى ،

فآية الحج ( وإنّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ) :

تتحدث عن أيام الله ، سواء في الدنيا أو الآخرة ، كل ألف سنة  
ما نعد هو يوم واحد عند الله تعالى وفي حسابه ،

وآية السجدة : ( في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ) :

تتحدث عن مدة تدبير الأمر وعروجه الى البارئ عز وجل ، وأن ذلك  
يتم في مدة وجيزة ، ولو كان ذلك في مقدور البشر لاحتاجوا الى ألف  
سنة كناية عن المبالغة في عجزهم وإمكاناتهم مقابل قدرة الله تعالى  
وعلمه المحيط ،

وآية المعارج : ( في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ) :

إنما تتحدث عن يوم القيامة كما سبق وفصلته ، وهو بهذا الطول إنما  
هو بحق الكفار وأهل الضلال ، وبما أن يوم القيامة خمسين ألف سنة  
فهو يساوى خمسين يوماً من أيام الله ، كل يوم بألف سنة

والله تعالى أعلم

١- قوله تعالى : ( وأما من أوتي كتابه بجماله فيقول

يا ليتني لم أوت كتابيه ٠٠٠٠ ) - الحاقة / ٢٥ -

دلت هذه الآية أن الكافر يعطى كتابه بيده الشمال ، وقد جاءت  
آية أخرى تدل على أنه يعطى كتابه من وراء ظهره ، وهو قوله  
تعالى :

( وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثبورا ، ويصلى

سعيرا ) - الانشقاق / ١٠ - ١٢ -

والجواب : انه لا منافاة بين أخذ الكتاب بشماله ومن وراء ظهره  
لأن الكافر تغل يده اليمنى الى عنقه ، وتجعل يده الشمال وراء  
ظهره ، فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره ، جزاءا وفاقا حيث  
انه نبذ كتاب الله وراء ظهره ، وهي هيئة الكاره المكره الخزيان  
من المواجهة (١)

---

(١) زاد المسير : ج ٩ / ٦٤ ، تفسير الرازي : ١٠٧ / ٣١

تفسير القرطبي : ٢٧٢ / ١٩ ، تفسير ابن كثير : ٧٠٧ / ٤ الانشقاق / ١٠

فتح القدير للشوكاني : ج ٥ / ٣٩٥ ، روح المعاني : ١٠٣ / ٣٠ في ظلال القرآن ٢٨٢٧ / ٦

المبحث الثالث : الايات المتعلقة بالجنة والنار

اقوله تعالى : ( وَإِنْ مِنْكُمْ اِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَا )  
- مريم / ٧١ -

هذه الاية تدل على أن كل أحد من مسلم أو كافر سوف يرد النار لكن الله ينجي الذين اتقوا وينذر الظالمين فيها جثا وقد جاءت آية أخرى تدل أن الله يُبعد المؤمنين عن النار فلا يسمعون صوتها وهي قوله تعالى :

( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ، لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ) - الانبياء / ٩٨ - ١٠٢ -  
فهذه الاية دلت على أن أولياء الله مُبعدون عن النار وهذا في الظاهر قد يتوهم منه منافاة الورد المُثبت في الآية الأولى

والجواب : أن المراد بقوله : ( أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) أي مُبعدون عن دخولها ومعاناة آلامها وعذابها ، وهذا لا يُنافي المرور فوقها السعير عنه بقوله تعالى : ( وَإِنْ مِنْكُمْ اِلَّا وَارِدُهَا ) فكل إنسان يمرُّ عليها كما أخبر الله تعالى ، لكن المؤمن يمرُّ ولا يسمع حسيسها فينجو بقدرة الله ورحمته ، والكافر يقع فيها جاثيا ذليلا وبئس المصير ، ولما كان المرور مظنة التأذي بها أخبر سبحانه أنهم لا يسمعون حسيسها ، وهذا قول ابن مسعود وقتادة والحسن والسدي وكعب الأحمار (١)

فالورد في قوله تعالى : ( وَإِنْ مِنْكُمْ اِلَّا وَارِدُهَا ) أريد به المرور فوقها ، والذي يدل على ذلك أن للورد معنيين :

الاول يطلق على الدخول ، كما في قوله تعالى : ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ) - الانبياء / ٩٨ -

وقوله تعالى : ( لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ) - الانبياء / ٩٩ -  
وقوله تعالى : ( يَقْدَمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدُهُمُ النَّارَ ) - هود / ٩٨ -

والمعنى الثاني للورد يطلق على الملاسة من غير دخول ، قال في اللسان (٢) : ( ورد الماء وغيره وردا وورودا ، وورد عليه : أشرف عليه ، دخله أو لم يدخله ، قال زهير (٣) :

(١) تفسير ابن جرير : ١١٠ / ١٦ ، فوائد في مشكل القرآن للعز بن عبد السلام : ١٧٧

فتح الرحمن لذكريا الانصاري : ٣٧٩ ، روح المعاني للالوسي : ١٧ / ٩٨

(٢) لسان العرب بن منظور : ج٣ / ١٠٠ مادة ورد

(٣) ديوان زهير بن ابي سلمى ٧٨ ، والبيت من المعلقة ، وانظر القرطبي : ١١ / ٢٣٧  
زاد المسير : ٥ / ٢٥٦

فلما وَرَدَّ الْمَاءَ زُرْقًا جَمَامَهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخِيمِ

معناه لما بلغن الماء أقمن عليه ،

وقال ابن مسعود والحسن وقتادة : إنَّ ورودها ليس دخولها  
وحجتهم في ذلك قوية جدا ، لأنَّ العرب تقول : وردنا ماء كذا ولم  
يدخلوه ، قال الله عز وجل : ( ولما ورد ماء مدين ٠٠ ) - القصص/ ٢٣  
ويقال : اذا بلغت الى البلد ولم تدخله قد وردت بلد كذا وكذا ( ٠ ) اهـ  
وقال في القاموس<sup>(١)</sup> : ( الورد : الاشراف على الماء وغيره دخله او  
لم يدخله ( ٠ ) اهـ

قلت : فلما احتمل لفظ الورد معنى الدخول ومعنى القرب  
والملازمة جاءت السنة ففسرت لنا المراد بالورد المثبت في الاية  
بأنه المرور عند الصراط المنسوب بين ظهري جهنم فقد اخرج الامام  
البخارى<sup>(٢)</sup> ومسلم<sup>(٣)</sup> عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قالوا لرسول  
الله - صلى الله عليه وسلم - : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ ٠٠٠٠ وساق الحديث  
الى قوله : ( ٠٠٠ ويضرب الصراط بين ظهري جهنم<sup>(٤)</sup> فأكون أنا  
وأمتي أول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ  
اللهم سلم سلم ٠٠٠ الحديث )

وأخرج مسلم أيضا<sup>(٥)</sup> عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه : أن ناسا  
في زمن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا : يا رسول الله هل نرى  
ربنا يوم القيامة ؟ ٠٠٠٠ وساق الحديث الى قوله : ثم يُضرب الجسر على  
جهنم وتحل الشفاعة قولون اللهم سلم سلم ، قيل يا رسول الله وما الجسر  
قال : حفز مزلّة فيه خطاطيف وكلايب وحسك<sup>(٦)</sup> تكون بنجد فيها شوكة  
يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف الدين وكالبرق وكالريح -  
وكأجاويد الخيل والركاب ، فنادى مُسلم ومخدوش مُرسل ومكدوس في نار  
جهنم ٠٠٠ الحديث )

(١) القاموس للفيروزبادي : ج١/ ٣٥٧ مادة ورد

(٢) صحيح البخارى : كتاب التوحيد باب ٢٤ قول الله وجوه يومئذ ناضرة ٠٠ ج١٧٩/ ٨

(٣) صحيح مسلم : كتاب الايمان ، عفة الصراط ( شرح النووى : ج٢٠ / ٣٠ )

(٤) يعنى يمد الصراط عليها ، وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم ، فالمؤمنون

ينجون على حسب حالهم ومنازلهم والآخرين يسقطون فيها

(٥) كتاب الايمان باب رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة ( شرح النووى : ٢٩ / ٣ )

(٦) حفز مزلّة : أى تزل فيه الاقدام ولا تستقر ، والخطاطيف : جمع خطاف بضم الخاء

والكلايب : جمع كلوب بفتح الكاف وضم اللام المشددة وهو حديدة معطوفة الرأس

يعلق فيها اللحم وترسل في الفرن ، والحسك : شوك صلب من حديد

والسعدان : نبت له شوكة عظيمة ٠٠٠ ( شرح النووى ج٢ / ٢١ ، ٢٩ )



فهذان الحديثان فيهما تفسير معنى الورود الذي جاء في الآية :  
( وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ آوَا وَارْتَدَّ ) وَأَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ هُوَ الْعَبُورُ عَلَى الصَّرَاطِ كُلِّ  
بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ فَوُرُودُ الْمُؤْمِنِينَ كَطَرَفِ الْعَيْنِ وَكَالْبُرْقِ وَكَالرِيحِ وَبَعْضُهُمْ  
كَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَّابِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَخَدَّشُهُ الْكَلَالِيْبُ تَطْهِيْرًا لِسَيِّئَاتِهِ وَلَكِنَّهُ  
يَنْجُو ، وَمِنْهُمْ الْمَكْدُوسُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ أَيْ يَسْقُطُ فِيهَا وَهُمْ أَهْلُ  
الْكَفْرِ وَأَهْلُ الضَّلَالِ وَالْفُسُوقِ ، فَثَبِتَ بِذَلِكَ أَنَّ تَفْسِيْرَ الْوُرُودِ فِي  
الْآيَةِ بِالْدُخُولِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَأَنَّهَا تَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بَرْدًا وَسَلَامًا  
كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ يَنْجِي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَيَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا  
جَثِيًّا ، تَفْسِيْرَ الْوُرُودِ بِذَلِكَ لَا يَصِحُّ (١) لَمَّا ثَبِتَ فِي الْحَدِيثِ ، إِضَافَةً  
الَّتِي صَرَّحَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ( لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ) أَيْ  
لَمَّا دَخَلُوهَا فَاسْتثنَى أَهْلَ الْحَسَنِ مِنَ الْوُرُودِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الدُّخُولِ  
فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْوُرُودَ فِي قَوْلِهِ : ( وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ آوَا وَارْتَدَّ ) لَا يَعْنِي الدُّخُولَ  
وَأَمَّا الْمَعْنَى الْآخَرُ مِنْ مَعَانِي الْوُرُودِ وَهُوَ الْمَرُورُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ  
كَمَا تَقْدِمُ

(٢)

قال القرطبي - رحمه الله - : ( قال الحسن ليس الورود الدخول  
انما تقول وردت البصرة ولم أدخلها ، قال : فالورود أن يَمْرُوا عَلَى  
الصراط ، قال أبو بكر ابن الأنباري : وقد بنى على مذهب الحسن قوم  
من أهل اللغة واحتجوا بقول الله تعالى : ( إن الذين سبقت لهم  
منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ) قالوا : فلا يدخل النار من ضمن  
الله أن يبعده عنها ) اهـ

(٣)

هذا وقد روى الامام مسلم عن أم مبشر أنها سمعت النبي  
- على الله عليه وسلم - يقول عند حفصة : ( لا يدخل النار - إن شاء الله -  
من أصحاب الشجرة أحد : الذين بايعوا تحتها ، قالت بلى يا رسول  
الله ، فانتهرها فقالت حفصة : ( وإن منكم إلا وارتدوا ) فقال النبي  
- على الله عليه وسلم - : قد قال الله عز وجل ثم ننجي الذين اتقوا  
ونذر الظالمين فيها جثيا )

قلت : فهذه حفصة - رضي الله عنها - ظنت أنه لما أقسم الله تعالى

---

(١) تفسير الورود بالدخول ثم تكون عليهم بردا وسلاما وينجيهم الله منها  
مروي عن ابن عباس وجابر بن عبد الله وخالد بن معدان وابن جريح وغيرهم  
انظر : تفسير ابن جرير : ١٦ / ١٠٨ طبعة الحلبي ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٣٥  
تفسير ابن كثير : ٢ / ٢١٢ ، زاد المسير : ٥٦ / ٢٥٦  
(٢) تفسير القرطبي : ١١ / ١٣٥  
(٣) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أصحاب الشجرة ( شرح النووي  
٥٧ / ١٦ )

أن كل أحد يرد النار ظنّت أنّ معناه الدخول ، فلما أخبر الرسول -  
صلّى الله عليه وسلم - أن أهل بدر والحديبية لا يدخلونها مطلقا استشكلت  
ذلك فذكرت الآية ، فأخبرها الرسول بقوله تعالى : ( ثم نُنجي  
الذين اتقوا... ) أي ننجيهم من دخولها ، فدل ذلك أن الورود هو  
المرور من فوقها وليس الدخول

قال شارح العقيدة الطحاوية<sup>(١)</sup> : ( أشار النبي - صلّى الله عليه  
وسلم - إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها ، وأن النجاة من البشر  
لا تستلزم حصوله بل تستلزم انعقاد اسبابه ، فمن طلبه عدوه ليهلكوه  
ولم يتمكنوا منه يقال : نجّاه الله منهم ، ولهذا قال تعالى : ( ولما  
جاء أمرنا نجينا هودا ) - هود/ ٥٨ - ( ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا ) هود  
- ٥٩ -  
ولم يكن العذاب أصابهم ولكن أصاب غيرهم ولولا ما خصّهم الله من أسباب  
النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك ، وكذلك حال الوارد في النار يمرون  
فوقها على الصراط ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها  
جثيا . ) اهـ

وما ورد في الصحيحين<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة - رضي الله عنه قال :  
( قال رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - : ( لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة  
من الولد فتمسه النار إلاّ تحلّ القس )  
معنى هذا الحديث : من مات له ثلاثة من الولد لا تمسه النار لكن  
تحلّ القس وهو الورود الذي تقدم معناه ،

قال الامام النووي<sup>(٣)</sup> : ( قال العلماء : تحلّ القس ما ينحل  
به القس وهو اليمين ، وجاء مفسرا في الحديث أن المراد قوله تعالى  
( وإن منكم إلاّ واردها ) وبهذا قال ابو عبيدة وجمهور العلماء ، والقس  
مُقَدَّر : أي والله إن منكم إلاّ واردها ... والمراد بقوله ( وان منكم  
الا واردها ) المرور على الصراط وهو جسر منصوب عليها . ) اهـ

---

(١) ص : ٤١١ ، والشارح هو : العلامة ابن ابي العز الحنفي شارح العقيدة  
الطحاوية لصاحبها : أحمد بن محمد بن سلمة الأزدي الطحاوي ، وهو محدث فقيه حافظ

ت : ٣٢١ هـ  
(٢) البخاري : كتاب الايمان ، باب قول الله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم ٧ / ٢٢٤

ومسلم : في البر والملة ، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ( شرح النووي ١٦ / ١٨٠ )

(٣) شرح النووي على مسلم : ١٦٦ / ١٨٠

وبهذا يتبين لنا أنه لا تنافي ولا اختلاف بين مفهوم قوله تعالى :  
( وإن منكم إلا واردة ) وبين قوله تعالى : ( ان الذين سبقت لهم  
من الحسنى اولئك عنها مبعدون )  
لأن معنى مبعدون : أي عن الدخول فيها ومعاناة آلامها وعذابها ، -  
ومعنى الورود في الآية : المرور على الصراط فمن مرَّ على الصراط كالبرق  
وكالريح ونحو ذلك صح أن نقول أنه قد أُبعد عن النار ،  
كما أن من معاني إبعاد المؤمنين عن النار نجاتهم منها إجمالاً ، لأنه  
كما تقدم في حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أن بعض المؤمنين يُخدش  
بالكلايب ثم يُرسل ، وكذلك فإن من الذين يسقطون في النار بعض عصاة  
المؤمنين وهم أصحاب الكبائر الذين لم يتوبوا منها ، فهو لاء يعذبون  
في النار ما شاء الله ثم تُدرِكهم الشفاعة كما في الحديث :  
( فيشفع الملائكة ويشفع النبيون ويشفع المؤمنون ، فيخرجون بانن  
الله من النار خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار الا دارات وجوههم وهي  
مواضع السجود ) (١)

وأخراجهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الايمان حتى يُخرجون  
من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان ، ثم يخرج الله من النار من  
قال يوماً من الدهر لا اله الا الله ولم يعمل خيراً قط ، ولا يبقى  
في النار الا من وجب عليه الخلود كما وردت بذلك الاحاديث الصحيحة عن رسول  
الله - على الله عليه وسلم - ولهذا قال تعالى :

( ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثا )

وقال : ( فمن زحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا  
الا متاع الغرور ) - آل عمران / ١٥٥ -

وعلى هذا فان دخول بعض عصاة المؤمنين النار ثم خروجهم منها مستفاد من  
الاحاديث الصحيحة وليس من لفظ الورود في قوله ( وإن منكم إلا واردة )  
والله أعلم

(١) (٢) صحيح البخارى : كتاب التوحيد باب ٢٤ ، ج٨ / ١٨٢

صحيح مسلم : كتاب الايمان ، باب اخراج عصاة المؤمنين من النار

( شرح النووي على مسلم : ج٣ / ٢٠ - ٢٧ )

٢- قوله تعالى في حق من يدخل النار :

( فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض (١) إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد ) - هود / ١٠٧ -

وقوله تعالى : ( ... قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما ما شاء الله ان ربك حكيم عليم ) - الانعام / ١٢٨ -  
هاتان الايتان قد يتوهم من ظاهرهما أن خلود أهل النار - ليس مؤبدا لقوله فيهما : " ... إلا ما شاء الله .. " وهو في الظاهر استثناء من الخلود وقد يتوهم ان هذا يناغي ما جاء في الايات الاخرى من اثبات الخلود المؤبد لأهل النار ، وهي قوله تعالى :

( ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا ) - النساء / ١٦٨ - ١٦٩ -  
وقوله تعالى :

( ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا ، خالدين فيها أبدا لا يجدون فيها وليا ولا نصيرا ) - الاحزاب / ٦٥ -  
وقوله : ( ومن يعص الله ورسوله فإله نار جهنم خالدين فيها أبدا ) - الجن / ٢٣ -  
وقوله : ( كلما خبت زدناهم سعيرا ) - الاسراء / ٩٧ -  
وقوله : ( هم لا يموت فيها ولا يحيى ) - الاعلى / ١٣ -  
وقوله : ( وما هم بخارجين من النار ) - البقرة / ١٦٧ -  
وقوله : ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور ) - فاطر / ٢٦ -

---

(١) قوله تعالى : ( ما دامت السموات والارض ) : هو إخبار عن دوام الخلود ، أجرى ذلك على عادة العرب ومنهاجها في الإخبار عن دوام الشيء وتأبيده ، كقولهم : لا آتيك ما جنّ ليل ، أو سال سيل وما اختلف الليل والنهار ، وما ناح الحمام ، وما دامت السموات والارض ، وما لاح كوكب ، وما طمس البحر ، ونحو ذلك مما يريدون به طولاً من غير نهاية وأنهم لا يفعلونه أبدا ، لأن هذه المعاني عندهم لا تتغير أبداً ومنه قول الشاعر :

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب  
وقال زهير :

ألا لا أرى على الحوادث باقيا ولا خالدا إلا الجبال الرواسيا =

والجواب :  
ان خلود الكفار في النار موعيد أثبتته نصوص الكتاب والسنة  
ولذلك فان الاستثناء في آيتي الانعام وهود لا ينفي التخليد  
وذلك من عدة أوجه :-

الوجه الاول : وهو ما اختاره ابن جرير وابن كثير وقواه -  
الرازي وعليه كثير من العلماء ، ونقله ابن جرير<sup>(١)</sup> عن خالد بن معدان  
والضحاك وقتادة وابن سنان ، ورواه ابن أبي حاتم<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس والحسن  
أن هذا الاستثناء وهو قوله تعالى :  
( ... الا ما شاء الله .. ) يفيد إخراج أصحاب الكبائر من  
أهل التوحيد من النار ، لأن قوله :  
( فأما الذين شقوا ففي النار .. ) يفيد أن جملة الاشقياء  
محكوم عليهم بهذا الحكم ، ثم قوله : " إلا ما شاء الله " يوجب

---

لذلك فان خلود أهل النار ليس معلقا بدوام هذه السموات والارض  
بل هو أطول جار على عرفهم يفيد الأبد الخاني عن الانقطاع  
وهناك وجه ثاني : أن المراد التعليق لكن على سموات الاخرة وأرضها  
لقوله تعالى : ( يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ٠٠٠ ) - ابراهيم / ٢٨ -  
وقوله تعالى حكاية عن أهل الجنة : ( .. وأورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء )  
ومعلوم ان سموات الآخرة وأرضها أبدتان ، وعلى هذا فعذابهم أبدى ،  
ووجه ثالث : قاله الرازي : ( والجواب الحق عندي هو أن المعهود ممن  
الاية أنه متى كانت السموات والارض دائمتين كان كونهم في النار باقيا  
فهذا يقتضي أنه كلما حصل الشرط حصل المشروط ولا يقضي أنه اذا عدم  
الشرط عدم المشروط ، ألا ترى أنا نقول : إن كان هذا انسان فهو حيوان  
فان قلنا : لكنه ليس بانسان لم ينتج انه ليس بحيوان ، فاننا قلنا :  
متى دامت السموات دام عقابهم ، فاننا قلنا لكن السموات دائمة لزم ان  
يكون عقابهم حاصلًا ، أما اذا قلنا لكنه ما بقيت السموات لم يلزم عدم  
دوام عقابهم ، وفائدة التشبيه بدوام السموات والارض يدل على استمرار  
ذلك العذاب زمانًا لا يحيط العقل بطوله وامتداده ، أما أنه هل يحصل  
له آخر أم لا فذلك يستفاد من دلائل أخر . اهـ

انظر : تفسير ابن جرير : ١١٦ / ١٢ طبعة الطلبي ، تأويل مشكل القرآن : ٧٦  
تفسير الزمخشري : ٢٣٤ / ٢ ، تنزيله القرآن عن المطاعن : ١٨٤  
آمال المرتضى : ٩٠ / ٢ ، تفسير الرازي : ٦٤ / ١٨ ، تفسير القرطبي : ٩٩ / ٩  
مجموع الفتاوى : ١٠٩ / ١٥ ، تفسير ابن كثير : ٧١٢ / ٢ ، روح المعاني : ١٤٢ / ١٢  
(١) تفسير ابن جرير : ١١٧ / ١٢ ط الطلبي ، (٢) عزاه له ابن كثير ٧١٢ / ٢ هود / ١٠٧  
وانظر : تأويل مشكل القرآن : ٧٦ ، البرهان للزركشي : ٤٩ / ٣ ، زاد المسير : ١٦٠ / ٤

أن لا يبقى ذلك الحكم على ذلك المجموع ، ويكفي في زوال حكم  
الخلود عن المجموع زواله عن بعضهم ، فوجب أن لا يبقى حكم الخلود  
لبعض الأشقياء ، ولما ثبت أن الخلود ثابت للكفار وجب أن يقال :  
الذين زال عنهم حكم الخلود هم الفساق من أهل التوحيد ، فهم  
يخرجون من النار بعد مدة (١) .

وعلى هذا يكون قوله : ( فأما الذين شقوا . . . ) عاما فسي  
الكفرة والعماة ويكون الاستثناء من " خالدين " (٢) .

قال القرطبي (٣) : ( وإنما لم يقل " مَنْ شاء الله " لأن المراد  
العدد لا الأشخاص ، كقوله : ( فانكحوا ما طاب لكم من النساء ) . اهـ

ونقل الالوسي عن الطيبي (٤) : ( الحق الذي لا محيد عنه أن  
تُحمل " ما " على " مَنْ " لإرادة الوعفية وهي المرجومية ، وخالدين حال  
مُقدَّرة من ضمير الاستقرار ، أى في النار ، والمعنى : وأما الذين شقوا  
ففي النار مقدرين الخلود الآ المرحوم الذي شاء الله تعالى ان لا يستقر  
مخلدا ، فيفيد أن لا يستقر فيها مطلقا ، أو يستقر غير مخلد ، وأحوال  
العماة على هذا النهج كما علم من النصوص . ) اهـ

وقال الالوسي (٥) : ( والمراد بمن شاء فساق الموحدين فانهم  
يخرجون منها كما نطقت به الأخبار وهم المراد بالاستثناء الثاني (٦) فانهم  
مفارقون عن الجنة أيام عذابهم ، والتأيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار  
الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء . ) اهـ

قلت : وأما النصوص التي تدل على إخراج العماة من النار وتخليد  
الكفار فهي كثيرة متواترة (٧)

- 
- (١) تفسير الرازي : ج١٨ / ٦٤  
(٢) تفسير الطبري : ١٢ / ١١٨ ط الحلبي  
(٣) تفسير القرطبي : ج٩ / ٩٩  
(٤) روح المعاني : ج١٢ / ١٤٤ ، (٥) المصدر السابق : ١٢ / ١٤٣  
(٦) يعني في قوله تعالى : وأما الذين نعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما  
دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ( هود / ١٠٨ -  
(٧) تفسير الطبري : ج١٢ / ١١٦ حيث نص على تواتر ذلك ، وانظر :  
نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني : ١٥٤ ، فقد ذكر ممن  
نص على تواتر الحديث من العلماء منهم ابن تيمية والعيني والسيوطي وهـ

منها ما رواه البخاري<sup>(١)</sup> ومسلم<sup>(٢)</sup> واللفظ لمسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه من حديث طويل

(... فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون ظقا كثير ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا ، وكان أبو سعيد يقول فاقروا إن شئتم : ( إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ) فيقول الله عز وجل : نفعنا الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة .... ) الحديث

وفي رواية أخرى للبخاري ومسلم<sup>(٣)</sup> عن أبي هريرة - رضي الله عنه ( أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا ... وساق الحديث إلى قوله : ( أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا اله الا الله ، فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أنثر السجود .... ) الحديث

وروى البخاري ومسلم<sup>(٥)</sup> أيضا من حديث أنس الطويل في شفاعمة النبي - صلى الله عليه وسلم - وفيه : ( فأخرجهم فأدخلهم الجنة فما يبقى في النار الا من جسسه القرآن ، أي وجب عليه الخلود . ) اهـ

فهذه الاحاديث دلت دلالة يقينية على أن من أهل التوحيد من يدخل النار ثم يخرج منها ، فلذلك فهم المستثنون من الخلود في النار باعتبار متهاهم ، وهم أيضا المستثنون من الخلود في الجنة باعتبار المبدأ ، بالنسبة لمن دخلها قبلهم من أهل الايمان

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة ١٨٢/٨  
(٢) صحيح مسلم : كتاب الايمان ، باب رؤية الله سبحانه وتعالى ( شرح النووى ٣٢-٢٥/٣ )  
(٣) كتاب التوحيد ج٨ / ١٧٩ نفس الباب السابق  
(٤) كتاب الايمان ، نفس الباب السابق ( شرح النووى : ج٣ / ٢٢ )  
(٥) صحيح البخاري : كتاب التوحيد باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة ١٨٤ / ٨  
(٦) صحيح مسلم ، كتاب الايمان باب اثبات الشفاعة ( شرح النووى : ٥٨ / ٣ )  
وفي رواية مسلم ان لفظه " أي وجب عليه الخلود " من قول قتادة أحد رواة الحديث

قال الرازي<sup>(١)</sup> : ( إنَّ قوله : ( إن ربك فعّال لما يريد ) يحسن انطباقه على الآية انا حملنا الاستثناء على إخراج الفساق من النار ، كأنه تعالى يقول : أظهرتُ القهر والقدرة ثم أظهرت المغفرة والرحمة لأني فعّال لما أريد وليس عليّ حكم البتة . ) اهـ

### الوجه الثاني في توجيه الاستثناء :

أن كلمة " إلا " في الآية وردت بمعنى " سوى " ، والمعنى : انه تعالى لما قال : ( خالدين فيها ما دامت السموات والارض ) فهم منه أنهم يكونون في النار في جميع مدة بقاء السموات والارض المعهودتين فيسي الدنيا ، ثم قال : سوى ما يتجاوز ذلك من الظود الدائم ، فذكر أولاً في ظود أهل النار ما ليس عند العرب أطول منه ، ثم زاد عليه الدوام الذي لا آخر له بقوله : ( إلا ما شاء ربك ) والمعنى : إلا ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها والتي تعجز القلوب عن إدراكها لأنه لا غاية لها ، فعلى هذا جاء الاستثناء لتأكيد معنى الظود وثبितه ،

وهذا الوجه ذكره ابن قتيبة والفراء وغيرهم من المفسرين<sup>(٢)</sup>

### الوجه الثالث :

بما أن الآية جاءت جريا على عادة العرب من إرادة التأييد في قوله : ( ما دامت السموات والارض ) لذلك جاء استثناء المشيئة من دوامهما لأن أهل الجنة والنار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السموات في الدنيا وفي البرزخ وفي أرض الموقف للحساب فكأنه قال : خالدين فيها دوام السماء والارض إلا ما شاء ربك من تعميرهم في الدنيا ولبثهم في موقف الحساب قبل ذلك<sup>(٣)</sup>

فالاستثناء على هذا الوجه من دوام السموات والارض السابق على دخولهم النار ، وكذلك الامر بالنسبة لأهل الجنة<sup>(٤)</sup>

(١) تفسير الرازي : ج ١٨ / ٦٨

(٢) معاني القرآن للفراء : ج ٢ / ٢٨ ، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة : ٧٧

تفسير الطبري : ١٢ / ١٢٠ ط الطيبي ، زاد المسير : ٤ / ١٦٠

تفسير الرازي : ١٨ / ١٧ ، تفسير القرطبي : ٩ / ١٠٠ ، فتح الرحمن : ٢٧٢

آمال المرتضي : ٢ / ٨٧

(٣) تأويل مشكل القرآن : ٧٧ ، تفسير ابن جرير : ١٢ / ١٢١ ، تنزيل القرآن : ١٨٤

آمال المرتضي : ٢ / ٨٧ ، الرازي : ١٨ / ٦٨ ، زاد المسير : ٤ / ١٦٠

تفسير القرطبي : ٧ / ٨٤ ، ج ٩ / ١٠٠

(٤) زاد المسير : ٤ / ١٦٠



وقد استبعد الرازي<sup>(١)</sup> هذا الوجه على اعتبار : أن الاستثناء وقع عن الخلود في النار ، وإذا لم يحصل الخلود في النار لم يحصل المستثنى منه وامتنع حصول الاستثناء ) ،

قلت : وبما أن هذا الوجه قائم على أساس أن الاستثناء من دوام السموات والارض وليس من الخلود ، تبين ضعف هذا الاستبعاد ، أما أيضا الانعام : ( قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم ) فلم يذكر فيها دوام السموات والارض ، ولذلك واعتمادا على هذا الوجه فان الاستثناء فيها منقطع كما قال القرطبي والآلوسي<sup>(٢)</sup> والتقدير : النار مثواكم أبدا إلا ما أمهلكم في الدنيا ونظير ذلك قوله تعالى في حق أهل الجنة :

( لا ينوقون فيها الموت إلا الموتة الاولى ٥٠ ) - الدخان/٥٦ - وهذا الاستثناء منقطع ، ومعلوم أن الموت الذي ناقوه متقدم على دخولهم الجنة وخلودهم فيها ، فهذا يؤيد أن المستثنى في الآية وهو مفارقتهم للنار يصح أن يكون متقدما على خلودهم فيها

#### الوجه الرابع :

أن الاستثناء من الخلود في عذاب النار ، لأن أهل جهنم لا يخلدون - في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع أخرى من العذاب كما قال تعالى : ( هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج ) - ص / ٥٧ -

وعلى هذا فإنه لم يُرد بقوله : ( النار مثواكم ٥٠ ) الآية وقوله : ( وأما الذين شقوا ففي النار ٥٠ ) الآية لم يُرد ما غلب إطلاقه على دار العقاب بل أراد نوع العذاب وهو النار المحرقة التي قال الله فيها :

( كلما خبت زناهم سعيرا ) ، والخبو نقصان اللهب ، ولا

يلزم من خبوا تفتير العذاب وتخفيفه عن الكفار لقوله تعالى :

( لا يختر عنهم العذاب ٥٠ ) وقوله : ( لا يخفف عنهم العذاب ٥٠٠ )

لأنه عند خبو اللهب يكونون في الزمهرير وأنواع العذاب الأخرى ،

فالعذاب الذي لا يُخفف ولا يُفتر هو جملة عذاب دار العقاب المتنوع<sup>(٤)</sup>

(١) تفسير الرازي : ج١/ ٦٨ (٢) تفسير القرطبي : ٨٤/٧ ، روح المعاني : ٢٦/٨

(٣) تفسير الزمخشري : ٢٣٥/٢ ، فتح الرحمن : ٢٧٢ ، روح المعاني : ٢٦ / ٨ ، ١٤٣/١٢

(٤) فوائد في مشكل القرآن : ٢٣٠ ، الرازي : ٦١/٢١ ، روح المعاني : ٦١ / ٢١

فعلى هذا يكون الاستثناء في الآية بمعنى : إلا الوقت الذي ينتقلون فيه الى الزمهرير ،

وقد دلت النصوص على إثبات وجود الزمهرير في دار العقاب وهو ما رواه البخارى (١) ومسلم (٢) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

( اشتكت النار الى ربها فقالت يا ربّ أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف ، فهو أشد مما تجدون من الحرّ وأشد ما تجدون من الزمهرير )

وفي رواية لمسلم (٣) : ( فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حر أو حرور فمن نفس جهنم ) (٤)

فدلّ هذا الحديث على وجود عذاب آخر غير النار في دار العقاب ، ومعلوم أيضا أن النار فيها أصناف كثيرة من أنواع العذاب قال تعالى : ( أنلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ... فإنهم لاكلون منها فمائلون منها البطون ثم إنّ لهم عليها لشوبا من حميم ، ثم إن مرجعهم لالى الجحيم ) - المافات / ٦٢ - ٦٨ -

فقوله هنا : " ثم إن مرجعهم لالى الجحيم " يدل على أنهم ينتقلون في أصناف العذاب ، ومنه الزقوم والحميم ثم يُردون الى النار المتأججة كما قال تعالى : ( هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن ) -

قال مقاتل : الحميم خارج النار ، فهم يوردون الحميم لشربه ثم يُردون الى الجحيم (٥)

- 
- (١) صحيح البخارى : كتاب بدء الخلق باب ١٠ صفة النار وانها مخلوقة ج٤ / ٨٩  
(٢) صحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، استحباب الابراء بالظهر في شدة الحر ( شرح النووي : ج٥ / ١١٩ )  
(٣) نفس المصدر والكتاب والباب ( شرح النووي : ج٥ / ١٢٠ )  
(٤) قال النووي رحمه الله عند هذا الحديث : ( قال العلماء : الزمهرير شدة البرد والحرور شدة الحر ، ثم ذكر اختلاف العلماء في معنى اشتكاء النار هل هو على ظاهره أم على وجه التشبيه والاستعارة والتقريب وتقديره : ان شدة الحر يشبه نار جهنم فاحذروه واجتنبوا حروره ، ثم استصوب انه على ظاهره ولا مانع من حمله على حقيقته )  
(٥) زاد المسير : ٦٤ / ٧ ، تفسير الرازي : ١٤٣ / ٢٤  
تفسير ابن كثير : ج٤ / ١٨ المافات / ٦٨ ، تفسير القرطبي : ج١٥ / ٨٨

(١) وقد انتقد الرازي هذا الوجه قائلا : ( وأما القول بأن المراد بالاستثناء نقلهم من النار الى الزمهير ، لو كان الأمر كذلك لوجب أن لا يحصل العذاب بالزمهير إلا بعد انقضاء مدة السموات والارض ، والأخبار الصحيحة دلّت على أن النقل من النار الى الزمهير وبالعكس يحصل في كل يوم مرارا ، فبطل هذا الوجه . ) اهـ

قلت : ويمكن أن يُجاب بأن الاستثناء على هذا الوجه بمعنى :  
إلا الوقت الذي ينقلون فيه الى الزمهير وهذا يصدق على نقلهم اليه  
كل يوم أو أكثر أو أقل ، فيكون التقدير :  
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا الأوقات التي يكونون  
فيها في الزمهير

هذا وقد ردّ الزركشي<sup>(٢)</sup> - رحمه الله - على من قال بهذا الوجه ومنهم  
الزمخشري<sup>(٣)</sup> فقال : ( وجعل الزمخشري الاستثناء الاول لخروج أهل النار الى  
الزمهير أو الى نوع آخر من العذاب بناء على مذهبه من تخليد أهمل  
الكبائر في النار ، فكأنه تصوّر أن الاستثناء الثاني لما لم يُحمل على  
انقطاع النعيم لقوله تعالى : ( عطاءً غير مجذوذ ) فكذا الاستثناء  
الاول لا يُحمل على انقطاع العذاب لتناسب أطراف الكلام ، وقال . معنى قوله  
تعالى : ( ان ربك فعال لما يريد ) عقب الاستثناء الاول في مقابل :  
( عطاءً غير مجذوذ ) عقب الثاني أن الله تعالى يفعل بأهل النار  
ما يريد من العذاب كما يُعطي لأهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له ،  
ثم قال الزركشي بعد أن عاب عليه هذا القول :

( ظاهر الاستثناء هو الإخراج عن حكم ما قبله ولا موجب للمعدول عن  
الظاهر في الاستثناء الاول ، فحمل على النجاة - أي نجاة عصاة المؤمنين -  
ولما كان إنجاء المستحق للعذاب محل تعجب وانكار عقبه بقوله :  
( إن ربك فعال لما يريد ) أي من العذاب والانجاء منه بفضله ما  
ولا يتوجه عليه اعتراض أحد يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وأما  
الاستثناء الثاني فلما لم يكن على ظاهره عقب بقوله : ( عطاءً غير  
مجذوذ ) بيانا للمقصود . ) اهـ

قلت : وكون الزمخشري يرى تخليد أهل الكبائر في النار لا يسوغ تضعيف  
هذا الوجه الذي انتصر له ، وذلك لاحتمال الايات له ولما يؤيده  
من نصوص الكتاب والسنة كما تقدم ، وكذلك قال بهذا الوجه غير الزمخشري  
من أهل السنة كما تقدم ايضا ،

(١) تفسير الرازي: ج١٨ / ٦٨ (٢) البرهان في علوم القرآن: ج٣ / ٤٩ - ٥١

(٣) انوار تفسير الزمخشري: ج٢ / ٢٣٥ هود / ١٠٨

الوجه الخامس :

ان المراد البالغة في الخلود بمعنى : أنه لا ينتفي العذاب إلا وقت  
مشيئة الله تعالى وهو مما لا يكون ،  
أخرج البيهقي في البعث والنشور<sup>(١)</sup> عن ابن عباس في قوله تعالى :  
(إلا ما شاء ربك ) قال : فقد شاء ربك أن يخلد هؤلاء في النار وهؤلاء  
في الجنة )

قال الفراء<sup>(٢)</sup> : ( هذا استثناء استثناءه الله سبحانه ولا  
يفعله كقولك : ( والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك ) وعزيمتك ضربه . )  
فالمعنى لو شاء لأخرجهم لكنه لا يشاء لأنه حكم عليهم بالخلود ،  
قال الزجاج : ( وفائدة هذا أنه لو شاء أن يرحمهم لرحمهم ولكنه أعلمنا<sup>(٣)</sup>  
أنهم خالدون أبدا . )

قال الآلوسي<sup>(٤)</sup> : ( والأوجه أن يقال : إن الاستثناء في  
الموضعين مبني على الفرض والتقدير فمعنى " إلا ما شاء الله " ان شاء  
أى لو فرض أن الله تعالى شاء إخراجهم من النار أو الجنة في زمان  
لكان مستثنى من مدة خلودهم ، لكن ذلك لا يقع ليدلالة القواطع على عدم  
وقوعه ، وهذا كما قال الطيبي من أسلوب : ( حتى يلج الجمل في سم الخياط )  
قلت : وهذا الوجه كغيره من الأوجه السابقة قوى معتبر لتفسير  
الآيتين الوارد فيهما الاستثناء ، وبعض هذه الأوجه أقوى من بعض ،  
لكن الذى يظهر منها هو الوجه الاول والذى فيه أن المستثنى هم  
عمامة الموحدين بعد أن يخرجوا من النار كما تقدم ، لدلالة السنة  
الصحيحة المتواترة على ذلك ،

وعلى كل هذه الوجوه فإنه يتبين لنا أنه لا تناهي بين الآيات  
التي تدل على الخلود المؤبد لأهل النار وبين الآيات التي فيها استثناء  
وذلك لما تقدم من الوجوه في بيان معنى هذا الاستثناء<sup>(٥)</sup>  
والله تعالى أعلم وهو ولي التوفيق

(١) البعث والنشور : للبيهقي : ٣٢٣ ط اولى تحقيق عامر احمد حيدر

(٢) معاني القرآن : ج٢ / ٢٨

(٣) زاد المسير : ج٤ / ١٦٠

(٤) روح المعاني : ج١٢ / ١٤٤ وانظر : ج٨ / ٢٧ نفوس المصدر ، وتفسير القرطبي ج٩ / ٩٩

٣- قوله تعالى في حق من يدخل النار :  
( فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلا من غسلين ) - الحاقة/٣٦

هذه الآية تدل على حصر طعام أهل النار بالغسلين - وهو ما يسيل  
من صديد أهل النار<sup>(١)</sup> -

وجاءت آيات أخرى تدل على أن أهل النار لهم أشكال أخرى من الطعام  
قال الله تعالى : ( ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يُسمن ولا يخني من جوع )  
- الناشية/٦

والضريع : ما يبس من الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الأبل ما نام<sup>(٢)</sup>  
رطباً فإذا يبس تحامته وهو سُمٌّ قاتل ، فيكون لأهل النار شوك على شاكلته  
وقال تعالى :

( إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ٠٠ ) - الدخان / ٤٣ -

وقال : ( ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم )  
- الواقعة/٥٢

والزقوم : طعام كريبه في النار ومنه استُعير : زقم فلان وتزقم :  
إذا ابتلع شيئاً كريهاً ، ولذلك شبه تعالى طلع شجر الزقوم بروءوس الشياطين  
لما استقر في النفوس من بشاعتها<sup>(٣)</sup>

فكيف التوفيق بين هذه الآيات والتي في كل منها حصر طعام أهل النار بنوع  
معين ؟

والجواب من ثلاثة أجه :

الوجه الأول : أن النار دركات والجنة درجات ، وعلى قدر الذنوب والحسنات  
تقع العقوبات والمثوبات ، فالعذاب ألوان والمعذبون طبقات ، فمن أهل  
النار من طعامه الزقوم ، ومنهم من طعامه غسلين ، ومنهم من طعامه الضريع  
وذلك كلٌّ بحسب موضعه في النار ، ويدل لهذا قوله تعالى :

( لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ) - الحجر / ٤٤ -

وقوله تعالى : ( إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ) - النساء/١٤٥ -

وقوله : ( أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ) - غافر / ٤٦ -

فالنار لها أبواب ولها دركات متفاوتة وشدة العذاب متفاوتة بحسب عتو  
الكافر وكثرة فجوره وظلمه ، فلا جرم تنوع عذاب أهل النار وتنوع طعامهم ،  
فمن في كل آية على طعام طبقة من المعذبين ، وعلى ذلك فلا مجال لتوهم التناهي  
بين الآيات لأن الحصر بالنسبة إلى اختلاف الآكلين وتفاوت دركاتهم<sup>(٤)</sup>

(١) المفردات للراغب : ٣٦٠ ، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٤٨٤ ، زاد المسير : ٣٥٤/٨

(٢) المفردات : ٢٩٥ ، تفسير غريب القرآن : ٥٢٥ ، تفسير الطبري : ٢٩ / ٦٥ زاد المسير ٦/٩

(٣) المفردات : ٢١٣ ، زاد المسير : ٦٢ / ٧ ، تفسير ابن كثير : ج٤ / ١٧ الصافات / ٦٢

(٤) تأويل مشكل القرآن : ٦٩ ، التنبيه والرد للملطي : ٦٣ ، زاد المسير : ٩٧/٩

تفسير الرازي : فتح الرحمن : ٥٧٩ ، تفسير القرطبي : ٢٧٣/١٨

الوجه الثاني : أن الله تعالى قد نص في كل موضع على شيء من طعام أهل النار ، فمرة نص على الضريع ومرة نص على الغسلين وهكذا وليس المراد حصر طعامهم في الضريع مثلا بل أراد أنهم في بعض أوقاتهم ليس لهم إلا الضريع ، ولا ينافي ذلك أنهم في أوقات أخرى أو مواطن أخرى يكون طعامهم الزقوم أو الغسلين<sup>(١)</sup>

وعلى ذلك فلا تنافي بين الآيات لأن الحصر بالنسبة لاختلاف الاوقات أو المواطن ، حيث إن أهل النار يتنقلون من عذاب الى عذاب ومن موطن الى موطن في الباب الواحد

### الوجه الثالث :

أن المعنى في جميع الآيات بيان أن أهل النار لا طعام لهم أصلا ، لأن الضريع لا يصدق عليه اسم الطعام ولا تأكله البهائم فأحرى الآدميون وكذلك الغسلين والزقوم ، فمن طعامه الضريع لا طعام له ، ومن طعامه الغسلين لا طعام له ، ومنه قولهم : فلان لا ظل له الا الشمس ولا دابة له الا دابة ثوبه يعنون القمل ، ومرادهم لا ظل له أصلا ولا دابة له أصلا<sup>(٢)</sup>

ويدل على ذلك قوله تعالى في حق أصحاب النار :

( أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ) - البقرة / ١٧٤ -

فمن طعامه النار لا طعام له ، وعلى ذلك فإن الحصر في الآيات جاء لفائدة وهي بيان شدة جوع أهل النار وأنه لا طعام لهم يسد جوعهم إنما هو الشوك والصديد ونحوه

وهذه الأوجه المتقدمة ظاهرة في بيان توافق الآيات ،

وكل وجه منها تحتمله الآيات ، والله أعلم بمراده

---

(١) الرد على الزنادقة للإمام أحمد : ٥ فتح الرحمن : ٥٧٩ - ٥٨٠

(٢) أضواء البيان للشيخ الشنقيطي : ٣٠٠ / ١٠

٤ قوله تعالى حكاية عن أهل النار :

( ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ) - المؤمن / ١٠ -

هذه الآية تدل على أن الناس لهم موتتين وحياتين

قال ابن مسعود وابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم (١) في قوله تعالى :

( ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ) : كنتم ترابا قبل أن يخلقكم ،

فهذه ميتة ، ثم أحياكم فخلقكم فهذه حياة ، ثم يميتكم فترجعون إلى

القبور فهذه ميتة أخرى ، ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى

فهذه ميتتان وحياتان ، فهو كقوله تعالى :

( كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم )

- البقرة / ٢٨ -

وقال السدي : ( المعنى : أميتوا في الدنيا ثم أحياهم في الثُّبُور للمسألة

ثم أميتوا ثم أحيوا في الآخرة ) (١٠) اهـ

وأيا ما كان فإن الآية قد اثبتت حصول موتتين وحياتين بالنسبة للبشر

بينما جاءت آية أخرى يدل ظاهرها على خلاف ذلك وهي قوله تعالى في

حق أهل الجنة :

( لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب

الجحيم ) - الدخان / ٥٦ -

فهذه الآية تدل بظاهرها على أنهم لم يذوقوا في الدنيا إلا موتة واحدة

وعلى هذا فقد يتوهم أن بين الآيتين اختلافا

والجواب من وجهين :

الوجه الأول : أن قوله تعالى : ( لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة

الأولى ) وصف لأهل الجنة ، والضمير في قوله " فيها " للجنة ،

أى لا يذوق أهل الجنة في الجنة الموت فلا ينقطع نعيمهم ،

وقوله : إلا الموتة الأولى : للجنس لا للوحدة ، نحو قوله تعالى :

( والعصر إنَّ الإنسان لفي خسر... )

(١) تفسير ابن جرير : ٤٧ / ٢٤ زاد المسير : ج١ / ٥٨ تفسير القرطبي : ٢٩٧ / ١٥

تفسير ابن كثير : ج١ / ١٠٣ البقرة / ٢٨ ، روح المعاني : ٥١ / ٢٤ - ٥٢

(٢) تفسير الطبري : ٤٨ / ٢٤ ، تفسير القرطبي : ج١ / ٢٩٧

وأيد ذلك الرازي باعتبار أن لفظ الاماتة لا يصدق عليه الا عند سبق حياة

فالموت الذي لم يسبق بحياة والذي افاده قوله تعالى : ( كيف تكفرون بالله

وكنتم أمواتا فأحياكم ) لا يطلق عليه اماتة ... تفسير الرازي : ٤١ / ٢٧

(١) وليس في الآية نفي تعدد الموت ، فقوله : "إلا الموتة الأولى" استثناء منقطع لتأكيد نفي ذوقهم الموت الذي ذاقوه في الدنيا لأن من يدخل الجنة لا يموت أبدا كما ثبت في الحديث الذي رواه الشيخان<sup>(٢)</sup> عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - مرفوعا :

( يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ٠٠٠ فيؤمر به فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلاموت ويا أهل النار خلود فلا موت )

فالموتة الأولى في الآية تعني الموت السابق الذي ذاقوه سواء كان مرة أو مرتين ، ولذلك فإنه لم يُرد بالأولى موتة واحدة ونظير ذلك قوله تعالى : ( ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ) أراد الجاهلية السابقة للإسلام ، وليس هناك جاهلية أولى ولا ثانية وعلى هذا فإن قوله : " إلا الموتة الأولى " لا ينافي أنهم كانوا أمواتا مرتين

الوجه الثاني :

أن المراد بالموتة الأولى الموتة التي ذاقوها عند مجيء الاجل وقبض الروح ، أما الموتة التي كانت وهم في العدم قبل أن يخلقوا فذلك موت لا يوصف بأن أحدا قد ذاقه لأنه لم يُخلق ، وإنما سُمي موتا من حيث إن المعدوم بحكم الميت ، كما سُمي الله تعالى الكافر ميتا في قوله :

( أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس )  
- الانعام / ١٢٢ -

وقال في حق الكفار وبيان أنهم بعدم انتفاعهم بالحق والهداية كحال الموتى : ( انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولو مدبرين ) - النمل / ٣٠ -

وعلى ذلك فإن الموت الحقيقي الذي يذوقه الناس إنما هو الموت الذي يعقب الحياة فيقطع حياة الانسان ويوصله بالآخرة ، وهذا الموت أخبر

---

(١) الموافف في علم الكلام : ٣٨٢ ، للقاضي عبد الرحمن بن احمد الايجي

( ت : ٦٨٠ ) طبعة عالم الكتب - بيروت

تفسير الرازي : ١٤٠ / ٢٦

(٢) صحيح البخارى : كتاب التفسير ، سورة مريم ، باب قوله ( وانذرهم يوم الحسرة ٢٣٦/٥

صحيح مسلم : في صفة القيامة والجنة والنار ، باب جهنم ( شرح النووي : ١٧ / ١٨٤ )



أخبر الشارع أن له سكرات ، وفطرة البشر تتركه هذا الموت وان كان حقا ، ولذلك أخبر الله نبي عدة مواضع من كتابه ان الموت حق وانه لا مفر منه ، وان كل نفس ذائقة الموت ، والموت عرض لا يُذاق ولكن جعل كالطعام الذي يُكره ذوقه كما قال تعالى :

( كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة ) - آل عمران / ١٥٨  
ومن أجل أن الموت يقطع حياة الانسان وتكرهه النفوس ، طمأن الله أهل الجنة في سياق ذكر ما أنعم عليهم بأن هذا الموت الذي خبروه في الدنيا وذاقوا من سكراته ، وقطع عليهم حياتهم ، طمأنهم بأنهم لن يذوقوه في الجنة البتة ، لأن حياتهم في الجنة خالدة وكفى بذلك نعيما ، واليك سياق الآية :

( ان المتقين في جنات وعيون ، يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عينن ، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم ) - الايات ٥١ - ٥٧ الدخان

وحال هؤلاء المؤمنين بعكس حال الكفار ، قال تعالى يصف عذاب الكافر وما يعاينه من الشدة :

( ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ) - ابراهيم / ١٧

وعلى هذا فانه لا مجال لتوهم التنافي بين قوله تعالى :

( قالوا ربنا أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين ٠٠ )

وبين قوله تعالى : ( لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى )

وذلك لما تقدم بيانه في الوجهين السابقين<sup>(٢)</sup>

---

(١) ذكر ابن قتيبة وجها آخر : وهو أن المؤمن من حين يشرف على الموت في الدنيا تستقبله ملائكة الرحمة ، ويلقى الروح والريحان ويرى منزلته من الجنة فاذا مات في الدنيا فكأنه مات في الجنة لا تتألمه بأسبابها ومشاهدته إياها وانسه بملائكتها وعلى هذا فان الاستثناء في الآية متصل وأراد به تلك الموتة التي ذاقوها وهم متصلون بأسباب الجنة ، وفي هذا التوجيه نوع من التكليفينافي ظاهر الآية وسياقها ، والله أعلم  
انظر : تأويل مشكل القرآن : ٢٢ ، ٥٥ - ٥٦ تفسير القرطبي : ١٥٤/١٦  
زاد المسير لابن الجوزي : ٣٥٢ / ٧ ، حيث ذكرا هذا الوجه عنه

وبانتهاء هذا الفصل انتهت مباحث هذه الرسالة ،  
والحمد لله على ما وفق وهدي ، فإن أصبت فيما قدمت فتوفيق  
من الله تعالى أكرمني به ، وإن أخفقت في بعض النواحي  
فهذا شأني كانسان ، ولا أدعي لنفسي كمالا ولا سبقا بريادة  
وانما أنا باحث يضع قدمه على أول الطريق ويسأل الله  
التسهيل والعون ، ويرجو من كل حق اطلع على هذه الرسالة  
فوجد فيها قصورا فليدركه بلطف وحسن خلق فاني ما قصرت عن  
عمد ولا أردت التقصير ،

والله حسي وعوني ونعم الوكيل  
والحمد لله أولا وآخرا ، صلى الله على سيدنا محمد  
وعلى آله وصحبه وسلم

## الخاتمة

نتائج البحث وأهم التوصايا والمقترحات

اولا : لقد تبين لي بعد تدبر آيات القرآن ودراستها أن إيماني و يقيني بهذا القرآن قد تعاظم لما رأيت من تصديق القرآن لبعضه وتوافق آياته وانسجامها من بعضها وكذلك ما فيه من توافق مع الحقائق العلمية ، وما فيه من إخبار عن أمور غيبية في الماضي والحاضر والمستقبل ، فقد اطمأن القلب وانشرح الصدر ، وكل من يقرأ هذا البحث بروية وتدبر قاصدا معرفة الحق وجلاء الريب يجسد ضالته باذن الله تعالى ، وهذا كله تصديق لقوله تعالى ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا )

وبحمد الله تعالى تدبرنا القرآن فوجدناه كما نغاه الله تعالى عنه ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد )

ثانيا :

إن توهم الاختلاف أو التناقض بين آيات القرآن الناتج عن الجهل أو عدم التدبر أو زيغ القلب قد ابتدأ منذ عصر الرسالة على لسان بعض اليهود والمشركين ، وكانت عبارة عن افتراءات في موضوع النسخ لظهور التعارض بين النسخ والمنسوخ عند من لا يفهمه أو لا يؤمن به ،

وقد أوضحت ذلك في الفصل الاول من الباب الاول

وكذلك كانت هناك بعض الشبهات التي أطلقها نمارى نجران حول قول

القرآن : ( يا أخت هارون )

وقد أجبت عن هذه الشبهة في فصل موهم آيات القصص من الباب الثاني

وتوهم الاختلاف في عصر الرسالة لم يكن سببه الجهل باللغة

انما هي بعض الشبهات والافتراءات ضمن حملة الكفار من جميع الفرق

على توهين امر القرآن والاسلام

وقد ردّ الله تعالى عليهم في كتابه في قوله تعالى :

( واذا بدنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا

انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ) - النحل / ١٠١ -

وبعد عصر الرسالة تعددت أسباب توهم الاختلاف فكان للجهل وعدم التدبر حظا كبيرا إضافة الى زيغان القلوب وكثرة أعداء الاسلام الذين يرومون النيل من عظمة القرآن لعلمهم أنه السبب الأكبر في وحدة المسلمين واندفاعهم في الأرض لتطمعها من الشرك والضلال والاستعباد وجور الأديان ،

ولهذا فقد بيّنتُ في الفصل الأول من الباب الأول عرضا جمليا

لتاريخ توهم الاختلاف في القرآن فليراجع .

ثالثا :-

لقد تبين لي في هذا البحث أن هناك علاقة وطيدة بين المتشابه في القرآن وبين موهم الاختلاف بين الآيات ، ولذلك نجد كثيرا من العلماء يطلق المتشابه على موهم الاختلاف بين الآيات (١) أو يدرج الآيات التي فيها توهم اختلاف في كتب المتشابه كما فعل الخطيب الاسكافي في كتابه : درة التنزيل وغيره

وقد رأيت أن الحكمة من وجود ما يتوهم منه الاختلاف في القرآن هي نفس الحكمة من وجود المتشابه ، وهي أن ذلك ادعى لإثارة العلم بدفع التوهم ، وتدبر كتاب الله للتوفيق بين الآيات ، فيطول بذلك فكر العلماء ويدأومون على البحث والاهتمام فيثابون على تعبهم وحسن عنايتهم مع فضيلة النظر وحسن استخراج .

ولو كان الأمر غير ذلك لاستوى فيه العالم والجاهل ولماتت الخواطر ، ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة ، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة ،

كما أن فيه اختبارا للعباد ليقف المؤمن من عنده ويرده الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ، ويرتاب فيه المنافق فيداخه الزيغ فيستحق بذلك العقوبة ،

---

(١) منهم ابن عباس - رضي الله عنهما - كما في سوء الات نافع بن الأثرق له والتي رواها البخاري وابن جرير وغيرهم ( انظر : الفصل الأول من الباب الأول )

كما أن فيه ضربا من الاعجاز ، حيث جاء على ترتيب ونسق بحيث لو تدبره المؤمن والعالم ألقاه متناسقا منسجما ، وان قرأه الجاهل أو المنافق ظنه مختلفا ، فكأنه تعالى قال : عارضوه بمثله ان استطعتم

رابعاً :-

ان آيات القرآن مقترنة ببعضها ومفسرة لبعضها ، ولذلك لا بد للعالم أو المجتهد أو من يفسر كتاب الله أن يكون على علم بجميع آيات القرآن في الموضوع الواحد ، لأنها بمجموعها يتضح مراد الله تعالى ، ولذلك فان العالم لا يقتصر على التمسك بالعام مثلا حتى يبحث عن مخصصه ، وعلى المطلق حتى ينظر هل له مقيد أم لا ، فالعام مع مخصصه هو الدليل ، وعلى هذا فالبيان مقترن بالمبين فعند تدبر المجمل والمبين يتضح المراد ويفهم المقصد وتجتمع المعاني بدل أن يضرب كتاب الله بعضه ببعض بسبب الجهل أو التعصب لمنهج معين أو التأويلات البعيدة .

خامساً :-

ان أكثر المتحمسين في هذا العصر لآثار الشبهات والافتراءات حول القرآن هم النصارى ، وذلك لاسباب عديدة منها أن الاسلام دين قائم على الحجة والبرهان والاقناع :

( قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين )

بعكس ما بأيدي النصارى ، فان ما عندهم لا يتعد معتقدات تأباها العقول السليمة والخطر الصحيحة ، لهذا فانهم يقومون بحملة محمومة يتولى كبرها القسيسون - والرهبان المنصرون ضد القرآن والاسلام ، ومن ضمن هذه الحملة اطلاق الشبهات والافتراءات حول آيات القرآن والادعاء بانها متناقضة وسبب كل ذلك رغبتهم في تثبيت أهل دينهم ليس الا ، لأنهم لا يستطيعون ادخال أحد في دينهم ما خلا الحجة والمناظرة بل يعتمدون اسلوب الافراءات المادية للمكويين وأهل الغابات والمناطق النائية التي لاتعرف دين الاسلام ، هذا مع ان ما بأيديهم من الاناجيل المحرفة مملوءة بالتناقضات -

والافتراءات كما بينت بعض ذلك في الباب الاول  
وأرى أن الامر يحتاج الى بحث مستوفى يتتبع فيه الباحث  
ما في الانجيل من تناقضات ويدرسها دراسة علمية ، مستوفاة ليبرهن  
أن ما بأيديهم ليس من عند الله وذلك لما فيه من الاختلاف الكثير .

سادسا :-

أقترح وأوصي أن يتوجه اهتمام الباحثين وطلبة العلم  
لاعطاء دلائل النبوة في القرآن حظها من الدراسة والبحث ، وإظهارها  
واضحة مستوعبة ، ومنها الاخبار عن المغيبات الحاضرة والماضية  
والمستقبلية ، والتد تعرضت لها إجمالا في فصل تفسير الآية :

( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا )

ومنها ما أخبر القرآن ولغت الانظار اليه من الاشارات العلمية والحقائق  
الكونية التي لم تكن معروفة في عصر نزول القرآن الكريم ، صح ترجمه  
هذه الابحاث ونشرها في أقطار الارض من باب الدعوة الى الله والى  
دينه الذي هو خاتم الاديان ومن يبتغي غيره فهو من الخاسرين .

سابعا :-

لقد سبق وأن قام احد الباحثين من طلبة العلم في  
هذه الجامعة بدراسة موهم الاختلاف في الحديث النبوي ، فبقي أن يهتم  
بموهم الاختلاف بين الكتاب والسنة ، لبيان عدم التعارض بين آيات القرآن  
وحديث المصطفى - صلى الله عليه وسلم - لأن الكل من عند الله تبارك وتعالى  
وبيان توافقهما وعلاقتهما ببعضهما ، وأرى أن هذه الدراسة بحاجة الى  
عدة أبحاث ، حيث ان الباحث سوف يلجأ الى كتب التفسير وشروح الحديث  
المطولة ليستخلص منها ما قيل في التوفيق بين ما ظاهره التعارض في  
الكتاب والسنة المطهرة ، وتكون دراسة شاملة مستوعبة ولا يقتصر فيها على  
على الأمثلة والنماذج ،

والله ولي التوفيق

وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

فهرس الموضوعات :

- المقدمة : ٦ - ١  
منهج البحث : ٤  
خطة البحث : ٦  
الباب الاول : ٧ - ١٦٥  
الفصل الاول عرض اجمالي : ٨ - ٣٤  
معنى موهم الاختلاف والتناقض  
في اللغة والاصطلاح : ٣٥ - ٤١  
معنى العنوان كمصطلح مركب : ٤٢ - ٤٥  
امثلة توضح المقصود من  
موهم الاختلاف والتناقض : ٤٦ - ٥٠  
تفسير قوله تعالى :  
( افلا يتدبرون القرآن ١٠٠٠ الاية ٥١ - ٨١  
المراد بالاختلاف المنفي : ٥٨  
الاجبار عن المنيات : ٦٢ - ٦٩  
الايات الكونية والنفسية : ٧٠ - ٧٤  
الفوائد المستنبطة من الاية : ٧٥ - ٨١  
الفصل الرابع : سلامة  
القران من الاختلاف من ادلة النبوة : ٨٢ - ٩١  
تناقض العهد القديم والجديد : ٩٢  
ادلة اخرى على النبوة : ٩٤ - ٩٩  
اسباب وجود موهم الاختلاف والتناقض  
في القرآن : ١٠٠  
النسخ : ١٠١  
مثال على النسخ : ١٠٩  
العموم والتخصيص : ١١٢  
الاطلاق والتقييد : ١١٩  
البيان والاجمال : ١٢٤  
اختلاف الحال : ١٣٣  
اختلاف المحل : ١٣٥  
تعارض العمومين : ١٤٠

- موقف الباحث عند التعارض والاختلاف
- ١٤٤ : الظاهري في النصوص
- ١٤٥ : مسلك الجمع
- ١٤٧ : مسلك النسوخ
- ١٥٢ : مسلك الترجيح
- ١٥٦ : الترجيح في السنة
- ١٦٤ : منهج الحنفية
- الباب الثاني : موهم الاختلاف
- ١٦٦ - ٢٧٨ : في النص القرآني
- ١٦٧ - ١٧٩ : فصل موهم الاختلاف في القراءات
- ١٨٠ : امثلة تطبيقية لاختلاف القراءات
- ١٨٧ : الاختلاف القراء في البسمة
- ١٩١ : فائدة اختلاف القراءات
- ١٩٣ : فصل الايات المختمة بالكتاب
- ٢٠١ : توهم وجود الشعر في القرآن
- ٢٠٩ : آيات النسخ وايات حفظ القرآن من التبديل
- ٢١٤ : توهم وجود الفاظ غير عربية في القرآن
- ٢٢٧ : الفصل الثالث : المباحث اللغوية
- ٢٢٧ : مبحث في القسم وما فيه من موهم الانتلاف
- ٢٣٧ : القواعد النحوية
- مبحث في التقديم والتأخير والزيادة والنقص
- ٢٦٣ - ٢٨٨ : وابدال كلمة بأخرى
- ٢٨٩ : الفصل الرابع : قصص القرآن
- ٢٩٢ : تكرار القصص القرآني
- ٣٠٣ : اختلاف حكاية القصة
- الفصل الخامس : موهم الاختلاف
- ٣١٧ - ٣٧٨ : في مضمون القصص حسب التسلسل التاريخي
- ٣١٩ : ماورد في حق ابليس اللعين
- ٣٢٥ : نصرة الرسل
- ٣٢٨ : قصة نوح



٣٣٠ :	قصة صالح
٣٣٣ :	قصة اراهيم
٣٣٨ :	قصة شعيب
٣٤١ :	قصة يوسف
٣٤٤ :	قصة ايوب
٣٤٧ :	قصة يونس
٣٤٨ :	قصة موسى
٣٦٠ :	قصة سليمان
٣٦٢ :	قصة مريم
٣٦٤ :	قصة عيسى
٣٧١ :	قصة الفتية أصحاب الكهف
٣٧٣ :	امرأة نوح وامرأة لوط
- ٣٧٩ :	الباب الثالث :
٤٠١ - ٣٨٠ :	الفصل الاول : موهم آيات العقيدة
٤١١ :	الفصل الثاني : موهم آيات النبوة
٤٣٠ :	الفصل الثالث : موهم آيات المؤمنين
٤٦٤ :	الفصل الرابع : موهم آيات أهل الكتاب
٤٩٢ :	الفصل الخامس آيات المشركين
٥٤٢ :	الفصل السادس آيات المنافقين
٥٥٢ :	الفصل السابع آيات الاحكام
٥٧٧ :	الفصل الثامن : الآيات الكونية
٦٣٧ - ٥٩٩ :	الفصل التاسع : آيات الجهاد والدعوة
٦٩٨ - ٦٣٨ :	الفصل العاشر : آيات القيامة
٦٤٧ - ٦٣٨ :	المبحث الاول : آيات الصعق والبعث
٦٧٨ - ٦٤٨ :	المبحث الثاني آيات الحساب والموقف
٦٩٨ - ٦٧٩ :	المبحث الثالث : آيات الجنة والنار
٧٠٢ - ٦٩٩ :	الخاتمة :
- ٧٠٣ :	الفهارس

فهرس المراجع

اولا : كتب التفسير وعلوم القرآن ( مرتبة ابجديا )

- ١- الابانة عن معاني القراءات / مكي بن ابي طالب القيسي ت ٤٣٧  
تحقيق : د . محيي الدين رمضان ، مجمع اللغة العربية ، دمشق
- ٢- الاتقان في علوم القرآن / السيوطي ت : ٩١١ هـ ط ٢ دار احياء العلوم / بيروت
- ٣- احكام القرآن / الامام الشافعي ت ٢٠٤ هـ ( جمع البيهقي )  
تحقيق : عبد الغني عبد الخالك ، دار الكتبة العلمية - بيروت
- ٤ احكام القرآن / ابن العربي ت ٥٤٣ هـ ، تحقيق علي محمد البجاوي ط ٣  
دار المعرفة - بيروت
- ٥- ارشاد العقل السليم / ابو السعود ت ٩٨٢ هـ تحقيق عبد القادر احمد عطا  
مكتبة الرياض الحديثة - الرياض
- ٦- اسباب نزول القرآن / الواحدى ( علي بن احمد ) ت ٤٦٨ هـ  
تحقيق سيد صقر - دار القبلة - جدة ط ٢
- ٧- استخراج الجدل من القرآن / عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلي ت ٦٢٤ ،  
ط ٢ تحقيق د . زاهر بن عواض الالمعي ، الناشر غير مذكور
- ٨- أضواء البيان / محمد الامين الشنقيطي ت ١٣٩٣ هـ ، طبعة الرئاسة العامة  
لادارات البحوث العلمية والافتاء - الرياض
- ٩- الاعجاز والقراءات / فتحي عبد القادر - دار العلوم للطباعة ط ١
- ١٠- الاقناع في القراءات السبع / ابن البازش ( احمد بن علي ) ت ٥٤٠ هـ ط ١  
تحقيق : د . عبد المجيد قطامش - مركز البحث العلمي - ام القرى
- ١١- آيات عتاب المصطفى في ضوء العصمة والاجتهاد / د . عويد بن عياد المطرفي  
دار الفكر العربي - القاهرة
- ١٢- البحر المحيط / ابو حيان الاندلسي ت ٧٥٤ هـ ط ٢ دار الفكر بيروت
- ١٣- بحوث في قصص القرآن / السيد عبد الحافظ عبد ربه - دار الكتاب اللبناني  
بيروت - طبعة اولى
- ١٤- البرهان في علوم القرآن / بدر الدين الزركشي ت ٧٩٤ ط ٢ تحقيق :  
محمد ابو الفضل ابراهيم
- ١٥- بئائر نوح التمييز / الفيروزبادهى ( محمد بن يعقوب ) ت ٨١٧ هـ  
تحقيق محمد علي الخجار - بيروت
- ١٧- تجبير التيسير / ابن الجزرى ت ٨٣٣ هـ تحقيق عبد الفتاح القاضي  
دار الوصي طب - طبعة اولى
- ١٦- تأويل مشكل القرآن / ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ تحقيق السيد مقرر  
طبعة ثانية - دار التراث - القاهرة
- ١٨- التموير الفني في القرآن / سيد قطب - الطبعة بدون ذكر وكذا الناشر

- ١٩ - تفسير التبيان / محمد بن الحسن الطوسي ت ٤٦٠ هـ تحقيق د ٠ محيي الدين  
رمضان - مجمع اللغة الغربية - دمشق
- ٢٠ - تفسير الجواهر / ططاوى جوهرى ط ١٢ البابي الحلي - مصر
- ٢١ - تفسير غريب القرآن / ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ تحقيق السيد صقر  
دار الكتب العلمية
- ٢٢ - تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ت ٧٧٤ هـ طبعة الشعب تحقيق محمد عاشور  
ومحمد البنا وعبد العزيز غنيم ، وطبعة دار الكتب العلمية  
وهي المعتمدة في أكثر البحث
- ٢٣ - التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب - دار الفكر العربي  
بيروت - لبنان
- ٢٤ - تفسير القرآن الكريم / محمود شلتوت ط ٨ دار الشروق - بيروت
- ٢٥ - تفسير المراغي / احمد مصطفى المراغي البابي الحلي - مصر
- ٢٦ - تفسير المنار / محمد رشيد رضا ط ٤ دار المنار - مصر
- ٢٧ - تنزيه القرآن عن المطاعن / القاضي عبد الجبار ت ٤١٥ هـ دار النهضة  
بيروت
- ٢٨ - الجامع لاحكام القرآن / القرطبي ت ٦٣٠ هـ ط ٣ دار القلم - بيروت
- ٢٩ - جامع البيان / ابن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ تحقيق محمود شاعر طبعة ٢  
دار المعارف مصر
- ٣٠ - حاشية الشهاب الخفاجي / الشهاب الخفاجي ( احمد بن محمد ) ت ١٠٦٩ هـ
- ٣١ - حكم الاسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض / ٠٠٠ عبد العزيز بن باز ،  
توزيع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة - ١٤٠١ هـ
- ٣٢ - درة التنزيل وغرة التأويل / الخطيب الاسكافي ت ٤٢٠ هـ طبعة اولى  
دار الافاق الجديدة - بيروت
- ٣٣ - الدر المنثور / السيوطي ت ٩١١ هـ ط ١ دار الفكر - بيروت
- ٣٤ - الرد على الزنادقة / احمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ تحقيق محمد راشد ،  
المطبعة السلفية - القاهرة
- ٣٥ - الرد القرآني على كتيب : هل يمكن الاعتقاد بالقرآن / عبد الله كنون  
مطبوعات رابطة العالم الاسلامي ١٤٠١ هـ
- ٣٦ - رسم المصحف القرآني / د ٠ عبد الفتاح شلبي ط ٢ دار الشروق - جدة
- ٣٧ - روح المعاني / الالوسي ت ١٢٧٠ هـ دار الفكر بيروت ط ١٣٩٨ هـ
- ٣٨ - زاد المير / ابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ ط ٣ المكتب الاسلامي
- ٣٩ - سيكولوجية القصة في القرآن / التهامي نقرة - الشركة التونسية  
للتوزيع
- ٤٠ - الصحيح المسند من أسباب النزول / مقبل بن هادي الوادعي ط ٢
- ٤١ - فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن / زكريا الانصاري ت ٩٢٦ هـ  
تحقيق محمد علي المابوني - دار القرآن الكريم - بيروت
- ٤٢ - فتح القدير للشوكاني / ت ١٢٥٠ هـ طبعة اولى البابي الحلي - مصر
- ٤٣ - فكرة إيجاز القرآن / نعيم الحمصي مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢

- ٤٤ - فوائد في مشكل القرآن / عبد العزيز بن عبد السم ت ٦٦٠ هـ  
تحقيق : د . سيد رضوان علي - دار الشروق جدة
- ٤٥ - في ظلال القرآن / سيد قطب - دار الشروق - بيروت ١٣٩٢ هـ
- ٤٦ - القراءات في نظر المستشرقين / عبد الفتاح القاضي - مكتبة الدار - المدينة المنورة
- ٤٧ - القرآن والمبشرون / محمد دروزة ط ٢ المكتب الاسلامي - بيروت
- ٤٨ - القصص القرآني في منطوقه ومفهومه / عبد الكريم الخطيب - دار الفكر - بيروت
- ٤٩ - كتاب المصاحف / عبد الله بن ابي داود ت ٢٩٠ هـ طبعة اولى -  
دار الكتب العلمية بيروت
- ٥٠ - الكشف عن وجوه القراءات السبع / القيسي ت ٤٣٦ هـ تحقيق د. محيي الدين  
رمضان - مجمع اللغة العربية - دمشق
- ٥١ - لباب النقول في أسباب النزول / السيوطي ت ٩١١ هـ ط ٢ دار احياء العلوم  
بيروت
- ٥٢ - متشابه القرآن / القاضي عبد الجبار ت ٤١٥ هـ تحقيق د. عدنان زرزور -  
دار التراث - القاهرة
- ٥٣ - مجمع البيان / الطبرسي ت : - مكتبة الحياة - بيروت
- ٥٤ - المحرر الوجيز / ابن عطية ( عبد الحق ) ت ٥٤١ هـ - تحقيق : احمد  
الملاح - القاهرة
- ٥٥ - محاسن التأويل / جمال الدين القاسمي - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي  
دار الفكر - بيروت
- ٥٦ - مذاهب الفسیر الاسلامي / جولد سيهر - ترجمة د . عبد الحليم النجار -  
مكتبة الخانجي - مصر
- ٥٧ - معاني القرآن / الفراء ت ٢٠٧ هـ عبد الفتاح ثلبي ط ١ الهيئة المصرية للكتب
- ٥٨ - ملك التأويل / ابن الزبير الغرناطي ( احمد بن ابراهيم ) ت ٧٠٨ هـ  
تحقيق د . محمود كامل أحمد - دار النهضة العربية - بيروت
- ٥٩ - مناهل العرفان / محمد عبد العظيم الزرقاني - البابي الحلبي - مصر
- ٦٠ - منجد المقرئين / ابن الجزري ( محمد بن محمد ) ت ٨٢٢ هـ طبعة اولى  
تحقيق الدكتور عبد الحي الفرماوى - مكتبة جمهورية مصر - القاهرة
- ٦١ - النبأ العظيم / د . محمد عبدالله دراز ط ٢ - دار القلم - الكويت
- ٦٢ - النشر في القراءات العشر / ابن الجزري ت ٨٢٢ هـ تحقيق : علي محمد الضيام  
دار الكتب العلمية بيروت
- ٦٣ - نظم الدرر في تناسب الايات والسور / ابراهيم بن عمر البقاعي ت ٨٨٥ هـ -  
طبعة اولى - مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيد آباد
- ٦٤ - النكت والعيون / الماوردي ت ٤٥٠ هـ - تحقيق خضر محمد خضر طبعة اولى  
وزارة الاوقاف الكويتية - الكويت
- ٦٥ - نواسخ القرآن / ابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ الطبعة الاولى - تحقيق :  
محمد أشرف المليباري - الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة
- ٦٦ - وجوه من الاعجاز القرآني / مصطفى الدباغ ط ٢ مكتبة المنار - الزرقاء الاردن
- ٦٧ - المرشد الوجيز / ابو شامة المقدسي ت ٦٦٥ هـ - تحقيق : طيار  
التي قولاج - دار طائر - بيروت

مراجع الحديث

( مرتبة على الحروف الابجدية )

- ٧٠ - ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل / ناصر الدين الالباني  
ط اولى ، المكتب الاسلامي - بيروت - دمشق
- ٧١ - الاعتبار في بيان الناسخ من المنسوخ من الآثار / ت ٥٨٤ ، ط اولى ،  
تحقيق راتب حكيم ، مطبعة الاندلس - حمص
- ٧٢ - تأويل مختلف الحديث / بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦ هـ ، دار الكتاب العربي بيروت
- ٧٣ - التصريح بما تواتر في نزول المسيح / محمد انور شاه الكشميري ت ١٣٥٢ هـ  
تحقيق الشيخ عبد الفتاح ابو غدة ، ط ٣ ، مكتبة المطبوعات  
طلب
- ٧٤ - جامع الاصول / ابن الاثير الجزرى ت ٦٠٦ هـ ، ط ٢ تحقيق عبد القادر الارناؤوط  
دار الفكر - بيروت
- ٧٥ - دلائل النبوة / ابو نعيم الاصبهاني ت ٤٣٠ ، تحقيق محمد رواح قلعبني ،  
المكتبة العربية بحطب
- ٧٦ - دلائل النبوة للبيهقي ت ٤٥٨ ، المكتبة السلفية - المدينة
- ٧٧ - سلسلة الاحاديث الصحيحة / ناصر الدين الالباني ، المكتب الاسلامي - بيروت ط ٣
- ٧٨ - سنن الترمذى / محمد بن عيسى الترمذى ت ٢٩٧ ، تحقيق احمد شاکر وتكملة  
عبد الباقي وابراهيم عطوة ، دار احياء التراث - بيروت
- ٧٩ - سنن ابي داود / سليمان بن الاشعث السجستاني ، ت ٢٧٥ ، اعداد وتعليق :  
عزت عبید الدعاس ، دار الحديث - حمص سوريا
- ٨٠ - سنن ابن ماجة / محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥ ، تحقيق محمد فواد عبد  
الباقي ، ط البابي الحطبي ١٩٥٢ م
- ٨١ - سنن النسائي / بشرح الحافظ السيوطي وحاشية السندي ، عناية وترقيم :  
عبد الفتاح ابو غدة - مكتبة المطبوعات الاسلامية - حطب
- ٨٢ - شرح السنة / البغوي : ت ٥١٦ تحقيق شعيب اناؤوط وزهير الشاويش - المكتب  
الاسلامي
- ٨٣ - سنن البيهقي / احمد بن الحسين البيهقي ، ت ٤٥٨ ، ط ١ حيدر اباد الدکن
- ٨٤ - صحيح البخارى / محمد بن اسماعيل البخارى ، ت ٢٥٦ ، المكتبة الاسلامية - استانبول
- ٨٥ - صحيح مسلم / (بشرح النووى) مسلم بن الحجاج ت ٢٦١ ، توزيع ادارات البحوث  
العلمية والافتاء بالرياض
- ٨٦ - صحيح الترغيب والترهيب للمنذرى / اختيار وتحقيق الشيخ ناصر الدين الالباني  
المكتب الاسلامي ط ١ - بيروت
- ٨٧ - فتح المهدى شرح مخير الزبيدي / عبد الله الشرقاوى ت ١٢٢٦ هـ ط ٤ الحطبي
- ٨٨ - لقط اللالى المتناثرة / محمد مرتضى الزبيدي ت ١٢٠٥ هـ ، تحقق : محمد  
عبد القادر ، دار الكتب العلمية - بيروت
- ٨٩ - مجمع الزوائد / الميمني ت ٨٠٧ ، ط ٣ ، دار الكتاب العربي - بيروت
- ٩٠ - مسند الامام أحمد / طبعة المكتب الاسلامي ، ت ٢٤١ ،
- ٩١ - مسند الامام أحمد / بتحقيق احمد شاکر ، دار المعارف بمصر
- ٩٢ - المستدرک / الحاكم النيسابورى ، اشراف وفهرسة د . يوسف المرعشلي ،  
دار المعرفة بيروت
- ٩٣ - مشکاة المصابيح / الخطيب التبريزي ، ت بعد ٧٣٧ هـ ، ط ٢ المكتب الاسلامي

- ٩٤- المصنف / عبد الرزاق الصنعاني ت ٢١١ هـ تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي ط ١  
المكتب الاسلامي بيروت
- ٩٥ - المقصد العلي في زوائد ابي يعلى الموعلي / الهيثمي ت ٨٠٧ هـ ط ١  
تحقيق د . نايف الدعين ، تهامة - جدة
- ٩٦ - موارد الظمئان / الهيثمي ت ٨٠٧ هـ ، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة ،  
دار الكتب العلمية - بيروت
- ٩٧ - الموطأ / الامام مالك بن انس ت ١٧٩ هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي  
دار احياء التراث العربي - بيروت
- ٩٨ - نظم المتناثر من الحديث المتواتر / جعفر الكتاني ، نشر دار الكتب  
العلمية - بيروت

مراجع العقيدة ( مرتبة على الحروف الابجدية )

- ٩٩ - الابانة عن اصول الديانة / علي بن اسماعيل الاشعري ت ٣٢٤ هـ ، ط ١  
تحقيق عبد القادر الاناوغوط ، مكتبة دار البيان - دمشق
- ١٠٠ - ابن حزم وموقفه من الالهيات / د. احمد الناصر ، طبعة اولى ،  
مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى
- ١٠١ - الارشاد / الجويني ، مكتبة الخانجي - مصر ١٣٦٩ هـ
- ١٠٢ - اظهار الحق / رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي ، تحقيق : عمر الدسوقي  
مكتبة الوحدة العربية - الدار البيضاء
- ١٠٣ - الاعتقاد / البيهقي ت ٤٥٨ هـ ط ١ تحقيق كمال الحوت ، عالم الكتب  
بيروت
- ١٠٤ - اقتضاء الصراط المستقيم / ابن تيمية ت ٧٢٨ هـ ، مطبعة الحكومة  
مكة ١٣٨٩ هـ
- ١٠٥ - البعث والنشور / البيهقي ت ٤٥٨ هـ ، ط ١ تحقيق عامر حيدر  
مركز الخدمات والابحاث الثقافية - بيروت
- ١٠٦ - تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد / ابراهيم البيجوري طبعة اولى ،  
دار الكتب العلمية - بيروت
- ١٠٧ - التمهيد / للباقلاني ت المكتبة الشرقية - بيروت
- ١٠٨ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع / ابو الحسين المططي ت ٣٧٧ هـ  
مكتبة المثنى بغداد - تحقيق محمد زاهد الكوثري
- ١٠٩ - التصديق بالنظر الى الله تعالى في الآخرة / ابو بكر الاجري ت ٣٦٠ هـ ،  
تحقيق محمد غياث الجنباز ، دار عالم الكتب بيروت
- ١١٠ - شرح الامول الخمسة / القاوي عبد الجبار ت ٤١٥ ط ١ ، تحقيق :  
د. عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة - مصر
- ١١١ - شرح العقيدة الطحاوية / ابن ابي العز الحنفي ط ٤ المكتب الاسلامي
- ١١٢ - غاية المرام في علم الكلام / الامدي ت ٦٣١ هـ ، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف  
طبع المجلس الاعلى للشئون الاسلامية - القاهرة
- ١١٣ - الغمل في الملل والاهواء والنحل / ابن حزم الظاهري ت  
ط ١ اولى ، عكاظ للنشر والتوزيع ،
- ١١٤ - طوامع الانوار البهية / محمد بن احمد السفاريني ، ط ٢ المكتب الاسلامي
- ١١٥ - محاضرات في النصرانية / ابو زهرة ، ط ٤ دار الفكر العربي - القاهرة
- ١١٦ - مقالات الاسلاميين / ابو الحسن الاشعري ، تحقيق محمد مكي الدين ط ٢

- ١١٧ - المواقف في علم الكلام / القاضي عبد الرحمن الايجي ، عالم الكتب - بيروت
- ١١٨ - موافقة صحيح المنقول لصحيح المعقول / ابن تيمية ت ٧٢٨ هـ ، تحقيق :  
محمد محيي الدين ومحمد حامد النقي - مطابع السنة المحمدية ط ٢
- ١١٩ - موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين /  
مصطفى صبرى ، دار احياء التراث بيروت ط ٢
- ١٢٠ - هداية الحيارت في أجوبة اليهود والنصارى / ابن القيم ت ٧٥١  
مكتبة المعارف - الرياض ، طبعة جديدة

مراجع الفقه والاصول ( مرتبة على الحروف الابدائية )

- ١٢١ - الاجماع / ابن المنذر ت ٣٠٩ هـ تحقيق ابو حماد مغير ، ط ١ دار احياء التراث  
١٢٢ - الاحكام في اصول الاحكام / الامدى ، تحقيق محمد احمد عبد العزيز ط ١  
مكتبة عاطف - مصر
- ١٢٣ - ادلة التشريع المتعارضة / د. بدران ابو العينين ، مؤسسه شباب الجامعة  
الاسكندرية
- ١٢٤ - ارشاد الفحول / الشوكاني ت ١٢٥٥ هـ ، ط ١ البابي الحلبي - مصر
- ١٢٥ - اصول السرخسي / محمد بن احمد السرخسي ت ٤٩٠ هـ ، تحقيق ابو الوفا الافغاني  
لجنة احياء المعارف العثمانية - الهند ، طبع دار المعرفة
- ١٢٦ - اصول الفقه / ابو زهرة / وار الفكر العربي - القاهرة
- ١٢٧ - الاعتماد / الشاطبي ت ٧٩٠ هـ ، المكتبة التجارية - مصر
- ١٢٨ - الاموال / ابو عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤ هـ ط ٢ تحقيق محمد خليل هراس
- ١٢٩ - الأم / الامام الشافعي ت ٢٠٤ هـ اشرف محمد وهري النجار ط ٢ دار المعرفة  
بيروت
- ١٣٠ - التمهيد في اصول الفقه / ابو الخطاب الحنبلي ت ٥١٠ هـ ، دراسة وتحقيق:  
د. منيد أبو عمشة ط ١ مركز البحث العلمي - جامعة أم القرى
- ١٣١ - تيسير التحرير / امير باد شاه ، البابي الحلبي مصر
- ١٣٢ - حاشية التتازاني على مختصر ابن الحاجب / سعد الدين التتازاني ت ٧٩١  
مراجعة وتصحيح : شعبان محمد اسماعيل ، مكتبة الكليات الازهرية - مصر
- ١٣٣ - الرسالة / الامام الشافعي ت ٢٠٤ هـ تحقيق احمد شاکر
- ١٣٤ - روضة الناظر / ابن قدامة ت ٦٢٠ هـ ، دار الكتاب العربية - بيروت ط ١
- ١٣٥ - شرح الكوكب المنير / ابن النجار ت ٩٧٢ هـ ، تحقيق : د. محمد الزحيلي  
و د. نزيه حماد ، مركز البحث العلمي - بجامعة أم القرى - دار  
الفكر دمشق
- ١٣٦ - العدة في اصول الفقه / القاضي ابو يعلى الفراء ت ٤٥٨ هـ تحقيق د. احمد  
بن علي سير المباركي ، ط ١ اولى مؤسسه الرسالة - بيروت
- ١٣٧ - كشف الاضرار علاء الدين البخارى ت ٧٣٠ هـ ، دار الكتاب العربي - بيروت
- ١٣٨ - مجموع الفتاوى / ابن تيمية ت ٧٢٨ هـ جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد  
بن قاسم النبدى ط ٢ توزيع ونشر دار الافتاء بالرياض
- ١٣٩ - مذكرة اصول الفقه على روضة الناظر / محمد الامين الشنقيطي ، المطبعة السنغية  
المدينة المنورة

- ١٤٠ - المستمضى / الغزالي ت ٥٠٥ هـ تحقيق محمد ابو العلا ، مكتبة الجندي مصر  
١٤١ - المعتمد / ابو الحين البصرى تحقيق محمد حميد الله ، المعهد العلمي  
الفرنسي - دمشق  
١٤٢ - الممغني / ابن قدامة المقدسي ت ٦٢٠ هـ مكتبة الرياض الحديثة  
١٤٣ - الموافقات في اصول الاحكام / الشاطبي ت ٧٩٠ هـ ، تحقيق محمد محيي الدين  
الناشر : محمد علي صبيح - ميدان الازهر - مصر  
١٤٤ - موسوعة فقه عثمان بن عفان / د. محمد رواس قلعي ، جامعة ام القرى  
مركز البحث العلمي طبعة اولى  
١٤٥ - نهاية السؤل / عبد الرحيم الاسنوى ت ٧٧٢ هـ ، مطبعة محمد علي صبيح مصر

### مراجع اللغة

( مرتبة على الحروف الابجدية )

- ١٤٦ - اساس البلاغة / الزمخشري ت ٥٣٨ طبعة دار صادر دار بيروت  
١٤٧ - اعجاز القرآن / الباقلائي ت ٤٠٣ هـ تحقيق السيد مقرظ دار المعارف مصر  
١٤٨ - اعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي  
١٤٩ - آمال المرتضى / الشريف المرتضى علي بن الحسين ت ٤٣٦ هـ تحقيق :  
محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتاب العربي - بيروت  
١٥٠ - الايضاح في علو البلاغة / الخطيب القزويني ، مكتبة محمد علي صبيح مصر  
١٥١ - البيان والتبيين / الجاحظ ت تحقيق عبد السلام هارون ط ٣ ، مكتبة  
الخانجي - القاهرة - ومكتبة الهلال بيروت  
١٥٢ - تاج العروس / الزبيدي ت ١٢٠٥ هـ ط ١ المطبعة المنيرية - مصر  
١٥٣ - تشهيل الخوائد / ابن مالك ت تحقيق محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربي  
مصر  
١٥٤ - الخصائص / ابن جنبي ط ٢ تحقيق محمد علي النجار  
١٥٥ - ديوان زهير ابن ابي سلمى ، طبعة دار صادر دار بيروت  
١٥٦ - شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك / تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد  
ط ٢٠ دار احياء التراث - القاهرة  
١٥٧ - صاحب في فقه اللغة / احمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ تحقيق د. مصطفى الشويبي ،  
مؤسسة بدان للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٣ م  
١٥٨ - الصحاح / الجوهري / تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين  
بيروت ط ٣  
١٥٩ - العروض تهذيبه واعادة تدوينه / جلال الحنفي ، مطبعة العاني  
وزارة الاوقاف العراقية  
١٦٠ - الفروق اللغوية / ابو الهلال العسكري ، تحقيق حسام الدين المقدسي  
ط ١ دار الكتبة العلمية / بيروت  
١٦١ - في اصول النحو / سعيد الافغاني ، مطبعة جامعة دمشق ط ٣  
١٦٢ - الكامل / المبرد ط ١ البابي الحنفي ، تحقيق د. زكي مبارك  
١٦٣ - لسان العرب / ابن منظور الاقريني ، دار صادر، دار بيروت



- ١٦٤- المحكم / ابن سيده ت ٤٥٨ هـ تحقيق عبد الستار احمد نرج ط١ الحلبي  
١٦٥- معجم مقاييس اللغة / ابن فارس ت ٣٩٥ هـ تحقيق عبد السلام هارون ط٢ الحلبي  
١٦٦- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب / ابن هشام الانصاري ت ٧٦١ هـ تحقيق :  
د . مازن المبارك ، دار الفكر  
١٦٧- المفصل في الالفاظ الفارسية / د . علاء الدين المنجد ط١ ايران  
١٦٨- النهاية في غريب الحديث / ابن الاثير ت ٦٠٦ هـ تحقيق محمود الطناحي  
البابي الحلبي وشركاه مصر  
١٦٩- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع / السيوطي ت ٩١١ هـ ، تحقيق :  
عبد السلام هارون ، د . عبد العال مكرم

### كتب التراجم والتاريخ ( مرتبة على الحروف الابجدية )

- ١٧٠- الامابة في تمييز الصحابة / ابن حجر العسقلاني ت دار الكتاب العربي  
١٧١- الاعلام / خير الدين الزركلي ، ط٥ دار العلم للملايين - بيروت  
١٧٢- انباه الرواة عند انباه النحاة / علي بن يوسف القنطي  
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتب المصرية  
١٧٣- البداية والنهاية / ابن كثير ت ٧٧٤ هـ ط٢ مكتبة المعارف - بيروت  
١٧٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ مطبعة  
السعادة  
١٧٥- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / السيوطي ، تحقيق : محمد ابو  
الفضل ابراهيم ، ط١ البابي الحلبي - مصر  
١٧٦- تاريخ بغداد : الخياط البغدادي ت ٤٦٣ هـ ، دار الكتاب العربي - بيروت  
١٧٧- تاريخ الطبري / ابن جرير الطبري ، ت ٣١٠ هـ ، دار المعارف - مصر  
١٧٨- تراجم الاعلام المعاصرين / أنور الجندي ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة  
١٧٩- تقريب التهذيب / ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ ، تحقيق الشيخ محمد عوامة  
دار الرشيد طب ط١  
١٨٠- تهذيب التهذيب / ابن حجر طبعة دار صادر - بيروت  
١٨١- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة / تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم  
البابي الحلبي  
١٨٢- الدرر الكامنة / ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ محمد سيد جاد الحق ،  
دار الكتب الحديثة  
١٨٣- السيرة النبوية / ابن هشام ت ٢١٨ هـ تحقيق مصطفى السقا ، عبد الحفيظ شلبي  
ط٢ البابي الحلبي  
١٨٤- طبقات الشافعية الكبرى / تاج الدين السبكي ط١ البابي الحلبي مصر  
١٨٥- طبقات المفسرين الداوودي ( محمد بن علي ) ت ٩٤٥ هـ تحقيق علي محمد عمر  
مكتبة وهبة مصر ط١  
١٨٦- طبقات المفسرين / السيوطي ت ٩١١ هـ دار الكتب العلمية بيروت

- ١٨٧ - غاية النهاية في طبقات القراء / ابن الجزرى ت ٨٣٣ هـ عنى بنشره :  
ج . ٠ برجستراس ١٣٥١ م
- ١٨٨ - الكامل في التاريخ / ابن الاثير ت ٦٣٠ هـ دار الكتاب العربي بيروت
- ١٨٩ - الكواكب السائرة / نجم الدين الغزي ، تحقيق : د . جبرائيل سليمان  
الناشر : محمد امين دمج وشركاه - بيروت
- ١٩٠ - لسان الميزان / ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ ط ٢ مؤسسة الاعلمي بيروت
- ١٩١ - معجم الادباء / ياقوت الحموى ت ٦٢٦ هـ ط ٢ الباهي الحلبي مصر
- ١٩٢ - المنتظم في تاريخ الملوك والامم / ( ابن الجوزى ( عبد الرحمن بن  
علي ) ت ٥٩٧ ط ١ دائرة المعارف العثمانية - حيد اباد الدكن
- ١٩٣ - وفيات الاعيان / ابن ظلكان ت ٦٨١ هـ تحقيق د . احسان عباس ،  
دار صادر - بيروت

#### مراجع وكتب مختلفة

- ١٩٤ - اسرار الكون ألن هاينك ترجمة د . سيد رمضان هدارة ، مكتبة النهضة  
المصرية / القاهرة
- ١٩٥ - الاسلام يتحدى : تأليف وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الاسلام خان ط ١  
دار البحوث العلمية
- ١٩٦ - الاعجاز اللغوى في القمة محمود السيد حسن مصطفى ط ١ ، مؤسسة شباب  
الجامعة - مصر
- ١٩٧ - اقتراءات حول غايات الجهاد / د . محمد نعيم ياسين ط ١ دار الارقم عمان
- ١٩٨ - تسلية اهل المصائب / محمد بن محمد النجفي الحلبي / ت ٧٨٥ هـ ،  
مكتبة دار البيان - دمشق
- ١٩٩ - التعريفات / علي بن محمد الجرجاني - ت ١٤١٣ هـ مكتبة لبنان بيروت
- ٢٠٠ - تلبيس ابليس / ابن الجوزى / ادارة الطبعة المنيرية ١٣٦٨ هـ
- ٢٠١ - الجهاد المشروع / عبد الله بن زيد آل محمود ط ٢ مؤسسة الرسالة بيروت
- ٢٠٢ - رد مفتريات على الاسلام / د . عبد الجليل شلبي ، ط ١ دار القلم الكويت
- ٢٠٣ - زاد المعاد / ابن القيم ت ٧٥١ هـ تحقيق شعيب الارناؤوط وعبد القادر  
الارناؤوط ط ١٤ مؤسسة الرسالة بيروت
- ٢٠٤ - الظواهر الجغرافية بين العلم والقران / د . عبد العليم خضر ط ١ اولي  
الدار السعودية للنشر والتوزيع
- ٢٠٥ - العهد الجديد ( الانجيل ) طبعة جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الانى  
بيروت ١٩٧٤ م
- ٢٠٦ - مجلة البحوث الاسلامية عدد ١٨٤ ادارات البحوث العممية والائتاء  
الرياض
- ٢٠٧ - مجلة كلية الشريعة ، جامعة ام القرى عدد ٢ ١٣٩٦ هـ
- ٢٠٨ - المسلمون وعلم الفلك / محمود الصواف ، الدار السعودية - جدة
- ٢٠٩ - نقض كتاب في الشعر الجاهلي / محمد الخضر حسين ، المكتبة العلمية بيروت